(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)
ذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام
(تفسير سورة الرعد)
فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن
(أي قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض الآية)
(تفسير سورة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
(تفسير سورة الحجر)
فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
(تفسير سورة النحل)
فصل اختلف في هذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل (أي آية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن أي قوله تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض الآية)
فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)
فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين) أي قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا الآية)
(تفسير سورة الإسراء)
فصل في ذكر حديث المعراج وما تعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه
فصل قال النووي قال بعض أهل الحديث ما رواه البخاري ومسلم في كتابيهما لا تحل تحريما الحديث مرتبس أبي عمر عن أنس

فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به
فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالإسراء
ذكر الشبه في هذه الآيات (أي الآيات التي أولها وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب)
فصل في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين
فصل في الأحاديث الواردة في قيام الليل
(تفسير سورة الكهف)
ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه
(تفسير سورة مريم عليها السلام)
فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)
(تفسير سورة طه)
(الكلام على معنى الحديث وشرحه (أي حديث احتج آدم وموسى الخ)
(فصل في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك)
(تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ذكر العصمة في ذلك (أي قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم الآية)
ذكر قصة أبوين عليهما السلام
(تفسير سورة الحج)
فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له الآية)
فصل في حكم سجود التلاوة هنا (أي في قوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الآية)
(تفسير سورة المؤمنون)
(تفسير سورة النور)
فصل في بيان المثل المذكور في قوله الله نور السموات والأرض الآية

صحيفة	
٣٥١	(تفسير سورة الفرقان)
٣٥٥	فصل وهذا السجود من عزائم السجود (أي قوله تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الآية)
٣٥٧	(تفسير سورة الشعراء)
٣٦٤	فصل في مدح الشعر
٣٧٥	(تفسير سورة النمل)
٣٨٣	فصل وهذا السجود من عزائم السجود (أي قوله تعالى الا يسجدوا لله الآية)
٣٩٥	(تفسير سورة القصص)
٣٩٦	ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى الخ)
٤١٢	ذكر حصار يثرب
٤١٥	(تفسير سورة العنكبوت)
٤٢٧	(تفسير سورة الروم)
٤٣٠	فصل في فضل التسبيح
٤٣٧	(تفسير سورة لقمان)

صحيفة	
٤٤٦	(تفسير سورة السجدة)
٤٤٩	فصل في فضل قراءة الم تنزيل السجدة
٤٥٩	(تفسير سورة الاحزاب)
٤٥٣	ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب
٤٦١	ذكر غزوة بني قريظة
٤٦٥	فصل في معنى الآية (أي قوله تعالى ما أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية
٤٦٨	فصل فيما يلتحق بذكره في تفسير هذه الآية (أي قوله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه الخ)
٤٧٦	فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها
٤٨١	فصل في الاسلام
	(تفسير سورة سبا)
٤٩٠	(تفسير سورة طاسين وهي سورة النمل الآية ٤٣)

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء العظيم (يجتبيك ربك) يصطفيك ويختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي تأويل الرؤيا أو بالعكس لتعبيرهما وكل وحي أحاديث الأنبياء كتب التوراة وسمي جميع

الحديث وإنما جمعت تلك الأحاديث (ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) بأن وصل إليهم منافع الدارين (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق) بأن جعلهما نبيين وهو إشارة إلى أن إتمام النعمة عليهم كان بالنبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الأنبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لأن جميع الخلق يدخلون في الرسوم والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولادهم سواء كانوا أنبياء وهو المراد من إتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق) بأن جعلهما نبيين وهو إشارة إلى أن إتمام النعمة على إسحق بأن خلصه الله من الذبح وهذا على قول من قال الذبيح إسحق وليس بشيء والقول الأول هو الأصح بأن إتمام النعمة عليهما بالنبوة (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء أعظم النهي في العدد (نرتع) نلعب (ونلعب) نتسع في شهواتنا والأصل في الرتع أكل البهائم إذا تعالى حكم بوضع النبوة في سائر أنبيائهم صلى الله عليهم (ولعب) اللعب معروف قال الراغب يوسف هذه هي بحسبها عصر وأحمائها ما يروى أن سئل أويس القرني العلماء كيف قالوا ولعب وهم أنبياء الحسن البصري كان نهيهم عما يلعب به لا لعبهم به لا لعب هما الإقدام على الماء لا لحل انشراح الصدر به إخوته حتى يسعدوه أو لهو ﴿قوله عز وجل﴾ (أصبه كأنا لا تلعبوا ولا تلعبوا ولا تصابوا لهم كان الإسباق وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم رشمعون ولاوي وهو الذي في الحرب بدليل قوله لست وشمعون لعبا الله تعالى (يعقوب ولد ليعقوب من سرسين اسم إحداهما راشوعا (وإنا له لحافظون) يعني يحفظ دين ربه تعالى وعادوا آخرهم توفيت ليامر ترج يعقوب أختها راحيل عليه الصلاة والسلام (إني ليحزنني أن يذهب بهم الأسباط وعددهم اثنا عشر سبطا (آيات للسائلين) في الآية لما ظلموا منها أن رسل الله تعالى موسى عن قصة يوسف وعن سبب انفصال يعقوب عن أحدهما أن ذهابهم به مجرد كره يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعرفوا أن ما أخبر به النبي الأمي كان وحيا من الله تعالى على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يأخذ من أحد فدل ذلك على أنما أتى به وحي سماوي علم فيه أو جاء الله به على لسان جبريل عليه السلام (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) أي عبرة للمعتبرين فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر وأنواعا من الحكم ومهما ذكر في التوراة أن يوسف وما حصل له من الجمع بينه وبين أبويه وإخوته وما آل إليه أمرهم من الخير وما صار يوسف على أخوته وأبويه من الإكرام والإعظام وما حصل لإخوته من الذل والمسكنة ومهما اشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على جزعه وما آل إليه أمره من وقوع المراد وعود ذلك من الآيات التي إذا ذكرها الإنسان اعتبر بها (إذ قالوا) يعني إخوة يوسف (ليوسف) اللام في يوسف لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما لأم واحدة (أحب إلى أبينا منا

عصبة) جماعة من الأحد لا واحد لهم من لفظهم كالرهط والنفر (إن أبانا لفي ضلال مبين) خطأ بين في تفضيل الصغيرين علينا مع كثرة عددنا وقوتنا وكفايتنا لمهماته وحفظنا لحرمه وحشمه (اقتلوا يوسف) روي أنهم لما رأوا أن أباهم يحبه ويقربه ويدنيه منه ويؤثره عليهم ويأمرهم بخدمته وهم رجال أقوياء وهو صبي ضعيف وهم عشرة وهو واحد وهم يرونه يخطئ في أمور الدنيا وهم يعلمون أنه مخطئ وأن أباهم يعلم ذلك منه ويتجاوز عنه ويصفح عن ذنوبه ويقبل عذره الثاني دون الأول لأن ذلك كله يعد

(أو اطرحوه أرضا) أي أرضا بعيدة عن العمران (يخل لكم وجه أبيكم) أي يصف لكم حبه وشفقته عليكم (وتكونوا من بعده) من بعد يوسف أو من بعد كونه مطروحا أو من بعد التوبة (قوما صالحين) بالتوبة والاستغفار (قال قائل منهم) هو يهوذا أو روبيل (لا تقتلوا يوسف) لأن القتل عظيم (وألقوه في غيابة الجب) أي في قعر البئر سمي بذلك لأنه يغيب عن العين (يلتقطه بعض السيارة) أي بعض المسافرين (إن كنتم فاعلين) أي إن كنتم عازمين على التفريق بينه وبين أبيه (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) أي لم تخافنا عليه ولا تأمننا عليه (وإنا له لناصحون) أي مشفقون عليه نحفظه ونحوطه (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء (نرتع) نلعب (ونلعب) نتسع في شهواتنا والأصل في الرتع أكل البهائم إذا تعالى حكم بوضع النبوة في سائر أنبيائهم صلى الله عليهم (ولعب) اللعب معروف قال الراغب يوسف هذه هي بحسبها عصر وأحمائها ما يروى أن سئل أويس القرني العلماء كيف قالوا ولعب وهم أنبياء الحسن البصري كان نهيهم عما يلعب به لا لعبهم به لا لعب هما الإقدام على الماء لا لحل انشراح الصدر به إخوته حتى يسعدوه أو لهو ﴿قوله عز وجل﴾ (أصبه كأنا لا تلعبوا ولا تلعبوا ولا تصابوا لهم كان الإسباق وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم رشمعون ولاوي وهو الذي في الحرب بدليل قوله لست وشمعون لعبا الله تعالى (يعقوب ولد ليعقوب من سرسين اسم إحداهما راشوعا (وإنا له لحافظون) يعني يحفظ دين ربه تعالى وعادوا آخرهم توفيت ليامر ترج يعقوب أختها راحيل عليه الصلاة والسلام (إني ليحزنني أن يذهب بهم الأسباط وعددهم اثنا عشر سبطا (آيات للسائلين) في الآية لما ظلموا منها أن رسل الله تعالى موسى عن قصة يوسف وعن سبب انفصال يعقوب عن أحدهما أن ذهابهم به مجرد كره يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعرفوا أن ما أخبر به النبي الأمي كان وحيا من الله تعالى على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يأخذ من أحد فدل ذلك على أنما أتى به وحي سماوي علم فيه أو جاء الله به على لسان جبريل عليه السلام (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) أي عبرة للمعتبرين فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر وأنواعا من الحكم ومهما ذكر في التوراة أن يوسف وما حصل له من الجمع بينه وبين أبويه وإخوته وما آل إليه أمرهم من الخير وما صار يوسف على أخوته وأبويه من الإكرام والإعظام وما حصل لإخوته من الذل والمسكنة ومهما اشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على جزعه وما آل إليه أمره من وقوع المراد وعود ذلك من الآيات التي إذا ذكرها الإنسان اعتبر بها (إذ قالوا) يعني إخوة يوسف (ليوسف) اللام في يوسف لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما لأم واحدة (أحب إلى أبينا منا

عصبة) جماعة من الأحد لا واحد لهم من لفظهم كالرهط والنفر (إن أبانا لفي ضلال مبين) خطأ بين في تفضيل الصغيرين علينا مع كثرة عددنا وقوتنا وكفايتنا لمهماته وحفظنا لحرمه وحشمه (اقتلوا يوسف) روي أنهم لما رأوا أن أباهم يحبه ويقربه ويدنيه منه ويؤثره عليهم ويأمرهم بخدمته وهم رجال أقوياء وهو صبي ضعيف وهم عشرة وهو واحد وهم يرونه يخطئ في أمور الدنيا وهم يعلمون أنه مخطئ وأن أباهم يعلم ذلك منه ويتجاوز عنه ويصفح عن ذنوبه ويقبل عذره الثاني دون الأول لأن ذلك كله يعد

(أو اطرحوه أرضا) أي أرضا بعيدة عن العمران (يخل لكم وجه أبيكم) أي يصف لكم حبه وشفقته عليكم (وتكونوا من بعده) من بعد يوسف أو من بعد كونه مطروحا أو من بعد التوبة (قوما صالحين) بالتوبة والاستغفار (قال قائل منهم) هو يهوذا أو روبيل (لا تقتلوا يوسف) لأن القتل عظيم (وألقوه في غيابة الجب) أي في قعر البئر سمي بذلك لأنه يغيب عن العين (يلتقطه بعض السيارة) أي بعض المسافرين (إن كنتم فاعلين) أي إن كنتم عازمين على التفريق بينه وبين أبيه (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) أي لم تخافنا عليه ولا تأمننا عليه (وإنا له لناصحون) أي مشفقون عليه نحفظه ونحوطه (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء (نرتع) نلعب (ونلعب) نتسع في شهواتنا والأصل في الرتع أكل البهائم إذا تعالى حكم بوضع النبوة في سائر أنبيائهم صلى الله عليهم (ولعب) اللعب معروف قال الراغب يوسف هذه هي بحسبها عصر وأحمائها ما يروى أن سئل أويس القرني العلماء كيف قالوا ولعب وهم أنبياء الحسن البصري كان نهيهم عما يلعب به لا لعبهم به لا لعب هما الإقدام على الماء لا لحل انشراح الصدر به إخوته حتى يسعدوه أو لهو ﴿قوله عز وجل﴾ (أصبه كأنا لا تلعبوا ولا تلعبوا ولا تصابوا لهم كان الإسباق وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم رشمعون ولاوي وهو الذي في الحرب بدليل قوله لست وشمعون لعبا الله تعالى (يعقوب ولد ليعقوب من سرسين اسم إحداهما راشوعا (وإنا له لحافظون) يعني يحفظ دين ربه تعالى وعادوا آخرهم توفيت ليامر ترج يعقوب أختها راحيل عليه الصلاة والسلام (إني ليحزنني أن يذهب بهم الأسباط وعددهم اثنا عشر سبطا (آيات للسائلين) في الآية لما ظلموا منها أن رسل الله تعالى موسى عن قصة يوسف وعن سبب انفصال يعقوب عن أحدهما أن ذهابهم به مجرد كره يوسف مع أخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعرفوا أن ما أخبر به النبي الأمي كان وحيا من الله تعالى على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يأخذ من أحد فدل ذلك على أنما أتى به وحي سماوي علم فيه أو جاء الله به على لسان جبريل عليه السلام (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) أي عبرة للمعتبرين فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر وأنواعا من الحكم ومهما ذكر في التوراة أن يوسف وما حصل له من الجمع بينه وبين أبويه وإخوته وما آل إليه أمرهم من الخير وما صار يوسف على أخوته وأبويه من الإكرام والإعظام وما حصل لإخوته من الذل والمسكنة ومهما اشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على جزعه وما آل إليه أمره من وقوع المراد وعود ذلك من الآيات التي إذا ذكرها الإنسان اعتبر بها (إذ قالوا) يعني إخوة يوسف (ليوسف) اللام في يوسف لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما لأم واحدة (أحب إلى أبينا منا

(ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه بنيامين وأمهما راحيل وكانت أحب نسائه اليه وكن أربعا وكانوا عشرة فقالوا نحن عصبة أي جماعة والعصبة من العشرة الى الاربعين وقيل ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة تعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة الواحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفي ضلال مبين) يعني لفي خطإ بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لانا نحن عصبة نقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر معاشه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال على الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو يحابي في صرف محبته الينا لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغناء بهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا لفضل في الجسد وبحسب القلب أيضا فوسع البشر دعها ويحتمل أن يعقوب إنما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير ولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي دعاهم الى قول هذا الكلام في حق أخيهم يوسف وهو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض [illegible] أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء قلت الجواب عن هذه الاشكالات انما صدرت [illegible] منهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول الوحي اليهم وقبل ذلك لا يكلفون ولا يعاقبون ولم يكونوا [illegible] لا يكلفون عليهم قبل الوحي فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة

(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) [illegible] منهم لاشتداد حسدهم ليوسف عن أنه وذلك لا يحصل الا [illegible] أرض يحصل الناس من اجتماعهم ما يمنعهم [illegible] كروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم [illegible] ذلك وسببا لصفو وجهه عنكم وصرف محبته اليكم [illegible] أو عاد معنى أبيه (وتكونوا من بعده) أي من بعد يوسف أو الى [illegible] أنهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا [illegible] الصالحين في المستقبل وقال معاذ يصلح لكم أمركم فيما [illegible] ان تصدر هذه الافعال منهم رهم أنها قبل الحوادث بعد [illegible] حتى تكون هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء أو عزموا على هذه [illegible] أسار مثل يوسف كان أحسن اسارة وفي ذلك أسار عليهم بمثله (قال [illegible] قائل منهم هو يهوذا وقال قائل من اخوته يوسف وهو شمعون وقال مقاتل هو روبيل وهو اسن [illegible] وكان أبرهم سنا وأحسنهم رأيا ومعناهم من قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أبرهم اليه سنا (والقوه في غيابت الجب) يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته وكل موضع سترك عن العيون والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم تطو أفاد ذكر الله تعالى في هذا الجب أن البئر أسار نظر رحمة في موضع من الجب علم لا يراه أحد واسلكوا في ذلك الجب فعال مقاد هو ثم ذهب المعدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الارض التي ذكرها في سورة براءة من بلاد يعقوب وسماه بيت ايل وذلك الجب للعلة التي ذكرناها في قوله تعالى (يلتقطه بعض السيارة) ردا لان هذا الجب كان معروفا مشهورا عند كثير من المسافرين والا لما خاط أحد الخبر

(فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا (أن يجعلوه في غيابت الجب) وكانوا قد عموا عينيه وضربوه حتى كاد يموت فجعل يستغيث ويقول يا يهوذا ألم تعدني أن لا تخذلني أما رحمت شيبة أبي فلم يرحموه فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها طرحوه عمدا رجاء أن يموت فتستريح منه فنودي (وأوحينا اليه) أي بالهام أو بواسطة جبريل أو بواسطة ملك آخر (لتنبئنهم بأمرهم هذا) أي بما فعلوا بك وقالوا لك (وهم لا يشعرون) أنك يوسف لعظم ما أصابك في الدنيا ولو وصفوه ما أصابك في الدين لكفروا (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) عشاء نصف النهار أو بعد ما مضى صدر من الليل والعصة العشرة فصاعدا (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق في العدو (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا (فأكله الذئب) حكى نحو هذا القول عن ابن عباس وقتادة وقال السدي ادفأوا على ذلك الذئب ثوب يوسف وقيل

الطريق أو من حيث لا تحتسب ومنه التقاط بعض السيارة أحد بعض المسافرين فيذهب به إلى بلاد أخرى فيسترقه (إن كنتم فاعلين) ضمنه معنى الذهاب فعداه بإلى كأنه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وإن عزمتم على هذا الفعل فافعلوا بعد العذر الذي لكم فيه على ذلك قال البعوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء لأن الله تعالى لم يبعث نبيا دون الحلم لدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا أبانا أي يوسف لفي ذهاب عن الصواب والصلاح لأنه قال محمد بن إسحاق استمل فعلهم هذا على حوائج كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالأخ وترك العهد والكذب مع أنهم وعدوا الله على ذلك كله حتى لا يأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عرموا على عمله وعصمهم الله حتى تمموه ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان بعلم الله أنهم لا يفعلون إلا أحسن ما يكون لهم في العاقبة (قالوا) يعني قال إخوة يوسف لأبيهم (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) بدؤا بالإنكار عليه في ترك إرسال يوسف معهم كأنهم قالوا لا عذر لك علينا إذا أرسلته معنا (وإنا له لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وحمل البر والعطف والمعنى وإنا لعاطفون عليه فاسمحوا له بالخروج معنا ونحفظه ونحوطه وقال مجاهد في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإنا له لناصحون فقال يعقوب إني ليحزنني أن تذهبوا به فقالوا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون بما قالوا (أرسله معنا غدا) يعني إلى الصحراء (يرتع) الرتع في اللغة الأكل الكثير يقال رتع فلان في ماله إذا أنفق منه يعني هو يأكل ويلعب والأصل في الرتع أن الماشية في الخصب من الربيع ونحوه تقول للراعي ارتع بها أي دعها تأكل كيف شاءت (ويلعب) اللعب معروف وقال الزجاج اللعب لغة الاستهلاك بأي شيء كان يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد صحيحا وأكثر ما يستعمل فيما لا يعنيه ولا يجدي عليه نفعا وهم إنما قالوا ذلك ليوسف لأنهم لم يكونوا يعلمون أن الله تعالى أراد بيوسف ما أراد من الوحي والنبوة وقيل إنما قالوا ذلك لأنهم رأوا من يعقوب عليه السلام أنه كان لا يصبر عن يوسف ساعة فظنوا أنه إنما يفعل ذلك لأنه لا يثق بهم في حفظه وكان يوسف يعلم أنهم يحسدونه فلذلك كان يخافهم عليه (وإنا له لحافظون) يعني من أن يناله مكروه (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي تحزنني ذهابكم به والملازم لأمر يسمى حزينا له لأن الحزن ألم القلب بما يفوته أو يناله من مكروه (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) أصدر الأمر بما يخافه منهم لأنه كان لا صبر له عنه ساعة واحدة وخاف عليه من عدوان الذئب اغتيالا لأنهم لم يكونوا معه فيدفعوا عنه (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) العصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ما بين الأربعة إلى الأربعين وقيل ما بين الثلاثة إلى السبعة وقيل ما بين الخمسة إلى الثمانية وقيل ما بين الثلاثة إلى الخمسة وقيل ما بين الأربعة إلى الثمانية وقيل ما بين الخمسة إلى العشرة وقيل ما بين الثلاثة إلى الثمانية وقيل ما بين الأربعة إلى العشرة وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ما بين الأربعة إلى الأربعين وقيل ما بين الثلاثة إلى الأربعين وقيل ما بين الخمسة إلى الأربعين وقيل ما بين الثلاثة إلى الخمسة وقيل ما بين الأربعة إلى الخمسة وقيل ما بين الثلاثة إلى الأربعة وقيل ما بين الخمسة إلى الثمانية وقيل ما بين الأربعة إلى الثمانية وقيل ما بين الثلاثة إلى الثمانية وقيل ما بين الخمسة إلى العشرة وقيل ما بين الأربعة إلى العشرة وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ما بين الخمسة إلى الأربعين وقيل ما بين الأربعة إلى الأربعين وقيل ما بين الثلاثة إلى الأربعين

(ذكر خبر يوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب زعم بعض أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما لك شفاق ان تخرج معنا الى مواشينا فتصيد وتشرح قال لي قالوا له أنسأل أباك ان يرسلك معنا قال يوسف فصاروا وسألوا يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ليوسف أتقول يا بني قال نعم يا أبت اني أرى من اخوتي اللين واللطف فأحب ان تأذن لي وكان يعقوب يكرم نفسه ويحب مرضاته فأذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض واظهروا له ما في أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يسبونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما طال عليه ما صنعوا به قام جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي فكلما سد يداه أحد منهم ويئس وحلديه الارض ثم حثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تعجل فعند ذلك قال له ما ويحك يا يهوذا أنت صاحب الاحلام فما لك تحاول من اخوتك ما تحاول وعند ذلك استغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فأدرك يوسف رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا اخوتي ما على هذا عاهدتموني الا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو فقال يلقونه في هذا الجب اما أن يموت أو تلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى البئر فجعلوا يدلونه الى عرض البئر وهي واسعة الاسفل ضيقة الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فعلق بشفير هافنزعوا عنه فقال يا اخوتي لا تعجلوا بقتلي ارحموا شيبة أبي وصغر سني فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم أر شيأ أهول مما أنتم فيه فما الذي يؤنسني ويخلصني فقال يهوذا اخوته ان يوسف رأى رؤيا عظيمة فهو يريد ان يذلكم بها فلما سمع يوسف ذلك منه أراد ان يرجع الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقال لهم ان الله يعلم اني لم أر شيأ مما تقولون ولكني رأيت كأن احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لي فلما سمعوا ذلك منه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما يريد هذا ان يفعل بكم فقال يهوذا اخوته لا تقتلوه ولكن القوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى غيابة الجب وهي بئر عميقة فجعلوا يدلونه في البئر فعلق بشفير هافنزعوا عنه فقال يا اخوتي لا تعجلوا بقتلي ارحموا شيبة أبي وصغر سني فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم أر شيأ مما تقولون ولكني رأيت كأن احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لي فلما سمعوا ذلك منه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما يريد هذا ان يفعل بكم فقال يهوذا اخوته لا تقتلوه ولكن القوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى غيابة الجب وهي بئر عميقة فجعلوا يدلونه في البئر فعلق بشفيرها فنزعوا ثيابه وبرعوا سه فقال يا اخوتي ردوا علي قميصي لاستتر به في الجب

(وهم لا يشعرون) انه يوسف لعلو شأنه وذلك انهم حين ذهبوا به استصغروه وهموا بقتله فلما عجزوا عن ذلك استحقروه وطرحوه على بدعته تعالى فقال انه لصبر في هذا الظلم انه كان لكم أيها من أبيكم يقال له يوسف واسكم ألقيتموه في غيابة الجب وفلتم لا بد أكله الذئب وتعمونه شئ محسن أو يعلق وهم لا يشعرون ما يوحى أي أنسناه بالوحي أو ألهمناه قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك (وجاؤا أباهم عشاء) للاستمار والتحسر على الاعتذار (يبكون) قال ابن الانباري لا تصدق ما كتبه اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا لا قال فما بالكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أي (٩) نتسابق في العدو أو في الرمي والاقتعال

الى النصل واوحينا الى أمر موحى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني يا محمد انك لم تكن حاضرا حين فعلوا ذلك بيوسف ولا قرأت ذلك في كتاب من كتب الاخبار حتى تعلم صحة ما أخبرتك به من ذلك الا بوحي الله اليك وتعريفه اياك ذلك وقوله تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال ابن عباس لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم عند العشاء كاذبين وأروا في الظلمة اجراءهم على الاعتذار بالكذب فلما قاربوا من منزل يعقوب سمعوا بكاءه ونصر خوته فسمع أصواتهم فزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال مالكم يا بني هل أصابكم شئ في غنمكم قالوا لا قال فأين أخوكم أين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعني نتصل وقال الزجاج نسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو الناضل وسمي المراماة بذلك قال تسابقوا واستبقوا اذا عدا بعضهم الى اثر بعض أيهما أسبق وقال السدي يعني نسعى ونعدو والمعنى نسعى على الاقدام ايهم أيرا أسرع عدوا وأخف حركة وقال معاذ نتصيد والمعنى نسعى الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ما نا (فأكله الذئب) هي في حال اسماعه وعلمه (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدقنا لما في قلبك من التهمة لك ليوسف فجعل ذلك منهم اغراء وحملا معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم يظهر منا ما يدل على صدقنا (وجاؤا على قميصه) يعني قميص يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا شاة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا اباهم في القميص ليعلموا انهم قد صدقوا فيما قالوا له ولم يسق يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فلما رأى ذلك علم كذبهم وقال لهم أتوني بقميصه وقالوا هذا أكله الذئب فأتى بقميص وعليه وادي فألطخه الله عز وجل وقال والله ما أكل يوسف لحما ولا أحل لذئب أن يأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت أرضكم فعلمت أصله الرحم وهي ورائه لي فاحتفروني وألقوني البئر فلما علم يعقوب وأيقن أنهم كذبوا ذكر أحزن يوسف هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تحسين الشئ وتزيينه في النفس ومعنى في اللغة الطمع في اعتامه وقال صاحب الكشاف سوّل سهل من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما وكذبتم من يوسف هو موه في أنفسكم وحسنه لكم وقيل هذا كلام يعقوب لما علم أن الذئب كذبه قال ليس الامر كما قلتم بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) أي فشأني صبر جميل وقيل معناه صبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع ولا تسخط من المصاب لا تحدث بمصيبتي ولا تكثر من ذكرها (والله المستعان على ما تصفون) يعني من الكذب وقيل معناه والله المستعان على احتمال ما تصفون (وجاءت سيارة) وهم العرب المارون (فأرسلوا واردهم) يوسف بن يعقوب (فأدلى دلوه) أرسل دلوه في البئر ليستقي الماء (قال يا بشرى هذا غلام) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص يا بشرى بالاضافة وقرأ الباقون بغير اضافة وهما لغتان مثل يا حسرة ويا حسرتا وقيل البشرى اسم لصاحب لهم يبشرهم بالماء وقيل هو اسم للغلام وقيل هو اسم لهم جميعا (وأسروه بضاعة) أي أخفوا أمره من الرفقة وقالوا هذا غلام استبضعناه أهل الماء ليبيعوه لنا بمصر (والله عليم بما يعملون) من هذا الفعل بيوسف والله على الرد

والتفاعل يشترك كالارعاء والمراعي وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لما وسف فكيف وأنت تتهمنا في هذا الخبر وأتى بعشاء وهو ما يؤكل عشاء (وجاؤا على قميصه بدم كذب) أي مكذوب وصف المصدر بما هو من سببه كما يقال لليلة ابن يوم والرجل ابن الكذب وهو كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بعينه روي انهم ذبحوا جديا وأطلخوا القميص بدمه وأرسلوا لعنهم ان عرفوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص يا ذئب وأتاه به على وجهه بكى حتى حصل وسهه بدم القميص وقال والله ما رأيت كالليلة ذئبا أحلم منه هذا كان أبي ولم يمزق عليه قميصا ولو كان في قميص يوسف لمزق أثر أنيابه فكان يوسف لذئب كذبهم بقوله تعالى على لسانه (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أي زينت لكم أنفسكم أمرا عظيما فصبر جميل أي فأمري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى (والله المستعان على ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزية (وجاءت سيارة) رفقة سارت من مدين تريد مصر فلما وردوا قريبا من الجب (فأرسلوا واردهم) الذي يرد الماء للقوم ليستقي لهم (فأدلى دلوه) أرسل دلوه في البئر ليستقي الماء فتعلق يوسف بالدلو فلما رآه الوارد (قال يا بشرى هذا غلام) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص يا بشرى بالاضافة وقرأ الباقون بغير اضافة وهما لغتان مثل يا حسرة ويا حسرتا وقيل البشرى اسم لصاحب لهم يبشرهم بالماء وقيل هو اسم للغلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أبشروا هذا غلام (وأسروه بضاعة) أي أخفوا أمره من الرفقة وقالوا هذا غلام استبضعناه أهل الماء ليبيعوه لنا بمصر (والله عليم بما يعملون) من هذا الفعل بيوسف والله على الرد

(٣ - (خازن)) - (سالم)

حاؤا على قميصه بدم (بال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت لكم أنفسكم (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر مبتدأ محذوف أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وأحسن من غيره أو هو الذي لا شكوى فيه (والله المستعان) أي أستعين (على ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزية (وجاءت سيارة) رفقة سارت من مدين تريد مصر فلما وردوا قريبا من الجب (فأرسلوا واردهم) الذي يرد الماء للقوم ليستقي لهم (فأدلى دلوه) أرسل دلوه في البئر ليستقي الماء فتعلق يوسف بالدلو فلما رآه الوارد (قال يا بشرى هذا غلام) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص يا بشرى بالاضافة وقرأ الباقون بغير اضافة وهما لغتان مثل يا حسرة ويا حسرتا وقيل البشرى اسم لصاحب لهم يبشرهم بالماء وقيل هو اسم للغلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أبشروا هذا غلام (وأسروه بضاعة) أي أخفوا أمره من الرفقة وقالوا هذا غلام استبضعناه أهل الماء ليبيعوه لنا بمصر (والله عليم بما يعملون) من هذا الفعل بيوسف والله على الرد

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد ومات في حياته واشتراه العزيز وراوده فكان هو والي سبع عشرة سنة وأقام في بيته ثلاث عشرة سنة وتوفي الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثمائة سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام

وان علما ان قوله وشروه وكانوا منهم من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيهم من الزاهدين كان في حسن وجهه ما اطمأن له الرغبة فيه لشروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبد وجد أبق أظهر المشتري له الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ان مالك بن دعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وبعثهم اخوته يقولون اسوءوا مثواه لا يأتي منكم قد هنوا به حتى قدموا به مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير فقال ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك مصعب بن الريان بن الوليد بن مروان وكان من العمالق وقيل ان هذا الملك لم يحي آمن بيوسف وما مات حتى دعاه الى دينه وهو الملك الذي قال الله تعالى حكاية عنه (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) وكان فرعون موسى من القبط من ولد لوط بن هاران وقال وهب بن منبه عدد ملك الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة سنة وعاش ثلاثمائة سنة وعشرين سنة وقيل ثلاثمائة سنة وعاش بعد يوسف ثمانين سنة وقال وهب بن منبه عدد ملك الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف مصر وحلوانه السوق ثم رسوبه السبع وما رفع الناس في شبعه حتى بلغ عمره وربه ذهبا وورقه نصف ورقه مسكوكا وحرا وكان وربه أربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فما باعه بطعام هذا العام من ذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل راحيل (أكرمي مثواه) يعني أكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرمي مبيته اطعمي والمأدم (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا بيعه ربحنا فيه أو نكتسب بعض أمورنا ومصالحنا بالاموي ينفع (أو نتخذه ولدا) يعني يبنى له وكان عقيما لا ولد له قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وابنة شعيب حين قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وأبو بكر حين استخلف عمر (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) يعني كما نجيناه من أعدائه من الله في وأخرجناه من الجب كذلك مكنا له في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على رأسها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اي مكناه في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عابر الرؤيا وتعبيرها (والله غالب على أمره) قيل الكناية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لامره ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى بلغ ما بلغه من (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما هو منعم (ولما بلغ اشده) يعني منتهى سنه وقوته وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين وقال الكلبي الاشد ما بين عشرين سنة الى خمس وثلاثين سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك ومقاتل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (آتيناه حكما وعلما) يعني آتينا يوسف بعد الاشد النبوة فهو معنى قول الحسن وقيل حكما يعني أصابة في القول وعلما في الرؤيا وقيل الحكم هو الفهم والعلم الذي يعلم الانسان ما يجهل فيما بينه وبين ربه والحكم هو الذي يحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه من الاحكام وقيل الحكم هو العلم بالتأويل (وكذلك نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني الموحدين وقال الضحاك يعني المتقين وقال الحسن يعني المؤمنين (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) يعني امرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه أي طلبت منه الفعل الذي تريده (وغلقت الابواب) اي أغلقتها (وقالت هيت لك) قرأ ابن كثير وأبو عمرو هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء وكسر الكاف (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذ الله (إنه ربي) يعني زوجها العزيز (أحسن مثواي) أي منزلتي ومقامي عنده (إنه لا يفلح الظالمون) أي الزناة الخائنون (ولقد همت به) أي بمخالطتها (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) اختلفوا في جواب لولا فقال بعضهم تم الكلام عند قوله (وهم بها) ثم ابتدأ فقال (لولا أن رأى برهان ربه) أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال آخرون جواب لولا مضمر وتقديره لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه لم يهم بها وقال آخرون جواب لولا مقدم وتقديره ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه لم يهم بها وقال آخرون هم بها ولكنه لم يهم بها وقال آخرون هم بها ولكنه لم يهم بها وقال آخرون ه

ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه بسيئة واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له عشرا ولمسلم والبخاري نحوه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة فان هو هم بها وعملها كتبها الله له سيئة واحدة واذا روى أو محا فلا ولي له على الله الا هالك قال القاضي عياض في كلمة الشفا على مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم العبد لا تؤاخذ به ولم يسقط كرامة المعصوم فلا معصية في هم يوسف اذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطن عليه النفس كان سيئة وأما مالم يوطن عليه النفس من همومها وخواطرها والمعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا وتكون همته وما أدري ما سبب الآية أي ما أثر من هذا الهم أو تكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بعالي المقام المفتقر لمزيد كمال وترقي مكتسب وفضل أو توهم من أبى عباس أن هم يوسف عليه الصلاة والسلام لهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال في قوله وهم بها أي برؤيتها وعلاوة لهم بها أي همها بها اعتمد هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء على الى يوسف صلى سوء والحاصل بأن الله خالق على كل شيء قال وقد شاع بعضهم طعن رآه عن حسن هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فقد ترى هذا المقام كلاما ما ولا متعلقا بما أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان برئا من العمل الباطل والهم بالفاحشة وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وهو يدل عليه وجوه من الدلائل تدل على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا التفات الى ما نقله بعض المفسرين عن الانبياء المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أرشدوا الى معالجتها وهو اما اظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحدث من ذلك في هذه الواقعة شيء البتة بل لما صدرت منه الزلة أعرض عنها وتركها بالكلية فدل ذلك على أن كل ما ذكره الله تعالى في هذه الواقعة فهو براءة له عن تلك الزلة والدليل على أن الامر كذلك ان الاخبار تدل على ذلك اما الاخبار فقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فالوقف لا بد وأن يكون على قوله لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولم يوجد الا على هذا الوجه والا لصار التقدير ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهو باطل لان جواب لولا لا يتقدم عليها واعلم ان الذين لهم أدنى فطنة لهم الوقف على هذا الوجه ولا يجوز غيره لان البرهان الذي رآه يمتنع أن يكون هو الذي شهد عليه بالبراءة والله تعالى شهد ببراءته بقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فلو كان البرهان الذي رآه هو الذي شهد عليه بالبراءة لكان التقدير كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء لانه هو الذي رآه فلما لم يكن هذا التقدير علمنا أن البرهان الذي رآه هو الذي حصل بعد الهم وهو الذي أوجب الصرف عن الفحشاء فثبت بهذا البرهان الذي ذكرناه ان الهم الذي حصل قبل رؤية البرهان ليس بمعصية ثم قال ان كيد النساء عظيم ثم قال يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك ثم قال بعد ذلك ليسجنن وليكونا من الصاغرين فهذه الآيات كلها تدل على أن الذنب كان من جهة المرأة وأما قوله وشهد شاهد من أهلها الآية فقد تقدم ما فيه من الاشكال وقد ذكرنا ان الاقرب فيه ان يكون المراد من السوء والفحشاء ما يتعلق بالخيانة في حق زوجها وأما قوله ان كيدكن عظيم فهو خطاب للنساء على سبيل العموم وأما قوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فالمراد منه أنها ذكرت له ما يوجب الخوف من الهلاك ان لم يوافقها ولا شك أن ذلك يوجب الخوف الشديد ولا يوجب الذنب ثم قال ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين وهذا أيضا لا يوجب الذنب ثم قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وهذا أيضا لا يدل على الذنب ثم قال فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وهذا يدل على أن الذنب كان منهن ثم قال ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين وهذا يدل على أن الذنب كان منهن ثم قال وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال وما أبرئ نفسي الآية وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ان ربي غفور رحيم وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال واستبقا الباب وقد بينا أن هذا لا يدل على الذنب ثم قال وألفيا سيدها لدى الباب وهذا لا يدل على الذنب ثم قال فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وهذا يدل على أن الذنب كان منهن ثم قال يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال نسوة في المدينة امرأة العزيز ترود فتاها عن نفسه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وهذا لا يدل على الذنب ثم قال ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين وهذا لا يدل على الذنب ثم قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وهذا لا يدل على الذنب ثم قال فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وهذا يدل على أن الذنب كان منهن ثم قال ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين وهذا لا يدل على الذنب ثم قال وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال وما أبرئ نفسي الآية وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ان ربي غفور رحيم وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال واستبقا الباب وقد بينا أن هذا لا يدل على الذنب ثم قال وألفيا سيدها لدى الباب وهذا لا يدل على الذنب ثم قال فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وهذا يدل على أن الذنب كان منهن ثم قال يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك وهذا يدل على أن الذنب كان منها ثم قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تر

(ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم يصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا لأنه قصد بذلك العموم أي كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن هذا أشيع مما صدرت من نحو يوسف ولما عرضه للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي) (١٥) راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وابن أخي زوجها وكان صبيا في المهد وهو من أصح ما قيل في الشاهد وقيل كان رجلا حكيما وقيل كان ابن خال لها وقيل كان من خاصة الملك وكان صاحبا لها فدعوه ليشهد لها فقال إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) فلما رأى قميص يوسف عليه السلام قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم

معنى فلما رأى زوج المرأة يعني العزيز وهو الصحيح لأن الشاهد إنما شهد للزوج لا للأجنبي وقيل هو أجنبي وإنما أضافها إلى زوجها لأنه كان مطاعا فيها (قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) قال الزجاج إنما قال ذلك لأن الكيد من النساء أكثر وأعظم وقيل

الشاهد يقول لامرأة سيلي روجك أن يصنع عسلك ولا يعاقبك بسبب ذلك (انك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين عمن حنث وحلف ورميت يوسف بالتهمة وهو بريء وانما قال من الخاطئين لم يقل من الخاطئات تغليبا لحكم الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين هو كقوله وكانت من العابدين ﴿قوله عز وجل﴾ (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعني وقال جماعة من النساء وكن جماعة قيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف وامرأة صاحب مصر وقيل هي مدينة مصر وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهي امرأة صاحب الباب وامرأة صاحب دوابه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعني لما تراوده فتاها عن نفسه يعني تراوده عبدها الكنعاني عن نفسه لأنها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والعبد الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعني قد علم حبا والشغاف حلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حب يوسف قد وصل الى قلبها وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب قال الكلبي بحبه قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه (انا لنراها في ضلال مبين) يعني في خطإ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت ما لا يحل لها (فلما سمعت بمكرهن) يعني فلما سمعت بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك ورثة يوسف وكان وصفهن بحسنه وجماله ومعنى أن يريبه وصل ان امرأة العزيز أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فذلك مكرا (وأرسلت اليهن) يعني انها لما سمعت بأنهن لمتها على حب يوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعني صنعت لهن ولمن وصفاه ودعت أربعين امرأة من أشراف مصر فيهن هؤلاء اللاتي عيرنها (وأعتدت لهن متكأ) يعني ووصفت لهن بمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعني طعاما وانما سمي الطعام متكأ لان كل من دعوته الى طعام عند فقد أعددت له وسادا ليتكئ عليها فسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقال ابن قتيبة متكأ فعلان أي طعاما يتكأ عليه يقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده والمتكأ الطعام والشراب والحديث وقال الضحاك المتكأ الحشيش بلغة الحبشة وهو قول صلى الله عليه وسلم لا آكل متكأ وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة دعت ألوان الفواكه والاطعمة ووصفت الوانه وجعلت السوء الذي عزمن أجله توسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعني وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن لا يأكلن اللحم الا بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت ليوسف اخرج على النسوة وكان يتحاشى من خروجها عليهن ليوسف كان قد رآه مرة واحدة في مكان آخر (فلما رأينه) يعني الرجال (أكبرنه) يعني أعظمنه وهبنه عند رؤيته وكان يوسف قد أعطي سبع الحسن وقال كعب وقيل كان يرى على الناس في الحبس كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله

حتى وصل الى الفؤاد والشغاف غلاف القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انا لنراها في ضلال مبين) في خطإ بين طريق الصواب (فلما سمعت) راجع الى (عكرهن) ما عابهن وقولهن امرأة العزيز تعشق عبدها الكنعاني وقيل هي الاعياب مكر الابه وقيل حاله وحال حبه كما يحكى المكر مكره وقيل كانت امرأة كبيرة منهن سرها فافشته عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت) وهيأت لهن (لهن متكأ) ما يتكئن عليه من وسائد ونمارق وقيل هو الطعام وهي لغة حمير يقولون للطعام متكأ والمتكأ الاترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة دعت ألوان الفواكه والاطعمة ووصفت الوانه وجعلت السوء الذي عزمن أجله توسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعني وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن لا يأكلن اللحم الا بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت ليوسف اخرج على النسوة وكان يتحاشى من خروجها عليهن ليوسف كان قد رآه مرة واحدة في مكان آخر (فلما رأينه) يعني الرجال (أكبرنه) يعني أعظمنه وهبنه عند رؤيته وكان يوسف قد أعطي سبع الحسن وقال كعب وقيل كان يرى على الناس في الحبس كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله

(وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم وقطعت يدي تريد تجريحها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهش لما رأينه فجعلن يقطعن أيديهن (وقلن حاش لله) ماشاء كلة تستعمل معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء التركيب ساءني وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة يعني ساء الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبي عمرو حاشا لله عبرة لك سبحان الله قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ ويعبره وعبره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز (٤٧) والبخس من عذريه على حلي جعل منه (ما

صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر وإذا هو كأخي العزيز بسير سديد قال إسحق بن أبي مروة كان يوسف إذا سار في أرض تنفسر تلألأ وجهه على الجدران ويقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن تخرج من أمه وقال أبو العالية ما لهن أمرهن إليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال الحسن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة استعمرونا وهي اللغة العالية أكبرنه مع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى إلى مفعول قال الأزهري إن صح هذه اللغة فإنها تخرج وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض خرجت من حد الصغار إلى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وحط الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لهاء الكناية ويقال إن المرأة إذا حاضت أو عركت قد أعظمت وأعظمن كان ثم حيض وعرك كان من فرعون وما لهن من أمر يوسف حين رأينه قال الإمام فخر الدين الرازي وعندي أنه يحتمل وجها آخر وهو أنهن إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور الله ووسمه بالرسالة وآثار المخلوق والاحسان وشاهدن وجهه مملكة وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الالتفات منهن وكان ذلك الجمال العظيم معروناً بالهيبة والهيئة فحين رأين ذلك الحال ملأهن أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب الهائل في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعني وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ولم يحدث الألم لدهشهن (وقلن حاش لله) قال مجاهد ما أحسن هذا الآدمي وقال قد أبان لهن حتى ألجأهن إلى ما كان (ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا (إن هذا إلا ملك كريم) يعني على الله والمعبود من هذا بهاء الحسن العظيم المصور وسمعن لانه ذكر في القرآن أي لا يحسن من الملك فقد للوصف بكونه ملكا وإنما كان الملك مظهراً من نواعت الشهوة وجميع الآفات والخوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك بقولهن تعالى (قال فذلكن الذي لمتنني فيه) يعني قال الملك امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف دهشن عند رؤيته وقطعن أيديهن في حبه وإنما قال ذلك لأنه علم عذرها لما دهشن حين رأين ما رأين من الجمال وذهبن بالملام عن صاحبتهن الكشف قال ابن عباس رضي الله عنهما لما رأين يوسف دهشن عند رؤيته وعلمن أن هذا هو الذي لمتنني فيه وأخبرتهن بما أخبرتهن به من حبه وراودته عن نفسه فاستعصم (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعني فامتنع من الفعل الذي طلبته منه وأبى ذلك عليها (ولئن لم يفعل ما آمره) يعني وإن لم يطاوعني فيما دعوته إليه (ليسجنن) يعني ليحبسن (وليكونا من الصاغرين) يعني من الأذلاء الهائنين قال السدي ولئن لم يطع ولا ليكونن أهون عليه من الصاغرين فلما سمع يوسف التهديد بالحبس توعده المرأة ذلك (قال رب) أي يارب (السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) معناه إن الدعاء كان منها ومنهن ولكنها أضافته إليهن حين أظهرن الموافقة لها في المعنى الذي

هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) معناه ما هذا آدمي لحسنه وإنما هو ملك من الملائكة (قال فذلكن الذي لمتنني فيه) تحول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم إني دعوته أن يفعل ما آمره به فأبى أن يفعل ولئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع عليها بالعصمة التي أعطاه الله عز وجل (ولئن لم يفعل ما آمره) يعني ما أمرته به من الفجور (ليسجنن) بالنون الخفيفة في الوقف وبالثقيلة في الوصل (وليكونا من الصاغرين) يعني من الأذلاء الهائنين قال السدي ولئن لم يطع ولا ليكونن أهون عليه من الصاغرين فلما سمع يوسف التهديد بالحبس توعده المرأة ذلك (قال رب) أي يارب (السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) معناه إن الدعاء كان منها ومنهن ولكنها أضافته إليهن حين أظهرن الموافقة لها في المعنى الذي

(٣ - (خازن)) (قال) أي يوسف حين رأى ما حل بالنسوة من قطع الأيدي (رب السجن) أي الحبس (أحب إلي) أي أسهل علي (مما يدعونني إليه) من الفاحشة (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أي أمل إليهن بطبعي (وأكن من الجاهلين) أي من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه من الفاحشة (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن) أي حفظه من كيدهن بالعصمة (إنه هو السميع) لدعاء أنبيائه (العليم) بما يصلحهم (ثم بدا لهم) أي ظهر للعزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف (ليسجننه حتى حين) أي إلى مدة يرون أنه يزول عنه ما نسب إليه من الفاحشة (ودخل معه السجن فتيان) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما غلاما الريان بن الوليد الذي كان فرعون الذي آمن بموسى عليه السلام وكان أحدهما ساقيه والآخر خبازه وإنما سجنهما لأنهما أرادا سم الملك فأطلعه يوسف عليه السلام على ذلك وقال ابن إسحاق كان الملك قد غضب على فرعون وعلى خبازه فسجنهما فمكثا في السجن سنة فرأى كل واحد منهما رؤيا في ليلة واحدة فلما أصبحا دخلا على يوسف فرأى ما بهما من الحزن فسألهما عن ذلك فأخبراه بالرؤيا فقالا ما رأينا شيئا وإنما كنا نتحدث فقال يوسف قد وقع ما رأيتما فقضى الأمر الذي فيه تستفتيان فلما سمعا ذلك قالا ما رأينا شيئا وإنما كنا نلعب

قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن) أى صرف عنه كيد النسوة (انه هو السميع) لدعوات المتضرعين (العليم) بحاله وحال من يحاول (ثم بدا لهم) فاعل بدا مضمر دلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والذى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الايدى وشهادة الصبى وعدد ذلك (ليسجننه) لان اعتبار الحال وارخاء الستر على الفعل والعمل وما كان ذلك الا باسترال المرأة لوجهها وكان معتادا لها وجه لا ذلولا رمامه فى يدها وقد طمعت أن بذلك السجن وتحسره لها أو حاف على العروس وطء الطوى فالخاها الحمل من الناس والوحل من الناس الى أن رضيت بالحساب فكان حوف الدهاس لسى تحسره ا معصمين نظر (سجن حين) الى زمان كانهم رأوا مرجحا أن يسجن زمانا حتى عبر بالكون عنه (دخل معه السجن فتيان) غلامان لملك مصر اسم احدهما بنو والآخر مرهم وكان الملك قد غضب عليهما فحبسهما فى السجن فدخلا مع يوسف (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) يعنى عنبا فى المنام سماه باسم ما يؤول اليه يقال للذى يعصر الخمر أى يتخذها (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) ودلالته قال ابن عباس فى المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز فكانت الطير تأكل منها (نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بما رأيناه وما يؤول اليه أمرهما هل الرؤيا (انا نراك من المحسنين)

يقبل أن يجيبه دعوة الى نفسه وقيل ابن لهما فان أطع مولاك عجلت اجابة دعائك وان عصيته أولاك كان مستجاب الدعوة فقال بعضهم لم يقل السجن أحب الى لم يقل بل السجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية (والا تصرف عنى كيدهن) يعنى ما أوردتنى (أصب اليهن) أى أمل اليهن يقال صبا يصبو اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعنى من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق سمة الجهل وفيه دليل على أن من ترك شيأ اعتذر عنه بعذر (فاستجاب له ربه) يعنى فأجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعنى لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعنى بحاله وفى الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أطلعه الله تعالى على غيب النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله ورفع الى الدعاء رغبة الى الله تعالى فى أن يكفيه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله وتوفيقه ثم قوله عز وجل (ثم بدا لهم) يعنى للعزيز وأصحابه فى الرأى ودلك انهم أرادوا أن يقصروا أمر يوسف على الاعراض وكتم الحال ودلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس بخبرهم بانى راودته عن نفسه فاما ان يأذن لى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الآيات) يعنى الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن ودهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) أى ليحبسن يوسف فى السجن (حتى حين) يعنى الى مدة وتدبر أمرهم فيها وقال عطاء الى أن ينقطع مقاله الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى حتى سمن بقرة قال السدى حتى قال الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف مما قذفته به المرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن دوان العمالقى ملك مصر الاكبر أحدهما ساقيه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب فى ذلك ان جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك الريان فقتله والهدى العلامة على ان يسم الملك فى طعامه وشرابه فاما الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وعمل الخمار الرسوم وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فانى قد طعمت من ذلك الطعام فلم يضره فهلك فامر الملك بحبسهما فسمع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل يسر علمه ويحول الى اعبر الاحلام فقال احدهما لصاحبه هلم فلنجرب هذا العلام العبرانى فيراءنا فيما رأينا فقالا له ما قالا من غير ان يكونا رأيا شيأ قال ان مسعودا رأيتما أم لا فانا العالم بما يوسف وقال دوم بل كنا قد رأينا ورأيتما فقد رأى كل واحد منهما وهما مهمومان فاخبرهما بما رأيا وبما هما فيه من الهم فذلك قوله تعالى (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) يعنى عنبا فى المنام سماه باسم ما يؤول اليه يقال للذى يعصر الخمر أى يتخذها (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) ودلالته قال ابن عباس فى المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز فكانت الطير تأكل منها (نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بما رأيناه وما يؤول اليه أمرهما هل الرؤيا (انا نراك من المحسنين)

قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات المتضرعين (العليم) بحاله وحال من يحاول (ثم بدا لهم) فاعل بدا مضمر دلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والذى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الايدى وشهادة الصبى وعدد ذلك (ليسجننه) لان اعتبار الحال وارخاء الستر على الفعل والعمل وما كان ذلك الا باسترال المرأة لوجهها وكان معتادا لها وجه لا ذلولا رمامه فى يدها وقد طمعت أن بذلك السجن وتحسره لها أو حاف على العروس وطء الطوى فالخاها الحمل من الناس والوحل من الناس الى أن رضيت بالحساب فكان حوف الدهاس لسى تحسره ا معصمين نظر (سجن حين) الى زمان كانهم رأوا مرجحا أن يسجن زمانا حتى عبر بالكون عنه (دخل معه السجن فتيان) غلامان لملك مصر اسم احدهما بنو والآخر مرهم وكان الملك قد غضب عليهما فحبسهما فى السجن فدخلا مع يوسف (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) يعنى عنبا فى المنام سماه باسم ما يؤول اليه يقال للذى يعصر الخمر أى يتخذها (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) ودلالته قال ابن عباس فى المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز فكانت الطير تأكل منها (نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بما رأيناه وما يؤول اليه أمرهما هل الرؤيا (انا نراك من المحسنين)

يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هو علم العلم وسئل الصحابة بما كانوا يحسنونه فقال كان اذا مرض أحدهم قال ما يحسن عليه وقام عليه واذا احتاج أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيأ وكان مع هذا مجتهدا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله الصلاة وقيل انه كان يصل السحر برحمة وقد اشتد الجوع والقطع وساقوه وهذا الحزن جميعه بسبب ما فعلوا به ثم انهم جعلوا يسألونه الطعام فلما رأوا انه قد مات ما أحسن وجهك وشمائلك وجميع شأنك لقد ورثك أبوك من أبيك حواءك قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فعالجه صاحب السجن بالماء والله لو استطعت ظلمت سبيلا ولكن سأوفق لك أحسن حواءك واخبرك بموت السجن ثلثة وقيل ان الله بين لهما أنا يوسف فلا أعلم أحدا بالله أحد رأيا لك معه مثل لهما يوسف أنشدكما الله أن لا تخبراني والله ما أحد منا أحدا الا دخل على من حسنة ولا أحصى علي قد دخل علي من ذلك ما لا أحصي أني ألقيت في الجب وأتى بي امرأة العزيز فحبسني فلما علموا ذلك منه رأوا أن معرفتهما حتى سألاه علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في تعريفهما اظهار المعجزة والدعوة الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقداه وذلك انهما طلبا منه علم الاعبار وقالا له أنا نراك تحسن هذا العلم فبنى العلم على الظن والحدس فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يتعذر الحقيق عنه وانما قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم أن أحدهما سيصلب فاراد أن يدعوه الى الاسلام ويخلصه من الكفر ويحول الامر فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قبل أراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين فبدأ بما يتعذر الحقيق عنه وانما قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم أن أحدهما سيصلب فاراد أن يدعوه الى الاسلام ويخلصه من الكفر ويحول الامر فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) معنى قال

أمره هم الذي دعوهم إليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه أن الله سبحانه وتعالى قد اختارنا للنبوة وأعطانا الرسالة وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظه من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا ولم يستقم الاشراك بالله أي شيء كان من ملك أو نبي أو غيرهما فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الإشراك والعلم الذي رزقناه من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني على أنفسنا وعليهم من الأدلة الدالة على وحدانيته ولهم طريق الهداية إليه وكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لا بهم يكرهون ما دعوه إليه ويأبونه (يا صاحبي السجن) يريد يا ساكني السجن كقولك أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجر يعبدونها (خير أم الله الواحد القهار) يعني أن الإله الذي لا يضر ولا ينفع إذا دعي مع الله لا يضر ولا ينفع (سمأم الله الواحد القهار) يعني أن هذه الأصنام أعظم صنعا في المدح وأصح منا بالإلهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنعوت بالتفرد والانفراد بالربوبية والقهار الذي قهر الخلق بالموت وقال صاحب الكشاف القهار هو الذي قهر كل شيء فدانت له الأشياء وذلت له المعبودات كلها وهذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله لا تضر ولا تنفع فكيف تعبدونها وتتركون عبادة الله الواحد القهار الذي بيده الضر والنفع والخير والشر (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله (إلا أسماء سميتموها) يعني أنكم (أنتم وآباؤكم) يعني أنتم وآباؤكم (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ما أنزل الله لكم بعبادتها حجة ولا برهانا (إن الحكم إلا لله) يعني ما الأمر والقضاء في الدنيا والآخرة إلا لله (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) أي وحده لا شريك له (ذلك الدين القيم) يعني التوحيد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني أن أكثرهم لا يعلمون أن الدين القيم هو التوحيد (يا صاحبي السجن) يعني يا ساكني السجن (أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) يعني أما الذي رأى أنه يعصر خمرا فإنه يخرج من السجن ويعود إلى ما كان عليه من سقي الملك خمره (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) يعني أن الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبز الملك فإنه يخرج من السجن ويصلبه الملك فتأكل الطير من رأسه (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) يعني أن ما أخبرتكما به من أمر عبارة الرؤيا قد وجب وحكم به لا محالة (وقال للذي ظن أنه ناج منهما) يعني يوسف عليه السلام قال للذي ظن أنه يخرج من السجن ويسلم من القتل (اذكرني عند ربك) يعني اذكر أمري عند الملك وقل له إن في السجن غلاما محبوسا ظلما (فأنساه الشيطان ذكر ربه) يعني أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف للملك (فلبث في السجن بضع سنين) يعني سبع سنين وقيل خمس سنين وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) يعني رأى في منامه سبع بقرات سمان (يأكلهن سبع عجاف) يعني مهازيل (وسبع سنبلات خضر) يعني في منامه رأى سبع سنبلات خضر (وأخر يابسات) يعني وسبع سنبلات أخر يابسات (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي) يعني أخبروني بتأويل رؤياي (إن كنتم للرؤيا تعبرون) يعني إن كنتم تعلمون عبارة الرؤيا (قالوا أضغاث أحلام) يعني قال الملأ للملك هذه رؤيا أخلاط لا تأويل لها (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) يعني بعلم تأويل الرؤيا (وقال الذي نجا منهما) يعني الساقي (وادكر بعد أمة) يعني وتذكر بعد حين (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) يعني أنا أخبركم بتأويل رؤيا الملك فأرسلوني إلى يوسف (يوسف أيها الصديق) يعني يا كثير الصدق (أفتنا في سبع بقرات سمان) يعني أخبرنا في رؤيا سبع بقرات سمان (يأكلهن سبع عجاف) يعني مهازيل (وسبع سنبلات خضر) يعني في رؤيا سبع سنبلات خضر (وأخر يابسات) يعني وسبع سنبلات أخر يابسات (لعلي أرجع إلى الناس) يعني إلى الملك ومن عنده (لعلهم يعلمون) يعني لعلهم يعلمون تأويل رؤياك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) يعني قال يوسف تزرعون سبع سنين متتابعة على عادتكم (فما حصدتم فذروه في سنبله) يعني فما حصدتم من الزرع فاتركوه في سنبله لئلا يأكله السوس (إلا قليلا مما تأكلون) يعني إلا شيئا قليلا تأكلونه (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة (يأكلن ما قدمتم لهن) يعني يأكلن ما ادخرتم لهن (إلا قليلا مما تحصنون) يعني إلا شيئا قليلا تحرزونه (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يعني يأتي من بعد السبع الشداد عام فيه يغاث الناس (وفيه يعصرون) يعني وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم لكثرة الخير (وقال الملك ائتوني به) يعني لما عبر يوسف رؤيا الملك قال الملك ائتوني به (فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك) يعني لما جاء الرسول يوسف ليخرج من السجن قال ارجع إلى الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) يعني فاسأله ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن (إن ربي بكيدهن عليم) يعني أن ربي بمكرهن عليم (قال ما خطبكن) يعني قال الملك للنسوة ما شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) يعني هل كان منكن مراودة ليوسف عن نفسه (قلن حاش لله) يعني قلن معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني ما علمنا عليه من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) يعني قالت امرأة العزيز الآن ظهر الحق (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) يعني أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) يعني ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني أن الله لا يهدي كيد الخائنين (وما أبرئ نفسي) يعني وما أبرئ نفسي من الذنب (إن النفس لأمارة بالسوء) يعني أن النفس لكثيرة الأمر بالسوء (إلا ما رحم ربي) يعني إلا ما عصم ربي (إن ربي غفور رحيم) يعني أن ربي غفور لذنوب عباده رحيم بهم (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) يعني قال الملك ائتوني به أجعله خاصا لنفسي (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) يعني فلما كلم الملك يوسف قال له إنك اليوم عندنا ذو مكانة ومنزلة أمين على ما تقول (قال اجعلني على خزائن الأرض) يعني قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الأرض (إني حفيظ عليم) يعني إني حفيظ لما تستودعني عليم بوجوه التصرف فيه (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) يعني وكما أنجينا يوسف من السجن وأعززناه بعد الذل مكنا له في الأرض (يتبوأ منها حيث يشاء) يعني يتخذ منها منزلا حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) يعني نعطي الخير من نشاء (ولا نضيع أجر المحسنين) يعني لا نضيع ثواب المحسنين (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعني ثواب الآخرة خير للذين آمنوا بالله وكانوا يتقون الشرك والمعاصي (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) يعني لما جاء إخوة يوسف إلى مصر ودخلوا عليه عرفهم يوسف وهم له منكرون لطول العهد وتغير الحال (ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني لما جهز يوسف إخوته بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم (ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) يعني ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) يعني فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بلادي (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) يعني قالوا سنطلب من أبيه أن يرسله معنا وإنا لفاعلون ما أمرتنا به (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) يعني قال يوسف لغلمانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون) يعني لعلهم يعرفون بضاعتهم إذا رجعوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلينا (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) يعني فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) يعني فأرسل معنا أخانا نكتل الطعام (وإنا له لحافظون) يعني وإنا له لحافظون (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعني قال يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على يوسف من قبل (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) يعني فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) يعني ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم (قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا) يعني قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا (ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير) يعني ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) يعني قال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم (فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) يعني فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) يعني قال يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة (وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله) يعني وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يعني عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) يعني ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها (وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) يعني ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون

(وقال الذي ظن أنه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله عن شرعي الاجتهاد وان كان عن طريق الوحي فالظان هو الله أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) يعني عند الملك نصحني ونصح عليه يسجن له ويخلصني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فانسى السراة (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسي يوسف ذكر الله تعالى (٤١) وكل أمر مالي غير وفي الحديث

الله عليكما الذي أحسن كلامه رأيتما شيئا أم لم ترا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعني ساقي الملك (اذكرني عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الاكبر يعني له اني في السجن على ما تعلمون ما أعطاني حسبه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) في هاء الكناية في فأنساه الى من يعود ولان أحدهما ايها يرجع الى الساقي وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك فالوالان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي يعني أنساه ذكر يوسف أولى من صرفه الى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان مخلوقا به في دفع الضرر وذلك عمل غير صالح ويوسف عليه السلام وان لامه عامة المحاولون في دفع الضرر غير انه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب ويعتبر حسنات الابرار سيئات المقربين فعوقب كما يعاقب الملوك بعض أصفيائهم على ترك الأولى والأدب ويقال حسنات الابرار سيئات المقربين (فلبث في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال بعضهم هو ما بين الثلاث الى السبع وقال أكثر المفسرين هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشر وقال بعضهم هو ما بين الواحد الى الخمس وكان يوسف حين دخل السجن ابن ثلاثين سنة وخرج وهو ابن أربعين سنة وقال الحسن لبث في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار سمعت أن يوسف لبث في السجن خمس سنين وكان يوسف حين دخل السجن حزين القلب لما ناله من الغم فلما قال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك قال يا رب أنسيت عبدك البلوى فطال حزنه فلما أراد الله تعالى كشف كربته وفرج همه وغمه وحان وقت خلاصه من السجن قال الملك للذي نجا منهما وهو الساقي وكان قد رأى رؤيا فقص عليه فعبرها له فقال اذكرني عند ربك يعني سيدك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما فانسي الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلما خرج الساقي من السجن وعبرت رؤياه وصار ساقي الملك ولم ير يوسف شيئا مما وعده الساقي من الخير نسي ما قال له يوسف وما وعده به من ذكره عند الملك فلبث يوسف في السجن بضع سنين أي سبعا عند الجمهور والصحيح ما ذهب اليه السلف الى التسع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما فسر الله تعالى رؤيا يوسف رأى الملك مثل ما رأى يوسف مرتين الواحدة ما ذكر الله تعالى والثانية ما ذكر في قوله تعالى وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم ينقلبون الى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(فلبث في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال بعضهم هو ما بين الثلاث الى السبع وقال أكثر المفسرين هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشر وقال بعضهم هو ما بين الواحد الى الخمس وكان يوسف حين دخل السجن ابن ثلاثين سنة وخرج وهو ابن أربعين سنة وقال الحسن لبث في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار سمعت أن يوسف لبث في السجن خمس سنين وكان يوسف حين دخل السجن حزين القلب لما ناله من الغم فلما قال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك قال يا رب أنسيت عبدك البلوى فطال حزنه فلما أراد الله تعالى كشف كربته وفرج همه وغمه وحان وقت خلاصه من السجن قال الملك للذي نجا منهما وهو الساقي وكان قد رأى رؤيا فقص عليه فعبرها له فقال اذكرني عند ربك يعني سيدك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما فانسي الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلما خرج الساقي من السجن وعبرت رؤياه وصار ساقي الملك ولم ير يوسف شيئا مما وعده الساقي من الخير نسي ما قال له يوسف وما وعده به من ذكره عند الملك فلبث يوسف في السجن بضع سنين أي سبعا عند الجمهور والصحيح ما ذهب اليه السلف الى التسع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما فسر الله تعالى رؤيا يوسف رأى الملك مثل ما رأى يوسف مرتين الواحدة ما ذكر الله تعالى والثانية ما ذكر في قوله تعالى وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم ينقلبون الى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

تحسنون علم العبارة وتفسرها وعلم التعبير مختص بتعبير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان التعبير الرؤيا عبارة عن ظاهرها الى باطنها المستفرح معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون من حاشية الملك (أضغاث أحلام) يعني أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في نومه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها فلما واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى قهره وعلمه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في نومه وسألهم عن تأويلها فاخبر الله تعالى يوسف عليه السلام بتأويل هذه الرؤيا وعلمهم عن الجواب لكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما) يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن بعد هلاك صاحبه الخباز (وادكر بعد أمة) يعني انه تذكر ليوسف ذكرى بعد نسيان بعد سنين وهو جمع سنة وسمي السنين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (انا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله انا أنبئكم لفظ الجمع انما أراد به الملك مع جماعة السحرة الكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ودلت الآية على ان الذي نجا من صاحبي الملك وقال انا في السجن وحملا عالما بتعبير الرؤيا (أرسلون) يعني احبسوا بعد رؤيا فارسلني أيها الملك فارسله فأتى السجن فقال ايها الصديق (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) انما وصفه بهذا لانه لم يجربه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل انما وصفه بهذا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) قال الملك رأيت في هذه الرؤيا (لعلي أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني تأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين جدبة بدليل قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا واجتهدوا (فما حصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لانه لا يفسد ويبقى السوس ودلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعني ادخروا ما لا بد منه للاكل بعد الجاعة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة فصار هو وقاية من

أسلم (وقال الذي نجا منهما) أي من صاحبي السجن (وادكر) بالدال هو الأصح وأصله ادتكر وأصل الدال والذال والتاء دالا وأدغم الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وهي الحس وادكر ووجهه أنه لما أنساه الشيطان ذكر يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) يعني بعد مدة طويلة وذلك ان يوسف استبقى الملك في رؤياه رأفة على الملك ما دام حيا وقيل ان الملك رأى في رؤياه ما رأى وقص على الملك ما رأى فقال الملك ما أعلم رؤياك الا صحيحة وما سمعت برؤيا مثلها وما أعلم أحدا يعبرها الا الكهنة والسحرة فما عندك فيها فقال الساقي ان عندي رجلا عالما بتعبير الرؤيا فارسلوني اليه فجئت أخبرك بتأويلها (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله انا أنبئكم لفظ الجمع انما أراد به الملك مع جماعة السحرة الكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ودلت الآية على ان الذي نجا من صاحبي السجن وقال انا في السجن وحملا عالما بتعبير الرؤيا (أرسلون) يعني احبسوا بعد رؤيا فارسلني أيها الملك فارسله فأتى السجن فقال ايها الصديق (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) انما وصفه بهذا لانه لم يجربه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل انما وصفه بهذا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) قال الملك رأيت في هذه الرؤيا (لعلي أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني تأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين جدبة بدليل قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا واجتهدوا (فما حصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لانه لا يفسد ويبقى السوس ودلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعني ادخروا ما لا بد منه للاكل بعد الجاعة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة فصار هو وقاية من

الحديبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السبع المجدبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة سميت بذلك تشديدا على الناس (يأكلن) يعني تؤكل فيهن (ما قدمتم لهن) يعني تؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وإنما أضاف الأكل إلى السبع على طريق التوسع في الكلام (إلا قليلا مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو إلقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السبع المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من الغوث وهو الاستغاثة سألوا أن يغاثوا من الجوع (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون من العصر بمعنى النجاة من الكرب والشدة والجدب ﴿ قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) ودلك أن الساقي لما رجع إلى الملك وأخبره بتعبير يوسف وما عبر به رؤياه استحسن الملك ذلك وعرف أن الذي قاله كان لائحا له فقال ائتوني به حتى أنصره الرجل الذي قد عبر رؤياي فهذه العبارة ترجع الساقي إلى يوسف وقال له أحب الملك وذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) وأبى أن يخرج معه حتى يظهر براءته عند الملك ولما رآه رسول الملك (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع إلى ربك) يعني إلى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ن) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث يدل على فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وزيادة صبره وإنما أراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عند الملك ليخرج معه أراد إلى الراحة وهو ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فأبى في السجن ورأى الملك في كشف أمره الذي حبس بسببه ليظهر براءته عند الملك وعذره فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام ورثى له وحبس صبره على البلوى الا ﴿ قوله (إن ربي بكيدهن عليم) يعني أن الله تعالى عالم بصنعهن وما كان في هذه الوقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف إلى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وأحضر امرأة العزيز معهن (قال) لهن (ما خطبكن) أي ما شأنكن وأمركن (إذ راودن يوسف عن نفسه) إنما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب وإن كان المراود امرأة العزيز وحدها لكون أمرها وإن امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها فإن النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جاحشات الملك (حاش لله) يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني ما رأينا منه شيئا من الإساءة (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) يعني ظهر وتبين (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) إلى قوله لهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واتضح (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) قوله

الحديبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السبع المجدبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة سميت بذلك تشديدا على الناس (يأكلن) يعني تؤكل فيهن (ما قدمتم لهن) يعني تؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وإنما أضاف الأكل إلى السبع على طريق التوسع في الكلام (إلا قليلا مما تحصنون) يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو إلقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السبع المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من الغوث وهو الاستغاثة سألوا أن يغاثوا من الجوع (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون من العصر بمعنى النجاة من الكرب والشدة والجدب ﴿ قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) ودلك أن الساقي لما رجع إلى الملك وأخبره بتعبير يوسف وما عبر به رؤياه استحسن الملك ذلك وعرف أن الذي قاله كان لائحا له فقال ائتوني به حتى أنصره الرجل الذي قد عبر رؤياي فهذه العبارة ترجع الساقي إلى يوسف وقال له أحب الملك وذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) وأبى أن يخرج معه حتى يظهر براءته عند الملك ولما رآه رسول الملك (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع إلى ربك) يعني إلى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ن) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث يدل على فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وزيادة صبره وإنما أراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عند الملك ليخرج معه أراد إلى الراحة وهو ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فأبى في السجن ورأى الملك في كشف أمره الذي حبس بسببه ليظهر براءته عند الملك وعذره فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام ورثى له وحبس صبره على البلوى الا ﴿ قوله (إن ربي بكيدهن عليم) يعني أن الله تعالى عالم بصنعهن وما كان في هذه الوقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف إلى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وأحضر امرأة العزيز معهن (قال) لهن (ما خطبكن) أي ما شأنكن وأمركن (إذ راودن يوسف عن نفسه) إنما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب وإن كان المراود امرأة العزيز وحدها لكون أمرها وإن امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها فإن النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (ن) يعني النسوة جاحشات الملك (حاش لله) يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني ما رأينا منه شيئا من الإساءة (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) يعني ظهر وتبين (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) إلى قوله لهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واتضح (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) قوله

وتأتي في أحاديث الملك وتقدم سؤال النسوة ظهر براءته ساحته عما رمي به وسجن ولئلا يستشفي به الحاسدون إلى تتبع أمر عيبه ويسعوا إليه ولئلا يقولوا ما حلدي السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على أن الاجتهاد في المهم واجب وسؤال النساء الوقوف في مواطن التهم وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وصبره والله يرحمه ويغفر له حين سئل عن الأمر أن الجواد والكريم كان يأمر بالعفو عن المسيء ولو كنت مكانه لأخرجتهم حين أمرت أن يخرجوني ولعفوت عنهم حين أباح لي العفو ولو كنت مكانه لرأيت في الأمر ما لم يرى ولبادرت الباب ولما راودته امرأة العزيز كان الحلم أداه إلى أن ذكرت ما ذكرت ولو لم تذكر ما ذكرت لأمرها بالخروج

(ذلك) أى استبقائى من الخروج
من السجن أو من الفاعل
أو المفعول على معنى وأنا
غائب عنه أو وهو غائب عنى
أو ليعلم الملك أنى لم أخن
العزيز (وأن الله) أى
واعلم أن الله (لا يهدى
كيد الخائنين) لا يسدده
وكأنه تعريض بامرأته
فى خيانتها أمانته وجهالتها
أراد أن يواضع لله ويسلم
نفسه لعله يكون لها من كيدها
وما يتسامح من الامانة
ويوفق الله وعصمه (وما
أبرئ نفسى) من
الزلل وما أشهد لها براءة
الكاملة أو كيف
الاحوال أرى هذه الخلة
المذكورة من الهم الذى
هو الحامل للنفس على
طرق المعصية والعزم (ان
النفس لامارة بالسوء)
أراد الجنس أى ان هذا
الجنس مائل بالسوء
ومحمل على ما يشتهيه من
الشهوات (الا ما رحم ربى)
الا البعض الذى يعصمه ربى
بالعصمة وحرى أن تكون
ما رحم فى معنى الا وان أى
الا وقت رحمة ربى أو ما
أمارة بالسوء فى كل وقت
الا وقت العصمة او هو
استثناء منقطع أى ولكن
رحمة ربى هى التى تصرفها
عن السوء وفى هذا كلام
امرأة العزيز أن ذلك
الذى لم يوسف أنى
لم أخنه وما أكذب نفسى
على ربه

فى قوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما انه من قول امرأة العزيز وهو هذا القول الذى هذا كلام متصل بما قبله وهو قول امرأة العزيز حين اعترفت بالحق وأقرت به من تبرئة يوسف لنفسه من الخيانة فى الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه بل قلت أمر أراوده عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم اعترفت فى تأكيد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى اضمحللت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء وهو هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دل الكلام السابق عليه على هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أما راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى عملت من رد رسول الملك الا ليعلم يعنى العزيز أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أما راودته عن نفسه من غير فرق بين الكلامين لعرفنا السامع ذلك مع خلوص ما بعده كر كلام انسان ما سمعه كلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين وانظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ ثم اذا تأمرون من قول فرعون وصله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول الملأ وكذلك هذا من قوله وجعلون من قوله وحمل تصديقها وعلى هذا القول استأنفوا أن كان يوسف حين قال هذه المقالة على تولى أحد هما بنفسه كان فى السجن وذلك انه لما رجع الرسول الملك وهو فى السجن وأخبر بجواب امرأة العزيز للملك قال عند ذلك الملك علىّ بالمرأة فلما جاءته قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين فلما سمع يوسف ذلك قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه بل قلت أمر أراوده عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم اعترفت فى تأكيد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم انى اضمحللت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء وهو هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دل الكلام السابق عليه على هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أما راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى عملت من رد رسول الملك الا ليعلم يعنى العزيز أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أما راودته عن نفسه من غير فرق بين الكلامين لعرفنا السامع ذلك مع خلوص ما بعده كر كلام انسان ما سمعه كلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين وانظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ ثم اذا تأمرون من قول فرعون وصله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول الملأ وكذلك هذا من قوله وجعلون من قوله وحمل تصديقها وعلى هذا القول استأنفوا أن كان يوسف حين قال هذه المقالة على تولى أحده

سودا مهدا مارأ سأ أيها الملك ثم ابعث منصورا عمال الملك وائتمنه أحطأ سياسيا عاشا ب هذه الرؤيا واب
كان بخلاف هو ما تعبر ما عبرت منك وما ترى في تأويل رؤياي أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة
والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتحمل ما تحصل من ذلك الطعام
في الخزائن بضبطه وتسلمه فانه أتي له وكون ذلك القحط والسنة علما الادواب وتأمر الناس بان يدخروا الخمس
من زروعهم أيضا فكذلك لذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأذن الخلق من سائر الاقاليم
للمجيء مع عبيدك من الكنوز والاموال مالا تجتمع لاحد قبلك من عمال الملك ومن لي من بعدك ومن تجمعه
وتجمعه لي بكفايتي العمل وعدمه (قال) يعني يوسف (اجعلني على خزائن الارض) يعني على خزائن
الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أي اجعلني على خزائن أرضك التي تحت يدك وقال الربيع بن
أنس اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها (اني حفيظ عليم) أي حفيظ للخراج عليم بوجوه مصالحها
وقيل معناه اني حفيظ لما تسودني عليم بما ولاني وقيل حفيظ لما استودعني عليم بما ولاني وقيل حفيظ
من رأى بي وقال الكلبي حفيظ قدير وقال السدي الحفيظ الملك من الحفيظة علم يوسف الخوف حين يقع قال
الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك ولا دليل ورد ي الهوى باسناده الى علي بن ابي عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاسند عمله
من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فلما كمل طلب كما سبق طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد
في النهي عنها مع كراهة طلبها من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت
عليها وجاء في الصحيحين ما يخالف هذا كقوله لا نستعمل على عملنا من طلبه فاذا نهى عن طلبها فاذا
عاد ولا كراهة فيه فاما نهيه عن طلب الامارة والولاية فلان من طلب الامارة لا يؤمن أن يسأل بسبب ذلك
والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره اذا كان كذلك فيما يظهر والله أعلم فلا يطلب الامارة ومن علم
طلبها وعلم انه لما علم انه سيحصل بخطه وسعه اما بطريق الوحي ان أخبر بذلك واما بغير ذلك
معلوم الحال وكان في طلب الامارة اتصال الامر وعوده الى المستحق وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب
وقال قتادة كره يوسف عليه السلام قوله اني حفيظ عليم والله تعالى يقول ولا تزكوا أنفسكم قال ابن كثير
وكذا من اذا وصف بخير فيما يظن به الرجل المتأول الذي لا محذور عليه في ذلك فيما يحصل بهذا القدر والمذموم من
ذلك أما اذا وصف بذلك لحاجة فلا بأس به كما قال يوسف اني حفيظ عليم وكما قال أمية بن أبي الصلت
وزيادة في ذلك الخ وقوله (اجعلني على خزائن الارض) كذلك أراد الى آخره وكما أعمل يوسف عليه السلام
ان لا يمكن الخ وقوله (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي مصر وقوله الخ
الخ وقوله (ما
أرض

والسلام وقال لفتيته أن يجعل متاعهم الذي جاءوا به في رحالهم سرا لا يشعرون به وأن يجعل بضاعتهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم ليرجعوا إليه فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بما جرى قال يا بني ارجعوا إلى مصر وتعرفوا خبر يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلما رجعوا إلى مصر دخلوا على يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين فلما سمع يوسف كلامهم رق لهم وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون فلما سمعوا كلامه عرفوه وقالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين فلما قضى يوسف نحبه وانقضت أيامه أوصى أن يحمل إلى الشام ويدفن عند آبائه فحمل إلى الشام ودفن عند أبيه يعقوب وكان عمره مائة وعشرين سنة وقيل مائة وسبعا وعشرين سنة وقيل

وقيل إنه حلف أن لا يكون بعد أبيه شيخ أخرق المثال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل إنه رأى
أن أحد بنيه الطعام من أبيه وإخوته لؤم لشدة حاجتهم إليه وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم
فيه لوم ولا عصر وقيل أراد أن يرهم ترفق كرمه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى العود
إليه وقيل لعله علم بذلك لابه علم إيمانهم وأمانتهم فحملهم على رد البضاعة لما أداروجدوها في رحالهم
لانهم أسلموا ولا دين بباء وقيل أراد برد البضاعة إليهم أن يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على سنة الزمان
(فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا) إنما ذكر ساعلى خبر رحل أرسلوا وأكرم كرامة عظيمة ولو كان رجلا
من أولاده تقوية لأمرهم فقال لهم يعقوب إذا رجعتم إلى ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام
وقولوا له إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك عسى أولئك أن تتم قال لهم أبوهم أين تجدون قالوا أرسلنا ملك مصر
وأكرمنا بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما أنهم لما أخبروا يوسف بأحوالهم
أنهم طلبوا منه الطعام لابيهم أخبرهم المحاسن عنه فأخبروهم بذلك حتى يحصر فقولهم منع منا الكيل
إشارة إلى سؤال أرادوا به الكيل للطعام لانه كان والقول الثاني إنه سمع منا الكيل في المستقبل وهو إشارة
إلى قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن منع منا الكيل إن لم نحمل
معنا أخانا وهو قوله تعالى أخبارا عنهم (فأرسل معنا أخانا) يعني بنيامين (نكتل) قرئ بالنون يعني نكتل
نحن ويقرأ بالياء يعني يكتل لنا (وإنا له لحافظون) يعني رده إلينا فلما قالوا للمعبود
هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعني كما أمنتكم على
ولدي يوسف من قبل وقد علم أنه قد فرط منكم في يوسف ما علم وأشكل ذكرهم لهذا الكلام مع ما في يوسف وصنيعهم
بأخيه فلم وإنا له لحافظون وما ألم تحصل الأمان والحفظ له والوكل في تحصيل هذا الأمر قال (فالله
خير حافظا) يعني أن حفظ الله خير من حفظكم له وقد أشار يعقوب إلى أن الله تعالى والاعتماد عليه في جميع
الأمور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على أنه أرسله معهم وأنه أرسله معهم وقد شاهد
ما فعلوا بيوسف لأنه لم يشاهد ما بينهم وبين يوسف من الحقد والحسد لما كان بينهم وبين يوسف أو أن
يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو أن سنة المحل كانت هي الوصف الحامل على ذلك
قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو غيره والطعام
(وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) يعني أنهم وجدوا في متاعهم من الطعام الذي كانوا قد اشتروا يوسف مردودة
عليهم ودس في متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغي) يعني ما ذا نريد في وراء هذا لقد أكرمنا ملك مصر كما كانوا قد ذكروا
ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وقد وافقوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم فلما رأوا متاعهم قد وجدوا
بضاعتهم مردودة إليهم قالوا أي يطلب مني بعد هذا الكلام بعد هذا الإحسان والإكرام أو في أن
الكيل مردود علينا فيما يزاد وأما هذا الكلام فمتعلق بقولهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) يعني
ما زادنا على غير هذا فإنا نأتي لهم الطعام وقد منعنا من المجيء إليهم إلا بأخينا فنحن نأتي لهم بالطعام ونحمله
إليهم (ونحفظ أخانا) يعني بنيامين مما يخاف عليه مني رده إلى (ونزداد كيل بعير) يعني ونزداد بمجيئنا
أخانا على أحمال إبلنا (ذلك كيل يسير) يعني أن ذلك الذي نزداد من الطعام هين على
الملك لأنه ما أحسن إلينا إكراما لك بل لما كان في ذلك وصل معه أخانا الذي نزداد به كيل بعير إلى الأكثر
وأفضل (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) يعني لن أرسل معكم بنيامين
حتى تؤتوني عهدا بالله وهو اليمين والعهد الموثق بالله وقيل هو الموثق الذي شهد الله عليه (إلا أن يحاط
بكم) في هذا الموضع استثناء منقطع (وزداد كيل بعير) وزداد في أعمارنا بحفظ حمل (ذلك كيل يسير) هين
لا يعاطفه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) والمعنى حتى تعطوني ما يثق به قلبي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما يثق به قلبي

من أبيه أن تحنثوه عمدا (إلا أن يحاط بكم) يا لعدو أو غلبة من حيث لا تعلمون (فلما آتوه موثقهم قال الله على) أي يشهد الله على (ما نقول وكيل) أي رقيب علينا حافظ لما قلنا وفعلنا (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) قد سبق تفسير هذا الكلام في سورة البقرة (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني أن ما أشرت به عليكم من التفرق لا يغني عنكم من قضاء الله شيئا (إن الحكم إلا لله) يعني ما الحكم في الخلق إلا لله (عليه توكلت) يعني في جميع أموري (وعليه فليتوكل المتوكلون) يعني على الله فليثق الواثقون (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من أبواب متفرقة (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) يعني أن ما أشار به عليهم من التفرق لم يكن يغني عنهم من قضاء الله شيئا (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) يعني أن يعقوب كان يخاف عليهم العين فأمرهم بالتفرق لأجل ذلك (وإنه لذو علم لما علمناه) يعني أن يعقوب كان ذا علم بما علمناه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني أن أكثر الناس لا يعلمون ما علمناه (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) يعني ضم إليه أبويه وقيل إن أباه وأمه كانا قد قدما عليه مصر وقيل إن أمه كانت قد ماتت وإنما أراد بأبويه أباه وخالته وقيل إن أمه كانت حية وإنما أراد بأبويه أباه وأمه (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) يعني من القحط والجوع وقيل من الخوف وقيل من الأسر والرق وقيل من الذل والهوان وقيل من كل مكروه (ورفع أبويه على العرش) يعني أجلسهما معه على سريره (وخروا له سجدا) يعني خر أبواه وإخوته سجدا له (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تفسير رؤياي التي رأيتها في صغري (قد جعلها ربي حقا) يعني صدقا (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) يعني أن الله تعالى أحسن إلي بإخراجي من السجن (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية وكانوا أهل مواشي وأصحاب نخل وشجر (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) يعني أفسد بيني وبين إخوتي وقيل حسدهم لي وقيل حملهم على ما فعلوا بي (إن ربي لطيف لما يشاء) يعني أن ربي يفعل ما يشاء في سهولة ويسر وقيل يدبر ما يشاء بلطفه (إنه هو العليم الحكيم) يعني أن ربي عليم بما يفعله حكيم في أفعاله وقيل عليم بمن يستحق الإحسان حكيم في إيصال الإحسان إلى مستحقه وقيل عليم بمصالح عباده حكيم في تدبيرهم وقيل عليم بما كان وما يكون حكيم فيما يقضي ويقدر (رب قد آتيتني من الملك) يعني أعطيتني بعض الملك وإنما قال ذلك لأنه علم أن الملك لا يدوم لأحد في الدنيا (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني علمتني تأويل الرؤيا وقد سبق تفسيره (فاطر السماوات والأرض) يعني خالقهما ومبدعهما (أنت وليي في الدنيا والآخرة) يعني أنت ناصري ومعيني في الدنيا والآخرة (توفني مسلما) يعني إذا توفيتني فاقبضني على الإسلام (وألحقني بالصالحين) يعني بآبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقيل بالصالحين في الجنة وقيل بالصالحين من عبادك في الدنيا والآخرة (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) يعني أن ما ذكرناه من قصة يوسف من أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله نوحيها إليك يا محمد (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) يعني أن ما ذكرناه من قصة يوسف لم تكن حاضرا معهم حين اجتمعوا على أمرهم وهم يمكرون بيوسف وإنما علمت ذلك بالوحي (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) يعني أن أكثر الناس لا يؤمنون بك ولو حرصت على إيمانهم (وما تسألهم عليه من أجر) يعني على ما تدعوهم إليه من الإيمان (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعني أن ما جئتهم به من القرآن ما هو إلا موعظة للعالمين (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) يعني أن آيات الله في السماوات والأرض كثيرة يمرون عليها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يعني أن أكثرهم يقرون بالله أنه خالقهم ورازقهم ومع ذلك يعبدون معه غيره وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعني أفأمن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة تغشاهم من عذاب الله (أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون) يعني أو تأتيهم القيامة فجأة وهم لا يعلمون بها (قل هذه سبيلي) يعني قل يا محمد هذه طريقتي ومنهاجي (أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) يعني أدعو إلى الله على بصيرة في أمري وأنا ومن اتبعني على بصيرة في أمرهم (وسبحان الله) يعني وقل سبحان الله أي تنزيها لله عن الشرك (وما أنا من المشركين) يعني في عبادتهم الأوثان (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) يعني أن الأنبياء الذين أرسلناهم قبلك كانوا رجالا من أهل القرى لا من أهل البوادي لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل البوادي لأن أهل البوادي فيهم الجفاء والقسوة وسوء الخلق وقلة العلم (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني أفلم يسر هؤلاء المشركون في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم الخالية (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني أن الجنة خير للذين اتقوا الشرك (أفلا تعقلون) يعني أفلا تعقلون أيها المشركون أن الجنة خير لكم من النار (حتى إذا استيأس الرسل) يعني حتى إذا يئس الرسل من إيمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) يعني وظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم من النصر (جاءهم نصرنا) يعني جاء الرسل نصرنا (فنجي من نشاء) يعني فنجي الرسل ومن نشاء من المؤمنين (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يعني أن بأسنا لا يرد عن القوم المجرمين (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) يعني أن في قصص الرسل وما جرى لهم مع قومهم عبرة لأولي العقول (ما كان حديثا يفترى) يعني أن القرآن ما كان حديثا يفترى (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب (وتفصيل كل شيء) يعني وتفصيل كل شيء من الحلال والحرام والحدود والأحكام (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يعني أن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون به

دخلت الام هنا لاجل النفي وتقديره حتى يحلفوا بالله لنا أتى به (الا أن يحاط بكم) قال ابن عباس الا أن تهلكوا جميعا فيكون بمعنى الكم عندي لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال مجاهد الا أن يقتلوا جميعا فلا يقدروا على الرجوع (فلما آتوهم موثقهم) يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كالشاهد والوكيل يعني انه موكول اليه هذا العهد وهو لي وكيل يعني حافظ قال الكلبي لما قال يعقوب فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لارد نكما جميعا بعد ما تعدما ثم وكل على وقوصه امرك الى ودلك انه لما شاورهم الامر وصاق عليهم الوقت وعهدوا أشد العهد له يعقوب بدأ من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم موكلا على الله ومفوضا أمره الى الله قوله عز وجل (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) روى ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال لما أخبرهم يوسف بمكانه وأمرهم بالرجوع الى أبيهم وأن يأتوه بأهلهم أجمعين وكان أبوه يعقوب حين فقد يوسف ما فقد من البكاء حتى ذهب بصره فلما أخبروه بخبر يوسف وبما أمرهم به من الرجوع اليه بأهلهم أجمعين قال يعقوب عند ذلك اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فلما رجعوا الى أبيهم وجاء البشير فألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال لهم ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون فعند ذلك سألوه أن يستغفر لهم فقال سوف أستغفر لكم ربي فأخر ذلك الى السحر أو الى ليلة الجمعة وكان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فلما رأى ما بهم من الجهد والفاقة والضر وقلة الشيء بعد الكثرة والعز والسعة قال لهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة يعني مدينة مصر من باب واحد واخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد بالطير لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا أولاد رجل واحد وأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا تصيبهم العين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ب) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عامر رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين احرجه ابو داود وقال السمح يحيى الدمي المروزي رحمه الله تعالى قال المازري أنكر جماهير العلماء ظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكروا طائفة من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى يكون بحالة في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل قائم من محور ان المعقول واذا جاز السمع ورود مجيئه جاز وقوعه ولا استحالة في ذلك وانكار هؤلاء لا يمنع من وقوعه وتأكيدهم ذلك بحديث الذباب ونحوه من الامور الآخر قال وقد زعم بعض الطاعنين في العين ان العائن انما يصيب من عاينه فوجب على هذا ان يقال ان العين انما تفعل بالعين فقط أو عندها فالواو ولا يخفى ما في هذا الكلام من الشناعة وقوله من عاينه من الابهى والعمى يقتضي ان العين تفعل بالمدرك وان كان أعمى وهذا كما ترى قال المازري وهذا غير مسلم لانا وان كنا نعلم ان الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وان اسناد القول بالطبائع وسائر الاسباب لا يعمل في غيره شيئا فليس هذا بمقتض لابطال ما قالوه ولم يقل هذا أحد من العين انما هو خبر وانما عرض وباطل أن نكذب عرضا لانه لا يعقل الا بمحال وباطل ان يكون جوهر الا لجواهر محاسبته فليس بعضها بأن يكون معدا لبعض بأولى من عكس ما قالوه وأقرب طرق معرفتها ما علم الاسلام منهم أن قالوا لا بعد أن يعلم جواهر ما من عرض من العين فعل بالعين فعل مسلم منعه فعل الله عز وجل الهلاك عندها فالحاق الهزال عند عرض السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورية ما ذهب اليه الفلاسفة قال ومذهب أهل السنة ان العين انما تضر بهلاك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بأن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر هل هو جواهر أم لا وهذا امر لم يرد العقول لا يقطع به واحد من الامرين وانما يقطع في الفعل عنها بأنه تعالى هو المخترع لها لا الانسان ما يعتقد الجواهر بعد أن خلقها فطبعوا عليها هو من الخاطر الذي هذا ما على تعلم الا بالله قال أما على تعلم الله فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف عند الطبراني وغيره وقد مالك في الموطأ وامامه وضوء العائن مذكور في كتب شروح الحديث وغيرها وأما قوله ما قال في هذا على هذا وضعوا لله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة يريد انهم خافوا أن يعانوا لما ظهر لهم في ارض مصر من الهيبة حكاه الحوفي عنه قال ابن عطية هذا ضعيف والله أعلم وكان ذهب ان مصر هو والده ترجمانا بينه وبين الملك الا ان

(وما أغني عنكم من الله من شيء) أي إن كان الله أراد بكم سوءا لم تنفعكم تدبيركم ولم يدفع حذركم ما أشرتم به عليكم من التفرق وغيره مما لا يعصم من حكم الله عليه وقد كان عرف صلى الله عليه وسلم بالوحي أن ذلك لا يغني عنهم شيئا (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل هو تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي من متفرقة (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي (٣١) شيئا قط بحسب أسبابهم وما أعانهم

الله تعالى ثم أبدى له في إظهاره دلالة فلما تبعت أسباعه إليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان عرف ذلك بوحي أو بغيره أو بسبب في وجه الحكمة فعل أبوه والقول الأول أصح لأنه خاف عليهم من العين فرجع إلى علم وقوض أمرهم إلى الله تعالى بقوله (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني إن كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو نصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فإن المقدور كائن ولا مع حذر من قدر (إن الحكم إلا لله) يعني وما الحكم إلا لله وحده لا شريك له في هذا ولا غيره مما نقوص من تعقوب في أموره كلها إلى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون) وادخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الأبواب التي أمرهم وكان لهم بمصر وهي مدينة العرما وأربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم إشفاق الآباء على الأبناء ودلك أنه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عما جاءوا له فما هو من هذا كله أو نحوه (وإنه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لما علمناه دلك العلم ومثل هذا قوله وإنه لذو علم للذي علمناه والمعنى إنا لما علمناه هذه الأشياء جعل له العلم لك الأشياء وقيل وإنه لذو حفظ لما علمناه وقيل كان يعمل بما علمناه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق اكتساب العلم وقال أكثر الناس لا يعلمون المشركون منهم الله وأنه يعلم ما يكون قبل أن يكون

قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أباه) قال المفسرون لما دخل إخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرت أن يأتيك به فعند ذلك ضمهم إليه وقال لهم أنتم وأهلوكم وأنتم وسعدون ذلك الذي بشرهم أكرم نزلهم وأحسن أنزالهم وأجلس كل اثنين على مائدة وبقي بنيامين وحده فقال لو كان أخي يوسف هاهنا لأجلسني معه فقال لهم يوسف أعندي هذا وحده فلما كانوا لا يأكلون إلا مع أهلهم قال لهم فإما أن يجلس معي واحد منكم على مائدتي وتسلمون بأكملكم فلما كان الليل أمرهم فدخل كل اثنين منكم على أبويه في بيت واحد وبقي بنيامين وحده فنام يوسف مع بنيامين على فراشه فجعل يوسف يشمه دون سائر إخوته حتى أصبح فلما أصبح قال لهم أرى هذا الرجل وحده ليس معه أبواه وساصنع به كرامة لكي يكون سببا في سرعة لحاقهم بأبويهم فأحسن ضيافتهم وأكرم نزلهم وقال لهم يوسف لما رأى إكرامه لهم وإحسانه إليهم ما أحسن هذا لو كان أبونا معنا فقالوا له يوسف لنا أب شيخ كبير وله منا أخ صغير كان أبوه يتسلى به عن أخيه الذي هلك فقال يوسف فما منعكم أن تأتوا به معكم فقالوا له إن أباه لما علم أنه ذاهب معنا إلى مصر أخذ عليه المواثيق أن يرده إليه ولكن سنراوده عن نفسه حتى نأتي به معنا فقال يوسف فإن لم تأتوا به معكم فكيف تصنعون فقالوا له نحن من أهل بيت لا نكذب فقال يوسف فإني أحب أن أراه فعند ذلك قال لهم يوسف أنا أعلم أنكم قد أصبتم طعاما وأصبتم علفا فإذا رجعتم إلى أبيكم فأتوني به وأنا أعطيكم ما تريدون من الطعام وأكرمكم وأحسن نزلكم فقالوا له سنراوده عن نفسه حتى نأتي به معنا فقال يوسف لا أعلم أحدا أحق بالكرامة منكم

صفة الصاع في سنة مجاعة وأما الذي وجدوا في رحالهم بضاعتهم التي جاءوا بها كما كانوا يأخذون فلا تهمة فيه فكانوا يردونها إليهم عما أتوا به وحدوه في رحالهم ولم يستطيعوا أن يتخذوها من كانت هذه صفته فليس بسارق فلا تهمة فيه قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين فلما انتفت عنهم هذه التهمة (قالوا) يعني أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه (فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) يعني فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين (قالوا) يعني إخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم ويدفع إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي ما سرق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان مجرى القطع في شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أنفسهم في السارق فلذلك رد الحكم إليهم والمعنى إن جزاء السارق أن يسترق سنة جزاؤه على جريمته وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني في هذا الجزاء وهو أن نسترق السارق سنة مجرى الظالمين ثم اختلفوا في متصل هذا الكلام من تمامه فقال بعضهم تمام كلام إخوة يوسف وفعل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا إن إخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارق ومن فعله وقوله عز وجل (وأما أوعيتهم فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير إن إخوة يوسف لما أمر وا أن جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم إلى يوسف فأمر بتفتيش متاعهم فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لإزالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال وهب ذكر لنا أنه كان لا يفتح وعاءا ولا يحل حملا إلا استخرج منه شيئا قبل أن يأتي على وعاء أخيه حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال أخوه والله لا تذهب حتى يفتش رحلي فإنه أظلم وأحسد فلما فتشوا أوعيتهم وجدوا الصواع وهذا معنى قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) إنما أضاف الكناية إلى الوعاء ولم يقل ثم استخرجه من رحل أخيه لأن الصواع ذكر ويوسف لما خرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوة يوسف رؤوسهم من الخجل وقالوا لبنيامين ويحك ما صنعت يا سوءة لك وجوه ما يأتي على رأسك من قال ما قال أما علمت أن ملكنا لا يسمى أحدا بالصواع وهذا الصواع مما يشرب فيه الماء قال لا أدري والله ما أعلم ما وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الصاع في رحالكم فقالوا قد علمنا أن لا ذنب لك فيما صنع غيرك فأخذوه وردوه إلى يوسف وهم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه وردوه إلى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وإنما أضاف الحكم إلى نفسه وهو إنما حكم به يوسف لأن يوسف حكم بما حكم به إخوة يوسف وأفتوه به وهذا على سبيل الإضافة إلى الله تعالى وهو قول الأكثرين وهذا الكيد من الله تعالى كان لوجوه منها أن إخوة يوسف في الابتداء همموا بالكيد في الخلق الجميل ومن أتى الأمر الجميل والمعنى فعلنا لإخوة يوسف أن حكموا أن جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمناهم أن حكموا في رحل أخيه بالاسترقاق ليتوصل بذلك إلى أخذ أخيه على ما حكم به إخوته وقال ابن الأنباري الكيد هو الاحتيال وسمي هذا الفعل كيدا لكون المعنى كذلك وما أوقعه يوسف وقال ابن الأنباري كدنا وحي الله سبحانه وتعالى على جهة ما أوحى وصاف الحالين فإنه إذا اجتمع به عن محاولة كان قال هين صنع الله معناه أن المعاني المذمومة يخلص الله تعالى منها ما يشاء ويعصم منها من يشاء ويوفق للأمور المحمودة من يشاء فهو من الله تعالى بالذي يكون من الحيل أن الحيلة إذا كانت في سبيل الخير وفعل البر الذي يرضى الله تعالى فهو من الله تعالى المراد هو ما يحبه الله تعالى وهو ما يرضاه من يوسف من ارتفاع المنزلة ونيل الكرامة والعلم والحكمة وحرص إخوته على ما فعلوه وكل ذلك مما يحبه الله تعالى ويرضاه فلما كان هذا الفعل على هذا الوجه أضافه الله تعالى إلى نفسه فقال كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله بما أعطاه الله من العلم على من فوقه من

(قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته (إن كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقته أحد من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفهموا عن جزائه ومرادهم (فهو جزاؤه) بصيغة الحكم أي فأحد السارق لا غير جزاؤه منذ هو جزاؤه والجملة الشرطية كلها خبر (كذلك نجزي الظالمين) أي السراق بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) ذكر أحد السراق أوعيتهم قبل وعاء أخيه في التهمة في رحل أخيه (ثم استخرجها) أي الصواع (من وعاء أخيه) ذكر الصواع لأن الصواع يذكر ويؤنث والهاء في استخرجها ترجع إلى السقاية أو إلى المكيال (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) أي علمناه ذلك

(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير لكيده وبيان لكونه كيدا لأن أخذه في سيرة السارق أن يغرم ما سرق لا أن يسترق فلا يتأتى أن يستثنى (إلا أن يشاء الله) أي ما كان ليأخذه (٣٤) لأخذه بمقتضى إرادته تعالى (نرفع درجات) بالتنوين كوفي (من نشاء) أي في العلم كما رفعنا درجة

أخوته من غير أن يشعروا بذلك ﴿ وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لأنه كان في حكم الملك أن السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يمكن يوسف من حبس أحد عنده في حكم الملك فلذلك أنهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (إلا أن يشاء الله) يعني أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وبتدبيره لأن ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف حتى جرى الأمر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على إخوته بالعلم وعلمه إلهامه على وجه الهداية والصواب في الأمور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لأنه هو الذي علمه وقيل العلم في الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يفهم العالم نفسه بأنه سيعلم أن واضع الواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في العلم بأنه لا يجاوز عالم عالم فوقه ﴿ قوله تعالى (قالوا) يعني إخوة يوسف (إن يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي أن إخوة يوسف قالوا للملك إن هذا الأمر ليس بعجب منه فإن أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان عمه من هذا الكلام أبا لله تعالى على طريقه ولا على سبيله بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لا هما من أم أخرى عيرا أمه أو أخذا في السرقة التي نسبوها إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن مسروق إنه كان لجد أبي أمهما وكان بعده فأخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لأنه كان يعبده وقال مجاهد إن يوسف أخذ صنما لجده أبي أمه وأوله به وقال ابن عباس لم يعبد أحد من أجداده صنما قط كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يعطي الطعام من السائل للصراء وذكر محمد بن إسحاق أن يوسف كان يسرق ما يجد حتى يعذبوه أمه راحيل فصيره إليه وأخذ يوسف هذا ما يرضع وكبر وهو عند عمته فلما توفيت قالت لأهل بيتها لقد كان لي ابن أخ وكنت أحبه وكان يؤذى وقد مات وأحب أن يكون عندي أفتأذنون لي أن آخذه فأربيه فلعل ذلك يسليني عنه فأذنوا لها فأخذته فلما ترعرع جعلت تحبه حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وجد يعقوب عليه السلام فقال لها أخبريني لا أعطكه فقال لها والله ما أريد عليه شيئا وإني لأرى له عندي أياما فلعل ذلك يسليه عنه فقال لها فلعل ذلك فدفعته إليها فلما خلا بيتها لم تدعه حتى ربطت على بطنه منطقة ثم قالت إنه لم يسرق مني ولا أدعي عليه شيئا ولكنه ابن أختي فلما وجدت عليه فعل ما ترى فأمرت به فالتمس فوجد المنطقة على بطنه فقالت أنت عبد لي فمكث عندها حتى ماتت فكان يعير بالسرقة وقيل إن يوسف سرق صنما لأبي أمه فكسره وألقاه في الطريق لأنه كان يعبده وقال ابن إسحاق كان يوسف عند خالته فلما ماتت قال يعقوب لأهل بيتها ما كان يصنع بيوسف فإنه كان يؤذى فأخرجوه فلما خرج أخذ صنما لخالته فكسره وألقاه في الطريق فأخرجته أم يوسف فرمت به فلما بلغ يعقوب ما صنع يوسف قال ما حمله على ما صنع إلا أنه لا أم له فضمه إليه وقال له لا تفعل هذا بعدها أبدا فلما ترعرع يوسف وكان يؤذى قالوا ما يؤذى هذا إلا أنه لا أم له فقال يعقوب لو ماتت أمه لكان أرفق به فلما سمع يوسف ذلك قال لأبيه ما فعلت أمي فقال ماتت فحزن عليها ثم قال ما فعلت خالتي فقال ماتت فحزن عليها ثم قال ما فعل أبي فقال ماتت فحزن عليها ثم قال ما فعل أهلي فقال ما تركت أحدا فحزن عليهم ثم قال ما فعل غنمي فقال ما تركت منها شيئا فحزن عليها ثم قال ما فعل الراعي فقال ما تركت منهم أحدا فحزن عليهم ثم قال ما فعل الكلب فقال مات فحزن عليه فقال له يعقوب ما أبقيت لأحد شيئا فما حملك على ما صنعت بأخيك فقال يا أبت إنه كان يؤذيني فلما رأيت ما نزل بي من الحزن على من مات ذكرت حزنك عليه فأحببت أن يكون لك حزن واحد وقيل إن يوسف لما أخذ الصواع وجعله في رحل أخيه قال لأصحابه لا تبرحوا حتى أطلبه فقالوا ما نرى أن يوسف يأخذ شيئا فلما فتشوا ولم يجدوا شيئا قال لهم ما ترون قالوا نرى أن نأخذه فنذهب به إلى الملك فيأمر بضربه فقال لهم يوسف لا أرى ذلك ولكن أرى أن أتركه عندي فأكون أنا أولى بذلك منكم فقالوا له ما كنا نرى أن في أهل بيت أحدا أشد حسدا ولا أكثر تعنتا منك ولا أسوأ صنيعا منك حين جئت بهذا الصواع فجعلته في رحل أخيك فقال لهم يوسف أنا أسوأ صنيعا منكم حين ذهبتم بأخي فألقيتموه في الجب وبعتموه وقيل إن يوسف لما أخذ الصواع وجعله في رحل أخيه قال لأصحابه لا تبرحوا حتى أطلبه فقالوا ما نرى أن يوسف يأخذ شيئا فلما فتشوا ولم يجدوا شيئا قال لهم ما ترون قالوا نرى أن نأخذه فنذهب به إلى الملك فيأمر بضربه فقال لهم يوسف لا أرى ذلك ولكن أرى أن أتركه عندي فأكون أنا أولى بذلك منكم فقالوا له ما كنا نرى أن في أهل بيت أحدا أشد حسدا ولا أكثر تعنتا منك ولا أسوأ صنيعا منك حين جئت بهذا الصواع فجعلته في رحل أخيك فقال لهم يوسف أنا أسوأ صنيعا منكم حين ذهبتم بأخي فألقيتموه في الجب وبعتموه (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في هاء الكناية ثلاثة أوجه أحدها أن الضمير يرجع إلى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم شر مكانا) والثاني إلى الجملة التي بعدها وهي قوله تعالى (والله أعلم بما تصفون) والثالث إلى الصواع يرجع إلى الكناية التي قالوها في حقه حين قالوا له إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقيل إن هذا يرجع إلى أن يوسف لما سمع هذا القول كان يوسف قد أضمر في نفسه أن يجعل هذا القول ذريعة إلى الاحتيال عليهم في إدخالهم في السرقة فلما قالوا له أنتم شر مكانا يعني بما فعلتم بأخيكم من قبل وهذا لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة لكنه (والله أعلم بما تصفون) يعني بما نسبتموه إلينا ﴿ ثم أخبر عن قولهم (قالوا) يعني إخوة يوسف (يا أيها العزيز) يعنون الملك (إن له أبا شيخا كبيرا) قال ابن عباس الأسباط كلهم أولاد يعقوب

(أحدا مكانه) بدله على وجه الاستخلاف (إنا نراك من المحسنين) إليك فأنعم علينا بإطلاقه (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ غير الذي وجدنا المتاع عنده فنكون ظالمين بأخذ البريء بدل السارق (إنا إذا لظالمون) أي إن أخذنا غير من وجدنا المتاع عنده لظالمون (فلما استيأسوا منه) أي يئسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما طلبوا من أخذ أحدهم بدل بنيامين (خلصوا نجيا) أي اعتزلوا الناس وانفردوا يتناجون فيما بينهم في أمر يوسف وبنيامين (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أو في العقل وهو يهوذا أو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) أي عهدا مؤكدا بالحلف بالله (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف بما فعلتموه به من إلقائه في الجب وبيعه (فلن أبرح الأرض) أي أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الرجوع إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها بقدرته بأن يأتيني بيوسف وبأخي (وهو خير الحاكمين) فإن حكمه لا جور فيه (ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) بحسب الظاهر لوجود الصواع في رحله (وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من أخذه الصواع من رحله (وما كنا للغيب حافظين) أي وما علمنا أن الصواع يخرج من رحله حتى نحفظه من أن يدس فيه (واسأل القرية التي كنا فيها) أي أهلها وهم مصر (والعير التي أقبلنا فيها) أي أصحاب العير وهم الذين كانوا معنا في القافلة (وإنا لصادقون) فيما أخبرناك به من أمر السرقة (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أي زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا فعلتموه (فصبر جميل) أي فأمري صبر جميل لا شكوى فيه لمخلوق (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) أي بيوسف وأخيه وكبيرهم الذي تخلف بمصر (إنه هو العليم) بحالي وبحالهم (الحكيم) في تدبيره لي ولهم (وتولى عنهم) أي أعرض عنهم لما فعلوه من الكذب (وقال يا أسفى على يوسف) أي يا حزني عليه (وابيضت عيناه من الحزن) أي ذهب بصرهما من كثرة البكاء (فهو كظيم) أي مملوء من الحزن ممسك له في قلبه لا يظهره (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) أي لا تزال تذكره (حتى تكون حرضا) أي مريضا مشفيا على الموت (أو تكون من الهالكين) أي من الميتين (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) أي لا إلى غيره (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف ورجاء رؤياه (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي تعرفوا خبرهما بالسؤال عنهما (ولا تيأسوا من روح الله) أي من فرجه ورحمته (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) أي لا يقنط من رحمة الله إلا من كفر به وجحد قدرته على الفرج (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أي أصابنا وأصاب أهلنا الجهد والفقر (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي بدراهم قليلة رديئة لا تنفق إلا بالبخس والنقص لرداءتها (فأوف لنا الكيل) أي أتمه لنا كما كنت تفعل قبل اليوم (وتصدق علينا) بالمسامحة في ثمن البضاعة (إن الله يجزي المتصدقين) أي يثيبهم على صدقاتهم (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي هل علمتم قبحه وسوء عاقبته (إذ أنتم جاهلون) أي حين ركبتم ما ركبتم من الأمر العظيم (قالوا أإنك لأنت يوسف) أي قالوا له ذلك لما رأوا عليه من الهيبة والجلالة (قال أنا يوسف وهذا أخي) أي وهذا بنيامين أخي (قد من الله علينا) بالسلامة والكرامة (إنه من يتق ويصبر) على الطاعات وعن المعاصي (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي لا يضيع أجر من أحسن عمله (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) أي فضلك الله علينا بالعلم والحلم والملك (وإن كنا لخاطئين) أي وإن الشأن كنا لمذنبين بما فعلنا بك (قال لا تثريب عليكم اليوم) أي لا تعيير ولا توبيخ عليكم اليوم بما فعلتم بي (يغفر الله لكم) ما فعلتموه بي (وهو أرحم الراحمين) أي أرحم من رحم (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) أي يرجع إليه بصره (وأتوني بأهلكم أجمعين) أي بجميع من تناسلتم منه من ذرية وحفدة (ولما فصلت العير) أي خرجت من أرض كنعان متوجهة إلى مصر (قال أبوهم) يعقوب لمن حضره من أهله وولده (إني لأجد ريح يوسف) أي أشم رائحته من مسيرة ثمانية أيام أو عشرة أيام (لولا أن تفندون) أي تنسبوني إلى الخرف وفساد العقل (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) أي في خطئك القديم من محبة يوسف (فلما أن جاء البشير) أي جاء يهوذا بقميص يوسف (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) أي رجع إليه بصره (قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) أي ألم أقل لكم إني أعلم من صنع الله بي وبكم ما لا تعلمون أنتم (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) أي اطلب لنا المغفرة من الله لذنوبنا (إنا كنا خاطئين) أي مذنبين بما فعلنا بيوسف وأخيه (قال سوف أستغفر لكم ربي) أي أطلب لكم المغفرة من ربي (إنه هو الغفور الرحيم) أي الستار لذنوب عباده الرحيم بهم (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) أي ضم إليه أباه وأمه (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) أي من القحط والجدب (ورفع أبويه على العرش) أي على سرير الملك (وخروا له سجدا) أي سجد له أبواه وإخوته سجود تحية وإكرام لا سجود عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي هذا تفسير رؤياي التي رأيتها في صغري من قبل هذا الوقت (قد جعلها ربي حقا) أي صدقا (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) أي بأن نجاني من السجن (وجاء بكم من البدو) أي من البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) أي أفسد بينهم بالحسد والبغي (إن ربي لطيف لما يشاء) أي يدبر أمور عباده بلطفه ورفقه (إنه هو العليم) بما يصلح عباده (الحكيم) في تدبيره لهم (رب قد آتيتني من الملك) أي بعض الملك (وعلمتني من تأويل الأحاديث) أي تعبير الرؤيا (فاطر السماوات والأرض) أي خالقهما ومبدعهما (أنت وليي في الدنيا والآخرة) أي ناصري ومتولي أمري فيهما (توفني مسلما) أي مخلصا لك بالتوحيد (وألحقني بالصالحين) أي بآبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من خبر يوسف وإخوته هو من أخبار الغيب التي لا تعلمها أنت ولا قومك (وما كنت لديهم) أي عند إخوة يوسف (إذ أجمعوا أمرهم) أي عزموا على إلقائه في الجب (وهم يمكرون) به وبأبيه (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أي وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين (وما تسألهم عليه من أجر) أي على ما جئتهم به من الوحي والقرآن (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي ما هو إلا موعظة للخلق أجمعين (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها) أي وكم من علامة ودلالة على وحدانية الله وقدرته في السماوات والأرض يشاهدونها ويرونها (وهم عنها معرضون) أي لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أي ما يقر أكثرهم بأن الله خالقهم ورازقهم إلا وهم مشركون به غيره (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أي عقوبة تغشاهم وتعمهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانها (قل هذه سبيلي) أي طريقتي ومنهاجي (أدعو إلى الله) أي إلى توحيده وعبادته (على بصيرة) أي على يقين وبرهان (أنا ومن اتبعني) أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله تنزيها له عما لا يليق به (وما أنا من المشركين) أي وما أنا ممن يشرك بالله غيره (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) أي ما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا من أهل القرى لا من أهل البوادي لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل البوادي (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي أفلم يسافر هؤلاء المكذبون لك يا محمد في الأرض فيروا كيف كان آخر أمر الأمم المكذبة لرسلها (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) أي ولدار الجنة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي (أفلا تعقلون) أي أفلا تتفكرون فتؤمنون (حتى إذا استيأس الرسل) أي يئسوا من إيمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي وظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من النصر (جاءهم نصرنا) أي جاء الرسل نصرنا (فنجي من نشاء) أي فنجي الرسل ومن نشاء من المؤمنين (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) أي لا يرد عذابنا عن القوم المجرمين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص الرسل مع أممهم (عبرة لأولي الألباب) أي لذوي العقول الخالصة من شوائب الأوهام (ما كان حديثا يفترى) أي ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديقا للكتب المتقدمة (وتفصيل كل شيء) أي وتفصيل كل ما يحتاج إليه من أمر الدين (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي وهداية ورحمة لقوم يؤمنون به وبما جاء به.

يعني أخوه (وهو بحزنها كائن) لا يحكم بالحق و (الحكم) والحكمة والحكمان والقرآن من هذا كان الاعتماد الى الله تعالى في الامامة تعذر وعند ذلك قال يعقوب عليه السلام (ارجعوا الى أبيكم) يعني قول الاخ الذي عزم على الاقامة بمصر لا تعودوا الي أبيكم بعد وقولوا له (يا أبانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذا لانه لما سبق الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع يامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا الا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت شهادتنا في عجز ما على ما لا نعلم وهذا ليست شهادة انما هو خبر عن صريح ما ظنوا انه سرق فرعموا ان المعنى ان ما سرق وزعم الملك وأصحابه لا انا شهدنا عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والسحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أي نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل وقد اتفق العوام ان نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا يعوم بها عند القراء العصبة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني وما قلنا هذا الا بما رأينا اخراج الصواع من متاعه وقد قيل معناه ما كانت شهادتنا في عجز ما على ما لا نعلم انه سرق وهذا ليست شهادة انما هو خبر عن صريح ما ظنوا فرعموا وقالوا انهم يعقوب هذا ان السارق يؤخذ بسرقته لا يعولكم قالوا وأما شهدنا عند ان السارق يسترق لا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الاخوة ليوسف يعقوب رد هو أورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب احداث هذا الحكم حتى يحكم على بعد ذلك وأجيب عنه بان يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الله تعالى هذا الحكم لما علمه كان (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وما علمنا الا ما رأينا ويحتمل أن يكون المراد بالغيب ما غاب عنا مما لا نعلمه ولا رأيناه ويحتمل أن يكون المراد بالغيب ما غاب عنا مما كنا نظنه ونعلمه ولم نر منه ما يدل على سرقته حافظين يعني ما علمنا ان حكمه الحال عند ما ولما كان العلم لا يعلمه الا الله تعالى اضاف الصواع الى نفسه فقال (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني واسأل اهل القرية التي كنا فيها والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان فيها جماعة من السرقة والمراد بالعير (والعير التي أقبلنا فيها) يعني واسأل العائلة التي كانوا فيها وكان فيهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون) في قولنا فرجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتم والا فلا أدري ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا قولكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا) يوسف وبنيامين وكبيرهم (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يبتلني الا لحكمة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاءوا به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتقدير يا أسفي والمعنى ان الاسف والحزن صار حاضرا معي فهذا أوانك فاحضر (وابيضت عيناه من الحزن) أصيب بالعمى (فهو كظيم) مملوء من الغم والحزن (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) يعني لا تزال تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) يعني مريضا مشفيا على الهلاك (أو تكون من الهالكين) يعني ميتا (قال انما أشكو بثي وحزني الى الله) يعني ما أظهر الحزن والبث الا لله تعالى لا لكم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أعلم من رحمة الله ولطفه ما لا تعلمون (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) يعني تعرفوا خبرهما وتطلبوا عنهما (ولا تيأسوا من روح الله) يعني من فرجه ورحمته (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعني بالله تعالى (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) يعني الجوع والجهد (وجئنا ببضاعة مزجاة) يعني قليلة لا تنفق في ثمن الطعام لرداءتها وقيل كاسدة (فأوف لنا الكيل) يعني أتمه لنا (وتصدق علينا) يعني بالمسامحة في ثمن البضاعة (ان الله يجزي المتصدقين) يعني بالثواب الجزيل (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) يعني ما أصابهما من الضرب والشتم والتفريق بينهما (اذ أنتم جاهلون) يعني بقبح ما فعلتم (قالوا أئنك لأنت يوسف) يعني أنك يوسف (قال أنا يوسف وهذا أخي) يعني بنيامين (قد من الله علينا) يعني بالسلامة والكرامة (انه من يتق ويصبر) يعني على طاعة الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ثواب المحسنين (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) يعني فضلك الله علينا بالملك والكرامة (وان كنا لخاطئين) يعني مذنبين في أمرك (قال لا تثريب عليكم اليوم) يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم اليوم (يغفر الله لكم) يعني ما فعلتم (وهو أرحم الراحمين) يعني بالمغفرة (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) يعني يرجع بصيرا (وأتوني بأهلكم أجمعين) يعني من النساء والذرية (ولما فصلت العير) يعني خرجت من عريش مصر (قال أبوهم) يعقوب (اني لأجد ريح يوسف) يعني أشم رائحته (لولا أن تفندون) يعني تنسبوني الى الخرف وفساد العقل (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) يعني في خطئك القديم (فلما أن جاء البشير) يعني يهوذا (ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) يعني رجع بصيرا كما كان (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وأنه يأتيني به (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعني ما سبق منا في أمر يوسف (انا كنا خاطئين) يعني مذنبين في أمره (قال سوف أستغفر لكم ربي) يعني أطلب منه المغفرة لكم (انه هو الغفور الرحيم) يعني بالمغفرة لكم (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه) يعني ضم اليه أبويه وهما أبوه وخالته لان أمه كانت قد ماتت (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) يعني من القحط والجوع (ورفع أبويه على العرش) يعني على سرير الملك (وخروا له سجدا) يعني خر يوسف وأبواه وأخوته سجدا لله تعالى شكرا على ما أنعم عليهم (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تفسير رؤياي التي رأيتها في صغري (قد جعلها ربي حقا) يعني صدقا (وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن) يعني من الجب (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني أفسد بيني وبينهم (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني يلطف لما يشاء (انه هو العليم الحكيم) يعني بخلقه (رب قد آتيتني من الملك) يعني السلطان والملك (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والأرض) يعني خالقهما (أنت وليي في الدنيا والآخرة) يعني ناصري ومعيني (توفني مسلما) يعني على دينك (وألحقني بالصالحين) يعني بآبائي الذين تقدموا (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني هذا الذي ذكرناه من خبر يوسف وأبويه وأخوته من أخبار الغيب نوحيه اليك يا محمد (وما كنت لديهم) يعني عند اخوة يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) يعني على الكيد ليوسف (وهم يمكرون) يعني به (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) يعني بالله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر) يعني على القرآن (ان هو الا ذكر للعالمين) يعني موعظة للخلق أجمعين (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها) يعني من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والجبال والبحار (وهم عنها معرضون) يعني لا يتفكرون فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعني بالله غيره (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعني عقوبة تغشاهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بمجيئها (قل هذه سبيلي) يعني طريقتي ومنهاجي (أدعو الى الله) يعني الى توحيده (على بصيرة أنا ومن اتبعني) يعني على يقين وبرهان (وسبحان الله) يعني وقل سبحان الله (وما أنا من المشركين) يعني بالله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعني ما أرسلنا قبلك الى الأمم الا رجالا (نوحي اليهم من أهل القرى) يعني من أهل الأمصار لان أهل البوادي فيهم جفاء وجهل وغلظة (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني من الأمم الخالية (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني الشرك والمعاصي (أفلا تعقلون) يعني يا أهل مكة (حتى اذا استيأس الرسل) يعني من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) يعني ظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما وعدوهم من النصر (جاءهم نصرنا) يعني على أعدائهم (فنجي من نشاء) يعني من عذابنا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يعني عذابنا (لقد كان في قصصهم) يعني في قصص يوسف وأبويه وأخوته (عبرة لأولي الألباب) يعني لذوي العقول (ما كان حديثا يفترى) يعني ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني من الكتب المتقدمة (وتفصيل كل شيء) يعني من الحلال والحرام (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يعني بالله تعالى

أو سمع للقلب رأعلم فهو ذات الحزن الأول كما قال ﷺ ... وقيل أراد بحزنه هذا اجتهاده حزنه على أنه مات
بقول أبي ... كل قرينين ... اجتمعا ... لا بد يوما أن يبينا
وقد كان ... الأسى يبعث الأسى ... عدني فهذا كله حزنان

وما بينهما الحزن يعقوب وقيل باب يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يسلي عن يوسف بالنظر إلى بنيامين فإذا حصل فراق بنيامين زاد حزنه على حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلو مقامه وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله لا إليه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفي على يوسف وقد ذكر الأزهري عن بعض اللغويين أنه قال يقال ليعقوب يا آسف على الغلط من المحارب يعني به غير الطهر في الغلط والصواب الذي أرحم أسفي أو أنت رائي أسفي أو هذا أسفي فنادى الأسف في الغلط والمنادى سواء في المعنى ولا ملام إذا لم يتعلق اللسان بكلام مؤثم لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل إن يعقوب لما علم بموت يوسف ... وقوله يا أسفا على يوسف أي اشكوا إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكه إلى أحد من الخلق يدل على قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله (واعلم من الخبر) أي تعلم من يوسف الخبر على يوسف قال معاذ لم يصر ساسة ... ويقال إنه صنع ... كثرة البكاء وذلك أن الدمع يكثر ... فعا البكاء صار العين كأنها ... ماء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أي مكظوم وهو المملي من الحزن المسلط على ... فاده وهو الذي يرد حزنه في سويداء ولم يعمل الأحزان قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقائهما ثمانون سنة لم تجف عبرة يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله منه وقال مالك بن دينار والسدي إن جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل يعزى أم الصديق قال يوسف أري صورة ظاهره قال إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين قال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطهر الطاهرين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر الأرض يطهر المذنبين وأن الأرض التي تحلونها هي أطهر الأرض وأن الله قد طهر لك الأرض والسجن وما حوله بأطهر الطاهرين وأبي الصالحين الخالصين قال يوسف كم بقي ما سيم المذنبين وتدخلني مع الصالحين الخالصين الطاهرين وقد دخلت مدخل المذنبين قال إنه لم يبق من قسطك ولم يطلع سيدك في صحيفتك على ما دخلك خيال الله من الصدق وعدلك من المخلصين واجعلك يا ثالث الصالحين قال يوسف فمتى أعلم أن يعقوب أبي قد لحق بالروح الأمين قال يعقوب قد لحق بالله الخبر عنك فهو كظيم وقد سأله الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر مثل أجر سبعين شهيدا قال أجر مائة شهيد ثم قطاب من يوسف وقال ما أبقى على ما ترى إلا ﴿ قوله عز وجل ﴿ (قالوا) يعني إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لأبيهم (تالله تفتأ تذكر يوسف) يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تقطع عن ذكره قال ما فتئ يفعل كذا أي ما زال لا تحذف في جواب القسم لأن موضعها مع القسم كموضع الخبر كما ترى الناس يقعدون

أي لا أبرح قاعدا ﴿ قوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعني فاسدا قال عطاء لحم على عظم لا روح فيه يعني هرما من الموت وقال ابن قتيبة يعني فاسد العقل قال الحرض الذي قد جهد جسمه وعقله ودل ذلك أن أبهم رأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل ثم الحرب أو الهم وهي الآفة تحدث فتكون في الجسم وفي العقل يعني لا تفتأ فعل من سد الحرب والهم والأسف (أو تكون من الهالكين) يعني من الأموات قال فلما كبر سنه وعلى ... لم يعلموا ... طعاما ... يسوا الأمر على الأحياء والطعام أي يقوله طعامه أن الأمر يصير إلى ذلك (قال) يعني يعقوب ... أي ... لهم وغيظهم عليهم (إنما أشكو بثي

(وابيضت عيناه) أي كثر الأسف والحزن حتى ذهب البصر سواد العين وعلمه إلى بياض كثير وقيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا (من الحزن) لأن الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن فعل ما حجب عما يعقوب يعني وجه يوسف إلى نسائه عباس عادوا وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب ويحزن إلى عليه السلام أن يرفع به الحزن عن ذلك المبلغ لأن الإنسان محمول على أن لا علك نفسه عند الحزن وذلك حين صرخ رأى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس إبراهيم وإلى العلم يخرج الذي يمنع رأى رسول ما سمعها الزنا يا عليك يا إبراهيم تحزنون وأما الهم فهو الشيء الذي يخطر بالقلب ويحدث النفس وأعلم الصدور بالوحي وقيل في الآية (فهو كظيم) ممتلئ من الغيظ على أولاده لا يظهر ما في نفسه منهم وقيل معنى فهو كظوم يكظم الغيظ ولا يشكو ما هو فيه (قالوا تالله) أي والله ما زال تفتأ تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) أي لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا (أو تكون من الهالكين)

وحزنه الى الله) أصل البث اثارة الشيء وتفريق ما استر من الخبر يقول انما أشكو ما استولى على نفسي من الهم والحزن الذي لا يستطيع كتمانه وذلك لان الانسان اذا اصابه امر لا بد له من أن يتحدث به فيكون هو الذي اثاره وفرقه كان شكا فالبث أشد الحزن والحزن الهم على هذا يكون المعنى انما أشكو حزني العظيم وحزني الهائل الى الله لا اليكم قال ابن الحوزي روى انما أكم أبوه الله في صحيفة من حديث أنس رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان يعقوب أخا سبعة وأخا لهم يقال له ابن يوم فجعل يعقوب يقول ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك فقال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكوني الى غيري فقال انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو فجعل يعقوب يقول يا رب يا رب فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أترى الذي بهتك بأبيك فعلت ذلك أم أنا فعلت ذلك بل أنا فعلت ذلك لأني أردت أن أبتليك لأعطيك أجر الصابرين من أهل البلاء فقال يا رب أسألك المغفرة فقد صدقت وعفوت عن أخي يوسف فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أما استحيت أن تشكوني الى مخلوق مثلك فقال انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتدري لم ابتليتك ولم أذهبت بصرك ولم قوست ظهرك ولم فرقت بين ولدك قال لا يا رب فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أما ذبحك الجدي وأدخلت يدك في جوفه وأخرجت سخلته من بطن أمه فأوجعت قلبها وقلبه فعلت ذلك بك وبولدك فقال يا رب أسألك المغفرة فقد تبت فغفر له ثم قال يا جبريل ما بال أبي لا يسأل عني فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري وفرقت بين ولدي وبعدتني عن أبي فقال يا جبريل أين أبي فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أيسرك أن أرد عليك بصرك وأجمع بينك وبين ولدك فقال نعم فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتي لو كان بينك وبين ولدك مسيرة مائة عام لجمعت بينكما كما أني أجمع بين أرواحكما في بطن أمهاتكما وأنتم في بطون أمهاتكم فلما سمع يعقوب ذلك قال يا جبريل أين ولدي فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتي لو كانا

يعقوب (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر وقيل بالجيم يكون في الشر وبالحاء يكون في الخير وقيل بالجيم الاستراق وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس لم يسرقوا قال ابن الانباري يقال تحسست من فلان ولا يقال من فلان وقال بعضهم يوسف وأخيه لانه أضمر في مقام يصلح فيه الظاهر وليكون المعنى تحسسوا من أخبار يوسف وأخيه وروى عن عبد الله بن يزيد عن أبي قرة قال بعث يعقوب كتابا الى يوسف عليه الصلاة والسلام حين حبس عنده سلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي ابراهيم فشد بلاؤه وعظم حلاؤه والى في النار فعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشد بلاؤه وعظم حلاؤه ووضع السكين على قفاه فعله الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهبت به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من أجل ذلك ثم كان لي ابن آخر وكان أخا من أمه وكنت أسلي به وابتلي بحبسه وزعم انه سرق وما أهل بيتي سرقوا ولا لبسوا سرقا فان رد علي ابني والا دعوت عليه دعوة تدرك السابع من ولده فلما قرأ يوسف كتاب أبيه بكى وعرف صبره وأظهر عند ذلك لاخوته على ما ذكره بعض العلماء الله تعالى وذلك قوله تعالى (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي ولا تيأسوا (من روح الله) يعني من رحمة الله وفرج من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعني ان اليأس على حقيقته من الله صفة عباد الله الجاحدين برحمة الله الكافرين بصنعه ذلك ﴿ قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) محذوف واختصارها وعادوا الى مصر حتى دخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه يعني على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر المانع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الجدب والقحط والجوع وأولادنا وأهلهم من خلفهم ومن ورائهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي بمتاع رديء كاسد لا يجوز في الطعام الا بحط كثير من الثمن يقال أزجيت البضاعة اذا دفعتها وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والمزجى المدفوع الى الساكن كما يدفع الملاح السفينة قول الشاعر * ومازجه عمر بن حابس الخليج * يعني هي قليلة يستر عكس دفعها ورديء فعلة الا تعمها واعاوصفوا بالبضاعة أنها رديئة اما لقلتها أو لزيافتها أو لرداءتها وعدمها سواء لان الجدب كان قد عم أرض مصر في سنتي هذا البضاعة المزجاة فجاء يوسف لا يرد كل كاسد من العراب والحمال ولا كل كاسد من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت الصنوبر وحبة الخضراء وقال ابن عباس كانت سويق المقل ورديء الاعتاب وقال الضحاك جئنا ببضاعة لا تنفق في ثمن الطعام الا بالرد مزجاة مدفوعة لقلتها وزيفها ونرجو العفو أي يدفع الزمان بالقليل من العفو والمعنى بضاعة مزجاة يدفع بها الزمان وليست مما يتسع بها ويقبل الا أن تقبل للدراهم الرديئة مزجاة مدفوعة لقلتها وزيفها (فأوف لنا الكيل) يعني أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد والثمن الرديء بتمام الثمن الجيد والجيد بتمام الرديء (وتصدق علينا) يعني تفضل علينا بالزيادة على الجيد والرديء لا بمعنى الصدقة هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي سألوه من الصدقة والذي به رأفة العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء في ذلك الزمان أم لا فقال بعضهم كانت الصدقة حلالا للانبياء ولنا ولكن الله تعالى حرمها على محمد صلى الله عليه وسلم وآله بهذه الآية وذكر بعض العلماء قالوا ان الله تعالى أوحى الى يوسف عليه السلام ان يكلمهم بالسريانية فكلمهم بها فلما سمعوا كلامه ارتاعوا وقالوا ما هذا كلام أهل مصر فعند ذلك قال لهم (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي هل تدرون ما صنعتم بيوسف وأخيه من الاستخفاف والاذلال والتفريق بينه وبين أخيه وبينه وبين أبيه وأنتم جاهلون قبح ما فعلتم به وبأخيه وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الضرب والشتم والاهانة وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الجفاء والقطيعة وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الذل والفرقة وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الحزن والبكاء وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الفقر والمسكنة وقيل ما فعلتم به وبأخيه من الخوف والجوع (وهو لا يعرفون) ذلك لما بهم من الحزن والبكاء وقيل لما بهم من الفقر والمسكنة وقيل لما بهم من الخوف والجوع وقيل لما بهم من الذل والفرقة وقيل لما بهم من الضرب والشتم وقيل لما بهم من الجفاء والقطيعة وقيل

(إن الله يجزي المتصدقين)
قالوا استأنفوا على الخبر
وشرعوا إليه وخلوا به
أن يتصدق عليهم أو فضّ
عينه ولم يمالك أن عبر عنهم
بعينه حيث قال (قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف) أي
هل علمتم قبح ما فعلتم
بيوسف (وأخيه إذ أنتم
جاهلون) لا تعلمون قبحه أو
إذ أنتم في حد السفه
والطيش وتعلمون بأخيه
تعريضهم له بالعلم بأفراده
عن أخيه لأبيه وأمه
وإشعارهم له بأنواع الأذى
(قالوا أئنك) بهمزتين
مكسورتين وياء ساكنة (لأنت
يوسف) اللام لام الابتداء
وأنت مبتدأ ويوسف خبره
والجملة سدت مسد المفعولين (قال أنا
يوسف وهذا أخي) وإنما
ذكر أخاه وهم ما سألوه عن
شأنه لأنه كان في ذكر أخيه
بيان لما سألوه عنه (قد من
الله علينا) بالاجتماع بعد الفرقة
وتذكير نعمة الله بالسلامة
والكرامة لم يزدنا إلا
(إنه من يتق) المعاصي
(ويصبر) على المعاصي
وعلى الطاعة (فإن الله
لا يضيع أجر المحسنين)
أي أجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لأن من يتق
ويصبر على
المعاصي والطاعات محسن
من يتق مولاه ويصبر على
بلواه لا يضيع أجره فإذا
وعد الله (قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا) بالفضل والعلم
والحلم والسعي

(وان كنا لخاطئين) وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين فعفا عنا ولم يعيرنا بخطيئتنا (قال لا تثريب عليكم) لا تعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بمحذوف والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التعيير بخطاياكم دون الايام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بغفران ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عصادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نطن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان أباسفيان لما

(٤١)

من حصى بالسوية فقط (وان كنا لخاطئين) يعني وما كنا في مسيرنا الا لاخاطئين ولهذا السبب لم يعط الخاطئ على الخطيئ والقرى سبهما أن يقال خطئ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن تكون آية لم يعط خاطئ على خطئ لواحد بل كل واحد من أشقى فاعلها (قال) يعني يوسف (لا تثريب عليكم) يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت امرأة أحدكم فاعلق في قلبها الحب ولا تواقعها ولا تثربن أي لا تعيرها بالزنا فعدى الفعل بعلى لما كان في معنى قوله (اليوم) وقال أحمد هما اليوم يرجع الى ما قبله فيكون المعنى لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم الاستراحة والترويح والا فالامر عليكم اليوم ولا اليوم عليكم ولا أثربكم على هذا أحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم وابتداء قوله (يغفر الله لكم) والعامل الذي في اليوم معنى قوله يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتعيير قوله لا تثريب عليكم ابتدأ اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه قال لما مات أبي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة الكاء فلما ألقي على وجهه رد الله عليه بصره وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال المحققون كان هذا القميص من ثياب الجنة فأمره جبريل أن يرسل هذا القميص الى أبيه وكان ذلك القميص من ثياب ابراهيم وذلك ان ابراهيم لما ألقي في النار عريانا أتاه جبريل بهذا القميص من حرير الجنة فألبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق ثم ورثه يعقوب فلما سار يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقها في عنق يوسف كالتميمة لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي يوسف في الجب جاءه جبريل فأخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا اليوم حضر جبريل فأمره ان يرسل هذا القميص الى أبيه ليرد عليه بصره ولما ألقي على وجه أبيه ارتد بصيرا وقال لهم ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون يعني أن رؤيا يوسف حق وسجودكم له حق وقد تحقق الرؤيا وبقي الوعد الذي وعدني ربي أن يجمعنا بعد التفرق وقد تحقق ذلك بقدوم أهل مصر عليه (ولما فصلت العير) أي خرجت من عمران مصر متوجهة الى أرض كنعان (قال أبوهم) أي قال يعقوب لولده (اني لأجد ريح يوسف) أي ان روح يوسف تأتيني الآن وقيل هبت ريح فحملت ريح قميصه فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وقيل من مسيرة ثمانين فرسخا وقيل من مسيرة عشرة أيام وقيل من مسيرة سنة وقيل من مسيرة شهر وقال الكلبي كان بينهما ثمانون فرسخا (لولا أن تفندون) أي لولا أن تنسبوني الى الهرم وذهاب العقل

(٦ - (خازن) - ثالث) بصيرا) أي صار بصيرا بعد ما كان أعمى (وأتوني بأهلكم أجمعين) فلما بشر يعقوب بمجيء يوسف وبشر يوسف بمجيء أبيه قال يوسف لاخوته ارجعوا الى أبي فقولوا له ما جرى علينا وقولوا له يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا فانا كنا خاطئين فعند ذلك قال يعقوب (سوف أستغفر لكم ربي) أي أطلب منه المغفرة لكم وقيل أخر ذلك الى السحر لان الدعاء في السحر أقرب الى الاجابة وقيل أخر ذلك الى ليلة الجمعة لانها أفضل الليالي وقيل أخر ذلك الى أن يأتيه البشير بأن يوسف راض عنهم وقيل أخر ذلك الى أن يأتيه البشير بأن يوسف قد عفا عنهم وقيل أخر ذلك الى أن يأتيه البشير بأن يوسف قد أذن لهم في الدخول عليه

الاسارق أصدالرجل اذا سرق وقد اذا جهل وسبقت اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خوف فهو الهذر والصدفكون المعنى لولا أن تفندون أي تنسبوني الى الخرف وهو ان تسبوني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك بهرموني معقولين صح كما قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهل الدين عدلان أولاده لصلبه كانوا عالمين به (تالله انك لفي ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك وورث اب يعقوب فلهذا ذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم يعني ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بن هدى العير قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو يهودا قال السدي قال يهودا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فأفرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهودا وخرج به ماشيا حافيا راكبا وهو معه فأرعبه فلم يسكن أكلها حتى أتاه وكان المسافة بينهما تسعة أيام فرحا (ألقاه على وجهه) يعني فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعاد اليه بصره بعد الضعف ورد بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله تعالى جمع بينهما وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قوله تعالى (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأيقنوا بالعفو عنهم قال لهم يعقوب سوف أستغفر لكم ربي أي أطلب لكم من ربي المغفرة وقيل أخر الدعاء الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله تعالى هل من داع فأستجيب له فلما ذهب يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة ووجه الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي ولولدي يوسف ولهذا سمى الله تعالى أولاد يعقوب ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله تعالى الى يعقوب انك قد غفرت لولدك فأجعل دعاءك في السحر فلذلك أخر الاستغفار لهم الى السحر وقال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان استغفارهم كل ليلة جمعة فاوحى الله تعالى اليه أن استغفارك لولدك لا يغفر ذنوبهم حتى يأتوك فيستغفروا لانفسهم وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة وافق ذلك ليلة عاشوراء وقال السدي وهب لكم ربي قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور الرحيم) يعني لذنوبكم عند التوبة (فلما دخلوا على يوسف) يعني لما ارتحل يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وهو الريان بن الوليد فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجند وزحف أهل مصر معهم لعزهم بمجيء يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب وهو على مقدمته يهودا فلما نظر الى الجبل والخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ بالسلام فقال له جبريل لا تبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب يا لا إله إلا الله ما أشد هيبة الملوك ما دهشت الا وقد ظننت ان ملك الموت قد جاءني فكان جبريل أول من قال هذا فسمي الملوك ملوكا لهذا السبب وقيل لان الملوك تولد والولاة لا تولد فكان أول من قال هذا يعقوب (ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مستأنف لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) اي سل الله تعالى ان يغفر ما كان منا في حقك وحق الله تعالى فانا كنا خاطئين (قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة أو الى أن يعرف حالهم في عفو الله أو الى ان سأل يوسف هل عفا عنهم أم لا وروي ان يوسف وجه الى أبيه مائتي راحلة وما يحتاج اليه من الزاد والكسوة فلما بلغ يعقوب ذلك خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند وزحف أهل مصر معهم لعزهم بمجيء يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب وهو على مقدمته يهودا فلما نظر الى الجبل والخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب

وأبويه بعشرين سنة وقيل كانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها وبشر هامن بيعها حتى تسعدا وسبعة قالوا وهذا والاول أصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أوص مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني الى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستقرار أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) وقيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال لهم ان دخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستقرار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهاليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله شرطا فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع الى أعلى الى العلو (وخروا له سجدا) يعني يعقوب وحالته الى وأخويه وكانت تحيتهم الناس يومئذ السجود وهو الانحناء واضعا وجهه على السجود ووضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منه في الدين والسجود جعل لله تعالى امره ان قلت فيه وجوه ذكرها في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان التحية على سبيل التعظيم كالسجود والقول الثاني انه كان سجود التحية وهو وضع الجبهة على الارض وهو مستقل لان السجود لغير الله تعالى لا يجوز ان يكون الا لله تعالى واحتج على هذا الاستقلال بان السجود كان في الجملة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما يسجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا القول قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما سجدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان السجود لا يدل على الخضوع الى أقرب المذكورين وهو يوسف عليه الصلاة والسلام فلا بد ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجله وجعلهم يفعلون ذلك لله تعالى وهي ان اخوة يوسف رأوا عند اجتماعهم به وقبل ان يعلموا ان الله تعالى قد رفع قدره وأعلى أمره ان أباهم قد صار له عندهم أمر عظيم فلما رأوا ان أباهم قد صار له عندهم أمر عظيم فلما رأوا ان أباهم قد صار له عندهم أمر عظيم فلما رأوا

في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وصيرورته أحب كان حسدا اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية وأصل البدو الظهور ومنه البدو للشخص ومنه بدا يبدو اذا ظهر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاد أصحاب ماشية وكانوا بالبادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني أفسد ما بيني وبينهم من الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المعتزلة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب أن ينسب اليه كما في الاحسان والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته الى الله على سبيل المجاز لان كان ظاهر الفعل وان كان اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وأيضا لدلك ان الكل من عند الله وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا الاغواء والوسوسة والجبر ليس لافساد ذات الشر ودلالة ما قدر الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني ان الله تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور ووجه اتيانها قال صاحب المفردات وقد تعبر باللطف عما يدرك الحاسة وصفه أدركه أو لم يدركه ووصف الله تعالى به على هذا الوجه ويكون لمعرفته بدقائق الامور وايكون لرفقه بعباده نحو قوله ان ربي لطيف لما يشاء أي يحسن الاستخراج بها على ما وصل الى يوسف حتى آل أمره الى الخير وقيل أن اخوة يوسف لما أتوا أخاهم بعد طول الغيبة وحسدوه على ما آتاه الله من الشرف والملك بسجوده له وأبويه له بالسجود كان من لطف الله تعالى به أن جعل ذلك كله بتقدير الله تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في صنعه وأفعاله قال أصحاب الاخبار وأقام يوسف مع أبويه أربعا وعشرين سنة في أهنأ عيش وأتم سرور ثم قال أبوه ليعقوب ما أحسن حال فلان لحسن رأيه الوفاء أرضى الى أبوه فيوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه في الأرض المقدسة فأتاه السلام لما أمات يعقوب عليه الصلاة والسلام حمل يوسف جسده ودفنه عند أبيه اسحق وكان عمر كل واحد منهما مائة وسبعا وأربعين سنة وكان يوسف أتاه ربه جميع الى مصر فأقام الى جمع الله بينه وبين يوسف عليه الصلاة والسلام وأبويه عليهما أن عمر الدنيا لما سرع الى الانقراض لم يسأل الله تعالى الا الخاتمة الحسنة فقال (رب) أي يا رب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن الملك يعني لانه أول ملك مصر على كل وجه الى آخر الدهر على الاجماع في المعنى دون اللفظ (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني خالقهما ومبدعهما من غير مثال سبق وأصل الفطر الشق ومنه فطر ناب البعير اذا طلع وفطر الله الخلق ابتدعهم وأنشأهم (أنت ولي) يعني حافظي وناصري (في الدنيا والآخرة) أي الذي يلي بالنعمة في الدارين (توفني مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام وهو محمول على ما يليق بحاله لان الانبياء معصومون وعن الصحابة رضي الله عنهم أنه ما تمنى نبي الموت قبل يوسف عليه السلام لما رأى في مسألة الاستعجال بالموت من الخوف من الافتتان وقيل أمر بأن يسأل الوفاة على الاسلام ليعلم أن نعم الله لا تتم الا بالوفاة عليه وقيل أراد بالوفاة الموت على ما يوجب الوفاة من غير تمن للموت وقيل أراد بالوفاة الموت على الصلاح وقيل أراد بالوفاة الموت ساجدا وقيل أراد بالوفاة الموت على الاسلام وهو الاظهر لان الانبياء عليهم السلام لا يتمنون الموت لخوف الفتنة وقيل أراد بالوفاة الموت على الاسلام وهو الاظهر لان الانبياء عليهم السلام لا يتمنون الموت لخوف الفتنة وقيل أراد بالوفاة الموت على الاسلام وهو الاظهر لان الانبياء عليهم السلام لا يتمنون الموت لخوف الفتنة (والحقني بالصالحين) أي بآبائي وأجدادي المعصومين وروي أن يوسف أحد أولاده ملك بعده سنين حتى ملك اثنا عشر ملكا من أولاده حتى ملك الريان بن الوليد وهو فرعون موسى وقيل ان يوسف لما توفي حنطوه وجعلوه في تابوت من مرمر ودفنوه على شاطئ النيل لكي يمر الماء عليه فتتبرك به القبط ثم ان موسى عليه السلام أخرجه ودفنه عند آبائه بالشام وقيل ان القبط لما رأوا أن الماء يمر على قبره ويصير وبيلا عليهم اتخذوا له صندوقا من رخام وجعلوه فيه ودفنوه في الماء ليجري الماء عليه فيصل اليهم بركته فلما خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر أخذ الصندوق معه فتوارثوه حتى وصل الى يوشع بن نون فدفنه بأريحا وقيل ان يوسف لما حضرته الوفاة أوصى أن يحمل الى جنب أبيه اسحق فحمل ودفن بالشام وقيل ان يوسف عاش مائة وعشرين سنة ولما توفي حنطوه وجعلوه في تابوت من مرمر ودفنوه في النيل ليجري الماء عليه فيصل اليهم بركته فلما خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر أخذ الصندوق معه فتوارثوه حتى وصل الى يوشع بن نون فدفنه بأريحا وقيل ان يوسف لما حضرته الوفاة أوصى أن يحمل الى جنب أبيه اسحق فحمل ودفن بالشام

يعني عقوبة مستأصلة تعمهم وقال مجاهد عذاب يعشاهم وقال قتادة موتة مستأصلة يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعني طريقي التي (أدعو) إليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الإسلام وهي الدين سبيلا لانه الطريق المؤدي إلى الله عز وجل والى الثواب والجنة (إلى الله) يعني إلى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعني على بيقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي عرفها الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) يعني من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا أدعو إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو إلى ما دعا إليه وذكر بالقرآن ويعلم الكلام وي

الرسل ان قومهم كذبوهم
وبالتخفيف كوفى أى
وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا
أى أخلفوا أووظن الرسل
انهم اذا كذبوهم
الرسل اى كذبهم الرسل
فى انهم إياهم ينصرون عليهم
ولم يصدقوهم (جاءهم
نصرنا) للذين آمنوا من
قومهم عذاب استئصال
(فنجى) وفى احدى
وستة الجيم وهو ابلغ
ساكن وياسكن على لغة
من يسكن المعتل
الماضى المسمى
بالعالم بنام الفاعل
الواو (من نشاء)
أى الرسل ومن آمن به (ولا
يرد بأسنا) اذا أراد
(عن القوم المجرمين)
الكافرين
(لقد كان فى قصصهم
اى يوسف واخوته
(عبرة لأولى الالباب
لذوى العقول
التى اذا تفكروا
فى امر يوسف
واخوته
علموا
ان
الله
حق
فآمنوا
ولم
يكفروا
مثل
ما
كفروا
فيصيبهم
ما اصابهم

الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا أخبارهم وانطلاقهم من كفرهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا فى وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم لا يبصرون أو وساوسهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة الكذيب والعذاب وابطاء النصر من الله تعالى وتأخيله قد تطاول عليهم وعلى أتباعهم حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فاذا هم نصر ما لخامس عشر احد ساب وعن ابن عباس وطنوا حتى صنعوا وعلموا انهم قد أخطأوا ما وعدهم الله به من النصر ما لوكانوا اشراوا بلاءوه وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد ما ظن ما يخطر بالبال وتهجس فى العلم من غير الوسوسة وحديث النفس على ما علمه الناس به وأما الظن الذى هو رجحان أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على الرسل فى أمر الله الذى هم أعرف الناس به وبوعده قال عن حلف المعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا حرف معوّل عليه من حيث احتاجا ان النصر ليس عن ابن عباس لكنه ممن يتأول تأويله على ما والاحرى ان قوله حتى اذا دال على ان أهل الكفر ظ وا مالا يحور بمثله وان صفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا بل هو بالاذاء وتظهيرهم واحدا بعد واحد الى السلامة والفوز الباقون وهم مائة وثلاث وثمانون وأبو عمرو وابن عامر وظنوا بالتخفيف مبنيا للمفعول ووجهه ظاهر وهو ان مع حتى اذا استأس الرسل من ايمان قومهم ظنوا أى تيقنوا أن الامم قد كذبوهم بتكذيبهم الا بعد ما جاءهم النصر فالظن بمعنى العلم وهذا معنى قوله وقال بعضهم حتى اذا استأس الرسل من كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا انهم قد آمن بهم من قومهم فدعاهم وأرادوا عاجل هلاكهم جاءهم نصرنا عند ذلك على هذا القول الظن بمعنى اليقين والكذب بمعنى الكذب وممن جعل الظن بمعنى اليقين والرسل ظن بمعنى ان رجحان أحد الجائزين على الآخر غير جائز على الرسل لطول ابلائهم لأنهم كانوا بهم فى كروب وبلاء وقال ان هذا الكذب لم يحصل من أتباعهم الذين لا يبلغ علمهم ان يكون لهم حصل اكان نوع كراهة لكن الرسل طلبوا منهم ذلك اطلاعا على صدق الرسل وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والكذب بمعنى الكفر وعلى القولين جميعا فالكناية فى ظن الرسل (ح) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا أو كذبوا قالت لم تكذبهم قومهم قلت لعلها قد كذبوا وقالت حاشا لله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عنها سألت رسول الله ﷺ عن أرأيت ما كان بالنا بأن ابن آدم ان الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفف فقال دهشت لها فقلت لعل نفسى هو ان الرسل لا يشكون فى ان الله ناصرهم فقال ويحك ليست هى هكذا ذكر ذلك بعيبها فقال والله لقد استكبرت نفسى ان يكون ظن ان الله لا يوفى رسله ما وعدهم الا ان يكون ذلك من خلف الوعد فقلت فما هى يا رسول الله فقال هى كما نزلت فقلت فما هى فقال هى البأساء والضراء فقلت فما هى فقال هى البأساء والضراء فقلت فما هى فقال هى البأساء والضراء

(ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمه (وتفصيل كل شيء) تحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وآياته وما فيه (٤٨) بعد لكن معطوف على خبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أولادكم سورة

واحرجه من النص وعلمكه مصرحا بعد العهود به وجمع شمله بأسه واحوته بعد ما مزقه الطويل والبأس من الاجتماع لهما وعلى اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاحبار بهذه القصة الحسنة حار مجرى الاخبار عن الغيوب كما سبق معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها من العبر ما ليس في غيرها (ما كان حديثا يفترى) يعني ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذي سبقه من كتب الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يحسن منه أن يفتريه أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ممن يعرف القرآن المتحدى به دل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء ففي السور الاخر ما يدل على أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في السور التي ذكر فيها يوسف (وتفصيل كل شيء) يعني ان في هذا القرآن المنزل على محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما تحتاج اليه في أمر دينهم ودنياهم (وهدى) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أولنا رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون بالقرآن والله أعلم بمراده وأسرار كلامه *(تفسير سورة الرعد)*

قال ابن الحوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وعطاء وجماعة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين منها وهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الى الوعد وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية وهو قول عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال مجاهد وروي عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين من آخرها وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم الذي نزل بمكة قوله الذي يرسل الرياح الى قوله دعوة الحق وهي لا سبع وأربعون آية وما سوى ذلك مدني وهي ستمائة وسبع آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال أنا الله المالك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بقوله تلك الى آيات السورة التي أنزلت قبل هذه السورة والمراد بالكتاب السورة أي آيات السور الكاملة المحكمة فيما أنزل اليك (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله وهو الحق الذي لا مرية فيه وقيل الراء ها هنا بمعنى هو أي الالف واللام والميم التي في المر هو الكتاب الذي أنزل اليك يا محمد وهي آيات السورة والآيات التي أنزلت اليك من ربك هي الحق وقيل الذي أنزل اليك هو القرآن كله والذي أنزل قبل القرآن من الكتب كلها حق وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق أي هو الحق الذي لا شك فيه وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بالكتاب القرآن أي هذه آيات الكتاب القرآن يعني هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني هذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني بمكة كقوله بل أكثرهم لا يعلمون الآية في الرعد وقيل ان هذا قول اليهود لما سمعوا قول الله تعالى في سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هذا دليل على أن المراد بالكتاب القرآن وقوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) رفع بمعنى جعل والعمد جمع عماد وهو ما يعمد به أي يسند والضمير في قوله (ترونها) قيل راجع الى العمد أي ترونها عمدا ثم لا ترون العماد وقيل هو راجع الى السماء يعني أنكم ترون السماء مرفوعة بغير عمد كما ترونها لا عمد لها وقيل هو راجع الى العمد على معنى أنها لها عمد ولكن لا ترونها وقيل الواو في الكلمة للحال أي رفع السماوات على الارض في حال رؤيتكم لها

وعلها أهله وما ملكت
يمينه من الله عليه بشكر ان
المسؤول واعطاء العفو أن
لا حسد مسلما قال الشيخ
أبو منصور رحمه الله في ذكر
قصة يوسف عليه السلام
واخوته نصر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على أدى
مرتبس كله قول ان اخوة
يوسف عليه السلام لما رأوا
الدين رمع الاخوة على ما
وصفنا عاجلوا من الكيد
والمكر ما يعلى دلالة
مع تحالفهم ما لك في الدين
أدى ان يحمل على أذاهم
وقال وهب ان الله تعالى لم
ينزل كتابا الا وفيه سورة
يوسف عليه السلام بأسه
فاهي في القرآن العظيم
والله أعلم

*(ومن الرعد مكية وهي
لاثنان وأربعون آية وخمس
وخمسون كلمة وأربعمائة
واحد وثلاثون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(المر) الله أعلم وأرى
وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما (تلك) اشارة الى آيات
السورة (آيات الكتاب)
يعني آيات الكتاب السورة وهي
الآيات التامة الكاملة المحكمة
(والذي أنزل اليك من ربك
الحق) يعني القرآن (ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون) به
(الله الذي رفع السموات بغير
عمد ترونها) جمع عمود وهو
ما يعمد به أي يسند (ثم استوى
على العرش) قوله (ترونها)
يعني أنكم ترون السماء مرفوعة
بغير عمد ترونها (وسخر الشمس
والقمر كل يجري لأجل مسمى)
أي لوقت معلوم لفناء الدنيا
(يدبر الأمر) يقضي أمر ملكه
(يفصل الآيات) يبين الدلالات
(لعلكم بلقاء ربكم توقنون)
تصدقون بالبعث (وهو الذي
مد الأرض) بسطها طولا وعرضا
(وجعل فيها رواسي) جبالا
ثوابت (وأنهارا) جمع نهر
(ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين) صنفين ذكرا
وأنثى (يغشي الليل النهار)
يلبس الليل النهار فيصير الجو
كله مظلما (إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون) في صنع الله
(وفي الأرض قطع متجاورات)
بقاع مختلفة طيبة وسبخة
وصلبة ورخوة (وجنات من
أعناب) بساتين من كروم
(وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان) جمع صنو وهو النخلة
يكون لها رأسان ينبتان من
أصل واحد وغير صنوان كل
نخلة لها رأس واحد (يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الأكل) في الطعم
(إن في ذلك لآيات لقوم
يعقلون) يتدبرون (وإن تعجب
فعجب قولهم أإذا كنا تربا
أإنا لفي خلق جديد) يعني
إن تعجب من تكذيبهم إياك
فعجب قولهم أإذا كنا ترابا
أنبعث خلقا جديدا (أولئك
الذين كفروا بربهم وأولئك
الأغلال في أعناقهم) يعني
يوم القيامة (وأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون)
(ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة) بالعذاب قبل العافية
(وقد خلت من قبلهم المثلات)
العقوبات أي عقوبات الأمم
الخالية فهلا يعتبرون بها
(وإن ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم) مع ظلمهم
أنفسهم بالمعاصي (وإن ربك
لشديد العقاب) لمن عصاه
(ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه) مثل
آية موسى وعيسى عليهما
السلام (إنما أنت منذر) مخوف
(ولكل قوم هاد) نبي يدعوهم
إلى الله تعالى (الله يعلم ما
تحمل كل أنثى) من ذكر أو
أنثى (وما تغيض الأرحام)
تنقص (وما تزداد) على
التسعة الأشهر (وكل شيء
عنده بمقدار) بقدر لا يزيد
ولا ينقص (عالم الغيب
والشهادة) السر والعلانية
(الكبير) في ذاته (المتعال)
على كل شيء بقدرته (سواء
منكم من أسر القول ومن جهر
به) يستوي عنده من أخفى
قوله ومن أعلنه (ومن هو
مستخف بالليل) مستتر بظلمته
(وسارب بالنهار) ظاهر في
سربه يقال سرب يسرب سروبا
إذا ذهب (له معقبات من بين
يديه ومن خلفه) ملائكة
يتعاقبون في حفظه بالليل
والنهار (يحفظونه من أمر
الله) بأمر الله وقيل من
بمعنى الباء أي بحفظ الله
(إن الله لا يغير ما بقوم)
من النعمة (حتى يغيروا ما
بأنفسهم) من الطاعة إلى
المعصية (وإذا أراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له) لا راد له
(وما لهم من دونه من وال)
ناصر يمنعهم من عذاب الله
(هو الذي يريكم البرق خوفا
وطمعا) خوفا للمسافر وطمعا
للمقيم (وينشئ السحاب
الثقال) جمع ثقيلة بالماء
(ويسبح الرعد بحمده) يقول
سبحان الله وبحمده (والملائكة
من خيفته) من خوف الله
(ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء) من خلقه (وهم
يجادلون في الله) نزلت في
أربد بن ربيعة أخي لبيد لأمه
وعامر بن الطفيل بعثهما
المشركون إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليقتلاه
فأرسل الله على أربد صاعقة
فقتلته وعامر بن الطفيل
أصابته غدة فقتلته (وهو
شديد المحال) شديد الحيلة
والمكر (له دعوة الحق)
الإجابة الحق (والذين يدعون
من دونه) يعني الأصنام
(لا يستجيبون لهم بشيء)
من الإجابة (إلا كباسط كفيه
إلى الماء) يعني كما لا يبلغ
الماء فاه بعد بسط كفيه إليه
كذلك لا يبلغ ما يدعو إليه
الكافر من الأصنام (ليبلغ
فاه وما هو ببالغه) أي ما
يدعو الكافر الأصنام بالغ
فاه أبدا (وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال) ذهاب عن
الصواب (ولله يسجد من في
السماوات والأرض طوعا
وكرها) يعني المؤمن يسجد
طوعا والكافر يسجد كرها
بالسيف (وظلالهم بالغدو
والآصال) جمع أصل وهو ما
بين العصر إلى المغرب يعني
ظلال الكافر تسجد لله
بالغدو والآصال (قل من رب
السماوات والأرض قل الله)
فإن لم يجيبوك فقل الله
(قل أفاتخذتم من دونه
أولياء لا يملكون لأنفسهم
نفعا ولا ضرا) يعني الأصنام
(قل هل يستوي الأعمى
والبصير) المؤمن والكافر
(أم هل تستوي الظلمات
والنور) الكفر والإيمان
(أم جعلوا لله شركاء خلقوا
كخلقه فتشابه الخلق عليهم)
يعني أن الشركاء لم يخلقوا
شيئا كما خلق الله فلا يستحقون
العبادة (قل الله خالق كل
شيء) فيعبد (وهو الواحد
القهار) الغالب لكل شيء
(أنزل من السماء ماء فسالت
أودية بقدرها) بمقدارها
صغيرها وكبيرها (فاحتمل
السيل زبدا رابيا) عاليا
فوق الماء (ومما يوقدون
عليه في النار ابتغاء حلية
أو متاع) يعني الذهب والفضة
والحديد والنحاس والرصاص
(زبد مثله) يعني كما يعلو
الماء الزبد كذلك يعلو
الخبث الذهب والفضة
والحديد والنحاس والرصاص
(كذلك يضرب الله الحق
والباطل) مثل الحق والباطل
(فأما الزبد فيذهب جفاء)
رميا (وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض) يعني الماء
الذي يشربه الناس والزرع
الذي يأكلونه (كذلك يضرب
الله الأمثال) يبين الأشباه
(للذين استجابوا لربهم
الحسنى) الجنة (والذين لم
يستجيبوا له لو أن لهم ما في
الأرض جميعا ومثله معه
لافتدوا به) من عذاب الله
(أولئك لهم سوء الحساب)
المناقشة في الحساب (ومأواهم
جهنم وبئس المهاد) الفراش
(أفمن يعلم أنما أنزل إليك
من ربك الحق كمن هو أعمى)
يعني أفمن يعلم أن ما أنزل
الله إليك هو الحق كمن هو
أعمى لا يعلم (إنما يتذكر
أولوا الألباب) يعني إنما
يتعظ أولوا العقول (الذين
يوفون بعهد الله) بما عاهدوا
عليه (ولا ينقضون الميثاق)
ميثاق الله الذي أخذ عليهم
في الكتب (والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل) من
الإيمان بالأنبياء والكتب
(ويخشون ربهم) في قطيعة
الرحم (ويخافون سوء الحساب)
المناقشة في الحساب (والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم)
طلبا لرضاه (وأقاموا الصلاة
وأنفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية) يعني الزكاة
المفروضة (ويدرؤون بالحسنة
السيئة) يدفعون بالعمل
الصالح السيئ من العمل
(أولئك لهم عقبى الدار)
العاقبة المحمودة في الآخرة
(جنات عدن) بساتين إقامة
(يدخلونها ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم) يعني
المؤمنين (والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب) يقولون
لهم (سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار) (والذين
ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه) بعد ما أقروا به
(ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل) من الإيمان بالأنبياء
والكتب (ويفسدون في الأرض)
بالمعاصي (أولئك لهم اللعنة)
البعد من الرحمة (ولهم سوء
الدار) النار (الله يبسط
الرزق لمن يشاء) يوسع على
من يشاء (ويقدر) يضيق على
من يشاء (وفرحوا بالحياة
الدنيا) يعني كفار مكة
(وما الحياة الدنيا في الآخرة
إلا متاع) قليل ذاهب
(ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه) مثل
آية موسى وعيسى عليهما
السلام (قل إن الله يضل من
يشاء) عن الهدى (ويهدي
إليه من أناب) رجع إلى دينه
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله) يعني بالقرآن
(ألا بذكر الله تطمئن
القلوب) يعني بالقرآن
(الذين آمنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم) فرح
لهم وقرة عين وقيل طوبى
اسم الجنة بالحبشية (وحسن
مآب) مرجع (كذلك أرسلناك
في أمة قد خلت من قبلها أمم
لتتلو عليهم الذي أوحينا
إليك وهم يكفرون بالرحمن)
نزلت في كفار مكة حين قالوا
ما نعرف الرحمن إلا رحمن
اليمامة (قل هو ربي لا إله
إلا هو عليه توكلت وإليه
متاب) مرجعي (ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال) عن أماكنها
(أو قطعت به الأرض) شققت
(أو كلم به الموتى) أحيوا
(بل لله الأمر جميعا) يعني
أن الأمر كله لله (أفلم ييأس
الذين آمنوا أن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا) يعني
أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو
يشاء الله لهدى الناس جميعا
(ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة)
داهية تقرعهم (أو تحل قريبا
من دارهم) يعني أنت يا محمد
(حتى يأتي وعد الله) فتحل
بهم (إن الله لا يخلف
الميعاد) (ولقد استهزئ
برسل من قبلك فأمليت
للذين كفروا ثم أخذتهم)
بالعقوبة (فكيف كان عقاب)
أي هو واقع بهم (أفمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت)
من خير وشر (وجعلوا لله
شركاء قل سموهم) بينوا لنا
من هم (أم تنبئونه بما لا
يعلم في الأرض) يعني أن
الشركاء لا تستحق العبادة
لأنها لا تعلم شيئا (أم بظاهر
من القول) بل تقولون بظاهر
من القول بألسنتكم من غير
حقيقة (بل زين للذين كفروا
مكرهم) بالشرك (وصدوا عن
السبيل) عن الإيمان (ومن
يضلل الله فما له من هاد)
(لهم عذاب في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق) أشد
(وما لهم من الله من واق)
مانع يمنعهم من عذاب الله
(مثل الجنة التي وعد المتقون)
صفة الجنة التي وعد المتقون
(تجري من تحتها الأنهار)
أي ماؤها لا ينقطع (أكلها
دائم) لا ينقطع (وظلها)
لا تنسخه الشمس بل هو ظل
ممدود (تلك عقبى الذين
اتقوا وعقبى الكافرين النار)
(والذين آتيناهم الكتاب)
يعني مؤمني أهل الكتاب
(يفرحون بما أنزل إليك)
وهم عبد الله بن سلام وأصحابه
(ومن الأحزاب) يعني اليهود
والنصارى (من ينكر بعضه)
يعني ما خالف كتابهم (قل
إنما أمرت أن أعبد الله ولا
أشرك به إليه أدعو وإليه
مآب) مرجعي (وكذلك أنزلناه
حكما عربيا) يعني القرآن
(ولئن اتبعت أهواءهم بعد
ما جاءك من العلم) يعني
القرآن (ما لك من الله من
ولي ولا واق) (ولقد أرسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية) يعني النساء
والأولاد (وما كان لرسول أن
يأتي بآية إلا بإذن الله)
يعني ما كان لرسول أن يأتي
بآية من تلقاء نفسه (لكل
أجل كتاب) يعني لكل وقت
أمر من الله (يمحو الله ما
يشاء ويثبت) يعني ينسخ ما
يشاء ويثبت ما يشاء (وعنده
أم الكتاب) يعني اللوح
المحفوظ (وإن ما نرينك بعض
الذي نعدهم) من العذاب
(أو نتوفينك) قبل أن نريك
(فإنما عليك البلاغ) يعني
التبليغ (وعلينا الحساب)
المجازاة (أولم يروا أنا
نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها) يعني أولم يروا
أنا نفتح على محمد صلى الله
عليه وسلم أرض الكفار بعد
أرض (والله يحكم لا معقب
لحكمه) لا راد لقضائه
(وهو سريع الحساب) يعني
أن حسابه سريع (وقد مكر
الذين من قبلهم) يعني كفار
الأمم الخالية (فلله المكر
جميعا) يعني أن مكرهم لا
يضر إلا أنفسهم (يعلم ما
تكسب كل نفس) من خير وشر
(وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار) يعني العاقبة المحمودة
في الآخرة (ويقول الذين
كفروا لست مرسلا) نزلت في
كفار مكة (قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب) يعني عبد الله
بن سلام وأصحابه

المعمور هذا قول الخمس وقتادة وجمهور المفسرين واختيار الرواية عن ابن عباس والقول الثاني ان
الرؤية ترجع الى المعمد والمعنى انها عمد ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول تأول ان عمدها على
جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء على هذا القول معمودة وذكر مقاتل والرواية
الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح ﴿قوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسير والكلام
عليه في سورة الاعراف عند قوله (وصخر الشمس والقمر) يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما سائران
يجريان على ما ترون (كل يجري لاجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وقال ابن
عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما وهو ان لهما يعني ان ما يجريان في مسار لهما مقدرة حتى ينتهيا
اليها ولا يجاوزانها وقيل معنى ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا جاء الى حد معلوم
مقدار ما خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني ان الله تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
ويحكمه حسب ما سبق به علمه في أكمل الاحوال لا يسأله سائل عن سبب ولا علة لتدبيره الامر بالجد والاتقان
والاحكام والامانة وهذا دليل على كمال القدرة والحكمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره وتدبيره
يحتمل ان يكون راجعا الى الكل ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد منهما (يفصل الآيات) يعني ان الله تعالى
يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع ثلاثة الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات
والارض وما فيهما من الجواهر والاعراض الثاني احوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثالث
الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والمرض بعد الصحة والى غير ذلك من
أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعني ان
تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا بالبعث والنشور فتعملوا للموت لان
من قدر على احداث الانسان بعد عدمه قادر على اعادته بعد موته (وهو الذي مد الارض) ان العلم وبعض
حروف العربية والله هو الكريم السميع العليم الحكيم وقال الله تعالى ما قدروا الله حق قدره يعني ما علموا
﴿قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) اشار بذكر الدلائل الى الله الذي وحدانيته وبالقدرة وهي رفع السموات
بغير عمد وقد ذكر احوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل في قدرته تعالى وهو الذي مد الارض اي
بسطها على وجه الماء وقيل على ظهر الحوت الذي تحتها من تحت الثرى وهذا اذا ثبت ان الارض
مستحدثة كالاكساء وعلى هذا ان الله تعالى ابتدأ خلق الارض من الكعبة ثم مكة ثم دحا الارض من تحتها
فمدها وكل طحا فهو مدحو كالسطيح والكور لما ثبت ان الحج وقع ذلك بقاء الله تعالى مدحوة الارض
ودحاها وكل ذلك دليل على السماع والله تعالى اعلم (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة
قال ابن عباس كانت الارض تميد تحت أهلها فلما خلق الجبال (انهارا) يعني وجعل في الارض انهارا
الماء الحلو (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين مختلفين (يغشى الليل النهار) يعني
يلبس الليل النهار فيجعل الليل مكان النهار والنهار مكان الليل (ان في ذلك) يعني فيما ذكرت من هذه الاشياء
(لآيات) دلالات (لقوم يتفكرون) يعني في صنع الله تعالى فيعلموا انه لا يعجزه شيء (وفي الارض قطع متجاورات)
يعني بقاعا مختلفة بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها صلبة وبعضها رخوة (وجنات من أعناب) يعني بساتين
(وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) الصنوان النخلات يخرج أصولها من منبت واحد والصنو المثل والغير
المختلف (يسقى بماء واحد) يعني ان هذه الاشياء كلها تسقى بماء واحد (ونفضل بعضها على بعض في الاكل)
يعني في الطعم فبعضها حلو وبعضها حامض وبعضها مر وبعضها عفص وبعضها لذيذ وبعضها غير لذيذ
(ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعني ان في هذه الاشياء لعلامات لقوم يعقلون ان هذه الاشياء لا تكون
الا بصانع حكيم قادر (وفي الارض قطع متجاورات) يعني بقاعا مختلفة بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها صلبة وبعضها رخوة (وجنات)

تحملي انه صفة لمحمد
آي بمحمد رعد مبرة ه (ثم
استوى على العرش)
اسـ ولي بالاقدار وهو
السلطان (وسخر الشمس
والقمر) لمنافع عباده
ومصالح بلاده (كل يجري
لاجل مسمى) وهو انصاله
الى (يدبر الامر) امر
ملكوته روز ه (يفصل
الآيات) بين آياته في كتبه
المنزله (لعلكم لقاء ربكم
توقنون) لعلكم توقنون بان
هذا التدبير والمفصل لا بد لكم
من الرجوع اليه (وهو
الذي مد الارض) بسطها
(وجعل فيها رواسي) الا
راسيات (وانهارا) جاري
(ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) اي الا
والاسود والاحمر والاخضر وما
وانثى وغير ذلك (يغشى الليل النهار)
مكانه ويكسوه ظلمته كما
والنهار الليل
(ان في ذلك
لقوم يتفكرون) في
(وفي الارض
واوديه) يجاور
بعضها بعضا
الى
وهذا الى
(وجنات

وأعناب وغير ذلك مما يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) في الطعم والجودة وغيرها (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الله سبحانه وتعالى اختلاف الطعوم في أشجارها وأثمارها وألوانها وأزهارها باختلاف الطعام في أشجارها وأزهارها وثمارها (وإن ربك) يا محمد من قولهم في إنكار البعث (لهو) حتم وهو رد لما أي قولهم حق وهو أن يعيدهم الله بعد الموت (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالكفر والمعاصي (وإن ربك لشديد العقاب) لمن أصر على الكفر والظلم (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) أي ألا يخافون الله بالكفر والمعاصي (قال رب إني أخاف أن يكذبون) أي يكذبوني (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) بالعبارة عما أريد (فأرسل إلى هارون) ليكون معي (ولهم علي ذنب) أي قتل القبطي (فأخاف أن يقتلون) به (قال كلا) أي لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا) التسع (إنا معكم مستمعون) لما يقولون ويقال لهما ذلك وهما غائبان عنه لأنه علم أنه يجيبه إلى ما سأله (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل) فأرسلهما معه (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) أي قتلك القبطي (وأنت من الكافرين) لنعمتنا عليك بتربيتك (قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) عن الصواب (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) نبوة (وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) أي اتخذتهم عبيدا (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) أنه ربكم (قال لمن حوله ألا تستمعون) لما يقول (قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى فأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما وعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعني المصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) اي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصا موسى وناقة صالح ونحو ذلك لانهم لم يسمعوا بآية أو من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أي ليس عليك الا انذارهم وليس عليك الآيات التي سألوا (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهو أول من سمى به وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك الانذار والله هو الهادي هو الذي يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنا هاد وقال الحسن وقتادة والسدي ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو العائد الى الخير لا الى الشر ﴿ قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل انثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات اخبرهم الله عز وجل عن عظم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير تغيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فنقص الولد واذا لم تحض ازداد الولد وتمها فالغيض نقصان حمله الولد تخرج الدم والزيادة تمام حمله بما سال الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقتها نقص الحمل وازداد مدة الحمل حتى يستكمل تسعة اشهر طاهرة وان حبسته أياما ذهابا وصفوا لتسعة اشهر وحبسته أياما قال الغيض في العدد اعتراد في مدة الحمل وقيل الغيض السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن تغيض ما تسقطه لتسعة اشهر والزيادة ما ولدته على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وولد لتمامه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة رضي الله عنها وقال أبو حنيفة رحمه الله اكثر مدة الحمل سنة وقال الشافعي رضي الله عنه اربع سنين وقال مالك رحمه الله خمس سنين (وكل شيء عنده بمقدار) يعني بقدر لا تجاوز ولا تقصر وقيل انه تعالى علم كل شيء وكونه على اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل جماد بما اقتضته حكمته وسبقت به ارادته وقدره الذي لا يدرك بعقل (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه مما شاهدوه وما سيفعلونه والغيب ما لم يشاهدوه وما سيوجد وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما وقع عليه الحس (الكبير) اي العظيم الذي يستصغر كل كبير بالاضافة اليه (المتعال) عن صفات المخلوقين وقيل هو بمعنى كبير قدره وقيل هو الذي له العلو على كل شيء بالقهر والقدرة (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) اي سواء عنده منكم من اخفى القول او اظهره (ومن هو مستخف بالليل) اي مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) اي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا للسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق

والى حيث عند مالك وسربه اي علم عمل كل انثى وما تغيض الارحام وازدادها (وكل شيء عنده بمقدار) مقدر محدد لا تجاوز ولا تقصر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) الجليل (المتعال) على كل شيء بقدرته الذي كبر عن صفة المخلوقين وتعالى عن ذلك علوا كبيرا (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) (ومن هو مستخف) (وسارب)

مع ظلمهم أنفسهم بالله لو وحدوه الحال أي مشابين لانفسهم قال ابن عباس يعني المؤمنين وهي اربع آيات في الفرقان ثم نسخ القتال بآية السيف وهي قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل بل هي على العموم في المؤمنين والكافرين ثم نسخ منها ما نسخ وبقي ما بقي (وان ربك لشديد العقاب) يعني على الكافرين أو هما جميعا على المؤمنين لتكميل ما يستحقونه من الثواب بالصبر على الشدائد والمحن ﴿ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) اي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصا موسى وناقة صالح ونحوذلك لانهم لم يسمعوا بآية أو من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أي ليس عليك الا انذارهم وليس عليك الآيات التي سألوا (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك الانذار والله هو الهادي هو الذي يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنا هاد وقال الحسن وقتادة والسدي ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو العائد الى الخير لا الى الشر ﴿ قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل انثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات اخبرهم الله عز وجل عن عظم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني ذكرا أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير تغيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فنقص الولد واذا لم تحض ازداد الولد وتمها فالغيض نقصان حمله الولد تخرج الدم والزيادة تمام حمله بما سال الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقتها نقص الحمل وازداد مدة الحمل حتى يستكمل تسعة اشهر طاهرة وان حبسته أياما ذهابا وصفوا لتسعة اشهر وحبسته أياما قال الغيض في العدد اعتراد في مدة الحمل وقيل الغيض السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن تغيض ما تسقطه لتسعة اشهر والزيادة ما ولدته على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وولد لتمامه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة رضي الله عنها وقال أبو حنيفة رحمه الله اكثر مدة الحمل سنة وقال الشافعي رضي الله عنه اربع سنين وقال مالك رحمه الله خمس سنين (وكل شيء عنده بمقدار) يعني بقدر لا تجاوز ولا تقصر وقيل انه تعالى علم كل شيء وكونه على اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل جماد بما اقتضته حكمته وسبقت به ارادته وقدره الذي لا يدرك بعقل (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه مما شاهدوه وما سيفعلونه والغيب ما لم يشاهدوه وما سيوجد وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما وقع عليه الحس (الكبير) اي العظيم الذي يستصغر كل كبير بالاضافة اليه (المتعال) عن صفات المخلوقين وقيل هو بمعنى كبير قدره وقيل هو الذي له العلو على كل شيء بالقهر والقدرة (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) اي سواء عنده منكم من اخفى القول او اظهره وقيل معناه انه عدل (ومن هو مستخف بالليل) اي مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) اي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا للسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق

أنت منذر) انما أنت رسول أرسلت منذرا لهم من سوء العاقبة وما عليك الا الانذار فقد فعلت كما فعل من الرسل وما عليك الا الانذار فقد فعلت كما فعل من الرسل وما عليك الا الانذار فقد فعلت كما فعل من الرسل

بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فعل أربد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وشبانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عسى الله من ذلك وابنه فأنزل الله يريد الأوس والخزرج وقيل عامر بن الطفيل أصبح صم السلاحه خرج له خراج في أصل أذنه أشد من مثل الطاعون فمات في بيت سلولية فلما أصبح صم السلاحه ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول أدب بأمثال الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أنصرف سالما لأصرفن محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لا عدم ما يحيى فأرسل الله عليه ما كالطعنة فأدرك في البراجم عاد فركب حواده حتى مات على ظهره وأحاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فشأن الطعن وأربد بن قيس بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء حكم أمر الرعد وبرقه وما يصيب به من يشاء من خلقه يعني من حلقه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل ان ملائكة الحفظ يأتون من أمر الله وقيل معقبات من أمر الله هذا مقدم وأخر معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لا يصيبونه بسوء إلا ما قد سبق في علمي أن أصيبه به وقوله ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم ﴾ حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني من الحالة الجميلة وهي عصيانهم ربهم وتحويلهم نعمة علمهم فيما بينهم وهو قوله تعالى (وإذا أراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أراد الله بهم من عذاب وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم ﴿ قوله عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما وصف الله عز وجل عباده قوله وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يستدل به على أن من قدر على العذاب من وجه قال تعالى هو الذي يعني هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان نور من حافات السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الأول أن عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق تضرر بالمطر كالمسافر ويرجى به منفعة وهي درة الثمر الرابع الخصب وتحول ذلك ويطمع فيه الخامس في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه السادس أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه ووقته ويطمع فيه إذا كان في مكانه ووقته فإن من السلامة إذا قارب السحاب رأى المطر خاف وطمع (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله سحابا أي أوجدها والسحاب جمع سحابة والسحاب عن ابن الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب العنان وهما واحد كل واحد منهما يقال له سحاب لحملهما الماء وهو الحامل من الماء وأصل السحب الجر ومنه سحاب الريح لأنه يجر الريح أولا يجر ذيله في السير (ويسبح الرعد بحمده) ذكر المفسرون على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وورد على هذا القول ما يطابقه وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون المعطوف عليه غير الرعد فيما ليس من الملائكة وإنما أفرد بالذكر لشرفه على غيره من الملائكة وهو قول ابن عباس وقيل إن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فقالوا صدقت يا أبا القاسم فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت فما هذا الذي نسمع معه قال صوت مخاريقه بالسحاب يزجرها ويسوقها حتى تنتهي إلى حيث أمرت وهي إلى الأصل يوجب تفسير الصوت المسموع منه بتسبيح الرعد وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وغيرهم من المفسرين وقال أبو بكر الوراق الرعد ملك يزجر السحاب بصوته والبرق ضربه بمخراق من نار وقال كعب الأحبار الرعد ملك اسمه الرعد وكل به السحاب قال ابن عباس الرعد اسم من أسماء الله تعالى وقال سعيد بن جبير الرعد ملك يسبح الرعد تسبيحه والبرق ملك يسوق السحاب وهو قول كل من جعل الرعد ملكا وقال ابن عباس الرعد ملك يزجر السحاب والبرق ملك يسوق السحاب وقال ابن عباس الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه سياط من نار يزجر بها السحاب فإذا زجرها صوت والبرق ما يرى من ضربه بالسياط وقال ابن عباس الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب وبيده ثلاث مخاريق من نار فإذا ضرب بواحدة منها تفرق السحاب وقال ابن عباس الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب وبيده ثلاث مخاريق من نار فإذا ضرب بواحدة منها تفرق السحاب وقال ابن عباس الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب وبيده ثلاث مخاريق من نار فإذا ضرب بواحدة منها تفرق السحاب وقال ابن عباس الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب وبيده ثلاث مخاريق من نار فإذا ضرب بواحدة منها تفرق السحاب

(الآية ١٣ ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (وإذا أراد الله بقوم سوءا) عذابا (فلا مرد له) فلا دفع له (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من ولي أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) نصب على الحال من البرق كأنه ذو خوف وذو طمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين والمعنى يخاف منه وقوع الصواعق ويطمع في الخير والمطر قال أبو الطيب

وفي كالسحاب الخود يمشي ويرتمي
ويرجى إذا سار ويخشى إذا رسا
بما في بطون الصواعق

السحاب المطر من الله ويخاف منه كما يخاف المطر من الله ويخاف منه كما يخاف المطر من الله ويخاف منه كما يخاف

يقول لو ان عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى حميد عن الصحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان صوت الماء في قربه بفيه وانه سبح الله فاذا سمع الناس ملك في السماء الارض صوته بما سمع عند ذلك المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد سمع الله عز وجل لان السمع والتقديس له دون سمع غيره الله عز وجل عن سمع العباس ووجود هذا الصوت مسموع من الرعد وجنوده دال على وجودهم وجود خالق فاعل معالم على جميع الخلائق وان لم يكن ذلك في الحقيقة سمعا ومسموعا وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده يدل المراد من يسبح الرعد أن من سمعه سبح الله فهذا المعنى أصيب الا يسبح الا سمعه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهذا يدل على ان المراد بهذه الملائكة هو السحاب حمل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أو ناس من الملائكة وهم حاملون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم سبح الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق يعرب من نصه وقيل هي الصوت الشديد الأول من الخوف يكون منه نار أو عذاب أو موت وهي في الجاهلية واحدة هذه الأسماء الثلاثة بأسمائها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلكهم كما أصاب أربد بن ربيعة فقال مجد الدين الصاعقة نصف المسلم عند المسلم ولا نصف الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المعاوضة على سبيل المقابلة والمعارضة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله وقيل نزلت في سأل أربد بن ربيعة أخا لبيد لما دعاهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال أربد لعامر أنا أشغل محمدا عنك بالكلام فاضربه بالسيف فان قتلتني فلك ألف من الذهب وان قتلته فلك ألف من الفضة فما لنا أن نقتله يا عامر فقال لا يحل لنا قتله حتى نعلم أنه نبي فنؤمن به أو ملك فنكون من أعوانه فقال أربد أنا أشغله عنك بالكلام فاقبل عامر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قم معي أكلمك فقال لا حتى تؤمن بالله وحده

الكفار فى دعوة الحق فيما يجهلون لبعده أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة فلانية الحق مختصة به وانها معزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى ندب فى يستجب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كان مصطفيه فكذلك دعوته فلانية الحق لكونه حقيقا بأن توجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف دعوة الأصنام فانها لا تنفع ولا تجدى فترد دعاءه الى ان تضاف الى الباطل الذى هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت أما على قصد أن يرد ظاهرا لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فأجيب منهما وكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه دعاءه أن دعاءهم وهو لى معنى الآية الدعاء الاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعنى والذين يدعوهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التى يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشىء) يعنى لا يجيبونهم بشىء من طلباتهم أو دفع ضرر ان دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعنى الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا شعور له فكذلك ما يدعونه من دون الله جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل سهم فى قوله تعالى وكذلك ما يدعونه

(والخضوع وقيل الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ﴿وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وهو الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشي والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الرجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا بد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما يسجدون بها وتخشع كما يحمل للجبال افهاما حتى سجدت لله مع داود وهو سجود الظلال سلامها ما ساب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وانخفاضها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فدخل وسطه فيما ذكرهما

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفيها سن للقاري والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم ﴿قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومدبرهما وخالقهما فان قالوا الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيهما والارض وما فيها فاذا قالوا ذلك فقل أفتخذتم من دونه يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والمعنى كيف تعبدون الاصنام مع اقراركم بان الله خالق السموات والارض ومدبرهما ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والموحدين الذين يعبدون الله تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل يستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا يستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما ذكر الاعمى لان الاعمى لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا حيوانا وأرضين وبحارا وجبالا وانهارا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فلما رأوا خلق الله تعالى وخلق شركائهم متشابها فعند ذلك قالوا ان الله خالق كل شيء فكذلك نحن نعبد من شئنا لانا رأينا خالقا ومخلوقا فتشابه الخلق علينا فلهذا عبدنا غير الله فرد الله عليهم هذه الشبهة فقال قل الله خالق كل شيء أي فان لم يعبدوا الله فانهم لا يجدون خالقا غيره فلا يعبدون غيره لان الخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق الذي لا يخلق شيئا ثم ضرب مثلا آخر للمؤمن والكافر فقال (هل يستوي الاعمى والبصير) لا يستوي المؤمن والكافر (أم هل تستوي الظلمات والنور) يعني الكفر والايمان (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) يعني ان المشركين لا يجدون شيئا خلقه غير الله حتى يعبدوه فلما لم يجدوا شيئا خلقه غير الله تركوا عبادة الله وعبدوا ما لا يخلق شيئا ولا يضر ولا ينفع فقال الله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا وهو الله تعالى (وهو الواحد القهار) يعني الله تعالى هو الواحد المستحق للالهية وكل ما سواه مخلوق له مربوب له ﴿قوله

(أم جعلوا لله شركاء) معطوف على من يخلق (والآصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر والمغرب (طوعا وكرها) حال من الظل أي ينقاد كرها وهو كاره (وظلالهم بالغدو والآصال) كذلك (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) الآية (قل من رب السموات والارض قل الله) فان أبوا أن يقولوا الله فقل أفاتخذتم من دونه أولياء) أفبعد أن علموا أن رب السموات والارض الخ (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن يعبدوها أو يدعوا ضرر عبادتها كما يستطيعه لعابديهم وقد أشركوهم على الخالق الرازق القادر المعاقب فما أسفه صلالكم (قل هل يستوي الاعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن أم لا يستوي (أم هل تستوي الظلمات والنور) مثل الكفر والايمان (أم جعلوا لله شركاء) أي جعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) حال أي خلقوا كخلقه (فتشابه الخلق عليهم) قل الله خالق كل شيء أي فان لم يعبدوا الله فانهم لا يجدون خالقا غيره فلا يعبدون غيره لان المستحق للعبادة هو الخالق لا المخلوق (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

عز وجل (أنزل من السماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع وادٍ وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف للدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن عباس بقدر الكثير بقدره والقليل بقدره فاحتمل السيل زبدا مثل زبد الماء وربما كثر أودية لأن المطر إذا نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد ولهذا السبب جعل الماء كثيرا وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا فوصفه بالنزول كما وصفه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب سمي نزول القرآن الجامع للهدى والنور والماء ينزل المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وسمى القلوب بالأودية لأن الأودية تسكن فيها الماء وكذلك القلوب يسكن فيها الإيمان والعرفان بركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فالمراد به العشب الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها أجادب الجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم تسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أجادب بالحاء المعجمة والدال المهملة جمع أجدر وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله وروعوا كذا هو في صحيح مسلم من الري ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بدل وروا من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الأرض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور ويروى بكسرها ومعنى الفقه هنا الفهم للأحكام وإنما سمي الحديث ومقصوده فقها لأن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب له المثل ليعلم به الهدى والعلم بالأرض التي أصابها المطر قال العلماء والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا فالنوع الأول من أنواع الأرض الطيبة التي يقبل المطر فينبت العشب والكلأ الكثير فينتفع الناس به ويسقون ويزرعون منه وتصيب منه طائفة أخرى النوع الثاني من الأرض الصلبة التي تمسك الماء فينتفع الناس بها فيسقون منها ويسقون أنعامهم ويتخذون منها الآبار والحياض والصهاريج ويسقون منها الزروع على القرب من هذه الأرض والبعد منها وهذا نفع عام للناس وكذلك النوع الثالث من الأرض الأجادب التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فإذا أصابها الماء انتفع الناس بها في الشرب وسقي الزروع وغير ذلك من وجوه الانتفاع فهذه ثلاثة أنواع من الأرض ظاهرة وهي مثل ثلاثة أنواع من الناس النوع الأول الذي يقبل العلم ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره وهو مع هذا يروي حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدث به كالأجادب لأن الناس انتفعوا به كما انتفعوا بالماء الذي أمسكته الأجادب فشربوا منه وسقوا ورعوا والنوع الثاني من الأرض الصلبة التي تمسك الماء ولا تنبت الكلأ مثل النوع الثاني من الناس الذين يحفظون العلم ويحفظون الحديث ولا يعملون به ولا يتفقهون في معانيه ولا يستنبطون منه ولا يعلمونه غيرهم ولا يحدثون به فانتفع بهم الناس كما انتفعوا بالأجادب فشربوا منها وسقوا ورعوا والنوع الثالث من الأرض القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ مثل النوع الثالث من الناس الذين لم يقبلوا العلم ولم يحفظوا الحديث ولم ينتفع بهم أحد كالقيعان والله أعلم ﴿وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الغليان وكذلك ما علا على القدر فعلاها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعني عاليا من فوق الماء وهو اسم الشيء مما ذكر قال تعالى (ومما يوقدون عليه في النار) الآية فاحتمل الخطاب الناس الذين يوقدون (ابتغاء حلية) يعني لطلب ما يتحلون به يعود على الذهب والفضة وإن لم يكونا مذكورين لأن الخبر يطلب الاثنين معا (أو متاع) يعني

(أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع وادٍ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء سمي بذلك لأنه يأتي الأعلى طريق الماء ويتسع فسيل بعض أودية الأرض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للمعمور عليهم عمرانهم (فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علا مرتفعا على وجه السيل (ومما يوقدون عليه) والماء كوفي غير أبي بكر وس لا زباه العامة أي وسببه أن يوقد النار على الماء أولا فيصير أي ويصعدوا (في النار) حال من الضمير في عليه أي ومما يوقدون عليه النار حال كونه مستقرا في النار (ابتغاء حلية) مفعول له وهو مصدر موضع الحال من الضمير في يوقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص وما ينتفع به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أي زبد من الذهب والفضة

(زبدا) حملته وهو مبتدأ (مثله) خبره والمرفوعات خبره أي لهذا القرآن إذا أنطقه بمثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي مستلبا سواد وهو ما تقذفه المرجل عند الغليان والحر عند الطبخ والخبث الرمي وحموت الرجل صرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والأواني (فيمكث في الأرض) فيسقي الماشية والحبوب والشجر وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) أظهر الحق من الباطل وفي هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه مثل الحق وأهله بالماء الذي نزل من السماء فسال به أودية الناس فحملوه وحملهم بأنواع انتفاعهم والنار التي يصهرون به في صوغ الحلي منه (٥٨) واتخاذ الأواني والآلات المختلفات وذلك مما يكث في الأرض بأن يعلوه ظاهرا يسيب الماء في مسايله وكذلك الجواهر تبقى في أرضه مستقرة والباطل وشبهه الباطل في سرعة اضمحلاله وسلب نوائله مثل السيل الذي يرمي به ومثل الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب فالحق هو الجوهر الصافي من الماء والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو مثل الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني صائعا ماطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد إلى جوانبه وقال الفراء يقال جفأ الريح العشب إذا قلعه وذهب به والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الخالص من هذه الأجسام التي تذاب (فيمكث في الأرض) يعني يستقر في الأرض ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل المعاني والمعنى في هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وإن تتابع الحق في بعض الأوقات والأحوال فإن الله تعالى يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد وهي الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصوص هذه الجواهر تبقى وتذهب الخبث الذي هو الكدر وهو ما لا ينتفع به كما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وإن علا في وقت فإنه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو مثل للمؤمن والكافر عمله كالماء الذي ينتفع به وأما الكافر فعمله كالزبد الذي لا ينتفع به والذي يحصل في قلوب العباد من العلم لهما قسم لهما الأول لأن الوادي إذا سال كنس كل شيء من الحصباء والمدر فذهب كذلك إذا سال وادي قلب العبد والوادي قسم له على قدر إنائه ومعرفته كنس كل طامة وعلقه وهو قوله وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس يعني يمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الأخلاق المذمومة وفي الحكاية وهي الأخلاق الجيدة كذلك يضرب الله الأمثال ﴿قوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) أي للإقرار بالربوبية ضرب هذا المثل وهو قوله كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمن والكافر فالذين استجابوا لربهم الحسنى يعني أجابوا إلى ما دعاهم إليه من توحيده والإيمان به ورسوله والكافرين الذين لم يستجيبوا لربهم هذا كقوله كذلك يضرب الله الأمثال أي مثل ما ضرب للمؤمن والكافر ضرب مثل هذا المثل للمهتدي والضال وقوله كذلك يضرب الله الأمثال أي مثل ما ضرب أمر الله أمر الحق والباطل (ثم الحسنى قال ابن عباس ومجاهد والمفسرون هي الجنة وقال الحسن هي الفدية العلمي في الحسنى وهي المعونة والصلة على سواء الصبر والانطلاق (للذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين ماتوا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لو أن لكل كافر كل ما في الأرض من صنوف الأموال (أولئك لهم سوء الحساب) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم هم الذين لا يقبل منهم من عذاب الآخرة يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا (لهم سوء الحساب)

أولئك لهم عذاب جهنم وبئس المهاد ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب

لك الجواهر أصلها أداة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرمي والمثل والمثل والكسلي والملاحي قال (للذين استجابوا) أي أجابوا إلى ما دعاهم إليه صلى الله عليه وسلم (الحسنى) يعني ما وعدهم الله على الإيمان به وطاعته (والذين لم يستجيبوا له) أي وللإيمان به (لو أن لهم ما في الأرض جميعا) كلام مبتدأ ذكر ما أعد الله للكافرين أي لو أن لكل كافر ما في الأرض جميعا (ومثله معه لافتدوا به) أي لو أن لكل كافر ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدى به من عذاب الآخرة يوم القيامة (أولئك لهم سوء الحساب) يعني أن الكافرين لا يقبل منهم يوم القيامة حسنة ولا يتجاوز عن سيئة بل يؤاخذون بكل ما عملوا من خير وشر ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) نزلت في حمزة وأبي جهل يعني أفمن علم أن ما أنزل الله إليك هو الحق كمن هو أعمى عن الحق لا يعلمه ولا يعقله (إنما يتذكر أولوا الألباب) يعني إنما يتعظ بالقرآن ويعتبر به أولوا العقول (الذين يوفون بعهد الله) يعني بما عهد إليهم في الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا ينقضون الميثاق) الذي أخذ عليهم في الكتاب (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) يعني صلة الرحم وقيل جميع الطاعات (ويخشون ربهم) في قطيعة الرحم (ويخافون سوء الحساب) أن لا يقبل منهم حسناتهم ويؤاخذون بسيئاتهم (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) يعني صبروا على أمر الله ابتغاء وجه ربهم (وأقاموا الصلاة) المكتوبة بحدودها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يعني في الزكاة المفروضة (ويدرءون بالحسنة السيئة) يعني يدفعون بالعمل الصالح الذنب السيء وقيل يدفعون بالصبر الأذى وبالعفو الجهل وبالإحسان الإساءة وبالسكوت عن الباطل (أولئك لهم عقبى الدار) يعني العاقبة المحمودة في الآخرة (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني من آمن منهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) يعني الجنة (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) يعني ما عهد إليهم في الكتاب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني صلة الرحم (ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) يعني النار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني كفار مكة (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) يعني ما متاع الدنيا في جنب الآخرة إلا قليل (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل عليه آية مثل آيات موسى وعيسى (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) يعني من رجع إلى الله وتاب (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني المؤمنين تسكن قلوبهم إلى ذكر الله وقيل إلى وعد الله وقيل إلى القرآن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) أي خير لهم وقيل هو اسم الجنة بالحبشية وقيل بالهندية وقيل بالرومية وقيل بالعربية وقيل طوبى فعلى من الطيب أي طيب العيش لهم وقيل غبطة لهم وقيل قرة عين لهم (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن) نزلت في كفار مكة حين قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعني مسيلمة الكذاب (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) يعني توبتي (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) نزلت في كفار مكة حين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسير جبال مكة عنهم ليتسع لهم المكان وأن يفجر لهم الأرض عيونا وأن يكلمهم الموتى فيخبروهم بصدقه فأنزل الله تعالى (بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان

قال ابراهيم النخعي سوء الحساب أن تحاسب الرجل بذنبه كله ولا يعفو له منه شيء (ومأواهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهدوا لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش فرشوا لهم في جهنم ﴿قوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق) يعني وفق به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعني أعمى القلب لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالأول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يستبصر الحق ويعمل به ومن لا يستبصر الحق ولا يعمل به وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدي لرشد ولا موضع في مصالحه وكذلك الكافر والجاهل لا يهتدي لرشد ولا صواب في المهلكة (إنما يتذكر أولوا الألباب) يعني إنما يتعظ ويعتبر أولوا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يسمعون المواعظ والأذكار ﴿قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذين عاهدهم على ما هو اللائق بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والمراد بالعهد ما أخذه على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) أي لا يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس رضي الله عنهما يجمع الآية أن يصل كل رحم منهم بالإيمان لا يفرق بين أحد منهم والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أخرجه أبو داود والترمذي (ن) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد من صلة الرحم أن يسعى في أدائها وإن سأله في أدائها صل رحمه صلة الرحم تعم الأهل والأقارب الإحسان إليهم وصدقة التطوع وأن يسعى في أداء الأمانة إلى الأجنبي أيضا لأنه يتسع لها وسعها ومعنى يسأل يوجز والمراد به أحد الأجلين وهو على وجهين أحدهما أن يكون الله تعالى قد علم في عمره كما سيأتي والثاني أن يريد في عمره بالبركة بسبب فعل ما يسأله (ن) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (ح) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر رواه الترمذي ﴿قوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وقيامهم بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما تكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس عما أمر الله به وقال الخطابي على المصائب والبأساء وقيل صبروا على الفقر والمرض وقيل على الجهاد وقيل على ترك المعاصي والصبر على ما ورد به الشرع أولى ليدخل فيه جميع الأنواع (ابتغاء وجه ربهم) أي طلب رضاه لا لغرض من أغراض الدنيا (وأقاموا الصلاة) أي أدوها بحدودها وشروطها في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي في الفرض والنفل (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالحسنة السيئة فيقابلون الإساءة بالإحسان والجهل بالحلم والمنكر بالمعروف والغيبة بالصمت عن الفحش والأذى بالصفح وقيل يدفعون بالعمل الصالح عمل السيئة فيمحوها وقيل يدفعون بالموعظة الحسنة من سمعها من المؤمنين وقيل يدفعون بالسلام من حاول سفاهة منهم وقيل يدفعون بالصبر من آذاهم وقيل يدفعون بالعفو عمن ظلمهم وقيل يدفعون بالتوبة من الذنوب (أولئك لهم عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الآخرة (جنات عدن) بدل من العقبى والعدن الإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) أي يدخل الجنات (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي ومن آمن منهم وعمل صالحا فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى وما ألتناهم من عملهم من شيء قيل إن المؤمن يرفع الله درجة أهله وولده إذا كانوا على درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل تكرمة له وإزالة لوحشته بهم فلا ينقص ذلك من درجات المطيعين شيئا (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) أي يدخلون عليهم من أبواب منازلهم وقصورهم للتهنئة بما أعطاهم الله تعالى من الكرامة (سلام عليكم بما صبرتم) أي يقولون سلام عليكم بما صبرتم في الدنيا على طاعة الله وعن المعاصي (فنعم عقبى الدار) أي الجنة ﴿قوله تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) أي من بعد توكيده بالإيمان والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات وقيل من الإيمان بالأنبياء والكتب (ويفسدون في الأرض) بالكفر والمعاصي وقيل بقطع الطريق وقيل بالظلم والجور (أولئك لهم اللعنة) أي البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) أي النار

(وما واهم جهنم) ومرجعهم بعد الحساب النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمراد الموطن شبه حالهم في الآخرة بحال من يطأ الفراش الوثير (أفمن يعلم) الإنكار أن تقع سهما بعد ما ضرب المثل في أب حال من يعلم (أنما أنزل إليك من ربك الحق) حاصل

كمن هو أعمى) كعدم ما بين الزيد والماء والحدث والأثر (إنما يتذكر أولوا الألباب) أي الذين عملوا على مقتضى عقولهم وفكروا واعتبروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كرره والذين يصلون ما أمر الله به أولئك لهم اللعنة وسوء الدار هو الأول بعينه لأن الأول هو وصف الذين يوفون بعهد الله وهذا وصف الذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه وهو ضد الأول والثاني أوجه وعهد الله ما عهد على أنفسهم من الإيمان به وبرسله وما ألزموا به أنفسهم بالإقرار والميثاق الذي أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وقيل (لا ينقضون الميثاق) ما أقروا به على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وبجميع من أمر الله بالإيمان به من الأنبياء والكتب (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات وقيل هو صلة جميع ما أمر الله به أن يوصل ورأيته صلى الله عليه وسلم وفرا ما لزمه من الحقوق بسبب الإيمان فالمؤمن يراعي جميع الحقوق التي أمر الله بها ويؤدي الواجب عليه من الإحسان إليهم على حسب الطاقة ويصبر على أذاهم ويعفو عن زلاتهم ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة وقيل هم أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل هم المؤمنون عامة (ويخشون ربهم) أي يخافون الله في قطيعة الرحم (ويخافون سوء الحساب) أي يخافون المناقشة في الحساب والاستقصاء فيه بحيث لا يغفر منه شيء (والذين صبروا) أي على أوامر الله فلم يعصوه ولم يرتكبوا ما نهاهم عنه (ابتغاء وجه ربهم) أي طلبا لرضاه لا لغرض من أغراض الدنيا (وأقاموا الصلاة) أي أدوها بحدودها وشروطها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي في الفرض والنفل (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالحسنة السيئة فيقابلون الإساءة بالإحسان والجهل بالحلم والمنكر بالمعروف والغيبة بالصمت عن الفحش والأذى بالصفح وقيل يدفعون بالعمل الصالح عمل السيئة فيمحوها وقيل يدفعون بالموعظة الحسنة من سمعها من المؤمنين وقيل يدفعون بالسلام من حاول سفاهة منهم وقيل يدفعون بالصبر من آذاهم وقيل يدفعون بالعفو عمن ظلمهم وقيل يدفعون بالتوبة من الذنوب (أولئك لهم عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الآخرة (جنات عدن) بدل من العقبى والعدن الإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) أي يدخل الجنات (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) لأن الدرجة تعم في الأول الصغير والكبير وهو الإنسان قد يرتفع بما أكمل

صبره وأشد قوته على ما تحمل من الشدائد وقد تصبر لا بعاب على الحزع وقد تصبر لا تشمئز به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله اعانوا حمر وهم لانهم المغفرة الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى وراضيا بما نزل به من الله طالبا بذلك الصبر ثواب الله تعالى أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله اعانوا حمر وهم يعني صبروا على ما نزل بهم بعد ما علموه بقلوبهم وصوابه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وحمل على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها اتمام أركانها وحدودها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهيأ له أداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان منهيا له أداء الزكاة فالاولى أن يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما خرج من الزكاة سرا والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال واتبع السيئة الحسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى النعمان بن بشير عن عمر بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي يعمل السيئات يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خنقته فعمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا كافوب السر بالسر والجهر بالجهر وقال العبي سعيد اذا أساء علنوا أو أساءوا سرا فعلوا السيئة علانية وقال عطاء ردوا على المسيء ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه صفات حلال مسير الى أبواب الجنة فلما أخبر الله تعالى بسبع خلال فضل انه عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني أولئك هذه الاعمال (لهم عقبى الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الجنان (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي هذه صفتها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل بأعمالهم فالله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينفع بصالح عمل أحد الا بعمله الصالح فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع مرورة بما يراه في أهله في الجنة فيسر بدخولها الجميع هؤلاء يدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي وله تعالى وأزواجهم ليس بمعطوف على الضمير في يدخلونها بل هو مرتفع بفعل مضمر دل عليه الفعل الاول تقديره ويدخل الجنة أزواجهم لما ذكر سبحانه وتعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم ما الاجابة سأله أن لا يعذب أحدا من أهله وهب لهم ما سألوه فأخبر سبحانه وتعالى ان حسرة من حل به أو راحته هو كالدليل على ما ذكرناه ﴿وقوله تعالى﴾ (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال ابن عباس يرفعون له العلم من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم وأصح القولين فيهما لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والسلام فعل ولا يكون القول وحده تاما فقيل هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال معناه ان الملائكة يدخلون عليهم في منازلهم وكل يوم من أيام الدنيا لان مراتب بعضهم أفضل من بعض فالله تعالى يقول سلام عليكم بما صبرتم وروي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية فقال

(سلام عليكم) في رفع الحال اذا معنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبر) ما مصدرية أي بصبركم في هذا الموضع أي هذا الثواب جزاء صبركم في الدنيا أو على أن ما بمعنى الذي أي سلام عليكم بالذي صبرتموه من الاذى في الدنيا

وان كان الطرام ورفاعة ما
(سرا وعلانية) يد اول
الواو اذ لا يتهيأ السر اصل
والفرائض لان الظاهر منها
أفضل لما فيها من التهمة (ويدرؤن
بالحسنة السيئة) ويدفعون
بالحسن من الكلام ما رد
عليهم من سيء عيرهم أو اذا
حرموا أعطوا واذا ظلموا
عفوا واذا قطعوا وصلوا
واذا أذنبوا تابوا واذا
هجروا اتوا واذا رأوا
منكرا أعرضوا عنه وقيل
تمامه أعمال بشر الى
تمامه أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة
الدنيا وهي الجنة لانها الى
أرادها الله أن تكون عاقبة
الدنيا ومرجع أهلها
(جنات عدن) بدل من
عقبى الدار (يدخلونها
ومن صلح) أي آمن (من
آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم) وقرئ صلح
والصحيح ومن في محل
الرفع بالعطف على الضمير
في يدخلونها وساغ ذلك
وان لم يؤكد لان ضمير
المفعول صار فاصلا أو على
الرجاء أن يكون معطوفا
على ضمير وصفهم بالصلاح
لعلم ان الانسان لا ينفع
بعمل غيره والمراد أو كل واحد
منهم فكافة من آبائهم
وأمهاتهم (والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب)
أي عند كل قرن رأيته لانه
مراتب بعضها أعلى من بعض
فالله تعالى يقول سلام عليكم بما صبرتم وروي أن عمر رضي الله عنه قرأ أيما

أمامه موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماط من خدم وعند طرف السماط الف مستوبين فيقبل الملك من الملائكة فيستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك قد استأذن فيقول الذي يليه للذي يليه استأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول المؤمن ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أصاغرهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (ثم يعقى عقى الدار) يعني ثم العقى عقى الدار وقيل معناه ثم عقى الدار ما أتم عقبه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله احوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وبعض العهد قد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني حالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أخذ عليهم ميثاقهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون في الارض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد من رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان سوء العاقبة في العرف الى دورهم ومنازلهم فالموصوف لهم يعني الدار وهي جهنم والكفار لهم سوء الدار وهي النار ﴿قوله تعالى﴾ (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيعطيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيقتر ويقدر هذا امر اعلمه محكمه الله (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا وافرحهم ذلك فحمل في العلف بسل المسيء وزيادة دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني ما النعمة في الآخرة (الا متاع) أي قليل ذاهب قال الكلبي الا متاع مثل السكرجة والقصعة والقدر يتمتع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لا بقاء لها ﴿قوله تعالى﴾ (ويقول الذين كفروا) يعني من اهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزات موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا يهتدي لوصول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه من رجع اليه بالتوبة ﴿قوله تعالى﴾ (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه ما تسكن قلوب المؤمنين الا بالقرآن وبه والسكون انما يكون بعد الخوف والاضطراب انما يكون بالسكون (الا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين وتستريح من الخوف فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين الى ذلك فقال الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استمرار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلنا انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالمؤمن يوجل اذا ذكر عدل الله وشدة سخطه وعقابه وتطمئن اذا ذكر فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة اصابوا خيرا لهم وفي رواية أخرى عنه هو اسم الجنة بالحبشية وقيل الرجل الطوبى له أي اصاب خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الضحاك طوبى لهم أي ثواب لهم وقال مقاتل هو لهم وهو كل ما اشتهته انفسهم هو لغة في الحلب سمعت هذا لاعرابي بالمعرفة وصحته لاسمع قال الازهري يقول طوبى لك وطوبا لك لغتان لا هوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى لهم الجنة وروي عن ابي امامة وأبي هريرة وابي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عكرمة عن ابن عباس هي شجرة في الجنة أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخل الله

(ثم يعقى بالدال) المعجمة (الخاتم) أي يصير عقبى بعد سبقه (من سبق) من الملائكة (بالباب) (وبعقى) بالمهملة (بالعين) المهملة (الخاتم) أي يصير عقبى بعد سبقه (من سبق) من الملائكة (بالباب) (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) أي يحلون (ما أمر الله به أن يوصل) بالكفر والظلم (ويفسدون في الأرض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويحتمل أن يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع لمن يشاء ويقدر (وفرحوا بالحياة الدنيا) تبسط لهم من الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وهي عليهم أن نعم الله تعالى في الدنيا نعم الآخرة ليس الامر كذلك لان نعيم الآخرة لا يزول ونعيم الدنيا يزول (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المعجزة (قل ان الله يضل من يشاء) بترك الآيات عنه ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بطاعته (الذين آمنوا) هم الذين ابتدأ الله بالثناء عليهم (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن (قلوبهم) جمع وهو

(قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب) سيذكره (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ من طاب كذا إذا أصاب خيرا وطعاما وحاصلها الاصابة أو الرفع كمر فاط مبتدأ والواو حالية والخبر محذوف أي كمن هو في الجنة وسلام الملائكة والله

لو بارلارهر الاوهيا سه الا السواد لم تعلى الله ما كهيولا نوه الاوهيا مهيا يه ع من أصلها عند ان الكافور
والسلسل وقال معاتل كل ورقه منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبي سعيد
الخدري انه سئل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة شاب
أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاذ بن جبل عن أبيه رفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها
من روحه تنبت الحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره الهروي هذا الحديث يعتبر
بسند دون وفي سنده موضوع عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
وظل ممدود وصاع ذلك كعب الاحبار وقال سند والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا
ركب فرسا وجعد واجتهد في دار الرض ذلك الشجرة ما بلغها حتى سقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها
من روحه وان أغصانها لمن وراء سور الجنة وعن الجنة هي التي لا يخرج من أصل ذلك الشجرة قال الهروي
وهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاسعث عن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن ابي هريرة قال
ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها هذه حتى لعبدي عما سألته وقيل عن فرس مسرجة لجامها
وهي تسابها كما تشاء وقيل عن الراحلة برحالها وزمامها وهو كما روي الشاب (ق) عن سهل بن سعد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد
المضمر السريع في ظلها ما يقطعها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرأوا ان شئتم وظل ممدود
وقوله تعالى (وحسن مآب) يعني لهم حسن مآب ومرجع يقال وبوء ورجع الله في الآخرة
وفي الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم) يعني كما أرسلنا الى هذه
الامة كذلك أرسلناك الى أمة قد خلت من قبلها أمم (لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك) يعني لتعرأ عليهم
ما أنزل اليك الذي أوحينا اليك في القرآن من أمر الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح قالوا لا نعرف
الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف
الرحمن الا مسيلمة باليمامة ولكن اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فأنزل الله تعالى وهم
يكفرون بالرحمن يعني بذكره وتوحيده والمعروف ان الآية كلها نزلت في أبي جهل سمع النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول يا الله يا رحمن فقال أبو جهل الرحمن الرحيم أليس
محمد يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعني مسيلمة
الكذاب فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن
ابن عباس انهم لما قالوا في كفار مكة من قال لهم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ما نعرف الرحمن فقالوا وما الرحمن
فأنزل الله تعالى (قل) أي قل يا محمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت) يعني
على ما عدد من أموري كلها (وإليه متاب) يعني راجعي وتوبتي وقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال) الآية روى ابن جريج عن ابن عباس ومجاهد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قالوا جلسوا
الى كعب فقالوا يا كعب ان محمدا يزعم انه نبي فهل تجد نعته في كتابك فقال كعب نعم نجد نعته
وصفته ونجد قوما في آخر الزمان يقال لهم الحواريون يكثرون عند موته لا يأتون بابا مغلقا ولا بابا
غير مغلق الا فتحوه بقضائهم وقال عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد قال قالت قريش
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا كما تزعم فسير عنا الجبال التي حولنا وفجر لنا فيها أنهارا
وعيونا حتى نغرس ونزرع فقد ضاق علينا المكان فأنزل الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد
ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب

(أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتنزايل عنا (أو كلم به الموتى) فسمع ويجب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير وجاء في الاسراء والتقويم بعد قوله لو محذوف أو مسامحة ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وبعثهم لما آمنوا به ولما سمعوا لما سبق في علمنا كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لما بينهما من الملازمة لان اليائس عن الشئ عالم بانه لا يكون كما استعمل العلم بمعنى الظن لذلك وقيل هي على بابها والمعنى أفلم ييأس بعضهم من إيمانهم لعلمهم بمشيئة الله تعالى لجميعهم وقرئ أفلم يتبين الذين آمنوا بمعنى أفلم يعلموا من قولهم تبينت الشئ إذا علمته وقرئ أفلم يتبين بالنون الخفيفة وأفلم يتبين على البناء للمفعول من بين المتعدي وقرئ أفلم تيأس بالتاء على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي ألم تعلم وقرئ أفلم ايأس من الابأس بمعنى العلم وقرئ أفلم ييئس من يأس إذا قنط ومنه قول الشاعر

ألم ييئس الاقوام مني وقد أرى ... غزالي مكحولا وشيبي أشمطا

(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر والاعمال السيئة (قارعة) أي داهية تقرعهم بالمصائب والبلايا (أو تحل) أنت يا محمد (قريبا من دارهم) فتقرعهم بالسيف (حتى يأتي وعد الله) من فتح مكة أو القيامة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له صلى الله عليه وسلم (فأمليت للذين كفروا) أمهلتهم (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي هو واقع موقعه فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) من خير وشر وهو الله تعالى (وجعلوا لله شركاء) من خلقه (قل سموهم) بينوا من هم أهم ما لا يعلم له في الارض أم بظاهر من القول أي ليسوا بشئ (أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض) أي بل أتخبرونه بشركاء لا يعلمها وهو العالم بكل شئ فلا يكون شئ إلا بعلمه (أم بظاهر من القول) بل بأسماء لا حقيقة لها (بل زين للذين كفروا مكرهم) بالشرك والصد عن السبيل (وصدوا عن السبيل) بالبناء للمفعول وقرئ بالفتح أي صدوا الناس عن سبيل الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) من مرشد (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر (ولعذاب الآخرة أشق) أصعب لدوامه (وما لهم من الله من واق) من يقيهم عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها العجيبة الشأن (تجري من تحتها الانهار أكلها دائم) لا ينقطع ثمرها كما لا ينقطع ظلها (وظلها) أي ظل ما فيها من الاشجار والقصور (تلك عقبى الذين اتقوا) أي عاقبتهم (وعقبى الكافرين النار) أي عاقبتهم النار (والذين آتيناهم الكتاب) أي من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وأصحابه (يفرحون بما أنزل إليك) لموافقته ما عندهم (ومن الاحزاب) ومن كفار مكة ومن تحزب تحزبهم كالعاقب والسيد من نصارى نجران (من ينكر بعضه) كالاخبار المحرفة (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وحده (ولا أشرك به) في العبادة (إليه أدعو وإليه مآب) مرجعي بالبعث (وكذلك) أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء المتقدمين (أنزلناه) أي القرآن (حكما عربيا) أي بلغة العرب (ولئن اتبعت أهواءهم) في القبلة (بعد ما جاءك من العلم) أن قبلة إبراهيم هي الكعبة (ما لك من الله من ولي ولا واق) يحفظك من عذابه (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) كما أرسلناك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) كما جعلنا لك (وما كان لرسول أن يأتي بآية) من الآيات المقترحة (إلا بإذن الله) بمشيئته (لكل أجل كتاب) أي لكل وقت أمر قضي فيه بما شاء (يمحو الله ما يشاء) من الآيات فينسخ بعضها ببعض (ويثبت) ما يشاء منها أو من غيرها فلا يمحوه (وعنده أم الكتاب) أي أصله الذي لا يمحى منه شئ ولا يثبت إلا ما هو كائن (وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو نتوفينك) قبل أن نريكه (فإنما عليك البلاغ) أي التبليغ (وعلينا الحساب) أي المجازاة (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) بفتح بعض المسلمين على النبي صلى الله عليه وسلم (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لقضائه (وهو سريع الحساب) يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة (وقد مكر الذين من قبلهم) كنمرود بن كنعان (فلله المكر جميعا) فلا يضر إلا من أراد (يعلم ما تكسب كل نفس) من خير وشر (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الآخرة (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) إلى أحد (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على صدقي بالمعجزات (ومن عنده علم الكتاب) هم عبد الله بن سلام وأصحابه أو جبريل عليه السلام

(سورة إبراهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آية وسبعمائة وثلاث وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثون حرفا)

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) بتوفيقهم للايمان (بإذن ربهم) بأمره (إلى صراط العزيز) الغالب (الحميد) المحمود في جميع أفعاله (الله الذي له ما في السماوات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد) في الآخرة (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) أي يطلبون لها زيغا بالتشكيك فيما لا شك فيه (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) بلغتهم (ليبين لهم) ما أمروا به (فيضل الله من يشاء) إضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) بالايمان (وذكرهم بأيام الله) بنعمه عليهم وبنقمه على أعدائهم (إن في ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء (شكور) للنعماء (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) فرعون وقومه (يسومونكم سوء العذاب) يولونكم أشده (ويذبحون أبناءكم) خشية أن يكون فيهم من يزيل ملكه (ويستحيون نساءكم) يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أو نعمة عظيمة (وإذ تأذن ربكم) أعلم أو قال موسى لقومه تأذن ربكم (لئن شكرتم لأزيدنكم) نعمتي (ولئن كفرتم) نعمتي (إن عذابي لشديد) فأشكر (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا) من الخلق كلهم (فإن الله لغني) عن شكر خلقه (حميد) إليهم بإنعامه عليهم (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) عضوا عليها غيظا مما جاءت به الرسل (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) أي لا شك فيه لوضوح أدلته (فاطر السماوات والارض) خالقهما ومبدعهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فلا يغفر مظالم العباد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو آجالكم لا يزيد ولا ينقص (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) بحجة ظاهرة على ما تدعونه (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليثق بالله المؤمنون (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) التي نسلكها إلى مرضاته (ولنصبرن على ما آذيتمونا) من الايذاء (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثق بالله الواثقون (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) أي صيروا من ملتنا (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أرضهم وديارهم (ذلك) النصر والاهلاك (لمن خاف مقامي) موقفي للحساب (وخاف وعيد) عذابي (واستفتحوا) سألوا الفتح والنصر على أعدائهم (وخاب) خسر (كل جبار عنيد) معاند للحق (من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد) هو ما يسيل من أجسام أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه لمرارته وحرارته (ولا يكاد يسيغه) يجوزه لحرارته (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) فيستريح (ومن ورائه عذاب غليظ) شديد (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) شديد الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق (ألم تر أن الله خلق السماوات والارض بالحق) محقا (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) بممتنع (وبرزوا لله جميعا) من قبورهم (فقال الضعفاء للذين استكبروا) في الدنيا (إنا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم) إلى طريق النجاة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) مهرب (وقال الشيطان لما قضي الامر) فصار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (إن الله وعدكم وعد الحق) بالبعث والجزاء (ووعدتكم فأخلفتكم) في وعدي لكم أنه لا بعث ولا جزاء (وما كان لي عليكم من سلطان) تسلط وقهر (إلا أن دعوتكم) إلى الضلال (فاستجبتم لي) بغير حجة (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) حيث أجبتموني (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما أنتم بمصرخي) بمغيثي (إني كفرت بما أشركتموني) أطعتموني (من قبل) في الدنيا (إن الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) مؤلم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بإذن ربهم) بمشيئته (تحيتهم فيها سلام) من الله أو الملائكة أو بعضهم على بعض (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) هي لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) هي النخلة (أصلها ثابت) في الارض (وفرعها في السماء) أي جهتها (تؤتي أكلها) ثمرها (كل حين) وقت (بإذن ربها) بأمره (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون (ومثل كلمة خبيثة) هي الشرك (كشجرة خبيثة) هي الحنظل (اجتثت) اقتلعت (من فوق الارض) أي ظاهرها (ما لها من قرار) ثبات (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) بكلمة التوحيد (في الحياة الدنيا) بالقبر (وفي الآخرة) عند السؤال (ويضل الله الظالمين) عن الجواب (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال وغيره (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله) أي شكرها بالكفر (كفرا) أي جعلوا بدل الشكر كفرا (وأحلوا قومهم) الذين اتبعوهم (دار البوار) الهلاك (جهنم يصلونها وبئس القرار) المستقر (وجعلوا لله أندادا) أمثالا (ليضلوا عن سبيله) دينه (قل تمتعوا) في الدنيا (فإن مصيركم إلى النار) تصيرون إليها (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي مخالة ينتفع بها (الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار) لتنتفعوا بها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) في السير لمصالحكم (وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه) أي بعض كل ما سألتموه على حسب ما اقتضته الحكمة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تطيقوا حصرها فضلا عن القيام بشكرها (إن الانسان لظلوم) لنعم الله (كفار) بها (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) أي مكة (آمنا) ذا أمن (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) تغفر له إذا تاب (ربنا إني أسكنت من ذريتي) بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام (بواد غير ذي زرع) هو ما حول مكة (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرض له (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) تسرع إليهم شوقا (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) نعمتك عليهم بذلك (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي ما يخفى على الناس وما يعلمونه (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) أي هو أعلم بذلك منا (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) أي مجيبه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) أي عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالدي) آزر (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يظهر للناس (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وقرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (إنما يؤخرهم) أي العقوبة عنهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصار الخلق لا تطرف من شدة الهول (مهطعين) مسرعين (مقنعي رؤوسهم) رافعيها (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يرجع إليهم بصرهم لشدة شخوصه (وأفئدتهم هواء) خالية من الخير لفزعها (وأنذر الناس) يا محمد (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) أي رد إلى الدنيا (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فيما جاءوا به (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) في الدنيا (ما لكم من زوال) عن الدنيا إلى البعث (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من إهلاكهم (وضربنا لكم الامثال) فلم تعتبروا (وقد مكروا مكرهم) في كفرهم (وعند الله مكرهم) جزاؤه (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) أي ما كان ينبغي أن تزول منه لشدته (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) ما وعدهم من النصر (إن الله عزيز) في ملكه (ذو انتقام) ممن عصاه (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) أي تغير صفاتهما فتسير الجبال وتفجر البحار وتسوى الارض (وبرزوا لله الواحد القهار) الذي قهر كل شئ (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد) مشدودين في القيود (سرابيلهم من قطران) أي ما يسرع في النار من القطران لنتن رائحته وحدته (وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت) من خير وشر (إن الله سريع الحساب) يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة (هذا بلاغ للناس) أي القرآن تبليغ لهم (ولينذروا به) يخوفوا به (وليعلموا أنما هو إله واحد) لا شريك له (وليذكر أولوا الالباب) أصحاب العقول (هذا بلاغ للناس) أي القرآن تبليغ لهم (ولينذروا به) يخوفوا به (وليعلموا أنما هو إله واحد) لا شريك له (وليذكر أولوا الالباب) أصحاب العقول

والقتل والاسر وفى الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعنى فكيف كان عقابى لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعنى أفمن هو حافظها وراقبها وعالم بما عملت من خير أو شر ويجازيها كما كسبت فشبيهان أحسنت وبعامها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهى الاصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعنى وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعنى له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هى أهل لان تعبد (أم تنبئونه) يعنى أم تخبرون الله (بما لا يعلم فى الارض) يعنى انه لا يعلم لله شريكا لانه لو كان لعلمه وكما يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعنى أم بهم تعلمون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة مما طل لا أصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وقيل زين الكفر بالكفر لان مكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المخترع على الاطلاق لا مقدر أحد ان يصرف فى الوجود الا بارادته فمزين الشيطان انما هو وسوسته فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ﴿ وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صدوا غيرهم عن سبيل الدين والرشد والهداية وقرئ من ذلك والصاد الثانية لغة فى الاولى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أى عن الايمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف على له ساكن لان الدال وحذف الياء فى قراءة أكثر القراء (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) يعنى بالقتل والاسر وغير ذلك مما حل بهم (ولعذاب الآخرة أشق) يعنى أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على المعنى وشدته مما يكاد يصدع العلم من شدته وهو من الشق الذى هو الصدع (وما لهم من الله) يعنى من عذاب الله (من واق) يعنى من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة التى وعدها المتقون (تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعنى ان ظلها دائم ابدا لا ينقطع وليس فى الجنة شمس ولا حر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفى الآية رد على جهم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفى الآية دليل على ان محل أهل الجنة لا تنتهى الى سكون دائم كما قوله أبو الهذيل واستدل العاصى عند الجنة بقوله تعالى مخبرا عن الجنة انها لو كانت محلوقة لوجب أن تفنى وتنقطع أكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعنى لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون فى السموات جنات كثيرة تسع هؤلاء الملائكة ومن بعدهم من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الا ان الذى نذهب اليه ان الجنة مخلوقة الآن والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من أمرين احدهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا دخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعتبارا للعموم ﴿ وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعنى ان عاقبة أهل التقوى هى الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعنى فى الآخرة ﴿ قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فى المراد بالكتاب هاهنا قولان أحدهما انه القرآن والذى أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما حدد من الاحكام والوعد والوعيد والقصص بعد المنع بتحديد ذلك فى القرآن (ومن الاحزاب) يعنى اليهود الذين تحزبوا

(وقوله كفروا) وهذا ما سألتم رؤساء اليهود عن صفة الرسول فى التوراة (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) على ما أقول (ومن عنده علم الكتاب) وهو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل هو جبريل عليه السلام وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الجر بمن وقرئ بهما على أن من الاولى جر والثانية رفع بالابتداء والخبر محذوف أى ومن عنده علم الكتاب كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم وسموه بأسمائهم ثم قال (أم تنبئونه) على ما لا يعلم فى الارض) على أم المنقطعة أى بل أتسمونه شركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم على السموات والارض عالما لم يعلم علم أنهم ليسوا شيئا والمراد نفى أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن تكون لذلك حقيقة كقوله دلك قولهم بأفواههم ما لا يعدون من دونه الا أسماء سموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) من أحد يهتدى على هداه (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه (وما لهم من الله من واق) من حافظ يمنع عذابه (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى فى غرابة الحال وارتفاعه الابتداء والخبر محذوف أى

مما قص عليكم فى الجنة أو الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما قول صفتها أمر (أكلها دائم) عمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) على دوام لا نسخ فيها ولا تبديل (تلك عقبى الذين اتقوا) اى الجنة هى الموصوفة هى عقبى تؤل اليها امورهم (وعقبى الكافرين النار) والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك فى المراد بالكتاب هاهنا قولان أحدهما انه القرآن والذى أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما حدد من الاحكام والوعد والوعيد والقصص بعد المنع بتحديد ذلك فى القرآن (ومن الاحزاب) يعنى اليهود الذين تحزبوا

To: www.al-mostafa.com

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر نصه) وهذا قول الحسن وعليه فالمراد بالاحزاب المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه فالاحزاب لا ينكرون القرآن بعضا ملانه مذكور في آيات دالة على توحيد الله وإثبات مصدره وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم نجران وهم اثنان وأربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بعضه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه ومثل كانه ذكر الرحمن فلما في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم فلما ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب باسمك اللهم فلما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة بن مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي واعمالي ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله و ينكرون الرحمن (قل) أي يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) بشيء (اليه أدعو) أي الى الله والى الايمان به أدعو الناس (واليه مآب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم وبلسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لانه جمع الكلام فيه جميع الاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سبب الحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بما فيه صار بما حكم لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم ودعوه الى دينهم فقال الله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم في ذلك وقال ابن السائب المراد بهذه الآية آيات القبلة (بعد ما جاءك من العلم) يعني بالدلائل على الحق وانما سمي الكتاب علما لان العلم هي الحق وعمل ظاهر الخطاب به هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل تعريف الرسالة والعلم بما أمر به ونهى عنه ذلك يحذر غيره من الكافرين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره من هو دونه بطريق الاولى (ما لك من الله من ولي ولا واق) يعني من ناصر ولا حافظ في قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا لهذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همه الا النساء فانزل الله عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وغيرها بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فانه كان لهم ثلاثمائة امرأة وسبعون سرية فلم يمنع ذلك أن يكون رسولا وقيل كان لا يداوي النساء الا الانبياء والصالحون فلما تزوج النساء علم انه ليس بنبي فاخبر الله تعالى ان ذلك ليس بقادح في نبوته ولا مانع من رسالته (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا جواب لقول المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه آيات غير ما جاء بها والمعجزات وغير هذا الجواب أن المعجز الواحد كاف في اثبات النبوة وقد أتاهم رسول

(ج ٥ - (خازن)) - (ثالث)

الله صلى الله عليه وسلم من كل ما سألوه من الآيات فكانوا وكانوا به يستهزئون فانزل الله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وقيل ان الآيات التي اقترحوها كانت مما لا يعلم الا بالوحي كقولهم فأتوا بآبائنا الذين ماتوا وقيل ان الآيات التي اقترحوها كانت مما قد أتى بمثلها الانبياء المتقدمون فلم يأت بها محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون (لكل أجل كتاب) قال ابن عباس رضي الله عنهما لكل أمر كتاب وقال مجاهد لكل أجل كتاب يعني لكل أمر قضاء وقال الضحاك لكل أجل كتاب يعني لكل ملك كتاب فيه ما يعمل فيه في يومه وليلته وقال قتادة لكل أجل كتاب يعني لكل أمر حتم وقضاء يقضيه الله تعالى وقال الحسن لكل أجل كتاب يعني لكل عمل كتاب وقيل لكل أجل كتاب يعني لكل وقت حكم وقيل لكل أجل كتاب يعني لكل نبي كتاب أنزل عليه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قال ابن عباس رضي الله عنهما يمحو الله ما يشاء ويثبت من الآجال والارزاق والسعادة والشقاوة والحياة والموت والزيادة والنقصان وقال مجاهد

الله صلى الله عليه وسلم بمحراب كثيرة تحير عن مثلها البشر فسألهم أن يقترحوا عليه شيئا فأتاهم الرسول بالمحراب ليس الليل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) ودلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحذرهم نزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقد كانوا استعجلوه قيل له أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كما ذكرته وقد وقع ولا مقدم ولا مؤخر والمعنى ان لكل أجل أجله الله كما قدر أنه يفعله وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى ان الكتاب المنزل لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ودلك انهم لما أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم يأمرهم بخلافه عدا وما يشتهي ذلك الا انه قوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من السرائع والفرائض فيعمل به ويثبت ما يشاء فلا يمحوه ولا يغيره وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا القول ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان هذا الحديث والذي قبله صريحان في الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا يغير منها شيء وعلم الله يتعلق بزيادتها ونقصانها وكذلك استدل من قال ان قطع الرحم والبر يزيدان في العمر فكما قطع الرحم يزيد في العمر فكذلك البر يزيد فيه والبر يزيد في العمر فكذلك قطع الرحم وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني منها واثبتني في أهل السعادة فان في الصحف التي لا تبدل ولا تغير فقال له ما يبكيك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وورد في بعض الآثار ان الرجل ليكون بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الله له ثلاث سنين هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم بعدم آخر وعلى هذا الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما ليس من ديوان الحفظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب في قول العامل اكتب سر بسر حتى حرج ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه وليس فيه ثواب ولا عقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي كل شيء قوله الله كان يوم الخميس طرح منه ما ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود فيعصي الله فيمحو الله طاعته ويثبت على صلاته فهو الذي يمحو الله ويثبت والذي يعمل بطاعة الله فيمحو الله معصيته ويثبت وهو الذي يذنب ويتوب وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من مات أجله فقد سعد ومن لم يمت أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما ليس من ذنوب عباده ثم يغفرها ويثبت ما ليس فيها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما ليس من الذنوب بالتوبة ويثبت بدلها الذنوب حتى مات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يتوفاها الله عند النوم من أراد موته محاها وأمسكها ومن أراد بقاءه أثبتها وردها الى صاحبها وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكما فاذا صار الى آخرها أرسل اليه ملكا وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في الحبل اذا أصاب فهي منسوخة بآية الكتاب ثم يمحو ما يشاء بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء الا اعراض الناس بعضهم على بعض فانه محكم ما فيها وقال عكرمة هذا كقول أهل الشقاء ان العباد ليسألونه ما قد حف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فيكتب أسعد مع هذا المحو والاثبات فذلك قوله تعالى ثم ما حفت به العلم وقيل العذر والحجة أولا يثبت الامام ويمحو عامدا الاول عامدا بعد ما صار العذر والحجة (مسألة) استدل الرافضة على صدق هم في الدعاء بهذه الآية قالوا ان الدعاء يرد على الله وهو ان يبدأ له بعد ما لم يظهر له خلاف ما اعتقده ويمكن أن يقول محو الله ما يشاء ويثبت من هذه الجهة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول العدم والتغير فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية ﴿ قوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا تغير ولا تبدل وسمي اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الكتب المنزلة مأخوذة منه وقيل أم الكتاب عند الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب روى العوفي عن ابن عباس قال ان الله تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء ونوره مثل نور السماوات والارض وطوله مسيرة خمسمائة عام من أيام الدنيا وعرضه ما بين السماء والارض وقلمه نور وكتابه نور ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فذلك قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال ابن عباس أم الكتاب جملة علم الله ما هو خالق وما هو صانع وما هم عاملون (وان ما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (أو نتوفينك) يعني قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم مقام من التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) يعني ألم يروا كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتي الارض فنفتحها عليك من أرض الشرك فنضمها الى دار الاسلام قال الله تعالى ردا عليهم ما أرادوا ذلك والله يحكم لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه أولم يروا أنا نأتي الارض فنقصها من أطرافها بموت علمائها وفقهائها وخيارها قال ابن عباس يعني بذهاب فقهائها وعلمائها وخيارها وأهل الخير منها وقال مجاهد بموت العلماء والفقهاء وقال عطاء بخراب الارض وقال الضحاك بقتل المشركين وقال قتادة بغلبة المسلمين على ما حولهم من الارض وقال الكلبي بالفتوح على محمد صلى الله عليه وسلم ما بعد أرض موالي ارادهم الله عز وجل بهذا كله ابن عباس وهذا قول

(وعنده أم الكتاب) اي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كتاب مكتوب منه (وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك) وكلمة ان وما الحال أي وانت مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) ما كتب عليك الا تبليغ الرسالة حسب (وعلينا الحساب) جزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا تهتم لاعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا انا نأتي الارض) أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من ديارهم وقراهم ومدائنهم في دار الاسلام ودلالة هذه الآية على ان المراد بالارض ارض الكفر ما حكى عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم قال المسلمون يا ليت لنا قوة وعلمنا أن من مات منا على كفره صار الى النار فأنزل الله تعالى أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها موت علمائها وفقهائها وخيارها وأهل الخير منها

للمسلمين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتغريبا كان ذلك نقصانا في دارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكاسد الشمس أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه ويحقق وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا نأتي الارض ونخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض ونقص أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها بموت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا علموا علمكم العلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل الاكابر فاذا أتاهم من قبل الاصاغر هلكوا وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء وعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن بعضهم قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الشاعر

واسأل بنا بكم اذا وردت بنو * أطراف كل قبيلة من تنسع

قال ونقص أطرافها قال الواحدي والاشبه على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وبعد هذا يقال أولم يروا ان كلما نحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عماره وموت بعد حياة ودل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كان ما نشاهده من خراب مساكنه محسوسا فالذي ومنهم ان يعلم الله الامر على هؤلاء الكفرة فجعلهم دليلا بعد ما كانوا عبرة ومزجورين بعد ان كانوا زاجرين وعلى هذا الوجه أيضا يحسن اتصال الكلام بقوله ﴿ وقوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم بما يشاء من الحكم بين الناس في المدافع والمعارض والمنازع لا راد لحكمه أحد غيره ولا ناقض ولا معقب (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن عاند المختار وبارز بالحرب والسر مختار الكفار بالانتقام منهم ومختار المؤمن بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب في هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بأنبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر به فلما مكروا بأنبيائهم ودعوهم عوقبوا بالهوان نبه سبحانه (فلله المكر جميعا) يعني عبد الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له وهو مكر من خلقه وأراده فالمكر جميعا مخلوق لله تعالى والله الخير والشر والنفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا بارادته وأراده وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار ما فعل بأنبيائهم وحاولوا لهم ضرهم فلم يضروا الا من أراد الله ضره وإذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لانه لا أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعني ان جميع اكتساب العباد وان باشرها معلومة لله وهو خالقها وخالق المعلوم جميع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدم وقوعه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا حاصل لصبر الانبياء وارادته ورضوه للكفار الماكرين (وسيعلم الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني أبا جهل وقيل أراد السبعة وهم جميعهم من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا حالها الا انهم سيعلمون ان العاقبة الحميدة لهم والعاقبة المذمومة في الآخرة من يدخل النار ومدخل المؤمن الجنة ﴿ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) لما ذكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أي

قل يا محمد لهؤلاء المكذبين والذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) المراد شهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعني ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واحد لفوائق الذي عنده علم الكتاب من هو فروي العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود والنصارى فانه يعلم علما ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما تجدد من الدلائل الدالة على نبوته فهو ما شهد بذلك من شهد به وأنكر من أنكر منهم وفعل أكثرهم وهو قول أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قاله ابن سلام وأنكر السعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة وقوله وقال يونس بن خباب ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد من عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاسم يدل على صحة حكمه أي هو هذا قول مستكمل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل ولا يقال سعيد شهيد إلا والله تعالى سعيد شهيد فإذا زيد الصفة لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والذال وهي قراءة ابن عباس وعمر على الإضافة للمفعول والمعنى ومن عنده الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر برهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية من غير سماع من أحد يشهد بصحة كل ما أخبرتكم به فهو شهيد بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كلامه *(تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام)*

وهي مكية مسوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى آخرهما وهي احدى وخمسون آية وعدد كلماتها واحد وثلاثمائة وكلمة وألف وأربعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه إليك) يعني هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) يعني بالقرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وهذا يدل على أن طريق الكفر والدعوة إليه وطريق الجهل ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان ليس الا واحدا (بإذن ربهم) يعني بأمرهم وهو قوله تعالى (إلى صراط العزيز الحميد) يعني إلى دين الاسلام وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد هو المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وتقدير ما بعده وقرئ بالخفض على البدل من العزيز الحميد وقال ابن عمر وقرأه الخفض على الاضافة وأما من قرأه بالرفع فالتقدير هو الله (الذي له ما في السموات وما في الأرض) يعني ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادته وهي عبادة الذي له ما في السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ومن جملة ما في السموات وما في الأرض (من عذاب شديد) يعني عذابهم في الآخرة وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون

على نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) يعني أظهر من الآيات على رسالتي والمعجزات على صدقي شهيدا (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لديه علم الكتاب لان علم من علمه الله وأطلعه عليه من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون نعته في كتبهم وقال ابن سلام في تأويل هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الخفض بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور والتقدير كفى الله وعلم الكتاب يرفع بالمعنى في الظرف فتكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا معنى الذي والعائد من صلته محذوف تقديره وعنده علم الكتاب وهذا لان الظرف إذا وقع صلة لم يعمل العمل المحض بخلاف ما إذا وقع خبرا للمبتدأ نحو زيد عنده علم الدار أو في الدار أخوه فإنه يعمل كما يعمل بالذي استقر في الدار أخوه وفي العنده علم كضمير منصوب يرفع العلم بالابتداء *(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون

الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه إليك) في رفع الرفع صفة الكتاب (لتخرج الناس) دعاء لهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتسهيله لهم بالتوفيق والمعونة (إلى صراط) بدل من الأول بتكرير العامل (العزيز)

عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف لنعمتي أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهما مع الواو واستئناف أي الذبح حدث طرح الواو وجعل تفسير العذاب وبيانا له وحذف أثبت الواو وجعل الذبح من جنس العذاب كأنه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المفهم

(واذ تأذن ربكم) اي آذن وتطير بمعنى آذن نحو وعد وأوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في الفعل كأنه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بالغا على سبيل التكلف والشدة وهو من جملة ما قال موسى لقومه واذكروا نعمة الله عليكم كرر اذكروا نعمة الله عليكم واذكر احسن بأن يذكر بالنعم الدينية والدنيوية (لئن شكرتم) اي ايمانكم بما عددت عليكم من النعم (لأزيدنكم) نعمتي بالتوفيق للشكر والثواب عليه (ولئن كفرتم) النعم بالاخلال بالشكر (ان عذابي لشديد) حتى لمن كفر نعمتي ولا تشكرها (وقال موسى ان تكفروا) اي ايمانكم (أنتم ومن في الارض جميعا) من الناس كلهم جمعا مما يمر دلالة على ان الكفر مظنة الشر (فان الله لغني) عن شكر خلقه (حميد) اي محمود في جميع افعاله لانه يفعل بالعدل (ألم يأتكم) اي الخبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا جواب من موسى لقومه والمقصود منه عليه الصلاة والسلام كان يعلم بوحي الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه المقصود منه عليه الصلاة والسلام تذكيرهم بذلك ليعرفوا الخاص منه والعام والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من قبلهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الذاهبة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كمية عددهم وعددهم

الا الله (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) قال ابن عباس رضي الله عنهما عضوا على أناملهم غيظا مما جاءت به الرسل وقال مجاهد كذبوا بألسنتهم وقال الحسن ردوا عليهم ما جاءوا به وقال الفراء جعلوا أيديهم في أفواههم ليشيروا بها الى الرسل أن اسكتوا وقال الزجاج ردوا أيديهم في أفواه الرسل ليسكتوهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع في الريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على الاستفهام وقرأ الباقون بغير استفهام على الخبر (فاطر السموات والارض) خالقهما ومبدعهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهي ما بينكم وبين الله تعالى دون المظالم التي بينكم وبين العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو انقضاء آجالكم (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) بحجة ظاهرة على ما تدعون (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) في الصورة والخلقة (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة والرسالة (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان) بحجة (الا باذن الله) بأمره وارادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليثق المؤمنون بالله في كل أمورهم (وما لنا ألا نتوكل على الله) أي أي شيء لنا في ترك التوكل على الله (وقد هدانا سبلنا) التي نسلكها في أمورنا (ولنصبرن على ما آذيتمونا) من التكذيب والايذاء (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثق الواثقون بالله (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما آمن شعيب ومن معه إلا نفر قليل فلما رأى الكفار قلتهم توعدوهم بالاخراج من ديارهم (أو لتعودن في ملتنا) أي لتصيرن في ملتنا وقيل لتدخلن في ملتنا وقيل لتعودن بمعنى لتبتدئن وقيل لتعودن بمعنى لتكونن وقيل لتعودن بمعنى لتعودن وقيل لتعودن بمعنى لتعودن (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (ذلك لمن خاف مقامي) أي قيامي بين يدي للحساب (وخاف وعيد) عذابي الذي أوعدت به الكافرين

(واستفتحوا) أي سألوا الفتح والنصر من الله على أعدائهم (وخاب كل جبار عنيد) أي خسر كل متكبر معاند للحق (من ورائه جهنم) أي من بعد هلاكه جهنم (ويسقى من ماء صديد) قال ابن عباس رضي الله عنهما الصديد ما يسيل من أجسادهم من القيح والدم (يتجرعه) يتحساه شيئا بعد شيء لمرارته وحرارته (ولا يكاد يسيغه) يقال ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغا وسيغا وأساغه غيره (ويأتيه الموت من كل مكان) من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره وأظفاره (وما هو بميت) فيستريح (ومن ورائه عذاب غليظ) دائم متصل (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) أي شديد الريح والعصف شدة الريح وهو في الاصل الورق اليابس الذي تعصف به الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) أي لا ينتفعون بما عملوا في الدنيا في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) أي بالحكمة والصواب (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) بممتنع (وبرزوا لله جميعا) أي برزوا من قبورهم لله جميعا (فقال الضعفاء للذين استكبروا) في الدنيا (انا كنا لكم تبعا) في الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أي بعض شيء من العذاب (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) أي لو هدانا الله في الدنيا لهديناكم اليه (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) أي استوى الجزع والصبر (ما لنا من محيص) من مهرب ومنجى من العذاب (وقال الشيطان لما قضي الأمر) أي لما فرغ من أمر البعث والحساب وأمر بالعباد الى الجنة والنار (ان الله وعدكم وعد الحق) وعد البعث والجزاء (ووعدتكم فأخلفتكم) في وعدي اياكم أن لا بعث ولا جزاء (وما كان لي عليكم من سلطان) من حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه (الا أن دعوتكم فاستجبتم لي) بمجرد دعائي من غير حجة (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) حيث أطعتموني (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما أنتم بمصرخي) بمغيثي (اني كفرت بما أشركتموني من قبل) أي بما أشركتموني به من قبل في الدنيا أي تبرأت منه اليوم كما تبرأت منه في الدنيا (ان الظالمين لهم عذاب أليم) في الآخرة

(وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو الملائكة تحييهم بالسلام (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) أي علوها في السماء (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) أي تعطي ثمرها في كل وقت (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض) أي استؤصلت واقتلعت من فوق الأرض (ما لها من قرار) أي ما لها من ثبات لقلة عروقها وقصر ساقها (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) قال البراء بن عازب رضي الله عنه نزلت في المسلم اذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي في القبر (ويضل الله الظالمين) عن الجواب (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والهداية (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) أي بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوهم دار الهلاك (جهنم يصلونها وبئس القرار) أي بئس المستقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أي شركاء وأصناما (ليضلوا عن سبيله) أي عن دينه (قل تمتعوا) أمر تهديد (فان مصيركم الى النار) أي مرجعكم الى النار (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا يباع فيه ولا يشترى ولا خلة فيه ينفع بها صاحبها وإنما ينفع الايمان والعمل الصالح (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك تجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) أي ذللها لمنافعكم بالسقي والشرب وغيرهما (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي دائمين في طاعة الله تعالى في الجري لمصالح العباد (وسخر لكم الليل والنهار) أي ذللهما لمنافعكم بالمعاش والراحة (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي من كل ما سألتموه شيئا لمصالحكم (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تطيقوا حصرها وعدها (ان الانسان لظلوم) لنفسه بترك الشكر (كفار) لنعمة ربه

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) أي ذا أمن كقوله تعالى هذا بلد آمن أي ذو أمن وقيل آمنا من الجبابرة والعمالقة (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) أي باعدني وبعدني عن عبادة الأصنام (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) أي بعبادتهم إياها (فمن تبعني فإنه مني) أي على ديني (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) أي لمن تاب منهم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) أي ليس فيه زرع وهو وادي مكة (عند بيتك المحرم) أي الذي حرمت التعرض له (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أي أسكنتهم هناك لأجل أن يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) أي تحن إليهم وتميل إليهم (وارزقهم من الثمرات) أي من ثمرات البلاد التي حولهم (لعلهم يشكرون) نعمتك عليهم (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي ما نسر وما نعلن (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) أي لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) أي مع الكبر (إن ربي لسميع الدعاء) أي لمجيب الدعاء (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) أي اجعل بعضا من ذريتي مقيم الصلاة (ربنا وتقبل دعاء) أي عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالدي) قال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بوالديه آدم وحواء وقيل أراد أبويه على ظاهر اللفظ وكان أبوه قد وعده أن يؤمن فلما مات على كفره تبرأ منه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يوم يقوم الناس للحساب فحذف المضاف (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ما هم عليه من الظلم والمعاصي وقيل هو تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أي تبقى مفتوحة لا تطرف من شدة الهول (مهطعين مقنعي رؤوسهم) أي مسرعين رافعي رؤوسهم (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يرجع إليهم بصرهم لشدة الخوف (وأفئدتهم هواء) أي خالية من الخير لفرط الدهش والحيرة (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي خوفهم يا محمد يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) أي أمهلنا وقتا قليلا (نجب دعوتك ونتبع الرسل) أي نصدقهم ونعمل بطاعتك (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) أي في الدنيا (ما لكم من زوال) أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي كعاد وثمود (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من الاهلاك والتدمير (وضربنا لكم الأمثال) أي بينا لكم الأشباه في تحذيركم أن تفعلوا مثل ما فعلوا (وقد مكروا مكرهم) أي كفار الأمم الماضية مكروا بأنبيائهم (وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أن مكرهم كان عظيما في الكفر والمعاصي وقيل معناه وإن كان مكرهم في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم كالجبال في ثباتها فإن الله يبطله ويمحقه (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) أي لا تظن أن الله يخلف رسله ما وعدهم من النصر والظفر (إن الله عزيز) أي منيع لا يغالب (ذو انتقام) ممن عصاه (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) أي تبدل صفة الأرض والسموات فتسير الجبال وتفجر البحار وتذهب السماء بكواكبها وشمسها وقمرها وتصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (وبرزوا لله الواحد القهار) أي خرجوا من قبورهم لله الواحد القهار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد) أي مشدودين في القيود والأغلال (سرابيلهم من قطران) أي قمصهم من قطران وهو ما تهنأ به الإبل فيحرق الجلد (وتغشى وجوههم النار) أي تعلوها النار (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) أي ليجزي كل نفس بما كسبت من خير وشر (إن الله سريع الحساب) أي سريع الحساب لأنه يحاسب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا (هذا بلاغ للناس) أي هذا القرآن بلاغ للناس (ولينذروا به) أي ولينذر بالقرآن (وليعلموا أنما هو إله واحد) أي وليعلموا بما فيه من الدلائل أنه إله واحد (وليذكر أولوا الألباب) أي ليتعظ ذوو العقول

الا الله لا يعلم عدد جميع شئ الا يعلمه من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ماتت لم يعلم بهم أصلا ومسيره وهو وما بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم انساب بني آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ادم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان عيسى أبا أنثى الى آدم لانه لا يعلم أولئك الآباء الا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما نفس الجارحتين المعلومتين ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أناملهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا وارتجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وردوا أيديهم في أفواه الرسل يكذبونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية مما قالوا ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي علية الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم وبمعنى ردوا ما قالوه لكان نعمه عليهم بمعنى لعلان عندي يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قولهم ما أمروا به من الحق ولم يوسوا به تعالى فلان يرد عليه اذا أسكت عن الجواب فلم يجب وهذا القول ضعيف لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يعترفوا بأنهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني نوحد الله ونوقع في الرسوم والهمم والريب في اللغة أن لا تطمئن الى الامر الذي تسمعه بل تطلب فيه أمورا أخر فلهذا قالوا أولا انا كفرنا بما أرسلتم به وكما يقولون بأفواههم انا في شك من الذي تقولون والشك دون الكفر أو داخل فيه فلما صرحوا بكفرهم بالرسل وكتبهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم يدع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني محمدا وأصحابه (أفي الله شك) يعني هل يشكون في الله وهو أسهل مما كانوا فيه قدره (فاطر السموات والارض) يعني وهل يشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما مما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصلية ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما سلف منهم وبه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم محمد الرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الا بشر مثلنا) يعني في الصورة والظاهر لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني حجة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان أنتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم محمد وأصحابه لهم ان الامر كما قلتم ونحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة وخصها من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من

الرسالة

جعلهم رسلهم بالبينات وأرادوا بالسلطان المبين آية اقترحوها بعد ما وضحها (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) نسلم لهم قولهم أنهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) حجة أقترحتموها وقيل السلطان المبين الآيات التي اقترحوها والمعنى ان الآيات التي اقترحتموها ليست الينا وانما هي

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم المؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله (ومالنا أن لا نتوكل على الله) معه أي مدرك لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو الوحي لهذا به كل ما سألته الذي يحب عليه سلوكه في الدين فكل أمور الوكل طرح السبب في السوداء وتعلق القلب بالرب سبحانه والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) حواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يعكسوا على دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (٧٣) أي فليثبت الوكلون على توكلهم حتى لا يكونوا مكررا (وقال الذين كفروا لرسلهم) مثلنا لرسلهم أو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من دارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتكونن أحد الأمرين اخراجكم أو عودكم حلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو حاط والله كل رسول ومن آمن معه فعلوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) العراق مضمر أو أجرى الأنبياء مجرى العمال لأنه صير به (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) أي أرض الظالمين ودارهم في الحديث من آذى جاره ورث الله داره (ذلك) الإهلاك والإسكان كائن (لمن خاف مقامي) أي ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامي) موقفي ومسيري موقف الحساب أو المقام بمعنى أو خاف مقامي عليه الم كقوله أني هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق على (وخاف وعيد) ذاك (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم

(وخاب) خسر (كل جبار) متكبر عنيد (من ورائه جهنم) محاب للجبار (ويسقى من ماء صديد) وهو ما سال من الجلد والقيح من القيح سمي ذلك لأن أهل النار يقال يحدرون كما في القرطبي هو ما سال من روح الرماة سمي الكافر وهو ويله (يتجرعه) أي يحسا ويسيره لمرارته وانتنه وحرارته

الرسالة أن يأتيكم آية وبرهان معجزة تدل على صدقه إلا بإذن الله أي في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرورهم وأعدائهم عنهم (ومالنا ألا نتوكل على الله) يعني أن الأنبياء قالوا أضافوا عرفانه لا نصدقه في الاقتضاء الله وقدره فحض بني به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طرق الحق التي بها الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم بعد وبالله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) قال قتادة كفى بالمرء توكلا أن يكون الله وكيله والتوكل الاعتماد على الله في طلب ما يحمد من أمور الدنيا والآخرة وقال الشافعي التوكل هو الثقة بالله والطمأنينة إليه في كل ما ضمن من الرزق وقال ذو النون التوكل هو الأخذ بالسنة والاقتداء بالنبي ﷺ في جميع الأحوال قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) يعني لتكونن أحد الأمرين اما اخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا قال قتادة هذا قول الكفار لأنبيائهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها فقال الله تعالى ولكن العود هاهنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم تزل الرسالة لم تظهر منهم إلا بعد إسلامهم فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم إلى الله تعالى قالوا لهم لتعودن في ملتنا أي ظاهرا فإنهم كانوا على ملتهم في الظاهر وإجماع الأمة على أن الرسل من أول الأمر إلى آخره كانوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى إليهم ربهم) يعني أن الله تعالى أوحى إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعني أن عادتهم إذا أهلكوا الهلاك (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) يعني من بعد هلاكهم (ذلك) يعني ذلك الإسكان (لمن خاف مقامي) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فأضاف المقام إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم نصب على ضربني الألم ونصب على ضربه له (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي ﷺ قوله عز وجل (واستفتحوا) يعني واستنصروا وقال ابن عباس يعني الأمم وذلك أنهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فانصرهم وقال مجاهد استنصحوا الرسل على أنفسهم وذلك أنهم لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني وخسر وضل هلك (كل جبار عنيد) والجبار في صفة الإنسان هو المتعظم عما ليس له بحق والله تعالى هو الجبار لأنه يستحق ذلك وهو وصف مدح في حق الإنسان وذم في حق الله تعالى الذي لا يليق به إلا أحسنه وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق يقال عند عن الحق إذا عدل عنه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال سعيد هو الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله ويقال الذي يعبد الدهر المخطئ عامدا وقيل العنيد الذي يعاند الحق ويخالف (من ورائه جهنم) يعني هي أمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراءك يعني خلفك يعني أمامك وقال الأخفش هو كما يقال هذا الأمر من وراء فلان يعني أنه عاجز عنه (ويسقى) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من الجلد والقيح من القيح سمي ذلك لأن أهل النار يقال يحدرون كما في القرطبي هو ما سال من روح الرماة سمي الكافر وهو ويله (يتجرعه) أي يحسا ويسيره لمرارته وانتنه وحرارته

وكراهته ونسمه (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه يعالج ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فمه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يصرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة نحو ولا يعاب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أفوم أي قمت بعد ابطاء ومثل هذا كاد على أصلها وليست صلة وقال ابن عباس معنا لا يصير وصل معناه يكاد لا يسيغه وهو يسيغه على ذي حوقه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يقربه فلا يقرب الى فيه ويكرهه فاذا أدنى منه سوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال واب تستغيثوا يغاثوا كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله ووقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه واحماسها النار والفروة السعر الذي عليها ﴿ وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر يحدق الموت وسببه من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن عكرمة يأتيه عذابه وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج يعالج نفسه عند تحضره فلا يخرج من وجه ولا يرجع الى مكانها من جوفه فعالجها (ومن ورائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد مؤلم هو الخلود في النار ﴿ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف مطلع عما له وهو ما أخبر به من سوء عاقبة ما يعمل أو عما يعمل على ما تقدم بيانه أو عما يعمل على ما سيجيء بيانه مثل الذين كفروا الى قوله عاصف اي مثل أعمالهم في ذهابها وبطلانها وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل قال كيف حالهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون المراد بعمل أعمال الذين كفروا بربهم حذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن تكون اللام في صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد وجهه مصون ومنه قول الرماد معروف وهو ما تساقط من الحطب والفحم بعد احتراقه اذا اشتدت به الريح يعني تسفه وطيرته ولم يبق في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون في يوم بارد وحار وليس له ماطر لان الامطار والمطر يوجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح حذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار التي لم يبتغ بها وجه الله ولم يرج بها ثواب الآخرة فلا ينتفعون بشيء منها يوم القيامة كما لا يقدر صاحب الرماد على شيء مما ذهبت الريح به من الرماد وشبه اعمالهم في حبوطها وذهابها بالرماد الذي ذرته الريح العاصف فطير الرماد وبدده بها ذكر لك أعمال الكفار تبطل وتهلك بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى بأيديهم منها شيء واختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوا من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمال برلكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وابطلها كالهباء وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي كانوا يعبدونها طمعا في شفاعتها ورجاء حسن عاقبتها أخبرهم أنهم تعبوا انفسهم في الدهر الطويل لكنهم بمعاونتها صاروا وبالا عليهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأرادوا بها وجه الله فلم يقبلها الله منهم لانهم صاروا كالرماد الذي ذرته الرياح وصارته هباء منثورا وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الذي وصفت من حبوط أعمال الكفار وبطلان اعمالهم ضلال وهلاك بعيد لا يرجى عوده والبعيد الذي لا يرجى عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني يهلككم ويأتي بقوم آخرين يطيعونه مكانكم والمعنى ان الذي قدر على خلق

الهدى) أي ما دعاهم اليه من الحق وعن الزجاج (ألم تر) ألم تعلم الخطاب [illegible]
[illegible] (ما يشأ) الكفر والمعاصي [illegible]

السموات والارض قادر على اهلاكهم واتيان بدلهم وانما حلفوا آخرا لانهم لما كانوا يعلمون ان العذاب لا يصيبهم الا بعد الموت فكانوا يستهزئون بالوعيد ويقولون متى هذا الوعد فاجابهم الله تعالى بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) اى بممتنع (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون يوم القيامة ويظهرون عند الله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ وعبر بالماضى لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه وقال ابن عباس يريد أصحاب القليب وبعد ذلك يعمهم وغيرهم برزوا لله تعالى لا سوارى عنه شئ حين برزوا لانهم كانوا يستترون من الناس عند ارتكاب القواحش وظنوا أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة ارتكشوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه منهم أحد حوائجهم فبرزوا الى حساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة والاتباع وكعب الضعفاء واوصل الهمزة على لفظ من يعقل الالف صلة الهمزة فصلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استعبدوهم وصدوهم عن الاستماع الى الايمان واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) (٧٥) اى نابعين جمع تابع على سبع كخادم وخدم وغائب وغيب وشاهد وشهد وذوى تبع وأتباع (فهل أنتم مغنون عنا من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ يسير من عذاب الله عنا (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) اى لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم الى طريق النجاة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) اى مستو علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) اى من مهرب ولا نجاة مما نحن فيه من العذاب قال معاذ مولون فى النار انا لو نجزع فنعجز عن حمل العذاب فلا ينفعنا الجزع ونصبر فلا ينفعنا الصبر فعند ذلك (قال الشيطان) حين (لما قضى الامر) اى لما فرغ من أمر الفريقين وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو ما وعد من نصب فى وعده (ووعدتكم فاخلفتكم) اى الوعد وقيل لهم انى فلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) اى من ولاية وتسهيل لم آمركم بشئ فعصيتمونى من قبل أنفسكم (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع

السموات والارض قادر على اهلاكهم واتيان بدلهم وانما حلفوا آخرا لانهم لما كانوا يعلمون ان العذاب لا يصيبهم الا بعد الموت فكانوا يستهزئون بالوعيد ويقولون متى هذا الوعد فاجابهم الله تعالى بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) اى بممتنع (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون يوم القيامة ويظهرون عند الله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ وعبر بالماضى لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه وقال ابن عباس يريد أصحاب القليب وبعد ذلك يعمهم وغيرهم برزوا لله تعالى لا سوارى عنه شئ حين برزوا لانهم كانوا يستترون من الناس عند ارتكاب القواحش وظنوا أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة ارتكشوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه منهم أحد حوائجهم فبرزوا الى حساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة والاتباع وكعب الضعفاء واوصل الهمزة على لفظ من يعقل الالف صلة الهمزة فصلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استعبدوهم وصدوهم عن الاستماع الى الايمان واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) اى نابعين جمع تابع على سبع كخادم وخدم وغائب وغيب وشاهد وشهد وذوى تبع وأتباع (فهل أنتم مغنون عنا من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ يسير من عذاب الله عنا (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) اى لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم الى طريق النجاة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) اى مستو علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) اى من مهرب ولا نجاة مما نحن فيه من العذاب قال معاذ مولون فى النار انا لو نجزع فنعجز عن حمل العذاب فلا ينفعنا الجزع ونصبر فلا ينفعنا الصبر فعند ذلك (قال الشيطان) حين (لما قضى الامر) اى لما فرغ من أمر الفريقين وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو ما وعد من نصب فى وعده (ووعدتكم فاخلفتكم) اى الوعد وقيل لهم انى فلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) اى من ولاية وتسهيل لم آمركم بشئ فعصيتمونى من قبل أنفسكم (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع

تكلمي دعوتكم الى الصلاة أو سوستي وزينتي والاستماع منكم لان الصلاة ليس من حديث الشيطان (فاستجبتم لي) فاسمعتم لما أمرتكم به (فلا تلوموني) لان من تجرد للعبادة لا يلام اذا دعا الى أمر مشروع مع ان الرحمن هو الذي أمركم لا نفسكم كما أحرج أنوركم من اظلمته (ولوموا أنفسكم) حيث اجبتموني بلا عجب ولا ارهاب وقول العبرة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا الامكان ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هداني الله أي الى الايمان لهديتكم كما ضل (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا يعني بمغيثكم من عذاب الله ولا تغيثوني (٧٦) والاصراخ الاعانة مصرخي بفتح الياء لغة وبضمها لغة بضم الياء لا بجمع الكسر قوالبا آن

بعد كسر بن وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (انى كفرت بما أشركتموني) وما اشركتموني به (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم بأشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشركم ومعنى كفرت بأشراككم اياه تبرؤه منه واستكباره كقوله انا برآء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو تخليه عنى كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض وبما هو صوله اى كفرت من قبل حين انتسب السجود لآدم الذي أمرتموني به وهو الله عز وجل بقولكم فلان أمرني بكذا ومعنى اشراككم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عباده الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قال الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس واما حكى الله عز وجل ما قاله في ذلك اليوم ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على يأتوني أي أدخل المؤمنين الجنة بعد ما يأتيني المذنبون تائبين (باذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلهم الملائكة بأمر ربهم (تحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بهذا الكلام أو الملائكة تحييهم بذلك (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) قال الله عز وجل (كلمة طيبة) وهو لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كنخلة طيبة المنبت قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ن) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة مثلها مثل المسلم لا تحات ورقها ولا أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما قمت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة قال ما منعك

معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يعني ما كان مني الا الدعاء والعاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما لم تفعلوا قولي فلما لم تفعلوا قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى (ما أنا بمصرخكم) يعني من نصرتكم ولا دافع (ما أنتم بمصرخي) يعني بمغيثكم ولا منقذكم (وما أنتم بمصرخي) يعني بمعيني ولا مدني مما أنا فيه (اني كفرت بما أشركتموني من قبل) يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس تحدث ما عقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وبرأ من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى المعوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث السماء وذكر الحديث الى قوله فأوتى فيأذن الله لي ان أقوم فيقول لي ارفع محمد وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول أي رب أمتي أمتي فيقول انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فأخرجهم فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بمثل ذلك وأشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول أي رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم قرأ هذه الآية ﴿وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء عقبه بذكر الاتقياء الذين شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل ودل ان الثواب مع عمل الصدق عجل معروف والمعظم والمعجل الخالصة الهما الاساره بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونهما عجلا اشارة بقوله (خالدين فيها) والمعظم فصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لان تلك الدار انما كانت سلامة باذن الله تعالى اليه قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل ان يكون معنى يحيي بعضهم بعضا بهذا الكلام والملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة ﴿قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب هذا المثل لتحكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر أي ألم تعلم علما يقينيا بما علمتك من الآيات والدلائل هذا يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره ويحتمل ان يكون الخطاب مع كل فرد من البشر وكون المعنى ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله لانه يعني بها والمثل عبارة عن قول في شيء آخر يشابهه في بعض أحواله وصور ذلك هو قول سائر الناس في كل شيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كنخلة طيبة المنبت قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ن) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة مثلها مثل المسلم لا تحات ورقها ولا أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما قمت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة قال ما منعك

ان

الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على يأتوني وروا (باذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلهم الملائكة بأمر ربهم (تحيتهم فيها سلام) هذا يحتمل أن يكون من تمام كلام ابليس أخبر الله عز وجل عنه بأن أولياءه يحيي بعضهم بعضا بالسلام (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أي بين وهو من الامثال السائرة (كلمة طيبة) وهو قول لا اله الا الله (كشجرة طيبة) أي في حسن المنظر وكثرة المنافع (أصلها ثابت) أي في الارض (وفرعها في السماء) أي في العلو (تؤتي أكلها) أي ثمرها (كل حين) أي كل وقت (باذن ربها) أي بأمره وتيسيره (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (ومثل كلمة خبيثة) أي كلمة الشرك (كشجرة خبيثة) أي كالحنظل (اجتثت من فوق الارض) أي استؤصلت (ما لها من قرار) أي ثبات لان الريح تذهب بها يمينا وشمالا (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أي بكلمة التوحيد (في الحياة الدنيا) أي بالحجة والبرهان (وفي الآخرة) أي عند السؤال في القبر (ويضل الله الظالمين) أي عن الجواب (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال والهداية (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) أي بدلوا شكر نعمة الله بالكفر (وأحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوهم دار الهلاك (جهنم يصلونها) أي يدخلونها (وبئس القرار) أي المستقر (وجعلوا لله أندادا) أي أمثالا وأشباها (ليضلوا عن سبيله) أي عن دينه (قل تمتعوا) أي في الدنيا (فان مصيركم الى النار) أي مرجعكم (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي في السر والعلانية (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا يباع فيه ولا يشترى ولا يخالل فيه أحد بل يؤخذ من حسناته (الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك تجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار) أي لمنافعكم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي في السير (وسخر لكم الليل والنهار) أي لمصالحكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي من كل شيء احتجتم اليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تطيقوا حصرها (ان الانسان لظلوم) أي لنفسه بالمعاصي (كفار) أي لنعم ربه بالجحود (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) أي مكة (آمنا) أي ذا أمن (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) أي أبعدني وبني عن عبادة الاصنام (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أي بعبادتهم اياها (فمن تبعني فانه مني) أي على ديني (ومن عصاني فانك غفور رحيم) أي لمن تاب منهم (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعضهم وهم اسماعيل وأمه هاجر (بواد غير ذي زرع) أي ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أي الذي حرمت التعرض له (ربنا ليقيموا الصلاة) أي لكي يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) أي تسرع اليهم شوقا ومحبة (وارزقهم من الثمرات) أي بجلب الثمار اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) أي نعمك عليهم (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي من الوجد والحزن (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) أي لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق) أي مع الكبر (ان ربي لسميع الدعاء) أي لمن دعاه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) أي بعضهم (ربنا وتقبل دعاء) أي عبادتي اياك (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يوم القيامة (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) أي لا تظن يا محمد ان الله غافل عما يعمل الظالمون من الكفر والمعاصي (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أي تفتح أعينهم ولا تطرف من شدة الهول (مهطعين مقنعي رؤوسهم) أي مسرعين رافعي رؤوسهم (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا يرجع اليهم بصرهم (وأفئدتهم هواء) أي خالية من الخير لفرط الخوف (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أي أشركوا (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أي الى وقت قريب (نجب دعوتك ونتبع الرسل) أي فيما جاؤوا به (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) أي في الدنيا (ما لكم من زوال) أي عن الدنيا الى الآخرة (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) أي بالكفر والمعاصي (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أي من العذاب (وضربنا لكم الامثال) أي بينا لكم صفاتهم العجيبة (وقد مكروا مكرهم) أي في كفرهم وتكذيبهم الرسل (وعند الله مكرهم) أي علمه بمكرهم (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أي ان كان مكرهم في قوته كالجبال في ثباتها فالله يمحقه ويبطله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) أي لا تظن يا محمد ان الله يخلف وعده رسله (ان الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) أي ممن كفر به (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) أي تبدل صفاتهما بصفات أخر (وبرزوا لله الواحد القهار) أي خرجوا من قبورهم لله الواحد القهار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد) أي مشدودين في القيود (سرابيلهم من قطران) أي قمصهم من قطران (وتغشى وجوههم النار) أي تعلوها النار (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) أي من خير وشر (ان الله سريع الحساب) أي يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة (هذا بلاغ للناس) أي كفاية لهم في الموعظة (ولينذروا به) أي ليخوفوا به (وليعلموا أنما هو اله واحد) أي لا شريك له (وليذكر أولوا الالباب) أي ليتعظ أولوا العقول

ان تتكلم فعلت لم أو كم تتكلموا فكر هت ان أتكلم أو أقول شيأ فعال عمر لان يكون قلتها أحب الي من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثوني ماهي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا حدثنا ماهي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة الحمة وفي رواية أخرى عنه انها المؤمن ۞ وقوله (أصلها ثابت) يعني في الارض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني داخلة في السماء (تؤتي أكلها) يعني ثمرها (كل حين باذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تحمل في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن سنة أشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب عن ابن عباس ستة أشهر يعني ان مدة حملها ما بين ظهورها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب سبعة أشهر يعني من وقت أن تؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني عدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا بالليل والنهار وصفها بأنها تؤكل منها الخارج والطالع والبالغ والبلال والبسر والناضج والرطب وبعد ذلك تؤكل ثمار النخل الى حين الطري الرطب وأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في مثل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالله حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص سبب لدخول الجنة كما ان ثمر النخل في غاية الطيب والحلاوة فكذلك ثمرة الكلمة الطيبة رفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخل الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان عرق النخل ثابت في كل حين ووقت وكذلك ما كسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين بتركه هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعد بها الى السماء رحمة به تركها ونوالها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة سريعة الفساد في غالب الامر لا يجاد لعب من فصله طلعه آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع رأسه وانها لا تحمل حتى يطلع طلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في مثل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجر لا يسمى شجرة الا لاتصاله بعروق راسخة وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا لمن أتى بالتصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان ۞ وقوله تعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال عبرا في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظ لمن يتذكر واعتبر ۞ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو السرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل فانه أخبث الشجر ساقا ومحاهدة وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه انها الثوم وعنه انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ما ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعني استوصلت وقطعت (من فوق الارض مالها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا تحمد له ولا تصعد له قول ولا عمل صالح ولا لاعماله أصل ثابت ولا فرع صاعد الى الكافر هذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليه وعلى آله وسلم كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح ۞ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما ضرب الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت

ولكن الاشعار لا يراد الا للعمار فأما قوله النار الا من الاشعار اذا ادب الاشعار في عهد الاعمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة المثمار كالنخلة والشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن حدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صامتا فوقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر الناس أنها النخلة فلما قمت مع أبي قلت يا أبت والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم لو كنت قلتها لكان أحب الي من كذا وكذا (تؤتي أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وسمي ثمرها أكلا لان الاكل هو المقصود من الثمرة (باذن ربها) بمشيئة ربها وقضائه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال عبرا في الافهام وتصويرا للمعاني وتذكيرا ومواعظ لمن يتذكر واعتبر ۞ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهي كلمة الكافر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا نفع فيها وفي الحديث انها حنظل (اجتثت) يعني استوصلت وقطعت (من فوق الارض) أي ما لها أصل ثابت (مالها من قرار) أي ما لها أصل ثابت ولا فرع صاعد (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم على القول الثابت وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله

والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين والمراد بالكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة كلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني الكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين ﴿ وقوله (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند الحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر وفي رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين فقط البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه ليضيق له في قبره حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وأتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فقال ان كان مؤمنا قال أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين فقط وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فقال أما المؤمن فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقيل له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين واخرجه البخاري من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أقبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فقال كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وهو يعود بكسر في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية وفي الآخرة وهم الملكان في القبر قال زاد في رواية أبي داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين فقط البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه ليضيق له في قبره حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فقال كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فلا يهتدي لاسمه فيقال له ما كنت تقول فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين قال فقال بعض أصحابه يا رسول الله كيف حالنا عليك فقال الآن حين تسألون وأنتم كذلك وأخرجه أبو داود عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وهو يعود بكسر في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فلا يهتدي لاسمه فيقال له ما كنت تقول فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين قال فقال بعض أصحابه يا رسول الله كيف حالنا عليك فقال الآن حين تسألون وأنتم كذلك وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فقال كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين قال فقال بعض أصحابه يا رسول الله كيف حالنا عليك فقال الآن حين تسألون وأنتم كذلك

(في الحيوة الدنيا) حتى اذا قالوا قبرنا دسهم لم يزالوا كما ثبت الذين منهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بسؤال الملكين ويمكن الصواب معنى البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن روح المؤمن وما يقال له وما يرد عليه في قبره وصفة ضمه ما ملكان فعلمناه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وما يرد عليه من ربه وما يقول في الدنيا من الاسلام ونبي الله صلى الله عليه وسلم وما يرد عليه من ربه وما يقول في ذلك فعلمناه ذلك قبل ان يأتينا فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يقول الله ان كان عبدي صادقا فأوسعوا له مد بصره في قبره

شكرها الذي وجب عليهم وصيروا مكانه كفرانهم (فبئس المصير) بدلوا دار أهل مكة أي كفرهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين اتبعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر هي (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة (ليضلوا عن سبيله) بفتح الياء كوفي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا قليلا فإنه الخذلان والعذاب وقال ابن عباس يعني عند ما استطاع من شهوته (فإن مصيركم إلى النار) مرجعكم إليها (قل لعبادي الذين آمنوا) جزمه بلام الأمر مضمرة وكسر الياء لالتقاء الساكنين وبغير حذف الياء اكتفاء بالكسرة وبغير حذف النون لأنه ليس بجواب الأمر (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) المعنى يحذف اللام لأنه في معنى مقولا لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا فسقطت اللام وبقي الفعل مجزوما لأنه أمر وهو المقول والمعنى أمرهم بالإقامة والإنفاق لأن الأمر لا يقع إلا على المأمور به وهو الفعل لا على العين (سرا وعلانية) نصبا على الحال أي ذوي سر وعلانية

يقول هاها هاها لا أدري ما هذا يقول هاها هاها لا أدري فيقول ما هذا الرجل الذي نعت فيكم فيقول هاها هاها لا أدري فيأتيني ملك من السماء فيقول قد كنت عندي فأمر شوالة من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فأدفن وراءه ثم يعمى له أعمى أكمه معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار رابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير رابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت وهو يبكي بكاء طويلا فحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي أخرجه مسلم بزيادة طويلة وقيل المراد من الذين بدلوا نعمة الله هو أن الله تعالى أنعم عليهم في العير بسبب كونه مواطنهم على شهادة الحق في الجاهلية وجعلهم لها فلما كذب مواطنه على شهادة الإخلاص أكفر كان رسوخها في قلبه أعظم فعلى المسلم أن يكون من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في حيز حالاته من مبانيه ومعقوده ولوحه ومقله مرجع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه بركة مواطنه على شهادة الإخلاص الذي في العير ويسهل عليه مسوات الملكين عباد مخلصين من عذاب الآخرة بسؤال الله الذي في العير وحسن الجواب ونسأله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه أنه على كل شيء قدير ۞ وقوله تعالى (ونصل الله الطالمين) يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب بالسواب في العير (وجعلوا لله أندادا) يعني من الوثنية والجدلان والهدايا والأصنام وغيرها كما لا غرض لهم في جميع أفعاله لا سيما فعلهم وهم يسألون ۞ قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (ح) عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال هم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش كفروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هم الأفجران من قريش المعبر وأما المعبر فعبد كفوهم يوم بدر وأما الفاجر فمعاوية بدلوا نعمت الله كفرا أما نعمة الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان فبعد ما أنعم الله عليهم وقبل أن يكونوا بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لما لهم لما وجب عليهم أن يكونوا شاكرين عند الإنعام عليهم بالإيمان اختاروا الكفر فسلبهم الله نعمته وأحلهم دار البوار وهي النار يوم القيامة (وأحلوا قومهم) الذين اتبعوهم على دينهم (دار البوار) يعني دار الهلاك يوم بدر (جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (وبئس القرار) يعني بئس المستقر (وجعلوا لله أندادا) يعني الأصنام (ليضلوا عن سبيله) يعني ليصدوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا قليلا (فإن مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة ۞ وقوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني أقيموا أيها المؤمنون الصلوات الخمس بمواقيتها بإتمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قل أراد بهم الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى لدخول فيه ما خرج الزكاة والإنفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعني مفروضا والمعنى في المسر

ومن قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بما يعتاد من الخلال والخلال الخلة والمعنى انه يأتي يوم لا يتمكن فيه من ذلك (وعلى هذا فقس ما سكن وبقي والباقون بالرفع والتنوين (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب

وحال العلاء موصل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية الخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لا فداء في ذلك اليوم (ولا خلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون بين الناس وقال معاتل معناه ليس هو يوم لا بيع فيه ولا سراء ولا تجارة ولا فدية ولا شفاعة وإنما هي الاعمال الصالحات يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة الفرقان أثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الخاصة التي تنفع صاحبها وهي خلة المعاصي والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الخاصة التي تنفع صاحبها الا ترى أنها تنفع المتقين فقط وتضر بها صاحبها عن غيرهم وقيل ان لهوم القيامة أحوالا يختلفة ففي بعضها يستحيل كل حال على حالة وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كان ذلك لله تعالى في حق قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في واضع كثيرة وقد ذكرها بعض هؤلاء هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار العادل الذي لا يجوز في أفعاله قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما قدم ذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مسمى من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء التي هي السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمرات هم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع انما قال قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي اخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك تجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمرات لاجل الرزق والارتفاع به ذكر نعمه على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في حمل ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من عظام نعمه الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعني دائمة لكم تجري ليلا ونهارا وانما كانت انهارا لتجري لا يتوقع به في سقي الزرع والثمرات ولما ذكر الثمرات اعاد ذكر نعمه على عباده في تسخير الانهار وتسخير الرزق لاجل هذه الخاصة وهي من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدائب العادة المستمرة دائما على حاله واحدة وذلك في السير دوامها على الصفة المعلومة انما سخرهما لمصالح العباد لانهما يسيران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وقيل ان عباس دائبين في طاعة الله عز وجل وقال مجاهد دائبان في طاعة الله أي في سيرهما وأمرهما في ارتفاع الظلمة واصلاح الثمار والحيوان لان الشمس سلطان النهار ومعرفة فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه تعرف أعداد السهور وكل ذلك بتسخير الله سبحانه وتعالى وانما على عباده في تسخير هم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني دائمان في الصلاح والطاعة والمصالح وانما على عباده في ذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ما سألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي انعم الله بها على عباده وسخرها لهم من بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على ذلك العمل أعطى عباده من المنافع والمرافق ما لا يحصى عددها ولا يحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف شيئا لدلالة الكلام عليه والمعنى وآتاكم بعض ما سألتموه على الكمال هو الذي سألتموه وعلى الكمال هو الذي يصلح لكم (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده ولا يقدر أحد على حصرها ولا عدها كلها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد ما جهل وقال الزجاج هو جنس ولكن بعضه يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعني لظلوم لنعم الله كفار معدود به وصل الظلوم الشاكر لنعم الله على

فصح الشكر في عبر موضعه كفار جحود لنعم الله على وجه يسلب النعم ما عمال شكرها كفار سدد الكفران لها وصل ظلوم في الشدة يسكو وتحرع كفار في النعمة يجمع ويمنع ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني دا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا فالجواب فيهما انه سأل في الاول أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها فيها ولا يجاورون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعني أنعدني وبني أن نعبد الاصنام فان قلت قد نص على هذه الآية اسكالان وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها واحتلوا أهلها الوجه الثاني أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني وبني عن عبادة الاصنام الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أولا أن يجعل بلده آمنا ثم سأل ربه ثانيا أن يجنبه وبنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من نسله عبادة الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام فما الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا هذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا وجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وهو لم يقع وهو عام مخصوص بهذا الحديث ولا تعارض بين الخاص والعام الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص بأهل مكة زيادة الأمن في البلد كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك ويحتمل ان من دعا بالامن الى أهل مكة أمن على نفسه وماله من ذلك ويحتمل ان الوحوش اذا كانت في الحرم تمتنع من الحرم اليها وحينئذ فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله مكة وحرمها وأما الجواب عن الوجه الثاني من وجوه الاول الوجه الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام استجيب له فزاده النعم والسعة فهو كقوله واسعا سلمى ان الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصم من عاداه الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء تعظيما للامر واظهارا للخضوع والتذلل الى الله تعالى ورجاء أن أحدا لا يقدر على منع ما سبق لم سبق الله به فلهذا السبب دعا بهذا الدعاء وأما دعاؤه لولده وهو الوجه الثالث من الاسكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لمن صلح ولم يعلم احد منهم صلاحا الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده والموجود في حالة الدعاء ولا سيما ان ابراهيم عليه السلام لم يعلم أحد منهم الوحي الا لمن كان في زمانه فكأنه قال الواحدي دعا لمن أدرك الله أن يدعوه فكأنه قال وبني الذين أدركوا النبوة منهم لان دعاء الانبياء مستجاب وكان من دعائه للصنم لعلي هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا خاص في الموجودين من أولاده والدليل عليه قوله في آخر الآية حكاية عنه فمن تبعني فانه مني وذلك يدل على أن من لم يتبعه ليس منه والله أعلم بمراده وأسراره ۞ وقوله سبحانه وتعالى (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) يعني الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) فان قلت كيف جاز اسناد الاضلال الى الاصنام وهي جماد لا تعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال عندها أضيف اليها كما يقول بعض الناس فتنتني الدنيا وغرتني وصرعتني النساء وإنما فعل هذا كله غيرها وانما نسبها (فمن تبعني فانه مني) يعني في ديني وفي عبادتي يعني المسلمين من بني المسكين على كما قال الشاعر

اذا حاولت في أسد فجورا ۞ فاني لست منك ولست مني

اراد ولست من المسكين على وفي معناه مني سكم محكمي جار حراي في الغرب والاخلاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي من عصاني مما هو دون الشرك فانك غفور رحيم قال مقاتل

(واذ قال ابراهيم) واذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أي البلد الحرام (آمنا) ذا أمن والمعنى من هذه وبني ما في الغرب انه قد سأل ربها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وبعدني أي نحني على احد جانبيها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي مخلصين لك أو اجعلنا مسلمين لك على الاسلام (وبني) أراد بني من صلبه (أن نعبد الاصنام) بأن يثبتهم على الاسلام (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) بعبادتهن مضافا الى طريق السببية لان الناس يضلون بسببهن وكما يجوز اضافة الفعل الى الجماد (فمن تبعني) على ملتي وكان على طريقتي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني بان مات كافرا فانك تغفر له

ومن عصاني فإنك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الأنباري هذا فقال ومن عصاني فيما دون
بعض الشرائع وعقائد التوحيد فإنك غفور رحيم إن شئت أن تغفر له فغفرت إذا كان مسلما وإن كثر وجهين
آخرين أحدهما أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك كما لم يغفره وهو يقول إن ذلك غير
يغفر فلما عرف أنهما غير مغفور لهما غير أمرهما إلى الوحي الآخر ومن عصاني فأمسه على الكفر فإنك
غفور رحيم يعني أنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الإيمان والإسلام وهديته إلى
الصواب ﴿ قوله عز وجل أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم ﴾ (ح) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها
على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في
أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء
ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسمعيل فقالت يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه
أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم
رجعت فانطلق إبراهيم فدعا لهم بهذا الدعوات فرفع يديه فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى
بلغ يشكرون وجعلت أم إسمعيل ترضع إسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال ينشغ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب
جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبل الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم ترى أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا
بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت
عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم ترى أحدا فعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
صوتا أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد
ما تغرف وفي رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أم إسمعيل لو تركت
زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي
الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل
بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على
ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسمعيل
عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم إسمعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا
بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم
وماتت أم إسمعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسمعيل يطالع تركته فأخرجه البخاري بأطول من هذا وقد تقدم
الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي من للتبعيض أي
بعض ذريتي وهو إسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس بمزرع لأنه واد بين جبلين أي
بين جبلي أجياد وهو واد بمكة قد دخل الحرم مما يحرم لأنه تحرم بتحريمه إبراهيم وقال
إن الله حرمه على لسانه يوم خلق السموات والأرض وحرم الحرس لهوائه وشجره وجعل ما حوله حرما كما كان
حرمه وسلم لأنه حرم على الطوفان يعني لصغره وسهل ميت حرما لأن الروابي له تحرمون على أنفسهم
إذا كانت بأحجارهم من سهل وغيره مما يلي الحرم من الجبال وهي من الحرم أو من الطوفان وقال كعب قال
عند بيت المحرم ولم يكن هو البيت يومئذ وإنما كان إبراهيم بعد ذلك فقال يا رب إن الله عز وجل أوحى إليه

وسهم إن شاء الله (ربنا
إني أسكنت من ذريتي)
بعض أولادي وهم إسمعيل
ومن ولد منه (بواد) هو
وادي مكة (غير ذي
زرع) لا يكون فيه شيء من
زرع قط (عند بيتك
المحرم) هو سمي به
لأن الله تعالى حرم التعرض
له والتهاون به وجعل
ما حوله حرما بمكانه أولانه
لم يزل معظما به كل جبار أو
لأنه محترم معظم الحرمة
لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم
على الطوفان أي سمع منه كما
سمي عتيقا لأنه أعتق من

واقفا له هناك بياقد كان بين الزمان وابنه سنة عشر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث في هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي وهم إسمعيل وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا أي لأجل أن يقيموا أو لكي يقيموا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال المعوي جمع الوفد (تهوي إليهم) تحن وتشتاق إليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم إلى هذا الموضع وقال ابن الحوري أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا جمعه جمع قوا قال ابن الأنباري وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة لغرب القلب من الفؤاد جعل القلب والفؤاد حارسين وقال الجوهري الفؤاد القلب والجمع أفئدة فمعناها ما ذكرنا واحدة ولبعضهم في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمكم فارس والروم والترك والهند أو قال سعيد بن جبير تحن اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوي إليهم قال الأصمعي يقال هوى يهوي هويا إذا سقط من علو إلى سفل وقال الفراء هوى إليهم بريدهم كما تقول أتيت فلانا وهوى يحول معناه بريد وقال أصله هوي يسرع إليهم وقال ابن الأنباري معناه تحط إليهم وتقصد وبريد هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس تريد تحن إليهم لزيارته وقال مجاهد تسرع إليهم وفي هذا بيان أن حج الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لذاتهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذرية إسمعيل أن يرزقهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه السلام في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا ظهر بدايته وعجب نهايته (وارزقهم من الثمرات) يعني كما رزقت سكان القرى دوات الماء والزروع وكون المراد عمارة قرى بعرفة لتحصيل تلك الثمار وهو أن يحمل أن تكون المراد جلب الثمرات إلى مكة نظير ما في النحل والنحارة وهو كقوله تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وولى معناه لعلهم يوحدونك ويعبدونك وفيه دليل على أن تحصيل ما فيه نفع الدين إنما هو لتيسير أداء العباد وإقامة الطاعات (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) يعني أنك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا يخفى عليك منهما فكيف بما تعلنه فلا حاجة إلى الدعاء والطلب إنما هو لإظهار العبودية لك وتحصيلا لعطفك ولذلك لا يجب أن يدعو إلى ما يدل ويسأل مع ما يعلم ما نخفي من الوجد بعرفة مع سؤالك وأمنك أشكيهما وأداء عبدي برزع وما نعلن يعني من الكلام وسؤال ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى على ألسنة الخواص حين قالت لإبراهيم عليه السلام إلى من تكلنا قال إلى الله تكلنا إلى الله اذا لا نضيعه (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) ذلك هذا من مقول إبراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الأكثرون إنه من قول الله تعالى تصديقا لإبراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك نفعل (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق) قال ابن عباس ولد لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد إسحق وهو ابن مائة سنة وقال سعيد بن جبير ولد لإبراهيم وهو ابن مائة وسبع سنين وولد إسحق وهو ابن مائة سنة وقال سعيد بن جبير أيضا ولد لإبراهيم وهو ابن مائة وسبع وستين سنة وقيل في قوله على الكبر على الكبر لا يولد لمثله والولد في هذا السن من أعظم المنن لأنه سن الإياس من الولد فلهذا شكر الله على هذه النعمة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق فإن قيل كيف جمع بين إسمعيل وإسحق في الدعاء وهب واحد وإنما سر ما يحق بعد إسمعيل بزمان طويل قيل يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عند ما سر بما يحق وعلم أنه لما عظم الله على والد هم مولد بن عظيمين عند كبر السن فقال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بعد ما ولد له إسمعيل وأمه لأن الذي صح في الحديث أنه دعا بهذا قوله ربنا إني أسكنت من ذريتي إلى قوله لعلهم يشكرون أما بعد هذا فيكون قوله الحمد لله الذي

(إسمعيل وإسحق) روي أنه ولد لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة سنة وروي أنه ولد له إسمعيل لاثنتي عشرة سنة وإسحق لسبع سنين وإنما ذكر قبل الكبر لأن الأم هي التي تلد الولد وهي أعلم بأحوال وقوع الناس من الولادة والطهر فلما حصل على عجب

(فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب مني سقم يريد في مكانه وصل أفئدة ناس وكرر المضاف إلى هذا الفعل لئلا يكبر أفئدة لأنها في الآية نكرة للتقليل بخلاف الإضافة (تهوي إليهم) تسرع إليهم من الأماكن البعيدة وتطير نحوهم شوقا (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم وادي مكة من مياه أخر كما جلب إليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات في وادي لا زرع فيه ولا ماء (ربنا) الدعاء المكرر لتمثل الضرع والتجاء إلى الله (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام أو من كلام إبراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على معنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير

وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (إن ربي لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه وهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء وهو من مولك سميع الملك كلام فلان اذا اعتد به وسمع له (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة بأركانها وحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظ من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد توجد من ذريته جمع من الكفار لا تليق بهم الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه فصلوات الله وسلامه وكرامته (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب فما سبب طلب المغفرة من ابراهيم والذنب وقد تستحيل عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة قلت المقصود من الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدي) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اختلف العلماء في أنهما هل أسلما أم لا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها ولوالده آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبعثون ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما من هذا السياق وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام فيه فاستجاب جميع المؤمنين بالمغفرة ❁ قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) العمل معنى يجمع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وفصل جميع ما العمل فيه فهو يعتري الانسان من قلة الضبط والاحاطة وهذا في حق الله تعالى محال فلابد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى يتقم من الظالم للمظلوم فهو وعيد وتهديد للظالم واعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عن عمل يعمله ولا يتركه معملا قال سفيان بن عيينة هذه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قال علي رضي الله تعالى عنه في السهو والغفلة فكم من تحسس رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى يقال لله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون فلما كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهان أحدهما انه نهي على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا واعلموا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبان الله غافلا الاعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبن معاملتهم معاملة الغافل عنهم ولكن تعاملهم معاملة الرقيب الحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب بهذا غيره الا أن صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال الا أن قوما من الناس غيروا من هذا حرفا أن تحسبن معناه لا تظهرن لله سبحانه (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يعني تبقى مفتوحة لا تطرف من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة سراعا وهذا قول أكثر المفسرين على هذا المعنى ان العالم من حال من ينتصب ساخصا من شدة الخوف أن يسمى واقعا ما هو من الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أهوال أهل الموقف يوم القيامة مختلفة الحال الله تعالى يخبر سبحانه وتعالى انهم مع تخوص

المالغة العامله عمل الفعل كقولك هذا رجل أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) ومعنى ذريتي عطف على الضمير في اجعلني وانما تعين لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا ينال عهدي الظالمين وأما ابراهيم فأمن على المغفرة الى أن يعلم الساعة (وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي وأبو عمرو ووجه في الوصل الباقون بلا ياء أي استجب (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء أو والد صلبه قيل اسمه آزر عن ابن عباس أو تارخ (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو اسند الى الحساب لما كان يقع فيه استعارة كما قال عيشة راضية واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما هو كائن عالما من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين

ولا تدع مع الله الها آخر وكقولهم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وانما يؤمر بالشيء من هو متلبس بالمأمور به فكذلك هذا نهي عن الحسبان مع علم المخاطب بأن الله عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى لا تحسبن معاملتهم معاملة الغافل عنهم ولكن تعاملهم معاملة الرقيب الحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غيره الا أن صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال الا أن قوما من الناس غيروا من هذا حرفا أن تحسبن معناه لا تظهرن لله سبحانه (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يعني تبقى مفتوحة لا تطرف من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة سراعا وهذا قول أكثر المفسرين على هذا المعنى ان العالم من حال من ينتصب ساخصا من شدة الخوف أن يسمى واقعا ما هو من الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أهوال أهل الموقف يوم القيامة مختلفة الحال الله تعالى يخبر سبحانه وتعالى انهم مع تخوص

(مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم النظر هم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) منخرقة لا تعي شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصفت به قلوب الخائفين هواء اذا كانت خالية لا تعي شيئا ولا تجد لفقد ما يحزنها ويوجعها لفرط الخوف لا تعقل لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ما لا بد لا طرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) أي ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فقال الله لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتم في الدنيا أنكم اذا متم لا تزالون على تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم وانما حذف بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال أو أريد بالقوم (٨٥) يوم يأتيهم العذاب فالخطاب

الانصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعي رؤسهم) الاقناع رفع الرأس الى فوق وأهل الموقف من صعبهم الهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعاد لان رفع السماء فانه نظر صيره الى الارض قال الحسن وحوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا يرجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا يرتد اليهم قد شغلهم ما ينالهم (وأفئدتهم هواء) أي جائفة قد خرجت حناجرهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفئدتهم جائفة غير عاملة شيئا أو لا تعمل من شدة الخوف وقال مجاهد خربة أفئدتهم هواء أي متمزقة فهي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يوم القيامة تزايل عن أماكنها فلا الابصار ترجع الى الصدور ولا الروس ترفع الى السماء بل هول ذلك اليوم وشدته (وانذر الناس) يعني وخوف الناس بالحشر يوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا الى أجل قريب) يعني أمهلنا مدة يسيرة قال لهم ذلك توبيخا لهم وتقريعا على ما فرطوا في الرجوع الى الله تعالى يوم القيامة فعند ذلك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) فأجابوا قوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها انتقال ولا تحول ولا تغيير (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني ما لكم من الكفر والمعاصي من كان منكم في كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم (وضربنا لكم الامثال) يعني الامثال التي ضربها الله تعالى وجعل في القرآن ذكرها وهو تعبيرها فحث على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العذاب والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكرهم) اختلفوا في الضمير الذي يعود اليه وقد مكروا هو الى الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور ويحتمل أن المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يستأصل مكرهم ﴿ وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وهو الى ان مكرهم يصعد الى الله فيجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني ان كان مكرهم لاعظم من أن تزول منه الجبال وهو الى ان مكرهم لا يضعف من أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو

يوم يأتيهم العذاب يشفة السكرات ولقاء الملائكة بالبشرى فاليوم يسألون يوم يأتيهم يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) بالكفر (ربنا أخرنا الى أجل قريب) يعني السكنى من السكون وهو الاقامة والحلول يعني نجب دعوتك ونسرع في الذهاب وأقام بها وأكثر ما يستعمل في الاقامة في مكان خاص يقال سكن الدار ولا يقال سكن في السوق وسكن الدار يدل على الثبات فيها وتكون السكنى بمعنى الانتقال يقال سكن اذا تحول عنها وأما الرابطة فهي التي تربط بين شيئين فتجمع بينهما والمعنى ما كان لهم في الظاهر والله أعلم حلفتم بعد موتكم في الدنيا أنكم في الآخرة تبعثون أحياء وتردون الى الدنيا (وتبين لكم) بالتاء والنون وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أي تبين لكم حالهم (وكيف) ليس فاعل لان الاستفهام لا يعمل وما بعده وما قبله وعامل كيف ما بعده (فعلنا بهم) أي ما كان حالهم وما صنعنا بهم (وضربنا لكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما نفعل بهم وهي قوله كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أي مكروا مكرهم الذي استمروا عليه مع عهدهم بما عاينوه من تأييد الكفر وظلال الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالذي قبله والمعنى ومكرهم عند الله مكرهم فهو يحازيهم عليه مكرهم وأعظم منه والى المفعول أي وعند الله مكرهم الذي مكروه به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية وهو قراءة الاكثرين ومعنى مكرهم لتزول أمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو دينه الذي جاء به من التوحيد والاسلام بالجبال الراسيات أو بآيات القرآن وشرائع الاسلام وكان أمر النبي صلى الله عليه وسلم كالجبل الراسي الذي لا يتزعزع ولا يتحول وما كان مكرهم ومع اللام الاولى ورفع الثانية على أي وان كان مكرهم مما تعظم منه الجبال وتستخف وتستطير عن أماكنها من شدته

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم معلولين (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين أى يقرنون فى الاصفاد أو بمعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود أو الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما يحلب من

الشجر الرطب فيطبخ فيهاتى الاول الحمرى فيعرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى تعود طلاؤهم كالسرابيل لتجتمع عليهم لذع القطران وحرمته واسراع النار فى جلودهم والوانهم الوحشى ونتن الريح على ان السرابيل من القطران كالثياب من القمص والنار تغشى وجوههم كما قال تعالى وتغشى وجوههم النار (وتغشى وجوههم النار) تعلوها بلهب خالص الوجه لانه اعز موضع فى ظاهر البدن كالملبس باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) اى تفعل من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب الخلق فى اقل من لمح البصر (هذا) اى ما وصف فى قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية فى الذكر والموعظة (ولينذروا به) هذا البلاغ وهو معطوف على محذوف اى ليعملوا ولينذروا (ولعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا عاينوا ما انذروا به تنبهوا بالنظر الصحيح الى ان الحشر والنشر حق فيعملون لذلك (وليذكر اولوا الالباب) ذوو العقول *(سورة الحجر تسع وتسعون آية وهى مكية)* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه (آيات الكتاب) القرآن (وكتاب) عطف صفة على صفة لتغاير الوصفين (مبين) يبين الحلال والحرام والهدى والضلال وقيل المراد بالكتاب السورة وتنكيرها للتفخيم (ربما) قرأ نافع وابن عامر بتخفيف الباء وشد الباقون (يود الذين كفروا) تمنوا (لو كانوا مسلمين) اذا عاينوا حالهم فى الآخرة وقيل اذا عاينوا المؤمنين قد اخرجوا من النار بالشفاعة وقيل اذا عاينوا العذاب وقيل اذا حيل بين اهل الايمان والكفر وقيل اذا خرج عصاة المؤمنين من النار بالشفاعة وقيل اذا قضى امر الدنيا وقيل اذا عاين كل كافر مقعده من الجنة لو كان مؤمنا وقيل اذا عاين المسلمون ما اعد الله لهم من الكرامة وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالمسلم من الخير وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالكافر من الشر وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالمسلم من الشر وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالمسلم من الخير وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالكافر من الشر وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالمسلم من الشر وقيل اذا عاين الكافر ما يفعل بالكافر من الخير

قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتعظيم والتعظم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والعراقة في البيان وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى تشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما لوصفين وان كان الموصوف واحدا المعنى ذلك من العائدة وهي العلم والتعظيم والدين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وربت للتقليل وكثرت للتكثير وانما ترد على ما مع ربت لتليها الفعل تقول ربرجل عالم ورب عالم لقيت وربوان سبحانه ما أنزل شيئا كأنك لما ربت بشيء فيكون المعنى ربما (يود الذين كفروا) وهو كل ما في ربما من معنى حين أي ربما حان من الوقت يود الذين كفروا لان التمني هو سبب حصول ما يوده والمتأمل المتدبر في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على مولى أحدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت هذا عند بعض الكافر انه كان على الضلال متمنيا لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حلول العذاب والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما صيروا اليه من العذاب عند ذلك يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ودلو كان مسلما وقيل ادا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويسمح بعضهم في بعض حتى يقول ليت كنا من المسلمين فلندخل الجنة عند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله الموحدين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فغفرها الله لهم فيقال اخرجوا فمن عرفتم فأخرجوه فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال والده ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وابراهيم يعني النخعي فان ربما وضعت للتقليل فيكون المعنى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكون يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فقال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك ربما ندم الانسان على فعله ولا يكون في ذمه ولا يقصدون به أنه واقع منهم ارادوا لو كان الندم سكونا فانه ما كان لا لحق عالما أن لا يفعل هذا الفعل لان العقلاء يحترزون من التعرض للعلم المطلوب كما يحترزون من الماشي ومن الفاعل مسه كما يحترزون من الكبير وقال غيره ان هذا الفعل المتوقع في كونه واجبا لله عن هذا الفعل فكيف كثر وقوعه في أن يعلمهم بالعذاب لأمر عهم لا دائما بما يخطر ذلك الهم فان رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو المستقبل فان المعروف في أخبار الله تعالى عن أحواله الماضي المقطوع عن تحققه كأنه قال ربما ود وهو المستقبل ويعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) نسخ بقوله سبحانه وتعالى الكفار يأكلون في دنياهم ويتمتعون بلذاتها (ويلههم الأمل) نعي ويشغلهم طول الأمل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) نعي اذا وردوا القيامة وأوتوا بالعذاب فسوف يعلمون سوء عاقبة أمرهم وقيل أخذ بعضهم من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بعضهم من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد آخر وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية

(وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) يريد كتب جملة واحدة مختصة لقرية والناس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة مظنة البعد عن الموصوف بلا واو وفي غيره بالواو وتأكيد ذلك بالوسط أن تكون هذه الجملة حالا لتقربه لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا ولا حالا الا وكتابها معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الاجل الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في وضع كتابها (وما يستأخرون) أي عنه وحذف لانه معلوم وأنث الامة أولا لتذكيرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (٨٩) (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لمجنون) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وذكر ما يستهزءون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والعكس في كلامهم للاستهزاء والهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم الملائما الحلم الرشد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر (لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لو تركب مع لا ولما لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتخصيص وهل تركب مع لا للتخصيص فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك بتصديقك او هلا أتيتنا بالملائكة للعقاب على تكذيبك اياي كما قالوا (ما نزل الملائكة) ستكون في غير التي تكون نزل الملائكة أو تكون نزل الملائكة اي نزلن عليهم (الا بالحق) الا تنزيلا

دليل على ان ايسار المدد والمهم في الدين يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي رضي الله عنه أيها الناس انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها الا انها تفيد النص على هذا الحكم وتكون دالة على افادة عموم الاية كقوله معي الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت ونزول العذاب لا يقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة واخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما سبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما من غير ما سمع غيره فربما نسب الى الجنون ولما كانوا يسمعون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل انما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه وادعائه واعتقاد أصحابه وأتباعه الجنون في ادعائه الرسالة (لو ما) قال الزجاج والفراء لو ما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة) يعني تشهد لك بأنك رسول من عند الله فحذف (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (ما ننزل الملائكة الا بالحق) يعني بالعذاب الموعود به وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة ودليل أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة ما حكاه سبحانه وتعالى عنهم في قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وقد نزلوا في هذا الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن أنزلناه على محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر تحقيقا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر وأخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وانا له لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون من أن يزاد فيه أو ينقص منه والمعنى نحفظه من التغيير والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يعدو واحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا خاص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومعنى الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون من أن يقدر مسيلمة وغيره كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وروى هذا

القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فجرى
مجرى الكناية المذكورة بل أمر بمعنى ما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشد مطابقة
للتنزيل ورد الكناية الى أقرب مذكور أولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح
فاعلموا انى كلمة حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا ابدا فما سائر الكلام
يعجز الخلق عن الزيادة عليه والمعارضة لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والمعارضة لتغير نظمه وظهر ذلك لكل
عالم عاقل وعلموا بالضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد
من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أخبر الله الخلق عن ابطاله وافساده فوجد من الوجوه فقيض الله له
العلماء الراسخين فحفظوه وبينوا عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على
ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك فالحمد لله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في
شيع الاولين) لما قرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون
وأساؤا الادب عما أخبر الله سبحانه وتعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع
أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على أذى قومك فجمع الانبياء عليهم السلام في قوله صلى الله عليه وسلم
وفي الآية محذوف مقدر وتقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله
تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة أهواؤهم كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وسميت
الرجل أتباعه ومنه الشيعي سمي بذلك لاتباعه قول علي رضي الله عنه في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى
الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلك ادخال الشيء في
الطريق والمدخول فيه والسالك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخرز ومعنى الآية كما سلكنا
الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه اي ندخله في قلوب المجرمين يعني
مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أنس آية في سوء القدرية ادعى للخصوم ولم يعاند قال
الواحدي قال اصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك
منه من آمن بالقرآن فاستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي اجمع اصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى
خالق الباطل والضلال في قلوب الكفار بقوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال
في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم نخترع الضلال والكفر فكره ما فعل هذا القطع فلا يمكن ان تكون
الضمير عائدا الا اليه وأجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فالضمير
في قوله كذلك نسلكه عائد الى الاستهزاء الانبياء كفر وضلال وبتسليط هذا المعنى ظهر ان المراد من قوله
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وما نزل به القرآن (وقد خلت سنة الاولين) ﴿ موعد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل
بالامم الماضية الكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله بالهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية
فاحذروا يا أهل مكة ان تصنعوا مثل ما صنعوا فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لولا انزل الينا الملائكة باب من السماء فظلوا نهارا
ولازالوا فعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات فعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون
يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المراد بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة
وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا
والملائكة يصعدون فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظلوا
المشركون يصعدون في ذلك الباب ويمرون في ملكوت السموات ومادامت الملائكة لما آمنوا لعنادهم
وتكبرهم لقولهم الخ وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس انما حبست من
سكر الشراب وقيل هو من السكر الذي هو ضد الصحو وقيل سكرت كما يسكر النهر
الجاري والريح

(ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى الامم الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزءون) تعزية له عليه السلام (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من احزاب قال تعالى سلكته الخيط في الابرة رأسلكه اذا ادخلته فيها وهو حمله على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم الى ان استأصلهم الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أو صيرنا له وهو مع باب السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) حبست أو حجبت من الابصار من السكر أو من السكر سكرت كما يسكر النهر الجاري والريح لا

فسد النظر مثل ما يمنع الرجل السكران من تمييز المعقول وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكور وهو احتباس الماء يقال سكر الماء وسكنت الريح (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فيما سحره وحاصل الآية أن الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا أو يشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو حصل لهم هذا أو شاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا ما سبق لهم في الأزل من الشقاوة ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على عمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثمانمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وهي دورة الفلك يقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وهذه هي النجوم العظام قال الواحدي يريدون بنجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورنا به وسيأتي وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد الله وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقه وصوره (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وكل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا تحجب عن السموات وكانوا يدخلونها ويقربون باحتمارها إلى الكهنة ويخبرونهم الخبر فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما رأت ذلك العرب قالوا لا نعلم ذكروا ذلك لا لنس فقال لقد حدث في الأرض حدث فبعث وجوها من تهامة وهم بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يومئذ يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن قالوا هذا والله الحدث (الا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أي لحقه (شهاب ثاقب) والشهاب سمي بذلك لإضاءته ومعنى ثاقب مضيء وقيل سمي شهابا لاحتراقه من قولهم شهبت النار إذا اشتد التهابها وقال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة ودلت الآية أن الشياطين تركب بعضهم بعضا إلى السماء فيسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا فمنهم من يحرقه ومنهم من يحرقه أو يخبله أو يخبله فيسلبه عقله ومنهم من يحرقه فيصير فحما وقد أخبرنا أبو الحسن بن البراء أنبأنا عبد الله بن حامد الوذاني (ح) وأخبرنا أبو القاسم بن حبابة قالا حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن أبي التياح عن أبي رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان كما نعته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

(فصل) اختلف العلماء هل كان الشياطين يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما أنها لم تكن يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما سمعت حديث هذا الرمي وبعد ما روي أن بعض الشياطين

المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن وضع لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا فقالوا هو بي يحاكيه لا سحره (وقالوا إن نحن قوم مسحورون) قد سحر محمد بذلك أو الصنم الملائكة أي لو أراهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الطوال لعل عروجهم بالنهار ليكونوا مبصرين لما يرون وقال ابن الجوزي يدل على أنهم يرون العروج بأن ذلك ليس لانسكار الابصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (للناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمي بالنجوم (إلا من استرق السمع) أي السمع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم (مبين) يعني ظاهر للمبصرين كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من

الاخنس بن شريق قال أول من زجر للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وإنهم حازوا الطائف وحل منهم بقاله عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدى العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكني انظر وافاف كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من السنة والشهور فتعلم الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كان نجوما غيرها وهي بانيه على حالها فهذا لامر أراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاسباب لم يذكر أحد في شعره ذكر الكواكب التي رميت بعد مولده صلى الله عليه وسلم اذ عملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقض

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث سدد عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشددت أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح إلى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون به إلى أوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون ويزيدون أخرجه مسلم وقال ابن عباس كان الرجم كائنا لم يكن في سالف الدهر اسم لعقد ما قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال نصر بن الحارث وهو جاهلي

فالعير يرهمها الاراك وحسها * نبص خلفهما نباص الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدري يتبعه * مع ذو رحالته طبا

والجمع بين هذين القولين ان الرجم بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث سدد ذلك ويزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاحجار العزيز الله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما قال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واحتجوا على قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فيصح هذا الامر ان الارض ممدودة منبسطة وانها كرة ويرد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وانها منبسطة ولو كانت كرة لاحتيج بذلك والله أعلم عن اراده وكيف مد الارض (والقينا فيها رواسي) يعني الجبال الاوتاد بان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فيها فخلق الجبال (وانبتنا فيها) أي في الارض لان أنواع النبات المنبعث تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اكثر منفعة كذا قوله تعالى (من كل شيء موزون) واختلفوا في المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وموزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور وعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي تحتاج اليه الناس في معاشهم وارزاقهم فيكون أطلق الموزون على ما كان معتادا لان الناس لا يعرفون مقادير الا ما يوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد هي التي يوزن كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يوزن في المعادن لان هذه الاشياء كلها موزونة وقيل معنى موزون معلوم في الحس والعرف كقول العرب هذا موزون

السموات كلها (والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة وهو الجمهور وعلى انه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الارض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن عمران الحكمة وقدر بمقدار معلوم لا يتبع ولا يتجاوز أوله وزن وقدر في أثواب المعيشة والمأكول كالعمران والذهب والفضة والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانها أكثر

المطر كالب اذا كان حركاته ياسه جسمة وكلاهما مورون اذا كان مستلئا بساسه دا من الخطا والصحف
وقيل ان جميع ما يعيش في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون
والثاني الذي لا يستخرج بل يصاد ويحصل بكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد معدودان بالوزن
(وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطير أي مستحيل منهم ولستم لها
برازقين لان الرزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من في
قوله تعالى ومن لستم يعني ما لا يعقل وما لم لا يعقل وعمل نحو واطلاق لفظة من على من لا يعقل
كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم ويكون من على أصلها ويدخل معهم
ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شيء الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي
تخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا أحرزه فجعل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه
سبب الارزاق والمعايش أي آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره يقدره
قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر
يسقيها لا ينزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من
السماء كل عام بمقدار واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله تعالى قد يصرف المطر عنهم الى حيث لا يدعو به كالبراري والبحار
والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال في العرش ما خلق الله في الدنيا والبحر وهو قول ابن
عباس يعني للبحر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لبحب الماء وأصل الفعل اذا انتهى الى غايته
الماء فعمله وكذلك الرياح كالفعل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح اللواقح
السحاب فتحمل الماء فتمخض السحاب ثم تمريه تدر كما تدر اللقحة وقال عبد الله بن عمر يرسل الله الريح المبشرة
فتهيج الارض فتثير سحابا ثم يرسل الريح الثانية فتؤلف السحاب فتصيره ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح البحر والاشجار
فتخرج ما فيها فعند ذلك تفزع الانس والجن وهم يسمعون الصوت ولا يرون شيئا وهي التي قال الله تعالى
قال أبو بكر بن عياش لا ينزل قطرة من السماء الا بعد أن يعمل الرياح الاربع فيها قال الثانية تلقح السحاب
والشمال تحملها والجنوب تدرها والدبور تذرها وقال ابن عباس اللواقح جمع ملقح يعني ملاقح جمع ملقحة حذف الميم
ورد الى الاصل وقال الرياح تحمل السحاب وقال ابن عباس اللواقح التي تلقح الشجر وقال ابن عباس ايضا
السحاب تحمل الماء ثم تلقحه بالمطر كما تلقح الناقة بالفحل وقال ابن عباس ايضا اللواقح التي تلقح الشجر
وتحمل المطر وقال الضحاك اللواقح التي تلقح بالندى من الليل والنهار (وأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه)
يعني المطر (فاسقيناكموه) يعني جعلنا

الى الورثة (وجعلنا لكم فيها) في الارض (معايش) ما تعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي ما يعاش به ضعيفة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأرادهم العبيد والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم ويحسبون ان الله هو الذي يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن تكون في محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن هنا على المعنى وما من شيء نسمع به الا ونحن قادرون على اتيانه ونكونه ولا يعلم ذلك ولا نعطيه الا بمقدار معلوم فصرف الخزائن هنا لان المقدار على كل معدود (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كما يحمل الفحل الماء لبعض الناس فتلقح به النعم الريح حمله (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه)

الاسود المصور وصورة انسان أجوف فلما جف وبقي كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين المنتن اذا تفخر في الشمس ثم يجف فان الروح حينئذ يسري فيه ﴿ وقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس ونسل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وبنو الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكل ويشرب يعرفه الآدميون ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يراه ولا يأكل ولا يشرب وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاسراكهم في الاشرار هم وانصارهم من الاعين من مولهم حين الا ل اذا اسر والشياطين هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله وقوله حرار يهاد ه له و تعالى للريح الحار التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خوف الحجاب ذهب الى ما أمر به فالهدة التي تسمعون من خوف ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذا السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خلق منها الجان ولا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلق الملائكة من النور ﴿ وقوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (اني خالق بشرا) يعني الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر البشرة طاهر الجلد (من صلصال من حمأ مسنون) يعني من طين (فاذا سويته) يعني عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) الصحيح انه اجراء الريح في تجاويف جسم آدم مع الروح في السماء الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما قال تعالى بيت الله وناقة الله وعبد الله وسنأتي الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسألونك عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشرا أمرهم بالسجود لآدم قوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعني الذين امروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد والمراد من هذه الآية قوله تعالى فسجد الملائكة لا احتمال ان تكون حدثت بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم في هذه الاحتمال آخر وهو انهم سجدوا في أوقات متفرقة أو في دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا سجودا واحدا ولما سكن الرياح هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجود لان أجمع معرفة فلا يكون حالا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (الا ابليس ابى أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال) يعني اللعين (لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فكيف يكون ابليس في هذه الفضيلة من آدم ولم يدر الجاهل ان الفضل فيما

(ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأضافها تشريفا لها (فقعوا له ساجدين) هو امر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقديم الامر على وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام مخصص للتخصيص وقع بأن الخصوص كلهم وذكر الكل احتمال اول الامر وقطعه قوله أجمعون (الا ابليس) ظاهر الاستثناء يدل على انه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وفي الجن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة فلا يعترض الامر ولا يصرف الى المعنى وقال في الكشاف كان بينهم ما وقع بينهم بالسجود فعلم انهم الملائكة بالاستثناء عند الاعلام كقولك رأيتهم الا هندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع ان يكون معهم وابى استئناف على تقدير سؤال قال يعقوب هلا قيل فابى فقال أبى دلالة على أنه لم يكن له ولا لكن ابليس ابى (قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين) خرج الخروج ان يحذف ما يقدر ما لك بمعنى لا تكون مع الساجدين أي اي عرض لك في ان لا تسجد (قال لم أكن لاسجد) اللام للتأكيد والنفي لا يعمل في ان أسجد (لم خلقته من صلصال من حمأ مسنون)

قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من حلة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن الشيطان هو المطرود من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) صرح يوم الدين بعد اللعنة لانه أبعد غايه يصرح بها الناس في كلامهم وأراد به انك مدعو عليك باللعنة في السموات والارض (٩٦) الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا ينسى اللعن معه (قال رب فانظرني) فاخرني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن جوابه ليس العذاب سلوكا بالكلام طريقه الملائكة وعمل انما سأل الانظار الى اليوم الذي لا يبعثون لانه لا يموت أحد ولا يعذب الى ذلك اليوم وانظاره الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى فبسبب اغوائك اياي لازينن لهم المعاصي وتحسينها (لازين لهم في الارض) أي لاحسنن لهم الكفر والمعاصي وقوله (بما أغويتني) يدل على أن الله تعالى هو الذي خلق الغي والكفر في قلوبهم وأضاف الاغواء الى نفسه لان الشيطان لما وسوس في قلوبهم وذلك ان الله تعالى لما علم انه يموت على الكفر عند موته حكم عليه بالكفر وأجراه على ما سبق في علمه (الا عبادك منهم المخلصين) يعني الموحدين الذين أخلصوا لله الوحدانية والطاعة والعبادة وهو مع اللام من المخلصين يكون المعنى الامن أخلصته واصطفيته منهم لطاعتك وعبادتك وانما استثنى المخلصين لانه علم ان الشيطان لا سبيل له عليهم ولا تسلط له عليهم وقيل وجه استثنائه ان كل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما أن يكون مراد ذلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما كان لله تعالى فهو الخالص الكامل وأما كان لغير الله فهو الباطل المردود وان كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المال في العمل هو العذر الراجح والى أي الجانبين يرجح أحدهما (قال) يعني قال الله تعالى (هذا صراط علي مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعلى طريقه لا يعرج الى شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق الهدى والرشد يقال كان قول الرجل ان مخلصه طريقه على أي لا يعلم الا ذلك وقول معناه على اسلامه والبرهان والهدى والهداية وعلى هذا تأتي الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي الى يؤدي الى كرامتي (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقدرة وذلك ان الله لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أزعجهم هذا الكلام اراد سلطانا على غير المخلصين من الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد ممن ذكر سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين الا أهل المعاصي له فان لك سلطان على ملوهم وسلطانك عليهم هذا من جملة ما استثنى الله تعالى بقوله انهم لا سلطان لك عليهم وهو لاء خاصة أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من

الغاوين) الا من تبعك على المعاصي من الذين استوجبوا النار بسوء اختيارهم وعلموا على الغواية بسوء اختيارهم (وان جهنم لموعدهم) أي مصيرهم (أجمعين) الاتباع والمتبوعين (لها سبعة أبواب) أطباق بعضها فوق بعض (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال ابن عباس رضي الله عنهما جزء مفروض وقال مجاهد جزء معلوم وقال قتادة جزء تابع لاهله وقال الضحاك جزء نصيب وقال السدي جزء قسم وقال ابن كيسان جزء منزل وقال ابن زيد جزء عدد وقال الكلبي جزء طبقة وقال الفراء جزء ثلث وقال الزجاج جزء من أجزاء النار على قدر ذنوبهم وقال أبو عبيدة جزء مقدر وقال أبو روق جزء مقدر على قدر أعمالهم وقال عطاء بن يسار جزء مقدر على قدر أعمالهم وقال عطاء بن أبي رباح

العاوين) أي هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى علي الي علي بمعنى من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للعاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) اختلف معلوم مفروز فاول أبواب النار لطماها وادراكها فأعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني للهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين في جنات وعيون) وتضم العين هنا وفي نظائره وتكسر وخص الماء هنا وفي الاطلاق بالذكر لانه أعز ما يتنعم به وقال في السرح ان دخول أهل الكبائر في قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) اي يقال لهم ادخلوها (بسلام) قال اي سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والاعادة وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو الحسد الكامن في القلب اي ان كان لاحدهم على الذي عاداه في الدنيا حقد في الآخرة نزع الله ذلك من قلوبهم (ونودوا) نبئوا (أن تلكم الجنة) وهي الجنة سميت بذلك لان أكثر أشجارها وقصورها في الارض (أورثتموها) صيرت لكم منازل (بما كنتم تعملون) بطاعة الله (لهم فيها فاكهة) من كل ما يتفكه به (ولهم ما يدعون) ما يتمنون (سلام) مبتدأ وخبر (قولا من رب رحيم) قال ابن عباس يعني ان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهل الجنة وهم يسلمون على الله ويسلم بعضهم على بعض ويسلم الملائكة عليهم من الله تعالى (وامتازوا اليوم) انفردوا عن المؤمنين وقيل اعتزلوا عن كل خير (أيها المجرمون) هذا خطاب من الله تعالى لكل كافر والمراد بالمجرمين هنا الكفار والمشركون (ألم أعهد إليكم) ألم آمركم (يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) قال ابن عباس يعني لا تطيعوه (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وان اعبدوني) وحدوني (هذا صراط مستقيم) قال قتادة هذا طريق الحق الي وقال ابن عباس هذا أمري ودعوتي (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ الباقون بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وهما لغتان بمعنى واحد (أفلم تكونوا تعقلون) ما حل بكم من عذاب الله (هذه جهنم التي كنتم توعدون) في الدنيا (اصلوها اليوم) ادخلوها (بما كنتم تكفرون) بالله (اليوم نختم على أفواههم) قال ابن عباس يعني على أفواه المشركين (وتكلمنا أيديهم) بالشرك (وتشهد أرجلهم) بالمعاصي (بما كانوا يكسبون) في الدنيا (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) قال ابن عباس يعني أعين الضلالة حتى لا يهتدوا (فاستبقوا الصراط) فابتدروا الطريق (فأنى يبصرون) كيف يبصرون (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) قال ابن عباس يعني قردة وخنازير (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) الى الدنيا (ومن نعمره ننكسه في الخلق) قال ابن عباس يعني نرده الى أرذل العمر (أفلا يعقلون) ما حل بهم من العذاب (وما علمناه الشعر) قال ابن عباس يعني ما علمنا محمدا الشعر (وما ينبغي له) ما يصلح له (ان هو) ما هو (الا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) بين واضح (لينذر من كان حيا) يعني مؤمنا (ويحق القول على الكافرين) يعني يجب العذاب على الكافرين (أولم يروا) يعلموا (أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) قال ابن عباس يعني مما خلقت أيدينا (أنعاما) يعني الابل (فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها لهم) سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) يعني ما يركبون (ومنها يأكلون) من لحومها (ولهم فيها منافع) من أصوافها وأوبارها (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) نعمتنا عليهم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) لا تقدر الآلهة على نصرهم (وهم لهم جند محضرون) قال ابن عباس يعني الكفار للاصنام في النار جند محضرون يغضبون لها ويذبون عنها (فلا يحزنك قولهم) يعني تكذيبهم اياك (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) من تكذيبك (أولم ير الانسان) يعني أبي بن خلف الجمحي (أنا خلقناه من نطفة) يعني من ماء مهين (فاذا هو خصيم مبين) يعني جدل بالباطل يخاصم ربه في البعث بعد الموت (وضرب لنا مثلا) يعني شبها بنفسه في انكار البعث (ونسي خلقه) كيف خلقناه (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) ابتدأها (وهو بكل خلق عليم) عالم (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس يعني المرخ والعفار وهما شجرتان تكونان في الجبل فيقطع منهما قطعتان مثل الفخذين أخضرين رطبين فتسحق احداهما بالاخرى فتخرج النار من المرخ والعفار هما الزند والزندة (فاذا أنتم منه توقدون) تستخرجون النار (أولم يروا أن الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) يعني مثل خلقهم (بلى وهو الخلاق العليم) بكل شيء (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) قال ابن عباس يعني اذا أراد شيئا أن يكون قال له كن فيكون (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يعني خزائن كل شيء (وإليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم

لما نوع عن حرام ولو تعلم العبد وعدانه لجمع نفسه يعني لقتل نفسه (ح) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ولو تعلم الكافر كل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو تعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله يا عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يرد على قوله سحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالعاطفة لأنه أولها بقوله أني وما منها ما وما الا دخال الالف واللام في الغفور والرحيم وهذا يدل على ان سابقة الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الاخبار ومنها انه سحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى وكأنه أسند رسوله على نفسه في الانعام المعنوي والرحمة ﴿ قوله سحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) قوله ونبئهم معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل النبأ على ما قال الضيف الى كذا اذا مال اليه والضيف من مال اليك نزولا وصار الضيف متعارفا في الغريب وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع وقال ابن عباس وقتادة وابن سابط وابن زيد الضيف هم الملائكة الذين أرسلهم الله سحانه وتعالى لتبشير ابراهيم بالولد وهم لم كانوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انا منكم وجلون) أي خائفون لما رأيتكم لا نأكل طعامنا (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم يبشرونه بولد كثير علمه في صغر علمه في كبره وكل علم بالاحكام والشرائع والمراد به هنا علم النبوة (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر فالله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه تعجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه أن الله سحانه وتعالى يخرج منك ولدا ذكرا كثير الخير وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والعطف والايأس من الخير (قال) يعني ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعني لا يأس من رحمة ربه الا الكافرون وهذا دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استفهم عن حصول الولد على الكبر فظن الملائكة انه قنط فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كفر كما ان من مكر الله ولا يعمل الا من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات وكل هذه الامور من صفات الضلالة (قال) يعني ابراهيم (فما خطبكم) يعني فما شأنكم وما الأمر الذي جئتم له (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم له سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني لاهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعني انا بعثنا الى أهل قرية

لما نوع عن حرام ولو تعلم العبد وعدانه لجمع نفسه يعني لقتل نفسه (ح) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ولو تعلم الكافر كل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو تعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله يا عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يرد على قوله سحان الذي أسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها أنه سحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالعاطفة لأنه أولها بقوله أني وما منها ما وما الا دخال الالف واللام في الغفور والرحيم وهذا يدل على ان سابقة الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الاخبار ومنها انه سحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى وكأنه أسند رسوله على نفسه في الانعام المعنوي والرحمة ﴿ قوله سحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) قوله ونبئهم معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل النبأ على ما قال الضيف الى كذا اذا مال اليه والضيف من مال اليك نزولا وصار الضيف متعارفا في الغريب وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع وقال ابن عباس وقتادة وابن سابط وابن زيد الضيف هم الملائكة الذين أرسلهم الله سحانه وتعالى لتبشير ابراهيم بالولد وهم لم كانوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انا منكم وجلون) أي خائفون لما رأيتكم لا نأكل طعامنا (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم يبشرونه بولد كثير علمه في صغر علمه في كبره وكل علم بالاحكام والشرائع والمراد به هنا علم النبوة (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر فالله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه تعجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه أن الله سحانه وتعالى يخرج منك ولدا ذكرا كثير الخير وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والعطف والايأس من الخير (قال) يعني ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعني لا يأس من رحمة ربه الا الكافرون وهذا دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استفهم عن حصول الولد على الكبر فظن الملائكة انه قنط فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كفر كما ان من مكر الله ولا يعمل الا من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات وكل هذه الامور من صفات الضلالة (قال) يعني ابراهيم (فما خطبكم) يعني فما شأنكم وما الأمر الذي جئتم له (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم له سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني لاهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعني انا بعثنا الى أهل قرية

المعلل للنهي عن الوجل أي انك مبشر أمن فلا توجل وبالتخفيف ومع النون حذره (بغلام عليم) هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر) أي أبشرتموني مع مسي الكبر ما ولدت أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال وأي أعجوبة تبشرون وتكسر النون والتشديد مكي والاصل تبشروني فادغم نون الجمع في نون العماد وكسرت لالتقاء الساكنين وحذفت الياء اجراء بالكسرة وحذفت نون الجمع لاجتماع النونات والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) بالامر الذي لا ارتياب فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب لا الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أي لم يكفر بالله ولم يشك في قدرته على ما يشاء ولكنه استبعد العادة في العادة التي أجراها (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي كافرين (الا آل لوط) استثناء من الضمير في مجرمين أي لكن آل لوط لم نرسل الى المجرمين بل الى المؤمنين وهذا كلام الآل لوط جاء به على المعنى لان آل

الفارسي كأرسال السهم الى الرمي فان معنى التعقيب والاستعلاء كانه قيل انا أهلكنا وما حضرنا من ورائنا آل لوط أنجيناهم وأما الباقون فهم داحلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا لاهلاكهم هؤلاء ونجوا هؤلاء وقد انقطع الاستثناء هنا (انا لمنجوهم أجمعين) تحري مجرى لكن في الاتصال بما قبل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم لما سئل آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (الا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء انما يكون فيما تعلق الحكم فيه بان يقول أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهذا اختلاف الحكمين لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف جرير وعلي (قدرنا) وبالتشديد أبو بكر (انها لمن الغابرين) الباقين في العذاب فعل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة

(انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته) يعني امرأة لوط (قدرنا) يعني قضينا انما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما يقول خاصة الملك نحن أمرنا وحشمنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انها لمن الغابرين) يعني لمن الباقين في العذاب والاستئناء عن التي وهي استثناء امرأة لوط من الضمير الذي في لمنجوهم بالتخفيف جرير وعلي (قدرنا) وبالتشديد أبو بكر (انها لمن الغابرين) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه ما أرسلوا به سار والى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في صور شاب مرد ذات حسان الوجوه فخاف أن يتعرض عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان الذكر صدا المنكر فجعله انكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا اعرف من أي الاقوام انتم ولا الى أي قوم ضيف دخلتم على وعند ذلك (قالوا) يعني الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعني بالقول الذي لا شك فيه (وانا لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر باهلك بقطع من الليل) يعني آخر الليل والقطع الطعمة من الشيء وبعضه (واتبع أدبارهم) يعني وامش خلفهم آخر أهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما نزل بهم من العذاب وقيل المراد الالتفات في السير ورد الالتفات الى وراء والاهتمام بما خلفه كما يقول امض لشأنك ولا تعرج علي وقيل رد الالتفات على الامتثال نحو من آل لوط والا تخلف أحد منهم ما له العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الى الاردن وقيل الى حيث أمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم ان يسيروا الى قرية سدوم وهي يومئذ خمس مدائن فيها أربعة آلاف الف انسان فاخرجها جبريل على جناحه ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم ونهيق حميرهم ثم قلبها عليهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم ابتدأ سبحانه وتعالى تفسير ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعني ان هؤلاء القوم مستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذي قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا تفخيما لشأنه وتعظيما لأمره (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشر بعضهم بعضا بما أصاب لوطا والاستبشار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وعلى ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا يأمرون في عامة الحسن وهيأته الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفي) وسمى على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني بهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من أمره ما يعيره عليه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في امرهم (ولا تخزون) يعني لا تخجلوني (قالوا) يعني قوم لوط الذين جاءوا اليه (أولم ننهك عن العالمين) يعني أولم نمنعك ان تضيف احدا من العالمين

ادبارهم) وترحلهم اكتب مطلعا عليهم وعلى احوالهم (ولا يلتفت منكم احد) لا تروا ما نزل بهم من العذاب فتحزنوا لهم حتى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك الوقوف لان من التفت لابد له من وقف (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله به الى الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضى الى لانه ضمن معنى أوحى كأنه قيل وأوحينا اليه ذلك الامر وهو (ان دابر هؤلاء مقطوع) في ان مفعول مسرد ذلك الامر ه

أن المعنى مهما أحدا أو شفع بهم فإنهم كانوا يشفعون لمن أحبوه وكان عليه السلام هو المنهي عن المنكر والآمر بالمعروف فلذلك عرض له ما عرض (وقالوا إن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أو من صاحبة العرباء) فاعلهم ولا تعرضوا لهم وكان نكاح المؤمنات من الكفار حائزا ولا تعرضوا لهم (إن كنتم فاعلين) إن كنتم مريدين قضاء الشهوة مما أحل الله دون ما حرم فعالج الملائكة لوط عليه السلام (لعمرك) أيها لوطي سكرتهم (أي في غوايتهم (١٠٠) التي أذهبت عقولهم وبصرهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي نشر به على

ورسل معناه أولم ينهك أن تضيف العرباء فإنا نريد أن نركب منهم الفاحشة ومثل معناه أليس قد نهيناك أن تكلم أحدا من العالمين إذا فعلت ذلك بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتي) أزوجكم إياهن إن أسلمتم وأتوا الحلال ودعوا الحرام ورسل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته (إن كنتم فاعلين) يعني ما آمركم به (لعمرك) الخطاب من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ما حلف الله بحياة أحد غير محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان بالحياة والروح وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم قال النحويون أراد لعمرك بالا داء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي وقسمي خبر لك في الكلام دلالة على ذلك (إنهم لفي سكرتهم) يعني في تحيرهم وضلالهم وقيل في عمايتهم (يعمهون) يعني يترددون متحيرين وقال ابن عباس يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاء لهم الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (إن في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال مجاهد للمعتبرين وقال مجاهد للمتفكرين وقال قتادة للمتوسمين وقد مضى هذا كله في أول سورة الحجر وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين رواه الترمذي وقال حديث غريب وفراسة المؤمن من قولك مررت على فلان فحزرني على نحو من أحدهما مثل عليه وظاهر الحديث وهو ما نوه الله في كلامه أنها معلومة بدلائل الأحوال الباطنة والظاهرة من الأكرام وآثار الخشوع والطمأنينة والوقار الباطنة وهو ما يحصل بدلائل الخواطر والمعاني والإلهامات ويعرف بذلك أحوال الناس أشرارا للناس في علم الفراسة بصادق وقد وجد وقال الرماح بن ميادة كان لي في اللصوص إخوان يعلموني كلامهم حتى تعرفوا منه السني وضده وعلامة قولهم الظاهرة في سمة الدلالة بقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه دلالة وسمه (وإنها) يعني وإن قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني طريق واضح قال مجاهد طريق معلم ليس بمحو ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وعصمة لبسبيل معلم بائن لم يدرس بحيث والذين يمرون عليها من الخلق إلى الشام يشاهدون ذلك ويرونه (إن في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لآية للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) يعني كان أصحاب الأيكة هي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين وعبدوا الله عز وجل الهيكة وكذبوا شعيبا فأهلكهم الله وهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك أن الله سبحانه وتعالى أطبق عليهم الحر سبعة أيام حتى اختنا حابسهم وفر لوا من البيوت إلى الصحراء فبعث الله سبحانه وتعالى عليهم سحابة فوجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأرسل الله عليهم نارا فاحترقوا جميعا (وإنهما) يعني مدائن قوم لوط ومدائن أصحاب الأيكة (لبإمام مبين) يعني لطريق واضح مبين يأتم به المارون ويهتدي به السالكون سميت إماما لأنه يؤتم به في الطريق أي يقتدى به فيما يعمل فيه من أصابة الطريق أو خطئه وقيل لأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر واد

بين الحجاز والشام وهو الوادي الذي نزلته ثمود حين نحتوا من الجبال بيوتا وكانوا عربا وكانت منازلهم بين المدينة والشام فلما مروا به في غزوة تبوك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يشربوا من مائها ولا يستقوا منها ولا يعجنوا به شيئا وأن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن لا يدخلوا على القوم الذين عذبوا إلا أن يكونوا باكين خوفا أن يصيبهم ما أصابهم وقال لهم هذا واد ملعون فسموه وادي القرى وقيل هو ما بين المدينة والشام وقيل هو ما بين وادي القرى وتبوك وقيل هو ما بين الحجاز والشام وقيل هو ما بين الحجاز وتبوك (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وما كان يخرج من عرقها عند شربها وما كان يشرب من الماء يوم شربها (فكانوا عنها معرضين) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من نقب البيوت وانهدام الجبال عليهم وقيل من العذاب وقيل من الموت (فأخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من عقر الناقة وقيل من بنيانهم وقيل من أموالهم (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي خلقا ملتبسا بالحق وقيل لإظهار الحق وقيل لإقامة الحق وقيل لأمر الحق وقيل لإثابة المحق ومجازاة المبطل (وإن الساعة لآتية) أي القيامة لا محالة (فاصفح الصفح الجميل) أي فاعف عن قومك عفوا حسنا لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بالقتال (إن ربك هو الخلاق العليم) أي الخالق لكل شيء العليم بكل شيء (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) يعني سبع آيات وهي الفاتحة في قول أكثر العلماء وسميت مثاني لأنها تثنى في كل صلاة أي تعاد فيها وقيل لأنها نزلت مرتين وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تعط أحدا قبلها وقيل لأنها ثنيت بالقرآن العظيم أي قرنت به وقيل لأنها ثناء من الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وقيل لأنها ثناء العبد على ربه عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر

لعمرك لعمر الله وهو قسم بحياته (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) لأنهم المسخوط عليهم بذلك (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) أي المشركين (فانتقمنا منهم) أي بالعذاب (وإنهما) أي قرى قوم لوط ومدين (لبإمام مبين) أي لطريق واضح (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) أي ثمود كذبوا صالحا وكذبوا معه جميع المرسلين لأن من كذب رسولا فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد (وآتيناهم آياتنا) أي الناقة وما كان يخرج من عرقها عند شربها وما كان يشرب من الماء يوم شربها (فكانوا عنها معرضين) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من نقب البيوت وانهدام الجبال عليهم وقيل من العذاب وقيل من الموت (فأخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من عقر الناقة وقيل من بنيانهم وقيل من أموالهم (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي خلقا ملتبسا بالحق وقيل لإظهار الحق وقيل لإقامة الحق وقيل لأمر الحق وقيل لإثابة المحق ومجازاة المبطل (وإن الساعة لآتية) أي القيامة لا محالة (فاصفح الصفح الجميل) أي فاعف عن قومك عفوا حسنا لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بالقتال (إن ربك هو الخلاق العليم) أي الخالق لكل شيء العليم بكل شيء (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) يعني سبع آيات وهي الفاتحة في قول أكثر العلماء وسميت مثاني لأنها تثنى في كل صلاة أي تعاد فيها وقيل لأنها نزلت مرتين وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تعط أحدا قبلها وقيل لأنها ثنيت بالقرآن العظيم أي قرنت به وقيل لأنها ثناء من الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وقيل لأنها ثناء العبد على ربه عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر

وادكان مسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة فيمر عليها ركب السائر الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد المرسلين صالحا وحده واعاد ذكره بلفظ الجمع لتعظيمهم أولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة من خروجها من الصخرة وعظم جسمها وغزارة لبنها وأضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم هذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ناظرين اليها (وكانوا لا يخافون) من الحال مواتيا آمنين) يعني حوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فاخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من المال والاعمال الخبيثة (ش) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خر قال لا تسكنوا مساكن الذين ظلموا انفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وسرع السير حتى جاوز الوادي ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمحسن ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعني وان القيامة اتية لمحاسبة الخلق على الحسن بالحسنة والسيء بالسيئة (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فأعرض عنهم بالحلم واصفح عنهم عفوا حسنا واحتمل ما نالك من أذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل بقوله تعالى الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الجميل عن الجزع والجوهري (ان ربك هو الخلاق العليم) يعني ان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما اصلحهم ﴿ قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات لليهود عليها الطعام والصبر فمر بهم أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لقوينا بها واعنا بها في سبيل الله فقال الله هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل ودل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل وهذا القول ضعيف ولا يصح لان هذه الآية مكية باجماع أهل التفسير ولم يكن بمكة من هذه السبع قوافل ولا كان بها المدينة سوق يرد اليه الطعام وانما كانوا بالمدينة وكم يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد منها وأيضا والعطف يقتضي المغايرة والله أعلم وقيل المراد بالسبع المثاني أم القرآن لما روى البخاري عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آته حتى صليت فقال ما منعك أن تأتي فقلت كنت أصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لاعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فذهب ليخرج فذكرته فقال هي الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته أخرجه البخاري وسميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة لقيامها مقام الكل في الصلاة ومن لم يقرأ بها لم تجزه صلاته لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب رواه الدارقطني والبيهقي وقيل سميت بذلك لانها نزلت مرتين وقيل لانها استثنيت لهذه الامة لم تعط لغيرها من الامم وقيل لانها تثني بذكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله من الحمد والتمجيد والتقديس وقيل لانها تثني بذكر الوعد والوعيد وما بهما من الحلال والحرام والثواب والعقاب وقيل لانها تثني بذكر المؤمنين والكافرين والمطيعين والعاصين والموحدين والمشركين وقيل لانها تثني بذكر الدنيا والآخرة وقيل لانها تثني بذكر الامر والنهي والوعد والوعيد وما بهما من البشارة كما قال تعالى والله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني (والقرآن العظيم) هذا الشيء يعطف الشيء على نفسه لانه اذا أراد بالسبع المثاني الفاتحة والطوال وغيرها من سور القرآن فانه اسم يقع على الكل دال عليه وقوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا سورة يوسف واذا أراد بها السبع الطوال فانه اسم للسبع التي في القرآن العظيم أي الجامع لهذه السور وهو القرآن العظيم ثم قال لرسوله

الصلاة والسلام لا تمدن عينيك الآية أي لا تطمح ببصرك ولا تطل نظرك نحو ما أعطينا أصنافا من الكفار يعني اليهود والنصارى والمجوس والمشركين من زهرة الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا واخفض جناحك للمؤمنين أي تواضع لهم وارفق بهم وقيل لين جانبك لهم وقيل لا تتكبر عليهم فان تواضعك لهم من أخلاق المؤمنين (وقل اني أنا النذير المبين) أي أنذركم عقوبة الله ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المقتسمين) أي كما أنزلنا العذاب على المقتسمين وهم اثنا عشر رجلا من أهل مكة بعثهم الوليد بن المغيرة في الموسم ليصدوا الناس عن الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في الشعاب والطرق وقعدوا على الطريق فكان أحدهم اذا جاء أحد قال له لا تغتر بصاحبنا فانه مجنون وقال بعضهم انه كاهن وقال بعضهم انه شاعر وقال بعضهم انه ساحر فأنزل الله فيهم هذه الآية (الذين جعلوا القرآن عضين) أي فرقوا القرآن فقالوا بعضه حق وبعضه باطل وسحر وكهانة وشعر وأساطير الاولين وقيل عضين أي كذابين وقيل سموه عضين لانهم عضوه حين قالوا هو سحر وكهانة وشعر وقيل عضين أي أعضاء جمع عضة وأصلها عضهة من عضهت الشاة اذا رمتها بعضيهة وهي الكذب والبهتان وقيل هو من العضاه وهي شجر الشوك وذلك ان الوليد بن المغيرة قال لقومه ان وفود العرب تأتي الموسم فيسألون عن محمد فاذا ذكرتموه بشيء فلا يكون منكم فيه اختلاف فيكذب بعضكم بعضا فقالوا بل نقول انه كاهن فقال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه فقالوا بل نقول انه مجنون فقال ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته فقالوا بل نقول انه شاعر فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه فما هو بشعر فقالوا بل نقول انه ساحر فقال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم فقالوا فما أنت قائل فقال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لمغدق وان فرعه لجناة فما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل وان أقرب القول فيه لان تقولوا انه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس اذا قدموا عليهم الموسم لا يمر بهم أحد الا حذرهم اياه وذكر لهم أمره فأنزل الله فيهم هذه الآية (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أي لنسألنهم سؤال توبيخ وتقريع عن قولهم في محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن جميع أعمالهم (فاصدع بما تؤمر) أي اجهر بما أمرت به من القرآن والدين وقيل اظهر ما تؤمر به من الشرائع وقيل افرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من القرآن وقيل اصدع بما تؤمر به من الصدع وهو الشق أي شق

(لا تمدن عينيك) أي لا تطمح ببصرك طموح راغب ومنه قوله (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني لا تمدن عينيك الى ما أوتيت الامم العظمى الى كل نعمة وان عظمت فهي الهالكة بسببه وهي العرآن العظيم فدلك ان من يعطى به ولا يمدد عينيه الى ما عداه وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالعرآن وفي حديث ابي بكرة من أوتي العرآن فرأى ان أحدا أوتي من الا فضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) اي لا تغتم امرالهم ولا تحزن على عدم ايمانهم فلو شاء لهداهم جميعا ولكن أبى عنادهم الا الكفر (واخفض جناحك) اي تواضع (لمن اتبعك من المؤمنين)

(ولقد آتيناك سبعا من المثاني) اجمع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله تعالى فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فصل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثنى مثنى قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين وكل هذه ألفاظ مثنى وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة مكية ومرة مدنية لما كررت عليهم بالمدينة لما استهزءوا بالمكية وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها واخرجها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو عبيدة الحجي لانها هادية أهل السر من قول العرب ثنى فلان اذا رجع قال ابن الرماح سميت فاتحة الكتاب مثاني لاستمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور العرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والعرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء العرآن واحدى سوره لابد وأن تكون لاختصاصها بالشرف والفضل القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عن ابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة قال الاكثرون مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن نوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني بالمفصل أخرجه البغوي بإسناده عن ابن عباس انما سمي السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والاحكام والخبر والعبر ثنيت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال عالجتها مدة ثلاث وعشرين سنة فكيف يمكن تسميتها كلها مثاني وأجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بان هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان يسمي هذه الآيات هذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وهذا القول الخامس المذكور وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي العرآن كله وهذا قول طاوس وهذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وهي العرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال تثنى وتعاد فلما نصح عطف العرآن في قوله والعرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو العطف التي على الشيء نفسه فيه قولان أحدهما ان المثاني هي الكتاب أراد السبع الطوال فاطلق اسم العرآن على العرآن لان العرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله عز وجل انا أنزلناه قرآنا عربيا يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنى بالسبع المثاني العرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهي العرآن العظيم وانما سمي العرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدد (الى ما متعنا به أزواجا) يعني اصنافا (منهم) يعني من الكفار يعني لا تهتم بما متعنا به الكفار من زهرة الدنيا وزينتها واجعل همتك فيما أعطيناك من العرآن العظيم الذي فضلناك به على كل من سواك ولا تنظر الا ما نظرنا اليه من الفقر والزهد فيها ترى ان ما عندنا خير وأبقى لك منها عند غيرك وقيل نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى ما أعطى الله الاغنياء من النعيم والسعة فتمنى ان يكون له مثل ما أعطاهم فنهاه الله عن ذلك وقيل نزلت في المسلمين لما رأوا ما يصيب الكفار من الخصب والسعة فنهاهم الله عن ذلك وقيل نزلت في اليهود الذين استضافوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يسلف لهم طعاما الى ميسرة فقال لا ولكن أبيعكم وتعجلوا الثمن فقالوا لا نريد فنزلت هذه الآية (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تهتم على ما فاتك من مسارعتهم في الكفر ولا تحزن

(وبشر المؤمنين) وفيه من معجزاته ﷺ الإخبار بالمغيبات (وقل) لهم (إني أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بنذير أو بالمبين أي أنزلناه مثل (ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فآمنوا ببعض وكفروا ببعض (فوربك لنسألنهم أجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي وفيه رجوع لضمير نسألنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن العام محمول على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لا إله إلا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا إله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن كل ما عملوا دون ما أخطأوا الرسل فما ظنك بالجميع

على إيمانهم إذا لم يؤمنوا فهذا نهي عن الالتفات إلى أموال الكفار والالتفات إليهم أصلا وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعطش فاجر اسمه مالك لأنه روى ما هو لاق بعد موته أنه عبد الله فإنه لا يموت عطشا لأن أبا مريم ما قاتلا لا يموت قال البغوي (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضل عنه في المال والخلق فلينظر إلى أسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن مسعود كتب أصحاب الأعشاء فما كان أحد أكثرهما في كتب أرى دابة حراما من دابتي وهو ما حرام من يوني فلما سمعت هذا الحديث تحببت العمى فما أبصرت ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وأخفض جناحك) يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم ولينها فالله سبحانه وتعالى عن الإلتفات إلى الأعداء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم ما تجد (إني أنا النذير المبين) لما أمره الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بعد ذلك بالإنذار بما أرسل به إليهم والإنذار يسلم مع تخويف والمعنى إني أنا النذير بالعذاب لمن عصاني المبين الإنذار (كما أنزلنا على المقتسمين) يعني أنذركم عذابا كعذاب أنزلناه على المقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه وقيل كتبهم آمنوا به وما خالفت كتبهم كفروا به وقال عكرمة بما هم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وإنما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد إنهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم بعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لأن أقوالهم تختلف في القرآن فقال بعضهم إنه سحر ورعم بعضهم أنه كهانة ورعم بعضهم أنه أساطير الأولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة كل سنة عشر وقيل أربعين وقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حتى يصدوا عنكم أهل الموسم فإذا سألوكم عن محمد فقولوا بعضكم إنه كاهن وآخر يقول بعضكم إنه ساحر وليقل بعضكم إنه ساحر فإذا جاءوا إلى صدوركم فرقوا وتفرقوا على عقاب مكة وطرقها فمات هؤلاء الرهط في السنة التي جمعوا فيها فجاء الناس بعدهم فوقفوا بالعقاب فلما رأوا الناس قالوا لهم ما أنتم فيقولون نحن قوم نأتي من خلف هذه العقبة فيقولون لهم ما تقول صاحبكم فيقولون قولا سيئا إنه ساحر أو كاهن أو شاعر أو مجنون فيرجعون فلا يمر بهم أحد إلا قالوا له ذلك فلما قدم الوليد قال لهم قفوا بنا عند هذه العقبة فلعلنا نسمع منه فيقول فيه قولا نعرفه فيقال إنه ساحر فيأتيه فيقول ما تقول صاحبكم فيقول قولا ي

بين قوله لنسألنهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل
عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن تقول لم عملتم كذا وإنما هذه مواطن فمقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال
توبيخ فقوله تعالى ومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان نفي سؤال الاستعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال
توبيخ ونحو هذا آخر وهو مروي عن ابن عباس أنه قال في الآيتين إن يوم القيامة يوم طويل
فيه مواقف فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها الآية وقوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون
وقال تعالى في آية أخرى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر)
قال ابن عباس أظهر وروي عنه أمضه وقال الضحاك أعلن وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن
بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة التي من أرسل
بها قال عبد الله بن كثير كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل هذه الآية فخرج هو وأصحابه
(وأعرض عن المشركين) أي اكفف عنهم ولا تأبه إلى لومهم على إظهار دينك وتبليغ رسالته ثم نسخ
أعرض عن الاهتمام بأمرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (إنا كفيناك المستهزئين) أكثر المفسرين على
أن هذا الإعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما أمر وجهان معنى الإعراض نزل المبالاة بهم
والإلمام بهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين نزل في الوليد بن المغيرة وذلك أن النبي صلى
الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر به ولا تخف أحدا غيري فأنا كافيك وحافظك ممن عاداك فأما كفايته
المستهزئين وكانوا خمسة هزموا رسول الله كفاروا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان أسنهم والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره وأثكله
ولده والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن عدي بن سهم كذا ذكره البغوي
وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عدي وقال الزهري عداده في أهل أمه وهو من أزد شنوءة وأمه من
المستهزئين فأتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام
جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا
قال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة فقال له يرش نبال له وعامله
برديء وهو يحاول إزاره فعلقت سهم من النبال بإزاره الوليد فسقط الإزار الوليد فسقط الإزار فلم يتعمد
لرفعه فمر به العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ
إلى أخمص رجله فمر به الحارث بن الطلاطلة الخزاعي فانتقض سهمه كبر فقطع منه عرقا فلم يرقأ الدم حتى مات
ومر به الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى رأسه
فمر به الأسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فقال قد كفيته وأومأ إلى عينيه
فمر به الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله على أنه قال فقال جبريل
قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه عوم فأسود
وجهه حتى صار حبشيا فمات أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فجعل يقول أنا فلان فلا يفتحون له وهو قوله تعالى من ورائهم
الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فأومأ جبريل إلى رأسه فقال بذكر
فاضطغن عليه فقال ابن عباس إنه أكل حوتا فأخذه الله العطاس فلم يزل يسرب الماء حتى انعدر دماغه
فمات وقال قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين يعني بالقرآن (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف

أؤمر في كتاب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا من الصدع وهو الصوت أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله أمرتك الخير ففعل ما أمرت به (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهانة بهم (إنا كفيناك المستهزئين) الهمزة وعلى إنها بإزاء العوض في جسده بعد كانوا يأتون العوض في أيديهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء فأهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر به سهل فعلق بثوبه سهم فاصطنع فمشى على عقبه فعقبه فمات والعاص بن وائل دخل في أخمص رجله شوكة فانتفخت رجله حتى مات والحارث بن قيس امتخط عذرة ماء (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف

يعلمون) عن اداء أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) على أذى القرآن أو في الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود تكفله ويكشف لك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني ما دمت حيا فاسعد بالله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة

(سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة يوم بدر أو فتح مكة أو عذاب يوم القيامة (أتى أمر الله) أي ما وعد به لكم (فلا تستعجلوه) أي هو قوله الآتي الواقع وان كان بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (وان

سبحانه وتعالى عما يشركون) تيمر أجل (وعز عن أن تكون له شريك هو أشراكهم فما موصولة أو مصدرية (ينزل الملائكة) أي استحالهم استهزاء وتكذيبا لذلك الشرك (بعزل الملائكة) بالصفة مسكى وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لأن كلا منهما يعرم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى الانذار (٦٠١) (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) اعلموا بأن الأمر ذلك من يدرب بكذا إذا علمه والمعنى أعلموا الناس

قولي لا إله إلا أنا فاتقون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا إله الا هو بعد ذكر ما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) وبالياء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لما عليه بعد ما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قادر من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والمبادي في كفران النعمة وخلق الانعام لانه دل من خلق الناس على خلق البهائم لأكله وركوبه وجعل أنعاله وسائر منافعه وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الأزواج الثمانية التي ذكرها في قوله من الابل اثنين ومن البقر اثنين بقوله الطاهر قوله والعصر قدر ثلثي الليل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم بالناس الانس (فيها دفء) هو اسم ما يدفأ به من اللباس معطوف على محذوف تقديره فمنها ما تركبون وفيها دفء أو مرفوع (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) تقدم الخبر وهو قوله والأنعام خلقها لكم ومنها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل

السموات سعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا الله أكبر خربت الساعة وقال قوم المراد بالأمر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف ودليلهم ان النصر بالحرب قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) تعجب من كبره الله وتعاظم بالاوصاف الجميلة عما يصفه به المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال مقاتل بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من اصطفاه من عباده للنبوة والرسالة وباسم الوحي الى الخلق (أن أنذروا) يعني بأن أعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أي خافوني وقيل معناه حذروا قولي لا إله إلا الله ابتدئ بتعبي بحوف بالعرآن (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) نعم بعضهم (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة ورأى في أبي بن خلف الجمحي وكان منكرا البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه ايضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يعم من الخصومة في الدين وغيره وقيل اراد بالانسان العدو يعني ان الله خلق الانسان من نطفة فصار خصيما مبينا مكذبا بالحق وقيل نزلت في أبي جهل وأصحابه (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) ﴿ قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض ثم أعقد ذكر خلق الانسان ذكر نعمه ما ينتفع به في سائر صروراته ولما كان أعظم صروراته الى الاكل والناس اللبس يقوم مما ذكر الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والمعنى ولكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر النافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعني من لحومها فان قوله تعالى ومنها تأكلون يدل على الحصر لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقد أكل من عمرها فان الاكل من هذه الانعام هو الذي يعد من منافعهم وأما الاكل من عمرها كالفلاح والاوبار والصوف والشعر والتحرف بها فمعتد به في الاعلى وأكله محرى حرى المكتسب فخرج وبها تأكلون خرج الاعلى في الاكل من هذه الانعام فان فيه منفعة الاكل مع تقدمها على منفعة الناس فلم أخره عن الاكل وقدم منفعة الناس فيه منفعة الناس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جمال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الارواح الاياب

بالضم على ما تقدم بالانتفاع بهما لانه من أعسر أمر أصحاب المواشي لان الرعيل اذا ورّدوها العشي وسرحوها بالغداة وتسرحها الافنية وقت وتسرحها الافنية وقت أو أرادوا أكستهم الحاضرة عند الناس واذا عدمت

الا راحة على السرح لان الحال في الا راحة أظهر اذا تأمل ملائمي العطوف حاصلة الصروع (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وبفتح السين أو حسرها وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقة راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فانه نصف شيء كأنه ذهب نصفه وبه لما قال ان الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ولم تحملوا الا الى الاجهد ومشقة صلة ان تحملوا أثقالكم على ظهوركم وهم لم تكونوا بالغيه هم الا بشق الانفس وقيل اثقالكم أبدانكم والمعنى لتعبر الابدان وقيل أنفسكم وقيل أرحام الارض أمالها أي بني آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتسخير هذه المنافع (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام اي وخلق هذه المركوب والزينة وقد اصح أو جه وسمه الله على حرمة اكل لحم الخيل لانه عطل بها للمركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكر في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سيقت ان

الامة لا تلتفت الى حكم ان ذكر في مواضع المنة اذ لا منة في ترك اعلافها وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق مالا تعلمون في أنه في حكم اسم وقوله

الى مراحها حيث تأوي اليه بالليل و يقال سرح القوم اذا سرحوها بالغداة الى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط العشب وذب العشب والكلأ وحر حب العرب للعشب أحسن ما تكون الغنم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالحمل بها اليه كما من بالانتفاع بها الانه من أعراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى ورّدوها بالعشي الى الافنية والبيوت سمع للابل رغاء وللبقر ثغاء وللغنم يعار فيعلم بذلك أربابها فيحملون بها الاعلاف والماء والبيوت وتعظم وجوهها عند الناس فلذلك قدم الاراحة على السرح فلان الحال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت السرح لان الغنم تحمل من المرعى ملائمي العطوف حاصلة الصروع فيسرح أهلها بها اختلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج حافلة العطوف صارمة الصروع من الليل فتأخذ في المرعى والاشارة في الآية تسمى هذا الساعات ان الحمل في الاراحة أكثر منه في السرح فوجب تقديمه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل اثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من خصوصه بعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه (الا بشق الانفس) يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بانتقاص قوى البدن وذهاب بعضها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعني بخلقه حيث لهم هذه المنافع ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الخ وانما لا يحل أن تركبوها والخيل اسم جنس لواحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة تسمع الناظر اليها

(فصل) اختلف العلماء في هذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وبالآية قال فقال هذه الآية للركوب والزينة ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا بان الله تعالى عد الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكر الله تعالى علمنا تحريمها كما انه لو كان أكل لحوم الخيل حلالا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى عدد على عباده ما خلقه لهم من الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وعدد من هذه المركوب فعلمنا ان المركوب لهم منها لا الاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وسريح وعطاء وسعيد بن جبير وابن مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه واحد واصحابه واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ن) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى الينا صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير ولم نكد نأكل منها فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واحتج من اباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان ما عداهما محظور اذ لا حصر هنا بان الامة بالاجماع لا تقول بذلك وانما سكت عن حل الاكل على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال الاخرون ليس المراد من الآية ان الحال والتحريم في المراد منها بعينه بل الله تعالى عدد نعمه وبهم على كمال قدرته وحكمته والدال على النعم قد يدل على اباحة لحوم الخيل ان السكوت لا يكون دليلا كما ان نص الآية يدل على ان الخيل

والنعال والميرخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه فدار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحته لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمر فاجتمع الخبر والحمد لله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وتحلق مالا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدواب التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وصروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها مالا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان تحلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن يحصى أو يحيط بها عقل أحد أو يفهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم وتحلق مالا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال جاهد في قوله وتحلق مالا تعلمون يعني السوس في الثياب والدود في الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا آل الى مطلوب وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وسبيل معاوم وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة مائل وهو موح والمقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل هو السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أرادهم الا ان لان كلمة لو شاء ما شاء الشيء لا ما غيره وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هداية كم لهداكم أجمعين ودليله قوله تعالى ما شاء هدايتهم فلا حرم ما هداكم ﴿ قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على عباده تحلق الحيوانات للاحمال الانتفاع والركوب عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد وهو الذي أنزل من السماء يعني الله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تسرونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة كل ما له ساق من النبات الارض وعلى الواحدي عن أهل المعاني قالوا الشجر أصناف ما يحمل وعظم وهو الذي يبقى على الشتاء وما دق وهو ما ليس له أصل يبقى في الشتاء كالبقول ومنها ما لا ساق له فيستقل كالبطيخ والقثاء ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو عبيدة كل ما نبت على وجه الارض فهو شجر وأصل مطعمها اللحم اذا عرا الشجر * اراد أنهم يسوقون الخيل الى الماء اذا أجدب الارض وقال ابن عباس في هذه الآية يعني الكلأ ومعنى الآية هو الذي أنزل من السماء ماء يرعى الزرع من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) يعني ترعون مواشيكم يقال أسمت الماشية اذا حملتها ترعى وما شيء اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) اي ينبت الله لكم ترعون (به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوان نعمه لاحتياجهم اليها ذكر في النبات نعمه لاحتياجهم اليها وهو الزرع وهو الحب الذي يعتاش به كالحنطة والشعير وما أشبههما مما يقوم به بدن الانسان وهي بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والفاكهة والتفكه وابتدأ بذكر النخيل لان عرفهم باعتداد بها كثير وختم بذكر الاعناب لانها ليست من الحبوب ولا من الفواكه بل هي بين ذلك ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا ليدل على عظم قدرته وجزيل نعمته على عباده ﴿ ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من أنواع الثمار (لآية) يعني علامة دالة على قدرة الله وحده لا شريك له (لقوم يتفكرون) يعني فيما ذكر من دلائل قدرته وحده لا شريك له (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بالنصب على معنى وسخر الاعراف (مسخرات) يعني مذللات مقهورات تجري بارادته وتصرف على ما يشاء والمعنى لانهم يدبرون ان هذه النجوم هي المعالة المدبرة في العالم السفلي فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات تحت مشيئته مذللات (بامره) يعني بأمره جاعلها جارية على ما شاء وأراد كما شاء

(ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق على قسمين كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقال الى الله معناه وعلى الله بيان الطريق الواضح المستقيم والدعاء الى الفلاح ومنها جائر أي ومن السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هدايته الطائعين والانعام بالارشاد والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم معلق بأنزل او بشراب وهو ما شربتم (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه تسيمون) من أسامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها ترعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لم يقل من كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض بعض كلها الا تذكر (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يستدلون بها على قدرته وحكمته والآية الدلالة والعلامة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) معناه الكل في فعل الله ومن آياته النجوم مسخرات

فقط (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) على الاتباع (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وهي العقل لانه الآية العلوية ظهر دلالته على القدرة الباهرة وأعني شهادته للكبير بما هو العظيم (وما ذرأ لكم في الأرض) معطوف على الليل والنهار أي وما خلق لهم من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه) أي في ذلك لآية لقوم يذكرون) معطوف (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد سريع إليه فيوكل سريعا طريا مأخوذ

(١٩) من الماء والاحتياج ما كله إذا خلف لا ما كل لحم لان من الامتنان على العرب ومن قال لعلامه استعمله الدراهم لحما لقاء السمك كان حقا بالانكار (وتستخرجوا منه حلية) هي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد تلبسهم لبس نسائهم ولكنهن اتخذن من نفائسهم أحلتهم وكانوا يتخذون من نفائسهم وأثاثهم (وترى الفلك مواخر) جواري تجري حرثا وتشق الماء شقا والمراد شق الماء تحريرها (ولعلكم تشكرون) في البحر (ولقد آتينا موسى الكتاب) هو عطف على محذوف أي فكفروا به ولقد آتينا موسى الكتاب (لعلهم يهتدون) بالعصا (ولقد آتينا داود منا فضلا) بالنبوة والكتاب والملك (يا جبال أوبي معه والطير) أي سخرنا الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح (وألنا له الحديد) أن اعمل سابغات وقدر في السرد) أي اجعل الحلق على قدر لا يقلق ولا يرخو (واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير) وعيد (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) أي مسيرة غدوها شهر ومسيرة رواحها شهر (وأسلنا له عين القطر) أذبنا له النحاس فكان يجري من منبعه كما يجري الماء من العين (ومن الجن من يعمل بين يديه) أي سخرنا له من الجن من يعمل (بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي ومن يعدل منهم عن أمرنا نعذبه في الآخرة بعذاب السعير (يعملون له ما يشاء من محاريب) أبنية شريفة كالمساجد (وتماثيل) صور من نحاس وزجاج وصخر (وجفان كالجواب) جمع جابية وهي الحوض الكبير (وقدور راسيات) ثابتات على الأثافي لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) أي اعملوا يا آل داود شكرا لله على ما أنعم عليكم به (وقليل من عبادي الشكور) أي وقليل من عبادي الذين يشكرون نعمي من يشكرني حق شكري (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم على موته) أي على موت سليمان (إلا دابة الأرض تأكل منسأته) عصاه سميت بذلك لأنه ينسأ بها أي يطرد (فلما خر تبينت الجن) أي ظهر للإنس (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها له وهم يظنون أنه حي وهو ميت (لقد كان لسبإ في مسكنهم) أي باليمن (آية جنتان عن يمين وشمال) أي بستانان عن يمين الوادي وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) أي قيل لهم ذلك (بلدة طيبة) أي هي بلدة طيبة (ورب غفور) أي هو رب غفور (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي السد الذي حبس الماء فانفجر عليهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) ثمر مر (وأثل) شجر الطرفاء (وشيء من سدر قليل) النبق (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) أي ما نجازي مثل هذا الجزاء إلا الكافر (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) متواصلة (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا لأهل القرى المسير بين القرى (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) أي سيروا فيها ليالي وأياما آمنين من الجوع والخوف (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أي اجعل بين قرانا مفاوز لنركب الرواحل ونتزود الأزواد (وظلموا أنفسهم) بالبطر (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة للناس يتحدثون بها (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في البلاد كل تفريق (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي في ذلك لعبرة لكل مؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) أي ما كان له عليهم سلطان إلا ليعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي ليتميز عندنا من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك (وربك على كل شيء حفيظ) أي رقيب (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي آلهتكم التي عبدتموها (لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك) أي ما لهم في خلقهما من شركة (وما له منهم من ظهير) أي ما لله من الآلهة من معين على خلقهما (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أي لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع له (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أي كشف الفزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) أي قالوا قال الحق وهو العلي عن أن يقول الباطل الكبير عن أن يقول الباطل (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أي أحد الفريقين منا ومنكم على الهدى والآخر على الضلال المبين (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) أي لا تؤاخذون بإجرامنا ولا نؤاخذ بأعمالكم (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) أي يقضي بيننا بالحق وهو القاضي العليم (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم) أي ألحقتموهم بالله في العبادة كلا ما ألحقتموهم به شيئا بل هو الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ما أرسلناك إلا للناس جميعا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أي متى هذا الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي من الكتب (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) أي لولا أنتم تصدونا عن الإيمان لكنا مؤمنين (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي أنحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي بل مكركم في الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي أسر الفريقان الندامة لما رأوا العذاب (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أي هل يجزون إلا جزاء ما كانوا يعملون (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) أي ما أرسلنا في قرية من رسول إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أي نحن أكثر أموالا وأولادا في الدنيا فنحن بمعذبين في الآخرة (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي قل إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) أي وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون (والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون) أي والذين يسعون في آياتنا معاندين أولئك في العذاب محضرون (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) أي قل إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) أي قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) أي وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي وما آتينا كفار مكة من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير

معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم (وإلى نوعة ذكرهم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السالك على الطريق وعند ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي فإن لهم بالنجوم اهتداء في أسفارهم وفي مسارحهم وليوم يدل على أنه لم يكن لهم في مكان السكر أو حسبانهم والأعم أولى لم يخصوا

وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم بالجبال علامات النهار والنجوم علامات
الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم
الثريا وسهيل والفرقدين والجدي يهتدي بها الى الطريق والقبلة وقال عباده انما خلق الله
النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف
مالا علم له ﴿قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب
صنعه وبديع حكمته ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل وكانت هذه الأشياء المحكوم المذكورة في
الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته عقبه تعالى هو المتفرد بخلقها عقبه قال على
سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الأصنام التي لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر على شيء أفمن
يخلق يعني هذه الأشياء المحكوم المرئية للعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الأصنام
الجامدة التي لا تخلق شيئا لأنها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك
عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الأشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون)
يعني أن هذا القدر ظاهر يعرف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والتطويل بتحرير الذكر فيه
كفاية لمن فهم وعقل وانما ذكر بني في الآية سؤالان الأول قوله كمن لا يخلق المراد به الأصنام وهي
جمادات لا تعقل وكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب انه لما كان الكفار لما سموا هذه الأصنام
آلهة وسموها أحياء جرى كلامهم على ما في زعمهم ألا ترى الى قوله تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله
لا يخاطبهم على ما في زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه
الزام الحجة على من عبد الأصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق وكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن
يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من يخلق الأشياء لا يعطى منه
رأفة على هذه النعم الظاهرة كيف تسوى به من هذه الجمادات الخسيسة في السمع والعبادة وكيف يليق
بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الأشياء الظاهرة كلها ولم يشتغل بعبادة جمادات
لا تخلق شيئا والله أعلم ﴿وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد مما
يخلق فيه من صحة الأبدان وعافة الحس واعطاء البطر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الأشياء
وبسط الرزق وسعي الرجل الى غير ذلك مما أنعم به على نفسه وفيما أنعم به على غيره مما يخلق له من جميع
مناجح النعم أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد عد أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها
وحصرها فكيف عمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجمع الخلق بدليل قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تعدون عليه (ان الله لغفور) يعني
لتقصيركم في القيام بشكر نعمه كما يحب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم
بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء
وهو ما كانوا يذكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايذائه فاخبرهم الله عز وجل
انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه شيء من ذلك وجعل ان الله سبحانه وتعالى لما
ذكر الأصنام وذكر تحقيرها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان
يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه
الأصنام بصفات فقال تعالى (والذين يدعون من دون الله) يعني الأصنام التي يدعوها آلهة من دون الله
(لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل
على ان هذه الأصنام لا تخلق شيئا فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى
المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار قلت فائدته ان الذي المذكور في الآية المتقدمة انهم لا يخلقون
شيئا فقط والمذكور في هذه الآية انهم لا يخلقون شيئا وأنهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى

تعالى (أفمن لا يخلق) أي الأصنام وجيء عن الذي هو لأولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فجروها مجرى أولي العلم أولأن المعنى أفمن يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم له وانما نكر لفظ أفمن يخلق كمن لا يخلق مع اتصاف المعاد بهما ظاهرا وانما لكونه الزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة بسببها بالله لانهم حين جعلوا غير الله في استحقاق العبادة له فقد جعلوا لله من جنس المخلوقات وبينهما ما فيهما فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو الله تعالى المعبود له على الاطلاق فكيف يعبد المخلوق له (أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها ولا تعرفوا حقيقتها فكيف تقدرون على القيام بشكرها فضلا أن تفعلوا ذلك بتمامه من أداء الشكر وانما الواجب عليكم ذلك بما تعدد من نعمه عليكم ان قدرتم عليه وقد يعجز عن بعضه (ان الله لغفور رحيم) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة عند تقصيركم في أداء شكر النعم عليكم ولم يقطعها عنكم لاجل تقصيركم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أفعالكم وأقوالكم وهو مجازيكم عليها (والذين يدعون) أي الآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) أي غير الله عز وجل (لا يخلقون

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) أي ما لهم الخصائص الالهية شيئ كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين يوشك البعث وأثيب لهم صفات الخالق بأنهم صانعون أموات ماهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة كانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يشعرون للداعين أي لا يشعرون متى يبعث عبدهم

وفيه بحكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت عبادهم فكيف تكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم اله واحد) أي بعد ما ظهر أن الالهة لا تكون غير الله لا بد وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الاقرار بها (لا جرم) ما (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن الوحدانية يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين) ماذا مصوب بأنزل أي أي شيء أنزل ربكم وهو مرفوع على الابتداء أي أي شيء انزل ربكم حتى يجاب بالمرفوع لهؤلاء المستهزئين الذين استكبروا أن يحلوا بمكة ويمروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقيهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير

وهو فائدة التكرار (أو اب) أي جماد ان يميت ملا حياء فيها (غير أحياء) يعني كغيرها وانما يعبر لو كانت هذه الاصنام آلهة كما يزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فنفاها وعدم وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعث وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة يوم القيامة حتى تبرأ من عابديها وتفضل معاينة ما يرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون ﴿قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو الله واحد وهذه أصنام معدودة كيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا بين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حراما من لبس حرير وعبادة باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الخيرة فمعناه يجعل ما جعله الله حراما حلالا ويجعل ما جعله حلالا حراما وقيل البطر الكبر يقال بطر فلان كذا أي تكبر في اتباع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر الكبر يقال بطر فلان كذا اذا لم يشكر نعمة الله عليه وغمط الناس يعني احتقارهم ولم يرهم أهلا لما هو فيه من النعمة وقيل غمط الناس ازدراؤهم ﴿قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اذا سمعوا بمحمد وطريقه اذا سألهم الحاج الذين يعسكرون عليهم (ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في ليحملوا لام العاقبة ودلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم أي ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان الذنوب التي اضافوها الى أنفسهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا الكفر عنهم يوم القيامة ﴿قوله تعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) دليل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن الوزر ولو كان هذا المعنى حاصلا في الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا الحكم فائدة ﴿قوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والذي يدل عليه ما روي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث ان الرئيس أو الكبير اذا سن سنة سيئة فعمل بها جماعة عملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعلم بوزره ويعاقبه حتى يكون ذلك الوزر أو العقاب مساويا لكل ما ارتكبه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بتلك الخطيئة أو الجريمة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الاوزار او العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك لا يعدل ولا يدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانه لو كان للتبعيض عن الاتباع بعض الاوزار ودل ذلك على عكس ما في قوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار

الاولين اي احاديثهم الاولين واباطيلهم واسطروا واخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مرورهم بقصة مواعيدهم الذين قالوا لهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالا لهم وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار من يضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال مشتركان في الاثم فلذلك قال (بغير علم) قال ﷺ قوله أي يضلون ولا يدرون

(الاساطيرون) محل مارفع (الذين مكروا من قبلهم) أي من قبل مكرهم (فاتى الله بنيانهم من القواعد) أي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تخييل يعني أنهم سووا صوراً لمكروا بها رسل الله سبحانه الله هلاكهم في ثلاث صور مات كل قوم بواحدة منها وعبدوه بالاساطين فاتى الله بنيانهم من القواعد أي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تخييل بان صعد فسقط عليهم السقف ومات وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمرود بن كنعان بن سبى الصرح بنى طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخربه وعلى قومه فهلكوا وقيل أي أمره بالاساطين (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم بعذاب آخر سوى ما عذبوا به في الدنيا (ويقول أين شركائي) على الاضافة الى ضمير نفسه كانه لاضافتهم اياه على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم تشاقونني فيهم أي تشاقونني فيهم لان مشاقة المؤمن كمشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) أي الانبياء والعلماء من المؤمنين فيهم الذين كانوا يدعونهم الى الاحسان اليهم وينهونهم عن الاساءة اليهم تشاقونهم فلا تعادون الا المؤمنين تشاقونهم لانهم يخالفونكم دائما فيما تأمرونهم به (ان الخزي اليوم والسوء) أي الفضيحة والسوء (على الكافرين) العذاب (الذين تتوفاهم الملائكة) يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) أي استسلموا وانقادوا لامر الله الذي ورد عليهم فقالوا (ما كنا نعمل من سوء)

الاساطين وقوله تعبير علم يعني ان الرؤساء انما عذبوا على اضلال غيرهم تعبيرا لما يستحقونه من العذاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الاساطيرون) يعني الاساطين ما تعملون فحذفت النون للاضافة (قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) قوله سبحانه وتعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعني من فعل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكثر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره أنه بنى صرحا طويلا ليصعد الى السماء وتعالى أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهب الله ريحا فصعصعه وألقى رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته وأتاهم العذاب من حيث لم يشعروا وقيل أتاهم العذاب من حيث لا يأمنون من لسان الناس وذلك ان لسان الناس لما بلبل يوم سقوط الصرح فصار كل قوم يتكلمون بلغة غير لغة القوم الآخرين فكان لسان الناس يومئذ اثنين وسبعين لسانا فاول من تكلم بالسريانية فلذلك سمي السريانية لغة هكذا ذكره الثعلبي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل الحجر من أمتهم وهم الذين سألوا صالحا عليه السلام ان يخرج لهم الناقة من الصخرة وكانت لغتهم العربية وكذلك من قبل ابراهيم عليه السلام من طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا يحسن بنا ترجيح الاقوال والله أعلم وقيل في قوله عز وجل مكر الذين من قبلهم على العموم أولى وتكون الآية عامة في جميع الماكرين الماضين الذين يحاولون اخماد الصوت والذكر بالعبد قوله سبحانه وتعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان أتاهم ريح فصعصعت بنيانهم من أعلاه وأتاهم الامر لا من حيث لم يشعروا فخر عليهم السقف من فوقهم) يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم لا تأكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل معنى قوله من فوقهم لم يكونوا تحت السقف فسقط عليهم فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني في ظنهم لان ظنهم ان بنيانهم لما اعتمدوا على قوائمه كان ذلك البنيان سببا لهلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعني يجمع لهم العذاب وهذا يحصل لهم في الدنيا والآخرة لان العذاب في الدنيا هو العذاب مع الهوان (وقال) يعني ويقول الله لهم يوم القيامة (أين شركائي) يعني في زعمكم وباعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لان المشاقة هي كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم لينصروكم كما كنتم تعدونهم في الدنيا ان يدفعوا عنكم العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزي) يعني الهوان (اليوم) يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعني العذاب (على الكافرين) وانما قال المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يسخرون بالمؤمنين في الدنيا ويذكرون بما يسوءهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق واكرموا بانواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب عند ذلك يقول المؤمنون ان الخزي والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم وتكون أعظم في الهوان والخزي قوله تعالى (الذين توفاهم الملائكة) معنى توفاهم الملائكة يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) يعني بالكفر (فألقوا السلم) يعني استسلموا وانقادوا لامر الله الذي ورد عليهم فقالوا (ما كنا نعمل من سوء)

يعني شركوا أعانا قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله علم بما كنتم تعملون) يعني ولا فائدة لكم في انكاركم قال عكرمة يعني بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أي يقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعني مقدرين دوام الاستحقاق بها وانما قال ذلك لانهم أكثر أعلم في العرف والخبر وفيه دليل على أن الكفار يعصبهم أشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعني عن الايمان ﴿ قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك ان أهل الحج كانوا يعودون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءوا سأل الذين كانوا يقعدون على طرق مكة من الكفار ما يقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم يلقه الخبر قالوا ما أنزل الله شيئا واذا رجعوا الى قومهم من دون ان أدخل مكة قالوا عاد دخل مكة فترى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعني أنزل خيرا فما نافية ورفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا لما فات لتحصل العرب من الجوابين جواب الكفر الخاص وجواب المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا وأما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يعدلوا أو أطبقوا الجواب على السؤال بما مكنوا معقولا للانزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا هو وقف تام ثم ابتدأ قوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة وتم الحسنة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة وقال الصحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا وأتوا بأحسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وعجل ذلك لهم أتم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان أهل التقوى يرجعون بها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله ضمير هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين اقامة وخلود لهم عدن بالمكان أي اقام به (يدخلونها) يعني بالجنة لا يخرجون منها ولا يحولون عنها (تجري من تحتها الانهار) يعني تجري الانهار في هذه الجنات من تحت قصورها واشجارها وغرفها (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاءون) يعني ما يشتهي الانس ويلذ الانس بمثله وزاد الله عز وجل بقوله وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة فلان قوله لهم فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر ويدل على ان الانسان لا يحصل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) اي هكذا يكون جزاء المتقين من عباده وهو قول مجاهد (الذين توفاهم الملائكة طيبين) اي يموتون على طاهر من السيرة قال مجاهد تراهم كأنهم أتوا الهم وقال ابن عباس كلما عملوا عملا حسنا دخل قلوبهم النور وانشرح له الصدر وقال الحسن أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخير والطاعات واجتنبوا ما نهوا عنه من الكفر وهذا هو الورع مع الاخلاق الحسنة والخصال الجميلة وقيل انما سموا بذلك لان أفعالهم تكون طيبة لانهم يتوفون على أحسن أحوالهم بالرضوان والجنة وقيل انما سموا بذلك لما يحصل لهم عند الموت من الفرح والسرور والارتياح بسهل عليهم عند ذلك خروج أرواحهم وتطيب لهم الموت على هذا الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني يسلم عليهم الملائكة أو يسلم عليهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قيل كيف قال في موضع آخر حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال ههنا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقد علم ان العمل لن يدخل احدا الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته أجيب عن هذا السؤال من وجهين أحدهما ان الباء في قوله بما كنتم تعملون ليست باء الجزاء والعوض وانما هي باء السبب والمعنى ادخلوا الجنة بسبب ما كنتم تعملون من الطاعات وقيل الباء بمعنى اللام والمعنى ادخلوا الجنة لما كنتم تعملون من الطاعات وقيل الباء بمعنى في والمعنى ادخلوا الجنة في جزاء ما كنتم تعملون

(فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطلقوا الجواب على السؤال وقد تقدم أساطير الاولين معدولا بالجواب عن السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وهو حسنة وهو بدل من خيرا حكاه المهدوي (وللذين اتقوا) العمل عند الله حسنة حكاه أبو علي وهو كلام مستأنف عند النحاة من رفع حسنة (ولدار الآخرة خير) اي لهم في الآخرة خير مما هو خير لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) أي الجنة (جنات عدن) بساتين اقامة (يدخلونها) حال (تجري من تحتها الانهار) حال (لهم فيها ما يشاءون) حال (كذلك يجزي الله المتقين) اي الذين اتقوا الشرك (الذين توفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الشرك (يقولون سلام عليكم) سلموا من الله أو من الملائكة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)

بالعقل ثواب ولا عقاب ولا تحريم ولا تحليل من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والتصرف والأمر حر في سلطانه يفعل فيهما ما شاء ولو عذب المطيع والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه وإدخالا أكرمهم ورحيهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يطهر المؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فمذهبهم أن الأحكام بالعمل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح في مصالحهم تعالى الله عن أحبارهم الباطلة المباينة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأمر الله سبحانه وتعالى أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أورثموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات التي تدل على أن الأعمال الصالحة تدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله وصح أنه لم يدخل الجنة مجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أن يدخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل منه والله أعلم مراده ﷺ وقوله تعالى (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (إلا أن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبهم إياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني بما كسبوا من المعاصي والكفر والأعمال القبيحة (فأصابهم سيئات ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما كسبوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في إنكار الرسالة فقالوا لو شاء الله منا الإسلام لحصل لنا حتى أولم يحصل ولو شاء الله منا الكفر لحصل حتى أولم يحصل وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم والخوض عن هذا فهم لما قالوا إن الكل من الله وكانت بعثة الرسل على ما كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه في أحكامه ولا في أفعاله لا يحور لأحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسابق علمه أن أرسل الرسل إليهم وهم بعباد الله تعالى وبهوهم عن عبادة غيره وأن الهداية والإضلال إلى من هذا فهو الهادي ومن أضل فهو الضال وهذه مشيئة الله في عباده أنه أمر الكل بالإيمان به ونهاهم عن الكفر به سبحانه وتعالى هدى من شاء إلى الإيمان وأضل من شاء فلا اعتراض لأحد عليه ولما كانت مشيئة الله عند بعثة الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأن مشيئة الله تعالى قد تكون الأمر كذلك وقد لا يكون الأمر كذلك فلا حجة لهم في تحريم ما حرموا على أنفسهم بالهوى وأما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى ما لنا أن نتعرض بالتحريم والتحليل لهذا ولا لغيره إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أن من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذا الطريق وهذا الفعل الذي فعلوا بتكذيب الرسل كفعل هؤلاء الأمم الخالية (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) يعني ليس لهم هداية أحد إنما عليهم ما أمروا به من تبليغ الرسالة إليهم (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى أمته (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم أن يعبدوا الله ويوحدوه ويجتنبوا عبادة الشيطان وعبادة الأصنام وهو قول الله (فمنهم من هدى الله) من الأمم الذين أرسل إليهم الرسل (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعني الذين حكم الله عليهم بالضلالة لما علم منهم من الكفر

ما ينتظر هؤلاء المكذبون (إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وتأتيهم على وجوه (أو يأتي أمر ربك) أي العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من التكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام مشركي مكة استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البحيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطالبوا على بطلان الباطل وفعله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي

عذاب الله ان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على قال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو ايجاب لما بعد النفي أي بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان بعث من مات وعد من الله وهو أن الوفاء بما وعد حتم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق أو أنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمحذوف دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم أو بالبعث يموتون وهو يتعلق بالمؤمن والكافر (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي فهو يكون وبالنصب على جواب كن (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) نزلت في المستهزئين كان الرجل منهم يؤذى بالضرب والشتم فيهاجر إلى المدينة فيقال له تحذرت وجوده أي أذاه فهاجر وجوده أي أذاه فهاجر وقيل نزلت في أصحاب الصفة الذين كانوا يؤذون ويعيرون بالفقر (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) منزلا حسنا وهو المدينة أو ما غنموا من أموال بني قريظة والنضير وفدك (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ما أعد الله لهم (الذين صبروا) على أذى المشركين (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون أمورهم إليه (وما أرسلنا من قبلك) رد لقولهم لست مرسلا (إلا رجالا نوحي إليهم) كما أوحي إليك (فاسألوا أهل الذكر) أهل الكتاب (إن كنتم لا تعلمون) أنهم رجال (بالبينات والزبر) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي أرسلناهم بالبينات والزبر (وأنزلنا إليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) من الأحكام (ولعلهم يتفكرون) فيما فيه من المواعظ فيعملون به (أفأمن الذين مكروا السيئات) المكرات السيئة وهي الشرك والمعاصي (أن يخسف الله بهم الأرض) كما فعل بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا يحتسبونها (أو يأخذهم في تقلبهم) في متاجرهم وأسفارهم (فما هم بمعجزين) الله بالهرب منه (أو يأخذهم على تخوف) تنقص بأن يهلك طائفة بعد طائفة (فإن ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء) من جسم قائم (يتفيأ ظلاله) أي يتميل من جانب إلى جانب (عن اليمين والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال أي خاضعة لله (وهم داخرون) صاغرون وجمع الضمير لما أضيف إليه الظلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه لا صرف في إرادته فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب ديارهم بالعذاب والهلاك وامروا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص بأبلغ ما يجد على هدى هؤلاء وتبالغ في تحصيله كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقرئ بضم الياء وفتح الدال وهو اسم من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي ما يعينهم ويمنعهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الحوري سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن الله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية فقال أبو العالية وغيره انها نزلت في المشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه الحية المحسوسة فاذا مات وعرف أجزاءه لم يمكن أن يعود بعينه لان الذي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا جسمية بعد وانما وعدنه فهذا هو أصل شبههم ومعتقدهم في انكار المعاد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى انما يذكر في الجواب بعد النفي من الله سبحانه وتعالى لخلق الانسان وايجاده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده قادر على أن يعيده ثم أعاده قادر على اعادته بعد اعدامه لان الاعادة أهون من الابتداء (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر الدين وتظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد شيئا من الموتى وغيرهم للعباد والجزاء فلا يعجزه شيء في احيائهم وانما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى سبني ابن آدم وما ينبغي له أن يسبني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما سبه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد ﴿وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني أوذوا وعذبوا ليرجعوا عن دينهم (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) يعني لننزلنهم منزلا حسنا وهو المدينة وقيل هو ما غنموا من أموال بني قريظة والنضير وفدك (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يعني لو علموا ما أعد الله لهم من الثواب العظيم لاختاروا الهجرة على الاقامة مع الكفار (الذين صبروا) على أذى المشركين (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون أمورهم اليه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) قال المفسرون لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك وقالوا الله أعظم من أن يكون بشر رسولا فأنزل الله تعالى هذه الآية يقول ما أرسلنا قبلك الا رجالا من بني آدم نوحي اليهم بالشرائع فاسألوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى هل كان الرسل الذين كانوا قبلك بشرا أم ملائكة فان كانوا ملائكة فانكروا وان كانوا بشرا فلا عجب في ارسال الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (بالبينات والزبر) يعني أرسلناهم بالبينات والزبر وهي الكتب (وأنزلنا اليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني لتبين للناس ما أمروا به ونهوا عنه وما أمروا به من الطاعات وما نهوا عنه من المعاصي (ولعلهم يتفكرون) فيما فيه من المواعظ فيعملون به (أفأمن الذين مكروا السيئات) يعني أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يخرجوه أو يوثقوه (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني من حيث لا يعلمون (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في أسفارهم (فما هم بمعجزين) يعني بفائتين (أو يأخذهم على تخوف) يعني على تنقص قليلا قليلا حتى يهلكهم وقيل على تخوف أن يأخذهم (فان ربكم لرؤف رحيم) يعني حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم (يتفيأ ظلاله) يعني يتميل من جانب الى جانب (عن اليمين والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) يعني خاضعة لله (وهم داخرون) يعني صاغرون وجمع الضمير لما أضيف اليه الظلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه لا صرف في ارادته فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب ديارهم بالعذاب والهلاك وامروا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص بأبلغ ما يجد على هدى هؤلاء وتبالغ في تحصيله كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقرئ بضم الياء وفتح الدال وهو اسم من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي ما يعينهم ويمنعهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الحوري سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن الله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية فقال أبو العالية وغيره انها نزلت في المشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه الحية المحسوسة فاذا مات وعرف أجزاءه لم يمكن أن يعود بعينه لان الذي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا جسمية بعد وانما وعدنه فهذا هو أصل شبههم ومعتقدهم في انكار المعاد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى انما يذكر في الجواب بعد النفي من الله سبحانه وتعالى لخلق الانسان وايجاده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده قادر على أن يعيده ثم أعاده قادر على اعادته بعد اعدامه لان الاعادة أهون من الابتداء (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر الدين وتظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد شيئا من الموتى وغيرهم للعباد والجزاء فلا يعجزه شيء في احيائهم وانما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراد لانه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى سبني ابن آدم وما ينبغي له أن يسبني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما سبه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد ﴿وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني أوذوا وعذبوا ليرجعوا عن دينهم (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) منزلا حسنا وهو المدينة وقيل هو ما غنموا من أموال بني قريظة والنضير وفدك (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يعني لو علموا ما أعد الله لهم من الثواب العظيم لاختاروا الهجرة على الاقامة مع الكفار (الذين صبروا) على أذى المشركين (وعلى ربهم يتوكلون) يعني

عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم تبوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وتدل على أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم تكن لها موقع وكانت هجرته الانتقال من بلد الى آخر ومسببة عن الأعمال بالدنيا ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﷺ وقوله تعالى (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) معناه لنبوئنهم مودة حسنة وهو ما يعطيه الله تعالى أبو لهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم يتلو هذه الآية وفعل به ما لحسن بهم في الدنيا بأن جمع لهم مكة وعكهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ونصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا الثناء الجميل والهداية في الدين (ولأجر الآخرة أكبر) معناه أعظم وأجل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) جواب لو محذوف والضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) معناه في الله على ما نالهم من الأذى والمكروه وهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعني في أمورهم كلها فلا يعصونه ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما هذا السلوك الى الله تعالى ومنهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أثقال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والرجوع الى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) نزلت هذه الآية حين قال المشركون مكة حين أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الى الناس فأجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا نعني ما أرسلنا الا رجالا نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول بدء الخلق أنه لم يرسل الا رسولا من البشر فهذه عادته مع جميع خلقه (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعترفون بأن أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم لي موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا يسمعون أخبارهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زال الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) الخطاب لأهل مكة يعني ان كنتم أنتم وأولاءكم لا تعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى المتعلق به هذا الجار فقيل تقديره وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسألوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون اسم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يبين كمال به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات وعلى البراهين القواطع والكلام وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله وقيل (وأنزلنا اليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سماه ذكرا لانه تعالى أنزله للعاملين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني ما أجمل من الأحكام

أنهم أهلها ونصروهم (ولأجر الآخرة أكبر) الوقف لازم على لان جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل ملة يكف يعلون قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي موصولون الأمر الى ربهم وموصون عما أصابهم في دين الله ولما قالت قريش أيرضى الله أعظمنا أن يكون رسوله يتيما لنا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) على ألسنة الملائكة نوحي بعض (فاسألوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يرسل الى الأمم السالفة الا رجالا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) أي بالمعجزات والكتب والأنبياء على رجالا ملبسين بالبينات أو ما أرسلنا الا كائنين

على الوحي العامة وقوله (وأنزلنا اليك الذكر) الآية (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكر ما أصابوا وهم وعدوا وعدوا ويعدوا القرآن

القرآن وسائر الكتاب تطابق من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث قدم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل وتطلب بيانه من السنة قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم يحمل على ما احتمل منه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يفكرون) يعني فيما أنزل اليهم فيعملوا به (أفأمن الذين مكروا السيئات) قد سبق تقديره المكر السيئات وهم كفار مكة مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالعوان في أديانهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اسعالهم بعباد الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو له والصحيح ان المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعني كما خسف بقارون من معهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجاءة كما اهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في احد تقلبهم وقال ابن جريج في ذهابهم وايابهم يعني أنه تعالى قادر على أن يأخذهم في ذهابهم وفي ايابهم وفي جميع أحوالهم (فما هم بمعجزين) يعني بسابقين الله او يفوتونه بل هو قادر عليهم (او يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا اذهب منه وأخذ ماله وجسمه ويقال هذه لغة هذيل يعني هذا القول يكون المراد منه أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم التي تدنو السبي حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فعلى هذا القول انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا لكن يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة بعد خوف الآخرين أن يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بما كان يعذب به الامم الماضية فان ربكم لرؤف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم له ظل وعند الزجاج انما كان بعني الظل لان المراد منها الاشخاص والا فالظل لا يكون الا بعد الشمس الروح الى ما يكون معها تعالى الشيء أصله أول الشيء ذكره عند تعريفه (يتفيأ ظلاله) يعني يتقلب ويدور من جانب الى جانب فهي من اول النهار على حال ثم يعود في آخر النهار الى حالة أخرى وقال الليث الفيء الظل بالعشي لانه يفيء من جانب الى جانب واذا رجع من المغرب الى المشرق والى الرجوع قال الازهري وهو الظلال ورجوعها بعد صلاة النهار والظل لا يكون الا بالعشي وما قبل الزوال يسمى فيئا والظل يكون بالغداة وهو ما لم تطلع عليه الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وقيل أصاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال (عن اليمين والشمائل) قال الفراء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت مستقبل القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى المغرب كان ظلك عن شمالك وقال الضحاك أما الشمس فاول النهار وأما الشمائل فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للاشعار والاحتراز عن القطع بدخول الشمس والجمع الى القطع السبي وهو واحد والشمائل واحد الى المعنى لان القطع السبي يراد به الجمع (سجدا لله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد لخضوع يقال سجد اذا طأطأ رأسه لغيره وسجد البعير اذا مال لكبره والحمل والمعنى أن جميع الاشياء تدل على توحيد الله تعالى بسبب ما ظهر فيها من الفيء وغيره وقال مجاهد اذا رأيت الشمس حين تطلع

(ولعلهم يتفكرون) في سبحانه فيسبحوا (أفأمن الذين مكروا السيآت) اي المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (ان يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي نعمة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسارحهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متنقصين وهو أن يهلك قوما فيهلكهم شيئا فشيئا أو يأخذهم العذاب وهم مخوفون به ويعرفون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون ثم قال ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعجل بكم ولا يأخذكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما تأتون به من سيئ فعلكم (أولم يروا) والتاء حرف يقبل الوقف (الى ما خلق الله) ما وصوله يعني الله وهو يسمى (من شيء يتفيأ ظلاله) أي يتميل من موضع الى موضع وبالغدوة يرجع من اليمين (عن اليمين والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا رأيت الشمس حين تطلع كل غداة

(وهم داخرون) صاغرون وهو حال من المستكن في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل يتفيأ والتفيؤ الرجوع من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فغلب وإنما أوثر الى ما خلق لفظ الاشعار بأن الظلال تابعة في أنفسها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب مسجدة لله تعالى غير ممتنعة عما سخرها له فيما سخرها من الميل والاجرام في أنفسها داخرة أيضا

صاغر منقاد لما دل الله عليها في الارض جميعا على أن في السموات حيوانا يدبون دبيبا كما دب الناس في الارض أو ما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتها وقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فإن المراد بسجود الكل طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الآية ان جميعهما لم تخلقا للدلالة الا على أن لهما ولجميع ما خلق فيهما خالقا واحدا وصانعا حكيما قادرا عليما هو صالح للعبادة وغيرهم ولو حمل الكلام على ظاهره لكان المعنى ولله يسجد كل ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لا يستكبرون عن عبادته ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون عن عبادته ربهم حال كونهم خائفين عالمين بأنه القاهر فوقهم (ويفعلون ما يؤمرون) و دلت على ان الملائكة مكلفون مأمورون على الاطلاق (والله) ولما نهى عن اتخاذ الهين اثنين أتبعه النهي عن اتخاذ ما فوق الاثنين فقال (انما هو إله واحد) فاعلم ايها السامع ان الله

لله والمراد الباقي في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ما صنعت كما أن ساجدا على الارض فلما كانت الظلال تشبه سكانها سكان الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وجعل ظل كل شيء ساجدا لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أولا وقال ابن عباس ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما أمر به ساء أم أبى ردا لك ان جمع الاسم عاد لا من الله تعالى فان ظل الظلال ليست من العقلاء فكيف صح عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون فلما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره ودلالة صنعه من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض لان الغلب لما لا يعقل أكثر مما يعقل في العدد والحكم للاغلب كما غلب المذكر على المؤنث في قوله لو أني بها مليحة وجهها لان الغلب في كلامهم قوله للعقلاء خاصة وأتى بلفظ ما لما لا يعقل الا كل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الحسية فالدابة اسم يقع على كل حيوان يحس بالحركة ويقصد دخول الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم اولو أجنحة يطيرون بها وأفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم بدلالتها وتسخيرها لما خلقت له وسجودها لا يعقل وتسخيرها لما أراد الله تعالى فيه راجع الى صنع الله وتدبيره وهو سبحانه وتعالى يدعو العباد الى السجود بلفظ الامل والامر (وهم لا يستكبرون) يعني الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد حرجمة البعير وقال عن أبي ذر موقوفا

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فمن قرأها أو سمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها

قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية الاولى ان كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وأنهم في ملكه وسلطانه وتحت قدرته وتسخيره في هذه الآية نهى الخلق عن اتخاذ إلهين اثنين فقال تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين قال الواحدي ذكر الاثنين لا يدل على نفي ما زاد عليهما كما في قوله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وقال صاحب النظم معناه لا تتخذوا إلها ثانيا لان الاثنين هما أول العدد فنفي الاول نفي لما بعده وقيل ذكر الاثنين لان التثنية أول مراتب الجمع فنفي الاثنين نفي لما فوقهما وقيل ذكر الاثنين لان الاثنين لا تثبت الوحدانية في الوجود لعدم صفات الكمال فيهما بخلاف الواحد فصار ذكر الاثنين كالتنبيه على ما فوقهما (انما هو إله واحد) فان قلت انما جمعوا من العدد

للاله

الواحد ولواه الواحد اسم مجانس لما ذكر من الاعداد فما الفائدة في قوله إله واحد قلت قال العلماء الفائدة في ذكر الواحد الخاص فائدة وهي أن الاعداد كلها مشتركة في الوحدة لان كل عدد واحد من حيث انه واحد فلو قال انما هو واحد لكان يحتمل ان يكون واحدا من العدد المشترك بين الاعداد كلها فلما قال إله واحد علم ان المراد به الواحد الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره

من العيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) هم حزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وامهاتهن بنات سروات الجن فتزوج الله منهن فولد له الملائكة فرد الله عليهم بقوله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) اى لمبعوثون للحساب والجزاء (سبحان الله عما يصفون) من الكذب والافتراء (الا عباد الله المخلصين) الاستثناء منقطع اى لكن عباد الله المخلصين من الكفر والكذب (فانكم وما تعبدون) الفاء للتعقيب والتسبب اى فبسبب انكم وآلهتكم لا تقدرون على اغواء احد (ما انتم عليه بفاتنين) اى بمضلين احدا (الا من هو صال الجحيم) اى الا من قدر في علمه انه يصلى النار ويدخلها (وما منا الا له مقام معلوم) اى ما منا احد من الملائكة الا له مقام معين في السماء لا يتجاوزه (وانا لنحن الصافون) اى في الصلاة او في الطاعة او في مواقف العبادة (وانا لنحن المسبحون) اى المنزهون الله عما لا يليق به (وان كانوا ليقولون) اى كفار مكة (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) اى كتابا مثل كتبهم (لكنا عباد الله المخلصين) اى لاخلصنا العبادة لله ولم نكفر به (فكفروا به) اى بالذكر (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اى وعدنا لهم بالنصر والظفر (انهم لهم المنصورون) اى الغالبون بالحجة (وان جندنا لهم الغالبون) اى الظاهرون بالحجة والسيف (فتول عنهم حتى حين) اى اعرض عنهم الى وقت نزول العذاب بهم (وابصرهم فسوف يبصرون) اى وانظر اليهم فسوف يبصرون ما يحل بهم من العذاب (افبعذابنا يستعجلون) استفهام انكاري اى لا يستعجلون بعذابنا (فاذا نزل بساحتهم) اى بفنائهم وقربهم (فساء صباح المنذرين) اى بئس صباح الذين انذروا فلم يؤمنوا (وتول عنهم حتى حين) اى اعرض عنهم الى وقت نزول العذاب بهم (وابصر فسوف يبصرون) اى وانظر اليهم فسوف يبصرون ما يحل بهم من العذاب (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) اى تنزه ربك يا محمد رب العزة والغلبة عما يصفه به المشركون من الكذب والافتراء (وسلام على المرسلين) اى سلام من الله على جميع المرسلين بشارة لهم بالسلامة من كل مكروه (والحمد لله رب العالمين) اى الحمد لله على ما وفق المرسلين لتبليغ رسالاته وعلى ما اكرمهم به من النصر والظفر على اعدائهم (ص) هذه السورة مكية وآياتها ثمان وثمانون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص والقرآن ذي الذكر) اى صاد والقرآن ذي الشرف والذكر لما فيه من الاحكام والمواعظ والقصص (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) اى بل الذين كفروا بك يا محمد في تكبر وتعزز عن الايمان وخلاف للحق (كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) اى كم اهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قرن فاستغاثوا حين نزول العذاب بهم فلم يغاثوا ولم يجابوا الى ما طلبوا لفقد الخلاص على الملائكة كما لا يخفى (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) اى تعجبوا من مجيء رسول منهم ينذرهم عن العصيان كالنبي او الرسول لعدم المأنسة في نسبهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) يريد الله بهذا عن الوليد والنضر (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) اى وتعجبوا لانفسهم مما يشتهون (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) اى وقال الكافرون في شأن النبي هذا ساحر أحدهم مالانبي (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) اى وقال الكافرون في شأن النبي هذا ساحر أحدهم مالانبي (اجعل الآلهة الها واحدا) اى صار وقال وأمسى واصبح وما اشبه ذلك فعبر بالمضارع لاستحضار الصورة لان اكثر الوضع يعني ما قال وما عمل من هذا وهو معجز ما مسود الوجه من الكآبة والخجل من الناس (وهو كظيم) اى مملوء حزنا على المشركين (واوارى من القوم من سوء ما بشر به) اى يستحي منهم من أجل سوء ما بشر به ومن أجل ما يحدث نفسه به من العار (أيمسكه على هون) أيمسك ما بشر به على هون وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا حاله عندهم لله تعالى ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد للذكور وكراهة الاناث وأد البنات (ولله المثل الاعلى) وهو العلم عن العالمين والبراءة عن سمات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في ذاته (الحكيم) في افعاله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) اى بسبب ظلمهم بالمعصية على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقد قال تعالى في آية أخرى ويعفو عن كثير

(ما ترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين من أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الحبل يهلك في بحر مدين من آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما ترك من دابة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي أجل كل أحد ووقت نفسه الحكمة أو القيامة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف

برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (ويصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي يقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة كما كان النضر يقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لا جرم أن لهم النار وانهم مفرطون) معذبون بالنار أو متروكون فيها من أفرطه في طلب الماء اذا قدمه أو منسيون من أفرط فرطا حتى اذا جاء سوسه والكسور الخفيف من الافراط في العاصي والمتقدم في الطاعات اي الى مصيرها (انا ارسلنا) أرسلنا الى الامم من قبلك) اي ارسلنا رسلا الى من مضى من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل (فهو وليهم) اليوم اي ناصرهم في الدنيا لا يهتم بالنصر وأما الصبر لمشرك فمن أين أي ومن للكفار وليهم أعمالهم هي ولي هؤلاء لانهم هم أو هو

على حذف المضاف أي هو ولي أمثالهم اليوم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) الا لتبين (الذي اختلفوا فيه) هو الحق لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين لانهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي نزل الكتاب وحذف اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) جفافها (ان في ذلك لآية) على كمال قدرته (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر وذكر لان سماع الكلام هو النافع في سماع الآيات (وان لكم

في الانعام لعبرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرة الله على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقال ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع وهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو موجود في هذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاخفش وقال الكسائي انه رده الى ما ذكر يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال عبيدة الكناية مردودة الى البعض وهو الاصناف كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاصفرا اللبن اذا لبس لكناهالبن (من بين فرث) وهو ما في الكرش من العلف اذا خرج منها سمي فرثا (ودم لبنا خالصا) يعني من الدم والفرث ليس على لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلط عليه بقسمه بقدرة الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم يخرج من الدابة فيسقط على الارض فيصير روثا (سائغا للشاربين) يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة قيل انه لم يغص أحد باللبن فطعن الملحدون في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا سواء في الكرش الا والدليل على ما قلنا الحس فان هذه الحيوانات تذبح فتجد في كروشها دما ولا ترى أحدا في كرشها لبنا ولانه قال الحق أن الحيوان اذا تناول العلف وصل ذلك العلف الى معدته فان كان انسانا والى كرشه فان كان من الانعام وعبر عنها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول وهو ما كان في معدته صار ما يتحدر الى الكبد وما كان كذلك يزول الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد يطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء والمائية فأما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكلية وهي الماء وأما الدم فتذهب في الاوردة وهي العروق التي في الكبد وهذا هو المحصل الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فصار الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم عددي رخو فضل الله تعالى ذلك الدم عند ذلك اللحم العددي الرخو الا فصار الدم لبنا فهذا صورته وتكون اللبن في الضرع فاللبن اذا ولد من بعض أجزاء الدم والدم اذا ولد من بعض الاجزاء الطاهرة من الاغذية كان قوله الخالص له في الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم فاتصافه بالله سبحانه وتعالى بقدرته جعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وقد تولد اللبن في الضرع بخلق الله عز وجل فيه ما يحكمه في حلمة الثدي من اصغارا ومسام صغيرة جعلها كالمصافي للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالعرق والبول وما كان كثيفا احتبس في الثدي وهو المراد من قوله خالصا يعني من سوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا للذاهبين ما مر بيانه ﴿قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني واتخذتم أيضا من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير في منه يرجع الى ما دل عليه قوله لكم من ثمرات النخيل والاعناب أي مما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير رحمهم الله وابن أبي نجيح والضحاك وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما تتخذون من ثمرات النخيل والاعناب من الدبس والتمر والزبيب والخل والسكباج فلما حرم الخمر ذكرها الله عز وجل في معرض الانعام والامتنان فدل على أنها ليست في الحرمة كالخمر وهذا كما

الذى كانت الخمر منه غير محرمة وقيل ان الله تعالى وصل بهذه الآية على تحريم الخمر أى ان الآية مع نهاويين الرزق الحسن فى الذكر دون حبب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا دليل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو السدود هو بفتح الحرف والسكون اذا اشتد والطعم من العصير وهو قول الضحاك والحسن ومن نبيذ التمر ومن تحريمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال وأولى الاقاويل بالصواب قول من قال هذه منسوخة بقوله تعالى قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما الآية وقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تعدون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية بر لت بمكة فى وقت لم يحرم الله تعالى بعد شيأ فحكم على هذه الآية أنها منسوخة وقال أبو عبيدة فى معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم لك وقال غير السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أى سددته والمرو الرسيم ما سد الجوع وهذا مرجوح وأى عند ابن السكر الطعم (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من أنعامه على عباده (لآية) يعنى دلالة وعبرة صحيحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء صانعا مدبرا قادرا على ما يريد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وتخاصه عمه الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر فى هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس فى ذاته صنعه وهى النحل تعالى سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتمكن يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بما هو أحكم وأقدر وأصل الوحى الاشارة السريعة ويكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد وبالكلمة الالهية التى يلقيها الله الى أنبيائه وحى والى اولياء الالهام وبتسخير الطير لما حملوه وهو معنى قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى انه سخرها لما خلقها له والهمها سبل معاشها ومرادها أنها مع صغرها وضعفها تهتدى بالهام الله تعالى لها الى الاعمال التى تتعذر على كثير من العقلاء معرفتها والقيام بها فدل ذلك على ان النحل بنى وباعلى سكل مدبر من اصلاح منزله وتدبير بيته على نحو مخصوص لا يهتدى اليه غيرها ولو كان الوحى مذكورا فيه أو مشيرا اليه أو عبر دلك من الاشكال لكان فيما يتعلق بالنحل والعسل المقصود ألهمها الله سبحانه وتعالى ان بنيها على هذا السكل المسدس الذى لا يحصل فيه خلل وفرجة مع قلة ما يعمرها به فيلهمها الله تعالى أن تجعل عليها سقفا كبيرا وقد الحكم فيها وهى بطونها على أمير وكون هذا الامير أكبرها وأعظمها جثة وتسمى يعسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاه الجوهرى والله سبحانه وتعالى أيضا ألهمها أن تحلق على باب كل خلية منها بالاعكن عن أهلها من الاحوال الهاوالهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن تخرج من بيوتها وتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها لما فى هذا الخلق من الصعوبة لخواص النحل الله الله على مريد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى وكان ذلك مسببا بالوحى فلذلك قال الله تعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل وتسمى الذبابة أيضا قال الرماح بحور أن هذا الخلق بحلا لان الله سبحانه وتعالى جعل الناس العسل الذى يخرج من بطونها نعمى أعطاهم وقال عمرو النحل سكر وتوسد وهى مؤنثة قاله الجوهرى وكذا قاله الله تعالى فى قوله (ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعنى بيوتا يسكنون ودليل ان النحل مؤنثة وهو الذى يسكن الجبال والشجر وأوى الى الكهوف وبيوتها ومنها ما هو الذى أوى الى البيوت وبيوت العادة ان الناس يتخذون للنحل الاماكن حتى يأوى اليها وقال ابن عباس أراد بالذى يعرشون الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) يعنى من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلعطفه كل هذه النسبة الى الوم (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق التى ألهمك الله أن تسلكيها وتجلى سبيلا لحمل طلب الثمرات (ذللا) وقيل انها نعت للسبل يعنى انها

(ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وألهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال الرماح واتخذ النحل نحلة كنحل ونحله وأنث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) ويعرشون من عرش البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والكروم من الاماكن التى يعسل فيها لا بعض لانها لا تبنى فيها كل بيت وكل شجر وكل ما يعرش والضمير فى يعرشون للناس وضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى أى الثمرات شئت كلى من كل ثمرة تشتهيها أو كلها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك ربك فيها متذللة على العسل أو اذلك الله عليها بالتسخير فى المواضع البعيدة من وكر فاسلكى بمعنى اسلكى راجعة الى سبل ربك لا تعلق لها بما قبلها (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى سلكها وهو أوحى بها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل هذه السبل لما أمرت به غير معسرة عليك

(يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أقدمها (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل محبوب من المعاجين لم يذكر الله تعالى فيه العسل راس العرض انه شفاء لكل مرض كما ان كل دواء كذلك وذكره تعظيم الشفاء الذي فيه أولان فيه بعض الشفاء لان الكرة في الاثبات تبعض وتكثر لان الشفاء المطلق صفة الله تعالى فلا يوصف به غيره أو لان بعض الناس لا ينتفع به لعارض أو لقلة صبره عن استعماله على الوجه الذي ينفع فيه وقول بعض أرباب القلوب أراد صلى الله عليه وسلم أن كل مرض يصلح له العسل لا كل مرض مطلقا فقد يضر العسل بعض المرضى كالمحموم ونحوه فيه نظر لان الشفاء المطلق لا يكون الا بالموافق الذي لا يضر البتة وقد يكون الشيء شفاء لمرض ودواء له ويضر بغيره كالسقمونيا والافيون وغيرهما وقول بعض الاطباء ان العسل يضر بالمحرورين ليس بشيء لان الصفراء تنكسر بالعسل وقد يكون الشفاء في العسل وحده وقد يكون في غيره وقد يكون فيهما معا وقد يكون في مجموع الثلاثة وقد يكون في بعض الاشياء دون بعض وقد يكون في الجميع وقد يكون في شيء آخر لا نعلمه نحن ولا غيرنا وقد يكون في شيء لا يعلمه الا الله تعالى ثم يخرج من أنواعها يسهل كالعاسو زعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء يسيل كالزبد فيقع على الازهار وأوراق السجر فتجمعه النحل مما تأكل منه وتدخر بعضه في بيوتها الا عسل التدي فانه اذا جمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطاهرة شيئا كثيرا تداخله العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة النحل تقتضي طبخ العسل وأصافا المشاهدان النحل تعدي بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل ما يحصل في داخل البدن يسمى بطنا فعلى هذا يخرج من بطونها هي من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا شاهدنا انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها ورائحتها وطعمها فيه أيضا وبعضهم قال قول بعض أرواح النبي صلى الله عليه وسلم أكتحل بعسل فقال لا فقال شاهدته الريح الى أحد مكان فقال سقي بطنه عسل فقال صدق الله وكذب بطن أخيك فقال لعله تعرط العرفط ولم يصح بهذا اللفظ فقد ذكره الواحدي حدثت تلك العرفط أكلت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة وبهذا الدليل يحمل قول أهل الظاهر من المفسرين انه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطعم واحد ورائحة واحدة ولان طعم العسل يخرج من طعم الزنجبيل ونحوه لان مراح النحل يخرج معدل الى المرارة وهو ألطف من السكر ومراح العسل حار ما بين اليبوسة الثانية والثالثة فيهما فيما ذكروه كل يخرج في داخل النحل يسمى بطنا وقوله تعالى (وما تطعمون الا ابتغاء وجه الله) ﴿ وقوله تعالى (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) يعني في السراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والصحيح في قوله وشفاء للناس يرجع الى العسل وقد احتجوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقرآن وقال عليكم بالشفاءين العسل والقرآن وروى مرفوعا أخرجه الحاكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى مرفوعا ان ابن عمر ما كان يحرك به فرجه ولا يأتي الا طبخ الوضع بالعسل وعمر أخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه وشفاء للناس (ق) عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي اسطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا اسطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا اسطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وهذا عرض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال وقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة بالحمى والقيء وهذا جميع الاطباء في قولهم على ان علاجه بان يترك الطبيعة فان احبت الى معين على الاسهال تركت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر وليس محال مرض فحمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هضم ودواؤه ترك الاسهال على ما هو عادة أو هو ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل في حقه اسهالا فزاده عسلا الى ان فسد الماء فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به توافقه شرب العسل وقد عاد كرة أخرى امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها وليس بمصدق الله فيما صدق في الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوا الكذبة وكفروا بهم بذلك وقد ذكر بهذا

الجواب الخامس على مساعدة الطبيب والعلة المعترض عليه لا يحسن بمثله لعلمه الذي أعترض به والله أعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الإلهي أن
العسل الذي أمره بشربه سيظهر طبعه بعد ذلك فلم يظهر بمعنى الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما
وعده من أن فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني ما ستحالك الشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده وأسرار رسوله
صلى الله عليه وسلم قال قالوا كيف يكون سماء للناس وهو ضرر بأصحاب الصفراء مهيج الحرارة ومضر
بالشبان المحرورين ويعاش عليه في الجواب عن هذا الاعتراض أن قال قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر
بأصحاب الصفراء وهيج الحرارة أنه خرج مخرج الأغلب وأنه في الأغلب فيه شفاء ولم يقل أنه شفاء لكل الناس
لكل داء أو لكل أحد في كل حال دواء وان معه أكثر من مضرته وعلل محبوب من المعالجين الأوتمامه به والأمر به
المتعدد من العسل ما فعله لأصحاب الصفراء ومن السوداوية ومن فعله كثيرة حدا والقول الثاني أنه شفاء
للأوساخ التي في أجوافهم وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لأنه شفاء من
أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود
إلى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير
إليه لأنه أقرب مذكور ۞ وقوله سبحانه وتعالى (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني يعتبرون ويستدلون
بما ذكر على وحدانيته وقدرته ۞ قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم
إلى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم إما صغارا وإما كبارا وإما كهولا (ومنكم
من يرد إلى أرذل العمر) يعني أردأه وأحقره وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الإنسان له أربع مراتب
أولها سن النمو والنماء وهو من أول العمر إلى نحو ثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب ونوع الأشد
ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوى وكمال العقل ثم المرتبة
الثالثة سن الكهولة وهو من الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة تسرع الانتقاص في البعض لكنه تكون
بعض أجزائه لا تظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة الانحطاط من الستين إلى آخر العمر وهذه سن الهرم
وتكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة
وقال عبد الله بن شداد سبعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من
الجبن والكسل والبخل والهرم والقحل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية
أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أعوذ بك من الجبن والكسل
وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات ۞ وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني أن الإنسان
يرجع إلى حالة الطفولية في نسيان ما كان علم في حال الكبر وقال أنس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له
وقال أنس بن مالك معناه حتى لا يعلم بعد علمه مالا ورد السدي هرمه وقال الرجاج المعنى وإنكم من بكم حتى
يذهب عقله حوفا وصير عذاب كان عالما جاهلا لئلا يكم الله بن قدر على أن يميته كما قدر على إمانته وأنه قادر
على رده من العلم إلى الجهل هكذا وجدته بخط مولاه ولو قال لئلا يكم من قدر على أن يميته كما قدر على رده من العلم إلى
الجهل أنه قادر على إحيائه بعد إماتته ليكون دليلا لأهل صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس
ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يرد في طول العمر والبقاء إلا الإكرام عند الله وعمل البر وقال عكرمة من
قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
الذين قرؤوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يرد إلى أرذل العمر كما ترى المؤمن وقال
تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ۞ وقوله تعالى (إن الله عليم) يعني بما صنع أولياءه وأعداءه (قدير)
يعني على ما يريد ۞ وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على
أحد وضيق وقتر على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والفهم والحس والفهم والعلم والجهل وغير ذلك فهم

من أصحابكم (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علما بذلك ووطها كما أعطى أولي العقول عقولهم (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بعض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) إلى أحمقه وأحمره وهو خمس وسبعون أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) لنسي ما علم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (إن الله عليم) بحكم العقول إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الأوائل من الأواخر (قدير) على تبديل ما شاء كما شاء من الأشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق ورزقكم أفضل مما رزق مماليكم وهم شركاؤكم

حقا أما ضربه من الامثال ﴿ قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما بين الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لهم علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مخاطبا لكم ضرب الله لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فبين سبحانه وتعالى أن من سوى الله من عبيده مملوك عاجز عن التصرف ومن كان كذلك فكيف يكون شريكا لمالك قادر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه كيف يشاء فصار بحيث يشهد العقل بفساد أن يكون شريكا لمالكه فكذلك لا يكون الصنم شريكا لله تعالى فيما يستحقه من العبادة لانه مملوك عاجز عن التصرف ومن كان كذلك فكيف يكون شريكا لمالك قادر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه كيف يشاء فصار بحيث يشهد العقل بفساد أن يكون شريكا له فكذلك الصنم لا يكون شريكا لله تعالى فيما يستحقه من العبادة لانه مملوك لا يقدر على شئ وقوله تعالى أفأنتم فيه سواء خافتونهم كخيفتكم أنفسكم أي أفأنتم وعبيدكم من الاحرار والمماليك في المال سواء تخافون عبيدكم أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون أحراركم ذلك فكيف تجعلون لله شركاء من عبيده وقوله تعالى كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون أي كما بينا لكم هذا البيان نبين لكم سائر الآيات لقوم يعقلون فيعلمون بذلك أن الله تعالى منزه عن الشركاء والاضداد والانداد وقوله تعالى (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي ليس لهم حجة فيما يتبعونه من أهوائهم وإنما يتبعونها بغير علم وقوله تعالى (فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) أي لا أحد يهدي من أضله الله ولا أحد ينصره من عذاب الله ﴿ قوله تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) لما بين الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لهم علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مخاطبا لكم ضرب الله لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فبين سبحانه وتعالى أن من سوى الله من عبيده مملوك عاجز عن التصرف ومن كان كذلك فكيف يكون شريكا لمالك قادر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه كيف يشاء فصار بحيث يشهد العقل بفساد أن يكون شريكا له فكذلك الصنم لا يكون شريكا لله تعالى فيما يستحقه من العبادة لانه مملوك لا يقدر على شئ وقوله تعالى أفأنتم فيه سواء أي فأنتم وعبيدكم من الاحرار والمماليك في المال سواء تخافون عبيدكم أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون أحراركم ذلك فكيف تجعلون لله شركاء من عبيده وقوله تعالى كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون أي كما بينا لكم هذا البيان نبين لكم سائر الآيات لقوم يعقلون فيعلمون بذلك أن الله تعالى منزه عن الشركاء والاضداد والانداد وقوله تعالى (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي ليس لهم حجة فيما يتبعونه من أهوائهم وإنما يتبعونها بغير علم وقوله تعالى (فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) أي لا أحد يهدي من أضله الله ولا أحد ينصره من عذاب الله ﴿ قوله تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) اعلم أن الحمد والشكر والمدح ألفاظ متقاربة في المعنى وقد يوضع كل واحد منها موضع الآخر وقد فرق بعضهم بينها فقال الحمد هو الثناء على المحمود بصفاته من غير مكافأة على نعمة والشكر هو الثناء على المشكور بما أولاه من نعمة والمدح هو الثناء على الممدوح بصفاته من غير مكافأة على نعمة وقال آخرون الحمد والشكر والمدح بمعنى واحد وهو الثناء على المحمود بصفاته من غير مكافأة على نعمة وقوله تعالى (الحمد لله) أي الثناء على الله بصفاته من غير مكافأة على نعمة لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهل الارض والسماء الذي بيده مفاتيح الخير كله فله الحمد كله لا يستحق الحمد أحد غيره لانه لا نعمة على أحد ولا معروف إلا وهو منه وإليه وبه فله الحمد كله على كل حال وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) أي أكثر الخلق لا يعلمون أن الحمد لله لانه لا يعلم ذلك إلا أهل الحجا والعقل (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس وكل ابكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شئ) هذا يشير إلى الخبر الذي ذكرناه من الكمال (وهو كل على مولاه) أي ثقل على من يلي أمره وعوله وأصل الكل الثقل ومنه قيل للرجل الذي لا يكاد يفلح إذا غلب سفره وكل اللسان إذا غلب في الكلام ولم تقدر على الطلاقة فيه وكل فلان على الامر إذا عجز عنه ولم يقم به وقوله وهو كل على مولاه أي ثقل على مولاه (أينما يوجهه) أي حيثما يرسله ويسيره في الحاجة (لا يأت بخير) أي لا يأتي بخير لانه أخرس لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) أي هذا (هو) أي صاحب هذه الصفة الذميمة (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو سليم الحواس ناطق دوّار الباب مرزوق وهو يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) أي على سبيل الحق من دين الله وهو أحب أن يكون الآمر بالعدل تعالى وإنما وصف نفسه بالامر بالعدل وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه على عباده وإنما وصف نفسه بالامر بالعدل وإن كان لا يأمر بالفحشاء والمنكر لان الامر بالعدل هو الطاعة للاسلام التي هي أن يكون العبد لا يصرف شيئا من وجوه العبادة إلا إلى الله تعالى وحده لا شريك له ولا يعبد معه غيره ولا يشرك به شيئا وهذا هو العدل والحق وهو الذي أمر الله تعالى به جميع خلقه وهو الذي بعث به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه وهو الذي أمر به جميع عباده وهو الذي لا يقبل من أحد عملا إلا به وهو الذي لا يغفر لاحد ذنبا إلا لمن تاب إليه منه وهو الذي لا يدخل أحدا الجنة إلا من أجله وهو الذي لا ينجي أحدا من النار إلا من أجله وهو الذي لا يرفع درجة أحد في الجنة إلا من أجله وهو الذي لا يخفف عذاب أحد من أهل النار إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة قربا من الله تعالى إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار بعدا من الله تعالى إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة كرامة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار هوانا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة نعيما إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار عذابا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة سرورا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار حزنا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة بهجة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار سوادا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة ضياء إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار ظلمة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة فرحا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار غما إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة لذة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار ألما إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة عافية إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار بلاء إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة رزقا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار عذابا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة سرورا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار حزنا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة بهجة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار سوادا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة ضياء إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار ظلمة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة فرحا إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار غما إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة لذة إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار ألما إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة عافية إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل النار بلاء إلا من أجله وهو الذي لا يزيد أحدا من أهل الجنة رزقا إلا من أجله

(ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وعن علمهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض ما غاب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في سرعة كونها وسرعة اتيانها (الا كلمح البصر) كرجع طرف واحد صريعه الى انه لا يعزب (أو هو أقرب) وما أقل عنه (أو هو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك الخاطئ ولكن المعنى كونوا

الذي لا مأتي بغير أتى به حلف به والذي بأمر بالعدل جره وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب لا يخفى عليه شيء ولا يعزب عنه شيء فشهادته لنفسه بالعلم بقيام الساعة هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه للحساب (الا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح الابصار هو ما بين جفن العين وجفنها وطرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني ان لمح البصر قد يتراخى الى زمان وحركة الله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا أقال له كن فيكون في أسرع من لمح الابصار وهو قوله (ان الله على كل شيء قدير) وهذا دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان اسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة ما في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الانسان بما هو عنده لا يعجزه شيء ﴿ قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) هذا الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة وهو جاهل لا يعلم شيئا من العلم والمعرفة فلما أراد الله تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتعلموا بها انتم الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أموركم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب صنع الله وبديع خلقه لتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الامور التي جعلها الله دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا أمر الله به عليكم من أجل أنكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالا عقلوا عما الله وتدل في معنى الآية وانه خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم من أجل حكم من الحق الى السمع وجعل لكم الحواس لا لان لا الله الجهل الذي ولدتم عليه واما لان العلم والعمل به من شكر النعم وقوله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) يدل على أن جعل الحواس الاربع بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من حال خلقه وهو في بطن امه فلما ذكر الله تعالى امتنانه عليهم بعدم الاخراج وبأحد ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تعدم وتوخر في بعض كلامها وأصل كل الاشياء عدم هذه الحواس بعد الخروج من البطن وكانها خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿ وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر المنعم عليكم (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار الطير يقع في الجو في عسر لا يقع في يسر وفي ذلك (ما يمسكهن الا الله) يعني في حال بسطهن أجنحتهن وقبضهن اياها في الهواء وفي هذا دليل على الاستدلال بما على ان لها سخرا بحرها ودليل الدليل ممسكها في حال طيرانها وهو في الهواء هو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالآيات وتفكرون فيها وتعتبرون بها ﴿ وقوله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنون فيه والسكن ما سكنت اليه وتستأنس به من الدور (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والاظعان وانما ذكر على جمع احدهما ما لا يمكن حمله من مكان الى مكان آخر وهي الادم المتخذة من الحجارة والطين وغيرهما والجمع الثاني ما يمكن حمله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة

والارض شيء الغير (ما يمسكهن) في جو السماء وبسطهن وقبضهن (الا الله) بقدرته من على الهواء الرحيم بخلقه (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ان الخلق لا يحيط به عن الحالق (والله جعل لكم

من جلود الانعام والبها الاساره قوله تعالى (تستخفونها) يعنى تحملها عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو الظعن الماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتحملها عليكم أنصافى اقامتكم وحضركم والمعنى لا يثقل عليكم فى الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) يعنى تتخذون أثاثا الاثاث متاع البيت الكثير وأصله من أث اذا كثر وكما قيل للمال أثاث اذا كثر قال ابن عباس أثاثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال الفراء هى الاثاث المال اجمع من الابل والغنم العبد والمتاع وقال عمرو الاثاث هو متاع البيت من العرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وتتخذون متاعا هو ما تمتعون به (الى حين) يعنى الى حين تبلى ذلك الاثاث وتصير الى حين الموت فاستعلب أى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره واوا العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق بين الاثاث ما كثر من آلات البيت ونحوها وعبد الملك متاع جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ما تستظلون به من سد الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما تسكن فيه من سدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما ان يكون بيتا او مغارا فاذا سافر اتخذ فى سفره ما يمنعه من سدة الحر والبرد فأما المغار فيستصحبه معه الى بلد يسكن فيها والبه الاشاره بقوله وجعل لكم من جلود الانعام وأما البيت فيسكن فى ظلال الاشجار والجبال والكهوف ونحوها والبه الاشاره بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان العرب سدد الحر وجاحيهم الى الظلال وما يدفع سدة الحر وهو أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بالاشياء التى هم بها اعلم فيها ظاهره (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قمصانا من القطن والكتان والصوف وغيرذلك تقيكم من سدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والباس الحرب يعنى تقيكم فى أكثر السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى نزل القرآن على قدر معرفتهم يعنى تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما يحصل لهم من السهول اعظم وأكثر لكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها وما يحصل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر كما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أولى من الجبال أكثر وأكثرهم كانوا الا مرون الجبال وقال تقيكم الحر وما يحصل لهم مما يقى من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر فخص الله تعالى (كذلك) يعنى كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يا اهل مكة تخصون بالوحدانية والتوحيد والعبادة والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوا ما تحدوا به من الكفر بالله الذى هذه نعمه (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى الحقيقة الا البلاغ وقد فعلت ذلك (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى نعمة الله هى محمد صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله فى الاسلام لانه من أعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة جحدوا وقال مجاهد وقد كانوا يعرفون ان محمدا نعمة الله عليهم فى هذه السورة فى اثنى عشر موضعا يقول الله تعالى لهم بعد ذلك ثم يجحدونه وقال ابن عباس يعرفون ان الله خلقهم ورزقهم ثم يكفرون بالله ويعبدون غيره وقال الكلبى انما نزلت هذه الآية فى رجلين احدهما من بنى فزارة والآخر من بنى عبد الدار وذلك ان الله تعالى لكرامته اياه آتاه مالا وولدا فكان يقول لولا ان الله يحب محمدا ما اعطانى هذا فانزل الله تعالى يعرفون نعمت الله (ثم ينكرونها) يعنى بعبادتهم غيره (وأكثرهم الكافرون) يعنى الجاحدون نعمة الله

(وأكثرهم الكافرون) اى الجاحدون المتمردون فى أول نعمة الله بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأكثرهم الجاحدون المنكرون بعد ظهوره ثم دل على أن انكارهم أمر مستمر بعد حصول المعرفة فلا حق من عرف النبوة أن ينكرها لان ينكر (ويوم) اضافه ما ذكر (٤٣) (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا عذر لهم فحذف لدلالة الاذن على أن لا عذر لهم ولا عذر (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست دار عمل ومعنى لا هم يعتبون أى لا يسألون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام عما فعلوا ثم وعلوا بها وهو أنهم معصومون فى الكلام فلا يؤذن لهم فى الاعتذار ولا اذ لا عذر لهم (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول (ولا هم ينظرون) يمهلون فيه (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا التى كنا ندعوها من دونك) اى عبدنا (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى أخبروهم بالكذب لانها كانت جمادا لا تعرف عبادها ولا تعمل بهم (وألقوا) وجعلوا (فى يومئذ السلم) أى الاستسلام لله (لهم) أى للمشركين (ما كانوا يفترون) من أن الله شركاء (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) بالاضلال (زدناهم عذابا فوق العذاب) بسبب صدهم الناس عن سبيل الله مع ما استحقوه من العذاب على كفرهم (بما كانوا يفسدون) بسبب أن الزيادة انما تحصل لهم بسبب صدهم عن سبيل الله (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يشهد عليهم نبيهم بما فعلوا من كفر وتكذيب (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) على أمتك بالتبليغ (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا لكل شئ) من أمور الدين التى يحتاج اليها المكلف فى الوصول الى الثواب والنجاة من العقاب (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى للمسلمين) الذين أسلموا وجوههم لله وانقادوا لحكمه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه

ولكنهم لا يعلمونها فى طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد المكلف فعبر بالاكثر عن الناس وقيل أراد بالاكثر الكافرين الخاسرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس معاندا وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع ﴿قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون اردف ذلك ذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل شئ أمة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء شهدوا على أممهم بما كذبهم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعنى فى الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم فى الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويعترفون هم على ذلك (ولا هم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى العلة والموجدة التى يجدها الانسان فى نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه لزيل ما فى نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه باق على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم فالاستعتاب انما هو لطلب الرضا وهذا يدل على أن التكليف ساقط عن الكفار فى الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعنى بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولا هم ينظرون) يعنى لا يؤخرون ولا يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى أصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعنى أربابا وكانوا يدعونهم آلهة (وألقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون فى تسميتى آلهة وبادعائكم الى عبادتى فان تلك الاصنام جمادات لا تعقل شيئا فكيف تصح منها هذه الاقوال والمعنى ان الله سبحانه وتعالى أنطقها وأعادها فى الآخرة حتى تبرأت منهم والقول حتى قالت ذلك والمعنى من اعادتها أن تكذب الكفار وتراها الكفار وهى فى غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا لما عاينوا من كمنهم ولم يغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعنى زال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى صدوا مع كفرهم انهسم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما استحقوه من العذاب على كفرهم الاصلى واعلم ان هذه الزيادة ما هى فعال عذاب الله بهم بعد عذاب كما أن الحية الثانية ليست عين الحية الاولى وقال سعيد بن جبير عذاب الحيات والعقارب وقال تعالى نسلخ احداهن الا نعذبهن بصاحبتها ألبتة أو نعذبهن جميعا وقال ابن عباس ومعنى تعالى نعذبهن جميعا بمارس مع عذاب النار لهم يعذبون بها بلا معنى عذاب الليل والنهار وقيل انهم يعذبون من حين يموتون الى وقت دخولهم النار وقيل زيادة العذاب ان الله تعالى يمسخ بعضهم حيات وبعضهم عقارب وقيل زدناهم عذابا بما كانوا يفسدون) يعنى ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعنى بما كانوا يفترون مع ما استحقوه من العذاب على الكفر (ويوم

نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لأنه كان يبعث إليهم من أنفسهم (ونزلنا) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) للعباد (لكل شيء) من أمور الدين أما في الأحكام

(نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الأنبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذين بعث إليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا بك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وهم الكل هم قال ابن قتيبة وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) بيانا لكل اسم من الأيمان قال مجاهد يعني لما أمر به ونهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين أما ما نص عليه أو بالإحالة على ما نص عليه من وجوب العلم به من أن النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات وإجماع الأمة هو أصل أصيل ومصباح لعلوم الدين (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعني وهو بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿قوله تعالى﴾ (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا تحب أن يكون حالك في الإسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والإحسان الإخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا نقصان ولا عصيان فهو لا يتصور العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر والإحسان أن تعامل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفو عنه وقيل العدل الإنصاف ولا إنصاف أتم من الاعتراف للمنعم بالنعماء والإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك وقيل أمر بالعدل في الأفعال وبالإحسان في الأقوال فالأفعال لا تفعل إلا ما هو عدل لا يقبل إلا ما هو حسن (وإيتاء ذي القربى) يعني وأمر بصلة الرحم وهم القرابة الأدنون والأبعدون فيجب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن ومودة (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فدخل فيه الزنا وغيره من سيء الأقوال والأفعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل هو أن يطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال ابن عباس يعظكم لكي تتعظوا أي تأمرون أحدهما على الآخر فلا تبغي وقال ابن عباس في هذه الآية العدل لا إله إلا الله والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى ذكر من الأمور ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فقد ذكر العدل وهو الإنصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وذكر في مقابلته المنكر وهو أن تكافئ من أحسن إليك وذكر إيتاء ذي القربى والمراد به صلة الرحم والمودة لهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن تكبر على الناس وتظلمهم ثم قال ﴿تعالى﴾ (لعلكم تذكرون) يعني إنما أمركم بهذا لكي تتعظوا بها كما يقال لعلك تعطى وتسأل كرره ليعملوا بما أمرهم الله تعالى قال ابن مسعود ما أحسن آية في القرآن لخير ولا أجمع لخير من هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى وأنزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء في هذه الآية ألزم العباد والمنهيات على سبيل الإجمال ليتأمل الناس في أمر دينهم فيأخذوا بما يلزمهم ويتركوا ما يضرهم فيهتدوا فلما أجمل في الآية الأولى فصل في هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد

فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان الله ليأمر بمكارم الاخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يصرفها كل خطيب على المنبر في كل جمعة لتكون عظة سامعة لكل مأمور ومنهي (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هي المعاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذي يبايعونه انما يبايعون الله (ولا تنقضوا الايمان) أيمان البيعة (١٣٢) (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكدوا وكد لغة نجد والاصل الواو والهمزة

لغة الحجاز (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا (ان الله يعلم ما تفعلون) من الغدر والخيانة فيجازيكم به (ولا تكونوا) في نقض الايمان (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التي اتخذت على غزلها بعد ان احكمته وأتمته مغزلا (انكاثا) جمع نكث وهو ما ينتكث فتله إذا هو رته وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من العداة الى الظهر ثم امرهن فنقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم) حال كانكاثا (دخلا) أحد مفعولي تتخذون أي ولا تجعلوا أيمانكم مفسدة دخلا (بينكم) أي مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب ان تكون أمة هي اربى من أمة) هي اربى من أمة عددا او قوة مالا من أمة جاءها الوحي بأن الله ابتلاكم بالقلة والكثرة ليختبركم بالوفاء بالعهد وعدمه (انما يبلوكم الله به) الامر او الشأن (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا من امر الدين بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام (ولكن يضل من يشاء) خذلانه اياه عدلا منه (ويهدي من يشاء) توفيقه اياه فضلا منه وذلك مما استأثر بعلمه الحكيم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو قوله تعالى (ولتسألن عما كنتم تعملون) يعني في الآخرة فمجازيكم بحسناتكم وسيئاتكم أو نظيره ﴿ وقوله عز وجل (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفسادا بينكم وهو ما ذكرنا انهم نقضوا ما أبرموا من العهد والايمان بعد توكيدها بالحلف بالله تعالى (فتزل قدم بعد ثبوتها) عن الاسلام (وتذوقوا السوء) العذاب في الدنيا بالصد عن سبيل الله (بما صددتم عن سبيل الله) بصدكم غيركم عن الدخول في الاسلام بنقض العهد وقيل بمنعكم الناس عن الوفاء بالعهد لما رأوا منكم الغدر (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة ﴿ وقوله عز وجل (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما كانوا يأخذون من سفلة اليهود على كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم (انما عند الله هو خير لكم) مما تأخذون (ان كنتم تعلمون) ما لكم في الوفاء بالعهد من الثواب (ما عندكم ينفد) يفنى من متاع الدنيا (وما عند الله باق) دائم لا ينفد (ولنجزين الذين صبروا) على الوفاء بالعهد (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يعني على الوفاء بالعهد ﴿ وقوله عز وجل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قال ابن عباس رضي الله عنهما يرزقه القناعة في الدنيا وقال الحسن يرزقه العمل الصالح وقال قتادة يرزقه الطاعة وقال الضحاك يرزقه الرزق الحلال وقال سهل بن عبد الله يرزقه الفهم في القرآن وقال بعضهم يرزقه الرضا بالقضاء وقال بعضهم يرزقه الهداية في الدنيا وقال بعضهم يرزقه الثقة بالله تعالى وقال بعضهم يرزقه الحلاوة في الطاعة وقال بعضهم يرزقه الهيبة والمحبة في قلوب الناس وقال بعضهم يرزقه الحياء والخوف من الله تعالى وقال بعضهم يرزقه الزهد في الدنيا وقال بعضهم يرزقه الاستغناء عن الناس وقال بعضهم يرزقه الاستغناء عن الخلق بالخالق وقال بعضهم يرزقه الاستغناء بالله عن الدنيا وقال بعضهم يرزقه الاستغناء بالله عن الدنيا وقال بعضهم يرزقه الاستغناء بالله عن الدنيا

كرر النهي عن اتخاذ الآباء والإخوان وإن استحبوا الكفر على الإيمان تأكيدا عليهم وإظهارا لخطأهم (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي قرابتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) أن لا تروج (ومساكن ترضونها) أن تسكنوها (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) بعذابه أو بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة إلى المعصية وهذا تهديد عظيم لمن آثر شيئا من أمور الدنيا على الجهاد في سبيل الله (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) مواقف الحرب كبدر وقريظة والنضير (ويوم حنين) واد بين مكة والطائف (إذ أعجبتكم كثرتكم) روي أنهم كانوا اثني عشر ألفا (فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) مع سعتها (ثم وليتم مدبرين) منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر (وذلك جزاء الكافرين) (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) بالإسلام (والله غفور رحيم) (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) أي ذوو نجس لخبث اعتقادهم وقذارتهم بالجنابة وعدم التحرز عن النجاسات (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) سنة تسع حين حج أبو بكر بالناس (وإن خفتم عيلة) فقرا بانقطاع ما كان يجلب إليكم من الميرة (فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) وقد أغناهم بالفتوح وبما ألقى في قلوب أهل الجلب (إن الله عليم) بمصالحكم (حكيم) فيما دبر لكم (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) وإن كانوا يدعون الإيمان بهما لأنهم لا يعتقدون ما يجب اعتقاده فيهما (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) كالخمر والخنزير (ولا يدينون دين الحق) الإسلام الناسخ لما قبله من الأديان (من الذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم (عن يد) عن انقياد أو عن قهر (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) لا برهان لهم عليه (يضاهئون) يشابهون (قول الذين كفروا من قبل) من عبدة الأوثان حيث قالوا الملائكة بنات الله (قاتلهم الله) لعنهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق مع قيام الدليل عليه (اتخذوا أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) عبادهم (أربابا من دون الله) بطاعتهم إياهم في تحريم ما حرم الله وتحليل ما حلل (والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) بتكذيبهم (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) القرآن (ودين الحق) الإسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على سائر الأديان بالحجج والغلبة (ولو كره المشركون) (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان) علماء اليهود وعبادهم (ليأكلون أموال الناس بالباطل) بالرشا في الأحكام (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة) يدخرونهما (ولا ينفقونها في سبيل الله) لا يؤدون زكاتها (فبشرهم بعذاب أليم) (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) يقال هذا ما كنزتم لأنفسكم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) (إن عدة الشهور عند الله) أي عدد الأشهر التي يعتد بها في المعاملات (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بارتكاب المعاصي فيها (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر والمعونة (إنما النسيء) تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر (زيادة في الكفر) لأنهم يحلون الشهر الحرام بتأخيره ويحرمون مكانه شهرا آخر (يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) ليوافقوا (عدة ما حرم الله) في الجملة (فيحلوا ما حرم الله) بتخصيص التحريم بالأشهر الأربعة دون ما حرمه الله (زين لهم سوء أعمالهم) قبح أعمالهم بأن حسنها لهم الشيطان (والله لا يهدي القوم الكافرين) (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) تباطأتم عن الجهاد وملتم إلى الإقامة في أوطانكم (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدلها (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) بالإضافة إلى نعيم الآخرة (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) بإمساك المطر عنكم وتسليط العدو عليكم (ويستبدل قوما غيركم) يطيعونه (ولا تضروه شيئا) بتوليكم (والله على كل شيء قدير) (إلا تنصروه فقد نصره الله) بالمعونة على أعدائه (إذ أخرجه الذين كفروا) أهل مكة (ثاني اثنين) أحد اثنين (إذ هما في الغار) غار ثور (إذ يقول لصاحبه) أبي بكر (لا تحزن) من أثر الهزيمة (إن الله معنا) بالنصر والحفظ (فأنزل الله سكينته عليه) على النبي (وأيده بجنود لم تروها) يعني الملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) الهزيمة والخيبة (وكلمة الله هي العليا) الظهور والغلبة (والله عزيز) في ملكه (حكيم) في صنعه (انفروا خفافا وثقالا) عزابا ومتأهلين أو أصحاء ومرضى أو أغنياء وفقراء أو نشاطا وغير نشاط أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو أصحاب ضيعة وغير أصحاب ضيعة أو مكثرين لهم السلاح ومقلين منه أو على أي حال كان (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (لو كان عرضا قريبا) غنيمة سهلة المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) في الخروج إليه (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التي تقطع بمشقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) إلى تبوك (يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم إنهم لكاذبون) فيما حلفوا عليه من أنهم لو استطاعوا لخرجوا (عفا الله عنك) افتتاح كلام بالدعاء له بالعفو عما فرط منه (لم أذنت لهم) في التخلف عن الغزو (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم) شكت في دينها (فهم في ريبهم يترددون) (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) أهبة من السلاح والزاد والراحلة (ولكن كره الله انبعاثهم) خروجهم (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) فسادا (ولأوضعوا خلالكم) أسرعوا بالمشي بينكم بالنميمة (يبغونكم الفتنة) يطلبون لكم الشر بتخذيل الناس عنكم (وفيكم سماعون لهم) عيون لهم ينقلون إليهم أخباركم (والله عليم بالظالمين) (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) غزوة تبوك بتشتيت أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (وقلبوا لك الأمور) دبروا لك الحيل في إبطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر أمر الله وهم كارهون) (ومنهم من يقول ائذن لي) في القعود عن الغزو (ولا تفتني) بحملي على الخروج (ألا في الفتنة سقطوا) بالتخلف (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) (إن تصبك حسنة) نعمة (تسؤهم) تحزنهم (وإن تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) من قبل مصيبتك بالتيقظ وتجنب ما وقعت فيه (ويتولوا وهم فرحون) (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) في اللوح المحفوظ (هو مولانا) ناصرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (قل هل تربصون بنا) تنتظرون (إلا إحدى الحسنيين) العاقبتين الحسنتين (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) بالقتل (فتربصوا إنا معكم متربصون) (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) نفقاتكم (إنكم كنتم قوما فاسقين) (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) (لو يجدون ملجأ) حصنا (أو مغارات) غيرانا في الجبال (أو مدخلا) سربا في الأرض (لولوا إليه وهم يجمحون) يسرعون إسراعا لا يرد شيء وجوههم (ومنهم من يلمزك في الصدقات) يعيبك في قسمتها (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) يسمع كل ما يقال له ويصدق كل ما يسمع (قل أذن خير لكم) أي هو أذن خير لا أذن شر (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يصدقهم لما قام عنده من الأدلة على صدقهم (ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم) (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم) (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم) (إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم) (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

صلى الله عليه وسلم لما كان عمر مصلحا الى الاستعاذة وقد أمرها معه أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في الماء الوسوسة في قلوب بني آدم وكان الاستعاذة مانعة من ذلك فهذا السبب أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى يكون معصوما من وسواس الشيطان عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة فقال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه السحر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود الموتة الخنق والماء في قوله فاستعذ بالله للعهد ظاهر لفظا لأنه يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة والبعد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة والبعد ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لأن القرآن يستحق بالمعاني ورعا حصلت الوساوس في خاطر القاري هل حصل له ذلك القرآن أم لا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب خالصا فإما مذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار فقد استدلوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله وهذا كقوله سبحانه وتعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ وجعله من الكلام إذا أردت أن تأكل فقل بسم الله وإذا أردت أن تسافر فاعقب وأصاف الوسوسة إما تحصل في أثناء القراءة فعدم الاستعاذة على القراءة مذهب الوسوسة أولى من باقي هذا في وجب الخاتمة الهنا ومذهب عطاء أنه يجب الاستعاذة في قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها وإلى سائر العلماء على أن الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدم هذه المسألة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء إليه من الشيطان والوسوسة المراد من الشيطان إبليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم فأمر الله تعالى بالاعتصام منهم على ذلك (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك إنما هو لقدرته على الصرف في أذهان بني آدم قال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم منه أنه ليس له سلطان بني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا أن الاستعاذة إنما تفيد إذا حصر على الإنسان كونه مصغيا وإلا فلا يمكن الاحتراز من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المعصوم لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله تعالى (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يعني إنما يتمكن من إغوائهم بوساوسه من يتولاه ويتولى عنه إذا أطاعه ويتولى عنه إذا أعرض عنه (والذين هم به مشركون) يعني بالله بسبب إطاعتهم إياه راجع إلى السلطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) قال المشركون من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر أصحابه بأمرهم اليوم بأمر ينهاهم عنه غدا بأمر ثم يرجع عنه غدا بأمر آخر فإنما هو مفتر من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية والمعنى وإذا نسخنا حكما أنزلناه حكما آخر والله أعلم بما ينزل أعراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ والمنسوخ وأصلح لخلقه وبما هو أعلم بما ينزل من الحكم أي هو عالم بوجوه الحكمة في ذلك (قل نزله روح القدس) أي جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الرد على من طعن في القرآن وقال إنه من كلام البشر (من ربك بالحق) أي من عند ربك بالصدق (ليثبت الذين آمنوا) أي ليقويهم على الإيمان بما فيه من الوعد بالجنة والوعيد بالنار (وهدى وبشرى للمسلمين) أي دلالة إلى الحق وبشارة بالجنة (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أي يقول كفار مكة إنما يعلم محمدا هذا القرآن بشر من الإنس (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) أي يميلون إليه من قولهم لحد إذا مال وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء من ألحد والمراد بالذي يلحدون إليه ما ذكره بعض المفسرين أنه كان غلامين لبني الحضرمي اسم أحدهما يعيش والآخر جبر وكانا يقرءان التوراة والإنجيل ويقرأ عليهما النبي صلى الله عليه وسلم فيما يجيء ويذهب فقال المشركون إنما يتعلم منهما وقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى اسمه جبر وكان أعجميا وقيل كان عبدا لعامر بن الحضرمي اسمه عايش وكان أعجميا وقيل كان غلاما لرجل رومي بمكة اسمه بلعام وكان يقرأ الكتب الأعجمية وقيل كان غلاما لرجل من بني عمرو بن نوفل اسمه مرزوق وكان أعجميا وقيل كان غلاما لرجل من ثقيف اسمه يوحنا وكان أعجميا وقيل كان غلاما لرجل من قريش اسمه أبو فكيهة وكان أعجميا وقيل كان غلاما لرجل من بني أمية اسمه أفلح وكان أعجميا وقيل كان غلاما لرجل من بني الحضرمي اسمه عبد الله

(من ربك) من محمد وأمره (بالحق) حال أي برأه ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) لتثبتهم بالصبر حتى أدوا ما لزمهم من حقوقه
وأحكامه لأنه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وعلى الصبر وطمأنينة القلوب (وهدى وبشرى) معطوفان
معمولان على محل لتثبت والمعنى بشارتهم وارشادا وبشارة (للمسلمين) وقد تعرض (١٣٥) تحصول أضداد هذه الخصال لمن عرض

وطلعها الخبر والمعنى الروح القدس المطهر (من ربك) يعني ان جبريل نزل بالقرآن من ربك بالحق (ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبتهم القرآن فلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعني وهو هدى وبشرى (للمسلمين) ﴿قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يعلم محمدا هذا القرآن رجل من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما زعم فاخبرهم الله تعالى بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم غلاما اعجميا يسمى يعيش وكان بصيرا باللسان أعجم اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده وكانوا يقولون انما يعلمه غلام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرى غلاما لبني المغيرة يقال له جبر فكان يعرأ الكتب فقال المشركون انما يعلمه جبر وقال مجاهد بن جبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم رجلا اعجميا بمكة يقال له جبر ويكنى أبا فكيهة وقال الآخرون كانا جبرين وكانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) ويميل اليه والحاد جوره على (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يضيفون قولهم عن الاسلام اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي بين وبيان فصاحته رد لقولهم وابطال لطعنهم وهذا الجواب اعني ان الذي يلحدون اليه أعجمي لا يحل لهم الاحتجاج به لأنه ليس بلسانهم والله تعالى أعلم

(ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به علاما كان لهم قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عايش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومي لعامر بن الحضرمي أو هو ابن جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) ويميل اليه والحاد جوره على (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يضيفون قولهم عن الاسلام اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي بين وبيان فصاحته رد لقولهم وابطال لطعنهم وهذا الجواب اعني ان الذي يلحدون اليه أعجمي لا يحل لهم الاحتجاج به لأنه ليس بلسانهم والله تعالى أعلم

(ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أي انما يعلم محمدا هذا القرآن بشر وليس هو من عند الله (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي) يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا فصاحة في كلامه سواء كان من العرب أو من العجم وان كان فصيحا من العرب وهو منسوب الى العجم لأنه كان في لسانه عجمة والعربي الذي يسكن البادية ومنه سمي رجل الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا من العرب والأعرابي الذي يسكن البادية هو العربي الذي يسكن الأمصار من أولاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة وهذا الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة عن الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءهم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزهم أيها معاشر أهل الفصاحة واللاعة وكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فصح بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي أوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو من تلقائه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون بها من الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني انما يتعمد على ربه الكذب ويلازمه من لا يؤمن بآيات الله فهو يعلم انه كافر فيفتري عليه الكذب (وأولئك هم الكاذبون) يعني ولهم انما ملازمة الكذب لاعتقاد الله عز وجل وسلم فان قال قائل قد قال تعالى انما يفتري الكذب في موله تعالى وأولئك هم الكاذبون والذي هو

معنى الآيات كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهديهم الله) ابدا ولهم عند الله في الآخرة عذاب أليم كفرهم (انما يفتري الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي انما الكذب من لا يؤمن بالله ولا يصدق بآياته فهو يعلم انه كافر فيفتري عليه الكذب (وأولئك هم الكاذبون) على الله في قولهم ان محمدا يتعلم القرآن من غيره وان هذا القرآن ليس من عند الله ثم قال تعالى ان الذين كفروا بآيات الله أي جحدوا بها وكذبوا بها (لا يهديهم الله) أي لا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) في الآخرة

الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله من قال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون يعني لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من أفحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى المعوي باسناده الى علي عن عبد الله بن حزاد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال فعسى يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال فعسى يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴿ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسرا وامه سمية فعذبوهم بالابطح وسالوهم بعد وهم ان يرجعوا عن الاسلام فاما سمية فأبت وربطت بين بعيرين ووجئ قلبها بحربة فقتلوها بسبب فهما أول قتيل في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها فاتى فشكا ذلك الى رسول الله فجعل يقول كيف تجد قلبك فيقول مطمئنا بالايمان فقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في اناس من أهل مكة آمنوا ثم فتنوا فكفروا منهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعادوا فانزل الله فيهم ان ربك من بعدها لغفور رحيم الى آخر الآية وقال ابن عباس هذا في قوم آمنوا بمكة ثم فتنوا فارتدوا منهم عياش بن ابي ربيعة والحرث بن يزيد وهشام بن العاص ثم ان هشاما ندم فاتى المدينة فكتب الى اصحابه بها ان قبلنا توبة فرجع فهاجر ثم ان هشاما عذب بمكة حتى فتن فكفر فانزل الله فيه هذه الآية فكتب بها اليه اصحابه بالمدينة فقدم هشام المدينة فمكث بها حتى كتب الى اصحابه بها انه قد نزل فيما كنا نقول لكم وفيما كنتم تقولون لانفسكم في الكفر والاسلام والله ما يصنع بنا هذا ان كنا في الجنة لقد رضينا وان كنا في النار لقد رضينا فنزلت هذه الآية فكتب اليه اصحابه بذلك فخرج هشام حتى قتل كافرا وقال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله خلقا آخر عجب عبد الله من حسن خلقه فجرى على لسانه كذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب فكذلك نزلت فشك عبد الله عند ذلك وقال ان كان محمد يوحى اليه فقد اوحي الي وان كان محمد يكذب فقد كذبت فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم ان الله تعالى اظهر الاسلام يوم الفتح فاتى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمأن اهل مكة فاستامنه له فصمت النبي صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومأت الي يا رسول الله قال ان النبي لا يقتل بالاشارة وقال ابن عباس ايضا نزلت في عبد الله بن ابي سرح وكان قد اسلم وهاجر الى المدينة ثم ارتد ولحق بالمشركين بمكة فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح فاستجار له عثمان فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان غيبه عثمان حتى اتى به بعد ما اطمأن اهل مكة فاسلم فحسن اسلامه وقال ابن عباس ايضا نزلت في عياش بن ابي ربيعة والحرث بن يزيد وهشام بن العاص وكانوا قد اسلموا وهاجروا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة فكتب اليهم عمر بن الخطاب من المدينة ان الله قد قبل توبة من كان على مثل عملكم وانزل عليهم هذه الآية فكتبوا بها الى عمر بن الخطاب انه لا يقبل منا شيء حتى نهاجر فخرج عمر حتى اتى بها فكتبها بيده وعلقها بذي طوى فخرجوا حتى اتوا ذا طوى فاتبعوا فاسلموا وهاجروا فنزلت فيهم هذه الآية فكتب بها عمر الى من بقي بمكة من المسلمين فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم حتى قتلوا منهم من قتل ونجا من نجا فانزل الله تعالى فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ﴿ (فصل في حكم الآية) قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذي يحول له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب عذابا لا طاقة له به مثل الضرب الشديد والالجاء الى النار ونحو ذلك قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد وأبو فكيهة مولى صفوان بن امية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب واما أبو بكر فمنعه قومه ومن سائر الناس وأخذ الحديد فحشوا به على السبعة من أهل مكة فاما بلال فهانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فاخذوه وأخرجوه الى رمضاء مكة اذا حميت فيطرحونه على ظهره ثم يأمرون بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقولون لا تزال هكذا حتى تموت او ترجع عن دينك فيقول وهو في ذلك أحد أحد فمر به ورقة بن نوفل وهو يقول ذلك فقال أحد أحد والله يا بلال ثم قال لمواليه والله لئن قتلتموه لاتخذن قبره حنانا ثم مر به ابو بكر يوما آخر وقد فعلوا به مثل ذلك او اشد منه فاشترى بلالا منهم بعبد كان له اسود جلدا قويا على دينهم وباعه منه على ان يعذبه كعذابهم اياه فاعتقه ابو بكر لوجه الله تعالى وكان بلال يقول أحد أحد فقال العلماء من أكره على الكفر بما ذكرنا من الضرب الشديد والقيد والحبس الطويل وما اشبه ذلك فله ان يوافقهم بما يريدون باللسان ويأتي بالتورية ان قدر عليها ولا يجوز له ذلك ان لم يقدر على التورية لان الاكراه لا يبيح القتل فلا يجوز ان يستبيح به قتل غيره ولا يجوز له ان يستبيح به ما يستباح بالقتل من الزنا وقطع الطريق وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وما اشبه ذلك لان تحريم هذه الاشياء آكد من تحريم القتل ولهذا يجب عليه القتل ان أكره على أحد هذه الاشياء وقال بعض العلماء ان أكره على الزنا فزنى فعليه الحد لان الحد يسقط بالشبهة والشبهة ههنا قائمة وهي الاكراه وقال بعض العلماء ان أكره على الزنا فزنى فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في الزنا لان الطبع لا يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على شرب الخمر فشربها فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في شرب الخمر لان الطبع يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على أكل الميتة او لحم الخنزير فاكل فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في اكل الميتة ولحم الخنزير لان الطبع لا يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على الزنا فزنى فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في الزنا لان الطبع يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على شرب الخمر فشربها فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في شرب الخمر لان الطبع يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على أكل الميتة او لحم الخنزير فاكل فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في اكل الميتة ولحم الخنزير لان الطبع لا يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على الزنا فزنى فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في الزنا لان الطبع يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على شرب الخمر فشربها فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في شرب الخمر لان الطبع يساعد عليه وقال بعض العلماء ان أكره على أكل الميتة او لحم الخنزير فاكل فعليه الحد لان الاكراه لا يكون عذرا في اكل الميتة ولحم الخنزير لان الطبع لا يساعد عليه

(من كفر بالله من بعد ايمانه) شرح هذا وقد في حواشي الاصل من شرح جلال عليه كما نقله من كفر بالله عليه غضب (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) اكن به

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وإن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون لأن الله على أن تجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وإن يكون بدلا من المبدأ الذي هو أولئك أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وإن ينتصب على الذم روي أن ناسا من أهل مكة قد آمنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقتلا وهما أول قتيلين في الإسلام فعمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لأن في الصبر على الفعل إعزاز الإسلام (ذلك) إشارة إلى الوعيد وهو خلود في العذاب والعذاب العظيم (بأنهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) ما داموا متحابين على الكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يدركون ولا يتدبرون إلى الوعظ ولا يصغون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن مبدر الحواس هي غاية الغفلة (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) أي أنهم الذين خسروا الجنة وعرضوا أنفسهم للنار (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أي عذبوا بمكة ليرجعوا عن الإسلام وهم المستكرهون (ثم جاهدوا وصبروا) على الإقامة والهجرة والجهاد (إن ربك من بعدها) أي من بعد الفتنة أو الهجرة أو الجهاد (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة وكان أسلم لما سمع أن أخاه وقومه يريدون أن يسلموا فخرج إلى المدينة مسلما فحبسه أبو جهل والحارث ابنا هشام وجلداه حتى ارتد ففرح بذلك المشركون وكتب إليه عمر بن الخطاب من المدينة ما أراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بالوليد بن الوليد فحلف عياش أن أخاه لو لقيه لتبعه فخرج مهاجرا إلى المدينة فلما سمع ذلك منه أخوه الحارث خرج في طلبه فلقيه عياش فقتله وهو لا يعلم أنه أخوه فلما قدم المدينة أخبر بذلك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتب بها عمر إلى عياش وهو بمكة فلما قرأها قال والله لا أدري أيكما أفرح بنزول التوبة عليه أنا حين أسلمت أم عمر حين أسلمت فقفل راجعا إلى المدينة فلقي الحارث فقتله وقتل رجلا آخر معه كان قد أسلم ولم يعلم بإسلامه فنزل قوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا) من مكة إلى المدينة (من بعد ما فتنوا) أي عذبوا بالضرب والتجويع على الكفر وأجروا كلمة الكفر على ألسنتهم مكرهين (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (إن ربك من بعدها) أي من بعد ما عدد من الأمور (لغفور) لهم ما كان منهم من الكفر وقتل المسلم (رحيم) لا يسلبهم ما أعطاهم في الإسلام (يوم تأتي) منصوب بفعل دل عليه قوله (كل نفس تجادل عن نفسها) أي تحاج عن نفسها أي تقول نفسي نفسي لا أعلم لي بغيري وقيل تأتي بمعنى تأتي ولهم بمعنى عليهم وجادلهم بمعنى جادلوا عنهم كما قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون لحكمه لا يجادلون عن أنفسهم ولا يكون لهم جدال وقيل تأتي كل نفس تجادل عن نفسها بالاعتذار والإنكار على الكفرة وقيل تأتي كل نفس تجادل عن نفسها بالمدافعة والمحاجة عن الجهاد (وتوفى كل نفس ما عملت) أي تعطى جزاء ما عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من ثواب أعمالهم ولا يزاد على عقاب أعمالهم (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) أي ذات أمن وطمأنينة لا تغزى (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله) أي جحدت نعمه (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فأذاقها الله ما غشيها من الجوع بعد الشبع والخوف بعد الأمن بما كانوا يصنعون من التكذيب والمعاصي (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) أي جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم يعرفون نسبه وصدقه وأمانته فكذبوه (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أي فأخذهم القحط والقتل يوم بدر وهم ظالمون بالكفر والتكذيب (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أي مستلذا لا تعقبه تبعة ولا يضر آكله (واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) أي إن كنتم تخصونه بالعبادة فاشكروه على ما رزقكم (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) أي ما ذبح للأصنام وغيرها (فمن اضطر) أي ألجئ إلى أكل الميتة (غير باغ ولا عاد) أي غير طالب للميتة ولا متعد بأكلها قدر الحاجة (فإن الله غفور رحيم) له أكلها (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) نزلت في قوم من العرب حرموا على أنفسهم أشياء من قبل أنفسهم كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وقالوا هذا حلال وهذا حرام فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود حرموا على أنفسهم ما حرم عليهم بسبب ظلمهم وبغيهم وقيل نزلت في المشركين حرموا على أنفسهم البحيرة والسائبة وغيرهما وقيل نزلت في المنافقين حرموا على أنفسهم الغنائم وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم النساء والطيب والنوم بالليل وأكل الطعام بالنهار وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم أكل اللحم والودك وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم الحلال والطيبات من المطاعم والملابس والمناكح والمشارب وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم الحرث والأنعام وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم الطيبات من الأطعمة والثياب والنساء والطيب والنوم بالليل وأكل الطعام بالنهار وقيل نزلت في الذين حرموا على أنفسهم لحوم الإبل والبقر

(وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار رحمه الله يا أبا اسحاق والذي نفسي بيده واني لقائمه على عمل منذ سبعين سنة لا يسعني فيها لا يسعك ولا لأهلك الا مسلوان جهنم لمرورا ما في ملك معرب ولا نبي مرسل الا احتاثي ركبة يعني ابراهيم خليل الرحمن يقول ربي لا أسألك الا نفسي وان تصدق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال مما ترال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح ما ربي لم تكن لي يدا أبطش بها ولا رجلا أمشي بها ولا عينا أبصر بها وقول الجسد ما ربي أنت جعلتني كالخشبة لا يسعني يدا أبطش بها ولا رجلا أمشي بها ولا عينا أبصر بها فجاءهما الروح كشعاع النور فنطق لساني وبه أبصرت عيناي وبه مشت رجلاي فضرب الله لهما مثلا أعمى وأقعد حملا طائشا فمر بهما راكب فاستضاء الأعمى بالبصر والمقعد لا يبصر فحمل الأعمى المقعد فأصابا من البر فعاقبهما العذاب ﴿قوله عز وجل (وضرب الله مثلا عبدا مملوكا) المثل عبارة عن قول في شيء له شبه قول في شيء آخر يشبهه ليبين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المساواة يعبر بها عن معنى من المعاني أي معنى كان وهو اسم للفاظ الموضوعة للمساواة قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب لشيء موصوف بصفة ما سواء كان ذلك الشيء موجودا أو لم يكن وقد يضرب لشيء موجود معين فهذه العبارة التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن يكون قد ذكر وصفا ويحتمل أن يكون قد ذكر موصوفا معينا على الاحتمال الذي ذكرناه في ذلك العبارة يحتمل أن يكون قد ذكر وصفا أو عبر بها الاكثرون على أنها مكة والاشبه أنها غير مكة لانها صفة لا تليق بمكة ويحتمل أن يكون قد ذكر مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرئ بالياء على جعل العبارة التي هذه مثالها مثلا كقوله تعالى يوم نعيدهم كما بدأنا أول خلق نعيده وانتصاب مثلا على المفعولية وقرئ بالنون على جعل العبارة مضروبة مثلا وقرئ مثلا على المصدر كقولك ضربت ضربا زيدا وقرئ مثلا على الحال بمعنى ذا مثل والمعنى ان الله تعالى ضرب لهؤلاء المشركين الذين يعبدون الاصنام ويتخذون الانداد ويتركون عبادة الله تعالى مثلا يعتبرون به ويتعظون بمواعظه ثم بين ذلك المثل بقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا كقوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء ترخافونهم كخيفتكم أنفسكم ثم قال بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فالمعنى ان الله تعالى ضرب لهؤلاء المشركين

ما ذاقوا نعم الله التي أنعم بها عليهم من الجود والكفر لاحرم ان الله تعالى اسقمهم بهم فقال تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين بدعوة عليهم المطر وقطع عنهم العرب الميرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والخف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر بعد الدم وتخيلت ما بين الجوع حتى كان أحدهم يظل الى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع ثم ان ابا سفيان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقالوا ما هذا الذى عادت الرحال فى شأن النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعنى خوف يغزوهم الى صلى الله عليه وسلم ومراده الى كان بسببه فالاضافة فكانت تطعمهم وتعير على من حولهم من العرب وكان اهل مكة يحاربونهم فان قلت الاذاقة للناس استعارة فما وجه حسنها والاذاقة للناس استعارة موضوعة على الناس استعارة وجه حسنها اتباعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق فى الناس فعال كساهم الله لباس الجوع أو قال فاذاقهم الله طعم الجوع وان قال صاحب الكشاف أما الاذاقة فقد حربت هذه الحقيقة لسوعها فى البلاء والشدائد وما مس الناس منها وهو ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والسمع وأما الناس فقد سبق له لاستعماله على الناس ما يجري الانسان مما يمسه من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يعمهما والناس كلهم فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعد ان علم المعانى والبيان ما يشهد لصحتها فقال وقال الامام فخر الدين الرازي حواليه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع يوعاد أحدهما البؤس وهو الطعام فلما صدر الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا صار كأنه أخذ بجميع أطرافهم من كل الجهات فاشتمل الناس والخاصل انه حصل بهم فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فلا جرم قال الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان البعد عن الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الاية تعالى عرض الامر بقطع الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار ويضع موضع المعرفة وهو الادراك مقبولا كان أو مردودا قال الشاعر

رمى بلدى الدهر الى طعمها ... وذوقى الى اعدمها وبدائها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الهزال وسوء الحال وكدورة اللون يقال للجائع قد ذاق الجوع وكذوق الحال كما يقول العرب سوء الجوع والخوف على فلان كذلك يحرفان يقول دعا لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق والاذاقة على المباشرة فصار المعنى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) لم يقل بما صنعوا لانه أراد اهل العبرة والمعنى بما أتاهم الله من النعم فكفروها كانوا يصنعون وهذا لان أهل مكة لهم كانوا فى الامن والعافية بسبب الحرم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وما زالوا يبالغون فى ايذائه وأخرجوه من بينهم وألبوا عليه العرب وسلطوا على اهل مكة الاعوام السنة والجوع والخوف كل ذلك بما كانوا يصنعون من تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وايذائهم اياه ثم قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) اى الى مكة (رسول منهم) اى من أنفسهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته (فكذبوه) فيما جاء به من عند الله (فأخذهم العذاب) اى القحط والجوع والخوف (وهم ظالمون) اى كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) فى الخطاب منها قولان احدهما انه للمسلمين وهو قول جمهور المفسرين والثاني انه للمشركين أى أهل مكة قال الكلبي لما أصاب أهل مكة الجوع أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لهم فجاءت العير من الشام فحملوا الطعام فسروا بذلك فنزلت هذه الآية وقال السدي لما أصاب أهل مكة ما أصابهم من الجوع والبلاء أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم فجاءت العير من الشام فحملوا الطعام فسروا بذلك فنزلت هذه الآية والصحيح القول الاول وان كانوا مأمورين بأكل ما رزقهم الله

(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موضوعة على الناس المستعار ووجه حسنها ان الاذاقة مستعارة لسوء حالهم يجري الجملة تسوغها فى البلاء والشدائد وما مس الناس منها مولوا ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب سبق له من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والسمع وأما الناس فقد سبق له لاستعماله على الناس ما يجري الانسان مما يمسه من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يعمهما والناس كلهم فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) اى بشركهم بالله وايذائهم المسلمين وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على أهل مكة فأصابهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على ندب

(حلالا طيبا) بدلا مما كتم بأكله حراما من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخيانات الكسوب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أوامر صحر عكم كما تفعله عبدة الله تعالى الآلهة لانها سعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله وبينها لهم ص تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أي الحرم هذا دون الحصر وأحوالها وما في الآية تقدم تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم (١٤) من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على

عن هذه العائم (حلالا طيبا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل العائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم يحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني الى أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا ﴿ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لاجل وصف ألسنتكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغير فانس لحلالكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب وقيل لا تقولوا لما تصف ألسنتكم متعلق بقوله تعالى والسلام وقال ابن عباس يعني ولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وقال ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من قبل أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك وكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم بين عند الخبر عن الكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا قليل فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما ذكره الله في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب ظلمهم وطغيانهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴿ وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء قد يطلق على كل معصية فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فانما يعمله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بعمل القبيح من صدوره وعمل قبيح من كفر وغيره فانما صدوره منه لسبب جهله اما بالجهلة بقدر ما يترتب عليه من العقاب او لجهله بقدر من عصى به فيستهين بالذنب وقيل السوء انما يعمل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يغفر له ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستمرار على التوبة (ان ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعني لمن تاب (رحيم) يعني يجمع الموحدين والتائبين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان امة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رجل وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا المثل المبالغة في وصفه فالهاء في اللفظ الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة على الواحد كقوله تبارك وتعالى وادخلوا الباب سجدا وانما يقال للواحد وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم متاع قليل ما

عليه من قوله تعالى الخالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) بما حرمنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمخالفتهم امرنا وعصيانهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين عند مباشرتهم للعمل بما يجلب عليهم غضب الله وعقابه لغلبة الهوى لا عن اعتقاد (ثم تابوا من بعد ذلك) اي من بعد ما ارتكبوا ذلك الذنب (وأصلحوا) اي عملوا الاعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) اي من بعد التوبة والاصلاح (لغفور) له ما سلف منهم (رحيم) بهم في المستقبل ﴿ قوله تعالى (ان ابراهيم كان امة) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني كان معلما للخير وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقال قتادة كان على دين الله وحده وقال ابن الانباري انما سمي ابراهيم امة لان الامة في كلام العرب هي الشخص المنفرد بدين لا يشركه فيه غيره وقال الفراء الامة القدوة والامة العالم بما يحتاج اليه الدين وقال الزجاج الامة هو الذي يؤتم به ويقتدى به في الخير وقال ابن الاعرابي الامة الرجل الجامع للخير والامة الرجل المنفرد عن أهل دينه وقال الليث الامة الرجل الذي لا نظير له وقال ابن قتيبة الامة الرجل الذي يعلم الخير وقال الضحاك الامة المعلم وقال ابن زيد الامة الذي ليس في زمانه أحد مثله وقال أبو عبيدة الامة الرجل الذي يؤتم به وقال الكلبي الامة الذي يجمع صفات محمودة وقال ابن الانباري الامة في كلام العرب على خمسة أوجه الرجل المنفرد بدين والرجل المعلم للخير والرجل المطيع لله والرجل الذي لا نظير له والرجل الذي يؤتم به وقال ابن الانباري الامة في كلام العرب على خمسة أوجه الرجل المنفرد بدين والرجل المعلم للخير والرجل المطيع لله والرجل الذي لا نظير له والرجل الذي يؤتم به وقال ابن الانباري الامة في كلام العرب على خمسة أوجه الرجل المنفرد بدين والرجل المعلم للخير والرجل المطيع لله والرجل الذي لا نظير له والرجل الذي يؤتم به

ما اجتمع في أمة وما قول الشاعر ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه الآية أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعني أنه كان معلم الخير ثم أهل الدين الثاني قال مجاهد أنه كان وحده وكان الناس كلهم كفارا فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنهم من قال أنه صلى الله عليه وسلم في نفسه مجموع بصفة الله أمة وحده وإنما قال في حقه هذه المبالغة لأنه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال مقاتل ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وجعل الأمة بمعنى المعبود وهو الذي يؤتم به وكان إبراهيم عليه السلام إماما يهتدى به لقوله تعالى إني جاعلك للناس إماما وجعل أبا عليه السلام إماما لأن الله جعله أسوة لمن بعده فإن قيل كيف يجوز أن يسمى واحد أمة قلنا لأن الله تعالى سماه بذلك لأنه قام بما يقوم به الجماعة من الدين والحق وهو من باب إطلاق اسم الكل على البعض وجاء مثله في الحديث أن زيد بن عمرو بن نفيل يبعث يوم القيامة

فيدخل هذه الامة الخمسة على سائر الامم وقوله بسبتهم يعني عن أبيهم أو الأبهم وقوله هذا يوم هذا يوم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه هذا ما قاله العاصي عاص الظاهر أنه فرض عليهم عظم يوم الجمعة بعينه ولكن وكل الى اجتهادهم لا فامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله فرضه على هذه الامة بل وكلهم الى اجتهادهم فعاروا فضلوه قال يعني العاصي عاصا وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم يوم الجمعة أعلمهم بفضله فاختاروا السبت أفضل فقال لهم ذلك فقالوا لا نريد يوما كان فيه ما كان ولو كان فيه صواعقه لم نصطد احدا فقال لهم فيه فكان قول سوء للحواريين فقال الشيخ محي الدين الذي أرى ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختاروا غيره هل يلزم بعد هذا أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يعمل به لان اليهود ما تفوا على ذلك بل اختاروا واحدا على هذا وقال وهذا انما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام وبعضهم قال الله شرع فيه من خلق الاسماء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاسماء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا مأمورين في السبت بما اختاره الاحبار النصارى بعدهم بزمان طويل فان قيل ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اجمعوا على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وختم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فعالب اليهود تحب ان يوافق رأيها رأي ربها في العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ الله بخلق الاسماء في يوم الاحد فحن نجعل هذا اليوم عيدا اوهذان الوجهان معا ولان بدأ وختم يوم الجمعة حتى يحصل لأهل الاسلام عيدا ان يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال توجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا المعنى وهو أول يوم وآخر يوم اختاره الله عز وجل وهو أشرف يوم خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أول يوم رزق فيه الناس وكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة واختار لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئا وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاروه لانفسهم وقال بعض العلماء سمي الله موسى عظم يوم السبت ثم نسخ يوم الاحد في سريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد ويوم الجمعة في سريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أصل الايام يوم الجمعة كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وهو معنى الآية قول آخر قال وإذ الذين اختلفوا هم اليهود اختلفوا بعضهم وجميعهم بعضهم على هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اي جعل السبت وبال على الذين اختلفوا وهم اليهود فاختلفوا بعضهم فاصطادوا وبعضهم لم يصطادوا ومسخوا قردة وخنازير فرفع ذلك عن هذه الامة وقد تقدم الكلام في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ذهب على تخطئة هذا القول وقال هذا القول غلط فاحش وانما المسخ في اليهود والقول الاول أقرب الى الصحة ﴿وقوله تعالى﴾ (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحسن بالاحسان والمسيء بالعقاب ﴿قوله عز وجل﴾ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الواضح المبين للمدعو والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو أن تعظهم بما فيه من الوعد والوعيد (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير عنف ولا فظاظة وذلك ان الناس اختلفوا واجملوا الى ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة الصافية الذين لا يطلبون بمعرفة الاشياء على حقائقها شيئا سوى الله فهؤلاء هم المراد بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة حتى يعلموا الاشياء على ما هي عليه فهؤلاء الذين وصفهم الله بالعلم من أصحاب القلوب السليمة

واخلاقه الاصليه وهم غالب الناس الذين لم تعتدل قواهم الكمال ولم يصلوا الى مخصوص الاقتصاد فهم أوسط الاقسام وهم المسارعون بقوله والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب الجدال والخصام ومعاندوه وهؤلاء هم المسارعون بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى يعودوا الى الحق ويرجعوا اليه والمراد بالحكمة القرآن حتى ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظته حسنة والمراد بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تصبر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلتك به الهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدي فجازي كل عامل بعمله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية في المثلة سنة سبعة أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من سمر البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به عبد الله بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فعاد المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم ولئن منهم لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة حين مثل به فقالوا نحن نفعل يا رسول الله بأحياء العرب ما لم تفعله العرب بأحد فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصبرن ولنعفون ولنحسنن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر ونعفو ونحسن فكف عما هم به من المثلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما لنزيدن عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا أربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب اما معنى الآية وهو قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو كقوله في الآية الاولى ما سمى الله تعالى الثاني اعتداء لان الاول لما سمي الثاني اعتداء وهو في الكلام والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او قطع او نحوهما فلكم ان تصنعوا به مثل ذلك ولا يحل لكم ان تزيدوا عليه وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا على سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل الايجاب والفرض لان العفو والصفح في هذه الآية مندوب اليه بقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ان ترك المعاقبة والصبر والعفو خير لكم من المعاقبة والانتقام ثم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) يعني على ما نالك من أذى المشركين (ولا تحزن عليهم) يعني على قتلى أحد (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي من مكرهم بك وقصدهم اياك بالسوء والمكر والضيق بكسر الضاد وفتحها لغتان والمراد بالضيق هنا الحرج والغم أي لا يضيقن صدرك من مكرهم فان الله تعالى يعصمك منهم ويكفيك شرهم ثم أخبر عن حاله مع أوليائه فقال

(فصل) * اعلم ان العلماء استدلوا بهذه الآية على وجوب الجهاد وان فرض الكفاية انما صار فرضا لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يتأتى القيام بهذا الواجب الا بالجهاد فدل على ان الله تعالى انما أمر بالجهاد ليتمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من القيام بما أمره الله به ولما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد نهى عن هذا فقال لا تقاتلوا المشركين عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم

محكمة وما نزلت فيهن ظلم ظلامه ولا يحل له ان ينال من مال الله أكثر مما ينال من نفسه الظلم وعن ابن عباس والحسن والشعبي وابن سيرين والثوري قال نعصمهم الا من اتاه محكمة لان الآية واردة في تعظيم حرمة الانفس في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون بمعصومة فلا تعلق لها بالعصمة والله أعلم ﴿قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره وصحته وتوفيقه (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على أحد مما فعلوا بهم فامرهم أصوالى رحمة الله ورضوانه (ولا تك في ضيق مما يمكرون) يعني ولا يضق صدرك بما تجدد يمكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فعلى هما لغتان وقال أبو عمرو الضيق بالفتح المعنى وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في الغلب والصدر فانه بالفتح وقال العتبي الضيق بالكسر في كل شيء وهي ولي وفي فعلي هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولا تك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة يكون حاصلة في الموصوف فلا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا تكن الضيق حاصلا لك الا ان العادة في قوله ولا تك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالمحيط به فكان العائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أي اتقوا الله والزهادة في المعاصي وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان أردت أيها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى ان عظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوصني بعمل اعمل الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بسورة النحل والله اعلم بمراده وأسرار كلامه

﴿تفسير سورة الاسراء﴾

﴿فصل في نزولها﴾ قال ابن الحوري هي مكية في قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدني روي عن ابن عباس انه قال هي مكية الا ثلاث آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا الى قوله وقوله تعالى ولولا ان ثبتناك والى بلغها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وحسبها ومائتان وثلاث كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) روى ابن الحوري عن ابي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سوء هكذا ذكره عز وجل وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح كعثمان للرجل والتسبيح قول سبحان الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء وهو منصوب على المصدر واصله في اللغة البعد يعني سبحان الله بعده وبراءته عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى بعبده وأسرى به لغتان بعده اجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لعظم احكامه في دلالة وقوله بعبده اضافه تشريف وتعظيم وتفضيل وتكريم ومعدول بعضهم

لا يدعي الانباء دها * فابه اعرف اعمالي

قيل لما عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء العالم وانتهى الى المعراج اوحى الله عز وجل اليه ما اخبرهم يا رسول قال رب تصل بي الى فعلك بالعبد وديدنك قال الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا تقليل مدة الاسراء وانه أسري به في بعض الليل من مكة الى القدس مسيرة اربعين ليلة ذهابا وجيئة

(من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحطيم وربما قال في الحجر وساق الحديث بكماله فيما بعد وفيه عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (الى المسجد الاقصى) يعني الى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أو لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل بما سار كثيرا من الانبياء عليهم السلام ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبياء في زمانهم صلى الله عليه وسلم والحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فعلى ما ذكرنا الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى تعظيمه لان صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعود الى السماء أولا لاستبعد ذلك بعض أصحابه أو يرتاب به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه بما أخبر به من العلامات التي وصفوها عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالوطأة لما عراج الى السماء ﴿قوله تعالى﴾ (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فعند رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الآيات العظام فان قلت ما معنى من في قوله من آياتنا قلت معنى التبعيض وذلك لان رؤية ابراهيم عليه السلام وكذلك رؤية ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على ان رؤية ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجه ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أنها ولا آيات الله أفضل من ذلك وأكبر والذي أراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائب ملكوته كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا ان قوله صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لاقواله ودعائه (البصير) لافعاله الحافظ له في طفولته وصباه وقيل انه هو السميع لما قاله قريش حين أخبرهم عن مسراه الى بيت المقدس البصير عارفا بما عاينه من الكذب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم يجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

(فصل) في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا بين رجلين من قال من الناس وأنا بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئ ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الثانية فاذا رجلان قاعدان هذا عيسى ويحيى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت لجبريل من هذا قال هذا عيسى ويحيى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الثالثة فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال

وصدق به وبرؤية الآيات وما فيها من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير)

ثم قيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إدريس فقال هذا إدريس فسلم عليه فرددت ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيل قال هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه عسل فعرضا علي فاخترت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية أخرى وأجزي الحسنة عشرا وفي رواية أخرى وأباح الدائم من الشراب والطعام وهو عسل الأرض كهيئة رمرم ثم ملئ إناءا وكسيته وهو فرفع إلى البيت المعمور فسأل جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وفي (ق) عن أنس بن مالك كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال وهذا جبريل وهل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم فافتح فعرج بنا إلى السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن يساره نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن يساره أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل برسول الله بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر بعلي بن هذا قال هذا أدريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيل قال هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه عسل فعرضا علي فاخترت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية أخرى وأجزي الحسنة عشرا وفي رواية أخرى وأباح الدائم من الشراب والطعام وهو عسل الأرض كهيئة رمرم ثم ملئ إناءا وكسيته وهو فرفع إلى البيت المعمور فسأل جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وفي (ق) عن أنس بن مالك كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال وهذا جبريل وهل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم فافتح فعرج بنا إلى السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن يساره نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن يساره أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل برسول الله بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر بعلي بن هذا قال هذا أدريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيل قال هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه عسل فعرضا علي فاخترت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية أخرى وأجزي الحسنة عشرا وفي رواية أخرى وأباح الدائم من الشراب والطعام وهو عسل الأرض كهيئة رمرم ثم ملئ إناءا وكسيته وهو فرفع إلى البيت المعمور فسأل جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وفي (ق) عن أنس بن مالك كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال وهذا جبريل وهل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم فافتح فعرج بنا إلى السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن يساره نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن يساره أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل برسول الله بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر بعلي بن هذا قال هذا أدريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال فلما

[illegible] يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال وكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فخفف لنا أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى والله استحييت مني مما اختلفت إليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث الصنابحي وأدرج مسلم حديث سعيد بن أنس الموقوف عليه في حديث باب الإسراء المسند وذكر من أول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما أوردته على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حديث سابع أحاديث سماه في باب الإسراء عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبت حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل هديت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك قال ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام فإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ثم هبطت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه وفي رواية لمسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق فركبته أمامه مد خطوه منتهى طرفه قال فحملت عليه فسار بي لا يمر بشيء إلا قال يا محمد هكذا أمرت لا أحد أكرم على الله منك فمر بي على ملأ من الملائكة ليس أحد منهم إلا قال يا محمد سل وأخرجه النسائي مختصرا وفيه قال فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف وقال إني قد

خلق السموات والارض فرضت علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة فخمس بخمسين فمن لم يشك أمتك
فعرفت انها أمر الله فجرى بقولهم فلم أرجع
(فصل) قال النووى قال بعض أهل الحديث ما وحد البخارى ومسلم فى كتابهما مسألا يحصل مخرجا
الا حديث شريك بن أبى نمر عن أنس وأصل الاسراء عليه على شريك وذلك انه ذكر فيه ما ذكر ذلك كان قبل الوحى
واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحى بخمس عشرة سنة وقيل ان الحمار تبارك وتعالى دنا
فتدلى وقد ذكرت عائشة ان الذى دنا هو جبريل عليه السلام قال النووى وهذا الاعتراض عندى لا يصح
لان هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستقظ وهو فى المسجد
الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنتين فحصل ثلاثة أمور رؤياه التى رآها فى النوم قبل
فى اليقظة بمكة فى العام الذى هاجر فيه ثم كان بين الهجرة ومعاد بمكة وهو قوله تعالى لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية
شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها
وقوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه قال الاسراء أول ما رآه فى منامه كان بعد مبعثه صلى الله
عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كان ليلة الاسراء لسبع وعشرين من شهر رمضان الآخر قبل
الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به
صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة وفى القبائل قال السبع محيى الدين وأسند هذه الاقوال قول الزهرى وابن
اسحق وأما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد صح
به من نحو عشرين راويا وهم أو نحو ذلك أولى وصول الملك اليه قول انس فى الحديث ما يدل على كونه
نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهذا الذى قاله فى رواية شريك وان أهل العلم قد ذكروها
قد قاله غيره وقد ذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث
مطولا قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره الرواية بهذا الحديث بهذا اللفظ من
رواية شريك عن أنس عن مالك بن صعصعة وأتى فيه بالفاظ غير مرفوعة وقد روى حديث الاسراء
جماعة من الحفاظ الاثبات المشهورين كانس بن مالك وابن شهاب وثابت البنانى وقتادة نحو عن انس فلم يات أحد
منهم بما أتى به شريك ولم يذكر أحد من الحفاظ عند أهل الحديث قال ولا اسناد يصح الى عدد من هذا هى
المعول عليها
(فصل) فى شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كان الاسراء قبل الهجرة بسنة بدليل
كان فرض الصلوات بمكة وقد تقدم زيادة على هذا العدد فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس
فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم
السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه أسرى بروحه وجسده
صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده لا لو قطع العبد ارتفع عن مجموع
الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى بعد هذا تدل على صحة هذا القول لمن طالع عليها وحكى
محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة بن اليمان قال كل ذلك كان رؤيا وما ذهب حذيفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ومعاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء
من السلف والخلف والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وانما سمى البراق لسرعته وأولشدة ضيائه ونوره وسناه ولمعانه والله أعلم وروى
والخلق بما كان اللام وتحور بها والمراد بربط البراق بالحلقة الاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله ما هى بحجر ليلا ناهق حمر ولا بغل
من لبن فاجرب اللبن ما حصار والعقد وقال لى احمرها حرب اللبن وقول حسن لى احمرب القطره يعنى

فطره الاسلام ويحمل اللبن علامة لفطره الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وبانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وسالبة لانواع السرور وله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال فيقول أو لا فيقول أو لا فانه مكروه وجاء السماء أو لا أو آدم وان علامها جبريل وقول أو آدم السماء وقد أرسل اليه في الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى على أحد في هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غير ذلك وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيما سماهم لقياه أهل العصل والصلاح بالترحيب والكلام الانس الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وقد يجوز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من آفات الدين وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور وهذا دليل على جواز الاسناد الى الفاعل ونحو بل ظهرها لها وقوله ثم ذهب بي الى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس رضي الله عنهما سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واداعرها كالعلال هو بكسر العين جمع علة بضمها وهي الجرة الكبيرة الى نحو ربع أو كقوله فرجعت الى ربي قال السمع يحيى الذي روى معناه وجعب الى الموضع الذي ما منه أولا ما سمعه أولا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مخاطبة ربي عز وجل وأما الكلام على معنى الرواية وما يتعلق بها فانه ان شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله فعرض الله سبحانه وتعالى على أمتي حسي صلاته الى قوله وضع سطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى حتى انتهى بي هذه الرواية الى قوله فانه لا يدل المراد السطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه الامر وانما رأيته العشر فهي رواية بالخمس رواية بالعشر الى قوله وهما أنت من بعد فالمراد بحطها عني حتى الى آخره ما لهي بخمس وهي بعشر سيأتي الاخوان ان شاء الله تعالى وقوله فسرأ ما الهاء واجمع العلماء على هذا الحديث على جواز نسخ السنة بالقرآن في أول الحديث انه سرى صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وغسل أضافي صدره وهو عند مقامه الى كاب وضعه فالمراد بالشق الاول الجزء الظاهر المراد به من الاكرام ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وايمانا وقوله فحشي بها صدري وقوله ثم أطبقته بحكمة وعلما وقوله فاستخرج الدهب أو تكون هذه الحكمة على حقيقتها وحكمة ظاهرة على ما ذكرناه والحكمة والايمان هاهنا وضعا الاجسام فيما يعني ذلك ان الله جعل في الطست التي غسل بها كمال الايمان والحكمة وربما سمي الشيء باسم ما يصحبه أو يقاربه وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وهو الشخص المرتفع في الحديث بعده تسمى أرواح بني آدم فاذا عرض على هذا ان ارواح الانبياء في السماء وارواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف يكون في السماء والجواب انه يحتمل أن ارواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهي في السماء وانما يؤمر به عرضها على آدم مرورا على صلى الله عليه وسلم فاخبر عما رأى وقيل اذا عرض عليه أولاده وذريته حيث ما كانوا من الارض نسمة نسمة علم الكفار منهم وقوله في ادريس عرجا الى المكان العالي الصالح والمحل الصالح وقيل المراد به على أن ادريس هو ابن يرد وهو جد نوح عليهما السلام ويكون هذا على صلى الله عليه وسلم كما رأى ابراهيم حيث كان في أب مولودا في الصالحين كما قال آدم وابراهيم عليهما السلام فالجواب ان هذا انما كان في أول الامر ثم انه أمر بالاستغفار لابيه وهو من ذرية ابراهيم عليه السلام فالجواب الصحيح ان الله تعالى لما أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن ادريس أبا نوح صلى الله عليه وسلم

وان قوله الا ح الصالح بعد سمل أن يكون قاله بعلم وتأدب وهو أرجح وان كان أمالان الاد ب اما يحمود المؤمنين
يحمود والله أعلم

(فصل) في ذكر الابات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وهي أحاديث
متعلقة بالاسراء قال البيهقي روى ابن اسحاق رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أسرى به وكان بذي طوى
قال ياجبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما كان الله أسرى بي الى السماء أصبحت بمكة فعرفت أن الناس
يكذبوني وروى ابن اسحاق صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه لاخديجة أخبرها به أبو جهل فجاء أبو جهل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل
استعدت لي شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا
قال نعم فلم ير أبو جهل أن يكذب مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك ما حدثتني به
قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال
حدث قومك ما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين
أظهرنا قال نعم قال فمن بين مصفق ومصفر ومن واضع يده على رأسه متعجبا واردا ذلك من كان قد
آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين الى أبي بكر فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة
الى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه أنه ذهب الى
بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في
غدوة أو روحة فلذلك سمي أبا بكر الصديق قال وكان في اليوم الذي أتى المسجد الاقصى قالوا هل رأيت
أن تصف المسجد قال نعم قال فما زلت أنعته أنعته حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد حتى وضع
دون دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه قال نعته القوم أما النعت فقد أصاب قالوا أما بناؤه فنحن أعلم به
فقال عقيل أنا أعلم بعيره قال فما كنت أعلم أن في بيت المقدس عيرا فقال بعض القوم وأنا والله
معهم في طلبه وفي رحالهم في بعض تلك العير حتى وضعوه كما كان فجاءوا يرحلون الينا
المسجد حتى وضع فقال واحد منهم أما العير فقد أقبلت يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان
وهي كما وصف وقال آخر أما العير فقد أقبلت اليوم مع طلوع الشمس يقدمها فلان على بعير أزرق
حتى أتت الثنية فنزلت وقال آخر أما العير فقد أقبلت الليلة مع الصبح يقدمها جمل أبيض
وقال بعض القوم ما أمر محمد بأمر الا ازداد أمرا بينا فقال أبو بكر صدقت فأنا أشهد أنه رسول الله
قالوا أفتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس ورجع قبل أن نصبح قال نعم أنا أصدقه بما هو أبعد من
ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبا بكر الصديق

(م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به أتي بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه

(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا) أي لا تتخذوا بالتاء أمر بعضهم أي قلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) ربا تكلون إليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فمن مزيدة للتأكيد بالتاء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح (إنه) أن نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السراء والضراء والشكر مقابله المعصية والشاعر على المعم وروي أنه كان لا يأكل لقمة ولا يلبس لباسا إلا حمد الله وأثنى عليه وجعل معيشة أصحابه وأسوتكم كلهم آباؤكم أسوتهم (١٥٣) وآية رسد الأسماء صحة الادعاء فسمى الآباء وعدد عرفهم حال الآباء هالك فكونوا أنتم الأبناء كذلك (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي معلوما مسنونا لهم مفسدون في الأرض لا محالة والكتاب التوراة (ولتعلن علوا كبيرا) ولتعتدن عتوا أو جرى القضاء المسطور مجرى القسم ولكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسم لتفسدن في الأرض (مرتين) أولاهما قتل زكريا وعاصم عليهما السلام وقيل أرميا عليه السلام حبس أعينهم حتى لا يبصروا والأخرى قتل يحيى وقصد قتل عيسى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله لا يريدون علوا في الأرض والمراد به البغي والظلم وعلا مفعول المصدر على المطابقة (فإذا جاء وعد أولاهما) أي وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) لتعاقبكم (عبادا لنا أولي بأس شديد) أي قوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) تخللوا وسطها لطلبكم (وكان وعدا مفعولا) تقدم مثله (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أعدنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حتى تبتم (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) أعز عددا (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) ثوابها (وإن أسأتم فلها) فعليها

فإذا هو قائم يصلي في قبره على هيئته قال فلما رآني انصرف وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى بيت المقدس قال جبريل كذا وكذا صفة خلقه الخبر وسنده الذي أخرجه الترمذي قال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف يصلي بالأذان في بيت المقدس مع وجدهم على مر أنبيائهم في الصوم والصلاة وسلوا عليه ورحموا عليه وكما تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة فلم أما صلاته صلى الله عليه وسلم بالأذان في بيت المقدس بجمل أن الله سبحانه وتعالى جمعهم له لما صلى بهم ثم يعرجوا فصلوا وتعدد عليهم ثم أن الله سبحانه وتعالى أراه إياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هديهم وسيرتهم وفضلهم وأما مروره وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر فقد قيل إنه كان يقدر حوله من المعراج وأما صلاة الأنبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالأذان أعني بعد الموت وأما حكم صلاتهم فقد جاء الذكر والدعاء وقد سمى أعمال الآخرة فإن الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث إنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وقد قيل إن الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص ثم بخص منها حشرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم يأتون ويحشرون كذلك والصلاة والله أعلم بالحقائق

قوله سبحانه وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا) يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا تكلون (ذرية) يعني يا ذرية (من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) يعني إن نوحا كان كثير الشكر وذلك أنه كان إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين وهو قوله تعالى (لتفسدن في الأرض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب يعني على وجه المراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم يعني والله لتفسدن في الأرض يعني بالمعاصي والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن علوا كبيرا) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين إفسادهم في المرة الأولى وهو ما خالفوا من أحكام التوراة وتركوا من المحارم وقتل أشعيا فيهم في المرة الأولى فلهم سلط عليهم في البحر وأزال ملكهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعني الوحوش وقيل هو جالوت وقيل هو سنحاريب وقيل هو بختنصر من أهل بابل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأصح (أولي بأس شديد) يعني ذوي بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني طافوا وسط الديار وتخللوها لطلبكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائنا لا محالة (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حتى تبتم (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني كثر عددا (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) يعني لها ثوابه (وإن أسأتم فلها) يعني فعليها عقابها

(فإذا جاء وعد الآخرة) مرة الثانية وهي قتل يحيى عليه السلام أو رفع عيسى عليه السلام أو قتله أو قصد قتله أو قتل شعيا أو زكريا عليهما السلام أو قتل أرميا عليه السلام أو قتل شمعون الصفا أو قتل أشعيا أو قتل حزقيل أو قتل دانيال أو قتل أشموئيل أو قتل شمعون الصفا أو قتل أشعيا أو قتل حزقيل أو قتل دانيال أو قتل أشموئيل (وإن عدتم عدنا) يعني إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى تسليط المؤمنين عليكم وقد عادوا فسلط عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقتل قريظة وأجلى النضير وضرب الجزية على من بقي منهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) يعني محبسا يحبسون فيها كما يحبس الدابة في الحصير (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) يعني إلى الملة التي هي أقوم وهي ملة الإسلام (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني في النار (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) يعني يدعو على نفسه وولده عند الغضب بالشر كما يدعو لهما بالخير (وكان الإنسان عجولا) يعني بالشر يدعو به كما يدعو بالخير (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يعني علامتين على قدرتنا (فمحونا آية الليل) يعني القمر (وجعلنا آية النهار مبصرة) يعني مضيئة (لتبتغوا فضلا من ربكم) يعني لتطلبوا فيها الرزق والمعاش (ولتعلموا عدد السنين والحساب) يعني حساب الشهور والأيام والليالي والساعات (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني بينا بيانا (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) يعني عمله لازم له كلزوم القلادة في العنق (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) يعني صحيفة مفتوحة (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) يعني محاسبا (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) يعني ثواب هدايته له (ومن ضل فإنما يضل عليها) يعني وبال ضلالته عليها (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعني لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يعني إلى أهل القرى (وإذا أردنا أن نهلك قرية) يعني أهلها (أمرنا مترفيها) يعني أكابرها بالطاعة (ففسقوا فيها) يعني خرجوا عن الطاعة إلى المعصية (فحق عليها القول) يعني وجب عليها العذاب (فدمرناها تدميرا) يعني أهلكناها إهلاكا (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) يعني من بعد قوم نوح (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعني عالما بها (من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) يعني ما نشاء من الدنيا (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) يعني مطرودا (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) يعني عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) يعني مقبولا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) يعني نعطي البر والفاجر (وما كان عطاء ربك محظورا) يعني ممنوعا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) يعني في الرزق (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني في الجنة (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) يعني لا تعبد مع الله غيره فتكون مذموما مخذولا (وقضى ربك) يعني أمر ربك أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) يعني وأمر بالوالدين إحسانا (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) يعني إذا صارا في حالة لا يستغني الولد عن خدمتهما (فلا تقل لهما أف) يعني لا تتضجر منهما إذا رأيت منهما ما تكره (ولا تنهرهما) يعني لا تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) يعني حسنا جميلا (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) يعني تواضع لهما ولن لهما جانبك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) يعني ارحمهما برحمتك إياهما كما رحماني في صغري (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) يعني للتوابين (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) يعني لا تسرف في النفقة (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) يعني جحودا لنعمه (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) يعني إذا سألوك شيئا ولم تجد ما تعطيهم فقل لهم قولا جميلا (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) يعني نادما على ما فعلت من الإسراف (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعني عالما بهم (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا) يعني إثما عظيما (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) يعني بئس طريقا طريق من يزني (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) يعني إلا بإحدى ثلاث خصال الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا) يعني بالقصاص (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) يعني حتى يبلغ الحلم (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) يعني صاحبه (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) يعني عاقبة (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) يعني عن صاحبه (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) يعني لن تقطع الأرض بمشيك ولن تبلغ الجبال بتطاولك (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) يعني مبغضا (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) يعني من القرآن (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) يعني مطرودا (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) يعني إثما كبيرا

(فاذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وسلط عليهم ملوكا يسومونهم سوء العذاب وهم الفرس والروم فسوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسوءوا وجوهكم) يعني ليحزنوكم ويسوءوكم بالهوان أي ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ويواجهه (كما دخلوه أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعني وليهلكوا ما علوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

(ذكر القصة في هذه الآيات)

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك معاودا عليهم ومحسنا اليهم وكان أول ما ابتلوا به منهم ان ملكهم كان يدعى صدقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده برشده ولا يزال عليهم كذلك ما تابعوا مرور امره واتباع الاوامر والاحكام الى فيها فلما ملك صدقة بعث الله سمعان وذلك قبل مقتل زكريا ويحيى وسمعان هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فمات أشعيا وملك بعده أشعيا وكان صاحب الاسرار ومن بعده صاحب الاسرار على ذلك الملك يعني صدقة بني اسرائيل وبيت المقدس وما والاها عصى ملكه عظماء الاحداث فيهم وكان معه سمعان فدعاه الله سخار نابل ومعه سمعان ألف رايه فلم يزل ساثرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فخافه سمعان على الملك وقال يا ملك بني اسرائيل ان سخار نابل قد نزل بك هو وجنوده سمعانة ألف رايه ردهاهم الناس وقهروا منهم وكثير ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فصالحنه بصخر بابه وكتب نبي الله او سخار نابل وجنوده قال سمعان يا نبي الله وحي في ذلك وعهد عهدا على الملك أوحى الله الى سمعان الذي أتاه بني اسرائيل قل له أن لا يصالح سخار نابل ولكن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من شاء من اهل بيته فان الله قد أوحى الي أن آمر له ان يوصي وصيته ويستخلف من شاء على ملكه من أهل بيته فلما قال ذلك سمعان لصدقة الملك أول على الله فصلى ودعا فعاد اليه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى فخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة ومقدوس بابه قدوس بارحم بارحيم بارؤف بارحمان لا يحصيه سمع ولا يوم اذكرني بعملي وعملي وحسن مضايي على بني اسرائيل وذلك كله كان بسمعك وانت اعلم بمن يرى وعلانيته فاستجاب الله له وكان ذا صالحا فاوحى الله الى سمعان أن يخبر صدقة انا قد استجبنا له ورحمنا وأخرنا أجله خمس عشرة سنة واتخذ من عدوه سخار نابل عبدا فلما قال له ذلك دهش الوجع وانقطع به الامر وخرج ساجدا لله وقال اللهم رب الارباب واله الآلهة ملك الملوك وجبار الجبابرة وكتب وعظمائه الذي بعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن شاء وبدل من شاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والآخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتسمع تعذب المصابر بما شئت الذي استجاب دعوة يونس حين دعاك في بطن الحوت وكشف ضره ورحمه وانت الذي استجبت دعوة ايوب حين دعاك وكشفت ما به من الضر وانت الذي استجبت دعوة زكريا حين دعاك فوهبت له يحيى وأصلحت زوجه له وانت الذي استجبت دعوة ابراهيم حين القي في النار فجعلتها عليه بردا وسلاما وانت الذي استجبت دعوة موسى حين فلق لبني اسرائيل البحر وانجاهم وأغرق آل فرعون وانت الذي استجبت دعوة عيسى حين رفعته اليك وطهرته من الذين كفروا وجعلت الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليك مرجعهم فتحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون وانت الذي استجبت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم حين دعاك فرددت عنه كيد عدوه وانت الذي استجبت دعوة سليمان حين سألك ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فسخرت له الريح والشياطين والجن والانس وانت الذي استجبت دعوة داود حين تاب اليك فغفرت له خطيئته وانت الذي استجبت دعوة يعقوب حين ابتليته في بصره وولده فرددت عليه بصره وجمعت له ولده وانت الذي استجبت دعوة يوسف حين دعاك فصرفت عنه كيد النساء وانت الذي استجبت دعوة آبائي الصالحين فاستجب دعوتي وارحم تضرعي فلما دعا بهذا الدعاء اوحى الله الى سمعان ان قل للملك صدقة انا قد استجبنا دعاءك وصدقنا قولك وقد زدناك على ما سألت خمس عشرة سنة فاجعل ما بقي من ملكك في ولد سليمان بن داود فان ذلك ما قد سبق في علمي ان اجعله فيهم فلما قال ذلك سمعان لصدقة الملك فرح فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي استجاب دعوتي ورحمني فلما رجع سمعان الى سخار نابل وجنوده ليقاتلهم اوحى الله الى سمعان ان قل لسخار نابل انا قد سلطناك على بني اسرائيل لانهم عصوا ربهم وكفروا بآياته وقتلوا انبياءه وسخروا منه ولم يؤمنوا به حتى يبلغ الكتاب اجله الذي كتبت عليهم فلما قال ذلك سمعان لسخار نابل وجنوده ضحكوا منه واستهزءوا به وقالوا ما هذا الا ساحر كذاب فلما رأى سمعان ما صنعوا به وما قالوا له قال لهم ان الله قد اوحى الي انه قد سلطكم

(عسى ربكم أن يرحمكم) تعدادا لما وعدهم أن يرحمهم بتوبة أخرى وإن رحمهم من المعاصي

(وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا وعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يعني السجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدي التي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسددها وهي توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حيث وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أي الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا) أي أعددنا فلب أعد (لهم (١٥٨) عذابا أليما) يعني النار والآية رد القول بالمرلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير)

هرد الدولة الكم (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) أي الى العقوبة قال قتادة عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي محبسا ومحبسا الحصير الذي هو مجلس الخلق وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش ﴿قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي التي هي أقوم) أي الى الطريقة التي هي أصوب وصل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار في الآخرة (ويدع الانسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أي كدعائه بربه أن يهب له العافية والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب له لكرمه (وكان الانسان عجولا) أي بالدعاء على ما ذكره أن يستجاب له وقال ابن عباس معناه صبر الانسان على سراء ولا صبر له على ضراء ﴿قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وقيل معنى الآية قولان احدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو اختيار جماعة دليلنا للعطف على مصالح الدنيا والدين اعاني الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر معا ومع كونهما متعاقبين على الدوام أمرى دليل على ان لهما مقدرا مقدرهما بالمقدار المخصوص وما في الدنيا فلأن صلاح العباد لا يتم الا بما في الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا سيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا طلاقا لابن عباس رضي الله عنهما (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مضيئة يبصر فيها الاشياء وروى عطاء قال ابن عباس سئل الله نور الشمس من حر أو نور القمر كذلك فمحا نور القمر فجعله شمسا وجعل نور الشمس سبعين جزأ فمحاه فجعله لها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر فلا يرى فيه من سواد الكواكب ما يرى في الكواكب ما يرى السواد الذي في القمر وقال هو أمر الله (لتبتغوا) أيها الناس (فضلا من ربكم) أي لتصرفوا في حوائجكم وتطلبوا معايشكم في النهار (ولتعلموا) أي مع اختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه من أمر دينكم ودنياكم فدل بهذا على أن الشمس والقمر خلقا لمصالح العباد وذكر أجل الآيتين الليل والنهار وهي الشمس وحدها لان فاطمان على التوحيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أرسل على أهل الدنيا ظلمة فمحت آية الليل وجعل آية النهار مبصرة (وكل انسان ألزمناه

هرد الدولة الكم (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) أي الى العقوبة قال قتادة عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي محبسا ومحبسا الحصير الذي هو مجلس الخلق وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش ﴿قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي التي هي أقوم) أي الى الطريقة التي هي أصوب وصل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار في الآخرة (ويدع الانسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أي كدعائه بربه أن يهب له العافية والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب له لكرمه (وكان الانسان عجولا) أي بالدعاء على ما ذكره أن يستجاب له وقال ابن عباس معناه صبر الانسان على سراء ولا صبر له على ضراء ﴿قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وقيل معنى الآية قولان احدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو اختيار جماعة دليلنا للعطف على مصالح الدنيا والدين اعاني الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر معا ومع كونهما متعاقبين على الدوام أمرى دليل على ان لهما مقدرا مقدرهما بالمقدار المخصوص وما في الدنيا فلأن صلاح العباد لا يتم الا بما في الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا سيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا طلاقا لابن عباس رضي الله عنهما (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مضيئة يبصر فيها الاشياء وروى عطاء قال ابن عباس سئل الله نور الشمس من حر أو نور القمر كذلك فمحا نور القمر فجعله شمسا وجعل نور الشمس سبعين جزأ فمحاه فجعله لها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر فلا يرى فيه من سواد الكواكب ما يرى في الكواكب ما يرى السواد الذي في القمر وقال هو أمر الله (لتبتغوا) أيها الناس (فضلا من ربكم) أي لتصرفوا في حوائجكم وتطلبوا معايشكم في النهار (ولتعلموا) أي مع اختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه من أمر دينكم ودنياكم فدل بهذا على أن الشمس والقمر خلقا لمصالح العباد وذكر أجل الآيتين الليل والنهار وهي الشمس وحدها لان فاطمان على التوحيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أرسل على أهل الدنيا ظلمة فمحت آية الليل وجعل آية النهار مبصرة (وكل انسان ألزمناه

(في عنقه) معنى ان عمله لازم له لزوم القلادة أو العلق للعنق لا يفارقه (ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا أو حال منه (منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوي ليقرأه أو هما صفتان لكتاب ومنه (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل مسلم (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيبا) تمييز أو هو بمعنى حاسب

(في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه مفهوم ملازمة أيما كان وقيل مخرج من شر معه لا يفارقه سمي بما يحاسب به وقيل ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها سعيد أو شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضي عليه عمله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وقوله هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني أن كل ما طار له من عمل لزوم القلادة أو العلق لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعل هذا في عنق فلان أي قلده هذا العمل وألزمه لأن الأعضاء ما به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والعلق مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو مما يزين وإن كان عمله شرا كان له كالعلق في عنقه وهو مما يشين وقوله تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل يسقط الإنسان صحيفة أعماله من يده ويقال له ملك يحفظ عليك عملك وقيل هو أن الصحيفة إذا طويت لم يعلم ما فيها فإذا نشرت علم ما فيها من خير أو شر وقيل كتابا يسرا بالنشور (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) قوله تعالى (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه لأن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الضلال مختص بفاعله أيضا ولا يعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لا فاعل مخصوصا للعذر وهذا دليل على أن ما وجب إنما وجب بالشرع لا بالعقل قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) في معنى الآية قولان أحدهما أن المراد منه الأمر بالفعل ثم أن لفظ الآية دل على أنه تعالى عباد أمرهم فعال أكثر المفسرين معناه أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة وقيل الخير والشر بالفسوق والعصيان والعدول إلى الأمر مأمور بها أي كثرنا مساويها بما أمرناهم بالفسوق أمرناهم إذا كثروا أمرهم الله إذا كثرهم وقيل سلطنا صغار المال منهم مأمورين أي مأمورة بالخروج إلى هذا قوله تعالى أمرنا بالفسق من الأمر بالفعل والمعروف هو الفعل المعروف عند الناس (ففسقوا فيها) أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) أي وجب عليهم العقاب (فدمرناها تدميرا) أي أهلكناهم إهلاكا استأصل والدمار الهلاك واعلم أن (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي إليها فقالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وقوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم بسبب تكذيبهم الرسل وقوله تعالى (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) أي عالما بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها

(في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه مفهوم ملازمة أيما كان وقيل مخرج من شر معه لا يفارقه سمي بما يحاسب به وقيل ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها سعيد أو شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضي عليه عمله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وقوله هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني أن كل ما طار له من عمل لزوم القلادة أو العلق لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعل هذا في عنق فلان أي قلده هذا العمل وألزمه لأن الأعضاء ما به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والعلق مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو مما يزين وإن كان عمله شرا كان له كالعلق في عنقه وهو مما يشين وقوله تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل يسقط الإنسان صحيفة أعماله من يده ويقال له ملك يحفظ عليك عملك وقيل إذا طويت الصحيفة لم يعلم ما فيها فإذا نشرت علم ما فيها من خير أو شر وقيل كتابا يسرا بالنشور (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) قوله تعالى (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه لأن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الضلال مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لا فاعل مخصوصا للعذر وهذا دليل على أن ما وجب إنما وجب بالشرع لا بالعقل قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) في معنى الآية قولان أحدهما أن المراد منه الأمر بالفعل ثم أن لفظ الآية دل على أنه تعالى عباد أمرهم فعال أكثر المفسرين معناه أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة وقيل الخير والشر بالفسوق والعصيان والعدول إلى الأمر مأمور بها أي كثرنا مساويها بما أمرناهم إذا كثروا أمرهم الله إذا كثرهم وقيل سلطنا صغار المال منهم مأمورين أي مأمورة بالخروج إلى هذا قوله تعالى أمرنا بالفسق من الأمر بالفعل والمعروف هو الفعل المعروف عند الناس (ففسقوا فيها) أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) أي وجب عليهم العقاب (فدمرناها تدميرا) أي أهلكناهم إهلاكا استأصل والدمار الهلاك واعلم أن (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي إليها فقالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وقوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم بسبب تكذيبهم الرسل وقوله تعالى (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) أي عالما بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها

من أحوال الحال ﴿ قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) أي من البسط أو الضيق (لمن نريد) ان نعجل به ذلك أو أهلا كونه ل في معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء على من نريد أي القدر الذي نشاء تعجيله في الدنيا لا الذي يشاء هو ولمن نريد بدل أول من لمن نريد بدل بعض من كل بتكرير العامل أي لمن أردنا تعجيل شيء له في الدنيا (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (يصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو مصدر أي وسعيها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق الله في وعده ووعيده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا ولا عبرة بالله عن بعض السلف من لم تكن نيته في عمله ثلاث لم يعبأ بعمله

شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف والاتيان بالايمان (كلا) كل واحد من الفريقين والواو عوض عن المضاف اليه وهو مضمون قوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أي نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) ونمدهم معلق بنمد والعطاء اسم للمعطى أي نمدهم من عطاياه أو نجعل الآية معمقة للمالك لا تقطعه فيرون المطيع والعاصي حاصلا على وجه الكمال (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روي ان رؤساء الاعراب من دوسهم اجتمعوا الى عمر رضي الله عنه فخرج الدرداء لاول وجه فسبق على أبي الدرداء فقال سبق لي من عمر واعاما أن أقوم لهم دعوا وذهب الى الاسلام فما برحوا حتى أطعمهم عمر فكيف بالمعاد في الآخرة (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره أو هو له على سبيل التعريض لهم في الخطاب أكثر (فتقعد مذموما مخذولا) مصيرك الى النار ومعناه على سبيل الاستعارة والمجاز وهو لما لا يلام ولا يخذل صدا للغير والعون ذلك قوله تعالى (وقضى ربك) أمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا اياه) أن مفسرة لان في القضاء معنى القول أو مصدرية بحذف الجار أي بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن

الهما

(الذي يلحق عبدك الكبر) اعلم أن الشرط متى ترتبت على إذا كيد الهاء وإذا دخلت النون لو كثرة في الفعل ولو أمر بعيد أن لم يقع جوابها لا تقول إن تكرمن زيدا أكرمك لكن إما تكرمه (أحدهما) فاعل يلحق وهو في قراءة حمزة وعلي بإعلال بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت بدل على تضجر والكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح لخفته والسوس لإرادة الكسرة أي أتضجر تضجرا وتركك لصدد التضجر بعد أي التضجر المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما بما يطلق عملا يحمل والنهي والنهر أخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه سجية الأدب أو هو أن تقول يا أبتاه يا أماه ولا تدعوهما بأسمائهما (١٦١) قاله من الخفاء ولا أس به في غير

الهما (إما يلحق عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه إن بلغا إلى حالة الضعف والعجز فصارا عندك في آخر العمر كما كانا عندهما في أول العمر * واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كان الانسان في حق الوالدين حسبه أشياء ۞ الأول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي كلمة تضجر وكراهة وقيل إن أصل هذه الكلمة إذا سقط عنها الراء أو زيد وضعف فيه يقول أف ثم إنهم توسعوا وذكروه إلى كل مكروه نصل النهي ۞ والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي زجرهما عما يطلقه مما لا يجمل يقال نهره وانتهره بمعنى فإن الماضي بلغ من الماضي من الانتهار فزاد حرفا لمعنى المبالغة في القول على سبيل الرد عليهما ۞ الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أي جميلا كما يقتضيه محاسن الأدب مهما قالا أو أمرا فعل لا تكهما وقولي هو أن تقول لهما كقول العبد المذنب للسيد المعظم العاطف الراحم قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جانب التواضع واخفضه لهما حتى لا يمتنع عن شيء أحباه (من الرحمة) أي من الرقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليه مما كانا كما كانا في حال الصغر والضعف منه ۞ قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية مع أنهما مسلمان فأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء مسموح في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما أن يهديهما الله إلى الإسلام فإذا هداهما جاز ترحمهما وقيل في معنى هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حتى أراد أن يجعل الأمر والنهي في حقهما بالإحسان فهما ثم صرح الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وأن يذل ويخضع لهما ثم خصهما بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما

* (فصل) * في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين (ن) عن ابن عمر قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أمك قال ثم من قال (م) ثم أبوك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو لم يدخل الجنة (ن) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ن) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن عمرو

وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها على أبي بكر كذا وقائله عبد الله بن الزبير إذا صارا كلا على والديهما ولا كافل لهما غيرهما عند عدمه في بره وكفله وذلك أشق عليه فهو مأمور أن يجعل معهما الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجراه ما يضجرهما أف فضلا عما يربو عليه والله سبحانه في الوصية بهما حث على الإحسان إليهما وجعله في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وأن يذل ويخضع لهما ثم خصهما بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما

* (فصل) * في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين (ن) عن ابن عمر قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أمك قال ثم من قال (م) ثم أبوك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو لم يدخل الجنة (ن) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ن) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن عمرو

لهما وعطف عليهما الكبر هما وافتقارهما وعارهما الموم الذي كان العرف حمل الله لهما بالأمس وقال الرجاج وأكثر ما يستعمل الذل للإنسان في الوحشي يقال ذل البعير بالكسر يذل ذلا وذلولا وأذللته أنا إذلالا وذلته تذليلا إذا لم يمتنع على راكبه وقيل معنى الآية واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولا تكتف بما أديت إليهما من الإحسان حتى تدعو لهما بالرحمة وقيل إن هذا الدعاء مختص بالأبوين المسلمين وهو إذا كانا كافرين فله أن يدعو لهما بشرط الإسلام وقيل إن هذا الدعاء منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل إن هذا الدعاء مختص بالوالدين اللذين ماتا على الكفر وقيل إن هذا الدعاء مختص بالوالدين اللذين ماتا على الإسلام والصحيح أن هذا الدعاء عام في حق الأحياء والأموات من المسلمين وهو إذا كانا كافرين فله أن يدعو لهما بشرط الإسلام

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال ثم الوالدين قلت ثم اى قال الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من البر للوالدين واعتقاد محبتهما في الخير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) اى أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر ثم بدر منكم في حال الغضب وعند جريح الصدر وما لا تخلو عنه النفس مما تؤدي الى أذاهما ثم تبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا) الاواب (١٦٣) الذي اذا أذنب بادر الى التوبة مختارا أن يكون هذا علما لكل من فرط منه مثل ما فرط منها وقد جرح سبحانه الخلق على أن يرد الناشئ من حمايته نزوله على أبويه (وآت ذا القربى) سبق (حقه) أي الذي اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قال ابن عباس في عهد الخلق والحق في مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أطلق بعضهم بعضهم في حيزها كثير قال له صاحب الاحياء في السرف قال لا يرفق في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي الهم في السرار وهي عادة المبذر لا يرضى الشيطان أن يرى أحدا يطيع الله تعالى الا حاسدهم بما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى ضلاله (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من رد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) اى وان اعرضت عنهم لفقد ما تعطيهم وترى ان

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال ثم الوالدين قلت ثم اى قال الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من البر للوالدين واعتقاد محبتهما في الخير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) اى أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر ثم بدر منكم في حال الغضب وعند جريح الصدر وما لا تخلو عنه النفس مما تؤدي الى أذاهما ثم تبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذي اذا أذنب بادر الى التوبة مختارا أن يكون هذا علما لكل من فرط منه مثل ما فرط منها وقد جرح سبحانه الخلق على أن يرد الناشئ من حمايته نزوله على أبويه (وآت ذا القربى) سبق (حقه) أي الذي اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قال ابن عباس في عهد الخلق والحق في مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أطلق بعضهم بعضهم في حيزها كثير قال له صاحب الاحياء في السرف قال لا يرفق في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي الهم في السرار وهي عادة المبذر لا يرضى الشيطان أن يرى أحدا يطيع الله تعالى الا حاسدهم بما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى ضلاله (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من رد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) اى وان اعرضت عنهم لفقد ما تعطيهم وترى ان

ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لأنه مأمور به وهو داخل تحت الجمع وأعطاها المعروف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (محسورا ومعدما لوما) متصرما لوما من الناس لك لان المسرف محسور مذموم وعند الناس يسمى المقتر أعطى فلانا وحسى ويسمى المعنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة ولم تبق لما أخذت وقعدت على ما فعلت (محسورا) منقطعا لا شيء عندك من حسره السفر اذا أتعبه أو راحلة أو عاريا من حسر رأسه وقد سأطرف سلمة صريها السودية في ابنه نبي محمد اعليه السلام أحد من وفي عليه السلام معتذا نبيها سأله عصمه الذي عليه درعه وقعد عريانا فأفاض الصلاة ولم يحرج للصلاة فدرك ثم سلى رسول (١٦٣) الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان به لعلة ولا لبخل به علمك واكن لان بسط الازراق وقدرها مفوض الى الله تعالى فعال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فلس البسط البسل (ويقدر) أي هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) عصالحهم فيصلها (بصيرا) بحواجهم فيسدها (ولا تقتلوا أولادكم) وأولادهم أولادهم واولادهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم وإياكم) فهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما لما فيه من قطع النسل كما أن الوأد وهو دفن الصبية أحياء من الجاهلية كان لخوف الفقر والحكمة في الرزق والقتل واحدة (ولا تقربوا الزنا) الفعلة التي هي أقبح الفواحش وأسوأ طرق الشهوة (انه كان فاحشة) أي فعلة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) اي بئس طريقا هو وهو ان يفضي صاحبه الى عذاب الله تعالى وقد يكون بمعنى بئس مع الفاعل والمفعول محذوف وهو الضمير الذي يرجع الله تعالى وان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المقت من الله ومنها اختلاط الانساب الى غير ذلك مما يوجب خراب العالم (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الاصل في القتل هو الحرمة فلا يحل الا بسبب عارض وانما كان كذلك لما مر من أن الاصل هو الحرمة والحل يحتاج الى سبب والاباحة المطلقة تجامع الحظر في بعض الاوقات فلا تكون سببا لها فلا بد من سبب آخر يكون مبيحا وهو المراد بقوله تعالى الا بالحق أي الا باحدى ثلاث لما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة متفق عليه وفي الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) اي تسلطا على القاتل بالقود او العفو او الدية وهو بيان لما هو المراد بقوله تعالى الا بالحق (فلا يسرف في القتل) اي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير قاتله ولا يمثل به اذا كان الله ولي نصر ما ولا يقتل الا القاتل وحده وكان أهل الجاهلية اذا كان لاحدهم عز في قبيلة فقتل عبد لرجل من قوم آخر قتل العبد وقالوا لا نقتل به الا حرا فوق حقه حيث قتل ما ليس له قتله (انه كان منصورا) أي الولي بالشرع حيث أوجب له القصاص على القاتل والدية على العاقلة وقيل الضمير للمقتول فالمعنى انه نصره حيث أوجب القصاص على القاتل والدية على العاقلة وقيل الضمير للقاتل فالمعنى انه نصره حيث أوجب الدية على العاقلة وقيل الضمير للدم المفهوم من الكلام فالمعنى انه نصره حيث أوجب القصاص على القاتل والدية على العاقلة وقيل الضمير للحق

منصوبا على الذم أو على ما له وفي الآخر بكسر حطابا وانعكاب النار لحاله وصل الضمير راجع الى ولي المولى ومعناه انه كان مسؤولا على العامل بأن يعاقبه العصاص منه أو الدية وقوله فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المعتدي بالقتل بغير الحق فانه ان قتل ذلك ولي القتيل مسؤولا على معاقبته العصاص منه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تنميته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يعلم القائم بمصالح ماله والالم يسلم اليه الخبر (واوفوا بالعهد) أي الذي أمر الله به والايفاء بالعهد يعم كل عهد وقيل أراد بالعهد ما يلزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤولا) أي عنه وقيل معناه وصل العهد سؤال يسأل فيه هل وفي بشروطه أم لا ﴿ وقوله عز وجل (واوفوا الكيل اذا كلتم) المراد به اتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وسيأتي هل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو العدل هو رومي وقيل سرياني والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم ان الاعداد الحاصل بسبب العصاص الكامل والوزن العدل والوفاء الحاصل عليه سد عظيم وحد على العامل الاضرار بمواشي الناس بحيث لا يقدم الناس على الوقوف في المعاوصات والبيوع السراع السارع بالمنع من الاقدام على العصاص سعيا في اتلاف الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه أمره ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أي ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تعلم رأيا ولا تسمع مسموعا ولم تعلم وقيل هو نهي عن القذف بالباطل وقيل لا تشهد بما لا علم لك بحقيقته وقيل لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل هو نهي عن القول بالظن والتخرص وقيل لا تقل في الناس ما لا علم لك بحقيقته وقيل لا تعب أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تمش بالباطل وقيل هو نهي عن الشهادة بالزور والكذب وقيل لا تكذب في أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه سيسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما عملوه المراد بهذا الاشارة وقيل هذا راجع الى ما قبله أي لا تقف على ما لا علم لك به فان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وعلى القول الاول يرجع الى أن ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد عما عملته الجوارح قال أبو عيسى الترمذي وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث شيء ما نعلم أحدا ذكره في حديث غير هذا الحديث قال وقد أخبرني محمد بن اسمعيل قال قال أبو الوليد الطيالسي قال شعبة لم يرفع هذا الحديث غير عثمان بن مقسم البري وقال حدثنا بحير عن خلف عن حفص عن أبي هريرة ولم يرفعه غير عثمان البري وقال الترمذي وقد روى هذا الحديث عن بحير عن خلف عن حفص عن أبي هريرة ولم يرفعه ﴿ وقوله عز وجل (ولا تمش في الارض مرحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء (انك لن تخرق الارض) أي لن تقطعها كبرا حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر أن تطاول الجبال بتطاولك بل هو أكبر منك ومعنى ان الانسان لا مال أكبر منه وتطوله شاكس بتدحرج الارض ومطاولة الجبال لا تحصل على ما هو الذي عنى به الانسان وقيل معناه على سبيل الفرض والتقدير لو فعلت ذلك لما حصل على الارض أثر ولا على الجبال طول فان ذلك صدر فيه لمن عصى فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفؤا تكفؤ الشمائل في المشي الى قدام وقوله كأنما ينحط من صبب هو بفتح الصاد والباء ويجوز سكون الباء وفتح الصاد أي كأنه نازل من موضع عال وعن أبي هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذي وقوله لغير مكترث

العرسان أي العصاب (المستقيم) المعدل (ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو مفعول من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أي لا تقل رأيت ولم تر وما سمعت ولم تسمع وما لم تعلم وعن ابن عباس لا يرمين أحد أحدا بما لا يعلم ولا يصح أن يستدل به على ابطال الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان العلم هو مرجان وأقام السارع علامات الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كالشهادات وأذن في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) أشار الى السمع والبصر والفؤاد لان أولئك لا يكون اشارة الى العقلاء فكون اشارة الى غيرهم فكمول عز وجل ثم الاول بعد مرفوعه اللوى والعنس بعد ذكر الى الانام وقوله في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه والمعنى ان كل واحد من هذه الاشياء يسأل عنه يوم القيامة فيقال لم فعلت كذا وكذا فيه ما لم يحل له أن يفعله وما لم يؤمر به وما أمر به فلم يفعله وقيل معناه ان كل واحد من هذه الاشياء يسأل عن نفسه هل عمل فيه بما أمر به أو نهي عنه أو لا (ولا تمش في الارض مرحا) أي بطرا وتكبرا وخيلاء (انك لن تخرق الارض) أي لن تقطعها كبرا حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر أن تطاول الجبال بتطاولك بل هو أكبر منك والمعنى ان الانسان لا مال أكبر منه وتطوله شاكس بتدحرج الارض ومطاولة الجبال لا تحصل على ما هو الذي عنى به الانسان وقيل معناه على سبيل الفرض والتقدير لو فعلت ذلك لما حصل على الارض أثر ولا على الجبال طول فان ذلك صدر فيه لمن عصى فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفؤا تكفؤ الشمائل في المشي الى قدام وقوله كأنما ينحط من صبب هو بفتح الصاد والباء ويجوز سكون الباء وفتح الصاد أي كأنه نازل من موضع عال وعن أبي هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أخرجه الترمذي وقوله لغير مكترث

(كل ذلك كان سيئة) كونى وشامى على اضافة سيئ الى ضمير كل (عند ربك مكروها) كرهه ربك لانه منهى عنه فى جميع الاديان والاعتبار بمشيئة الله تعالى كما تقول الزنا سيئة والسرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن وكذلك فرائض السيئة بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك اعطاه معنى عنه خاصة لا تجتمع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وصلاح النفس بأسوه (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الخصال العشر آية كانت فى ألواح موسى (١٦٥) عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر آخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان الوحدة رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمها لم ينفعه حكمة وان تدثرها الحكماء وجللها وحيه السماء وما أعجب عن هذه السلاسة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم حاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار بمعنى أخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) واتخذ أدونهم وهى الاناث وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالله يتعالى ويتقدس أن يكون أرذلها وأدونها للاناث (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث اضفتم الى الله الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم وصفتم عامة أجسامكم حيث تجعلون

اى ساء والاكثر ان الامر الذى تشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اى ما ذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قال سيئه مع قوله مكروها قلت ضم بعضه و باخر بقوله كل ذلك كان مكروها سيئه عند ربك وقوله مكروها على الكثير لا على الصفة أى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة والسوء مذكر ۞ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واحدة فى جميع الاديان والملل لانها فى البسط والانطواء كالكتب حكمة وحكمة هذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا جمع هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وجمهانه والمقصود منه الا شعار على ان كل قول وعمل يحبط أثر كفره التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه أى مع انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يحبط أثر

المبالغة فى البراءة عما نسب اليه ﴿ قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)
يعنى الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسبح بحمده) قال ابن عباس رضى الله عنهما
وقرئ تسبح الحمد والمراد بالشئ كل ما سوى الله تعالى فيدخل فيه السحرة فتسبيحها
دليل على ان السحر ليس بكفر فعلى هذا يكون قوله لا تسبح مالم يقل فاذا قيل ترك التسبيح والاخبار عنه بترك التسبيح
مادامت على السحر فاذا تركت السحر وآمنت بالله تسبح وان الماء تسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان
الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت
التسبيح وقيل وان من شئ جماد أو حى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض الارض وكل الاشياء
تسبح الله حيا كان أو جمادا وتسبيحها استحباب الله وتحميده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا
نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم فى الاناء فقال حى على الطهور
المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء يتبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخارى (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت وانى لاعرفه الآن (ح) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه وفى رواية فمر اليه فاحتضنه
وساق نبى فى هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعانى تسبح السموات
والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء لسان الحال بحسب دلالتها على الصانع وقدرته ولطف حكمته
فكأنها تنطق بذلك وتصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دل عليه الاحاديث وانه هو المنقول عن
السلف واعلم ان الله تعالى علم الجمادات لا يعلمه غيره وهو ان يخلق فيها علما وفهما ﴿ وقوله تعالى
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أى لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح لغتكم ولسانكم (انه
كان حليما غفورا) أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على عصيانكم وسهاكم بالتسبيح ﴿ قوله عز وجل
(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى يحجب قلوبهم عن فهمه
والانتفاع به قال ابن عباس مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت هذه
الآية قالت امرأة أبى لهب لأبى بكر رضى الله عنه صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فما الها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول
يا صاحب لقد بلغنى انك هجوتنى فقال أبو بكر ما رآك رسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها (وجعلنا على
قلوبهم أكنة) أى أغطية (ان يفقهوه) أى لا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا لا يسمعونه (واذا
ذكرت ربك فى القرآن وحده) يعنى اذا قلت لا اله الا الله رأيتهم ولوا على أدبارهم نفورا) جمع نافر
(نحن اعلم بما يستمعون به) اى من اللهو والقرآن وقيل اعلم بالوجه الذى
يستمعون به وهو الكذب (اذ يستمعون اليك) أى حين يستمعون قراءة القرآن (وما هم نجوى) أى وبما
يتناجون به فى امرك وقيل هذا دون نجوى بعضهم بقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول ساحر أو شاعر (اذ يقول الظالمون) يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أى
مغلوبا وقيل مخدوعا وقيل انه سحر فغلب وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل
ويشرب قال الشاعر

ارانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

اى نغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) اى

لا يجد اللعاب أو ليسهل الادراك أو ليسبح الماظر الله والدال على الباري كقائله والوجه الاول
(انه كان حليما) عن خلقه لا يعاجل العاصي بالعقوبة (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أو حجابا
لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذي يستر الشيء
(أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا مانعا عن الاستماع
(واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) بغير شريك (ولوا على
أدبارهم) رجعوا على
أعقابهم (نفورا) صدر
عن الواحد والجمع مثل
كما سبق وهو اى ما يكون
ان ذكر معه آلهة
لانهم مشركون فاما اذا
ذكر وحده نفروا (نحن اعلم
بما يستمعون به) اى حين
هم بالحال او البدل منه
الى يستمعون القرآن به
طامعين فيه او يستمعون
له وهو حال او ظرف لما
هم العرآن هازئين

فلا يستطيعون سبيلا) أي مضوا في جميع ذلك ضلالا من يطلب في السهل طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير لا يدري ما يسمع (وقالوا) أي منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي جددا وخلقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والأرض فإنكم لا تعجزون عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا) بعد كوننا (قل الذي فطركم أول مرة) والمعنى إن كنتم تعدون أن تجددوا الله خلقكم وترده إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما ورفاتا فسيقول لكم العظام بعض أجزاء الحي بل هي عود خلقه الذي يبنى عليه سائر بدنه فليس بدع أن يرد الله تقدير به إلى الحالة الأولى

في جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي إلى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي عدما لموت (ورفاتا) أي ترابا وفتاتا من الرفات الأجزاء المتكسرة من كل شيء يكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فسفه الله تعالى عقولهم أعادتهم بعد الموت والمعنى قال الله سبحانه وتعالى رداً عليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في القسوة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا من الأمر الذي هو أمر تحير أي استحيروا في أنفسكم كما تحار أو حديدا في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والأرض والجبال لأنها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لأنه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأمتناكم ولأعدناكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) أي قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (فسينغضون إليك رؤوسهم) أي يحركونها استهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث والإعادة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم إلى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس يأمره فيقول من قبوركم فتقومون بالحمد لله تعالى فيحمدونه حين لا ينفعهم الحمد ويظنون عند البعث مع الموت ساعة ما لبثتم إلا قليلا (وتظنون إن لبثتم) أي في القبور (إلا قليلا) وذلك لأن الإنسان لو مكث في القبور ألف سنة فإذا بعث ظن أنه ما لبث فيها إلا مقدار ساعة من الدنيا لما يعاين من الأهوال ﴿قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) روى أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن أي لا كافوهم على سفههم بل يردون لهم بحلم كما أمرهم الله تعالى في الآية الأخرى فاصفح الصفح الجميل وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه سمع رجلا من الكفار فقال قاتله الله ما أعمره وقيل أراد الله من عباده المؤمنين أن يقولوا قولا حسنا يدعو إلى الإيمان وقيل هي كلمة لا إله إلا الله (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة ﴿قوله عز وجل (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) أي بتوبتكم الإيمان (أو إن يشأ يعذبكم) أي بكم على الشرك وقد أراد بقوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) من أهل مكة (أو إن يشأ يعذبكم) إن ماتوا على الشرك (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي حفيظا تحفظ أعمالهم إنما أنت داع وما علينا إلا البلاغ (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) أي علمه محيط بجميع خلقه في السموات والأرض وإنما خص السموات والأرض بالذكر لأن كل معجزة ظهرت على يد نبي من الأنبياء عليهم السلام من المسائل والمعاقد فإنما ظهرت بعلم الله تعالى بأحوالهم أحوال صدورهم وأسلافهم وأعقابهم وأدبارهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فكان داود أفضل من سليمان وكان سليمان أفضل من أبيه وكان كل واحد منهم نبيا ملكا وقد آتى الله داود الزبور وهو كتاب أنزله الله على داود فيه حمد لله وثناء عليه وتمجيد له وتقديس وتسبيح وليس فيه حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي ولا حكم بل كله مواعظ وحكم (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب أنزله الله على داود فيه حمد لله وثناء عليه وتسبيح وتقديس وتمجيد له تعالى ليس فيه حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي ولا حكم بل كله مواعظ وحكم

وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان يلزمكم أن ترددكم إلى الحال الأولى (فسينغضون إليك رؤوسهم) فستحركونها استهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث والإعادة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) إلى الحساب وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أي تجيبون داعيكم حامدين ربكم والمعنى تبعثون وتقومون من قبوركم وتقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون إن لبثتم) في الدنيا (إلا قليلا) أي إلا قليلا لاستقصار مدتها أو في القبور (وقل لعبادي) يعني المؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) وإن يقولوا لهم يرحمكم الله (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يوقع بينهم العداوة والشر (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو إن يشأ يعذبكم) بالخذلان حتى يموتوا على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) تحفظ أعمالهم إنما أنت نذير (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) وهو أعلم بأحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالكرامات والمعجزات (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب أنزله الله على داود فيه حمد لله وثناء عليه وتسبيح وتقديس وتمجيد له تعالى ليس فيه حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي ولا حكم بل كله مواعظ وحكم

الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وعلم عدد أمته ولم تعرف الزبور بغير ذلك فدل على أنه الزبور لداود كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو عرض الحي عندهم ناس من العرب ثم أسلم الحي ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأي وصوله أي

سعى من هو (أقرب) منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغيره الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قال يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله ذلك بالطاعة واورد ما الخبر (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يرجون أنهم آلهة (إن عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بأن يحذره كل أحد وإن ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قبل الهلاك بالصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك في الكتاب) أي اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وإن من كل قرية في الدنيا مهلكوها بموت أهلها كما قال وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أو معذبوها بالقتل والسبي والخسف والزلازل وغيرها إما قرى الكفار فبالعذاب وإما قرى المؤمنين فبالموت أو بالفتن وأما قرى الصالحين فبالموت أو بالقتل أو بالفتن أو بالزلازل وغيرها إما قرى الطالحين فبالعذاب وإما قرى الصالحين فبالموت أو بالقتل أو بالفتن أو بالزلازل وغيرها

في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأسماء لوجوه أحدها أن الله تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا ولذلك أن داود أعطي حالة ما قوة الملك فلما ذكر ما الملك وذكر ما آتاه من الكتاب نبه بها على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى كما سلف في الزبور أن يجعل أمة محمد الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث أن اليهود زعموا أن لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية اذكر لهم لكي تتفكروا فتفضل النبيين وكيف يكفرون بفضل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطائه القرآن وإن الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يعادوا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق دل الله تعالى بذلك على نسخ هذه الخطاب مع من يعترف بفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) ودل ذلك أن الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يزعم محمد أن الله عز وجل قال ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلا) أي إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر وقيل الآية الرد على المشركين حيث قالوا نحن لا نعبد الله فنحن نعبد المسيح والملائكة فهم الملائكة منهم الله تعالى الذي ذكره بقوله الأولون فلما سمعوا هذه الآية جمع علي طلاب وهم هذه الآية من عبد آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي القربة والوسيلة أفعال من وسل يسل وأصله وسل يسل وصار بوزن الملائكة والسمع والصوم والصوم وقال قتادة من مسعود لرب هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجن ولم يعلم الإنس بذلك فمكثوا أعصارا يعبدهم نفرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أيهم أقرب) هذا مطروح أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به (ويرجون رحمته) أي الوصول إلى الله بالعمل الصالح وإدخال الخير والطاعة (ويخافون عذابه) وهو ما يحل بالعاصي (إن عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق ﴿قوله سبحانه وتعالى (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقيل للأهل الشقي سوى المؤمن بالإماتة وفي سوى الكفار بالعذاب قال عبد الله بن مسعود الطهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا قال عبد الله بن عباس قال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر وما هو كائن إلى يوم القيامة فإن الله

أخرجه الترمذي في قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وصرفه أن يجري إلى الله فيهم فيرعوا فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن آتي قومك فعلت وإن شئت أن أؤخرهم فعلت قال لا بل تؤخرهم فأنزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات أي التي سألها كفار مكة إلا أن كذب بها الأولون أي فأهلكناهم فإن لم نؤخر قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم لأن من سبق في علمنا أنه إذا سأل الآيات ثم لم يؤمن بعد إرسالها أهلكناه ولا نمهله وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها فأرسلت فأهلكوا واحدة وهي ما قص الله تعالى عن السلام لأن آثارها لا كهم قريبة من حدودهم بصرها صادرهم وواردهم فعقروها (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي بينة (فظلموا بها) أي جحدوا أنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم فكذبوا بها فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) إلا تخويفا (إلا تخويفا) أي وما نرسل بالآيات الأخر نحو السنين وغيرها فإن لم يخافوا وقع بهم ما قد علمناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الأخر مما يدل أنها آيات فإن لم يؤمنوا وقع بهم العذاب (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أي أحاط بأهل مكة أن يقتلوك فامض لما أمرت به ولا تخش أحدا فإنك في عصمة الله تعالى وقيل معناه أحاط بالناس أن يموتوا قبل أن يبلغوا رسالة ربك فلا يقدرون على قتلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) إلا اختبارا من الله عز وجل ليعلم من يصدق ممن يكذب وذلك أن المراد بها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة وجماهير المفسرين وذكر معمر أن قريشا لما أكثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه الآيات فأراه الله ما في السماء والأرض حتى رأى ما في الجنة والنار ثم أخبرهم بذلك وكذبوه كما قال ابن عباس وإذا زادهم تخويفا فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا وهو قوله عز وجل (ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) وقال قوم كان له في المنام مسرى ومعراج ورأى في المنام أنه يدخل مكة ويطوف بالبيت وأراد بذلك عام الحديبية فلما رجع إلى المدينة ولم يدخل مكة عام الحديبية وصد عن البيت ارتاب بعض الناس في ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال الزهري وغيره كان ذلك في اليقظة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أن قردة تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك فما رؤي مستجمعا ضاحكا حتى مات فأنزل الله عز وجل (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) (والشجرة الملعونة في القرآن) أي شجرة

الرقوم الى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام مقبور والله سبحانه أعلم (قال ان أبى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يوعدكم النار وتعدون الخازن مالك ويزعم انه يسلط عليها بعدد خزنة جهنم وتعلمون ان النار تحرق السحر وسئل ابن عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يحدث عن النار ونحن لا نعرف الرقوم الا التمر والزبد وقال أبو جهل لأصحابه تعالوا فرقوا التمر بالزبد ثم قال يا قوم زقوما فان هذا ما يخوفكم به محمد قال الله سبحانه وتعالى حين عجزوا ان تكون فى النار شجرا أجعلناها عذابا للظالمين الآية فان قلت أين وجه تسمية الرقوم فى القرآن قلت لما وصفت بالمقت لعن الكفار الذين يأكلون الا ان الشجر لا ذنب لها حتى يلعن واما وصفت لعن أصحاب الجحيم وصلوا بها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الحكم فى أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عطاء ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والنخل فتجففه (وتخويفهم سائر يدهم) اى التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى عتوا وعنادا عظيما ﴿قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) اى من طين وذلك ان آدم لما مر على الارض عند مولجها من خلق من الجن فهو سعد ومن خلق من الملح فهو شقى (قال) يعنى ابليس (أرأيتك) الكاف للخطاب والمعنى أخبرنى (هذا الذى كرمت على) اى فضلته على (لئن أخرتن) اى امهلنى (الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) اى لأستولين عليهم بالاضلال وقيل لأستولين عليهم بالاغواء (الا قليلا) اى الا من عصمته من الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) اى اخرج (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك وجزاء اتباعك (جزاء موفورا) أى مكملا له سبحانه وتعالى (واستفزز) اى استمل (من استطعت منهم) اى بدعائك (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وكل من أراد صوته الى الغناء والمزمار واللهو واللعب (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى اجمع عليهم كيدك وحيلك واستولهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال للراكب الخيل وللراجل الرجل والمعنى ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وكل من قاتل أو مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه مشورة المال كل مال اصيب من حرام أو انفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا

وهم الكفرة فلانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فوصف طعامهم بالاثم على أهلها على النار ولان العرب تقول لكل طعام مكروه وممقور ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الحكم فى أبعد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو مفعول ثان لخلق على حذف حرف الوصول والعائد تقديره أأسجد لمن خلقته حالة كونه طينا أى أصله طينا (قال أرأيتك هذا الذى) الكاف لا موضع لها لانها حرف للخطاب ذكر لتأكيد هذا ومعمول به والمعنى أخبرنى عن هذا الذى (كرمت على) أى فضلته على وأمرت بالسجود له على من خلقته من طين

(الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته) لأستولين عليهم باغوائهم (الا قليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد والله أعلم المعنى دلائل بالاعلام او الاذن (قال اذهب) لمن تبعك منهم (فان جهنم جزاؤكم) والخطاب لابليس وجنوده (جزاء موفورا) أى وافرا مكملا (واستفزز) استمل واستخف (من استطعت منهم) بالصوت الداعى الى المعاصى (بصوتك) قال ابن عباس بدعائك (واجلب عليهم) صح عليهم (بخيلك ورجلك) الخيل الفرسان والرجل المشاة والمعنى استعن عليهم بكل راكب وماش فى معصية الله (وشاركهم فى الاموال والاولاد) بالحث على جمعها من غير حلها وانفاقها فى غير حقها وبالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتسمية أولادهم عبد الحارث وعبد العزى وعبد شمس ونحو ذلك (وعدهم) ما شئت من طول الحياة وبلوغ الامانى وان لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عقاب (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أى باطلا وقيل خديعة وقيل ما يعدهم الا غرورا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) قال ابن عباس يعنى المؤمنين (وكفى بربك وكيلا) أى حافظا لهم من كيدك (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) يجرى لكم السفن فى البحر (لتبتغوا من فضله) بالتجارة من بلد الى بلد (انه كان بكم رحيما) حيث سخر لكم البحر (واذا مسكم الضر فى البحر) الخوف من الغرق (ضل من تدعون) غاب عنكم ما كنتم تعبدون من دون الله (الا اياه) فانكم لا تدعون حينئذ الا الله وحده لعلمكم بانه لا يكشف الضر غيره (فلما نجاكم الى البر) من الغرق (أعرضتم) عن الاخلاص (وكان الانسان كفورا) لنعم الله تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) أى ناحية منه وجانب كل شئ ناحيته (أو يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصبكم بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يمنعكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) مرة ثانية (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) ريحا تقصف الفلك أى تكسرها (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم نعمة الله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم من الاغراق (ولقد كرمنا بنى آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة والتمييز والفهم والمعرفة وتسخير ما فى البر والبحر لهم وتعليمهم ما لم يعلموا وغير ذلك (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) اللذيذات المستطابات من المآكل والمشارب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) قيل على جميع الحيوانات وقيل على جميع الخلق الا الملائكة وقيل على من تقدم من الامم وقيل على من يأتى بعد فى الجنة (يوم ندعو كل أناس بامامهم) قيل بكتاب أعمالهم وقيل بكتاب الله الذى أنزل عليهم وقيل بنبيهم وقيل بدينهم الذى كانوا عليه فى الدنيا وقيل بامام زمانهم وقيل بالقرآن وقيل بالجزاء وقيل بالكتاب الذى فيه أعمالهم وقيل بالكتاب الذى فيه أعمالهم وقيل بالكتاب الذى فيه أعمالهم

يشفعونه لا آلهتهم ويحرمونه كالحرث والانعام وأما الثالث فكالبحيرة والوصيلة والحام وأما الرابع فروى عن ابن عباس انها الموؤدة ويسمى أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم أولادهم عبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحو ذلك وقيل هو أن يحرموا أولادهم في الاديان الباطلة الكفرية كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب معها وأدخل في فرجها كما يفعل الرجل وروي في بعض الاخبار أنكم معشر بني آدم والخنازير لو كان الجماع كما أمر الله به لما أتى أحد منكم أهله الا ذكر الله تعالى ودعاه أن يجنبه الشيطان وما رزقه فان الشيطان لا سلطان له عليه وروي عن ابن عباس أنه سأله رجل وقال ان امرأتي استعصت وفي رواية سألته ما ترى في ذلك فقال طلقها (وعدهم) أي مهما أمكنه من طاعتك وسهل عليه لهم لا وعدا ولا نعدهم وذلك ان الشيطان لا داعي الى المعصية فلا بد أن يقترن بوعده أو لا نه لا معصية في فعلها الا وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا حساب ولا نار ولا جنة بعد هذه الحياة فيغره ويقول له لا معصية الا في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع مر وعده ان هذا الفعل ليس من أنواع الله والسرور ولا حساب للانسان في الدنيا لانه يهدا طريق الدعوة الى المعصية ثم يدعوه من فعل الطاعات وهو انه قد وعده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب ولا فائدة فيها وهو لي معنى عدهم أي سعاعه الاصنام ما دام الانسان واقفا على العاجل على الآجل فاذا فات كيف يذكر الله هذه الاشياء نصيحة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء فاعلم هداك الله تعالى طريق الهداية كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول العالم لمن يحبه دلك فسري ما بدا لك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أي بريء الباطل كما ان الله حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو واجب عليه وهو وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة وكل ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وطلب الاستعداد الى دعوة الجهاد لا ملاحة معها ولا تحصيل الا بعد مفارقة هذه الدنيا وهي عظيمة واذا حصلت كانت مرغوبة الدهاء والاعضاء وقضاء الوطر والهرم وعند ذلك واذا كانت هذه الاشياء مهددة الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) نعني زيادة الاعداد من أهل الفضل والصلاح لانه لا قدرة على اغوائهم (وكفى بربك وكيلا) اي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس ان يأتي بما قدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا أي فالله سبحانه وتعالى اقدره وأرحمه بما دهوه به مع عجزهم كذا في السماء وساوسه وبعضهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال بارب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال لا سلطة لك عليه الا لمن عصاني قال اذن يزيد سلطاني قال نعم قال الآن فهمت الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي وانا لا أستطيع هذا فقال لا ولد لك الا ولد له من حلال فقال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الآن فهمت يا رب زدني قال التوبة مقبولة ما دام الروح في الجسد قال رب زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بما أغويت آدم وأنا اغويه بالخمر قال فما كيدي قال الوسم قال فمن رسلي قال الكهنة قال اي شيء طعامي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين مسكني قال الحمامات قال فما بيت مجلسي قال الاسواق قال فما حبالي قال النساء قال فما أذاني قال المزمار ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ربكم الذي يزجي) اي يسوق ويجري (لكم الفلك) اي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) اي الطلب والمراد بزجرها الارياح في البحار وغيرها (انه كان بكم رحيما) اي حيث يسر لكم هذه الانواع المصالح وسهلها لكم (واذا مسكم الضر في البحر) اي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) اي ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها (الا اياه) اي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تخطر بالكم غيره لانه القادر على انجائكم وتخليصكم (فلما نجاكم) اي اجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (الى البر اعرضتم) اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) اي جحودا (افامنتم) اي بعد انجائكم (أن يخسف بكم

قال الجامع في معنى قوله ما يلي منهم فيها كان ما وقع في الكتاب المحرف والتغيير (اموالهم) والاشراف وعدم اداء الزكاة والاسراف وصرف الزكاة الى الاولاد بالسبب الحرام والسعي لتعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب والسير بغير اداء العامل على الآجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو بريء من الخطأ عما وهم به صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) بدليل الايمان وأكمل منه قول العصمة ان (وكفى بربك وكيلا) لهم، وكلون به في الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أصح بعد ما عصمه الله وأهله أي لا حيلة لك على ذلك (وكم الذي يزجي) يجري ويسير (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يعني الربح في التجارة (انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر) أي خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه في مراداتكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه أو ضل ما تدعون من الآلهة عنكم اذ لا تكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) اي الكافر (كفورا) لنعم (افامنتم)

الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف بعد ذكر النعوم فانعم كم لك على الاعراض (أن يخسف بكم

حاصبا بحر) [illegible] والحاصل ان الحيوانات كلها في قدرته تعالى وارادته تتلف متى شاء وكيف شاء والارض وكل ما فيها من جبل وبحر وغير ذلك من أسباب الهلاك ليس حاسب البحر وحده بل ان كان الغرق في حاسب البحر فهي حاسب البر الخسف وهو ذهابه تحت البر والغرق ذهابه تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الحيوانات حيث كان (أو يرسل عاصفا) هي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو أن لم يسلكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح (١٧٢) ترسلها عاكم فتهلكم بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) تصرف ذلك عنكم (أم أمنتم ان يعيدكم

حاسب البر) أي تعود والمعنى ان الخسف كالهلاك في حاسب البر ما هو مرسل وهو الخسف لانه يعم تحت البر كما ان الغرق يعم تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصبا) أي عطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي مانعا وناصرا (أم أمنتم ان يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة) أي مرة (أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح السديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (فيغرقكم بما كفرتم) أي بكفركم النعمة وانواعكم حين أنجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم لا تجدون لكم أحدا يطالبنا فينا فعلنا او يصارنا لكم ويدرك لكم الثار من جهتنا او يتبعنا ويسأل معه ما لنا (ولقد كرمنا بني آدم) قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ قال ابن عباس هو ان صورهم بايكون على الارض وقال أنصاريا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وانه لا دابة ترى تحسن صورة ترى الرجال بالليل والنساء بالنهار وقيل تحسن بنو آدم اجمعين والمعاد وقيل تحسن بني آدم في الارض وتسخير لهم وقيل تحسن تدبيرهم امر معاشهم والمعاد وقيل بان منهم حر أمه أخرجت الناس (وحملناهم في البر) أي على الابل والخيل والبغال والحمير (والبحر) أي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من وكد الاكرام لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء وقواهم عليها وعلى مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وقيل رزق عرفهم مما لا يحيى وقيل ان جميع الاغذية اما ان يؤكل ولا يشرب او يشرب ولا يؤكل وغذى الانسان الا بالطعام الجمع بين الغذاء الكامل والصحة التامة ولا يحصل هذا الا للانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال في أول الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا شك ان التفضيل غير التكريم والتفضيل والاكرام والاعزاز ان الله تعالى لما كرم الانسان على سائر الحيوانات بهذه الاشياء المعينة من العقل والخط والفهم اكتساب العلوم المختلفة والاحوال المتفاوتة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الحيتان كلهم الا على طائفة من الملائكة يسمون الحرتيل وهم كالبراذين وقيل هم كالبغال وقيل رؤساء الملائكة وقيل فضلهم على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف يصح هذا مع قولك بوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وكقولهم وفي الحديث عن جابر رفعه قال لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الملائكة يرحمك ربنا فكان أول ما أكلوا ويشربون ويتمخطون فاجعل لهم الدنيا والآخرة فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل الفضل هنا هو الاول وهو الراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا الفضل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا

الرسد أنه أحضر طعاما دعا الملائكة وعد أبو يوسف رحمه الله فعال له ما عنى بقسم حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما وعملوا قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم حملناهم في البر على الدواب وكل ما صار به (وحملناهم في البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) بالذبائح أو بما كسبوا بأيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أي على الكل كقوله واكثرهم كاذبون وقال الحسن أي كلهم وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وقيل معناه السلام الذي اكرم الله به الملائكة هو لهم خاصة ولبني آدم عموما فصار لهم بعض الفضل وفي الآدميين كلهم من عمل

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده ﴿ قوله عز وجل (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) أي نبيهم وعمل كتابهم الذي أنزل عليهم وقيل كتاب أعمالهم وعن ابن عباس بإمامهم الذي دعاهم في الدنيا إما إلى الهدى وإما إلى الضلال وذلك أن كل قوم يحشرون إلى رئيسهم في الخير والشر وعمل عند ودهم وقيل بأمهاتهم جمع أم سمي بأمهاتهم والحكمة فيه وعيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا تفضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرءونه أجاب القرطبي أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مساوئ كانوا عازمين على فعلها لكن الله تعالى يذهل قلوبهم حتى لا يتذكروها فيكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤونه أحسن قراءة وأتمها (ولا يظلمون فتيلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد بالعمى العمى عن البصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم يعاين ولم ير (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس ومن كان في هذه الدنيا أعمى العلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤيته الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وأبعد منالا ومن كان في الدنيا كافرا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا يعمل بوحي الآخرة لا يرى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليفتنونك) نزل عن الذي أوحينا إليك في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود كلما مر بهم وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه مما على أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره وإن دعوني أستلم الحجر وهو لها حتى أذكر آلهتهم حتى يستلموا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس مدحوه ثم رجوه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن إسحاق همت ركانة بن عبد يزيد وكان أشد قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا وأراد منا علي أن نعطيه آلهتنا ثم نعطيه ما سأل ثم يبدو له فلا يأتينا بعد فأنزل الله تعالى فيه ما هم قاله الأخفش في الصلاة أي لا تجهر بها ولا تخافت بها واتبع بين ذلك سبيلا من غير أن تجهر جهرا يسمعه المشركون ولا تخافت بها فلا يسمعك أصحابك نزلت قبل أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال وقيل نزلت في الأعراب الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبني المسجد أجعل لنا يا محمد مدرا كمدر الطائف حتى نسكنه فإنا نكره أن نصلي في مدركم هذا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن يكون في الحرم إلا الله أو مصل فقالوا فاجعل لنا منه شيئا فقال لكم منه ما دون الحرم فلما دنوا من بيوتهم رجعوا إلى قومهم فقالوا إن محمدا قد أحل لنا بلده فأنزل الله تعالى وإن كادوا ليفتنونك (ليستفزونك) ليزعجونك (من الأرض) أرض مكة بعداوتهم وحسدهم (ليخرجوك منها) وقد فعلوا ذلك بالفعل فأخرجوه فلم يلبثوا بعده إلا قليلا ثم أهلكوا ببدر (وإذا لا يلبثون خلافك) أي بعد إخراجك (إلا قليلا) أي لو أخرجوك لأهلكهم الله تعالى كما أهلك من كان قبلهم من الأمم الذين أخرجوا أنبياءهم وقد فعل ذلك بهم يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي سنة الله فيمن أرسلناه قبلك من الأنبياء أن نهلك أممهم الذين أخرجوهم من بين أظهرهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي تبديلا وتغييرا ﴿ قوله عز وجل (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي لزوالها عند أكثر المفسرين وقال الأزهري دلوكها غروبها وقال الليث دلوكها ميلها للغروب وقال الفراء دلوكها ذهاب نورها عند الغروب وقال الأخفش دلوكها طلوعها (إلى غسق الليل) أي ظلمته وقيل إقبال الليل وقيل أول الليل وقيل نصف الليل (وقرآن الفجر) أي صلاة الفجر سميت قرآنا لأن القراءة ركن فيها وقيل لأن القرآن فيها طويل (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل يشهده المصلون من الفريقين وقيل يشهده الله تعالى بالرحمة والمغفرة وقيل يشهد بالثواب والقبول (ومن الليل فتهجد به) أي فتنفل به والتهجد لا يكون إلا بعد نوم وقيل هو النوم بعد الصلاة وقيل هو الصلاة بعد النوم وقيل هو الصلاة بعد العشاء الآخرة (نافلة لك) أي فريضة زائدة عليك وعلى أمتك وقيل إن الصلوات الخمس فرضت عليه وعلى أمته ابتداء فكانت نافلة له وفريضة عليهم ثم فرضت عليهم فصارت فريضة عليه وعليهم وقيل إن الله تعالى فرض على نبيه صلى الله عليه وسلم قيام الليل فكان فرضا عليه ونافلة لغيره لأن قيام الليل لغيره تطوع وكفارة لذنوبه وزيادة في درجاته

أي لو ضعف ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعنا من عذابنا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض لخرجوك منها) نزل هذه الآية مدنيا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وحسدوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمنا ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان منها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء فعلمنا من الخبر توجه الروم وإن الله سيمكنهم من الروم وإن كنت رسولا فهاجر إلى الشام فغزا النبي صلى الله عليه وسلم على إثره أميال من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى جمع الله أصحابه فخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها كما هم الله عنه حتى أمره بالخروج فخرج وهذا أولى بالآية لأن ما نزل بمكة من أهل مكة والسورة كلها مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجماعهم وتظاهرهم على منع الله رسوله وليراوا منهما أملوه والاستمرار الارتياح (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا لأحيى يهلكوا ۞ قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي تبديلا ۞ قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلوة لدلوك الشمس) روي عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللغة يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والجمل على الزوال أولى لأن كثيرا من الناس إنما يؤدون الصلاة إذا غابت الشمس وهذا أول وقت صلاة الظهر والعصر (إلى غسق الليل) أي ظهور ظلمة وقال ابن عباس بدو الليل وهذا أول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز إلا قرآنا (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار (ح) عن ابن هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم إن قرآن الفجر كان مشهودا قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذا دليل قاطع قوي على أن القياس أفضل من النص لأن الإنسان إذا شرع فيها في أول الصبح في ذلك الوقت المظلم فإنه يكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا أدام على الصلاة بقي إلى ظهور الضوء وتكاثر الظلمة وظهور الضوء وحضور ملائكة النهار فإذا أدام هذه الصلاة في وقت الإسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا تحصل المعية المذكورة في الآية فثبت أن قوله تعالى إن قرآن الفجر كان مشهودا دال على أن الصلاة في أول وقتها أفضل ۞ قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد المنام ومن النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت

أي لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعنا من عذابنا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض لخرجوك منها) نزل هذه الآية مدنيا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وحسدوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمنا ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان منها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء فعلمنا من الخبر توجه الروم وإن الله سيمكنهم من الروم وإن كنت رسولا فهاجر إلى الشام فغزا النبي صلى الله عليه وسلم على إثره أميال من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى جمع الله أصحابه فخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها كما هم الله عنه حتى أمره بالخروج فخرج وهذا أولى بالآية لأن ما نزل بمكة من أهل مكة والسورة كلها مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجماعهم وتظاهرهم على منع الله رسوله وليراوا منهما أملوه والاستمرار الارتياح (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا كما قال عز وجل أهلكوا من بعد إخراجه قليل أو معناه ولو أخرجوك لاستوصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوك بل هاجر بأمر ربه وسئل عن أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم إخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وانتصب انتصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس)

أي لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعنا من عذابنا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض لخرجوك منها) نزل هذه الآية مدنيا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وحسدوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمنا ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان منها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء فعلمنا من الخبر توجه الروم وإن الله سيمكنهم من الروم وإن كنت رسولا فهاجر إلى الشام فغزا النبي صلى الله عليه وسلم على إثره أميال من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى جمع الله أصحابه فخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها كما هم الله عنه حتى أمره بالخروج فخرج وهذا أولى بالآية لأن ما نزل بمكة من أهل مكة والسورة كلها مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجماعهم وتظاهرهم على منع الله رسوله وليراوا منهما أملوه والاستمرار الارتياح (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا كما قال عز وجل أهلكوا من بعد إخراجه قليل أو معناه ولو أخرجوك لاستوصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوك بل هاجر بأمر ربه وسئل عن أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم إخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وانتصب انتصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس)

لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أولها ووسطها وعلى هذا تخرج الظهر والعصر (إلى غسق الليل) هو الظلمة صلاة وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سمي قرآنا لطول قراءتها وهو القراءة لركوعها وسجودها وهو تجمعه على الأصح سمي ذلك لأن القراءة فيها ركن (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهد الملائكة الليل النهار وقيل تشهدها ملائكة الليل والنهار (ومن الليل) وبعض الليل (فتهجد) أي تنفل (به) بالقرآن

صلاة الليل فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب باقيا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (بافلة لك) أي زيادة لك بريد بذلك نصوصا زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك وروي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة وقسام الليل بافلة لان الله سبحانه وتعالى قال بافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان المواظبة كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له بافلة وزيادة في رفع الدرجات

(فصل) في الاحاديث الواردة في وقت الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (م) عن سعد بن هشام الجهني قال لا رمضان سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وسيذكر بتمامه أو وسطا منه ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر وذلك بثلاث عشرة ركعة الخ (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا فقالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة فربما سجد بقدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (ح) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين *عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ آل عمران ثم قرأ سورة سورة أخرجه أبو داود والنسائي *عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويحيي آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج *عن ابن عباس قال ما كنت أدري رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته أخرجه النسائي زاد في رواية عمر قال وكان يصوم من السنة حتى نقول لا يفطر منها شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منها شيئا ﴿وقوله عز وجل (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اختلف المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى عند الاطماع ومن أطمع انسانا ثم حرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من ان يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فهو المقام المحمود وهو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك يستغيثون بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا

(بافلة لك) عبادة زائدة على الصلوات الخمس وضع بافلة موضع نافلة لان النافلة هي العبادة الزائدة وكان الباقلاني يجمعهما معنى واحدا والمعنى أن الله عز وجل خصه بذلك على الصلوات المفروضات من صلاة أو زكاة أو غيرها لما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يقيمك ربك يوم القيامة فيما لك مقاما محمودا أو نصب على المصدر بفعل محذوف تقديره يبعثك فيقوم مقاما محمودا وهو مقام الشفاعة عند الجمهور وقال بعضهم الاجلاس على العرش وهو مقام بعيد

الله تعالى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ويقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأمر الملائكة فسجدوا لك علمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتي فأستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم يلهمني الله محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله وهو نوح أي يجمع الهم والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا أهبط منه الى الأرض وأكن اذكروا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله وأكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا وأكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال ارفع محمد وقل تسمع سل تعط اشفع تشفع فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول أمتي يا رب أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل فلما خرجنا من عند أنس قلنا لبعضنا لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك عند فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة فقال هيه فحدثناه الحديث فانتهى الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزد لنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ مجمع مذ عشرين سنة كما حدثكم فلا أدري أنسي بعد أم كره أن يحدثكم فتتكلوا قلنا فحدثك فضحك وقال خلق الانسان عجولا ذكرته شيئا ذكرت به شيئا أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله وهو نوح سمي بذلك لكثرة نوحه أي يجمع الهم والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت ذنبا أهبط منه الى الأرض وأكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله وأكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا وأكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال ارفع محمد وقل تسمع سل تعط اشفع تشفع فأقول أمتي يا رب أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل فلما خرجنا من عند أنس قلنا لبعضنا لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة فقال هيه فحدثناه الحديث فانتهى الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزد لنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ مجمع مذ عشرين سنة كما حدثكم فلا أدري أنسي بعد أم كره أن يحدثكم فتتكلوا قلنا فحدثك فضحك وقال خلق الانسان عجولا ذكرته شيئا ذكرت به شيئا أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل ت

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) هو معنى قوله أي أدخلني المدينة ادخالا مرضيا تعلم به ظهوره من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني من مكة عند إرادة الهجرة إخراجا مرضيا تعلم به ظهوره من المكاره وما يخافه (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرني على من خالفني وإنكاري عليه وما يخافه الإسلام على الكفر ومظاهرة أهله

عليه وسلم فقال ما معناه محمود فقال سلمان ليس على أنس عن هذه الكلمة فاحمد الله بمحامد يفتحها علي ثم قال من هذا فيقال محمد فيقول لي ويقولون مرحبا بأخي وصاحبي ادخل يا محمد وسل تعطه واشفع تشفع وقل نسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ق

(وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (إن الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا في كل أوان (وننزل) بالتضعيف أبو عمرو (من القرآن) من للبيان (ما هو شفاء) من أمراض الغلوب (ورحمة) وتعريج للكفر والمعاصي (للمؤمنين) لمن آمن به وعمل بما فيه (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (وإذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض من السيء أن يوليه عرضه وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ونواحي ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين أي بالغ في الاعراض (وإذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) على طريقته ومذهبه التي يشاكل حاله في الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد طريقا وأصوب منهاجا (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي من أمر يعلمه الجهور على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأجيبوا بأنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة لقد مشيت مع النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح أحد غيري وقد يحرب الاوائل عن ادراك ماهيته لقعودهم عن الاعتبار الطويل على الخواص وقد راجع لحكمة في ذلك يقصر العقل عن ادراك معرفته بحلول جاور له لدل على انه غير ادراك حالة غير ولا يرد ما فصل في حديث آخر وهو ان كل انسان يجمع ذرة من الحيوان وذرة من جوهر خلق عظيم وهو الذي أعظم من الملك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام يأتيه الروح الامين على ملك وعن الحسن القرآن دلالة وكذلك أوحينا اليك روحا (ن) من امرنا ولان به حياة القلوب ومن أضافه الى نفسه كما مر لم يرد أن يسأله عن اضافة الكيف وعن ذي القرنين عن الروح فأمسك عن الكلام فلم ير أن أجابه عن ذلك فلعل بعض ما يعلمه الله من أمر الروح وجه من الحكمة في الامساك عن الجواب وقيل سألوه عن الروح الذي يقوم به الحيوان فقيل لهم ان الروح وجد بأمر الله وقيل سألوه عن الوحي فقيل لهم ان الوحي من أمر الله (ن) قوله لا يرجع الى يوم القيامة الخ وأما كونه من الامراض الخمسة الخ وإذا أنعمنا في الله

الصالحات لمستحقيهم في الارض الآية ۞ قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي الشرك والشيطان (إن الباطل كان زهوقا) أي مضمحلا معدوما يدل على ان الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ن) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۞ قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن اما للجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء أي ناس من الضلالة والجهالة بما يحملهم عليه ويصحبه المشكل ويستدعي به من المعصية وهو الذي يعرفه العلماء بالخبرة وهو شفاء القلوب وزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك (٣) لانها منقسمة الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاسدها مثل الاعتقادات الفاسدة في الله وفي الصفات والسوآت والمعاصي والعدو والاعتقاد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على الامر بمكارم الاخلاق والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعراض عن الاخلاق المذمومة فالقرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان البرء بعد الله تعالى روح كثير من الامراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لان الظالم لا يعتقد به والمؤمن يعتقد به فكان رحمة للمؤمنين دون الظالمين وقيل لان كل آية تنزل تصدقهم وتكذبهم فيزداد خسارهم قال مقاتل ما جالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان فشفاء الله الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ۞ قوله سبحانه وتعالى (وإذا أنعمنا على الانسان) أي بالصحة والسعة (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أي باعد نفسه وبرأ العرب الدعاء والثناء والتكبر والتعظم (وإذا مسه الشر) أي الشدة والضر (كان يؤسا) أي آيسا وقنوطا وقيل معناه يصير عند وقوع الشدة والبلية داعيا بحرب الاجابة من قولهم أن يدع الدعاء ولو بحرب الاجابة ۞ قوله عز وجل (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقال الكلبي على طريقته أي على طريقته التي هو عليها وهو موجه آخر وهو أن كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه وان كانت نفسه في أصل فطرتها طاهرة صدرت عنها أفعال حسنة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه مكدرة بصفات ذميمة صدرت عنها أفعال سيئة وأخلاق رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أوضح طريقا وأحسن منهجا ۞ قوله سبحانه وتعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

(٣) قوله لا يرجع الى يوم القيامة الخ وأما كونه من الامراض الخمسة الخ وإذا أنعمنا في الله

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عسيب معه نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لعله يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح فسكت قال فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مكاني فلما نزل الوحي قرأ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قراءتنا يومئذ العسيب جريد النخل وسمعته وقال ابن عباس إن قريشا قالوا يا محمد تزعم أنا لا نعلم وقد أعطيت التوراة ومن يؤت التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يعلم ما في التوراة إلا قليل ممن يقرأ التوراة ويعلم ما فيها فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية وقال ابن عباس إن قريشا قالوا يا محمد تشافه اليهود والنصارى وما يأتيك إلا رجل مخبول فاذهب فاطلبه وانظر إلى اليهود بالمدينة واسألهم عنه فإنهم أهل كتاب قد وجدوا نعته وصفته في كتبهم فقال اليهود سلوه عن ثلاث أمرنا بهن موسى فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن واحدة وهو بريء فاسألوه عن رجل طوف في الأرض الأول ما كان من شأنه فإنه كان له حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون محمد وعدنا وقد أصبحنا الغد ثم راح عنه جبريل حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وبرل في قصة أصحاب الكهف والروم كانوا أمة من أهل الكتاب اعتزلوا من بلغ المشرق والمغرب بقوله ويسألونك عن ذي القرنين وبرل في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من ربي واحد الهواء الذي يقوم السوا عنه وروى عن ابن عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم أنهم أيدي وأرجل ورؤس وليسوا ملائكة ولا يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبلع السموات والأرض ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل دلك صورته خلقه على صور الملائكة وصور وجهه على صورة وجه الآدمي يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة وأشدهم تسبيحا وأقربهم إلى الله تعالى يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل الجنة وإن لله تعالى سبعين ألف ملك سبعون ألف من نور لا يعرف أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لأن الله تعالى سماه روحا ولأنه به تحيا القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي به تحيا الإنسان وهو أصح الأقوال ردكم قوم في ماهية الروح وقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يخرج منه شيء إلا الدم وقال قوم هو نفس الحياة وأن بدليل أنه يقال ذهب بنفس الإنسان أي دمه وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الإنسان وقيل الروح معنى يتميز به الإنسان والبهائم والعلم عند الله تعالى ما ترى أن الإنسان إذا كان موجودا تكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات وإذا خرج منه شيء من الكل وقال قيل الحكمة والصورة هي ماهية الروح كذا وليس بشيء وإنما وضع اسم مصباحها وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي الآية وقد دل على أن الروح مخلوق لأنه قال من أمر ربي ولا يدل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي أمره به (وما أوتيتم من العلم) أي من علم ربي (إلا قليلا) أي في جنب علم الله عز وجل وقيل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فرد الله عليهم أن علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل إن الآية مكية والكفار يومئذ لا يؤمنون بالقرآن فخوطبوا بما يؤمنون به من الكتب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى أنكم لا تحيطون بعلم الله بل علمكم قليل بالإضافة إلى علم الله تعالى وقيل معناه ما أوتيتم من العلم إلا قليلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) أي لنمحون حتى لا يبقى منه شيء في القلوب ولا في المصاحف ولم يرد له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به علينا من يوكل علينا بما سردناه وأعدناه محفوظا مسطورا

من أمر ربي دليل على أن الروح مخلوق هذا هو الصواب (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الخطاب عام وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن خصصنا بهذا الخطاب أم أنت وقومك فقال بل نحن وأنتم لقد أوتينا من العلم الأقل ولكن هو خطاب لك وحدك خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم عند أول ورود الوحي عليه ألم يزعم ربك أن قد آتاك التوراة وفيها الحكمة وقد أوتي خير كثيرا كما ذكرناه قبل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى والكثرة من الأمور الإضافية فما حكي عن بعضهم أن الذي أوتيه قليل في نفسه إلا إذا أضيف إلى علم الله تعالى فمن قلة علم الله على نعمة الوجود عراه بالصغر على أدنى الحال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) لنذهبن جواب قسم محذوف وهو مع جوابه جواب الشرط واللام الداخلة على إن وما بعدها للقسم والمعنى أنا قادرون على أن نمحو ما في القرآن من الصدور والمصاحف فلم يبق له أثر (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يوكل علينا بما سردناه وأعدناه محفوظا مسطورا

عليك واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك) معناه الا أن يرحمك ربك فيرده عليك وفضله هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى بابقاء القرآن محفوظا فان كيفية بقائه القرآن وهو كلام الله غير محل حالت الرادة محو ما في المصاحف وذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا يقوم الساعة حتى يرفع قبل هذه المصاحف يرفع فكيف بما في صدور الناس قال نسري عنها فلا يقرأ ما في صدورهم فيصبحون لا يجدون شيئا ولا يحدثون بما في المصاحف سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن عمر بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل يقول الرب مالك فيقول مالي أتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) اي بسبب ايتاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وحسم الشيطان عنك واعطائك المقام المحمود ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا لرب حتى قال المشركون لو شاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل في القرآن مخبرا في العالم والمتعلم والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا به ﴿ قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وما فيه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما سمعوا اخبار القرآن وانشقاق القمر بمكة وانهم لما سألوا أحبارهم اليهود عنه قالوا لهم سلوه عن ثلاثة أشياء عن فتية ذهبوا في الدهر الاول لا يدرى ما كان أمرهم وعن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها أين بلغ من أثر ذي القرنين وعن الروح فان أجابكم في ثنتين ولم يجبكم في الروح فليس بنبي فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذلك فقال ائتوني غدا أجبكم ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه ثم نزل عليه سورة أصحاب الكهف وفيها جواب ما سألوه عنه وقوله تعالى (ينبوعا) أي عينا

الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى بابقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في انزاله وتحفيظه ورتلناه ترتيلا لنقرأه على الناس على تؤدة وتمهل (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولو للالتزام الموطئة لمجاز أن تكون جوابا للشرط كقوله تقول لا عاش مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وبالغيب فيه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانكارا أي أكثر الناس الا كفورا ولم يحسنوا الا ذلك أي مع ما رددنا لهم من الحجج والبينات كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما سئلوا اخبار القرآن وانشقاق القمر بمكة وغير ذلك من الآيات (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) عينا

(أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا للجمع بينه (الأنهار خلالها) وسطها (تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت) (كسفا) بفتح السين مبنى وعاصم أي قطعا يقال أعطني كسفا من هذا الثوب وسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعني قوله أن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول ساهذا نحو المعنى لو تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقوله كتب مسطورا الذي يرانا ومقابلا كالعشير يعني المعاشر ونحوه ولولا أن على الملائكة تأويلا وما أو جماعة حالا من الملائكة (أو تكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد إليها (ولن نؤمن لرقيك) لأجل رقيك (حتى تنزل علينا) والتخفيف أبو عمرو (كتابا) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه)

هذا ولكن الله تعالى يسير وبديع فإذا قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك فأنزل الله تعالى قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا فما وجه اقتراحهم هذه الآيات بعد ما شاهدوا انشقاق القمر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفجر الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل مرارا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعا (أو تكون لك جنة) أي بستان (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) أي تسعى (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيل أي يأتون قبيلا قبيلا يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم عيانا (أو تكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقيك) أي لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمر بأن يسأل عليا وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) أعجب ربي مما قالوا ومحمد وجه معنى التعجب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أي كسائر الرسل لا ملكا ولا من جنس آخر وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا عند ظهور الآيات عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما الأمر وليس ما سألهم في طي البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يعني من هذا كله بل القرآن وانشقاق القمر وتسبيح الطعام من أصابعه وما سوى ذلك من الآيات وليست بدون المعجزة بل هي أدل منها لأن القرآن معجز والقوم عاجزون عن معارضته ولم يكن تعنتهم طلب الدليل لأن الله تعالى قد أزال عللهم بما أتاهم من الآيات ولكن تعنتهم وعنادهم ﴿وله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم الا سفاهة تحكموا في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (إلا أن قالوا) أي جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) ودل بأن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لا لما في نفسه وهو لا يعجز الله سبحانه وتعالى شيء ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على أني رسوله إليكم وأني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنتم كذبتموني وعاندتموني فسيجازيكم على ذلك (إنه كان بعباده) يعني المؤمنين والكافرين (خبيرا) عالما بأحوالهم (بصيرا) بأعمالهم فيجازي كلا منهم بما يستحق وعند الإكفهار

(١) قوله في قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وما أكثر هؤلاء الكلمات عند الله لأن الله سبحانه وتعالى أضاف الرسول إلى الرب الذي هو إليه أولى بالإضافة اهـ وهي ظاهرة اهـ مصححه

(ومن يهد الله فهو المهتد) والياء يثبت وصلا ووقفا أبو عمرو ويثبت في الوصل أبي من وشاء الله ثبوتا كما مر (ومن يضلل) أي ومن يحدله ولم يحصل له توفيق وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي انصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على (١٨٢) ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا يستطيعون نافعا

عالما بأحوالهم فهو مختار بهم ومهديهم إلى صلى الله عليه وسلم وعدلا كفار (ومن يهد الله فهو المهتدون يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي يهدونهم ومنه نصب إلى صلى الله عليه وسلم وهو الذي حكم لهم بالاهتداء والهداية وحسبان أنهم مهتدون ثم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن يعدلوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله الذي يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذي الحدب كل ما ارتفع من الأرض (عميا وبكما وصما) أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون قال قتادة كما وصفهم الله بهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ورأوا قال معناه علموا وعرفوا أنهم لا يجدون عنها مصرفا وقال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة مما لا يسعون ما يسرهم الوجه الثاني في معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم يعاد إليهم هذه الآفات التي كانت في الدنيا الوجه الثالث في معناه هو أحد ما قال لهم احبسوا فيها ولا يتكلمون ولا يبصرون أجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (ماواهم جهنم كلما خبت) أي سكن لهبها وضعف وهذا أشد من عمى أن لو حدث بعضان في الدنيا لأن الكفار لأن الله سبحانه وتعالى قال لا نزيدهم إلا سعيرا وقيل معناه أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أي وقودا وقيل كلما خبت طفئت جددنا لهم

على بني اسرائيل وهن الحسن الطوفان والسمون والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل) فقلنا له سل بني اسرائيل أن يذهب معنا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وقيل معناه فقلنا له سل بني اسرائيل عما جرى بينك وبين فرعون حتى آمنوا بك وصدقوك وقيل سؤالهم أن يرسل معهم ويطلق لهم الخروج إلى الشام وقيل سؤالهم أن يعلمهم علوما لم يعلمها غيرهم وقيل سؤالهم أن يحدث لهم شريعة يعملون بها وقيل سؤالهم أن يعلمهم اسم الله الأعظم (إذ جاءهم) أي لما جاءهم موسى (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) أي مسحورا فعول بمعنى مفعول من السحر الذي هو التخييل أو بمعنى ساحر من السحر الذي هو القوة لأنه يفعل بقوته أو من السحر الذي هو الرئة لأنه يأكل ويشرب فهو بشر مثلنا (قال) أي موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خالقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لا لبس معاندة وتحدوا بها واستعصاها أنه سهم طلما وعلوا عتيا أي إني لست مسحورا كما وصفتني بل أنا عالم بحقية الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض لم قارع طبله بقوله (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) كاذبا قال أبو عبيدة ظننت بمعنى علمت وقال الفراء ظننت أصح من ظننت لأنه أمارة ظاهرة (١٨٣) وهي إنكارك ما عرفت صحته

صارا بحرين والماء قائم بحاله وقد صار بحرا وروي أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يحب أن يكون أعمى منهم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فإذا هو ضفادع مكسر الصاد وحورمكسر الصاد وبوم وحمص وعدس كلها محارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الأحكام لدلالتها على ما روي عن صفوان بن عسال أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل له نبي فإنه لو سمع صار له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية وعن الآيات تسعا موسى تسع آيات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يده ورجله وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود (فاسأل) يا محمد (بني إسرائيل) نحو الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون بمعنى قل وأمره بالسؤال لزيادة تقريرهم مع علمهم (إذ جاءهم) يعني جاء موسى إلى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل ملعونا وقيل مجنونا ساحرا من قولهم لمن أصابه الغشي عند نزول الوحي قد أخذ السحر يريد أن الملائكة حالت بينه وبين عقله (قال) موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) يعني الآيات التسع (بصائر) أي بينات (وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقال الكلبي مغلوبا وقال الفراء هالكا (فأراد أن يستفزهم من الأرض) يخرجهم منها (فأغرقناه ومن معه جميعا) في اليم (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئنا بكم لفيفا) أي جميعا من قبوركم للحساب والجزاء يقال جاء القوم لفيفا أي مختلطين بعضهم ببعض (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني ما أنزلنا القرآن إلا بالحق الذي فيه أمرنا ونهينا ووعدنا ووعيدنا وما نزل على الرسول إلا بالحق الذي فيه حلال الله وحرامه وما نزل على الرسول إلا محفوظا بالملائكة من الشياطين وما نزل على الرسول إلا وقد علم الله أنه يحق أن ينزل بالحق ويقع به

(إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا أي أعرض عنهم فإنهم إن لم تؤمنوا به ولم تصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلي عليهم خروا سجدا وسجدوا لله تعظيما لأمره ولما قاله وعدا في الكتب المنزلة وبشر به من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور إن معنى إنه وهي تؤكد العمل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت إن باللام في اسمها تخصص أكدت بالام في فعلها (ويخرون للأذقان يبكون) ومعنى الخرور الدقن السقوط على الوجه وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر (١٨٤) لوجهه ولذقنه - أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه وجهه للخرور وخصه به اد

اللام للاختصاص وكرر يخرون للأذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلوبهم وطمأنينتها عن قساوة (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعوا أبا جهل يقول يا الله يا رحمن قال إنهم زعموا أنا ندعو إلها آخر وليس معنا إلا إله واحد فكيف يجمع لنا إلهين فأنزل الله هذه الآية وعلم أن أهل الكتاب قالوا إنما نذكر الرحمن وهو ذكر الله وحده فأنزل الله تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين أنكروا اسم الرحمن وقالوا ما نعرفه إلا لمسيلمة الكذاب باليمامة أيا ما تدعوا من الأسماء الحسنى فله الأسماء الحسنى أي هذين الاسمين كما تقول أيا ما تكرم أكرمك فأكرمك جواب الشرط وما زائدة للتأكيد وأو هما تدعوا فحذفت إحدى الواوين لالتقاء الساكنين وهو قول الأخفش وقال الفراء والكسائي وأبو عبيد وأيا ما تدعوا منصوب بتدعوا وفيه معنى الجزاء والمعنى أي هذين الاسمين دعوتم فهو حسن كقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت (فله الأسماء الحسنى) والتأنيث يرجع إلى معنى الأسماء لأن معناها أي اسم من أسماء الله تعالى

والهاء لا محل لها من الإعراب والأسماء الحسنى لا تكون إلا مؤنثة إلا أن يشذ شاذ كقولهم يا طلحة لا تفعل ذاك وقال الفراء والكسائي وأبو عبيد وأيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسن أيا ما تدعوا على أن كلها حسن هذان الاسمان لأنهما أشهر أسمائه ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها أدل على معاني التعظيم والتقديس والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لرسوله ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا أي اقرأ في ما بين الجهر والمخافتة فيسمع من أراد أن يسمع من أصحابك ولا تسمعهم من أراد أن لا يسمع منهم (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت في الدعاء (ق) عنها كان أعرابي إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم أرزقه مالا وولدا فأنزل الله عز وجل لا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك ولا تخافت بها أصحابك (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والإخفاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك قال إني أسمع من ناجيت قال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك قال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان قال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمد

بطلان الذين قالوا معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعده مثل يزيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للأذقان) قال ابن عباس أراد بالوجوه (سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لأمره ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لأمرهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلوب وطمأنينة عن قال الكلبي سمعت عدة من أصحابنا يذكرون القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في مجرى دمع أبدا الوضوء الخشوع والمخبر الأشعث عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عباس لأبي سفيان لأعرفن كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها فقال أبو سفيان لا أدري غير أني رأيته يحرك شفتيه بشيء فقال لعله قال كذا فقال عباس نعم فقال أبو سفيان هي والله إنها لكلمة العرب فقال عباس فما تعدون في أنديتكم فقال أبو سفيان نتحدث ونتناشد الشعر على عهد من مضى فقال عباس ليست بتلك أخرجه الترمذي

قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال لو جهل أن محمدا يعرف ربه بأكثر مما نعرفه ما عاب آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية وعلم أن اسمين لله تعالى فصاعدا فهو الله أو هذا الاسم (أيا ما تدعوا) ما صلة ومعناه أي هذين الاسمين ذكرتم ومن جميع أسمائه (فله الأسماء الحسنى) يعني إذا حسب أسماؤه كلها فهذان الاسمان لها ومعنى كونها حسنى أنها سهلة على معاني التقديس والتعظيم والمجد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لرسوله ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا أي اقرأ فيما بين الجهر والمخافتة فيسمع من أراد أن يسمع من أصحابك ولا تسمعهم من أراد أن لا يسمع منهم (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت في الدعاء (ق) عنها كان أعرابي إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقه مالا وولدا فأنزل الله عز وجل لا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك ولا تخافت بها أصحابك (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والإخفاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك قال إني أسمع من ناجيت قال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك قال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان قال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمد

على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وهو قول كل من له ولد وهو يستحق جميع الامر لولده وانه لم يكن له ولد أفاض نعمه على عباده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يبقى على جميع العوائض وهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والشريك في هذا هو الصنم الذي له كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر ينصره (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن ان يكون له ولد أو شريك أو ولي وصل اذا كان شريكا ناصرا لان الولد والشريك الولي كل منهم يحتاج الى دفع أنواع الضعف عن نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن عمرو بن شعيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم مراده وأسراره كتابه

(تفسير سورة الكهف)

وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) اي الله سبحانه وتعالى على عباده بانعامه على خلقه وعلمه اياه كما يدل عليه ما بعده وهو الحمد لله على أجل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أي لم يجعل له شيأ من العوج نفيا والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد من الاختلاف والتناقض عن معاذ وقيل معنى لم يجعله مخلوقا وروي عن ابن عباس في قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيما) أي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل هو على الكتب كلها ومصدقا لها هاديا من الضلالة نصبا (قيما) على معنى الا ترى انه قال (لينذر بأسا شديدا) أي ينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى تعذيبهم (من لدنه) اي من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) يعني الجنة (ماكثين فيه) أي في ما صيرناه (أبدا) وهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم) اي الولد وما اتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم لان من حق كل من تكلم بكلمة ان يكون عالما بمعناها فاذا لم يكن عالما بمعناها لم يكن قوله الا جهلا وافتراء وكذبا وقيل معنى ما لهم به من علم ما لآبائهم (ولا لآبائهم) اي ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) اي عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) اي هذه التي قولوه لا تحكم عقولهم وذكرهم

الذين يعملون الصالحات ان لهم) اي ان لهم (اجرا حسنا) أي الجنة (ماكثين) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر الانذار دون التبشير بعكس الاول اما عدم ذكر (ما لهم به من علم) اي بالولد واتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ركن من حق الشرط فان شرط اتخاذ الله ولدا في هذا الوجود ان يكون لهم به من علم فلما سلبهم العلم به لانه ليس مما يعلم لاستحالة وجوده في الخارج ذكر ما يعلم بالطريق الموصل الى العلم به وهو قوله (ولا لآبائهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على الذم وفيه معنى التعجب كقولهم ما أكرم زيدا وما أحسنه وما أجمل فعله والمعنى كبرت كلمة (تخرج من أفواههم)

ولم يكن له ولي من الذل) كما هو شأن الملوك (وكبره تكبيرا) عظمه تعظيما لائقا به وقيل معناه احمد ربك على أن اتخذ ولدا أو شريكا أو ولي من الذل وكان أهل الجاهلية يقولون ذلك فعلمه الله كيف يحمده وقيل هو أمر لكل من يتخذ ولدا أو شريكا أو وليا من الذل أن يحمد الله على ذلك وقيل هو أمر لكل أحد أن يحمد الله على ما أنعم به عليه وعلى جميع خلقه وقيل هو أمر لكل أحد أن يحمد الله على ما قضى وقدر وقيل هو أمر لكل أحد أن يحمد الله على ما خلق من خلقه

لئلا يكون أن يتلوه وانه بل يكتفون عليه من كيف على هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا وهو صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أي آثار الكفار سهوا وأسفا حين تولوا عنهم ولم يؤمنوا به وما دخلهم من الاسف على تولهم يرحل فاعله أحد سببه فهو يتسلط حسرات على آثارهم وجمع نفسه وحدا على تعليق تلفها على مراقبهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أي لغرط الحزن والاسف (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي ما من شأنه أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يحسن بها لبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها والاعراض عنها وترك التأمل لها لتعلق ما علقها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لا نبات فيها كأنه حصر لعدم كان حصر لعدم نباتها والمعنى به قبل تعلق عمارتها جرزا بأن يأتيه الجدوان والعطش والاستيلاء وغير ذلك وليذكر من الآيات الكائنة من الارض عاجلي فوقها من الاحياء الى لا حصر لها وأراد بذلك كله كأن لم تكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعني ان ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وآياتهم مذكورة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كان في سابهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أي كانوا آية عجبا من الآيات أو وصفا بالمصدر أو على ذلك عجب (اذ) أي اذكر (أوى الفتية الى الكهف قالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا رشدا) أي أصلح لنا من أمرنا رشدا كله

(ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه)

قال مجد بن اسحق وتحدث بعض من مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح مستمسكون به اذ ذاك وهو على دينه وكان ممن فعل ذلك ملوكهم الذين كانوا بالروم يقال له دقيوس ذو الاصنام وذبح للطواغيت وهو أول من حالفه وكان يقال في الروم فلا يقال في ورثته أحد الا دقيوس حتى يقال ذو الاصنام أو نحو له فلما قال مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استحوذ على أهل الامصار وهزم نواحي كل رجفة بحد بطاس الكفار وأمرهم ان عبدوهم فعل أولئك السرط عبدوا أهل الامصار في اماكنهم وبحر حوهم الى دقيوس فبحرهم من الجبل وبين عباد الاصنام فمنهم من رغب في الخلاص ومنهم من بقي ان يقع الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل المدينة في

الاعمال حملوا يسألون أنفسهم العذاب والقتل ويعذبون ويقتلون ويحملون ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظم القتل وكثرت وزأى ذلك المسحر نوا حربا شديدا فعاموا أن سبعوا بالصلاة والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشراف الروم وهم عباد له فرغبوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الغمة وارفع عنهم الملاء حتى يعلموا عبادتك وتسبيحك على ذلك وقد جعلوا مصلاهم أدركهم السرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم السرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه بخبرهم فدعى بهم فأتى بهم فحص اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تسجدوا للذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم أسوة أهل مدينتكم الحمار وانما أن تعبدوا الآلهة واما ان أقتلكم فقال مكسلماوه وأكبرهم ان لنا الهاملء السموات والارض عظمته ان ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والكبرياء فسبحانه الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا له نسأل النجاء والخير فاما الطواغيت التي تعبدها فانها لا تضر ولا تنفع وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ما بهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم واحرمكم ما أوعدتكم من العقوبة وما منعني ان أعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبانا احداثا وأسنانكم ولا احب أن اهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فتعودون الى عقولكم فأمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلقوا بهم الوس الى منزله فأجرى عليهم أرزاقهم فكان يأمر لهم بالعشي أن يؤتى بهم فيأمرهم بالعبادة فيأبون عليه ويأمرهم بالسجود فيأبون عليه فلما رأى الملك أن لا حيلة له فيهم وانهم قد أبوا الا عبادة الله عز وجل وانهم قد صدقوا ما بينهم وبين الله وانطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بخلوس ٢ فدخلوا فيه وسدوا الله حتى اذا أعجزه الوس ان يفتح عليهم ما سألوه فلما رأى عزمهم على ذلك عمد كل فتى منهم الى بناء فاحتفره عند باب الكهف فلما فرغوا انطلقوا الى منازلهم واستخفوا فيها حتى أتوا ذلك الكهف فدخلوا فيه وسدوا عليهم باب الكهف بالحجارة وكان الذي يأتيهم بطعامهم كل يوم فلما لم يروا أحدا منهم ظنوا أنهم قد ماتوا فهدموا عليهم باب الكهف ليدفنوهم فيه فلما دخلوا عليهم الكهف لم يروا شيئا ولم يجدوا أحدا فقالوا ما كان لهؤلاء الفتية أن يكونوا أحياء بعد ما رأينا من هذا الكهف فكانوا يرون أن الله عز وجل رفعهم اليه كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام

وأهلكوها إلى أسواق المدينة ثم انطلقوا إلى محل مدعى نجلوس فلما قالوا له ذلك حل سبلهم وجعل يأتي ما
يصنع بالعسكر فالى الله سبحانه وتعالى في عسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يذكرهم
بذلك و يجعلهم آية لامة يبعث من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور فأمر دقيانوس بسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه لهم وهو بطن أهم انقاط يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وناه
نومهم وكانهم باسطا ذراعيه بباب الكهف فبعث ما عسهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين
و من في بيت الملك دقيانوس تكتما ايمانهم وكان اسم أحدهما مشلينا وكان اسم الآخر رومانوس وهما أن
يكتما أمر هؤلاء الفتية وأسمائهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في بابين من
نحاس ويجعلا البابين في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية من يعلم قصتهم فجعل
من دفع عليهم خبرهم حين قرأ الكتاب معلقا للناس ما علموا في دقيانوس ما بقي هو وقومه وقرون
بعده كثيرة وخلف الملوك بعد الملوك * وقال عبد بن عمير كان أصحاب الكهف قياما يطوفون مسورين دوي
دوابهم حراسا على عدالهم علم في ري وموكب وأحرسوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب
صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فدبر الله سبحانه وتعالى الاعمال في قلوبهم فآمنوا وأحبوا كل واحد اعانه
وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم الذين عبدوا غير ربهم فخرج سائحا مسلما حتى انتهى
الى ظل بحر فجاس فيه ثم خرج آخر فرأى سائحا آخر فرجا ان يكون على مثل أمره وجلس اليه فعرف أن
يظهر على أمره ثم خرج آخر فخرج واحدا فواحدا فجمعوا وقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد منكم اعانه
رجاء مخافة على نفسه قالوا الخرج كل قوم فيما هم فيه و من كل واحد منهم الى صاحبه فجعلوا ذلك
فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عليهم فرجعوا الى بعضهم وقال بعضهم لبعض ويحكم ارجعوا الى الكهف
فيسر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد لهم فناموا الا يمان سنين وارداد ابسا وازدادوا
قوة وهم وطاؤهم وهم تعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم وكانوا سماءهم وانسابهم في لوح فلان وفلان أبناء
ملوك كانوا هذه باسمائهم في سور كذا في سنة كذا في عام كذا من فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
لعل الله أن يظهر لهؤلاء الايمان وما ملك الملك وما عمر بعد قال جدثنا بعض من ملك أهل ذلك الملك الا الرجل الصالح
تعالى له دقيانوس فلما ملك بنى ما كهنا ما وسمى مدينة سميت الناس في ملكه فكانوا أحرارا منهم من يؤمن
بالله و علم أن الساعة حق ومنهم من كذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا
لما رأى أهل الباطل يزيدون و يظهرون على أهل الحق و يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما نبعث الارواح
دون الاجساد فجعل دقيانوس الملك يرسل الى من ظن منهم خيرا وانهم على الحق فلم يزالوا به حتى كفروا
يكذبون بالساعة حتى كادوا يحرجون الناس على الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل
بيتا وأغلق بابه على نفسه وجعل يحثو رمادا على رأسه وقد أبدى له وجهه وجعل يدعو الله تعالى
و يبكي و يقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فاضرب لهم آية تبين لهم تعالى بان ما هم عليه من الله سبحانه وتعالى
الرحمن الرحيم الذي كتبها كهفهم اذ أراد أن يظهر على الله أصحاب الكهف و بين الناس سائرهم وجعلهم
آية وجعله علمهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويبعث الله الصالح دقيانوس ومن معه على دين
يجمع من كان قد دخل الموحدين فالى الله سبحانه وتعالى في من رجل من أهل ذلك الملك الذي قد ذلك
الكهف وكان اسمه أوانس اسم الذي على فم الكهف وبنى به حظيرة لغنمه فكان يأوي
غلامين فجعلا يرعيان ذلك الحظيرة و يبنيان بها الحظيرة حتى يرعيا كان على باب الكهف وفجاج
الكهف رحمهم الله تعالى حتى الناس ما رأوا منهم ما صنع بأصحاب الكهف اذ ان الله سبحانه وتعالى دوالله قدره
والناس يحبون الموت لله ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسرورين محوهم ط بأسمهم
لم يعصهم على نفس كلها الا وقد علموا من ساعتهم التي كانوا فيها قد أصبحوا لهم

قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يصلون لا يرى فى وجوههم ولا أقوالهم شئ مما ذكر به وأنهم كهيئتهم حين
رمدوا وهم يرون أن دهاتوس فى طلبهم فلما فصوا صلاتهم قالوا السلام فاصلحت هيئتهم أشد ما كانت قال الناس
فى شأن عشية أمس عند هذا الخبار وهم يتلاومون أنهم رمدوا كبعض ما كانوا يرمدون وقد خيل اليهم
أنهم رمدوا أطول مما كانوا يرمدون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم بياما قالوا لبثنا يوما أو
بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم عالمهم قد لبثتم فى المدينة وهو يريد
أن يؤنبهم اليوم قد صححوا فانطلقوا عسى أن يصلحكم ما شاء الله بعد ذلك فعال لهم مكسلمينا انطلوا يا أعوانا علموا
أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد اعتصامكم أحدا كعدو الله ثم قالوا السلام انطلق الى المدينة فسمع ما يقال
لباسها وما الذى يذكر من شأنه عند دهاتوس ولطف ولا يشعرن بك أحدا واسمع لنا طعاما فاشتره وردنا على الطعام
الذى اشتريته فقد أصبحنا اعوانا فعمل عالما كما كان يعمل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يذكرها
وأخذ دوابا يقطعهم الى كاسعهم الى مدينة تطابع دهاتوس وكانت كعاف الزيتون فانطلق عالما حارطا
فلما مر بباب الكهف رأى الحمار مربوطا على باب الكهف فحسبه مهاما مر ولم يقل مهلا حتى أتى باب المدينة
فسمعها صدع الطريق نحوا ان يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دهاتوس وأهله هلكوا قبل ذلك
بسلمانيه سمع علما أبى عالما باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الاعمال اذا كان
أمر الاعمال ظاهرا فيها فلما رآها فتح وجعل يطرا لها عسا وبالام ولا يدرى ذلك الباب ومضى الى باب آخر
فرأى مثل ذلك فدخل الى المدينة فلبس ما الى كان يعرف ورأى اشياعا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل
ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويقول لنفسه حيران ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب ويقول بينه
وبين نفسه ما لى أرى سعرى ما هذا اما علمت أمس كان المسلمون يحفون هذه العلامة على هذه المدينة ويتحصون
نهارا ولم ظاهرة لعلى نائم حالم ثم رأى انه ليس نائما فاحد كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى
فى أسواقها فسمع ما يتحدثون باسم عيسى بن مريم فراده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فعام مسندا ظهره الى
جدار من جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الارض
من يذكر عيسى بن مريم الا قليل وأما اليوم فما مع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لا يحاشى ثم قال فى نفسه
لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرف والله ما أعلم مدينة غيرها فى الدنيا أعلم كالحيران ثم لقى فى فعال له ما اسم
هذه المدينة يا فتى فعال اسمها افسوس فعال فى نفسه لعلى فى مسألة أو أمر ادهب عقلى والله يحق لى ان أسرع
الخروج فلما ان نضى فيها مر بأهل فضى الى الذى يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التى كانت معه
واعطاهم ثمنا لامتعهم وقال له بعنى بهذا الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب بها
وأولها رجل آخر من أصحابه فنظر فيها وجعلوا يطارحونها بينهم من رجل الى رجل وهو ينظر اليهم ويتساورون
بينهم ويقولون بعضهم لبعض ان هذا لمن كنوز الذى فى الارض فلما رآهم علما يحدثون
ويدورون فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويطن أنهم قد علموا به وعرفوه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف بهم انصفوا
الى ملككم دهاتوس وجعل الناس يأتونه ويعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف بهم انصفوا
على قد أحدثتم وربى فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لى به فقالوا له ما فى هذا شئ ما سألك والله لقد وجدت
كنزا من كنوز الاولين وانا نريد ان نحفظه لك فانطلق معنا وارنا وسار كأنه يخفى عنا ما وجد وانا
ان لم نفعل يحمل الى السلطان فسألك الله فلما سمع قولهم قال لهم الله فوقع فى كل شئ كنت
أحذره منه فقالوا له ما فى الله نستطيع ان نكتم ما وجدت وجعل يحلف لهم ما يدرى ما يقول لهم وخاف
حتى لم يحر على لسانه الهمهمة فاخذوا كساءه فطرحوه فى عنقه وجعلوا يسحبونه فى سكك
المدينة حتى سمع به من فيها فاجتمع الرجل فى اثر الرجل معه كثيرا فجمع علما أهل المدينة وجعلوا يطرون الهمهمة
والله ما هذا الذى يقول أهل هذه المدينة وما يراد منها قط وما عرفه وجعل علما لا يدرى ما يقول لهم وكان يعرف
ان اماته واحياءه بالمدينة من علامات أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فسمعوا هو وأهل كالحيران يسطرمى

(فضربنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليها حجابا من النوم بمعنى أنمناهم نوما ثقيلا لا تنبههم فيه الأصوات وحذف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) دوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي بعدد معدود لأن العدد يعلم بمقدار من عدد فما دام العدد كثيرا فهو معدود فهي على هذه لأنهم كانوا يعدون العدد ويزيدون الكثير (ثم بعثناهم) أيقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) الذين اختلفوا منهم في مدة لبثهم لما التبس عليهم حالهم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بحالهم هم الذين علموا أن لبثهم قدر ما انتبهوا أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غايته وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لأحصى ومفعول له والفعل الماضي حيث وقع هنا وهو أي والد ما دام في معنى المستقبل لوقوعه صلة لأفعل التفضيل والمعنى أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم وأشد عليا أمدا لهم وإن قال أحصى أفعل من الإحصاء وهو العدد لأن العدد يعين على المعدود لا يقال لي في الحساب ما أحصاك فالجواب ما قاله الزجاج أن المعنى أعلم أي الله تعالى ثم نزل منازل الناس لأن المراد ما يؤدي إليه العلم من ظهور الأمر لهم فأريد بالعلم ما يؤدي إليه كما يقال انظر أينا أكثر مالا وأعز نفرا أي ينا هم وأكثر وأعز نفرا منه (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي نقرأ عليك خبرهم ملتبسا بالصدق (إنهم فتية) أي شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي بصيرة وثباتا على دينهم (وربطنا على قلوبهم) أي قويناها بالصبر على هجر الأهل والوطن والمال (إذ قاموا) بين يدي ملكهم دقيانوس وقد دعاهم إلى عبادة الأصنام وهددهم بالقتل إن لم يفعلوا (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) أي خالقهما ومالكهما ومدبرهما (لن ندعو من دونه إلها) أي لن نعبد معه إلها (لقد قلنا إذا شططا) أي قولا ذا شطط أي جور وإفراط في الظلم (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) أصناما (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يقيمون على عبادتهم حجة واضحة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف) أي انحازوا إليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط لكم من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ما ترتفقون به أي تنتفعون (وتحسبهم أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) جمع راقد (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الكهف (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) بضم الميم وسكونها وبالهمز وتركه (وكذلك بعثناهم) أيقظناهم من نومهم (ليتساءلوا بينهم) عما لبثوا نائمين (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم)

(الذاهبين) بين يدي الجبار وهو ميا وان من غير ميلانه حتى جاءهم على تلك الحالة (فقالوا ربنا رب السموات والارض) مخبرين عن (لن ندعو من دونه الها) ولئن سمعناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط شط و شط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) بحر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا عزمهم على الفرار اليه (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أي واذ اعتزلتموهم وما يعبدونه (الا الله) استثناء صل لانهم كانوا يعبدون الخالق و يشركون معه غيره كأهل مكة أو منقطع أي واذ اعتزلتم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لما عزموا على الفرار قال بعضهم لبعض (فأووا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ما تنتفعون به

مبتدأ وساغ وهو ما يرتفق به أي ينتفع وأصله مرتفق فالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا على رزقه وتصوع قيضهم أو اخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بحذف التاء الثانية وتخفيف الزاي كوقوف ونرى وتزاور وتزور بمعنى تميل وأصله تتزاور بتاءين ادغمت احداهما في الزاي أو حذفت احداهما والكل من الزور وهو الميل وفي رواية اذا مال الى ناحية اليمين والزور الى الشمال (عن كهفهم) أي عن جهة كهفهم ولا تقع عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وسميت باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أي تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل مرتفع كهفهم لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منه معرض لاصابة الشمس لولا أن الله حجبها عنهم وفعل ما فعل من تزاورها عنهم وتقرضها اياهم

وهو روح الهواء ورد الشمس لا تحتبس كرب العار (ذلك من آيات الله) اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها ما الغار وغارية آية من آيات الله نعي ان ما كان في ذلك الصنع صنعه الشمس ولا تصنيعها اذ صاها لهم بالكرامة وفي ذات الكهف حال من الضمير في كان لفتية أي كان لهم في مكان متسع منه أبدا ومعنى ذلك من آيات الله ان ساقهم وحدثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) في ما عرف من سجاياه وهداه بأن هم حاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الى سبيل الكرامة السنية (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اي ولي يهديه فلا هادي له (وتحسبهم) صنع الشمس بأجرامها عن سمت سمالات الكهف (أيقاظا) جمع يقظ (وهم رقود) أي نيام فحسبهم الناظر اليهم أيقاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) في اوقات ما ازورت عنهم الشمس وقرضتهم

(بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لو اطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم (لوليت منهم) لأعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لأن معنى وليت منهم فررت منهم (ولملئت منهم) وتشديد اللام تحاوى للمبالغة (رعبا) بسكون العين وضمها لغتان وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنه عبر الروم في الكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لعلك لن هو خير منك لولي منهم فرارا ولدب إليك جانبه فأمر فعاجوقهم ريح (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة العجيبة أيقظناهم لتكون أعثر عليهم وعلى الأمة حتى (ليتساءلوا بينهم) لسأل بعضهم بعضا ويعرفوا أحوالهم وما صنع الله بهم وعبروا وتسفلوا على عظم قدرة الله وبرد أدوا بعضا وتسكروا مما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) وتسمى (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن ومما يدل على جواز الاجتهاد والعمل بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) عدة لبثكم لكن علم من بعضهم كم لبثوا فعدلوا بالأدلة (١٩٣) أو بالهام أن الله تعالى أطال مدة

صهبان وقيل ليس في الحيوان سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) أي بفناء الكهف وقيل عتبته وقيل الكلب كان ينام على باب الكهف وجعل وجهه عليهم وقيل كان يطلع مع أصحابه فإذا انبعثوا وأدبار العين كسر الكاف أدبه اليمنى ورقدتها إذا انطبقتا وأدبار الشمال كسر أدبه اليسرى ورقدتها (لو اطلعت عليهم) باختيار (لوليت منهم فرارا) ولملئت لما ألبسهم الله من الهيبة بحيث لا تصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله ويوصلهم الله إلى رشدهم (ولملئت منهم رعبا) أي خوفا من وجه المكان وقيل لأن أعينهم مفتحة كالنائم الذي يرى أن كلهم نائم وقيل لكبر سعورهم وطول أظفارهم وما علمهم من عبر حس ولا استعار وقيل إن الله سبحانه وتعالى ملأ قلوبهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس رضي الله عنهما وقع معاوية بجوار الروم فمر بأصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظر إليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد منع ذلك من هو خير منك فقال له لو اطلع عليهم لوليت منهم فرارا وملئت منهم رعبا فما عاد إلى مثلها حتى وافى طرطوس (وكذلك بعثناهم) أي كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من الآفات على طول الزمان بعثناهم بالانتباه منه بالموت (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) أي في نومكم وذلك أنهم استكثروا طول نومهم وقد رأى أنهم رأوا منهم مخايل الصلاح من طول الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فعلموا (أو بعض يوم) لما نظروا إلى طول سعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل إن تكلم الماضي مع الاختلاف نسبهم قال ذو الرمة

ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم) يعني يملخا (بورقكم) هي الفضة المضروبة كانت أو غيرها مضروبة (هذه إلى المدينة) وقيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الأول قبل الإسلام أفسوس (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل طعاما وقيل أجود وقيل أكثر طعاما وأرخص (فليأتكم برزق منه) أي بقوت وطعام يأكلونه (وليتلطف) أي ليترفق في البيع والشراء ويتكلم بالسر وكان معه دراهم (ولا يشعرن) ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس (إنهم إن يظهروا عليكم) أي يعلموا بكم (يرجموكم) قيل معناه يسمونكم بالقول وقيل يقتلونكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبونكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أن أكرهوكم (ولن تفلحوا إذا أبدا) أي إن عدتم إليه فلن تفلحوا في موضع من الدنيا

لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف عند زوال الشمس وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا قال قائل منهم كم لبثتم وهو رأى أنهم رأوا منه في حوائجه ما لا يراه أو بعض يوم وهو جواب لما لا يعلم فقالوا ربكم أعلم بما لبثتم وهذا قول جماعة آخرين فصار واسكت عنه (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا إذا كان ربكم أعلم بذلك فلا طريق لكم إلى علمه فدعوا ذلك وانظروا في أحوالكم فابعثوا أحدكم (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقيل الورق المضروب الجيد والنقرة الرديء وقيل الورق الفضة والعين الذهب (هذه إلى المدينة) يعني طرسوس علم الله الورق دليلا على أن أهل الكهف وما اتصل بهم من الأمر كان قبل الإسلام وقيل الله كان سبب ذلك من بني إسرائيل وقيل ما الهدى الإسلام فما الذي دلهم إلى الورق (فلينظر أيها أزكى طعاما) أي أحل وقيل أكثر وقيل أرخص (فليأتكم برزق منه) أي بطعام (وليتلطف) في الكلام لئلا يغبن في الطعام وقيل في مجيئه وذهابه (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفطنن بكم أحدا (إنهم إن يظهروا عليكم) إن يطلعوا عليكم (يرجموكم) قيل يقتلوكم بالرجم وقيل يشتموكم (أو يعيدوكم في ملتهم) إن أكرهوكم (ولن تفلحوا إذا أبدا) إن عدتم إليه ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم وبعثناهم أعثرنا عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) أن البعث بعد الموت حق (وأن الساعة لا ريب فيها) لا شك في مجيئها (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي حين يتنازعون بينهم أمر دينهم بعد موت الملك الصالح الذي آمن بهم وكان اسمه بيدروس وقيل أمر أصحاب الكهف بعد رجوعهم إلى مدينتهم وذلك أن الملك الصالح لما مات اختلف الناس بعده فقال قوم نبعث الأرواح والأجساد جميعا وقال قوم تبعث الأرواح دون الأجساد فأماتهم الله مائة سنة ثم بعثهم ليريهم أن الأرواح والأجساد تبعث جميعا (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يصل إليهم أحد (ربهم أعلم بهم) بأعمالهم وأحوالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم المسلمون (لنتخذن عليهم مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبرك بمكانهم وكان ذلك بعد ما ارتد أهل تلك المدينة عن الإسلام وعبدوا الأصنام فغلبهم المسلمون وأزالوا عبادة الأصنام وبنوا على باب الكهف مسجدا وقيل الذين غلبوا على أمرهم الكفار قالوا ذلك سرا من المسلمين وقيل هم المسلمون قالوا ذلك علانية وقيل هم الذين بعثوا على باب الكهف (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) اختلف العلماء في أن قوله سيقولون إخبار عن قوم معينين أو عن قوم موصوفين بصفة ما فقال بعضهم هو إخبار عن قوم معينين وهم نصارى نجران وكانوا ثلاثة أصناف يعقوبية ونسطورية وملكانية وقيل هم اليهود وقيل هم أهل الكتاب وقيل هم قوم من أهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدد أصحاب الكهف فأخبرهم الله تعالى بأقاويلهم ليظهر كذبهم وقال بعضهم هو إخبار عن قوم موصوفين بصفة ما وهم الذين قالوا ذلك من غير تعيين وهو الأصح لأن الله تعالى ذكر عقيب كل قول منها قوله رجما بالغيب ولو كان إخبارا عن قوم معينين لما ذكر ذلك لأنه يكون عالما بعددهم فلا يكون رجما بالغيب وقيل إن الله تعالى ذكر هذه الأقاويل الثلاثة ليبين فسادها بالحجة الواضحة فيكون ذلك دليلا على صحة القول الرابع وهو قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) وقيل إن الواو في قوله وثامنهم زائدة كما في قوله حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقيل الواو واو الحال أي وقد قال المؤمنون ثامنهم كلبهم (قل ربي أعلم بعدتهم) أي بعدد أصحاب الكهف (ما يعلمهم إلا قليل) من الناس وقيل هم سبعة وقيل ثمانية وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل إلا الله وقيل إلا الملائكة (فلا تمار فيهم) في عدتهم (إلا مراء ظاهرا) إلا جدالا سهلا هينا لا تعمق فيه وقيل إلا مراء بما أوحي إليك من أمرهم (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل عن أمرهم أحدا من اليهود فيما يسألونك عنه من أمرهم إلا سؤال استرشاد فيما لم يوح إليك (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا) ولما سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال ائتوني غدا أجبكم ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وعلى المشركين ثم نزل جبريل عليه السلام بسورة الكهف وفيها عتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قال وفيها جواب مسائلهم وخبر أصحاب الكهف وذي القرنين وخبر موسى والخضر عليهما السلام (إلا أن يشاء الله) إلا أن تقول إن شاء الله متصلا بكلامك غير منفصل عنه وقيل إلا أن يشاء الله أن يأذن لك في الاستثناء إذا نسيت (واذكر ربك إذا نسيت) إذا فرط منك نسيان ذكر الله في شيء من أمر دينك فتداركه بالذكر متى ما ذكرته وقيل إذا نسيت الاستثناء فاستثن متى ما ذكرت وقيل إذا نسيت شيئا من أمر ربك فاذكر ربك وقيل إذا نسيت الاستثناء فاذكر الله تعالى بالاستثناء عند ذكرك لليمين وقيل إذا نسيت ذكر ربك عند الغضب فاذكره عند ذكرك له (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي لعل ربي يؤتيني من الآيات ما يكون أقرب رشدا وأدل على النبوة من قصة أصحاب الكهف وقيل عسى أن يعطيني ربي من العلم ما يكون أقرب رشدا وأدل على النبوة من قصة أصحاب الكهف وقيل عسى أن يهديني ربي لدين أقرب من دين قومي رشدا وقيل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا وقد فعل ذلك فآتاه الله من العلم ما هو أقرب رشدا وأدل على النبوة من قصة أصحاب الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) ثم ابتدأ فقال (وازدادوا تسعا) وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالإضافة أي ولبثوا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسع سنين وقرأ الآخرون بالتنوين على البدل أو على عطف البيان (قل الله أعلم بما لبثوا) قال بعضهم هذا من تمام كلام أهل الكتاب أي قل الله أعلم بما لبثوا من المدة التي اختلفتم فيها وقال بعضهم هذا ابتداء كلام من الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم ثلاثمائة سنين وتسع سنين (له غيب السماوات والأرض) أي علم ما غاب فيهما عن العباد (أبصر به وأسمع) أي ما أبصره وما أسمعه لجميع الموجودات وقيل أبصر بالحق لكل مبصر وأسمع لكل مسموع (ما لهم من دونه من ولي) أي ما لأهل السماوات والأرض من دون الله من ولي (ولا يشرك في حكمه أحدا) أي لا يجعل أحدا شريكا له في قضائه وقيل لا يشرك أحدا في علمه بالغيب (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك) أي اقرأ على الناس ما أوحي إليك من القرآن واعمل به (لا مبدل لكلماته) لا خلف لوعده ولا تبديل لحكمه (ولن تجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ تعدل إليه غيره (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) نزلت في سلمان الفارسي وأصحابه الذين آمنوا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا فقراء فجاء قوم من أشراف العرب فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنك هؤلاء الأعبد وأرواحهم وكانت لهم جمة ومجالسهم نظيفة فجئنا نجالسك ونأخذ عنك فقال ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فاجعل لنا يوما ولهم يوما فنزلت (يريدون وجهه) يريدون بعملهم الله وحده لا يريدون به رياء ولا سمعة (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تتجاوز عيناك عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في عنهم أي مريدا زينة الحياة الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلناه غافلا عن ذكرنا وقيل وجدناه غافلا عن ذكرنا وقيل نسبناه إلى الغفلة عن ذكرنا وقيل حكمنا عليه بالغفلة عن ذكرنا (واتبع هواه) في ترك الصلوات المفروضات وقيل في ترك الإيمان (وكان أمره فرطا) أي ضياعا وقيل سرفا وقيل تفريطا وقيل خسرانا وقيل أمره الذي يفرط فيه ويضيعه ولا يهتم به (وقل الحق من ربكم) أي القرآن من ربكم (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا ليس برخصة في الكفر ولكنه وعيد وتهديد كقوله اعملوا ما شئتم (إنا أعتدنا للظالمين) أي للكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) أي ستر يحيط بهم كسرادق الفسطاط وقيل حائط من نار يحيط بهم وقيل دخان يحيط بهم قبل دخولهم النار (وإن يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كدردي الزيت وقيل كالنحاس المذاب وقيل كالقيح والصديد (يشوي الوجوه) إذا قربوه من أفواههم (بئس الشراب) بئس ما يشربون (وساءت مرتفقا) وقبحت النار متكأ ومجلسا (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي ثوابه وجزاءه (أولئك لهم جنات عدن) أي بساتين إقامة (تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب) جمع سوار وهو ما يلبس في اليد (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه (متكئين فيها على الأرائك) جمع أريكة وهي السرير في الحجلة (نعم الثواب) الجنة (وحسنت مرتفقا) متكأ ومجلسا (واضرب لهم مثلا رجلين) أي بين لهم شبه رجلين (جعلنا لأحدهم جنتين) بساتين (من أعناب وحففناهما بنخل) أي أحطناهما بنخل (وجعلنا بينهما زرعا) أي أرضا للزرع (كلتا الجنتين آتت أكلها) أعطت ثمرها (ولم تظلم منه شيئا) أي لم تنقص من أكلها شيئا (وفجرنا خلالهما نهرا) أي وسطهما نهرا يجري بينهما ليسقيهما (وكان له ثمر) أي لصاحب الجنتين ثمر وقيل مال كثير من أصناف الأموال (فقال لصاحبه) أي لأخيه (وهو يحاوره) يراجعه الكلام في الافتخار عليه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أنصارا وأعوانا وقيل أولادا ذكورا (ودخل جنته) بستانه (وهو ظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) أي تهلك وتفنى (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت إلى ربي) على زعمك (لأجدن خيرا منها منقلبا) مرجعا وعاقبة (قال له صاحبه) أي أخوه المؤمن (وهو يحاوره) يراجعه الكلام في الافتخار عليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم منه (ثم من نطفة) أي خلقك من نطفة أبيك (ثم سواك رجلا) أي عدلك وكملك رجلا (لكنا هو الله ربي) أي لكن أقول هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحدا) (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) أي هلا إذ دخلت بستانك قلت ما شاء الله أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا قوة لأحد على شيء إلا بالله (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي في الدنيا (فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك) في الآخرة (ويرسل عليها حسبانا من السماء) أي مرامي من العذاب وقيل نارا وقيل صواعق (فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء لا نبات فيها (أو يصبح ماؤها غورا) أي ذاهبا في الأرض (فلن تستطيع له طلبا) أي لا تقدر على رده إلى موضعه (وأحيط بثمره) أي أهلك ماله وقيل أصيب بثمر ماله (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) أي يصفق يديه ندما على ما أنفق في عمارة جنته (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وقيل خالية من الأعناب (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي جماعة ينصرونه من دون الله (وما كان منتصرا) أي ممتنعا بقوته (هنالك الولاية لله الحق) أي في ذلك الموضع والوقت الذي نزل به العذاب بالكافر تبين أن الولاية لله الحق وقيل هنالك القدرة لله الحق وقيل النصرة لله الحق (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي هو خير لأوليائه ثوابا وخير لهم عاقبة

(وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمنا هؤلاء من نومهم الطويل أطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لا محالة فيه من نومهم وانتباههم بعدها كحالهم من يوم ثم بعث (وأن الساعة لا ريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين تنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويتحاورون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف ولما بين ان الاجساد تبعث جسمانية فيها أرواحها كما كانت في الدنيا (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يعثر الناس صباحا بهم وحائطه عليها كما حجب بئر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتأخرين كأنهم تذاكروا أمرهم وتنازعوا الكلام في أسمائهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالناس منهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) نصلي فيه المسلمون ويزوره المتبركون وكان بعضهم روى ان أهل الاكل على مطعم فيهم الخطاء أو طعم طعامهم حتى تعمدوا الاثم وأكثروا على عمد بها وفي سنده ذلك دليل على جواز اتخاذ المساجد في المقابر على القبور وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا على الاعمال والصالحين منهم وهو الى الكهف ومن باب الكهف فطردوه فاطلعه الله تعالى فقال ما يمنعني أن أحب أحدا الا أنهم أخرجوا أنبياء الله وأولياءه فمن كان منهم على دينهم ودخل الكهف ضرب الله على آذانهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وسمى الله منهم رجل صالح مؤمن وهو الذي بنى على باب الكهف مسجدا وكان ملكهم وجاء في رواية أنه كان اسمه طيموسيا وكان من أهل مملكة دقيوس وكان قد أمر أن يبحث عن المؤمنين فبحث عنهم فوجدهم فأخذ عليهم باب الكهف فمات فيه فلما دخل المدينة سمع الناس يقولون ان دقيوس أخذ عليهم باب الكهف فمات فيه فلما دخل المدينة سمع الناس يقولون ان دقيوس أخذ عليهم باب الكهف فمات فيه فلما دخل المدينة سمع الناس يقولون ان دقيوس أخذ عليهم باب الكهف فمات فيه

(وكذلك أعثرنا عليهم) اي اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا ان وعد الله حق) يعني قوم يدروس الذين انكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) اي لا شك في قيام الساعة (اذ يتنازعون بينهم امرهم) قال ابن عباس في الدين وقال المسلمون نبني عليهم مسجدا نصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بل نبني عليهم بناء لانهم على آبائنا لم يزل كان مازعهم في البعث وقال المسلمون بعث الاجساد والارواح وقال قوم بعث الارواح فاراهم الله آيات البعث للارواح والاجساد وقال الذين غلبوا على امرهم وهم الذين قالوا ابنوا عليهم بنيانا (ربهم اعلم بهم) قال الذين غلبوا على امرهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم (لنتخذن عليهم مسجدا) قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ربي ابن السدي العاقب واصحابه من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر اصحاب الكهف عددهم وقال السيد والعاقب كانوا ثلاثة (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) قال ابن عباس انا من القليل الذين استثنى الله عز وجل عددهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وروى ان السيد والعاقب وأصحابهم من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر اصحاب الكهف عدتهم وقال السيد وكانوا ثمانية كانوا لا مراتهم كلبهم وقال العاقب وكانوا تسعة كانوا خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فعنى الله قول المسلمين واعترف لهم بالصواب وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل من الناس وكان ابن عباس رضي الله عنهما من هؤلاء القليل الذين استثنى الله عز وجل عددهم وقال ابن عباس في امر الساعة اراني الذي واصحابي من هؤلاء القليل الذين استثنى الله عز وجل عددهم حين تواثبوا على ملكهم دقيوس واتبعوا دينهم فاصبحوا بمكان من رسل الله عليه السلام فدخل في الاول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السبعة وقوله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل في اصحاب الكهف الا مجادلة ظاهرة لا عمق فيها ولا تسأل عنهم أحدا منهم أي لا تسأل احدا من اليهود عن اصحاب الكهف فانهم لا علم عندهم بهم وكذلك لا تسأل احدا من النصارى عن اصحاب الكهف فانهم كانوا على دينهم وقوله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نزلت في شأن اليهود حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وحزن حزنا شديدا وكذب اليهود وقالوا قد غلبنا محمد فيما زعم انا اعلم منه وقد وعدنا بخبر غد وقد مضى خمسة عشر يوما لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه حتى انزل الله عز وجل سورة اصحاب الكهف وفيها عتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حديثه اياهم ولم يستثن وخبر ما سألوه عن الروح والاخبار عن اصحاب الكهف وذي القرنين وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت معناه واذكر ربك بالاستثناء اذا نسيت ان تستثني ثم ذكرت فاستثن عند ذكرك وقال ابن عباس ولا تيأس ان لا يرشدك ربك لامر اعظم مما سألتني عنه فاعطاه الله سورة الكهف فيها خبر ما سألوه عنه وقوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين قال الزجاج هذا من كلام الله عز وجل اخبر بمدة لبثهم وقال ابن الانباري الوقف على قوله ثلاث مائة سنين ثم ابتدأ فقال تسعا على معنى ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا وقال الكسائي ثلاث مائة سنين بالاضافة ثم قال بعد ذلك تسع سنين على معنى ثلاث مائة سنين وتسع سنين وقرأ الباقون ثلاث مائة سنين بالتنوين وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا

لاتباع الطعام واخرج الورق وكان من صرف دقيوس اليهم وجد كتابه واتى الملك فعرض عليه القصة فاطلق الملك وأهل المدينة معه وأنصروهم وحمد الله على الآية التي اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا فلما نزلت هذه الآية قال اليهود ما جاء محمد بشيء الا علمناه وان عنده لنبأ عظيما فانزل الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا عن الروح فانزل الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا نحن خاصة او انت وقومك فقال كل من علمه الله شيئا فهو قليل بالاضافة الى علم الله عز وجل فانزل الله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم فقالت اليهود ما اوتينا من العلم الا قليلا ولا نعلم الا ما علمنا ولكنا نجد في التوراة ان التوراة في علم الله فقال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى لا تعلم إلا بعد قوله
سبحانه وتعالى رجما بالغيب ولم يعقبه بما يدل على الرد عليهم ولم يعقبه بما يدل على الوصف
بدل على أن الحال في الآتي يحتمل أن يكون المخصوص بالذم هو قول النصارى وأن يكون قول
المسلمين حال العالم قول النصارى في كونه رجما بالغيب قوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم
ما يعلمهم إلا قليل) هذا هو الحق لأن العلم بتفاصيل العوالم والأحكام إنما هو في الماضي والمستقبل لا يكون إلا
لله تعالى أو من أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من أولئك القليل كانوا سبعة
وهم (مكسلمينا ومكسلمينا ومطلميوس ومرنوش وشاذنوش ودبرنوش وكسفطوش ونيس وهو الراعي
وكلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تحتل في عددهم وعلمهم (إلا مراء ظاهرا) أي إلا مراء ظاهرا
ما تحصل لك علم بصحته (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل
الكتاب (أحدا) أي لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرتك بالحق فيهم ۞ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن
لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) معناه إذا عزمت على فعل شيء غدا فعلى أن تشاء الله ولا تعلم
أنه يكون ما دمت لا تعلم ذلك وهذا أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي
القرنين فقال ائتوني غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه أياما ثم نزل عليه هذه الآية وقد تقدم القصص في سورة
يوسف (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وحول
ابن عباس الآية عما تقتضيه ظاهرا وحولها حتى يكون ما دام في الحال وحولها بعضهم إذا قرب الزمان
فإنه لم يصح لم تحرر شيء يكون الكلام صلاحا لا فائدة له في الآية إذا ذكرت لما
قال وهب ما ورد الأمر إذا ذكرت حين حلفت أن تذكر ولو
أن الآية في الحلف دل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة أو نام عنها
فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكري فسمى الصلاة ذكرا (ولقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي على طريق هو أقرب إلى الرشد من
قصة أصحاب الكهف وقد فعل الله تعالى أمر محمدا إذا سئل عن شيء أن يذكر أو يرجو فيه ما هو أدل له من أصحاب
هذا في أمر الدين وقوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قال الزجاج
أي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين بالشمس وازدادوا تسعا بالأهلة وقال غيره
ثلاث مائة سنين بالشمس وازدادوا تسعا بالأهلة وقال الرجاج معناه
ولا تقولن إني أفعل ذلك
إلا أن يشاء الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا
قال المهود لمحمد صلى الله عليه وسلم
عن الروح وعن أصحاب
الكهف وذي القرنين
فقال لهم ائتوني غدا
أجبكم ولم يستثن
فاحتبس الوحي عنه
(واذكر ربك) أي
ربك وقل إن شاء الله (إذا
نسيت) إذا فرط
منك الكلام
نسيت أو ذكرها
إذا ذكرت في الحال ما دام في
قول الذكر

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلناه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) متجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أي الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أي هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي جاء الحق وراسب العلل فلم يبق الا اختياركم لا هسكم ما سئتم من الاحد في طريق الحق أو في طريق الهلاك وفي هذا قطع الاعذار والتصريح بأنه لا مكره من الله أحد على شيء وكأنه تهديد مؤكد بما يصير أساسا من التهديد في ذكر حوال من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين) للكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) سمي ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردي الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وهو أسود (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب أسرع في الوجه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) منزلا من الرفق وهو الانتفاع ولا يستعمل منها الا في الاستفهام والجحد ولا يستعمل لاهل النار من جزاء الاعمال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا نبطل اعمالهم بل نجازيهم بها فهم الصالحات وقيل ان قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار اقامة (تجري من تحتهم الانهار) وذلك لان أصل المساكن ما كان يحرز به الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل كان كل انسان منهم لا سوار واحد من ذهب لهذه الآية وقيل اساور من فضة لقوله تعالى يطاف عليهم بآنية من فضة (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الصفيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق (متكئين فيها على الارائك) جمع أريكة هي السرير في الحجال (نعم الثواب) أي نعم الجزاء الجنة (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) أي مجلسا وقيل الارائك (واضرب لهم مثلا رجلين) ذكر هذا ليعتبر به من اغتر بالدنيا وركن اليها وليعلم أن الفقر في الدنيا خير من الغنى فيها اذا كان الغني كافرا والفقير مؤمنا وقيل ان الله تعالى لما ذكر حال الكافرين والمؤمنين عقبه بمثال رجلين أحدهما كافر والآخر مؤمن وقيل هذا المثل للمشركين من أهل مكة والرجلان المذكوران هما المخزومي وأخوه وقيل هما رجلان من بني اسرائيل

الاعشاء والاشراف وعنه أهل النار (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) اي جعلناه غافلا عن ذكرنا بعني عمر بن الخطاب وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضائعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل مرفوطا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق والقرآن وحي والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شيء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هي الآية وقيل الحق من ربكم أي ليس بطارد الموسر لهوا كم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فعذابا لكم نارا وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر (انا أعتدنا) اي هيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أي الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون فرسخا رواه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو ما يحيط من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) اي ان يستغيثوا من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ كدردي الزيت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه رواه الترمذي وقال ليس أحد يرواه الحديث وتكلم فيه من قبل حفظه الفروة بفتح الواو وقيل المهل الدم والصديد وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوي الوجوه) أي تصف الوجوه من حره (بئس الشراب) اي ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أي النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما مرتفقا أصل المرتفق المكان الذي يرتفق فيه كذلك قال مجاهد وقتادة وحسنت مرتفقا والارتفاق لاهل النار ولا مساكة ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) اي لا نبطل اعمالهم بل نجازيهم بها فهم الصالحات وقيل ان قوله انا لا نضيع أجر من أحسن عملا كلام معترض وعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) اي دار اقامة (تجري من تحتهم الانهار) وذلك لان أصل المساكن ما كان يحرز به الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل كان كل انسان منهم لا سوار واحد من ذهب لهذه الآية وقيل اساور من فضة لقوله تعالى يطاف عليهم بآنية من فضة (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الصفيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق (متكئين فيها على الارائك) جمع أريكة هي السرير في الحجال ﴿ قوله تعالى وصف ثواب المؤمنين (نعم الثواب) اي نعم الجزاء الجنة (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) اي مجلسا وقيل الارائك ﴿ قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت في

أحوص من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد الله وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرا وقيل هما أبو سلمة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه برة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وشهد هو وأخوه بدرا وقيل أحد الأحوص من بني إسرائيل واسمه بولا في قول ابن عباس وقيل الأحوص الآخر كافر واسمه قطرون رهما الله وسماهما الله سبحانه وتعالى في سورة الصافات وكان قصتهما على ما ذكره علماء الخراسانيين كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين وورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا اشترى أرضا بألف دينار وإني اشتريت منك أرضا بألف دينار فاشتر لي في الجنة مثلها أفضل منها وأحسن منها وأطيب منها فتصدق بألف دينار ثم أصابته حاجة فجلس على طريقه في صورة فقير فمر به وهو متعلق إلى الصدقة فقال اللهم إني اشتريت منك الوليدة بألف دينار فاشتر لي منك قصرا في الجنة مثل قصره وأفضل منه وأحسن منه وأطيب منه

تراب) أي خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكأنه خلقه (ثم من نطفة) أي ثم خلقك من نطفة (ثم سواك رجلا) عدلك وكملك
انسانا ذكرا عاقلا عالما بالرجال معدا كافرا بالله لشكه في البعث (لكنا) بالالف في الوصل شامي والباقون بحذفها اتفاقا
وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فلاقت النون مثلها فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي)
هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها الهاء المضمر وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله أكفر
مؤمن موحد كما تقول زيد عالم لكن عمرا جاهل وحذف أي أقول هو الله تعالى عن شرك (ولا أشرك بربي أحدا ولولا) وهلا (إذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدا محذوف بعد لولا الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء
محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما ترى فيها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها مما حصل
بتمشية الله وأن أمرها بيده إن شاء بركها عامرة وإن شاء خربها (لا قوة إلا بالله) اعترافا بأن ما هو فيه على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة
وبأسبابه من قرأ (إن ترني أنا أقل منك مالا) نصب أقل بمعنى أعلم أنا صلة ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ أقل خبره والجملة مفعولا
ثاني الترى وفي قوله (وولدا) نصر لمن ضم الضمير بالاولاد في قوله واعتز بالولد (فعسى ربي) (٢٩٩) أن يرزقني خيرا من جنتك (ويرسل

براب) أي خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكأنه خلقه (ثم من نطفة ثم سواك رجلا)
أي عدلك بسر اسوائك وكملك انسانا ذكرا عاقلا عالما بالرجال (لكنا هو الله ربي) بحذف همزته (لكن أنا هو الله ربي) ولا
أشرك بربي أحدا (ولولا) أي هلا (إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى
ما ترى فيها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها مما حصل بمشيئة الله تعالى وقدرته وأن أمرها بيده إن شاء
أن يركها عامرة وإن شاء خربها (لا قوة إلا بالله) أي وهلا قلت لا قوة إلا بالله اعترافا بأن ما هو فيه على
عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وبأسبابه ولا أقدر على حفظ مالي ودفع ما يحيق به إلا بالله روي عن عمر رضي
الله عنه أنه كان إذا رأى من ماله شيئا أعجبه قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله احترازا عن
النسيان (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي لا حيلة لك في ذلك فكن على رجاء نعمتي (فعسى ربي)
أي فأملي ربي (أن يؤتين) أي يعطيني (خيرا من جنتك) نعمتي في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) قال
ابن عباس نارا ترمي بالشرر (من السماء) وهي الصواعق فتهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) أي أرضا حرداء
ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل لا ترقى فيها الا (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا لا تناله الايدي
ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعني أن طلبا لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمره وذلك
أن الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فأهلكتها غارت فاصبح (يقلب كفيه) يصفق بكفيه على كفيه ظهرا لبطن أسفها لها
(على ما أنفق فيها) أي على ما أنفق فيها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوفها وقيل أراد كرومها المعرشة سقطت عروشها
على الارض (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) يعني أنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما دهي بشركه فتمنى أنه لم يكن مشركا
(ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي ممتنعا بقوته على الانتصار

﴿ قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان في الدين (لله الحق) وقرئ بفتحها

أهلا (فاصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) بصر لاحدهما على الاخرى ندما وحسرة على ما عاين من هلاك كرمه (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وقيل أراد كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) ندم على كفره وتمنى أنه لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي ممتنعا بقوته على الانتصار

﴿ قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان في الدين (لله الحق) وقرئ بفتحها

أو في العقبى (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) عذابا (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء ترى عليها الزلق لملاستها (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا أي ذاهبا في الارض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يبقى مستطاعا فضلا عن الوجود والمعنى أن ترن أقل منك مالا وولدا فعسى الله أن يعطيني في الآخرة خيرا مما أعطاك ويرسل على جنتك حسبانا من السماء فتصير صعيدا زلقا لا تثبت عليها قدم أو يصير ماؤها غائرا لا تناله الدلاء فلا تقدر على طلبه فلا يمكنك أن تسترد منه شيئا (وأحيط بثمره) هو استعارة عن إهلاكه وأصله من أحاط العدو بالقوم إذا أحاطوا بهم فغلبوهم ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم فاستعمل في كل

ن المواد الاصره يعني اثقالهم سولونه يوسدون ويسترون مما كانوا فيه دون من دونه في الدنيا (هو خيرا لنا) أي أصل خيرا لاهل طاعته مطلقا كان غيره ومن (وخيرعقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير امامه وعاقبة ۞ قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب لقومك (مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الارض) فالتف (٣٠٠) بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا أو أثر في الماء فاختلطت حتى روي (فأصبح هشيما) يابسا مكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تسفيه وتطيره الريح صرفه على (وكان الله على كل شئ) من الاشياء والاحياء (مقتدرا) قادرا بسبب حال الدنيا في تصرفها وتقلبها وما يعتريها من الهلاك والافناء بحال الماء الذي تكون أصناف النبات بسببه ثم تكسرها الريح كأن لم تكن (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) لا يزيد الامر بعد العمى (والباقيات الصالحات) يعني الخير الذي يبقى لصاحبه أجره وثوابه في الآخرة (خير) يوم (وأكرم) ثوابا (خير أملا) خير (وحشرناهم) يعني بعد البعث من القبور (فلم نغادر منهم أحدا) أي لم نترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وهو حال أي حالة انهم صف واحد (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) يعني العذاب (وقال الذين أجرموا) يعني المشركين (ما مال هذا الكتاب) أي القرآن (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) أي ضبطها وعدها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا في الكتاب (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد ولا يزيد في عقاب أحد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) استثناء منقطع أي لكن ابليس (كان من الجن) أي من قبيلة الجن (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعته (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) أي بعد ما علمتم ما بينهما من العداوة (وهم لكم عدو) أي لآدم وذريته (بئس للظالمين بدلا) أي بئس ما استبدلوا بي الشيطان وذريته (ما أشهدتهم خلق السموات والارض) أي ما أحضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض (ولا خلق أنفسهم) أي ولا خلقت أنفسهم (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي ما كنت أتخذ الشياطين أعوانا على خلق السموات والارض (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم (وجعلنا بينهم موبقا) أي مهلكا يهلكون فيه وهو النار (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) أي علموا أنهم داخلوها (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي بينا فيه من كل شبه يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصومة بالباطل (وما منع الناس أن يؤمنوا) أي ما منعهم من الايمان (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن (ويستغفروا ربهم) أي من الشرك (الا أن تأتيهم سنة الأولين) أي الا طلب أن تأتيهم سنة الأولين (أو يأتيهم العذاب قبلا) أي عيانا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) أي بالجنة (ومنذرين) أي بالنار (ويجادل الذين كفروا بالباطل) أي بالشرك (ليدحضوا به الحق) أي ليزيلوا به الحق (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) أي واتخذوا القرآن والرسول هزوا (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) أي لا أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن فأعرض عنه (ونسي ما قدمت يداه) أي ما عمل من الكفر والمعاصي (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي صمما عن سماع الحق (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) أي ان دعوتهم الى الهدى فلن يهتدوا في الدنيا ولا في الآخرة (وربك الغفور ذو الرحمة) أي لعباده المؤمنين (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) أي في الآخرة (لن يجدوا من دونه موئلا) أي ملجأ يلجأون اليه (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أي أهل القرى (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي وقتا لهلاكهم (واذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقى بحر فارس وبحر الروم (أو أمضي حقبا) أي دهرا طويلا (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) أي نسي يوشع أن يتعاهد الحوت الذي كان معه في المكتل ونسي موسى أن يأمره بذلك (فاتخذ سبيله في البحر سربا) أي مسلكا (فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبا (قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت) أي تركته (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أي ما أنساني ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي مسلكا عجبا (قال ذلك ما كنا نبغ) أي ذلك الذي رأيت من أمر الحوت هو ما كنا نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا يقصان آثارهما (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) أي النبوة (وعلمناه من لدنا علما) أي علم الغيب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي هداية (قال انك لن تستطيع معي صبرا) أي على ما ترى مني (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي على ما لم تعلمه علما (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) أي على ما أرى منك (ولا أعصي لك أمرا) أي ولا أخالفك في شئ (قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا) أي حتى أبتدئ أنا بذكره لك (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها) أي خرق الخضر السفينة (قال أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أهل السفينة (لقد جئت شيئا امرا) أي منكرا (قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) أي على ما ترى مني (قال لا تؤاخذني بما نسيت) أي بالذي نسيته من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تغشني من أمري عسرا (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) أي قتله الخضر (قال أقتلت نفسا زكية) أي طاهرة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قصاص (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكرا (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) أي على ما ترى مني (قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني) أي لا تصحبني (قد بلغت من لدني عذرا) أي قد أعذرت الي في أمرك (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) أي طلبا منهم الطعام (فأبوا أن يضيفوهما) أي أن يطعموهما (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط (فأقامه) أي فأقامه الخضر (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي لو شئت لاخذت على اقامته أجرا (قال هذا فراق بيني وبينك) أي هذا وقت فراقي وفراقك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي سأخبرك بتفسير ما لم تصبر عليه (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) أي يعملون فيه بالسفن (فأردت أن أعيبها) أي بالخرق (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم (يأخذ كل سفينة غصبا) أي يأخذ كل سفينة صالحة غصبا (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) أي بالله ورسوله (فخشينا أن يرهقهما) أي أن يغشاهما (طغيانا وكفرا) أي أن يحملهما على الطغيان والكفر (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) أي أن يرزقهما بدله ولدا صالحا (وأقرب رحما) أي أن يرزقهما ولدا يصلهما ويبرهما (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) أي في مدينة كذا (وكان تحته كنز لهما) أي تحت الجدار مال مدفون لهما (وكان أبوهما صالحا) أي في دينه (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يبلغا حد الرجال (ويستخرجا كنزهما) أي المال المدفون (رحمة من ربك) أي فعلت ذلك رحمة من ربك (وما فعلته عن أمري) أي ما فعلت ما رأيت عن رأيي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك تفسير ما لم تصبر عليه (ويسألونك عن ذي القرنين) أي عن خبره (قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أي سأقص عليكم منه خبرا (انا مكنا له في الارض) أي ملكناه في الارض (وآتيناه من كل شئ سببا) أي علما وقدرة (فأتبع سببا) أي طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي مغرب الارض (وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأة وهي الطين الاسود (ووجد عندها قوما) أي عند العين قوما (قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب) أي بالقتل (واما أن تتخذ فيهم حسنا) أي بالاسر (قال أما من ظلم) أي أشرك (فسوف نعذبه) أي بالقتل (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا (وأما من آمن) أي بالله ورسوله (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أي الجنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي ما نأمره به نأمره بما هو يسر عليه (ثم أتبع سببا) أي طريقا (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أي مطلع الارض (وجدها تطلع على قوم) أي على أمة (لم نجعل لهم من دونها سترا) أي لم نجعل لهم ما يسترهم من الشمس (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي كذلك أمره وقد أحطنا بما لديه علما (ثم أتبع سببا) أي طريقا (حتى اذا بلغ بين السدين) أي بين الجبلين (وجد من دونهما قوما) أي عند السدين قوما (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يفهمون قول غيرهم (قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض) أي بالقتل والنهب (فهل نجعل لك خرجا) أي جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا (قال ما مكني فيه ربي خير) أي ما أعطاني ربي من المال والملك خير (فأعينوني بقوة) أي بفعلة (أجعل بينكم وبينهم ردما) أي حاجزا حصينا (آتوني زبر الحديد) أي قطع الحديد (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أي بين جانبي الجبلين (قال انفخوا) أي بالكير (حتى اذا جعله نارا) أي حتى اذا صار الحديد نارا (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أي نحاسا مذابا (فما اسطاعوا أن يظهروه) أي أن يعلوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أي ثقبا لسمكه وصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد رحمة من ربي (فاذا جاء وعد ربي) أي فاذا جاء وقت خروج يأجوج ومأجوج (جعله دكاء) أي مدكوكا مسويا بالارض (وكان وعد ربي حقا) أي كائنا لا محالة (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) أي يوم خروجهم يختلطون من الفزع (ونفخ في الصور) أي نفخة البعث (فجمعناهم جمعا) أي للحساب (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أي أبرزناها لهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أي عن القرآن (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي لا يستطيعون أن يسمعوا ما يسرهم (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي أفحسبوا أن ينفعهم اتخاذ عبادي أولياء من دوني (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) أي بالذين خسرت أعمالهم (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) أي ذهب عملهم في الدنيا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أي يظنون أنهم يعملون عملا صالحا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أي بالبعث (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نزن لهم حسناتهم لانها حبطت (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) أي بكفرهم (واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي واتخذوا القرآن والرسول هزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أي منزلا (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أي لا يريدون عنها تحولا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) أي لو كتبت بماء البحر كلمات ربي لفنيت قبل أن تفنى كلمات ربي ولو جئنا بمثل البحر مددا (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرائي بعمله أحدا

قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من بعلة الذكر وهو وضع الحيوان وقوله محفاة أي بعدا قال بعض العلماء المراد هم ولاة أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ن) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال لامر أشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في روايته له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أعناقهم وشمائلهم ويسئل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الاعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (يا ويلتنا) أي ياهلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الا أحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والضحك والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود حتى حملوا خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا في كتبهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يزيد أحدا شيئا لم يعمله ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا نعرف هذا الحديث من صل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا) أي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة وهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون قالوا الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملائكة يسمون جنا وتعصيره الاستثناء لان الجن احد نوعي الثقلين وهو الاصح على هذا يدخل الملائكة في قوله اسجدوا لآدم كل الملائكة لاستثنائهم ابليس كل من في السماء ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يعتمد اخراج ما لولاه لدخل وصح دخوله ودليل آخر على كونه من الملائكة وجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو أفتتخذون أنتم وذريته أولياء من دوني وهم لكم أعداء وأجمعت الامة على انه استثناء منقطع وهو مسموع في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما فعلى انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وعير وطرد ولعن ﴿ وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) اي خرج عن طاعة ربه (أفتتخذونه) يعني يا بني آدم افتتخذون ابليس (وذريته أولياء من دوني) يعني أتطيعون ابليس وذريته (وهم لكم عدو) يعني أعداء روى مجاهد عن السعدي قال ان لابليس عدوا ما أدخل رجل قط على امرأته ولا على دابته ولا على فرسه ولا على بعيره ولا على متاعه ولا على طعامه ثم ذكر قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا بئس ما استبدلوا بربهم ربا ان دخل ابليس وجنوده على الرجل عند دخوله منزله فسلم الله والدوابة كما لله والطعام وان لم يد

(من الضالين بدلا) بمن أطاعهم (من دون الله) من الأصنام وغيرها بأن عبدوها (أنتم أضللتم عبادي هؤلاء) أي أمرتموهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أي أخطؤوا طريق الهدى (قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الشريك (ما كان ينبغي لنا) يصح (أن نتخذ من دونك من أولياء) أي أن نعبد غيرك فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) بالمال والصحة (حتى نسوا الذكر) أي تركوا ذكرك بالاشتغال بالشهوات (وكانوا قوما بورا) هلكى (فقد كذبوكم بما تقولون) أيها المشركون (فما تستطيعون) أيها الكفار (صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) منعا له (ومن يظلم منكم) بالشرك (نذقه عذابا كبيرا) في الآخرة (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) رسولا (إلا إنهم ليأكلون الطعام) كما تأكل (ويمشون في الأسواق) كما تمشي (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلاء (أتصبرون) على ما ترون من الفقر والغنى والشدة والرخاء (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر ومن لا يصبر (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (لولا أنزل علينا الملائكة) رسلا (أو نرى ربنا) فيخبرنا بأن محمدا رسوله (لقد استكبروا في أنفسهم) بهذا القول (وعتوا عتوا كبيرا) تجاوزوا الحد في الظلم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) أي لا يبشرون بخير بل يقال لهم (ويقولون حجرا محجورا) أي حراما عليكم البشرى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) من أصحاب النار (وأحسن مقيلا) موضع قيلولة (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي تتشقق عن الغمام الأبيض (ونزل الملائكة تنزيلا) بعد تنزيل كل سماء من يليها (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الثابت له (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) ندما على ما فرط في جنب الله (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا إلى النجاة (يا ويلتى) يا هلاكي (ليتني لم أتخذ فلانا) أي أبي بن خلف (خليلا) صديقا (لقد أضلني عن الذكر) القرآن (بعد إذ جاءني) وصح عنه أنه قال لقد كدت أن أسلم (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يخذله عند نزول البلاء (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا لا يؤمنون به (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي كفار قومه (وكفى بربك هاديا) إلى دينه (ونصيرا) لك على أعدائك (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما نزلت الكتب قبله (كذلك) أي أنزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك على حفظه لأنه أمي (ورتلناه ترتيلا) بينا شيئا بعد شيء (ولا يأتونك بمثل) يقولونه في القرآن من مطعن (إلا جئناك بالحق) الذي يبطله (وأحسن تفسيرا) بيانا (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) يسحبون عليها (أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) طريقا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) معينا له على أمر الرسالة (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) التسع (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم إهلاكا عجيبا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحا فقط لأن تكذيب واحد تكذيب للجميع لاتفاقهم على التوحيد (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) أي أعددنا لهم في الآخرة (عذابا أليما) موجعا (وعادا وثمود) أهلكناهم (وأصحاب الرس) البئر التي لم تطو (وقرونا بين ذلك) الذكر (كثيرا) أهلكناهم (وكلا) من الأمم (ضربنا له الأمثال) بينا لهم الحجج (وكلا تبرنا) أهلكنا (تتبيرا) إهلاكا عجيبا (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) وهي سدوم من قرى قوم لوط أمطر عليها حجارة من سجيل (أفلم يكونوا يرونها) في متاجرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) بعثا (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا) مهزوءا به (أهذا الذي بعث الله رسولا) يقولون ذلك استهزاء (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) أي ثبتنا على عبادتها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) في الآخرة (من أضل سبيلا) أي هم أم المؤمنون (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي ما يهواه فيعبده (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تحفظه من اتباع هواه (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) سماع تدبر (أو يعقلون) ما تقول (إن هم إلا كالأنعام) في عدم الفهم (بل هم أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا منها لأنها تعرف ربها وتطيعه وتعرف عدوها وتجتنبه وهؤلاء بخلاف ذلك (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) أي ظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) دائما لا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) تعرف به الظل بطلوعها وتبعه في الانتقال (ثم قبضناه إلينا) أي أزلناه بالشمس (قبضا يسيرا) سهلا على قدرتنا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) ساترا بظلمته كاللباس (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم بقطع الحركة (وجعل النهار نشورا) وقت انتشار للمعاش (وهو الذي أرسل الرياح بشرا) جمع بشور (بين يدي رحمته) المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا (لنحيي به بلدة ميتا) لا نبات فيها (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) جمع إنسي (ولقد صرفناه بينهم) أي المطر بأن ينزل في بلد دون بلد وفي وقت دون وقت (ليذكروا) فيعتبروا بقدرتنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا لنعمنا بنسبتهم إياها إلى غيرنا (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) رسولا ينذرها فنخفف عنك (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا لا هوادة فيه (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما متجاورين (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) منعا يمنع اختلاطهما (وهو الذي خلق من الماء بشرا) آدميا (فجعله نسبا) ذكورا ينسب إليهم (وصهرا) إناثا يصاهر بهن (وكان ربك قديرا) على ما يشاء (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) إن عبدوه (ولا يضرهم) إن تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان على معصية ربه (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة لمن أطاعك (ونذيرا) بالنار لمن عصاك (قل ما أسألكم عليه من أجر) على تبليغ الرسالة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أي إلا فعل من شاء ذلك فإني أسأله أجري (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي دم على توكلك عليه في أمورك (وسبح بحمده) أي نزهه عما لا يليق به حامدا له (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عليما (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (الرحمن فاسأل به خبيرا) أي فاسأل عنه من يخبر عنه وهو جبريل (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أي صلوا له (قالوا وما الرحمن) أي لا نعرفه (أنسجد لما تأمرنا) بسجودنا له (وزادهم) أمرك بالسجود (نفورا) عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) اثني عشر (وجعل فيها سراجا) شمسا (وقمرا منيرا) يستنير بنورها (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل منهما الآخر (لمن أراد أن يذكر) ما فاته في أحدهما (أو أراد شكورا) لنعمنا عليه فيهما (وعباد الرحمن) أي المؤمنين (الذين يمشون على الأرض هونا) بسكينة وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهون (قالوا سلاما) أي قولا يسلمون فيه من الإثم (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) في صلاة الليل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) ملحا دائما (إنها ساءت مستقرا ومقاما) بئس المستقر والمقام هي (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) بما فوق الحاجة (ولم يقتروا) بما دون الحاجة (وكان بين ذلك قواما) وسطا بين الإسراف والتقتير (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) كما يدعو المشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق) كقتل القاتل عمدا (ولا يزنون) كما يزني المشركون (ومن يفعل ذلك) المذكور من الشرك والقتل والزنا (يلق أثاما) جزاء إثمه (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) ذليلا (إلا من تاب) من الشرك (وآمن) بالله (وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يثبتهم بدل ما كان منهم من السيئات حسنات (وكان الله غفورا رحيما) لمن تاب (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) مرجعا عظيما عند الله (والذين لا يشهدون الزور) لا يحضرون مجالس الباطل (وإذا مروا باللغو) الباطل (مروا كراما) معرضين عنه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) القرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) بل سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بطاعتهم لك (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدى بنا في الخير (أولئك يجزون الغرفة) أعلى الجنة (بما صبروا) على الطاعة وعن المعصية (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالسلامة (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) هي (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي ما يعتد بكم لولا عبادتكم له (فقد كذبتم) أيها الكفار (فسوف يكون لزاما) أي العذاب يلزمكم يوم بدر أو في الآخرة

أي أعوانا موضع المصلي موضع الصنم لدعائهم بالاستغلال فادام يكونوا عضدا لي في الخلق عبادتكم تعبدونهم شركائي في العبادة (ويوم يحشرهم) الله للكفار وما يرون حسرة (ثم يقول) تبكيتا (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) أي أمرتموهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أي أخطؤوا طريق الهدى (قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الشريك (ما كان ينبغي لنا) يصح (أن نتخذ من دونك من أولياء) أي أن نعبد غيرك فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) بالمال والصحة (حتى نسوا الذكر) أي تركوا ذكرك بالاشتغال بالشهوات (وكانوا قوما بورا) هلكى (فقد كذبوكم بما تقولون) أيها المشركون (فما تستطيعون) أيها الكفار (صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) منعا له (ومن يظلم منكم) بالشرك (نذقه عذابا كبيرا) في الآخرة (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) رسولا (إلا إنهم ليأكلون الطعام) كما تأكل (ويمشون في الأسواق) كما تمشي (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلاء (أتصبرون) على ما ترون من الفقر والغنى والشدة والرخاء (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر ومن لا يصبر (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (لولا أنزل علينا الملائكة) رسلا (أو نرى ربنا) فيخبرنا بأن محمدا رسوله (لقد استكبروا في أنفسهم) بهذا القول (وعتوا عتوا كبيرا) تجاوزوا الحد في الظلم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) أي لا يبشرون بخير بل يقال لهم (ويقولون حجرا محجورا) أي حراما عليكم البشرى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) من أصحاب النار (وأحسن مقيلا) موضع قيلولة (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي تتشقق عن الغمام الأبيض (ونزل الملائكة تنزيلا) بعد تنزيل كل سماء من يليها (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الثابت له (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) ندما على ما فرط في جنب الله (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا إلى النجاة (يا ويلتى) يا هلاكي (ليتني لم أتخذ فلانا) أي أبي بن خلف (خليلا) صديقا (لقد أضلني عن الذكر) القرآن (بعد إذ جاءني) وصح عنه أنه قال لقد كدت أن أسلم (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يخذله عند نزول البلاء (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا لا يؤمنون به (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي كفار قومه (وكفى بربك هاديا) إلى دينه (ونصيرا) لك على أعدائك (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما نزلت الكتب قبله (كذلك) أي أنزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك على حفظه لأنه أمي (ورتلناه ترتيلا) بينا شيئا بعد شيء (ولا يأتونك بمثل) يقولونه في القرآن من مطعن (إلا جئناك بالحق) الذي يبطله (وأحسن تفسيرا) بيانا (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) يسحبون عليها (أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) طريقا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) معينا له على أمر الرسالة (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) التسع (فدمرناهم تدميرا) أهلكناهم إهلاكا عجيبا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحا فقط لأن تكذيب واحد تكذيب للجميع لاتفاقهم على التوحيد (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) أي أعددنا لهم في الآخرة (عذابا أليما) موجعا (وعادا وثمود) أهلكناهم (وأصحاب الرس) البئر التي لم تطو (وقرونا بين ذلك) الذكر (كثيرا) أهلكناهم (وكلا) من الأمم (ضربنا له الأمثال) بينا لهم الحجج (وكلا تبرنا) أهلكنا (تتبيرا) إهلاكا عجيبا (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) وهي سدوم من قرى قوم لوط أمطر عليها حجارة من سجيل (أفلم يكونوا يرونها) في متاجرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) بعثا (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا) مهزوءا به (أهذا الذي بعث الله رسولا) يقولون ذلك استهزاء (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) أي ثبتنا على عبادتها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) في الآخرة (من أضل سبيلا) أي هم أم المؤمنون (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي ما يهواه فيعبده (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تحفظه من اتباع هواه (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) سماع تدبر (أو يعقلون) ما تقول (إن هم إلا كالأنعام) في عدم الفهم (بل هم أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا منها لأنها تعرف ربها وتطيعه وتعرف عدوها وتجتنبه وهؤلاء بخلاف ذلك (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) أي ظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) دائما لا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) تعرف به الظل بطلوعها وتبعه في الانتقال (ثم قبضناه إلينا) أي أزلناه بالشمس (قبضا يسيرا) سهلا على قدرتنا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) ساترا بظلمته كاللباس (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم بقطع الحركة (وجعل النهار نشورا) وقت انتشار للمعاش (وهو الذي أرسل الرياح بشرا) جمع بشور (بين يدي رحمته) المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا (لنحيي به بلدة ميتا) لا نبات فيها (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) جمع إنسي (ولقد صرفناه بينهم) أي المطر بأن ينزل في بلد دون بلد وفي وقت دون وقت (ليذكروا) فيعتبروا بقدرتنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا لنعمنا بنسبتهم إياها إلى غيرنا (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) رسولا ينذرها فنخفف عنك (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه (وجاهدهم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا لا هوادة فيه (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما متجاورين (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) منعا يمنع اختلاطهما (وهو الذي خلق من الماء بشرا) آدميا (فجعله نسبا) ذكورا ينسب إليهم (وصهرا) إناثا يصاهر بهن (وكان ربك قديرا) على ما يشاء (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) إن عبدوه (ولا يضرهم) إن تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان على معصية ربه (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة لمن أطاعك (ونذيرا) بالنار لمن عصاك (قل ما أسألكم عليه من أجر) على تبليغ الرسالة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أي إلا فعل من شاء ذلك فإني أسأله أجري (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي دم على توكلك عليه في أمورك (وسبح بحمده) أي نزهه عما لا يليق به حامدا له (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عليما (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (الرحمن فاسأل به خبيرا) أي فاسأل عنه من يخبر عنه وهو جبريل (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أي صلوا له (قالوا وما الرحمن) أي لا نعرفه (أنسجد لما تأمرنا) بسجودنا له (وزادهم) أمرك بالسجود (نفورا) عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) اثني عشر (وجعل فيها سراجا) شمسا (وقمرا منيرا) يستنير بنورها (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل منهما الآخر (لمن أراد أن يذكر) ما فاته في أحدهما (أو أراد شكورا) لنعمنا عليه فيهما (وعباد الرحمن) أي المؤمنين (الذين يمشون على الأرض هونا) بسكينة وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهون (قالوا سلاما) أي قولا يسلمون فيه من الإثم (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) في صلاة الليل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) ملحا دائما (إنها ساءت مستقرا ومقاما) بئس المستقر والمقام هي (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) بما فوق الحاجة (ولم يقتروا) بما دون الحاجة (وكان بين ذلك قواما) وسطا بين الإسراف والتقتير (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) كما يدعو المشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق) كقتل القاتل عمدا (ولا يزنون) كما يزني المشركون (ومن يفعل ذلك) المذكور من الشرك والقتل والزنا (يلق أثاما) جزاء إثمه (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) ذليلا (إلا من تاب) من الشرك (وآمن) بالله (وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يثبتهم بدل ما كان منهم من السيئات حسنات (وكان الله غفورا رحيما) لمن تاب (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) مرجعا عظيما عند الله (والذين لا يشهدون الزور) لا يحضرون مجالس الباطل (وإذا مروا باللغو) الباطل (مروا كراما) معرضين عنه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) القرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) بل سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بطاعتهم لك (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدى بنا في الخير (أولئك يجزون الغرفة) أعلى الجنة (بما صبروا) على الطاعة وعن المعصية (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالسلامة (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) هي (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي ما يعتد بكم لولا عبادتكم له (فقد كذبتم) أيها الكفار (فسوف يكون لزاما) أي العذاب يلزمكم يوم بدر أو في الآخرة

(وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) تحاورني الا الى ما فيها الا الجدل في سلبها واحدا وأحمد صوم مرارا بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي محمد وما جاء به (ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين) أن الأولى نصب الا أن (أو يأتيهم العذاب) أي عذاب الاستئصال (قبلا) أي عيانا (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) بالجنة والنار (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) ليزيلوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) مهزوءا به (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) فلم يؤمن بها (ونسي ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) صمما عن سماعه (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) أي لا يهتدون إن دعوتهم (وربك الغفور ذو الرحمة) للمؤمنين (لو يؤاخذهم بما كسبوا) من الكفر والمعاصي (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) للعذاب في الآخرة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أي أهلها (أهلكناهم لما ظلموا) بالكفر (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وقتا لإهلاكهم (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون (لا أبرح) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقاهما مما يلي المشرق (أو أمضي حقبا) دهرا طويلا (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) أي نسي يوشع تفقده وموسى أكله (فاتخذ سبيله في البحر سربا) أي مسلكا (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتاه آتنا غداءنا) ما نتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) التي عند مجمع البحرين (فإني نسيت الحوت) أن أذكره لك (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) بدل من الهاء (واتخذ سبيله في البحر عجبا) أي مسلكا عجبا (قال ذلك ما كنا نبغ) أي الذي كنا نطلبه من العلامة عند الصخرة (فارتدا على آثارهما قصصا) يقصان أثرهما قصصا (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من عندنا) النبوة أو الولاية (وعلمناه من لدنا علما) علم الغيب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) أرشد به في أمري (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) على ما ترى مني (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي لم تعلمه علما (قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) أي غير مخالف لك (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء) مما أفعله (حتى أحدث لك منه ذكرا) أبتدئك ببيانه (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) بقلع لوح منها (قال أخرقتها لتغرق أهلها) بالماء الذي يدخلها (لقد جئت شيئا إمرا) عظيما منكرا (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) زاد في الثانية لكونها أشد من الأولى (قال لا تؤاخذني بما نسيت) أي بنسياني (ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تغشني منه عسرا بالمضايقة في صحبتك (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) بأن ضرب رأسه بحجر فمات (قال أقتلت نفسا زاكية) طاهرة من الذنوب (بغير نفس) قتلها (لقد جئت شيئا نكرا) منكرا (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) زاد في الثالثة لكونها أشد من الثانية (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) أي لا تكن صاحبي (قد بلغت من لدني عذرا) أي أعذرت إلي في جهتي بتكرار المخالفة (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) هي أنطاكية (استطعما أهلها) طعاما (فأبوا أن يضيفوهما) يطعموهما (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي قارب أن يسقط (فأقامه) بيده فاستقام (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي جعلا نأكله (قال هذا فراق بيني وبينك) أي وقت فراق (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي ما لم تطق عليه صبرا (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) يطلب منهم أجرة حملهم (فأردت أن أعيبها) بخرقها (وكان وراءهم) أمامهم (ملك يأخذ كل سفينة) صالحة (غصبا) فلم يأخذها لعيبها (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) أي علم ذلك (فخشينا أن يرهقهما) يحملهما (طغيانا وكفرا) بأن يدعوهما إلى الكفر لمحبتهما له (فأردنا أن يبدلهما ربهما) بدله (خيرا منه زكاة) طهارة من الذنوب (وأقرب رحما) أي أرحم بوالديه وأوصل (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) هي أنطاكية (وكان تحته كنز لهما) لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن أيقن بالقدر كيف يحزن ولمن أيقن بالحساب كيف لا يعمل (وكان أبوهما صالحا) فحفظ بصلاحه (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي كمال عقلهما (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) أي فعلنا ذلك رحمة (وما فعلته عن أمري) بل عن أمر ربي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ما لم تطق عليه صبرا (ويسألونك عن ذي القرنين) أي عن خبره (قل سأتلو عليكم منه ذكرا) خبرا (إنا مكنا له في الأرض) بالسلطان (وآتيناه من كل شيء سببا) علما يتوصل به إلى ما يريد (فأتبع سببا) طريقا موصلا إلى مغرب الشمس (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة وهي الطين الأسود (ووجد عندها قوما) كفارا (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب) بالقتل لمن ظلم (وإما أن تتخذ فيهم حسنا) بالأسر (قال أما من ظلم) بالكفر (فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) منكرا (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) الجنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي ذا يسر (ثم أتبع سببا) طريقا موصلا إلى مطلع الشمس (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) أي لم نجعل لهم ما يستترون به من لباس أو بناء (كذلك) أي أمره كما قص (وقد أحطنا بما لديه خبرا) علما (ثم أتبع سببا) طريقا موصلا إلى ما بين السدين (حتى إذا بلغ بين السدين) جبلين سد ما بينهما (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لعجمتهم (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج) قبيلتان من ولد آدم (مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا) جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا (قال ما مكني فيه ربي خير) مما تبذلون لي (فأعينوني بقوة) بآلة (أجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطعه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) جانبي الجبلين بالبناء (قال انفخوا) بالكير (حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أي نحاسا مذابا (فما اسطاعوا أن يظهروه) أن يعلوه لارتفاعه (وما استطاعوا له نقبا) لثخنه وصلابته (قال هذا رحمة من ربي) على عباده (فإذا جاء وعد ربي) بخروجهم قبل القيامة (جعله دكاء) أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) كائنا لا محالة (وتركنا بعضهم يومئذ) أي يوم خروجهم (يموج في بعض) أي يختلط الإنس والجن من كثرتهم (ونفخ في الصور) نفخة البعث (فجمعناهم جمعا) للحساب (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) بحيث يرونها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) عن القرآن (وكانوا لا يستطيعون سمعا) لتصامهم عنه (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي ما ينفعهم ذلك (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) منزلا (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) أي نخبركم بهم (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) بأعمالهم (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) بالبعث (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نعتد بأعمالهم (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) مهزوءا بها (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) منزلا (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أي لا يريدون تحولا إلى غيرها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) أي لكتابتها (لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) زيادة (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف البعث (فليعمل عملا صالحا) خالصا لوجه الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) في عبادته

الانشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا وسميت تلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال الباطل (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما أنذروا به رسوله والراسخ من الصلة محذوف أي وما أنذروه ومن العقاب أو مصدر به أي وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بكسر الزاي والهمزة وبابدال الهمزة واوا مخففة وبضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا في قوله ان يفقهوه (فاعرض عنها) فلم يتدبر ولم يتذكر (ونسي ما قدمت يداه) عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسبب والمحسن لا بد لهما من جزاء هم على اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) مسلاعن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) بالمجد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب دل على انتفاء انتفائهم لدعوة الرسول يعني انهم جعلوا بحيث أن يكون سبب وجود الاهتداء منهم انتفاء ان يدعوهم وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم وقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا (أبدا) متصلا بالكلام كلها (وربك الغفور) البالغ في المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني الوقت الحساب (لن يجدوا من دونه موئلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أي كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) اي اجلا لاهلاكهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتاه) الآثار أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن منشا بن اولاد يوسف بن يعقوب وكان ذلك قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح دليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا اراده صاحب التوراة وايضا فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وروى البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب وكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل حيث ما فقدت الحوت فهو ثم وجد خضرا له في مكتل بمجمع البحرين وانطلق يمشيان حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا

اهل مكة عاجلا مع فرط عنادهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لو لا) هذا (القرى) صفة لان اسما لا سور وصف اسم الاجناس والجمع (اهلكناهم) اولئك الذي نصب باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى واهلكنا اصحاب القرى اهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم اهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضرب الاهلاك بهم مثلا لما سيحل بمشركي مكة يوم بدر والملك الاهلاك وسمي بالمصدر والفتح اللام وكسرها مصدر هلك يهلك أي لهلاكهم او لاهلاكهم والموعد مصدر أو وقت (واذ) واذكر (قال موسى لفتاه) هو يوشع

To: www.al-mostafa.com

قال رحمه الله تعالى (وإذا أحرم الرجل بالحج فقد لزمه الحج والعمرة) لأن الشروع في النفل كالإيجاب في حق لزوم الإتمام عندنا لقوله تعالى ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وقد بينا أن المراد الشروع فيهما عندنا وعند الشافعي رحمه الله المراد الإتمام بعد الشروع لأن الأمر بالإتمام بعد الشروع لا يكون أمرا بالشروع فيه عنده لأنه يرى الشروع فيه مباحا وعندنا الأمر بالإتمام بعد الشروع يكون أمرا بالشروع فيه لأن الشروع فيه واجب عندنا (ثم إن فاته الحج تحلل بعمل عمرة) لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فاته الحج فليحل بعمرة وعليه الحج من قابل وعليه الهدي إن كان ساقه أو قلده وهذا لأن الحج لا يفوت إلى بدل والعمرة بدل عنه فيتحلل بها كما يتحلل بالحج الصحيح (وعليه الحج من قابل) لأن الحج الذي شرع فيه قد فاته فيلزمه قضاؤه (وعليه الهدي) لأنه لا بد من الدم لفوات الحج ولا يجد سبيلا إلى الإراقة في وقتها فيلزمه الهدي ليتحلل به (وإن كان قارنا فعليه حجتان وعمرتان) لأن القران عبارة عن الجمع بين الحج والعمرة وقد فاته الحج فيلزمه قضاؤهما (وإن فاته الحج فطاف لعمرته أكثر الأشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الأشواط الباقية) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الأشواط الباقية لأن الرمل في طواف العمرة مشروع (وإن كان طاف لها أقل الأشواط ثم فاته الحج لم يرمل في الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فلا يرمل في الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الأشواط الباقية) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الأشواط الباقية لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته شوطا واحدا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته عشرة أشواط ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أحد عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثني عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة عشر شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته عشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وعشرين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وثلاثين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وأربعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وخمسين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وستين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وسبعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وثمانين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة وتسعين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته مائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته أربعة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته خمسة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ستة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته سبعة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثمانية ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته تسعة ومائة شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته مائتين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته واحدا ومائتين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته اثنين ومائتين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأن الرمل في طواف العمرة مشروع في الأشواط الثلاثة الأولى (وإن فاته الحج وقد طاف لعمرته ثلاثة ومائتين شوطا ثم فاته الحج فعليه أن يرمل في الشوط الباقي) لأنه لما فاته الحج صار طوافه طواف العمرة فيرمل في الشوط الباقي لأ

موسى السكوة على أن الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس حمل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وعند رؤسهما عالم أنهما الى الصخرة وصغار أسماك اذا اصطربت الحوت خرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار أثره مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه آتنا غداءنا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبا وسقما وذلك انه ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة فذكر الحوت ورجع في طلبه (قال) يعني يوشع (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) وهي صخرة كانا بالموضع الموعود (فاني نسيت الحوت) أي تركته وعند ذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فخبره فسي أن يخبره فذكرا نومهما حتى ساما الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان هو جعل ذلك الانسان بوساوس الشيطان الى هي من فعله دون النسيان الذي ضد الذكر لان ذلك لا يصح الا من فعل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع يعني وجد الحوت في البحر فاتخذ سبيله مسلكا وروي ان البحر كان للحوت سربا ولموسى وأصحابه عجبا وقيل اي والله عجبا من الحوت حيث صار حيا بعد ما أكل بعضه ثم صار بعد ما أكل كله حيا وقوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) يعني ذلك الذي كنا نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه (قصصا) يعني يقصان آثارهما اي يتبعان آثارهما قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في الاثار الصحيحة انه كان رجلا من البشر واختلفوا في اسمه فقال كان من بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين ورثوا الدنيا والخضر لقبه واسمه بليا بن ملكان على قول جماعة (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما سمي الخضر لانه كان يجلس فيخرج من تحته خضرا وقال الحسن انما سمي الخضر لانه كان شيخا كبيرا فلما مسه الخضر اهتز شعره وصار شابا وقال مجاهد سمي الخضر لانه كان يصلي في مكان فيأتيه الخضر فيصلي معه وقال ابن عيينة سمي الخضر لانه كان يقعد على الثلج فيخضر ما تحته وقال وهب بن منبه

(ولا أعصي لك أمرا) قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبي بن كعب وغيرهما من العلماء لم يكن موسى عليه السلام يومئذ حين قال ذلك للخضر نبيا (قال) نعم اللام مشددة النون مفتوحة وتسكن للوقف وحذفت النون تخفيفا لكثرة ما تقع فيه (فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أحدث لك منه ذكرا) أي فإن شرط اتباعك لي أن لا تسألني عن شيء عليلوجه حتى أكون أنا الفاتح عليك لما رهدا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر بطلب السفينة فمرت بهما فحملوهما بغير كلفة فلما ركبا فيها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء عليهم السلام

ثم (قال أخرقتها لتغرق أهلها) لتغرق جزم على جواب الاستفهام (لقد جئت شيئا إمرا) أنكر عليه أعظم من الأول (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى أن الخرق لا يحتمل له ما لم يعرض السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) الذي نسيته أو بشيء أوصاني به أو نسيان على ظاهره أراد به نسي وصيته ولا مؤاخذة على النسيان البتة أي لا تؤاخذني بما تركت من عهدك أول مرة (ولا ترهقني من أمري عسرا) ترهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا في أمري وهو ما عاملا أي ولا تعسر علي مصاحبتك ولا تعسرها على بالمناقشة ولا عصاني بترك المساهلة (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) قتل ضرب رأسه بالحجر فأطار دماغه وقيل ضرب رأسه بالحائط وقيل ضرب رأسه بالسكين فبرك على وجهه فمد صفحة عنقه بالسكين وقيل ذبحه أحدهما بالسكين وقيل أضجعه ليذبحه فاضطرب تحته فشدخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالحائط فدمغه وقيل أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروي أنه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالحائط فدمغه قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله ربي يقول أقتلت نفسا زاكية إلا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان في سواد الطريق وقيل كان يقطع الطريق وقيل كان أبويه كافرين (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقتلت نفسا زاكية) أي لم تذنب وقرئ زكية وهي أنثى لم تبلغ (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا حتى تحبس بها للقتل (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الإمر لأنه ضعف الهائل وفي حرف السفينة خرق الهائل وقيل الإمر أعظم لأن فيه تغريق أهل السفينة جميعا والنكر من الأول لأن دائما كل خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لأنه بعض العهد من وقيل إن هذه اللفظة توكيد لا يخل حذفها

(قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) (قال) أي موسى (قد بلغت من لدني عذرا) أي قد أعذرت في جهتي فلا لوم علي في مفارقتك إياي وقيل معناه قد أعذرت إلي فيما بيني وبينك حيث حلفت لي على ترك الصحبة فلم تبرني في يمينك وقيل معناه قد أعذرت إلي فيما بيني وبين الله تعالى حيث أمرني باتباعك فلم يعذرني في مفارقتك إياي (وانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) طلبا منهم الطعام (فأبوا أن يضيفوهما) فلم يطعموهما ولم يقروهما وقيل لم يعطوهما أجرا وقيل لم يعطوهما ما يشترى به الطعام (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط وقيل مال وانحنى وقيل انشق وقيل انقض انقضاض الطير إذا ذهب ليقع وقيل انقض من أعلاه إلى أسفله دفعة واحدة (فأقامه) قال ابن عباس رضي الله عنهما مسحه بيده فاستقام وقيل قعد تحته فرفعه على منكبيه وقيل مسحه بيده فقام وقيل هدمه وبناه وقيل هدم بعضه وبناه وقيل نقضه وجعل يبني وهو يقول لو شئت لاتخذت عليه أجرا فقال له الخضر هذا القول (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي لأخذت عليه أجرا نأكله ونعيش به وقيل لو شئت لأعطيناهم على إقامته أجرا نأكله ونعيش به (قال هذا فراق بيني وبينك) أي هذا وقت فراقك إياي وقيل هذا وصل بيني وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أي سأخبرك بتفسير ما لم تطق عليه صبرا وقيل سأخبرك بما لم تصبر عليه وقيل سأخبرك بما لم تعلم وقيل سأخبرك بما لم تسأل عنه وقيل سأخبرك بما لم تعرف وقيل سأخبرك بما لم تحط به علما وقيل سأخبرك بما لم تعمل به وقيل سأخبرك بما لم تعتد به وقيل سأخبرك بما لم تحتمله وقيل سأخبرك بما لم تقدر عليه وقيل سأخبرك بما لم تعرف

هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني) قال ابن عيينة كان يقول لو ان موسى ما بدا الله ذكر العهد الذي أخذ عليه قال موسى ان سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني (قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اصبح لك العذر في مفارقتي والمعنى انه قد حصحص هذه الطريقة من مصاحبته احملها مرتين أولا وبا سمع رب الله (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى ولكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه ولا انه عجل لرأى العجب ولكنه أخذ به من صاحبه ما قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامه هو بالذال المعجمة أي حياء واستحياء من الذم واللوم يقال ذممته بمعنى لمته ولامته وقد تقدم قول الخضر هذا فراق بيني وبينك وقوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا اتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي باذربيجان (استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما وروي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل قرية بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما ودعا لنسائهم ولبن رجالهم وعن مجاهد قال ير العربي الى لا يضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول داري تطرفني داري وفلان اذا كانت بها لها فاستعير لها الاطراف استعير للجدار الارادة (فاقامه) اي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وعمده بيده (قال) يعني موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) يعني على اصلاح الجدار حملا والمعنى انه قد علمت انك ضيعت وان أهل القرية لم يطعموك فلو اتخذت على عملك اجرا (قال) اي الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وهو سؤال هذا الذي انكر عليه أحد الامرين والمعنى ما (سأنبئك) اي سوف اخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أحدث الخضر وقال اخبرني معنى ما علمت قيل ان تعاتبني وقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر اي لو حوموها وكسبوا بها وهذا دليل على ان المساكين وان كان حالهم سيئا لا يزول عنهم اسم المسكنة اذ لم يعهد ما كانوا عليه وكان حال العشرة في الصبر والحاجة أشد من حال المساكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع ما هم كانوا عليه من حال السعة (فاردت ان أعيبها) أي اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (يأخذ كل سفينة صالحة) اي كل سفينة صالحة تمر بها صحيحة لا يأخذها الملك العاصب وكان اسمه الجلندى الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد وروي ان الخضر اخبر الى القوم وذكر لهم ان الملك العاصب لم يكونوا يعلمون بخبره قال اردت اذا هي مرت به ان يدعها له فاذا جاوز واصلحوها وانتفعوا بها (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) اي عملا واحسبه حوف بسوء تعلم واكثر ما يكون عن علم ما يحسن ما يرسل عباده فعلا (ان

اسعير الهم والعزم لذلك (فاقامه) سنده أو مسحه سده بعلم واسوى أو بعصه وساه كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد رسمها الخاجه الى آخر كسب المرء وهو المسلة لم يحدا موا لما أقام الجدار لم يسأل موسى لما رأى من الحرمان وسماس الحاجة ان (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي لطلبت على عملك جعلا حتى تستعين به الضرورة لاتخذت بحذف احدى التاءين من الاصل تتخذ وادغام الذال تصري واظهارها مكي وسهل الباقون وفتح الخاء واظهار الذال حفص وسهل الباقون الخاء وادغام الذال في الباقين وهم والباقون بعد اصل بتاء مفتوحة بعد الخاء واصل تاء افتعل مكسور فلما وقع بعد الخاء ساكن فتح وليس من الاخذ في شئ (قال هذا فراق بيني وبينك) هذا اشارة الى السؤال الثالث اي هذا وقت فراق بيني وبينك وذهب قوم الى ان قوله فاقامه راجع الى الجدار والاصل هذا فراق بيني وبينك فاضيف الفراق الى الظرف كما يضاف الى الفعل قوله

(سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر (فاردت ان اعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عيبهم حجره فاعلم الله به الخضر وهو جاء ذي (يأخذ كل سفينة صالحة) اي اخذ كل سفينة صالحة ملكها وهو مصدر أو مفعول له قال ابن عباس سفينة صالحة كان صحيحا ليس فيها عيب (وأما الغلام) وكان اسمه جيسور (فكان أبواه مؤمنين)

(وآتيناه من كل شئ) أراد من آلة الملك ما يحتاج إليه في ملكه (سببا) طريقا يوصله إليه (فأتبع سببا) فسار حتى بلغ مغرب الشمس (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي مغرب العمارة من الأرض وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بأمره وحدثني الكلبي أن أحد أولاد سام نشر من بعض الجبال فحمل منه في سربه ظلمة والمغرب وراء ذلك الجانب سار ولم يسر دون المغرب (وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة سوداء أراد صارت عندهم لأنها في شاطئ وكون غروبها في عين حمئة بمعنى أنها تغرب وراءها على ما يرى من سفح جبل فرأى الشمس حين غابت كأنها تغرب في عين حمئة أو رأى الشمس وقد انتهى إلى موضع لم يجد بعده أرضا يسلكها فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة من الأرض كما يراها الناظر في البحر (ووجد عندها قوما) أي عند العين أمة قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا من السودان وهم الحبوش وإنما سموا حمئة لسوادهم وقوم من غير هذا القول أنهم كانوا صالحين ولو كانوا على خلاف دين أهل زمانهم لما أضاف الله العين إليهم بقوله (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) إن كان فيهم أو خذ الذي يستحق العذاب منهم والإبقاء على من يستحق الإبقاء وإما أن يكون الخيار إليه في أمرهم أي في أن يعذبهم أو يحسن إليهم (قال أما من ظلم) منهم نفسه بالكفر (فسوف نعذبه) بالقتل (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا لم ير مثله (وأما من آمن) منهم (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أي الجنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي سهلا غير شاق من قولك هذا أمر ما يسر أي سهل غير شاق (ثم أتبع سببا) أي سار طريقا آخر (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال أهل التفسير كانوا في مكان لا يستقر عليهم الشمس تسخر من حر ولا يبني ولا يعمرون بيوتا فإذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقيل إنهم كانوا إذا طلعت الشمس على الماء إذا هم خلق عظيم يأكلون السمك النيء ويلبسون جلوده وقيل هم زنج يقعون أحد شقيهم حصيرا والآخر يلبسونه وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأنبياء (كذلك) أي كما طلعت الشمس على قوم من الكفار (قد أحطنا بما لديه خبرا) أي علما يتسع إلى كل ما يرد عليه في أقطار الأرض (ثم أتبع سببا) أي سار طريقا (حتى إذا بلغ بين السدين وجدها) أي ذات (من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يعلمون أحد يتكلم بلغتهم غير لغتهم (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا) أي جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) حاجزا يمنعهم من الخروج إلينا (قال ما مكني فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه من الملك والقدرة على فتح المدن وقهر الأعداء (فأعينوني بقوة) أي على ما أريد منكم من العمل (أجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا أكثر من السد (آتوني زبر الحديد) قطعه واحدتها زبرة (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي جانبي الجبلين سد ما بينهما وكان ارتفاع السد مائتي ذراع وعرضه مائتي ذراع (قال انفخوا) بالكير على الحديد (حتى إذا جعله نارا) أي كالنار في الإحماء (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أي نحاسا مذابا يصب على الحديد المحمى فيدخل بين خلله فيصير جبلا صلدا لا يستطاع نقبه ولا علوه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أن يعلوا عليه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته (قال هذا رحمة من ربي) على عباده حيث كفاهم شر يأجوج ومأجوج (فإذا جاء وعد ربي) بخروجهم في آخر الزمان (جعله دكاء) أرضا مستوية بالأرض (وكان وعد ربي حقا) كائنا لا محالة (وتركنا بعضهم يومئذ) أي يوم إذ جاء وعد ربي (يموج في بعض) أي يختلط الإنس والجن من شدة الخوف والفزع (ونفخ في الصور) النفخة الثانية (فجمعناهم جمعا) للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أبرزناها لهم حتى يروها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) عن القرآن والتذكر به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) لإعراضهم عن استماع الحق (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أن ينصروهم من عذابي أو يشفعوا لهم عندي (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) منزلا يقال للمنزل النزل (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) أي نخبركم بمن خسر عمله (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) بأعمالهم (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) بالبعث (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نعطيهم ثوابا لأن الوزن لا يكون إلا لما له قدر عند الله (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي مهزوءا بها (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أي ثوابا (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أي لا يريدون عنها تحولا إلى غيرها لأنهم لا يرون في غيرها ما يرون فيها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) أي لو كتبت بماء البحر كلمات الله وكان البحر مدادا لها لفنيت قبل أن تفنى كلمات الله ولو جئنا بمثل البحر الذي هو مداد لكلمات الله مددا له يمده ويزيد فيه لنفد أيضا قبل أن تفنى كلمات الله لأن ما عند الله لا نهاية له وما عند غيره يفنى وإن كثر (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما من كان يعمل عمل المؤمن ويرجو ثواب الآخرة ولا يرائي بعمله فهو الذي يرجو لقاء ربه ومن كان يعمل عمل المرائي يحب أن يحمد بأفعال البر فهو الذي يشرك بعبادة ربه وقيل نزلت في جندب بن زهير قال إني لأعمل العمل لله فيسرني أن يطلع عليه فيدخلني ما شاء من العجب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من عمل عملا أشرك فيه غير الله تعالى فأنا منه بريء وهو كله لمن أشرك به وقرأ معاوية هذه الآية

قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) هما جبلان في بلاد الديلم وما يقابلهما أرض الترك سميا بذلك لأنهما ضيقا ما بينهما من نواحي البلاد وهما جبلان أملسان ليس لأحد عليهما مشدود بالحديد والرصاص فلذلك سميا سدين (ووجد من دونهما قوما) أي أمام السدين وهم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يعقلون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا يا ذا القرنين) قال وهب كتب أنهم الترك وهم لا يفهمون كلام غيرهم ولا يعقل أحد كلامهم وعمل معه كالبهائم لا يكادون يفقهون قولا إلا بعد جهد ومشقة من إشارة ونحوها كلامهم الخرس (إن يأجوج ومأجوج) أصلهما من الهمز من الوبء وهو سرعة الشر وشرهما سموا لكثرتهم وسعيهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم فإن طائفة منهم خرجت بعد تمصر سدوا القرنين السد فصاروا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجه قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والهند ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حديث مرفوعا أن يأجوج أمة وما يأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز طول الصنف مائتا ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه وعدتهم منهم بالسام وسادتهم بحراسان يسيرون ثم إذا المسرى وتحيره طيرته وعن علي منهم من طوله سرر منهم من هو مفرط في الطول وقال كعب منهم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم لما احتلم ذات يوم واحتلم معه ماء الفراش فحالت به من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم مصلوت ناس جههم الأذنون الأخر وهم الذين ذكرهم الله في سورة الأعراف كان رجلان الروم إذا عجوز فلما مات كانت تأتيهما الخبر فقال الله سبحانه وتعالى له إني ماض إلى أمم لا يعلم أنسبهم إلا أنا فأسألهم عنهم أسماء طول الأرض أحدهما يسمى المسمى قال لها ناسك والأخرى سماطيها قال لها ناسك أيضا ثم أرسل الأرض أحداهما في العطار الأعلى يقال لها هاول والأخرى في عطار الأرض الأسفل يقال لها ماول وأقام في وسط الأرض مما يلي الأنس وهو يأجوج ومأجوج فقال لهما اسلكا فسلكا فلا يرى أحدهما الآخر ولا يرى الأنس ولا الأنس يرى الجن ولا الجن يرى الملائكة ولا الملائكة يرون الجن ولا الجن يرون الأنس ولا الأنس يرون الجن ولا الجن يرون

من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى تصيف في واحدة وتشتي في واحدة يتساقدون يتساقدون لهام حيث ناموا فلما عاينوا ذا القرنين ذلك انصرف الى بين السدين فقاس ما بينهما وجعله الاساس حتى انتهى الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون في الارض) وذلك فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حملوه فأدخلوه أرضهم فلما رأوا منهم أذى شديدا وعلموا فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وعلموا انهم لا يقدرون عندئذ على حربهم (فهل نجعل لك خرجا) أي جعلا واجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (ما مكني فيه ربي خير) أي ما قواني عليه ربي خير من جعلكم (فاعينوني بقوة) يعني لا أريد منكم المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أي سدا فقالوا وما آلة البناء فقال فعلة وصناع يحسنون البناء قالوا وما آلته قال (آتوني) أي اعطوني (زبر الحديد) أي قطع الحديد واحدتها زبرة (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل في مكانه حتى لزم الحديد النحاس فصار كالبرد المحبر طرائقه مسودة وطرائقه حمراء وكان السد حين فرغ منه مائة ذراع طوله في السماء مائة ذراع واعلم ان هذا السد مجرد عما يسمى ظاهرا فلا يرى الا كومة الحجارة اذا وقع عليها حتى صار كالبرد المحبر فلا يمكن الانسان ان يصعد عليه كما انه تعالى صرف بأجوج ومأجوج عن ان يأتوا الناس من فوقه حتى يكفوا عن العمل فيه (فما اسطاعوا أن يظهروه) أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لسدته وصلابته (قال) يعني ذو القرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أي أرضا مستويا مع الارض (وكان وعد ربي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين قوله وعقد تسعين هو موضع الحساب وهو ان جعل راس اصبعه السبابة في وسط الابهام من باطنها سماها حلقة لكل لا يدري لها الا الله تعالى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كأشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع تحمل الدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء فيرد الله عليهم نعما في رقابهم فيهلكون والذي نفس محمد بيده ان

(وترکنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (یومئذ یموج) یختلط (فی بعض) أی یضطربون ویختلطون انسهم وجنهم حیاری یحتمل أن یکون الضمیر لیأجوج ومأجوج وانهم یموجون حین یخرجون کما وراء السد من دجن فی البلاد وروی انهم یأتون البحر فیشربون ماءه ویأکلون دوابه ثم یأتون الشجر ومن طعموا منه من الناس ولا یقدرون أن یأتوا مکة والمدینة وبیت المقدس ثم یبعث الله تعالی أعقابهم فیدخل آدابهم یموتون (ونفخ فی الصور) لقیام الساعة (فجمعناهم) أی جمع (۲۱۲) الخلائق للأولین والعذاب (جمعا) ناکید

دواب الأرض لیسمن ویشکرن الله من لحومهم سکرا أخرجه العزرقی وقوله مسومة أی معلمة وقیل مطهمة وتکبر الجمعة ودود یکون فی أنوف الابل والغنم وقوله وشکر یقال شکرت الشاة تشکر شکرا اذا لم تصر علفها فالمعنی انها تهزل (وقیل أحیاؤها لحیاتهم) (ح) عن أبی سعید الخدری رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال یعصی الناس ما شاء الله بعد خروج یأجوج ومأجوج ﴿قوله عز وجل (وترکنا بعضهم یومئذ یموج فی بعض) قیل هذا قبل رفع السد یعنی ترکنا یأجوج ومأجوج یموج أی یدخل بعضهم فی بعض کموج الماء بعضه فی بعض یختلطون یکثرهم وقیل هذا بعد قیام الساعة یدخل الناس بعضهم فی بعض لکثرتهم وقلة الماء لسبهم یشبه موجهم حیاری (ونفخ فی الصور) دلیل علی ان خروج یأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أی فی صعید واحد (وعرضنا) أی أریناها (جهنم یومئذ للکافرین عرضا) لشاهدوها عیانا (الذین کانت أعینهم فی غطاء) أی عشاوة وستر (عن ذکری) أی عن الاعتبار بالقرآن والهدی والتأمل فی براهینه الدلائل وتصریفها (وکانوا لا یستطیعون سمعا) أی سمع قبول لانهم لما کانت أعینهم لا تبصر الحق کانت آذانهم کالصم عن سماعه وقیل معناه لا یستطیعون أن یسمعوا من رسول الله صلی الله علیه وسلم لشدة عداوتهم له ﴿قوله تعالی (أفحسب) أی أفظن (الذین کفروا أن یتخذوا عبادی من دونی أولیاء) یعنی أوثانا یدعونهم الملائکة لهم لهم أعداء یبرؤون منهم وقال ابن عباس یعنی الشیاطین أطاعوهم من دون الله والمعنی أفظن الذین کفروا أن اتخذوا غیری أولیاء ولا أغضب لنفسی فلا آعاقبهم وقیل معناه أفظنوا انهم بعبادتهم ایای یمنعونی منهم أو ینفعونهم عندی (انا أعتدنا) أی هیأنا (لهم للکافرین نزلا) أی منزلا قال ابن عباس رضی الله عنهما هی مواهم ﴿قوله تعالی (قل هل ننبئکم بالأخسرین أعمالا) یعنی الذین اتعبوا أنفسهم فی عمل یرجون به صلاحا ولم ینالوا الا هلاکا وقال ابن عباس هم الیهود والنصاری وقال علی رضی الله عنه هم الرهبان الذین حبسوا أنفسهم فی الصوامع وقال علی رضی الله عنه هم أهل حروراء من الخوارج (الذین ضل سعیهم) أی تبطل أعمالهم وأجسادهم (فی الحیاة الدنیا وهم یحسبون أنهم یحسنون صنعا) أی یظنون أنهم یعملون عملا صالحا (أولئک الذین کفروا بآیات ربهم ولقائه) یعنی أنهم جحدوا دلائل توحیده وقدرته وکفروا بالبعث والجنة والنار وقال الله تعالی فی حقهم کفروا بالذی صلی الله علیه وسلم وبالقرآن صاروا کافرین بهذه الأشیاء (فحبطت أعمالهم) أی بطلت (فلا نقیم لهم یوم القیامة وزنا) قیل لا نقیم لهم میزانا لان المیزان انما یوضع لأهل الحسنات والسیئات والموحدین وقیل معناه لا نعطیهم ثوابا علی أعمالهم لان الثواب لا یکون الا بالوزن وقال أبو سعید الخدری یأتی الرجل العظیم السمین یوم القیامة لا یزن عند الله جناح بعوضة ثم قرأ (فلا نقیم لهم یوم القیامة وزنا) (ذلک) أی الامر ما ذکرنا من حبط أعمالهم (جزاؤهم جهنم بما کفروا واتخذوا آیاتی ورسلی هزوا) أی سخریا ﴿قوله تعالی (ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات کانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبی هریرة عن النبی صلی الله علیه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلی الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال کعب ینبت فی الجنان

هو دال رفع الاهواء وهم أهل الکتاب (الا وعلی هم) ساعة قال ربی وفی محل الرفع ای هم الذین (فی الحیاة الدنیا وهم یحسبون أنهم یحسنون صنعا) وادا لقوا ربهم ولعلهم (الذین کفروا بآیات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقیم لهم یوم القیامة وزنا) ولا نثیب لهم شیئا (ذلک جزاؤهم جهنم) من عبادة الله (بما کفروا واتخذوا آیاتی ورسلی هزوا) أی جزاؤهم جهنم کفرهم واستهزاؤهم بآیات الله ورسله (ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات کانت لهم جنات الفردوس نزلا)

جمعه أعلى من جميع الفردوس ومنها الأنهار وهو المعروف والماء هو الفرد وس وسط الجنة وأرفعها وأعلاها وأوسعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب وقيل هي الجنة بلسان الرومية والسادس بلسان الديلم والفردوس بلسان الحبش وقيل بلسان الجميع وقيل هي العنبة بالنبطية والأول أصح لأن الفردوس هو الأعلى والأعلى لا يكون إلا في الجنة وقيل الفردوس هو الجنة الكبرى والجنة الوسطى والجنة الدنيا وقيل هي الجنة التي فيها الأعناب والكروم وقيل هي التي تحف بالأنهار وقيل هي التي فيها القصور والأول أصح لأن الفردوس أعلى من غيرها وأفضل وأوسطها وأرفعها (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) أي لا يطلبون عنها تحولا أي لا يريدون أن يتحولوا عنها كما يفعل الرجل من دار إلى دار أخرى ﴿ قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود بما تجد ذكرنا وما أوتينا إلا قليلا وعندنا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما يكتب به والكلمات جمع كلمة والكلمة تقع على الجمل المفيدة وعلى المفرد وقد تقدم الكلام على هذا في أول سورة البقرة عند قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها (لنفد البحر) أي لفنى البحر (قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) أي زيادة ومعونة وقيل لو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما والجن كتابا والإنس حسابا لفنى البحر قبل أن تفنى كلمات الله وقيل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما يكتب به والكلمات جمع كلمة وأصلها من الزيادة قال تعالى لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر) أي لفنى البحر (قبل أن تنفد كلمات ربي) أي علوم حكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى لو كان الحاضرون يكتبون والبحر عندهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا وزيادة ﴿ قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم تواضع للإنسان على جلالة قدره وعلو مرتبته أنا آدمي مثلكم إلا أنه خصصت بالوحي وكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له في ملكه (من كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير إليه يوم القيامة ويرجو ثوابه (فليعمل عملا صالحا) أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير إليه فليعمل نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح هو ما أراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة أخبر وهو بأن أحدهما أراد به الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مراءيا من جهات الشرك جميعها (ن) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملا مراءيا الناس سمعة بذلك سمعه الله يوم القيامة وسمع الله به أي أسمعه الناس مكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي تركته وشركه وفي رواية لمسلم فأنا منه بريء هو للذي عمله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الناس يوم القيامة لوزن الأعمال أتى الرجل الذي كان يرائي في عمله الله أحدا فطلب ثوابه منه فقال الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسراركتابه

(تفسير سورة مريم عليها السلام)

هي مكية وهي تسعون آية وستمائة وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وستة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(٢١٥) الصريح الى الكناية فهي اعم من

(بارك عليه) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فصار باركا (انا نبشرك بغلام) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل) أي لم نسم أحدا قبله بهذا الاسم العربي بحذف الجار والايصال وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في الاسم لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان محصورا لما بشر به الا لائكة (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام) ولبس هذا استفهاما بل هو استكشاف لما أي طريق يكون أو بفعله وهو وامرأته على الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي يابسا وهو اليبس والجفاف في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية عصا وصلا وحشا وتكا بكسر الاول حزه وعلى وبخصص الاولى بكذا (قال

(٢١٦) كذلك) الكاف رفع أي الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ (قال ربك

(بارك عليه) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فصار باركا (انا نبشرك بغلام) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم نسم أحدا قبله بهذا الاسم العربي وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في اسمه ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان محصورا لما بشر به الا لائكة (قال رب انى يكون لى غلام) وليس هذا استفهاما بل هو استكشاف لما أي طريق يكون أو بفعله وهو وامرأته على الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي يابسا وهو اليبس والجفاف في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية عصا وصلا وحشا وتكا بكسر الاول حزه وعلى وبخصص الاولى بكذا (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي خلق يحيى من غير فحل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيى حال مقدرة أو على حذف مضاف أي خلق حياتك (ولم تك شيئا) لان العدم ليس بشيء (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حمل امرأتي (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من فاعل تكلم أي صحيحا بلا خرس أو صمت وقيل ثلاث ليال مع لياليهن والاول أصح لانه لم يعهد منه ترك الكلام مع الناس فيما أراه الله تلقى لسانه ﴿ قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) أي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب فلما رابه حتى منعهم الناس فصلوا وتصاوت الناس خرج اليهم وكبر وهم ركوع فركعوا معه وقالوا له مالك (فأوحى) أي أومأ وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (ان سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كيف يخرج على قومه يصلي أمرهم بالصلاة سارة ﴿ قوله عز وجل (يا يحيى) سماه باسمه ولم يقل يا ابني وهذا لله يحيى وهذا لله بالحق (خذ الكتاب) أي التوراة (قوة) أي بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعني النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والعلم وهو ابن ثلاث قلت ان الله تعالى أصل الامر في على حسب العادات إذا شاء فعل ما يشاء ولا مانع من صيرورته نبيا وان أريد بالحكم فهم الكتاب فهو أحد الوجوه المذكورة في بعض التفاسير قال بعض العلماء من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) أي رحمة من عندنا قال الخطابي معناه عطفا من الله على عباده ومنه قول الملك ﴿ قال لكل معلم معالا

أي يرحم على (وزكاة) أي اخلاصا وطاعة بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح وقيل الآية وآتيناه رحمة من عندنا على العباد ندعوهم الى طاعتنا ليرحموا بها والدين في الصالحين في الجنة (وكان تقيا) أي مسلما خاضعا متواضعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) أي بارا لهما محسنا اليهما لانه لا عباد بعد حق الله تعالى أعظم من حق الوالدين ودل على ذلك قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الخ الجبار المتكبر وكل من تعظم وتكبر على الناس لا يرى لاحد عليه حقا وهو من الصفات المذمومة (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصي المراد بصيغة المبالغة والصحيح ان ليس بصفات المؤمن

(وسلام

(بارك عليه) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فصار باركا (انا نبشرك بغلام) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم نسم أحدا قبله بهذا الاسم العربي وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في اسمه ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان محصورا لما بشر به الا لائكة (قال رب انى يكون لى غلام) ولبس هذا استفهاما بل هو استكشاف لما أي طريق يكون أو بفعله وهو وامرأته على الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي يابسا وهو اليبس والجفاف في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية عصا وصلا وحشا وتكا بكسر الاول حزه وعلى وبخصص الاولى بكذا (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي خلق يحيى من غير فحل (وقد خلقتك من قبل) أوجدتك من قبل يحيى حال مقدرة أو على حذف مضاف أي خلق حياتك (ولم تك شيئا) لان العدم ليس بشيء (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حمل امرأتي (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من فاعل تكلم أي صحيحا بلا خرس أو صمت وقيل ثلاث ليال مع لياليهن والاول أصح لانه لم يعهد منه ترك الكلام مع الناس فيما أراه الله تلقى لسانه ﴿ قوله عز وجل (فخرج على قومه من المحراب) أي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب فلما رابه حتى منعهم الناس فصلوا وتصاوت الناس خرج اليهم وكبر وهم ركوع فركعوا معه وقالوا له مالك (فأوحى) أي أومأ وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (ان سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كيف يخرج على قومه يصلي أمرهم بالصلاة سارة ﴿ قوله عز وجل (يا يحيى) سماه باسمه ولم يقل يا ابني وهذا لله يحيى وهذا لله بالحق (خذ الكتاب) أي التوراة (قوة) أي بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعني النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والعلم وهو ابن ثلاث قلت ان الله تعالى أصل الامر في على حسب العادات إذا شاء فعل ما يشاء ولا مانع من صيرورته نبيا وان أريد بالحكم فهم الكتاب فهو أحد الوجوه المذكورة في بعض التفاسير قال بعض العلماء من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) أي رحمة من عندنا قال الخطابي معناه عطفا من الله على عباده ومنه قول الملك ﴿ قال لكل معلم معالا

أي يرحم على (وزكاة) أي اخلاصا وطاعة بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح وقيل الآية وآتيناه رحمة من عندنا على العباد ندعوهم الى طاعتنا ليرحموا بها والدين في الصالحين في الجنة (وكان تقيا) أي مسلما خاضعا متواضعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) أي بارا لهما محسنا اليهما لانه لا عباد بعد حق الله تعالى أعظم من حق الوالدين ودل على ذلك قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الخ الجبار المتكبر وكل من تعظم وتكبر على الناس لا يرى لاحد عليه حقا وهو من الصفات المذمومة (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصي المراد بصيغة المبالغة والصحيح ان ليس بصفات المؤمن

(وسلام

(وسلام عليه) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتنة القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الأكبر قال ابن عباس اسم أوحش المواطن (واذكر) يا محمد (في الكتاب) القرآن (مريم) أي اقرأ علم مريم في القرآن وسميت مريم لأنها قطوا علما وعبادا جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال إذ الاحسان مشتمل على ما هما وما فيه المقصود بذكر مريم هو ذكر ما وقع عند العصمة التي به (انتبذت من أهلها) أي اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أي تعبدت في مكان مما يلي شرقي مسجد بيت المقدس أو من دارها منفردة عن الناس وقيل تعبدت في مسجدها للاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حائلا لتتفرغ للعبادة واغتسل وراءه (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل عليه السلام لإضافته للسر في قوله وأضافه إلى نفسه تشريفا لها وقيل لأنه كان من الروحانيين الذين لا يتوالدون (فتمثل لها بشرا) أي تصور لها جبريل في صورة آدمي سمي بذلك لأن البشرة تظهر فيه أكثر مما تظهر في غيره من الحيوان (سويا) مستوي الخلق وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ولو تمثل لها في صورته الملائكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي إن كان يرجى منك التقى فإني أعوذ به منك فكيف إذا علمت أنك فاجر (قال) جبريل (إنما أنا رسول ربك) أي إنما جئت إليك بأمر ربك (لأهب لك) بالهمز وقرئ بحذفه (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب (قالت أنى يكون لي غلام) كيف يكون لي ولد (ولم يمسسني بشر) بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة فكيف يكون الولد (قال) جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت (قال ربك هو علي هين) أي خلق الولد منك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أي علامة لهم على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان أمرا مقضيا) أي حكما حتما لا مرد له (فحملته) بالنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى جوفها (فانتبذت به) فاعتزلت بالحمل في مكان قصي من أهلها (فأجاءها المخاض) فألجأها الطلق (إلى جذع النخلة) وهي يابسة في الشتاء ولا ثمر عليها (قالت يا ليتني مت قبل هذا) الحمل (وكنت نسيا منسيا) شيئا تافها لا يعرف ولا يخطر ببال أحد (فناداها من تحتها) جبريل أو عيسى (ألا تحزني) لا تغتمي بالولادة من غير زوج (قد جعل ربك تحتك سريا) نهرا صغيرا أو تحتها على بعد منها (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) ساقط الرطب بهزها وهي يابسة وهذا من أعظم الآيات (فكلي واشربي) من الرطب والنهر (وقري عينا) طيبي نفسا بعيسى (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما) صمتا أو صياما عن الكلام (فلن أكلم اليوم إنسيا) أحدا من الناس (فأتت به قومها تحمله) بعد أربعين يوما من الولادة (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما منكرا (يا أخت هارون) قيل كان رجلا صالحا في زمانها شبهت به في العفة وقيل كان فاسقا شبهت به في الفعل (ما كان أبوك امرأ سوء) زانيا (وما كانت أمك بغيا) فكيف جئت بولد من غير أب (فأشارت إليه) أي أشارت مريم إلى عيسى أن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي كيف نكلم صبيا في المهد لم يتكلم أحد في صغره مثله (قال) عيسى (إني عبد الله) أول ما نطق به أقر بالعبودية لله تعالى ليدل على براءة أمه مما قذفوها به (آتاني الكتاب) أي قضى أن يؤتيني الكتاب وهو الإنجيل (وجعلني نبيا) أي وقضى أن يجعلني نبيا (وجعلني مباركا) معلما للخير أو نفاعا للناس حيث كنت (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بأدائهما (ما دمت حيا) أي مدة حياتي (وبرا بوالدتي) أي وجعلني بارا بها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيا) عاصيا لربي (والسلام علي) أي أمان من الله لي (يوم ولدت) من أن يناله الشيطان كما نال سائر بني آدم (ويوم أموت) من عذاب القبر (ويوم أبعث حيا) من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم يولد لأنه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لأنه يرى ما لم يكن شاهده من قبل ويوم يبعث لأنه يرى نفسه في محشر عظيم فخصه الله تعالى بالسلامة فيها ﴿وله عز وجل (واذكر في الكتاب) أي في القرآن (مريم إذ انتبذت) أي اعتزلت (من أهلها) أي من دارها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان ذلك اليوم يوما باردا فطهرت من الحيض فقعدت في مشرقة لتغتسل وقيل إن مريم كانت تطهر من الحيض وقعدت تغتسل فلما فرغت تعرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه وهي الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) أي جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أي وفي الخلق لم يخرج من الصور الآدمية شيئا لأنها لم تستأنس لتسمع كلامه ولا تنفر لو تمثل لها في صورة الملائكة فلهذا تمثل لها في صورة آدمي ولم تقدر على استماع كلام الملائكة وقال ابن عباس ما تمثل لها في صورة بشر قط إلا في صورة دحية الكلبي والقول الأول أصح فإن جبريل عليه السلام كان يأتي الأنبياء في صورة البشر (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي ذا تقوى فإن التقي يتعوذ منه فكيف بغيره وقيل إن كنت تتقي الله فإني أعوذ به منك فانته عني (قال إنما أنا رسول ربك) أي رسول ربك إليك (لأهب لك غلاما زكيا) أي طاهرا من الذنوب (قالت أنى يكون لي غلام) أي من أين يكون لي ولد (ولم يمسسني بشر) أي لم يقربني زوج بالحلال (ولم أك بغيا) أي فاجرة بالحرام (قال كذلك) أي كما أخبرتك (قال ربك هو علي هين) أي خلق الولد منك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أي علامة لهم على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان أمرا مقضيا) أي حكما حتما لا مرد له ﴿وقوله عز وجل (فحملته) أي جبريل في جيب درعها فوصلت النفخة إلى جوفها (فانتبذت به) أي اعتزلت بالحمل في مكان قصي من أهلها (فأجاءها المخاض) أي

(مكانا صالحا) اى ما يليق بأهلها قال ابن عباس أهبط الوادى وهو بين حلوان وقراريط أهلها وهو مما أن تعمروها وأولادهما من عمر روح قال ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وهو قول جماعة فى ساعة وصورة فى ساعة وروحه فى ساعة من يوم الجمعة وقيل كان بين حمله وولادته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كان بين حملها وولادته أقل من ستة أشهر وذلك لأنه لا يعيش من ولد لستة أشهر وولد عيسى لهذه المدة بالاتفاق وقيل كان بين ولادته وبين ولادة يحيى ستة أشهر وهى ثمانية عشر شهرا وقيل ثلاثة عشر شهرا وقيل ستة عشر شهرا وقيل ثمانية أشهر وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر ونصف وقيل تسعة أشهر وقيل سبعة أشهر ونصف وقيل ثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر ونصف وقيل ثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر ونصف وقيل ثمانية أشهر وقيل تس

الرطب ولا التمر نضج حسن من العسل (وكلي واشربي) أي ما رطب كلي من الرطب واشربي من النهر (وقري عينا) أي طيبي نفسا ولا تحزني على فراقي لولدك عيسى قال أهل اللغة كل ما صادف موافقا ما ترضى معه عينك عن النظر إلى غيره (فإما ترين من البشر أحدا) معناه إن سألك عن ولدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا وعملا كان في شريعتهم من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا كلام حتى يمسي ويقال إن الله أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل أمرها أن تقول بهذا القول لطعامها عسل عن الكلام هذه وإنما منعت من الكلام لأمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها والوجه الثاني دلالته على أن نقض الكلام إلى الأفضل أولى من الباقي كراهة تعادل الفضائل وفيه دليل على أن السكوت عن السوء واجب (فلن أكلم اليوم أنسيا) يعني أنها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس ﴿قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل إنها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحال إلى قومها وقيل إن يوسف النجار حمل مريم وابنها عيسى إلى مصر فمكثت عنده أربعين يوما حتى ظهرت من نفاسها ثم حملها وقومها فكلمها عيسى في الطريق وقال يا أماه اسري في عند الله ومسحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أي عظيما منكرا وقيل معناه جئت أمرا مختلقا مفتعلا (يا أخت هرون) أي يا شبيهة هرون وقيل كان رجلا صالحا في بني إسرائيل سمي بذلك تشبيها وصلاحها وليس المراد الأخوة في النسب قيل إنه نبع حسارته يوم ماتوا يعزون الناس أي إنما قيل لكلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرءون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى كذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخا مريم لأمها وقيل كان من أعقل رجل في بني إسرائيل وقيل أعبدهم وقيل كان هرون أخا موسى لأبيها كما قال الشعبي يا أخا موسى وقيل كان هرون في بني إسرائيل قاسة أعظم القسوة فسموه بهارون (ما كان أبوك) أي عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس رضي الله عنهما (وما كانت أمك) يعني حسنة (بغيا) أي زانية فمن أين لهذا الولد (فأشارت إليه) أي أشارت مريم إلى عيسى أن كلموه قال ابن مسعود فلما سمعوا كلامها استهزءوا منها وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) قيل إنما قالوا هذا لخروجه مخرج الآية وقيل هو المهد وقيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وجعل يشير بيده (قال إني عبد الله) قال وهب أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير أن عيسى لما أشار بيده وأصبعه السبابة قال أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهذا أول ما تكلم به وقيل إنه لما قال إني عبد الله علم أن أمه قد برأها مما قذفت به وقيل إنه لما قال إني عبد الله علم أن الذي أسند إليها ما أسند في ذلك الوقت إلى أمه عن أمر الله وإنما قال إني عبد الله ليدفع عنه ما لحقه من سوء مقالة النصارى فيه وهذا أول ما تكلم به عيسى وقيل إن الله تعالى أنطقه بهذا الكلام بأول ما تكلم به من أمر الله تعالى إياه بهذا القول ليدفع عنه ما لحقه من سوء مقالة النصارى فيه وقيل إن الكلام بأول ما تكلم به من إملاء الله تعالى عليه وقيل إن الله تعالى ألهمه هذا الكلام (آتاني الكتاب) أي الإنجيل وقضى أن يؤتيني الكتاب وأن يجعلني نبيا (وجعلني مباركا أين ما كنت) أي معلما للخير وقيل نفاعا للناس حيثما كنت (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بأدائهما (ما دمت حيا) أي مدة حياتي (وبرا بوالدتي) أي وجعلني برا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي متكبرا على ربه وعن عباده (والسلام علي يوم ولدت) أي الأمان مني على نفسي يوم ولدت (ويوم أموت) من الدنيا (ويوم أبعث حيا) يوم القيامة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام مات بعد أن رفع إلى السماء وسيأتي بيان ذلك في سورة المائدة إن شاء الله تعالى (ذلك عيسى ابن مريم) أي هذا الذي وصفناه هو عيسى ابن مريم لا ما يقوله النصارى فيه (قول الحق الذي فيه يمترون) أي يشكون ويختلفون فيقول اليهود إنه ساحر وكذاب والنصارى إنه ابن الله وإله وثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما صح وما استقام وما ينبغي لله أن يتخذ ولدا لأن الولد يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الجنسية والمجانسة (سبحانه) أي تنزيها له عن اتخاذ الولد (إذا قضى أمرا) أي إذا أراد شيئا (فإنما يقول له كن فيكون) أي فهو يكون بلا توقف ولا امتناع (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه) أي وحدوه وأطيعوه (هذا صراط مستقيم) أي طريق واضح لا اعوجاج فيه (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي فاختلف الفرق من النصارى في عيسى فقالت اليعقوبية هو الله وقالت النسطورية هو ابن الله وقالت الملكانية هو ثالث ثلاثة (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي فويل للذين كفروا بالله وبعيسى من حضور يوم القيامة وقيل من مشهد يوم عظيم هوله وشدته (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر وقيل معناه ما أسمعهم وأبصرهم اليوم بالنسبة إلى ما كانوا عليه في الدنيا من الصمم والعمى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي في ذهاب عن الحق وقيل في خطأ بين (وأنذرهم يوم الحسرة) أي خوفهم يا محمد يوم القيامة (إذ قضي الأمر) أي فرغ من أمر الخلق فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وهم في غفلة) أي في الدنيا عن الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي بالبعث والجزاء (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نميتهم ونفني الخلق ونبقى وحدنا (وإلينا يرجعون) أي بعد الموت للجزاء (واذكر في الكتاب إبراهيم) أي واذكر يا محمد في القرآن خبر إبراهيم (إنه كان صديقا نبيا) أي كثير الصدق مبالغا في الصدق (إذ قال لأبيه) آزر (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) أي لم تعبد ما لا يسمع دعاءك ولا يبصر مكانك ولا يدفع عنك شيئا من بلاء الدنيا (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) أي من الوحي والنبوة (فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي أرشدك طريقا مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يأمرك به من عبادة الأصنام (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي أن تموت على كفرك (فتكون للشيطان وليا) أي قرينا في النار (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أي أتارك أنت عبادتها (لئن لم تنته لأرجمنك) أي بالحجارة وقيل بالشتم (واهجرني مليا) أي طويلا وقيل سالما من أذاي (قال سلام عليك) أي أمنة مني لك لا أصيبك بمكروه (سأستغفر لك ربي) أي أطلب من الله أن يغفر لك بالتوبة والإيمان (إنه كان بي حفيا) أي لطيفا رحيما (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي وأتباعد عنكم وعن الأصنام التي تعبدونها (وأدعو ربي) أي أعبده وحده (عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) أي لا أكون خائبا من الإجابة كما خبتم أنتم بعبادة الأصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي فارقهم وفارق دينهم (وهبنا له إسحاق ويعقوب) أي ولدا له وولد الولد (وكلا جعلنا نبيا) أي كل واحد منهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي من النبوة والمال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا في الآخرين إلى آخر الدهر فليس أحد من أهل الأديان إلا وهو يتولاهم ويثني عليهم (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) أي مختارا قال ابن عباس رضي الله عنهما أخلص بالتوحيد والعبادة وقيل أخلص العمل لله وقيل أخلصه الله تعالى (وكان رسولا نبيا) أي مرسلا إلى الخلق بالشرائع والكتب (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أي من الجانب الذي يلي يمين موسى عليه السلام وكان ذلك الجانب من الطور الذي يلي مدين (وقربناه نجيا) أي مناجيا بأن كلمناه من غير واسطة وقيل قربناه إلى السماء حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) أي أعطيناه سؤله في أخيه هارون حين قال واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي فجعله نبيا (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد) أي لا يعد شيئا إلا وفى به حتى أنه وعد رجلا أن ينتظره في مكان فانتظره سنة (وكان رسولا نبيا) أي مرسلا إلى جرهم (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) أي بأدائهما من أمر بالشيء أمر بما يتوصل به إليه (وكان عند ربه مرضيا) أي مرضي الفعال والأقوال (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا) أي كثير الصدق مبالغا في الصدق (ورفعناه مكانا عليا) أي رفعناه إلى السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة على اختلاف الأقوال (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا) أي اختصصنا بالنبوة والرسالة (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) أي ساجدين وباكين (فخلف من بعدهم خلف) أي جاء من بعد هؤلاء المذكورين خلف (أضاعوا الصلاة) أي تركوها وقيل أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) أي الزنا وشرب الخمر وسائر الفواحش (فسوف يلقون غيا) أي خسرانا وقيل شرا وقيل عذابا وقيل واديا في جهنم (إلا من تاب) أي من الكفر (وآمن) أي بالله ورسوله (وعمل صالحا) أي في إيمانه (فأولئك يدخلون الجنة) أي بفضل الله ورحمته (ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقص من ثوابهم شيء (جنات عدن) أي بساتين إقامة (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي وعدهم بها في الدنيا وهم لم يروها (إنه كان وعده مأتيا) أي كان ما وعد به من الجنة آتيا لا محالة (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا من القول (إلا سلاما) أي لكن يسمعون سلاما (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي على مقدار ما يعرفون من الليل والنهار لأنه لا ليل ولا نهار في الجنة وإنما هي ضوء ساطع أبدا (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي نعطي الجنة من كان تقيا (وما نتنزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس رضي الله عنهما احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما فقال المشركون ودع محمدا ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه الآية (له ما بين أيدينا) أي ما أمامنا من الآخرة (وما خلفنا) أي ما وراءنا من الدنيا (وما بين ذلك) أي ما بين النفختين (وما كان ربك نسيا) أي تاركا لك وقيل ناسيا لأعمالك وقيل ما كان ربك ناسيا لشيء من أمور خلقه (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر على عبادته (هل تعلم له سميا) أي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره وقيل هل تعلم أحدا يستحق أن يسمى إلها غيره (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) أي يقول منكر البعث أإذا ما مت أخرج حيا من قبري (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) أي أولا يتفكر الإنسان فيعلم أنا خلقناه من العدم (فوربك لنحشرنهم والشياطين) أي نجمعهم مع الشياطين الذين يضلونهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أي جاثين على ركبهم وقيل قعودا (ثم لننزعن من كل شيعة) أي من كل فرقة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أي أيهم أعتى وأجرأ على الله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي بالذين هم أحق بها صليا (وإن منكم إلا واردها) أي ما منكم أحد إلا سيرد النار (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودكم النار أمرا واجبا قضاه الله وحتمه على نفسه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي نخلص من النار الذين اتقوا الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي نتركهم في النار جاثين على ركبهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي واضحات (قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما) أي منزلا (وأحسن نديا) أي مجلسا ومتحدثا (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة (هم أحسن أثاثا) أي متاعا (ورئيا) أي منظرا (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) أي فليطل له الرحمن الإملاء والإمهال (حتى إذا رأوا ما يوعدون) أي ما وعدوا به من العذاب (إما العذاب وإما الساعة) أي القيامة (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) أي من هو أسوأ حالا وأضعف أعوانا (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي بالإيمان والطاعة (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومرجعا (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) أي أخبرني عن الكافر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) أي في الآخرة كما أوتيتهما في الدنيا (أطلع الغيب) أي هل اطلع على ما غاب عنه حتى علم أنه يؤتى ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أي أم أخذ عند الله عهدا بذلك (كلا) أي ليس الأمر كما يقول (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه قوله ونجازيه به (ونمد له من العذاب مدا) أي نطيل له من العذاب ما شئنا (ونرثه ما يقول) أي نسلبه ما عنده من المال والولد (ويأتينا فردا) أي يأتينا يوم القيامة وحده لا مال معه ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) أي ليكونوا لهم شفعاء ينجونهم من عذاب الله (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي سيجحدون عبادتهم (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا عليهم في الآخرة (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أي تغريهم إغراء بالمعاصي وتحملهم عليها حملا (فلا تعجل عليهم) أي لا تستعجل يا محمد بالدعاء عليهم بالعذاب (إنما نعد لهم عدا) أي إنما نعد لهم أيام آجالهم وعدد أنفاسهم (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي يوم نجمعهم إليه وفودا على نجائب (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشا (لا يملكون الشفاعة) أي لا يشفع لهم أحد (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي إلا من آمن بالله وعمل بطاعته (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا إدا) أي منكرا عظيما (تكاد السماوات يتفطرن منه) أي من قولهم (وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) أي تسقط وتتقطع (أن دعوا للرحمن ولدا) أي لأن دعوا (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به ذلك لأنه لا يكون إلا من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الجنسية والمجانسة (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) أي كل من في السماوات والأرض من الخلق فهو عبد لله تعالى (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي أحاط بهم علما وعد أنفاسهم وأعمالهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي منفردا لا مال معه ولا ولد (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة في قلوب المؤمنين وقيل في قلوب الملائكة وقيل في قلوب الخلق أجمعين (فإنما يسرناه بلسانك) أي بالقرآن (لتبشر به المتقين) أي لتبشر بالجنة من اتقى الشرك (وتنذر به قوما لدا) أي شديدي الخصومة بالباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة (هل تحس منهم من أحد) أي هل ترى منهم من أحد (أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا

وتقدم لقول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روي عن ابن عباس أنه كان في المهد يسبح كلامه بالعبرية وجبريل يكتب ذلك يستمع في صباه أو هو مثل الآتي لأنه لا محالة كائنه وحد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصاني) وأمرني (بالصلوة والزكوة) ان ملكت مالا وهو مثل صدقة الفطر أو ظهر التدبر تحمل وأوصاني بأمر آمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) ثبت على الطاعة أي مدة حياتي (وبرا بوالدتي) عطفا على مباركا أي بارا بها أكرمها واعظمها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام علي) يوم ولدت) يوم عرف والعامل فيه الخبر وهو علي (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أي ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى ان كان حرف الاستقبال في المهد (٣٢) وان كان للتحقيق فالمعنى وسلمت السلام علي وهو نص بالعصمة على أعدائهم وانها لانه

اذا قال وحبس السلام على نفسه عرض بان ضده واقع لكم اذ المسلم معلم ما ذكره وعند دفكان من قال هذا القول الخاص (دلك) مبتدأ (عيسى) خبر (ابن مريم) بدل منه أو عطف بيان أي ذلك الذي قال انى عبد الله وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى ان الله ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقول له كلمة الله لانه ولد بقوله كن لا واسطة أو قول ملتبس بالحق من الله في انه عبد الله ورسوله خبر بعد خبر أو خبر بعد خبر محذوف أي هذا قول عيسى ونصبه على المدح أو على المصدر أي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس له كما تدعونه (الذي فيه يمترون) يشكون من المرية الشك أو يجادلون من المراء فعال اليهود حيث قالوا ساحر ولد زنا وقال النصارى ان الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما صح له (ان يتخذ من ولد) حين عن اتخاذ الولد (سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب ساعي اي كما قال لعيسى كن فكان من غير أب كان ما سبق قضاؤه أن يكونه من غير توقف على شيء آخر من اتخاذ الولد (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) بالكسر عطف على الاسم وهو من كلام عيسى يعني كما انا عبد مأمور فكذلك انتم عبيد مأمورون ويجوز ان يكون عطفا على بالصلوة أي وصاني بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربي وربكم وعلمه ما بعد اي ولان الله ربي وربكم فاعبدوه (هذا) الذي ذكرت (صراط مستقيم) فاسلكوه ولا تسلكوا به سبيل (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة امرد وا بها عن عبادتهم لا بل فرق تسطور به بعضهم [illegible] (من بينهم) من بين الفرق المتحزبة وهم الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من النصارى او قالوا ان عيسى هو الله من اليعقوبية او قالوا هو ابن الله من النسطورية او قالوا هو الله ابن الله من الملكانية [illegible] فويل للذين كفروا منهم [illegible] يوم القيامة [illegible] يوم لا ينفع فيه الندم [illegible] يوم لا يقبل فيه الايمان [illegible] يوم لا يؤخذ فيه الفداء [illegible] يوم لا يدفع فيه العذاب [illegible] يوم لا يرجى فيه الخلاص [illegible] يوم لا يطمع فيه النجاة [illegible] يوم لا يسمع فيه الا الزفير والشهيق [illegible] يوم لا يرى فيه الا الويل والثبور [illegible] يوم لا يجاب فيه الدعاء [illegible] يوم لا يستجاب فيه الرجاء [illegible] يوم لا يرحم فيه البكاء [illegible] يوم لا يغاث فيه الاستغاثة [illegible] يوم لا يعان فيه الاستعانة [illegible] يوم لا يعطى فيه السؤال [illegible] يوم لا يجاب فيه الطلب [illegible] يوم لا يرحم فيه الضعف [illegible] يوم لا يعطى فيه الرغبة [illegible] يوم لا يرحم فيه الذل [illegible] يوم لا يعطى فيه الرهبة [illegible] يوم لا يرحم فيه الخضوع [illegible] يوم لا يعطى فيه الخشوع [illegible] يوم لا يرحم فيه الانكسار [illegible] يوم لا يعطى فيه الاستكانة [illegible] يوم لا يرحم فيه التضرع [illegible] يوم لا يعطى فيه الابتهال [illegible] يوم لا يرحم فيه الدعاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الرجاء [illegible] يوم لا يرحم فيه الخوف [illegible] يوم لا يعطى فيه الامن [illegible] يوم لا يرحم فيه الحزن [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرح [illegible] يوم لا يرحم فيه الغم [illegible] يوم لا يعطى فيه السرور [illegible] يوم لا يرحم فيه الهم [illegible] يوم لا يعطى فيه الراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه التعب [illegible] يوم لا يعطى فيه الاستراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه النصب [illegible] يوم لا يعطى فيه الراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه الكد [illegible] يوم لا يعطى فيه الاستراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه الجهد [illegible] يوم لا يعطى فيه الراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه الضنك [illegible] يوم لا يعطى فيه الاستراحة [illegible] يوم لا يرحم فيه الشدة [illegible] يوم لا يعطى فيه الرخاء [illegible] يوم لا يرحم فيه الضيق [illegible] يوم لا يعطى فيه السعة [illegible] يوم لا يرحم فيه الحرج [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الكرب [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الغم [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الهم [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الحزن [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الخوف [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الرجاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الدعاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه البكاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الاستغاثة [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الاستعانة [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه السؤال [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الطلب [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الضعف [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الرغبة [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الذل [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الرهبة [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الخضوع [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الخشوع [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الانكسار [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الاستكانة [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه التضرع [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الابتهال [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الدعاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الرجاء [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الخوف [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الامن [illegible] يوم لا يعطى فيه الفرج [illegible] يوم لا يرحم فيه الحزن

(فويل للذين كفروا) من الاحزاب الذين تحزبوا على الانبياء (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مشاهدة ملائكة العذاب لهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم أحد فما عهم الشيطان ورده وحمله على ما فعله عما شاهده وابتلى به في عسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الضمير على ان لعله أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم حديرة بان تتعجب (٢٢١) منها بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا

قال مقاتل ان هؤلاء صموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وهو مرفوع المحل على الابتداء كما في قوله كرم زيد وما كرم وزيد وما كرم (لكن الظالمون اليوم) أهل الظاهر عام المعنى أي لكنهم اليوم في الدنيا لضلالهم أو هم يوم القيامة تركوا الايمان والطاعة حين ينكشف عنهم ووصفوا الله بما لا يليق من وضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر هو اعلامهم عيسى الظاهر وادعاء ظهور آثار الحدث واستعارة ما لا يعلم استمرار ظلمتهم (وانذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) الخ على اسناد الانذار اليه مجازا وهو لله تعالى أو لرسوله أو لجبريل (اذ) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة أو مفعول (قضي الامر) أي فرغ من الحساب وادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما أريد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أي نميت سكان الارض ومالكيها ونحن نبعثهم (وانا الينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم ﴿وقوله عز وجل (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صادقا وفعيل الصديق الكثير الصدق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق رسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها وصدق والمبالغ

به وهم هم حالان اي وأنذرهم على هذه الحال عافلين عما هم صائرون اليه (انا نحن نرث الارض ومن عليها) اي نميتهم ونهلكهم والله لا يوصف بالموت لعدم العلاقة (وانا الينا يرجعون) نصير الامر كله في الآخرة اليهم فنجازيهم (واذكر في الكتاب) القرآن (ابراهيم) فيما قص عنه (انه كان صديقا نبيا) يعترف بما هو الحق في الامور كلها ويعمل به في الاحوال فالصدق بالنسبة الى الله هو الاعتقاد المطابق للواقع والمراد فرط صدقه بحيث لا يكذب قط ما صدق به من كتب الله وآياته وكان رسولا مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان ذلك في مبدأ حاله بعد ما رأى من ابراهيم وما هو بدل عليه وهو

(٢٢٦) الباء بليه و بالمد فاطرى بصحته كعبرانى المحامله والرفق والخلق الحسن كما أمر فى الحديث

رة الصدق من رزقه الله أى اجعل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة من رسال الله اياه وأى رسالة أعلى من رسالة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) يعنى آزر وهو بعيد الاسلام (يا أبت لم تعبد مالا يسمع) يعنى صوتا (ولا يبصر) ولا يبطر شيأ (ولا يغنى عنك) أى بكفايتك (شيأ) وصف الاصنام بذلك لانه أسماء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق الهية الا هو (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) أى على دينى (أهدك صراطا سويا) أى مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما يسوّل لك من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا (يا أبت انى أخاف) هل أعلم (أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى النار يليه و بالمد فاطرى بصحته كعبرانى المحامله والرفق والخلق الحسن كما أمر فى الحديث أوحى الى ابراهيم انك حلمى حسن خلقك ولو مع الكفار يدخل مداخل الابرار مطلب مسئلة أولا الله فى محاجة طلبه تعالى عباده موصلا لمراطهوتاه بلان من اعتقد أشرف الخلق رسوله وهم الانبياء كان حكوما عليه بالنبى الحسن فكم من عبد سد عرا أو شعر الاسم ذكر عابده ولا يرى هيأة تعبده ولا يرفع عنه الا ولا تعصى له صاحبه ثم ينى بدعوته الى الخلق مرجعا به ما علما فعلم بسم الله ما لجهل المفرط ولا بنفسه ما لعلم الفائق ولكنه قال ان معى سرا من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى جهد انى وانا لى فى مسيره عبدى معرفة لهذا نبه دونك فاسعى أنعك من أن تصل وده ثم ان بهذا كان علمه بان الشيطان الذى يعصى الرحمن الذى جمع اليم منه اوجد فى عبادة الصنم وزينها له فاستعانه فى الجمعة ثم

وبيه بحو مه سوء العاقبة وما تحرم ما هو به من الثواب مع مراعاة الادب حتى لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب الخ ذكر المسبب والمعلل كانه قال انى أخاف أن تصل بعذاب من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان وجوله أسلمه واوائمه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه وصدر كل صحبه بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا واستعارا قلوب احترام الابوة وان كان كافرا ثم (قال) آزر لابنه (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) اى أمرغب عن عبادتها اداما بها وهو لم يعاين يا أبت بعد وقدم الجار على الفعل لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن سبهم الاصنام (لارجمنك) لاشتمنك بالرجام أو لاضربنك بالحجارة (واهجرنى) عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرنى واهجرنى (ملبا) ظرف اى زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سأسلم منك ومن شرك ولا طفه ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل الله ان يغفر لك من أهل المعرفة بان

يغفر لاه

(انه كان صديقا) مبالغا بصدوم الشر أو رجيما أو كثير ما يصدق الناس ويصدقونه لكرامته (واعتزلكم) اذا بالاعتزال لهما بالهجرة من أرض بابل الى الشام (وما تدعون من دون الله) أي ما تعبدون من أصنامكم (وأدعو) وأعبد (ربي) ثم قال توسما وقد مضى الشقاء وعرفا شقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولدا لصلبه تأنيسا بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما اعتزل الكفار لوجه عوضه أولادا مؤمنين أتقياء (ووهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم

مثل انه لما أعطاه أمره وعده ان يراجع الله عنه وسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له ويقبل معاذيره سأل الله تعالى بهما المغفرة (انه كان بي حفيا) أي براً لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وأدعو ربي) أي أعبده دون الذي جعلتموه أنتم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الاصنام فصار الواضع له مع الاحترام نقيض شقاوتهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهبنا له) أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي آتيناه وحسبناه من ذراريهم بأولاد أكرم على الله منهم وهو (وكلا جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه لم يعط أحد من الناس سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسنا وذكرا جميلا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويحبون عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يرائي وقرئ بالفتح أي جعله الله تعالى ممن اصطفاه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) أي من الجهة التي تلي موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين وهو الذي ناجى الله تعالى موسى عليه السلام عليه وذلك أفضل من مدين وراء البادية وذي طوى هو اسم الوادي الذي فيه الطور (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه حتى سمع صريف القلم وقيل رفعه على الطور حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره وشرفه بالاجابة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه تعالى واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي فأجاب الله دعوته وأرسل الى هرون وذلك قبل مجاءه اليه وكان هرون أكبر من موسى ﴿قوله عز وجل﴾ (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد أحدا شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يرجع الرجل فوعده أن يفعل مكانه فلبث ثلاثة أيام حتى رجع الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح ووفى به ووصفه الله بهذا الخلق الحسن لصبره على السعي عن الرجل بعد مجاءه الى أن يرجع وقيل انتظره أياما وكان يأتيه كل النهار وكان وعده للملائكة الذين أرسلوا لبشارته عن ربه أن ذلك في وقت صلاة ووعده صلاة أخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة حين حملهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عامر بن صالح وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكوة) قال ابن عباس يريد الصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي أمر بها كل نبي كان بعده وأما أهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) أي فأعانه بطاعته وقبل رضي بسلوته ورسالته وهذا يبطل قول من قال الرضى عند الله هو الغفران

السلام (وقربناه) نجيا بمعنى مقربا له ومكانه لا منزلة كان (نجيا) حال اي مناجيا كقوله تعالى مسارعين (ووهبنا من رحمتنا) من أجل رحمتنا له ونزول عطائه (أخاه) ناصرا له (هرون) بدل منه (نبيا) حال اي وهبنا له نبوة أخيه وكان هرون أكبر سنا منه (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وذلك انه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره ثلاثة أيام مكانه حتى عاد وقيل انه وعد رجلا أن ينتظره في مكانه فانتظره سنة في مكانه حتى يعود اليه وقيل انه وعد من نفسه الصبر على الذبح ووفى له فلم يعذبه موعدا الا أخره وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء لشهرته وكثرته في حقه (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا صادقا (وكان يأمر أهله) أمة ملازميه أو أهل بيته وهو دليل على أن لم يدخل في غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل أنه أراد بالصلوة والزكوة العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا)

علي ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وغيرها بالسان كما غير ما دعا عليه بالسيد وهي العصا (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي اخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي اخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص عمله من السمعة وأصل الخطيئة ومخلص فيما أسند اليه من العبادة وأصل الفعل الهمزة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الاوامر والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كوسع (وناديناه) دعوناه وكلمناه (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمن اي يمن المخاطب والجبل وعلى أن المراد اليمن وهي عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه كان أقرب مدين من مصر لذي من مصر السخرة وكان في جانبه الجبل على يمين موسى عليه

ق كل طائفة على الدرسات ﴿ قوله عز وجل (واذكر في الكتاب ادريس) هو جد أبي نوح واسمه لمتوح سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة ونزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هي الرفعة بالمنزلة في الدين وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح لدل عليه ما روي أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج وهو على علمه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في طاعة فاصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشتاق ومافكر في حمل الشمس وحرها الا تعرف يارب حملها لي فحر الشمس ما الذي صنع به فقال ان عبدي ادريس سألني ان أخفف عنه حمل حرها فاجبته فقال يارب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة حتى آتي ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال اني أسير الى الكرام الكاتبين وأمكنهم يحملك الموت فاسمع لي الى السماء وحرأ حملي لعلي أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا وحرانه لا اداعك أحملها وأنا كليمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له الى الملك صاحبك ليلة كذا من شهر كذا من آدم سلم الي روحه فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان أحببت أعلمه أجله فعدم له فقال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كاتبي في انسان ما أراه يموت ابدا فقال وكم ذلك فقال لا احد يموت الا عند مطلع الشمس قال اني اراه لمطلع الشمس فقال والله ما اراه يحدث الا خيرا والله ما ابغي بعمر ادريس بديلا فرفع الملك فوضعه بين جناحيه فقال له ملك الموت اين كان رفعك لادريس كل يوم من العبادة قال لاوجع لجميع اهل الارض في زمانه فجعله من الملائكة واسمى الملك الموت فاسمه ادريس وله في كل ريشة من اريشه وجه فاذا هو في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعا الى الطعام فيأبى أن اكل معه فعل ذلك الا قال فاذكر ادريس وقال له في الثالثة اني أريد ان لم يأب قال أنا ملك الموت اتاني ربي ان أقبض روحك وقد سألني ان أصحبك قال لي حاجة قال ما هي قال روحي فاوحى الله الى السماء اني قبضت روحه فصر روحه وردها الله الي بعد ساعة وقال له ملك الموت ما العائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فكون استعدادا له ثم قال له ادريس لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها الى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما رأى النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال أريد ان اسأل مالكا ان يرفع النار وأردها فعل قال فكما رأى النار رأى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح فلما فتح طفق أبوابها فاذن له الجبار فدخل ثم قال له ملك الموت اخرج لنعود الى معرفة الله تعالى فسخر وقال ما أخرج منها فاوحى الله الى السماء كما حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته قال وانا كذلك الا اردها فلا اردها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ناد في خزنة الجنة وما سري لا تخرج فهو حي هناك بدليل قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السماء أم في الجنة فقال قوم هو في السماء واستدلوا بالاول وقال قوم هو في الجنة واستدلوا بالثاني قالوا ان الله تعالى اخبر انه أحياها ان في الارض وهما الخضر والياس وان في السماء وهما ادريس وعيسى ﴿ قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة وهم الذين انعم الله عليهم بالنبوة وعد منهم ثمانية عشر وصفهم (من ذرية آدم) يعني ادريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق ويعقوب (واسرائيل) اي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى أحوال الانبياء الذين

الناس وتعلم في علم النجوم والحساب واتخذ الاوزان والمكاييل والاسلحة فعلمها بني قابيل وسماهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لانه لو كان اسمه لا ينصرف لانه لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان ينصرف فلما امتنع الصرف دليل على انه كان اسمه (انه كان صديقا نبيا) قال الله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) هو رفعة القدر والزلفى عند الله وقيل معناه رفعه بالملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج سماه وقد أعطي من الحسن الى الغاية ما لم يكتب لغيره فسأل الله تعالى ان يكتب له الى القيامة فقال الله تعالى لملك الموت اذهب الى ادريس فاستأذن عليه فلما دخل عليه قال له ادريس ما حاجتك قال انك كاتبي في الارض فاسأل الله ان يكتب لي مثل ما كتب لك فقال ملك الموت ان لي عليك حقا فاشفعني فقال ادريس لا أفعل حتى تذوق كرب الموت وغمه فصعد ملك الموت الى السماء وقال يا رب ان ادريس سألني ان أسأل لي مثل ما كتب لك فقال الله تعالى اذهب فاقبض روحه فنزل ملك الموت فقبض روحه ثم صعد الى السماء وقال يا رب انك قلت كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته قال الله تعالى وانا قلت ذلك فاذهب فاقبض روح ادريس

ذكرهم على هذا الترتيب مع ما لك على أنهم كانوا مرتبين في الإسلام وقوله تعالى (وممن هدينا واجتبينا) أي هؤلاء ممن أرشدناهم إلى الإسلام وجعلناهم أولياء لنا (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وقيل سجدات القرآن وجموع العلماء على سجود القرآن

* (فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها وسجدة السجدة وفيها سجدتان بدعوى بعض أصحابنا لما روى أن تلك السجدة التي مر أسجدها سجدة سجدها آدم فقال اللهم اجعلني من الساجدين الباكين عند تلاوة آيات الرحمن مر أسجدها سجدة ثم سجدة فقال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آيات الرحمن سجدة ثم سجدة فقال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك ﴿ قوله تعالى (خلف من بعدهم) أي من بعد الأنبياء المذكورين (خلف) أي قوم سوء أرادهم اليهود ومن خلفهم وبأعمالهم وقيل هم في هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وصوبوا في أخرها حتى وقتها من يوم وليلة وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى يأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهواتهم أمرهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان يرد بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وأودية جهنم لشدة حرها أعد للزناة في المصر عاصوا سيارات الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا يرجع عنه وقيل الغي العقوبة ولساهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره سيء طعمه نتن ريحه وقيل هو واد في جهنم أعدها الله تعالى لمن أسخط الله تعالى وسمي الله تعالى من تاب من هذه الأشياء كلها بقوله تعالى (إلا من تاب) أي من الشرك (وآمن) بالله تعالى (وعمل صالحا) أي الإيمان والطاعات وقيل الآمن من الكفر وعمل صالحا فيما بينه وبين الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا من الجزاء ﴿ قوله تعالى (جنات عدن) أي بساتين إقامة وصفها الدوام بخلاف جنات الفردوس (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي أنهم لا يرونها في الدنيا وهم غائبون عنها (إنه كان وعده مأتيا) أي آتيا وقيل معنى وعده وعوده وهو الجنة ما دامت أي باقية وقيل إنه على ظاهره وأهل الجنة (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (إلا سلاما) يعني لكن يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لأنه بمعنى السلامة ولأن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم إنما يسمعون ما يسلمهم

(٢٩ - (خازن) - ثالث)

وقيل لا يسمعون فيها إثما إلا قولهم سلاما سلاما وقيل إلا سلام الملائكة عليهم وقيل إلا سلام بعضهم على بعض وقيل إلا سلام الله عز وجل عليهم ﴿ قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي على مقدار البكرة والعشي في الدنيا لأنه لا ليل ولا نهار في الجنة وإنما هي ساعات تعرف بإرخاء الحجب وطي الكمام وقيل البكرة والعشي على الحقيقة وقيل إن أهل الجنة يأتيهم الرزق على مقدار ما كان في الدنيا وقيل إن أهل الجنة يأتيهم الرزق على قدر ما يشتهون لا يشغلهم عن شيء مما هم فيه من نعيم الجنة ﴿ قوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي تلك الجنة التي وصفناها نعطيها من عبادنا من كان تقيا وقيل نورث بمعنى نعطي وقيل نورث بمعنى نبقي وقيل نورث بمعنى نترك وقيل نورث بمعنى نجعل وقيل نورث بمعنى نهب وقيل نورث بمعنى نقسم والتقي هو الذي يتقي الشرك والفواحش ﴿ قوله تعالى (وما نتنزل إلا بأمر ربك) قال ابن عباس رضي الله عنهما احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما أو أربعين يوما فشق ذلك عليه فقال المشركون ودع محمدا ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه الآية وما نتنزل إلا بأمر ربك أي بإذنه ومشيئته وقيل بأمره ووحيه وقيل بقضائه وقدره وقيل بأمر الله تعالى إياه بالهجرة وقيل بأمره إياه بالجهاد وقيل بأمره إياه بالتبليغ وقيل بأمره إياه بالعبادة ﴿ قوله تعالى (له ما بين أيدينا) أي من أمر الآخرة (وما خلفنا) أي من أمر الدنيا (وما بين ذلك) أي ما بين النفختين (وما كان ربك نسيا) أي تاركا لك وقيل ما كان ناسيا لشيء مما عملته من خير أو شر ﴿ قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) أي هو رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته أي اصبر على عبادته وقيل اصبر على مشاق التكليف وقيل اصبر على أذى المشركين ﴿ قوله تعالى (هل تعلم له سميا) أي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره وقيل هل تعلم أحدا يستحق أن يسمى الله غيره وقيل هل تعلم أحدا يستحق أن يسمى بال

بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون أرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الغداة والعشي لانتهارتم لا تعرف فيها ساعة بعينها من مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها وإنما الرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب هو صفة الله سبحانه وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أتاه فلان بكرة وعشيا يريد دوام ذلك (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني نورثها وعاقبتها وقيل يريد المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا لكن المؤمنين حكما (من كان تقيا) عن الشرك ☆ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال لجبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل إلا بأمر ربك) والتنزيل على معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول

(٢٢٦) ألوهية أي أن يرى لنا في الأماكن وضائع ونحن لا نراه

وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قدامنا وما خلفنا من الأماكن التي نحن فيها لا نستطيع أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال المحتوى على العمل والنسيان فإن لنا أن نعمل في ملكوته إلا ما أذن لنا ☆ (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض ثم قال لرسوله لما عرفت أنه موصوف بهذه الصفات (فاعبده) فاثبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكابدة الجهود لعبادته فإنه ودوام عليها ولا يحمل عبادة الخلق أي إن تمكن من الإتيان بها (هل تعلم له سميا) مثلا أو هل تسمى أحدا باسم الله غيره لأنه مختص بالمعبود الحق أي إذا صح أن لا مثل له ولا يوجد إلا له وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وأبى من حلف على طعام قال

أ عبد بعد ما صار قبرا (وقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) والعامل في إذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث إذا ما مت أبعث ما بينه ما خرج ثم لام لا ما بعد لام الابتداء لا تعمل ما بعدها فلا يعمل فيه ما قبلها ولا يعمل فيه إلا ما دخلت عليه لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد صعوبة الحال فلما دخلت حرف الاستقبال حلصت للتوكيد وصارت تجعل معنى الحال ومتى إذا ما لا تؤكد أبدا كأنه قال أبعث حيا بعد ما أخرج من القبر وأحيا ومعنى همزة الاستفهام على سبيل الإنكار والاستبعاد وعدم الظن بالإنكار وحرف الإنكار من قول الإنسان ما بعد الموت هو وصف الحال التي هم عليها (ولا يذكر الإنسان) حظ نفسه وما هم من الذكر والإيمان بالبعث الدال

مكتبة

ذكر البعث (أما خلقناهم من ولم نك شيأ) والمعنى أولا نذكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاحصار ما قدروا عليه دلالة على ان الاعادة ما هي أهون من الابتداء أولا ۞ ثم اقسم سبحانه تعالى (فوربك) وهو يسر بالنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) اي نجمعهم في المعاد يعني المشركين الكفرة (والشياطين) اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لان الكافر في المكان وقيل ان الخلق على ركب معبودياتهم كصور الدنيا فان قلت هذا المعنى حاصل للكل فما الفائدة في قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت وصفوا بذلك وعلى العادة المعهودة في مواقف الحساب وانما اخلاء ودلالة على ما يلحقهم من القلق بما يشاهدونه من سوء الامور التي لا طاقة لهم بها فانه لا يخلو أحد على أرجلهم فحسب بل على ركبهم جميعا (ثم لننزعن) اي لنحضرن (من كل شيعة) اي من كل أمة وأهل دين من الكفار (ايهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جراءة وقيل تمردا وعتوا وقيل نقدمهم ورئيسهم في الشر فنبدأ والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى فالاعتى من هو أكثر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جهنم جاثين معلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فكان أشد منهم تمردا في كفره يعذب اعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب ان يكون ووفق عذاب الضال المانع لغيره في الضلال وفائدة هذا الترتيب التخصيص بأصل العذاب فان قال قائل فقد علم (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) ولا يعقل اولى الامع اسم العموم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بالخلود النار ۞ قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) اي وما منكم الا واردها وقيل القسم مضمر أي والله ما منكم من احد الا واردها والورود هو وان كان واحدا فهو في معنى الورود هو ما وصفنا بصرف الكناية في قوله واردها قال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هو الدخول والكناية راجعة الى النار ودخولها البر والفاجر حتى الانبياء لما روي عن جابر ان رسول الله ﷺ سئل عن الورود قال نعم يردها المؤمن والكافر ثم تكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وقيل النار للمؤمن حر وبرد كما كانت لابراهيم وقيل الورود هنا الجواز على الصراط وهو الممر فوق ظهر جهنم والورود بمعنى الدخول لكنه مختص بالكفار لقوله ابن عباس وان منهم يحمل الضمير في منكم على الانسان وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون والمراد ورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها مسلم اهل الجنة وطريق اهل النار وهي جادة ودالون النار هو مسلك الى جهنم وقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار ودخول النار لا يوجب الخلود فان قال فما معنى قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فالجواب ان الورود هو الدخول والنجاة هي الخروج منها وقيل الورود هو الدخول والصدر هو الخروج وقال ابن عباس يصدرون بأعمالهم على قدر ورودهم فمنهم من يخرج كلمح البصر ومنهم من يخرج كالريح ومنهم من يخرج كالفرس الجواد ومنهم من يخرج كالراكب ومنهم من يخرج كشد الرجال ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف خطفا ومنهم من تسفعه النار فيسقط فيها ثم قال (ثم ننجي الذين اتقوا) الشرك والمعاصي (ونذر الظالمين فيها جثيا) على ركبهم لا يقدرون على القيام وقيل جاثين على ركبهم عند باب جهنم حتى يفتح لهم الباب فيقتحمونها

أهم هي على الصم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة وهو هو من هو أشد عتيا لو حيي به لاعتبر به العاصي وفصل أيهم هو أشد عتيا هذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما حذف المضاف اليه في من قال لو أحب بناء المضاف وحب ان يكون حذف الصلة او بعض منها مع البناء ومع نصبه بالرفع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبر وهو رفع على الحكاية عند أبي عمرو الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا وجب ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله وهذا لهم من رحمتنا اي النزع بعض كل شيعة وكان قائلا قال من هم فقيل لهم أشد عتيا على يفعل اي وهم أشد على الرحمن (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها) أي بدخول النار (صليا) أي مقاسيا حرها (وان منكم) أحد (الا واردها) داخلها المراد النار والورود الدخول عند ابن عباس رضي الله عنهما وعامة المفسرين واهل السنة قوله تعالى فأوردهم النار وقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وقوله ثم نحي الذين اتقوا الحاء الحاء الكرب بعد الدخول لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى برا ولا فاجرا الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ودخول النار للمؤمن حر وما هو فان قيل لم قال الورود بمعنى الدخول لكنه مختص بالكفار لقوله ابن عباس وان منهم يحمل الضمير في منكم على الانسان وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون والمراد بورود المؤمن عند ابن عباس وعامة المفسرين الورود على الصراط ممدود عليها مسلم اهل الجنة وطريق اهل النار وهي جادة ودالون النار هو مسلك الى جهنم وقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار ودخول النار لا يوجب الخلود فان قال فما معنى قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فالجواب ان الورود هو الدخول والنجاة هي الخروج منها وقيل الورود هو الدخول والصدر هو الخروج وقال ابن عباس يصدرون بأعمالهم على قدر ورودهم فمنهم من يخرج كلمح البصر ومنهم من يخرج كالريح ومنهم من يخرج كالفرس الجواد ومنهم من يخرج كالراكب ومنهم من يخرج كشد الرجال ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف خطفا ومنهم من تسفعه النار فيسقط فيها ثم قال (ثم ننجي الذين اتقوا) الشرك والمعاصي (ونذر الظالمين فيها جثيا) على ركبهم لا يقدرون على القيام وقيل جاثين على ركبهم عند باب جهنم حتى يفتح لهم الباب فيقتحمونها

انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وقد امها قلت يحتمل ان الله تعالى يجعل النار عليهم المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام ويحتمل أن الملائكة الموكلين بهم لا يحدون ألما فان قلت فاذا لم تكن على المؤمنين عذابا فائدة تحويلهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك يسار بهم سرورا ادا علموا الخلاص منها وثانيها انه يمر بهم على أهل النار حتى يروا المؤمنين يخلصون منها رهم مأمونون منها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد اجتهادهم بعد الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أحد لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها الى هنا تكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى لما ورد ماء مدين وارد الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها لا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال ان منكم الا واردها يعني الجنة والكناية راجعة الى النار والقول الاول أصح وعلماء أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الايمان دليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون بعد الدخول وبدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية الا ورودا في الجنة حتى اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن ام مبشر الانصارية أم بشر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقال لقد قال الله وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال حالدين معذبين يدخل أهل الجنة ثم يعذبون ان يردوا النار فمعنى قال لي ولكنكم ممرورهم بها وهي خامدة وفي الحديث يدخل النار المؤمن حرها ومن ثم سميت أطعمة أورد لها وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال ان حم من المسلمين يعذبون بورودها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم أي وهجها وحرها ﴿ وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم واجبا قضاه الله تعالى على عباده وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على الركب قال المفسرون لا يدل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم ينجي عنها من يخلدهم فيها وهم المؤمنون والفاسق لا يكون مؤمنا على الاطلاق واحتج عبد الله بن رواحة في هو الذي في السماء الله وفي الارض الله بقوله لا اله الا الله ونشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه مؤمن من السماء ومن صدق عليه انه مؤمن من السماء صح انه مؤمن لان الذي في السماء من صدق عليه المركب صدق عليه المفرد وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار بعد مرور قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصار الآية الى ما ذكرنا هو لكن الوجه ان يقال ان هذه الدلائل على صلاحها لهم وهذا من جملة ما من أحد الا وارد عليها ورد في أحاديث كثيرة تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (ح) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي رواية لا يموت في النار من قال لا اله الا الله وفي رواية لا يموت في النار من قال لا اله الا الله وفي رواية لا يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي رواية لا يموت فيها من هؤلاء (ب) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبع ما كان يعبد فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول

فعم الصحيح وهم الذين (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم واجبا كائنا لا محالة وما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه سمي به الواجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجي) وعلى ما الحقت به (الذين اتقوا) الشرك وهم الموحدون (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والذهب ان صاحب الكبيرة معاقب بقدر ذنبه ثم مآله الى الجنة ولا يخلد في النار وقالت المرجئة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام كما لا تنفع الكفر مع الايمان

أنا بكم يقولون هذا مكانا حتى يأتيهم الله فإذا جاء ما عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت
ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ
إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان
قالوا نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من
يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا
من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود
فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من
القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول
يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فهل عسيت إن أعطيت ذلك أن
تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهود ومواثيق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به
على الجنة ورأى بهجتها وسمعها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول
الله أليس قد أعطيت الموا ثيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألته فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك
فيقول فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد
ومثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا انفتح باب الجنة رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن
يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت
العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم
يأذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وكذا وكذا أعطيتك وعشرة أمثاله
حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة وعشرة أمثاله قال
أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد ذكر لي والله
أعلم أنه قد قال لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فما انتهى الله في عد الصورة التي يعرفونها
فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا فإذا أتانا عرفنا فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها
فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا وفيه أمامنا على بمعنى الخلف والكلام على
الرؤية تقدم في سورة يونس والله أعلم وكلام هنا على نحو كلام عيسى الخطابي فيقوله مثل شوك
السعدان هو بضم السين وسكون العين المهملتين وبالدال المهملة نبت له شوك معقف وهو من أحسن مراعي الإبل وقوله فمنهم من يوبق بعمله بفتح أوله وسكون الموحدة أي يهلك هو المحدل المرمي المصروع وقوله فمنهم من يوبق بعمله كذا للأكثر الصراط بمعنى
على النار وقوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقوله فيلقون في هوان بفتح الهاء والخاء وفي العظم وقوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزور وحميل السيل هو الزبد وما علا على شاطئه وقوله قشبني ريحها أي آذاني وأصل القشب السم وكأنه قال قشبني ريحها فحرفه وأحرقني ذكاؤها أي اشتعالها وانتهاؤها وقوله
رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ن) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني
لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب
فادخل الجنة وأنبهها فيذهب إلى الجنة فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب
فادخل الجنة قال فأنبهها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب
فادخل الجنة فإن لك فيها مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر مني وأنت الملك
فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة فيقوله
حتى بدت نواجذه أي اصفرت وبانت وقيل هي آخر الأسنان (ن) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون ويطرحون على أبواب
الجنة قال ويرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل أخرجه البزار في الجنة

الا واخوه وهما (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد حاولوا شعورهم وتكافوا انذارهم (للذين آمنوا) لفقراء المؤمنين وضعفتهم استهزاء بهم
حشمه (أي الفريقين) خير أم أسم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الاقامة والمنزل
(وأحسن ندبا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أردنا أن نهلك قوما لآثل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها
الى الافتخار بالمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول أهلكنا ومن تمييز لها مبهما أي كثيرا
من القرون أهلكناها وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركتهم كان أحسن نصبا على الوصفية
(أثاثا) هو متاع البيت أو ما حسن من العرش (ورئيا) منظرا وهو فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا بغير همز مشددا ومخففا وابن عامر على
قلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها ثم الادغام ومن الرئي الذي هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمددله الرحمن مدا)
جواب من لما فيها من معنى الشرط وهذا الامر بمعنى الخبر أي من كفر مد له الرحمن بمعنى أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما
نملي لهم ليزدادوا اثما واما أخرج على (٢٣) لفظ الامر امتنانا بوجوب ذلك وانه مفعول لاجله كالمأمور به المسبل ليقطع معاذير الضلال

(حتى اذا رأوا ما يوعدون) هي متصلة بقوله خير مقاما وأحسن ندبا وما بينهما اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين (اما العذاب) في الدنيا وهو بعث المسلمين اياهم بالقتل والاسر (واما الساعة) أي القيامة وما يلقاهم فيها من الحزي والنكال فيهما يدلان بما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وناصرا اي سيعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا حيث معاداة المؤمنين على خلاف صفتهم وخالوا ان حالهم تحسن عما عليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالهم لا يمكون عن ضلالهم الى ان تعاينوا نصر الله المؤمنين او عهدا يشاهدون الساعة وهي هي الى تحتي عندها لجلي الا ترى ان الجملة الشرطية اذا وقعت بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موضع الخبر لان من كان في الضلالة فمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بعد ضلاله ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى أما على الاهتداء أو بمعنى نصره وتوفيقه (والباقيات الصالحات) اعمال الآخرة كلها او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يحرزه الكفار (وخير مردا) أي مرجعا وعاقبة
بكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) بضم الواو
وسكون اللام أربعة مواضع هنا وفي الزخرف ونوح وعلى جمع ولد كأسد في اسد ومعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانوا يزعمون
الا نبعث نحن ولا نحن ولا نحن ولا

(٢٣١)

معهدا) يعني قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعمل بما عمل عملا صالحا فيما عهد الله اليه فذلك الذي (كلا) ردع له عما يقول (سنكتب ما يقول) اي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة ونفعل به ما نشاء الا تكتمني كما (ونمد له من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق العذاب ونفعل به ما نشاء من العذاب (ونرثه ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد بأهلاكنا اياه والمعنى نحن الملك وحدنا ونزول عنه ما عنده من مال وولد بعد الآن الى من حيث جاء وانما سلب ذلك لتقي مرادا لقوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد ولا ناصر ان عذب في الآخرة بمال وولد ﴿ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة من دونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا سببا لمنعهم من العذاب (كلا) أي ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني يجحدون الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها في الدنيا يوم القيامة ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي اعوانا عليهم تكذبهم ويلعنهم وهم في أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي سلطناهم (تؤزهم أزا) أي تزعجهم ازعاجا بالمعاصي تحرضهم عليها وفي الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكفار فلا تعجل عليهم) أي لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعني الايام والشهور والاعوام وكل الانفاس التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي أجلنا لعذابهم ﴿ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اي اذكرهم يا محمد اليوم الذي نجمع وفد من اتقى الله الى الجنة بالكرامة وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها عليها الذهب وحبالها زبرجد وان هموم ما سار وان هموم ما طاروا (ونسوق المجرمين) أي الكافرين (الى جهنم وردا) اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يسارعون الى النار كما يرد الماء واستدلوا بقراءة من قرأ وقد بفتح الواو وتشديد الدال (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا ﴿ قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا يشفع يوم القيامة الا من قال لا اله الا الله وعمل بطاعة الله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل

اي اتخذوها آلهة من دونه (ليكونوا لهم عزا) اي لينصروا بها (كلا سيكفرون بعبادتهم) اي يجحدون عبادتهم اياها ويقولون والله ما دعوتمونا وانتم كاذبون أو للمشركين أي يكفرون ان يكونوا عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم) على المعبودين (ضدا) خصما لان الله تعالى يطعنهم ويقول أرأيتم عبدتموهم أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم والضد يقع على الواحد والجمع وهو في ما له لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوا اي يكونون عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اي اعداؤهم ضدا اي كفرهم بهم بعد ان كانوا يعبدونهم ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) اي سلطناهم وأرسلناهم من أرسل الغيث اطلقه (تؤزهم أزا) اي تغريهم على المعاصي (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) اي انما نعد أيامهم لعذابهم فهو كقول الناس لمن يعمل عملا ليس له فيه كثير عمل انما أنت عامل لي أيام كذا وكذا فاذا مضت فلا عمل لك فيها ﴿ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى حباتها زبرجد وياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لا يردون الماء لا يردونه الا عطاش وقيل الورود المسير الى الماء يسمى به الوارد وان لم يرد الماء كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ويجوز أن يكون الورد بمعنى الدخول أي ندخلهم جهنم كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أي داخلون فيها ﴿ قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا يشفع يوم القيامة الا من قال لا اله الا الله وعمل بطاعة الله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل

يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما اتقوا بوجوههم كل حدب وشوك أخرجه الترمذي ﴿قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا اله الا الله وقيل لا يسمع الشاهدون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا من قال لا اله الا الله أي لا يسمع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا ادا) (٢٣٢) خاطبهم بهذا الكلام بعد العتب وهو الدعاء أو أمر به عليه السلام بأن يقول لهم ذلك

والادالعجب أو العظيم المنكر والادة السدة وأدى الامر أثقلني وعظم علي اذا (تكاد السموات) تتفرى بالماء ماع وعلى (يتفطرن) وبالثاء مصري وسامي وحرمي وخلف وابو بكر الانفطار من قطره اذا شقه وانفطر من قطره اذا شقه (منه) من علم هذا العول (وتنشق الارض) تنصدع وتنفصل أحراؤها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا او قطعا أو هدما والهدد صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي يهددن هدا من سماع قولهم أو مصدر في معنى الحال أي مهدودة (أن دعوا) لان دعوا وجعله حرف مدل من الهاء في به أو نصب مفعولا له على الجر وبالهدد والهدد دعاء الولد للرحمن او وضع فاعل هدا أي هدهاد عاؤهم للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) اي ينبغي مطاوع بغى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما طلبه ولو طلب لامتنع لانه محال عبدا حال تحت العنبر وهذا الان اتخاذ الولد لحاجة وحاشاه وهو منزه عنها وفي احتصاص الرحمن وتكريره دليل على ان ابوة الرحمن وحده لا تستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلم يكن غيره مستحقا لشيء من اضافة النعمة اليه كما خصص خلقه وأخر عبده ذلك عن اسم الرحمن (ان كل من) نكره موصوفة بصفتها (في السموات والارض) وجمع كل (الا آتي الرحمن) ووحد آتيا حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى يأتي اذا جاء (عبدا) حال أي خاضعا ذليلا والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا هو آت الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والذلة وان سماهم حين لم يملك الاباء عنه وعلى هذه الطريقة قوله تعالى الى كل ما تكون الخلق كلهم عبادا وارقاء الا من مسعود آتي الرحمن على أصله في الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي حصرهم بالعلم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أي كل أحد منهم أتيه يوم القيامة فردا لا مال ولا ولد أو لا

تعالى وجه هم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الارض قال هرم ابن حبان ما أقل عمد بعلمه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا تحمد لاحد في الارض حتى يكون اسداؤها من الله عز وجل بثرائها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سنجعل لهم الرحمن ودا ﴿ قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني الموحدين (وتنذر به قوما لدا) أي سدادا في الخصومة وقيل عوجا عن الحق وقيل الا لد الظالم الذي لا يستقيم ولا يذعن الى الحق وقيل هو الذي لا يقول الا باطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) خوف الله تعالى هذه السور بوعيده أهل مكة وحذرهم ما أنزل بالامم الخالية قبلهم من العذاب اذا عملوا بأعمالهم وحذروا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وهل لهلكتهم أي من العرب (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا حتى قال الحسن ما دواجه عاقل ومنهم عين ولا ترى والله أعلم مراده وأسرار كلامه

(تفسير سورة طه)

(وهي مكية وهي مائة وأربعة وثلاثون آية وألف وستمائة واحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا)

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السور التي فيها الطواسين من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتم سورة الرعد من صحف ابراهيم وموسى وأعطيت المفصل نافلة الا لفضيلة زيادة وقد ثبت بالله أعلم دليل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله تعالى به وهذا سر قيل هو من أسماء الله تعالى فالطاء اسم من أسمائه طاهر والهاء اسم من أسمائه هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالنبطية معناه هذا يكون بدو اختلاف لغة العرب هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وغطفان وقيل العرب تقول لمعاناة الارض عند المشي عليها طه لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وكان يقوم الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون استبطاءه في الوحي قالوا ما أنزل على محمد القرآن يا محمد الا لشقائه فأنزل (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتعنى بما كلفت من أمر الدين (الا تذكرة لمن يخشى) أي لكن أنزلناه تذكرة لمن

يخشى الله تعالى وموضع موضع المصدر لان القرآن لا يكون نفسا للهاء وهي قسم (تنزيلا) نصب لوقوع الفعل عليه أي نزل تنزيلا على أن هذه والتي قبلها من الاول وانه روي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقيل له جبريل أو غيره أبقاء الله تعالى أرأيت ما أنزل الله عليك هذا القرآن الا لتتعب به نفسك فأنزل الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (الا تذكرة) استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة (لمن يخشى) الله تعالى وهو المؤمن (تنزيلا) بدل من تذكرة (ممن خلق الارض والسماوات العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى أي الذي هذه صفته (الرحمن على العرش استوى) قال ابن عباس رضي الله عنهما استوى بمعنى علا وارتفع وقال مجاهد استولى وقال قتادة ارتفع وقال الضحاك وعن قتادة وهرم ما أقبل الله تعالى الا أقبل الله بقلوب العباد الله وعن كعب ما استقر العرش تحته في الارض حتى تستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بفصيح حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) سدادا في الخصومة باطلا أي الذين يأخذون في كل سداد أي سق من

الله (ممن خلق الأرض والسموات) من يتعلق بشر بلاصلة له (العلى) جمع العلياء مأنيث الأعلى ووصف السموات بالعلى كذلك ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن (على العرش) محله مستند محذوف (استوى) استولى من الرماح وتسمة ذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على عبره وجعل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك حملوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أى ملك وان لم يقعد على السرير (٢٣٤) السمر هذا كقولك يد فلان مبسوطة أى جواد وان لم تكن له يد أصلا والمذهب قول

على رضى الله عنه الاستواء غير مجهول والتكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما فى السموات وما فى الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما بينهما) أى ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارض او هو الصخرة التى تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) روح صوله (فانه يعلم السر) ما أسررته الى جبريل (وأخفى) من وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك وما ستسره فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أى هو واحد بذاته وان اختلفت اسماؤه لان مسمياتها لما كانت يدعوا لها من سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل أتاك حديث موسى) حبر مقدما عصه موسى عليه السلام لسانى

تحسى واعلم ان من يحسى بالذكر لا يهم المسموع بها (سر بلا من خلق الارض والسموات العلى) أى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على حلمها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه فى سورة الاعراف مستوفى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) يعنى الهواء (وما تحت الثرى) أى الندى الذى مع ما فى الارض من الاسماك والثرى هو التراب الذى وقع عليه ما وراء الثرى من سبع وقال ابن عباس ان الارض على ظهر الحوت والحوت على صخرة رأسه ودنبه تحت العرش والصخرة على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور رافع قرنيه فلو انحل الله القفار صخرة واحدة لسالت فى خرق ذلك الثور فاذا وقعت فى خرقه نفذت ﴿قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أى تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما أسررت فى نفسك وأخفى من السر ما الله تعالى فى علم من غيرك ولا تعلم أنت أنك تحدث به نفسك لانك لا تعلم ما سر الروم ولا تعلم ما سر عدوك والله تعلم ما أسررت به الروم وما تسر به عدوك وقال ابن عباس السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى تسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن تعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سر من لا يعلم أحد سره وقيل معصوم الآية رحمة للمكلف عن الصانع ظاهره كاتب أو باطنه والرحمة فى الطاعات ظاهره كاتب أو باطنه وعلى هذا الوجه يعنى أن تحمل السر والاخفاء على ما هو أو أعم فالسر هو الذى تسر الى غيرك من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزم ﴿وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أى الاسم الحسنى والذى يصلح أن يسمى به أسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى القدس والتمجيد والعظم والربوبية والافعال التى هى الهية فى الحسن ﴿قوله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى) أى وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام لما أتى به فى تحمل أعباء الرسالة وقوة تكاليف الرسالة والصبر على معاناة السدائد حتى سأل عبد الله الغفور العظيم المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع الى مدين الى مصر لتزور والدته وأخا فاذن له فخرج بأهله وماله وكان أيام السنة فاجدا على عمر الطريق بحاله مملوك الشام وامرأته حامل فى سهر لا يدرى الليل نصف أم نهار فسار فى البرية حتى عرف بطرفها فألجأه المسير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة لحمساء شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاجتمع عليه الطلق فاخذ زوجته فحمل يقدح فلا يورى فاصر بارا من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) اى اصبروا (انى آنست نارا) اى أبصرت نارا (لعلى آتيكم منها بخبر) أى بعلم من نار فى طرف عود (أو أجد على النار هدى) أى أجد عند النار من يدلنى على الطريق (فلما أتاها) أى أتى النار رأى نارا حمراء من أعلاها الى أسفلها طاقات منها نار ومنها نار وما يعد

كانوا

حسن رأى (نارا) كان كذا وكذا أو مصدر له لانه ذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن عمران فى الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد له ان فى الطريق فى ليلة مظلمة مصحرة فضل الطريق وعرس ما شاء الله وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا فى زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكثوا) أقيموا فى مكانكم (انى آنست) أبصرت (نارا) والانس رؤية يؤنس به (لعلى آتيكم منها) فى الامر على الرجاء (بخبر) عن الطريق (أو جذوة) بارة تشرف فى رأس عود وصله (أو أجد على النار هدى) دوى هدى او هو ما يهتدى به فى الطريق وقد لا يوجد فى النار ولا فى غيرها لكن الكلام للتعريض (فلما أتاها) اى النار ورأى نارا عظيمة فى شجرة خضراء من

من أنبتها الى أملاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يعد عنها أحد أو روى انه كلما طلبها اتسعت عنه وما ارتفع الى السماء منه ثم (نودي) موسى (يا موسى اني) بكسر الهمزة أي نودي فقيل يا موسى اني أو لان النداء يسر بمن القول دون معناه وبالفتح مكرر أو بحرف أي نودي بأني (أنا ربك) أنا مسند أو أنا كيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة ولما طه الشعبي روى انه لما نودي يا موسى قال الس المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل فلما سمع من جميع جهاته الست ومع جميع أعضائه (فاخلع نعليك) ارجعهما التصيب مقدس بركة الوادي المقدس أو لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لانهما كانتا من جلد البقر وهو نجس ثم طاف السلف بالكعبة حافيين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها خلعهما وألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان ممنوع شامي وكوفي لانها اسم علم للوادي وهو بدل منه وغيرهم نعت وقيل بتأويل البقعة وقيل أرض أو بتقدير الطاء للتوس (وانا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وانا اخترتك بحره (فاستمع لما يوحى) الى قلبك بوحي أو للوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) وحدني وأطعني (واقم الصلوة لذكري) لتذكرني فيها لاستيلاء الصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكر بالمدح والثناء او اذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذاكرا غير ناس أو لوقت ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أو لاقم الصلاة بعد نسيانها او اذا نبهت عليها لقوله وأقم الصلاة لدلوكها على ان الامر يفيد الفور وخص الصلاة بعد الامر بالعبادة لانها أعظم منها (ان الساعة آتية) لامحالة (أكاد) ازيد من الاخفاء وقيل صلة (أخفيها) من هوس الاصداد أي سترها أو أسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لارادة اخفائها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعميم وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أشربته القلوب من الخوف من الموت (لتجزى) متعلق بآتية أو بأخفيها (كل نفس بما تسعى) تسعى فيه من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالساعة بما فيها من الطامات لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لانصدادهم (واتبع هواه) في تحالف أمره

كأسوأ ما يكون فلا صوم الدهر بعد حصره الدهر قولا حصره الدهر بعد صوم الدهر فصل كأس السحرة عره حصراء وفصل كانت من العوسج وفصل كانت من العلق وهل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم تكن التي رآها موسى نارا بل كان نورا ذكر نفسه النار لان موسى ظنه النار والنور كشفها لاهلك صحابه وجهها انتهى الا بصره من حلقه أخرجه مسلم وفي ان موسى أحد سبعة من الحبشان الناس وقصد السحرة فكان كلما دنا رأى عمودا أي دنا منه فوقف مكانه وسمع وسمع تسبيح الملائكة وألقى عليه السكينة فعند ذلك (نودي يا موسى اني أنا ربك) قال وهب نودي من السحرة فعمل يا موسى فاخاف سرعة ما يدري من دعاه فقال اني أنا سمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا يليق الا الله تعالى فاخبر به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا ﴿ وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانا من جلد حمار ميت وروي غير مدبوغ وانما أمر بخلعهما ليباشر بقدميه الوادي المقدس وقيل أمر بخلعهما لانه كان من جلد حمار ميت وقيل لانه كان من جلد البقر وهو نجس فلما خلعهما ألقاهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم الوادي الذي حصل فيه وقيل طوى وادي مقدس مرتين والطاوي في اسم داره (وانا اخترتك) اصطفيتك برسالتي وكلامي (فاستمع لما يوحى) فيه لما الهمه من الجلال له كانه قال له لعظم ما أعلمك أمر عظيم فاستمعه (اني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولانه دعا ي (وأقم الصلوة لذكري) أي لتذكري فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا تراءي فيها ولا تعتد بها عرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاتك ثم ذكرتها فافعلها (ب) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ولا ينافيه أقم الصلوة لذكري وفي رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذكري (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد اخفيها من نفسي وكيف نعلمها فقوله وكيف ظهر الحكمة لتذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سري في نفسي أي أخفيته عن عيني والله تعالى لا تخفى عليه عيني ولا في اخفائها النهوض والتعريف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وأخفاه احتمل ان يعمل المعاصي الى ان يقرب ذلك الوقت ويتصل العمل فتخلص من عقاب المعاصي وعن بعض السلف الموت وانه اذا لم يعرف وقته لا يزال على وجل من الموت والوجل يمنعه من المعاصي او يحمله في كل وقت على معاجلة الاعمال ﴿ وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ما فيها من الطامات لموسى والمراد به أمته (واتبع هواه) أي مراده وخالف امر الله

(فاردى) أى مهلك ﴿ قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه
على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هى عصاى) مثل كان لها شعبتان وفى أسفلها
سنان ولها محجن واسعها هناءة (أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها اذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطهارة (وأهش بها
على غنمى) أى أضرب بها الشجر لتساقط الورق فترعاه الغنم (ولى فيها مآرب أخرى) أى حاجة
وصالح أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد وتشد بها الحقائب
وتسوى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا عدم وروى عن ابن عباس
ان موسى كان يحمل عليها زاده حتى سقاه فعلق عباءه وعكازه فكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل
يوما وتركها فخرج الماء فاذا رمى بها ذهب الماء وكان اذا استهى عنبا ركزها فصار عنبا وورق
وثمر واذا أراد الاسد عاديا من البئر أدلاه فاطال على طول البئر وصارت سبعا كذلك حتى تسمى وكانت
تضىء بالليل كالسراج واذا طهر له عدو كانت تحاربه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أى
ارمها واطرحها فالقاها موسى فصارت حية تسعى (فألقاها) أى فطرحها على وجه الارض ثم حانت
منه التفاتة (فاذا هى حية) صغيرة أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى
موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم العظيمة وقال فى موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر
ما يكون من الحيات والجمع ثعابين والحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن
ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم لم يزل حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل
انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال مجاهد بن أبى نجيح لما نظر موسى فاذا العصا حية تمشى أعظم ما يكون
من الحيات وصارت سبعتها سبعين أمثالها من الحيات تعرف كالسارية وعيناها مثل كالسراج وهى
بالصخرة تعلو مثل الحائط فزعت عند ذلك من الاول فما قمنها وبصق السحرة العظماء ما بينها وبين لم تصرعها
عظما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منهم نودى يا موسى أقبل وارجع
حيث كنت مرجع وهو سدنا الخوف (قال خذها) أى تناول (ولا تخف) ولا تحف (سنعيدها سيرتها الاولى) أى الى هيأتها وهيئتها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف
فلما ألقاها عادت ثعبانا فقال الله تعالى له خذها فألقى طرف المدرعة على يده فامنه الله تعالى أن تكسف يده وكسفها
وذكر بعضهم انه لما ألقى المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله عدوا كان المدرعة
تعنى عصا فقال لا ولكنى ضعفت من صغف حلقت فكشف عن يده ثم رفعها فى ثم الحية فاذا هى
عصا كما كانت ويقال سعيها فى الموضع الذى كان تسعها اذا تركها قال المفسرون اراد الله تعالى ان
يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها الجن ولا يقدر منها اذا ألقاها عبدة فرعون ﴿ وله

والمآرب الاخر لها كانت عباءته وعكازه ويحارب العدو والسباع ويصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير سعفا ذلولا وتكون شمعة بالليل ويحمل زاده وتركزها هو بغير تسبيح فاذا ركزها وضع الماء فاذا ركزها ذهب الماء وكانت تحمل الهوام والزاد على الطريق لعدادا لهم شكرا أو لانها حيوان سؤال آخر لانه لما قال هى عصاى وسئل لم ما تسمع بها فاحد إذ قد انها (قال ألقها يا موسى) اطرح عصاك الظاهر عما كنت عليه فلا تشك الا ساورى بها كيف ما قلبها من المآرب وهو سمعنا الى المطالب (فألقاها) فطرحها (فاذا هى حية تسعى) تمشى سريعا وسئل انها كانت عصا يوم الصحراء والسحرة لما رآها تبلع كل شئ حولها وانها وصفت بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الذى تحركه السرعة كالجان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاء ان تعلب حية صغيرة عند موسى تبتلع كل ما قاربها من الحيات اولى تعالى
عصاه فلما رآها ولى مدبرا ولم يعقب الحيات وهو العظيم من الحيات وهو الذى تحركه السرعة فالجان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاء ان ثعلب حية صغيرة عند موسى تبتلع كل ما قاربها من الحيات اولى تعالى
(فاردى) أى مهلك ﴿ قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه
على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هى عصاى) مثل كان لها شعبتان وفى أسفلها
سنان ولها محجن واسعها هناءة (أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها اذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطهارة (وأهش بها
على غنمى) أى أضرب بها الشجر لتساقط الورق فترعاه الغنم (ولى فيها مآرب أخرى) أى حاجة
وصالح أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد وتشد بها الحقائب
وتسوى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا عدم وروى عن ابن عباس
ان موسى كان يحمل عليها زاده حتى سقاه فعلق عباءه وعكازه فكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل
يوما وتركها فخرج الماء فاذا رمى بها ذهب الماء وكان اذا استهى عنبا ركزها فصار عنبا وورق
وثمر واذا أراد الاسد عاديا من البئر أدلاه فاطال على طول البئر وصارت سبعا كذلك حتى تسمى وكانت
تضىء بالليل كالسراج واذا طهر له عدو كانت تحاربه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أى
ارمها واطرحها فالقاها موسى فصارت حية تسعى (فألقاها) أى فطرحها على وجه الارض ثم حانت
منه التفاتة (فاذا هى حية) صغيرة أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى
موضع آخر كأنها جان وهى الحية الصغيرة الجسم العظيمة وقال فى موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر
ما يكون من الحيات والجمع ثعابين والحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن
ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم لم يزل حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل
انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال مجاهد بن أبى نجيح لما نظر موسى فاذا العصا حية تمشى أعظم ما يكون
من الحيات وصارت سبعتها سبعين أمثالها من الحيات تعرف كالسارية وعيناها مثل كالسراج وهى
بالصخرة تعلو مثل الحائط فزعت عند ذلك من الاول فما قمنها وبصق السحرة العظماء ما بينها وبين لم تصرعها
عظما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منهم نودى يا موسى أقبل وارجع
حيث كنت مرجع وهو سدنا الخوف (قال خذها) أى تناول (ولا تخف) ولا تحف (سنعيدها سيرتها الاولى) أى الى هيأتها وهيئتها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف
فلما ألقاها عادت ثعبانا فقال الله تعالى له خذها فألقى طرف المدرعة على يده فامنه الله تعالى أن تكسف يده وكسفها
وذكر بعضهم انه لما ألقى المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله عدوا كان المدرعة
تعنى عصا فقال لا ولكنى ضعفت من صغف حلقت فكشف عن يده ثم رفعها فى ثم الحية فاذا هى
عصا كما كانت وقيل سعيها فى الموضع الذى كان تسعها اذا تركها قال المفسرون اراد الله تعالى ان
يرى موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها الجن ولا يقدر منها اذا ألقاها عبدة فرعون ﴿ وله

(واضمم يدك الى جناحك) الى بعنبك تحت العضد وجناحا الانسان يديه والاصل الشئ ما منه جناحا الطائر يقيا جناحيه لانه يحفهما أى يحيطهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لشعاع كشعاع الشمس يعنى البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لنريك بيضاء وآية حالان معاوين عن سوء على تأويل أبصر من غير سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يدل عليه الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أى حددناه الآية أو اذهب على العصا حتى نريك بها من الآيات بعض آياتنا الكبرى العظمى أو نريك بها من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف انه كلف أمرا عظيما تحتاج الى صدر وسيع (قال رب اشرح لى صدرى) وسعه لتحمل الوحى والمسامى وردى به الاخلاق من فرعون وحده (ويسر لى أمرى) وسهل على ما أمرنى به من تبليغ (٢٣٧) الرسالة الى فرعون واشرح لى صدرى

تعالى (واضمم يدك الى جناحك) أى الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أى بيده مسرورة (من غير سوء) أى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان لها نور ساطع يضئ ما بين السماء والارض كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أى دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ﴿قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغى) أى جاوز الحد فى العصيان والتمرد واعلم ان خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان مبعوثا كما ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانا معك أسمع وأرى وان معك ملكا بيدى وبصرى وانى ألبسك جنة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرى وانك لن تذكرنى بشئ من خلقى بطرا بعمى وأمن مكرى حتى تحدثنى وأذكر لموسى وانى أقسم بعزتى لولا الخصلة التى وصفت بها موسى من حلمى لعاجلته بنقمتى ولكنى هان على وسقط من سمعى ولعبد من رسالى وانى عاتبه فى ودى وحذره بمعصيتى وقيل له قولا لينا لا تعنفا فى الدعاء ولا تبذوا بالسب ولا تقولا أنتما فاسدا ولا مفسدا ولا تعجلا على فانى عالم بما تصنعان وقال له أخبرنى (قال) موسى (رب اشرح لى صدرى) أى وسعه للعفو قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون حتى فاسد لسانه سوكزه وكربه وجهده وكان يصيبه كلما كلم من معه فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للذى حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا بإذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وحده سوكزه وكربه وجهده (ويسر لى أمرى) أى سهل على ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون فداعب يوما فرعون لاطمه واحدى يديه على لحيته فنتفها فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت آسية انه صبى لا يعقل وقيل انما فعل ذلك لانه أدخل يده فى فيه فأخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه فقالت آسية انه صبى لا يعقل وقيل انما فعل ذلك لانه رأى فى يد فرعون تفاحة فأخذها فوضعها فى فيه فاحترق لسانه فقالت آسية انه صبى لا يعقل حتى يعلم ان بين التفاحة والجمرة فرقا فامتحنا بالجمرة والتفاحة فاخذ الجمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصار فيه عقدة (يفقهوا قولى) أى لعلهم يفقهوا قولى (واجعل لى وزيرا من أهلى) أى معينا يظهر الحق بقوله ويؤازرنى ويحمل عنى بعض ما حملت من أمر النبوة (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا وأجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أى حنطيا (أشدد به أزرى) أى قوتى به ظهرى (وأشركه فى أمرى) أى فى أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيرا) أى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) أى

آكد من اشرح صدرى لانه تكرر للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لى وتسرلى علم ان عمله مشروط بهما ومتسر بارتفاع الاهمام بذكر الصدر والامر (واحلل) افصح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رتة أخذها من وضعها على لسانه فى صغره وذلك ان موسى أخذ فى فرعون ولطمه لطمة سقط منها لحيته فى صدره فاراد قتله فقالت آسية انها طفل لا تعقل فجعلت فى طشت نارا وفى طست لؤلؤ ووضعهما الى موسى فمد يده الى النار فوضع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار ألكن منها وروى انه لما احترق واحمر فرعون فى علاجها فلم ير أولى ادعاء

قال الى أى رب ندعونى قال الى الذى اراه وقد تحرت عنها ومن لسانى صعقة عقدة من عقد لسانى وهذا شعر بانه لم يزل العقدة كلها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا) ظهيرا أعتمد عليه فى الوزر الحمل لانه يحمل عن الملك أوزاره وهو من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه وتلحق السه فى أموره أو معناه من المؤازرة وهى المعاونة وزيرا مفعول أول لاجعل والثانى (من أهلى) أولى وزيرا مفعوله الاول ومن أهلى صفة له (هرون) عطف بيان لوزيرا أو بدل له (أخى) بدل أو عطف بيان آخر لوزيرا وهرون ممنوع الصرف للعلمية والعجمة على اولهما ما به بامر الوزارة (اشدد به أزرى) قوه ظهرى والازر القوة (وأشركه فى أمرى) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة واسندا الشركة الى نفسه على حكاية الطلب سألنى على الجواب والاقتران فى الدعاء والسؤال (كى نسبحك) نصلى لك ونعبدك (كثيرا ونذكرك كثيرا) فى الصلوات وغيرها

محمد لدلوي على علمك عما أوحاه من حيث لا تعلم (ألك كيف نصرا) أي حفظا عاما (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي على هذه المرة من غير سؤال منك (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) أي ما علمنا أنه يوحى إليها من الإلهام وعدد نعمه عليه فقال (أن اقذفيه في التابوت) أي ألهمناها أن اجعليه في التابوت (فاقذفيه في اليم) يعني بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعني ساحل البحر (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون فأخذ التابوت وفتحه فرأى موسى وعرف رأسه وسوقه فعلم أنه ابن فرعون وكان يشرع عليه بمهرك يرى دار فرعون فيها فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية فأتاهما بالتابوت يحيى عليه السلام فأمر العلماء والحواري بأن يأخذوه ويفتحوا رأسه فإذا هو بصبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا لم يحبه شيء قط فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه حبا شديدا لما رآه أحد إلا أحبه فلما رأته آسية كذلك قالت (ولتصنع على عيني) أي لتربى وتحسن إليك وأمرها أن تكرمه كما يرى الرجل الشيء يعجبه إذا أتى به ويأمر أن يحسن إليه (إذ تمشي أختك) وأمها مريم بنت عمران (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي على امرأة يرضعه ويصلحه لها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقال أهلها أحد ذلك فالوا نعم فجاءت بالأم فلما قبل ثديها ذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك وترى ابنها (ولا تحزن) أي ولا تذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان فيما حكاه أن فرعون كان عبر إلى الشاطئ فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته والآخر من بني إسرائيل (فنجيناك من الغم) أي من غم القتل وكربته (وفتناك فتونا) قال ابن عباس أخبرناك أخبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون الذي وقع في هذه الآية ما حكاه الله تعالى بعد هذا بقوله تعالى (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي أنعمنا عليك نعمة أخرى (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) أي ألهمناها ما ألهمناها مما لا يعلمه إلا الله تعالى وعدد نعمه عليها فقال (أن اقذفيه في التابوت) أي ألهمناها أن اجعليه في التابوت (فاقذفيه في اليم) يعني بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعني ساحل البحر (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون فأخذ التابوت وفتحه فرأى موسى وعرف رأسه وسوقه فعلم أنه ابن فرعون فأخذه فرعون فجعله في التابوت ووضع التابوت على البركة مع امرأته آسية فأتاهما بالتابوت يحيى عليه السلام فأمر العلماء والحواري بأن يأخذوه ويفتحوا رأسه فإذا هو بصبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا لم يحبه شيء قط فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه حبا شديدا لما رآه أحد إلا أحبه فلما رأته آسية كذلك قالت (ولتصنع على عيني) أي لتربى وتحسن إليك وأمرها أن تكرمه كما يرى الرجل الشيء يعجبه إذا أتى به ويأمر أن يحسن إليه (إذ تمشي أختك) وأمها مريم بنت عمران (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي على امرأة يرضعه ويصلحه لها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقال أهلها أحد ذلك فالوا نعم فجاءت بالأم فلما قبل ثديها ذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك وترى ابنها (ولا تحزن) أي ولا تذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان فيما حكاه أن فرعون كان عبر إلى الشاطئ فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته والآخر من بني إسرائيل (فنجيناك من الغم) أي من غم القتل وكربته (وفتناك فتونا) قال ابن عباس أخبرناك أخبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون الذي وقع في هذه الآية ما حكاه الله تعالى بعد هذا بقوله تعالى (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي أنعمنا عليك نعمة أخرى (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) أي ما علمنا أنه يوحى إليها من الإلهام

أصرف على ارادتي ومحبتي وذلك أن مبادئ الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته ومثل معناه احبرني لامري وسهل لي القيام بحقي والمخاطبة بيني وبين سلطاني كما ألفت علمهم العقدة لسانهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) أي بدلائلي قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعثهم الله بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أي لا تضعفا وتقصرا ولا تقصرا (في ذكري) أي لا تقصرا في ذكري بالاحسان الكما والانعام علي كما ومن ذكرا اهمه سكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا) أي داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما ومثل كما قولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما باللطافة له لما علم من حق تربية موسى ومثل عداه على وقول الا بعاد سيما بالاهرام ومثلكما لا يرجى منه الا ان يكون على طمع والاسر والتمكن الى حين موته واذا ما دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أنجز وكان لا يطمع أمر أدون هامان وكان عالما فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال أردت أن أعلم ربه فعال له هامان كنت أرى ان لك عقلا ورأيا أترى ان تكون مربوبا وأنت تريد أن تعبد فعال فرعون صواب ما قلت فعلمه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلما لقيه وأخبره بما أوحى اليه ﷺ وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أي يتعظ ويخاف فسلم قال فلما كلمه قال لعله تذكر وعسى في علم الله لا تذكر ولا تسلم فلما معناه ادهبا على رجائكما وطمعكما ورأيا أمركما وفعل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وفعل هو صرف الى غير فرعون فجازه لعله تذكر او يخشى جاس ادا رأى تربى والطافي عن حقه وأنعم عليه مع ادعائه الربوبية ولعل من الله واجب وقد تذكر فرعون ويخشى حين لم ينفعه التذكر ويدل على ذلك حين أدركه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي قوله قولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال الهي هذا رفق بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال ما علمت لكم من اله غيري وقال أنا أقول ما أنت الاله فكيف بمن قال أنت الاله وهذا رفق بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا) نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة وهو من الفارط بمعنى الفارط بمعنى السابق أي (أو أن يطغى) يتجاوز الحد في الاساءة الينا (قال) الله تعالى (لا تخافا اني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما وأجيبه وأرى ما يراد بكما فامضيا لما أمرتكما فامضيا (فأتياه) أي فرعون (فقولا انا رسولا ربك) الك (فارسل معنا بني اسرائيل) أي خل عنهم واطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تعذبهم في العمل وكان فرعون قد جعلهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ورفعه فصار كالجمر ثم ردها فعادت بيضاء (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد السلام التحية انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أي انما

أصرف على ارادتي ومحبتي وذلك أن مبادئ الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته ومثل معناه احبرني لامري وسهل لي القيام بحقي والمخاطبة بيني وبين سلطاني كما ألفت علمهم العقدة لسانهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) أي بدلائلي قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعثهم الله بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أي لا تضعفا وتقصرا ولا تقصرا (في ذكري) أي لا تقصرا في ذكري بالاحسان الكما والانعام علي كما ومن ذكرا اهمه سكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا) أي داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما ومثل كما قولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما باللطافة له لما علم من حق تربية موسى ومثل عداه على وقول الا بعاد سيما بالاهرام ومثلكما لا يرجى منه الا ان يكون على طمع والاسر والتمكن الى حين موته واذا ما دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أنجز وكان لا يطمع أمر أدون هامان وكان عالما فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال أردت أن أعلم ربه فعال له هامان كنت أرى ان لك عقلا ورأيا أترى ان تكون مربوبا وأنت تريد أن تعبد فعال فرعون صواب ما قلت فعلمه على رأيه وكان هرون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلما لقيه وأخبره بما أوحى اليه ﷺ وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أي يتعظ ويخاف فسلم قال فلما كلمه قال لعله تذكر وعسى في علم الله لا تذكر ولا تسلم فلما معناه ادهبا على رجائكما وطمعكما ورأيا أمركما وفعل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وفعل هو صرف الى غير فرعون فجازه لعله تذكر او يخشى جاس ادا رأى تربى والطافي عن حقه وأنعم عليه مع ادعائه الربوبية ولعل من الله واجب وقد تذكر فرعون ويخشى حين لم ينفعه التذكر ويدل على ذلك حين أدركه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي قوله قولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال الهي هذا رفق بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال ما علمت لكم من اله غيري وقال أنا أقول ما أنت الاله فكيف بمن قال أنت الاله وهذا رفق بمن قال أنا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى (قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا) نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة وهو من الفارط بمعنى الفارط بمعنى السابق أي (أو أن يطغى) يتجاوز الحد في الاساءة الينا (قال) الله تعالى (لا تخافا اني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما وأجيبه وأرى ما يراد بكما فامضيا لما أمرتكما فامضيا (فأتياه) أي فرعون (فقولا انا رسولا ربك) الك (فارسل معنا بني اسرائيل) أي خل عنهم واطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تعذبهم في العمل وكان فرعون قد جعلهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ورفعه فصار كالجمر ثم ردها فعادت بيضاء (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد السلام التحية انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أي انما

وأدبا الرسالة وقالا ما أمرا به (قال فمن ربكما يا موسى) خاطبهما بذلك لأنه موسى هو الأصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خلقته كل شيء تحتاجون إليه وترتفعون به أو بأنهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق ما عمله المبوطة به أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المرتقبة منه أو خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق صفاته اللائقة به (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى (قال فما بال القرون الأولى) فما حال الأمم الخالية والرسم السالفة سأله عن حال من تقدم من القرون عن سعادتهم وشقاوتهم سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربي) مبتدأ وخبر (في كتاب) أي اللوح حيرتان أي هذا سؤال عن الغيب وهذا سؤال عن العيب وهذا سؤال لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مسلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئا مما سئل عنه إذا أحاط به في مكانه فلم يهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (٢٤) (ولا ينسى) لوائحهم وعقائدهم وعمل لا ينسى ما علمه ذكره الكتاب ولكن لعلم الملائكة

بعذاب الله من كذب بما حسبانه وأعرض عنه (قال) يعني فرعون (فمن ربكما يا موسى) أي فمن الهكما الذي أرسلكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء محتاجون إليه ومرتفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شيء صورته خلق الذكر للأنثى والذكر للحسي واللسان للطعم والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى مأتيه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل روحه الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الخرة والحمار الأتان ثم هدى أولهم كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) يعني فرعون (فما بال القرون الأولى) أي فما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث فما قال فرعون ذلك لو لا حين حوتهم مصارع الأمم الخالية فحسد قال فرعون فما بال القرون الأولى (قال) يعني موسى (علمها عند ربي) أي أعمالهم محفوظة عند الله تجازيهم بها وقيل إنما ردد موسى علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لم يعلم ذلك لأن الوحي إنما كان يأتيه فيما يتعلق بأمر فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ ولا يزل (ولا ينسى) أي ما كتب ولا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الأرض مهادا) أي فراشا وسهل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الأرض لأجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وأنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) قال الله تعالى (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلف الألوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات لتأكلوا وترعى (إن في ذلك) أي الذي ذكر (لآيات لأولي النهى) أي لذوي العقول هم الذين ينهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الأرض خلقنا آدم وقيل إن الملك يطلق ما أخذ من التراب الذي ندفن فيه فيدرج في القبر فمن الأرض (وفيها نعيدكم) أي عند الموت الذي (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب ﴿قوله تعالى (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى

(الذي) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الأرض مهدا) كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان كالمعاش والمعيش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنزل من السماء ماء) أي مطرا (فأخرجنا) بالماء على الكلام من الله تعالى لقوله للمتكلم المطاع للافتتان ووصل بكلام موسى أي أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالخراسه والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سمي به النبات فوصف به الواحد والجمع (شتى) صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي أنواعا مختلفة المنفع والطعم واللون الزاجروا والسكل تعصفها للناس وتعصفها للبهائم ومن نعمه الله تعالى أن أوزاعا تجعل الأنعام وقد جعل الله عليها ما يحصل عن جاهما الاعتذار على أكله فقال (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصنافا النبات آدمي في حال انتفاعكم بها حسن أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (إن في ذلك) الذي ذكر (لآيات) لدلالات (لأولي النهى) لذوي العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحظور أو تنهى النهاية الأمور (منها) من الأرض (خلقناكم) أي أنا كم آدم عليه السلام وقيل نحن كل نطفة تحدث من تراب والنطفة مما أولا تطعمت الأعذية وهي من الأرض (وفيها نعيدكم) إذا متم ودفنتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه تولد أجزاؤهم التي صارت ترابا وتردهم كما كانوا أحياء وتحشرهم إلى المحشر عند الله عليهم ما على الأرض من مرافقهم حتى جعلها لهم فراشا وهادا ما دامون عليها وسوى لهم فيها سبلا يترددون فيها كيف شاءوا وأنبت فيها أصنافا لمنافعهم وعلوفات لها لهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وإليه مآلهم إلى مهاولدوا وفيه كانوا إذا ماتوا (ولقد أريناه آياتنا كلها) أي فرعون (آياتنا كلها) وهي يد موسى آيات العصا والجدب والطوفان والجراد والقمل والضفادع

موسى (وكذب وأبى) نعى فرعون ورعم اسحره وأبى أن يسلم (قال) نعى فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) عمه دليل على انه عاين منه ما شاهد بداوة له بسحرك تعلل والا فاى ساحر يشتد أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضنه بمثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد وقد رساف أى مكان موعدا والمعنى فعرفنا أوقات موعدنا ما لزم على جواب الامر وعبر بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف وهو أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه ونحن وانت مكانا ما صدر أو نجعل بدل عنه المصدر (سوى) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وعبرهم بالضم وهو نعت لمكانا أى منصفا يستوى وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم السرور أو يوم عاشوراء واعترض استبعاد الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على أو ل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا محالة فعدل الزمان عن المكان وعلى الثانى يعد يوم وعدكم وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى يجمع فى موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأن لكشف الحق وليتسع فى جمع أهل الوبر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحره وكانوا اثنى (٢٤١) وسبعين أو أربعمائة وسبعين الفا (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعوا آياته وسحرا به سحرا (فيسحتكم) كوفى غير أبى بكر يهلككم ويقطع الباء والحاء عبرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعدام والنصب على جواب النهى (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا اى السحرة فقال بعضهم هو ساحر لما وقال بعضهم ليس هذا كلام السحرة ما (أمرهم بينهم وأسروا النجوى) اى تشاوروا فى الامر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء له أمر والنجوى كالمصدر واما اسم اسروا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسيرتكم وأمركم وكانوا من بنى اسرائيل من أشراف مصر فاصطلحوا على أن يذهبوا ببنى اسرائيل ويستأصلوهم (فأجمعوا كيدكم) أى لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به وكانوا قد أعدوا كل كيد (ثم ائتوا صفا) اى جماعة مصطفين لانكر أهيب فى صدوركم (وقد أفلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة

موسى (وكذب وأبى) نعى فرعون ورعم اسحره وأبى أن يسلم (قال) نعى فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) نعى مصر (بسحرك يا موسى) نريد أن تغلب على ديارنا فتكون أنت الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى اضرب أجلا وعينه لنا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) اى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوى مسافة الفريقين الموعد ليس هو المكان (قال) نعى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يزينون فيه ويجمعون فى مثله وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهارا لكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) نعى فرعون (كيده) نعى مكره وسحره وحيله (ثم اتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) نعى للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصاه وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثنى عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) أى يهلككم (وقد خاب من افترى) اى خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى ﴿قوله تعالى﴾ (فتنازعوا أمرهم بينهم) اى تشاوروا وتساوروا نعى السحرة فى امر موسى لما سمعوا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا قول ساحر (وأسروا النجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) نعى موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) نعى من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسيرتكم وأمركم وقيل معناه بأشرافكم وخياركم (فأجمعوا كيدكم) اى لا تدعوا شيئا مما تكيدون به الا جئتم به وقيل معناه ائتوا كيدكم الذى أنتم عليه (ثم ائتوا صفا) اى جماعة مصطفين لانكر أهيب فى صدوركم (وقد أفلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة

هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) يعنى بدينكم الذى أنتم عليه وهو دين الوثنية (فأجمعوا كيدكم) يعنى الذى تكيدون به موسى (ثم ائتوا صفا) يعنى مصطفين (وقد أفلح اليوم من استعلى) يعنى من غلب (قالوا) يعنى السحرة

(ياموسى اما أن تلقى) أى عصاك (واما أن نكون أول من ألقى) أى عصانا (قال) يعنى موسى (بل ألقوا) يعنى أنتم أولا (فاذا حبالهم) وما معها (أى فاذا أحبالهم (وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وذلك انهم لما ألقوا الحبال والعصى أحدثوا أعين الناس فرأى موسى كأن الارض امتلأت حيات وكأنها قد أقبلت نحوه تسعى كل حية منها مثل كل حبل ورأها كلها تسعى (فأوجس) أضمر وفصل وحد (فى نفسه خيفة موسى) وقيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تسعى نحوه وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيسكوا فى أمره لا خوفه (لا تخف) أى قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) اى العالب عليهم والظافر (وألق ما فى يمينك) أى عصاك والمعنى لا تخف كثرتهم وعصيهم فانى سأسلط عليها يمينك فتلقفها (تلقف) أى تبتلع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أى من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سحان الله ما أعجب أمرهم ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا وسهم بعد ساعة للسجود تسببا اعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لما رأوا ما رأوا من عظيم قدرة الله تعالى فى سجودهم ما رأوا منه الى تصيروا الها فى الحسة (قال) يعنى فرعون (آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم) أى لرئيسكم وعلمكم يعنى انه استركم واعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم الذى علمكم السحر (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) اى على اتباعكم له (أنا أو رب موسى على زعمه الا عذابه (وأبقى) أى أدوم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثرك) أى لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) يعنى الدلالات الواضحات وهى العصا واليد (والذى فطرنا) خلقنا وأوجدنا (فاقض ما أنت قاض) أى فاصنع ما أنت صانع (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى انما تصنع ما تريد فى هذه الحياة الدنيا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أى ذنوبنا (وما أكرهتنا عليه من السحر) أى وليغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقى) أى ثوابه خير وأدوم (انه من يأت ربه مجرما) أى كافرا (فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) أى فيستريح (ومن يأته مؤمنا) أى مصدقا بالله ورسوله (قد عمل الصالحات) أى الطاعات (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل الرفيعة (جنات عدن) أى بساتين اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا (وذلك جزاء من تزكى) أى من تطهر من الكفر والمعاصى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى بنى اسرائيل (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) أى فاجعل لهم طريقا يابسا فى البحر (لا تخاف دركا) أى لحاقا من فرعون (ولا تخشى) أى الغرق (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى فلحقهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) أى فغشيهم من البحر ما غشيهم من الماء (وأضل فرعون قومه وما هدى) أى وما أرشدهم الى خير قط (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) أى وواعدناكم بالوحى على جانب الطور الأيمن (ونزلنا عليكم المن والسلوى) أى وأنزلنا عليكم المن والسلوى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى كلوا من حلال ما رزقناكم (ولا تطغوا فيه) أى لا تعصوا فيه (فيحل عليكم غضبى) أى فينزل عليكم عذابى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) أى فقد شقى (وانى لغفار لمن تاب) أى رجع عن الكفر (وآمن) أى صدق بالله ورسوله (وعمل صالحا) أى طاعة (ثم اهتدى) أى ثبت على الايمان الى الموت (وما أعجلك عن قومك يا موسى) أى ما حملك على العجلة عن قومك حتى تقدمتهم (قال هم أولاء على أثرى) أى هم يأتون على أثرى (وعجلت اليك رب لترضى) أى لتزداد عنى رضا (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعدك (وأضلهم السامرى) أى دعاهم الى عبادة العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أى حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أى بالوحى على جانب الطور الأيمن (أفطال عليكم العهد) أى أفطال عليكم الزمان (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى أم أردتم بعبادة العجل أن يحل عليكم غضب من ربكم (فأخلفتم موعدى) أى فأخلفتم ما وعدتمونى من الثبات على الايمان (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى ما أخلفنا موعدك باختيارنا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أى ولكنا حملنا أثقالا من حلى القوم (فقذفناها) أى فطرحناها فى النار (فكذلك ألقى السامرى) أى فكذلك طرح السامرى ما معه من الحلى فى النار (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) أى فأخرج السامرى لهم من النار عجلا جسدا له خوار (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى فنسى موسى ربه عنده وذهب يطلبه (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا) أى أفلا يرون أن العجل لا يرجع اليهم قولا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى لا يقدر على دفع الضر عنهم ولا على جلب النفع اليهم (ولقد قال لهم هارون من قبل) أى من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بعبادة العجل (وان ربكم الرحمن) أى وان ربكم الذى يستحق العبادة هو الرحمن (فاتبعونى) أى فى عبادته (وأطيعوا أمرى) أى فى ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع الينا موسى) أى من الطور (قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أى ما منعك حين رأيتهم ضلوا (ألا تتبعنى) أى ألا تأتينا (أفعصيت أمرى) أى فى اقامتك معهم (قال يبنؤم) أى يا ابن أمى (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى (انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى انى خشيت أن تقول لى اذا رجعت اليك فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) أى ولم تحفظ وصيتى (قال فما خطبك يا سامرى) أى فما شأنك يا سامرى (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى علمت بما لم يعلموا به (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى فقبضت قبضة من تراب أثر فرس جبريل (فنبذتها) أى فطرحتها فى النار (وكذلك سولت لى نفسى) أى وكذلك زينت لى نفسى ما صنعت (قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) أى فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لكل من رآك لا تمسنى (وان لك موعدا لن تخلفه) أى وان لك موعدا لن تخلف فيه (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى وانظر الى الهك الذى ظلت مقيما على عبادته (لنحرقنه) أى لنحرقن العجل بالنار (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى ثم لنذرينه فى البحر اذرا (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو) أى انما معبودكم الله الذى لا معبود سواه (وسع كل شىء علما) أى أحاط علمه بكل شىء (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى كما قصصنا عليك يا محمد قصة موسى كذلك نقص عليك من أخبار الامم السالفة (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى وقد أعطيناك يا محمد شرفا (من أعرض عنه) أى من كفر به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى فانه يحمل يوم القيامة ثقلا من الاثم (خالدين فيه) أى ماكثين فى الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى وبئس لهم يوم القيامة حملا (يوم ينفخ فى الصور) أى يوم ينفخ اسرافيل فى الصور (ونحشر المجرمين) أى الكافرين (يومئذ زرقا) أى عميا (يتخافتون بينهم) أى يتسارون بينهم (ان لبثتم الا عشرا) أى ما لبثتم فى القبور الا عشرا (نحن أعلم بما يقولون) أى نحن أعلم بما يقول الكافر فى القبور (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) أى ما لبثتم فى القبور الا يوما (ويسألونك عن الجبال) أى عن حالها يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يقلعها من أصولها ويجعلها رمادا (فيذرها قاعا صفصفا) أى فيذر مكانها أرضا مستوية (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا ترى فى الارض انخفاضا ولا ارتفاعا (يومئذ يتبعون الداعى) أى يتبعون صوت اسرافيل (لا عوج له) أى لا عوج لمن دعا اسرافيل (وخشعت الأصوات للرحمن) أى خضعت الأصوات للرحمن (فلا تسمع الا همسا) أى فلا تسمع الا صوتا خفيا (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) أى لا تنفع الشفاعة يوم القيامة الا من أذن له الرحمن أن يشفع (ورضى له قولا) أى ورضى له أن يشفع (يعلم ما بين أيديهم) أى ما قدموا من أمر الآخرة (وما خلفهم) أى وما خلفوا من أمر الدنيا (ولا يحيطون به علما) أى لا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت الوجوه للحى القيوم (وقد خاب من حمل ظلما) أى وقد خسر من حمل ظلما (وهضما) أى ونقصانا (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) أى وكما قصصنا عليك يا محمد قصة موسى كذلك أنزلنا عليك القرآن عربيا (وصرفنا فيه من الوعيد) أى وبينا فيه من الوعيد (لعلهم يتقون) أى لعلهم يتركون المعاصى (أو يحدث لهم ذكرا) أى أو يحدث لهم القرآن ذكرا (فتعالى الله الملك الحق) أى فتعالى الله الملك الحق (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يفرغ جبريل من الوحى اليك (وقل رب زدنى علما) أى وقل يا محمد ربى زدنى علما (ولقد عهدنا الى آدم من قبل) أى من قبل محمد (فنسى) أى فترك ما عهد اليه (ولم نجد له عزما) أى ولم نجد له صبرا (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أى امتنع (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) أى ان ابليس عدو لك ولحواء (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى فلا يخرجنكما من الجنة فتتعب فى طلب المعيشة (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) أى ان لك فى الجنة أن لا تجوع ولا تعرى (وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) أى وأنك لا تعطش فيها ولا تصيبك حرارة الشمس (فوسوس اليه الشيطان) أى فألقى اليه الشيطان (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى هل أدلك على شجرة من أكل منها خلد (وملك لا يبلى) أى وملك لا يفنى (فأكلا منها) أى فأكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أى فظهرت لهما عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى وطفقا يلزقان عليهما من ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) أى وعصى آدم ربه فخاب (ثم اجتباه ربه) أى ثم اختاره ربه (فتاب عليه) أى فتاب الله على آدم (وهدى) أى وأرشده الى التوبة (قال اهبطا منها جميعا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة جميعا (بعضكم لبعض عدو) أى بعضكم لبعض عدو فى الدنيا (فاما يأتينكم منى هدى) أى فاما يأتينكم منى كتاب وبيان (فمن اتبع هداى) أى فمن اتبع كتابى (فلا يضل ولا يشقى) أى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى ومن أعرض عن كتابى (فان له معيشة ضنكا) أى فان له عيشة ضيقة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى ونحشره يوم القيامة أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) أى قال الكافر يا رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا فى الدنيا (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) أى قال الله تعالى كذلك أتتك آياتنا فى الدنيا فتركتها (وكذلك اليوم تنسى) أى وكذلك اليوم تترك فى النار (وكذلك نجزى من أسرف) أى وكذلك نجزى من أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه) أى ولم يصدق بآيات ربه (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى ولعذاب الآخرة أشد وأدوم (أفلم يهد لهم) أى أفلم يبين لهم (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى كم أهلكنا قبل أهل مكة من القرون (يمشون فى مساكنهم) أى يمشون فى مساكن القرون الهالكة (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى ان فى ذلك لعبرا لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب (لكان لزاما وأجل مسمى) أى لكان العذاب لازما لهم وأجل مسمى (فاصبر على ما يقولون) أى فاصبر يا محمد على ما يقول كفار مكة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) أى وصل بأمر ربك قبل طلوع الشمس (وقبل غروبها) أى وقبل غروبها (ومن آناء الليل فسبح) أى ومن ساعات الليل فصل (وأطراف النهار) أى وفى طرفى النهار (لعلك ترضى) أى لعلك ترضى بالثواب (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى لا تنظر يا محمد الى ما متعنا به أصنافا من الكفار (زهرة الحياة الدنيا) أى زينة الحياة الدنيا (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فيه (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما رزقك ربك من النبوة خير وأدوم (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أى وأمر أهلك بالصلاة واصبر عليها (لا نسألك رزقا) أى لا نسألك أن ترزق نفسك (نحن نرزقك) أى نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أى والعاقبة الجنة للمتقين (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أى وقال كفار مكة هلا يأتينا محمد بآية من ربه (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) أى أولم تأتهم بينة ما فى التوراة والانجيل (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى ولو أنا أهلكنا كفار مكة بعذاب من قبل محمد (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) أى لقالوا ربنا هلا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (قل كل متربص) أى قل يا محمد كل منا ومنكم منتظر (فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) أى فانتظروا فستعلمون من أصحاب الطريق المستقيم (ومن اهتدى) أى ومن اهتدى منا ومنكم الى الحق

وعمل كان اسدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاس حبالنا وعصانا وعمل انهم لما عدوا أوالحية والنار ورأوا مثارلهم فى الحبة وعند ذلك قالوا لموسى نؤمن لك على ماجاءنا من البينات (والذى فطرنا) بل هو قسم وعمل معطوف على نؤمن لك على الذى جاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال ابن عباس فعلهما بهم أى سحرهما بأعينهم أو احكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فاصنع ما تصنع على الظرف أى انما تحكم فى هذه الحياة الدنيا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما وروى انهم قالوا لفرعون أرأيت موسى ان غلبنا فعل هو وحده تخريسه عصاه فعلوا أما هذا السحر الساحر اذا مات بطل سحره فذكروا له معارضة موسى فصح فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وصبر فرعون حمله به وهمهم علمهم بالسحر وكيف تعلم السحر (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) حال على الاعمال (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله على هذه الآيات الا لائق حكايته وما بعدها حكم من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا فاتبعهم فرعون بجنوده (فاضرب لهم طريقا فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وقال ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرق البحر امامك (فاتبعهم) أى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) أى اصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو العرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فعند فرعون وجنوده وتحامو ى وقومه (واضل فرعون قومه وما هدى) اى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ۞ قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل

وعمل كان اسدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاس حبالنا وعصانا وعمل انهم لما عدوا أوالحية والنار ورأوا مثارلهم فى الحبة وعند ذلك قالوا لموسى نؤمن لك على ماجاءنا من البينات (والذى فطرنا) بل هو قسم وعمل معطوف على نؤمن لك على الذى جاءنا أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك (فاقض ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال ابن عباس فعلهما بهم أى سحرهما بأعينهم أو احكم ما أنت حاكم (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى فى هذه الحياة الدنيا فاصنع ما تصنع على الظرف أى انما تحكم فى هذه الحياة الدنيا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما وروى انهم قالوا لفرعون أرأيت موسى ان غلبنا فعل هو وحده تخريسه عصاه فعلوا أما هذا السحر الساحر اذا مات بطل سحره فذكروا له معارضة موسى فصح فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وصبر فرعون حمله به وهمهم علمهم بالسحر وكيف تعلم السحر (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) حال على الاعمال (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله على هذه الآيات الا لائق حكايته وما بعدها حكم من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (ولقد أوحينا الى موسى) لما أراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه أمر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا فاتبعهم فرعون بجنوده (فاضرب لهم طريقا فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وقال ان الله تعالى أيبس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرق البحر امامك (فاتبعهم) أى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) أى اصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو العرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فعند فرعون وجنوده وتحامو ى وقومه (واضل فرعون قومه وما هدى) اى وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ۞ قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل

قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه بالغرق (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الذى يلى يمين موسى حين أقبل من مدين الى مصر (ورزقناكم من طيبات ما رزقناكم) من المن والسلوى (ولا تطغوا فيه) فى رزقى بالمعاصى (فيحل عليكم غضبى) أى عذابى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) فقد هلك (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله ورسوله (وعمل صالحا) بعد الايمان (ثم اهتدى) ثم استقام على الايمان حتى مات عليه وقيل ثم علم ان توبته كانت بتوفيق الله تعالى وقيل ثم اهتدى الى ما يكفر الذنوب (وما أعجلك عن قومك يا موسى) سؤال توبيخ وتقريع (قال هم أولاء على أثرى) أى هم يأتون على أثرى (وعجلت اليك رب لترضى) أى لتزداد عنى رضا (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد فراقك (وأضلهم السامرى) أى دعاهم الى عبادة العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بانزال التوراة فيها الهدى والنور (أفطال عليكم العهد) أى الزمان الذى وعدتكم الرجوع فيه (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى عذاب (فأخلفتم موعدى) أى ما وعدتمونى من الثبات على دينى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بطاقتنا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أى أثقالا من حلى القبط استعرناها منهم (فقذفناها) فطرحناها فى النار (فكذلك ألقى السامرى) ما كان معه من الحلى فى النار (فأخرج لهم عجلا جسدا) أى جسدا من ذهب (له خوار) صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه وقيل فنسى السامرى ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أى أفلا يعلمون (ألا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يكلمهم ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى لا يقدر على ضرهم ونفعهم (ولقد قال لهم هارون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (يا قوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن) الذى خلقكم ورزقكم (فاتبعونى) على دينى (وأطيعوا أمرى) فى عبادة الله وحده (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فنعلم ما يأمرنا به (قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعنى) أى ما منعك من اتباعى بالمجىء الى الطور (أفعصيت أمرى) فى اتباعى (قال يا بن أم) أصله يا ابن أم بالكسر فحذفت الياء وبقيت الكسرة تدل عليها وانما قال ابن أم ولم يقل ابن أبى لان أخوة الام أرق وأعطف (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى لا تفعل بى ما يفعل بالمذنبين من الاخذ بالرأس واللحية وكان هارون أكبر سنا من موسى وأشد منه فى الله تعالى ولكن موسى كان أحد منه (انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى ان تقول لى ذلك اذا رجعت اليهم (ولم ترقب قولى) أى لم تنتظر رجوعى اليك (قال فما خطبك يا سامرى) أى ما شأنك وما حملك على ما صنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى علمت ما لم يعلموا به وقيل رأيت ما لم يروا به (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام وكان جبريل راكبا على فرس الحياة يوم أغرق الله فرعون وقومه (فنبذتها) فطرحتها فى العجل (وكذلك سولت لى نفسى) أى زينت لى نفسى ما صنعت (قال فاذهب فان لك فى الحياة) أى فى حياتك (أن تقول لا مساس) أى لا يمس بعضنا بعضا ولا يقرب بعضنا بعضا وكان هذا عقوبة له فكان لا يمس أحدا ولا يقربه وكان يقول لا مساس فصار اسما له (وان لك موعدا) أى وقتا لعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) لن تغيبه عنه (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى مقيما على عبادته (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى لنذرينه فى البحر ففعل ذلك به (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو) أى ليس الهكم الا الله الذى لا اله الا هو (وسع كل شىء علما) أى أحاط علمه بكل شىء (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى كما قصصنا عليك خبر موسى وقومه كذلك نقص عليك أخبار الامم السالفة (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى شرفا وفخرا (من أعرض عنه) أى عن ذكرنا (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) أى فى الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس الحمل حملهم (يوم ينفخ فى الصور) أى يوم ينفخ اسرافيل فى الصور النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) أى الكافرين (يومئذ زرقا) أى عميا وقيل زرق العيون تغير سوادها لشدة الخوف (يتخافتون بينهم) أى يتسارون بينهم (ان لبثتم) فى القبور (الا عشرا) أى عشر ليال (نحن أعلم بما يقولون) أى بما يقول أمثلهم طريقة (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) ۞ قوله عز وجل (ويسألونك عن الجبال) أى عن حالها يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يقلعها من أصولها ويجعلها رملا ثم يرسلها سيلا على الارض (فيذرها قاعا صفصفا) أى يذر مقارها أرضا مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا ترى فى الارض انخفاضا ولا ارتفاعا (يومئذ يتبعون الداعى) أى يوم القيامة يتبعون صوت الداعى الى المحشر وهو اسرافيل يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والشعور المتمزقة هلموا للعرض على الله تعالى (لا عوج له) أى لا يعوج أحد عن دعائه بل يسرعون اليه (وخشعت الأصوات للرحمن) أى خضعت وذلت (فلا تسمع الا همسا) أى صوتا خفيا وقيل هو صوت وقع الاقدام (يومئذ لا تنفع الشفاعة) أى لا تنفع شفاعة الشافعين (الا من أذن له الرحمن) أى الا من أذن له فى الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قوله فى الشفيع (يعلم ما بين أيديهم) أى ما قدموا من أمر الآخرة (وما خلفهم) أى ما خلفوا من أمر الدنيا (ولا يحيطون به علما) أى لا يحيط علم الخلق بالله تعالى (وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت وخضعت (وقد خاب من حمل ظلما) أى من حمل شركا (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى لا يخاف أن يزاد فى سيئاته أو ينقص من حسناته (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) أى كما بينا فى هذه السورة أنزلنا القرآن بلغة العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كررنا فيه الوعيد (لعلهم يتقون) الشرك (أو يحدث لهم ذكرا) أى شرفا وفخرا (فتعالى الله الملك الحق) أى تعالى الله عن كل ما لا يليق به الملك الحق الذى لا يزول ملكه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى لا تقرأ القرآن على أصحابك من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك (وقل رب زدنى علما) أى فهما وقيل زدنى علما بالقرآن (ولقد عهدنا الى آدم من قبل) أى أمرناه ووصيناه من قبل أن نأمرك (فنسى) أى ترك ما أمر به (ولم نجد له عزما) أى صبرا على ما أمر به وقيل حزما وقيل عقلا (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أى امتنع من السجود (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى فتتعب فى طلب المعيشة (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) أى ان لك فى الجنة ما تأكل وما تلبس (وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) أى لا تجد حر الشمس فى الجنة (فوسوس اليه الشيطان) أى ألقى اليه الوسوسة (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى على شجرة من أكل منها خلد فلا يموت (وملك لا يبلى) أى لا يفنى ولا يزول (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت لهما عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى جعلا يلزقان عليهما من ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) أى خاب وقيل ضل عن الرشد (ثم اجتباه ربه) أى اصطفاه ربه (فتاب عليه) أى قبل توبته (وهدى) أى ثبته على التوبة (قال اهبطا منها جميعا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة الى الارض جميعا (بعضكم لبعض عدو) أى بعض ذريتكم لبعض عدو (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان يأتكم منى كتاب وبيان (فمن اتبع هداى) أى كتابى وبيانى (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى عن كتابى وقيل عن تذكرى (فان له معيشة ضنكا) أى عيشا ضيقا وقيل شاقا (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) أى عالما بحجتى (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) أى كما تركت العمل بآياتنا تركناك فى العذاب (وكذلك اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب (وكذلك نجزى من أسرف) أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى أدوم (أفلم يهد لهم) أى أفلم يبين لهم (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون (يمشون فى مساكنهم) أى يمشى كفار مكة فى مساكن عاد وثمود (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا ما سبق من ربك (لكان لزاما) أى لكان العذاب لازما لهم (وأجل مسمى) أى ولولا أجل مسمى (فاصبر على ما يقولون) أى على ما يقول كفار مكة (وسبح بحمد ربك) أى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الصبح (وقبل غروبها) يعنى صلاة الظهر والعصر (ومن آناء الليل فسبح) أى صل من ساعات الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وأطراف النهار) أى صل فى أطراف النهار يعنى صلاة الظهر والعصر (لعلك ترضى) أى لكى ترضى بالثواب (ولا تمدن عينيك) أى لا تطمح ببصرك (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فيه (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما رزقك الله فى الآخرة خير وأبقى مما رزقهم فى الدنيا (وأمر أهلك بالصلاة) أى بالصلوات الخمس (واصطبر عليها) أى واصبر على الصلوات (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) أى نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أى الجنة لاهل التقوى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أى هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى الانبياء قبله (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) أى أولم تأتهم بينة ما فى التوراة والانجيل من الدلالة على صدق محمد (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى من قبل مجىء محمد (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) أى نهان ونعذب (قل كل متربص) أى كل منا ومنكم منتظر (فتربصوا) أى فانتظروا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) أى من أصحاب الدين القويم (ومن اهتدى) أى ومن اهتدى منا ومنكم

قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه بالغرق (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الذى يلى يمين موسى حين أقبل من مدين الى مصر (ورزقناكم من طيبات ما رزقناكم) من المن والسلوى (ولا تطغوا فيه) فى رزقى بالمعاصى (فيحل عليكم غضبى) أى عذابى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) فقد هلك (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله ورسوله (وعمل صالحا) بعد الايمان (ثم اهتدى) ثم استقام على الايمان حتى مات عليه وقيل ثم علم ان توبته كانت بتوفيق الله تعالى وقيل ثم اهتدى الى ما يكفر الذنوب (وما أعجلك عن قومك يا موسى) سؤال توبيخ وتقريع (قال هم أولاء على أثرى) أى هم يأتون على أثرى (وعجلت اليك رب لترضى) أى لتزداد عنى رضا (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد فراقك (وأضلهم السامرى) أى دعاهم الى عبادة العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بانزال التوراة فيها الهدى والنور (أفطال عليكم العهد) أى الزمان الذى وعدتكم الرجوع فيه (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى عذاب (فأخلفتم موعدى) أى ما وعدتمونى من الثبات على دينى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بطاقتنا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أى أثقالا من حلى القبط استعرناها منهم (فقذفناها) فطرحناها فى النار (فكذلك ألقى السامرى) ما كان معه من الحلى فى النار (فأخرج لهم عجلا جسدا) أى جسدا من ذهب (له خوار) صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه وقيل فنسى السامرى ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أى أفلا يعلمون (ألا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يكلمهم ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى لا يقدر على ضرهم ونفعهم (ولقد قال لهم هارون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (يا قوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن) الذى خلقكم ورزقكم (فاتبعونى) على دينى (وأطيعوا أمرى) فى عبادة الله وحده (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فنعلم ما يأمرنا به (قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألا تتبعنى) أى ما منعك من اتباعى بالمجىء الى الطور (أفعصيت أمرى) فى اتباعى (قال يا بن أم) أصله يا ابن أم بالكسر فحذفت الياء وبقيت الكسرة تدل عليها وانما قال ابن أم ولم يقل ابن أبى لان أخوة الام أرق وأعطف (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى لا تفعل بى ما يفعل بالمذنبين من الاخذ بالرأس واللحية وكان هارون أكبر سنا من موسى وأشد منه فى الله تعالى ولكن موسى كان أحد منه (انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى ان تقول لى ذلك اذا رجعت اليهم (ولم ترقب قولى) أى لم تنتظر رجوعى اليك (قال فما خطبك يا سامرى) أى ما شأنك وما حملك على ما صنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى علمت ما لم يعلموا به وقيل رأيت ما لم يروا به (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام وكان جبريل راكبا على فرس الحياة يوم أغرق الله فرعون وقومه (فنبذتها) فطرحتها فى العجل (وكذلك سولت لى نفسى) أى زينت لى نفسى ما صنعت (قال فاذهب فان لك فى الحياة) أى فى حياتك (أن تقول لا مساس) أى لا يمس بعضنا بعضا ولا يقرب بعضنا بعضا وكان هذا عقوبة له فكان لا يمس أحدا ولا يقربه وكان يقول لا مساس فصار اسما له (وان لك موعدا) أى وقتا لعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) لن تغيبه عنه (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى مقيما على عبادته (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى لنذرينه فى البحر ففعل ذلك به (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو) أى ليس الهكم الا الله الذى لا اله الا هو (وسع كل شىء علما) أى أحاط علمه بكل شىء (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى كما قصصنا عليك خبر موسى وقومه كذلك نقص عليك أخبار الامم السالفة (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى شرفا وفخرا (من أعرض عنه) أى عن ذكرنا (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) أى فى الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس الحمل حملهم (يوم ينفخ فى الصور) أى يوم ينفخ اسرافيل فى الصور النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) أى الكافرين (يومئذ زرقا) أى عميا وقيل زرق العيون تغير سوادها لشدة الخوف (يتخافتون بينهم) أى يتسارون بينهم (ان لبثتم) فى القبور (الا عشرا) أى عشر ليال (نحن أعلم بما يقولون) أى بما يقول أمثلهم طريقة (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) ۞ قوله عز وجل (ويسألونك عن الجبال) أى عن حالها يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يقلعها من أصولها ويجعلها رملا ثم يرسلها سيلا على الارض (فيذرها قاعا صفصفا) أى يذر مقارها أرضا مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا ترى فى الارض انخفاضا ولا ارتفاعا (يومئذ يتبعون الداعى) أى يوم القيامة يتبعون صوت الداعى الى المحشر وهو اسرافيل يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والشعور المتمزقة هلموا للعرض على الله تعالى (لا عوج له) أى لا يعوج أحد عن دعائه بل يسرعون اليه (وخشعت الأصوات للرحمن) أى خضعت وذلت (فلا تسمع الا همسا) أى صوتا خفيا وقيل هو صوت وقع الاقدام (يومئذ لا تنفع الشفاعة) أى لا تنفع شفاعة الشافعين (الا من أذن له الرحمن) أى الا من أذن له فى الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قوله فى الشفيع (يعلم ما بين أيديهم) أى ما قدموا من أمر الآخرة (وما خلفهم) أى ما خلفوا من أمر الدنيا (ولا يحيطون به علما) أى لا يحيط علم الخلق بالله تعالى (وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت وخضعت (وقد خاب من حمل ظلما) أى من حمل شركا (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى لا يخاف أن يزاد فى سيئاته أو ينقص من حسناته (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) أى كما بينا فى هذه السورة أنزلنا القرآن بلغة العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كررنا فيه الوعيد (لعلهم يتقون) الشرك (أو يحدث لهم ذكرا) أى شرفا وفخرا (فتعالى الله الملك الحق) أى تعالى الله عن كل ما لا يليق به الملك الحق الذى لا يزول ملكه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى لا تقرأ القرآن على أصحابك من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك (وقل رب زدنى علما) أى فهما وقيل زدنى علما بالقرآن (ولقد عهدنا الى آدم من قبل) أى أمرناه ووصيناه من قبل أن نأمرك (فنسى) أى ترك ما أمر به (ولم نجد له عزما) أى صبرا على ما أمر به وقيل حزما وقيل عقلا (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) أى امتنع من السجود (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى فتتعب فى طلب المعيشة (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) أى ان لك فى الجنة ما تأكل وما تلبس (وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) أى لا تجد حر الشمس فى الجنة (فوسوس اليه الشيطان) أى ألقى اليه الوسوسة (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى على شجرة من أكل منها خلد فلا يموت (وملك لا يبلى) أى لا يفنى ولا يزول (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت لهما عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى جعلا يلزقان عليهما من ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) أى خاب وقيل ضل عن الرشد (ثم اجتباه ربه) أى اصطفاه ربه (فتاب عليه) أى قبل توبته (وهدى) أى ثبته على التوبة (قال اهبطا منها جميعا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة الى الارض جميعا (بعضكم لبعض عدو) أى بعض ذريتكم لبعض عدو (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان يأتكم منى كتاب وبيان (فمن اتبع هداى) أى كتابى وبيانى (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى عن كتابى وقيل عن تذكرى (فان له معيشة ضنكا) أى عيشا ضيقا وقيل شاقا (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) أى عالما بحجتى (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) أى كما تركت العمل بآياتنا تركناك فى العذاب (وكذلك اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب (وكذلك نجزى من أسرف) أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى أدوم (أفلم يهد لهم) أى أفلم يبين لهم (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون (يمشون فى مساكنهم) أى يمشى كفار مكة فى مساكن عاد وثمود (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا ما سبق من ربك (لكان لزاما) أى لكان العذاب لازما لهم (وأجل مسمى) أى ولولا أجل مسمى (فاصبر على ما يقولون) أى على ما يقول كفار مكة (وسبح بحمد ربك) أى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الصبح (وقبل غروبها) يعنى صلاة الظهر والعصر (ومن آناء الليل فسبح) أى صل من ساعات الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وأطراف النهار) أى صل فى أطراف النهار يعنى صلاة الظهر والعصر (لعلك ترضى) أى لكى ترضى بالثواب (ولا تمدن عينيك) أى لا تطمح ببصرك (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فيه (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما رزقك الله فى الآخرة خير وأبقى مما رزقهم فى الدنيا (وأمر أهلك بالصلاة) أى بالصلوات الخمس (واصطبر عليها) أى واصبر على الصلوات (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) أى نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أى الجنة لاهل التقوى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أى هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى الانبياء قبله (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) أى أولم تأتهم بينة ما فى التوراة والانجيل من الدلالة على صدق محمد (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى من قبل مجىء محمد (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) أى نهان ونعذب (قل كل متربص) أى كل منا ومنكم منتظر (فتربصوا) أى فانتظروا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) أى من أصحاب الدين القويم (ومن اهتدى) أى ومن اهتدى منا ومنكم

السرلـ (وآمن) وحد الله تعالى وصدقه فعمل أول (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) تم له علم وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم ودلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم بعدهم سبقا الى كلام ربه وامرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلك اسبقهم اكنت مأمورا بذلك أم عجلت شوقا الى الخير (قال هم اولاء على أثري) أي هم خلفي يطئون على أثري وليس بين وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتنا قومك) الهاء في فتنا (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (واضلهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واغوائهم له وهو منسوب الى قرية من قرى بيت المقدس كان علمائها السامرة وقيل كان علماء كرمان وقيل كان من القبط وكان سمار الموسى وآمن به وقيل كان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا) أي حزينا (قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا بانه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم اردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) اي اردتم ان تفعلوا فعلا يحب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فاخلفتم موعدي) يعني ما وعدتموني من الاقامة على دينه الى ان ارجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) اي بملك امرنا وقدرتنا

ما أخلفنا موعدك عن قدرة كنا نقدر على الوفاء به ولكنا عجزنا عن ذلك لما حملنا من أثقال زينة القوم (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي أثقالا وأحمالا من حلي القبط استعرناها منهم لما أردنا الخروج من مصر وكانت غنيمة لنا لأن الله تعالى أحلها لنا وطيبها لنا وكانت مهرا لنساء بني اسرائيل وقيل كانت ودائع لأن القبط كانوا قد استودعوا بني اسرائيل حليا وثيابا لما كان بينهم من الأخوة والجوار فلما أراد الله تعالى أن يخرجهم من مصر أمرهم أن يأخذوا ودائعهم من القبط ليكون ذلك سببا لخروجهم من مصر وقيل كانت غنيمة لأن الله تعالى أحل لهم الغنائم ولم يكن أحل لأحد قبلهم (فقذفناها) أي في النار (فكذلك ألقى السامري) أي مثل ما ألقينا ألقى السامري ما كان معه (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) أي صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) أي موسى ربه ههنا وذهب يطلبه عند الطور وقيل نسي أن يخبرنا أن إلهه هذا (أفلا يرون) أي أفلا يعلمون (ألا يرجع إليهم قولا) أي أن العجل لا يرجع إليهم قولا بنفي ولا إثبات (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي لا يقدر على دفع الضر عن عابديه ولا على جلب النفع لهم (ولقد قال لهم هارون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم إنما فتنتم به) أي ابتليتم بالعجل فعبدتموه (وإن ربكم الرحمن) الذي خلقكم وأنعم عليكم (فاتبعوني) على ديني (وأطيعوا أمري) فيما أمرتكم به من ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أي لن نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع إلينا موسى) فنعلم ما يأمرنا به بعد ذلك (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) أي ما منعك من اللحوق بي (ألا تتبعني) أي ألا تأتيني وتخبرني بما رأيت منهم (أفعصيت أمري) أي فيما أمرتك به من اللحوق بي (قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) قال ابن عباس لم يأخذ برأسه ولا بلحيته ولكنه أخذ بشعر رأسه الذي بين اذنيه وبشعر لحيته الذي بين عنفقته وشاربه وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وقيل بسنة وقيل بثلاث وسبعين سنة وقيل بأربع وسبعين سنة وقيل بخمس وسبعين سنة وقيل بتسع وسبعين سنة وقيل بمائة سنة وقيل بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وثلاثين سنة وقيل بمائة وأربعين سنة وقيل بمائة وخمسين سنة وقيل بمائة وستين سنة وقيل بمائة وسبعين سنة وقيل بمائة وثمانين سنة وقيل بمائة وتسعين سنة وقيل بمائتين سنة وقيل بمائتين وعشرين سنة وقيل بمائتين وثلاثين سنة وقيل بمائتين وأربعين سنة وقيل بمائتين وخمسين سنة وقيل بمائتين وستين سنة وقيل بمائتين وسبعين سنة وقيل بمائتين وثمانين سنة وقيل بمائتين وتسعين سنة وقيل بثلاثمائة سنة وقيل بثلاثمائة وعشرين سنة وقيل بثلاثمائة وثلاثين سنة وقيل بثلاثمائة وأربعين سنة وقيل بثلاثمائة وخمسين سنة وقيل بثلاثمائة وستين سنة وقيل بثلاثمائة وسبعين سنة وقيل بثلاثمائة وثمانين سنة وقيل بثلاثمائة وتسعين سنة وقيل بأربعمائة سنة وقيل بأربعمائة وعشرين سنة وقيل بأربعمائة وثلاثين سنة وقيل بأربعمائة وأربعين سنة وقيل بأربعمائة وخمسين سنة وقيل بأربعمائة وستين سنة وقيل بأربعمائة وسبعين سنة وقيل بأربعمائة وثمانين سنة وقيل بأربعمائة وتسعين سنة وقيل بخمسمائة سنة وقيل بخمسمائة وعشرين سنة وقيل بخمسمائة وثلاثين سنة وقيل بخمسمائة وأربعين سنة وقيل بخمسمائة وخمسين سنة وقيل بخمسمائة وستين سنة وقيل بخمسمائة وسبعين سنة وقيل بخمسمائة وثمانين سنة وقيل بخمسمائة وتسعين سنة وقيل بستمائة سنة وقيل بستمائة وعشرين سنة وقيل بستمائة وثلاثين سنة وقيل بستمائة وأربعين سنة وقيل بستمائة وخمسين سنة وقيل بستمائة وستين سنة وقيل بستمائة وسبعين سنة وقيل بستمائة وثمانين سنة وقيل بستمائة وتسعين سنة وقيل بسبعمائة سنة وقيل بسبعمائة وعشرين سنة وقيل بسبعمائة وثلاثين سنة وقيل بسبعمائة وأربعين سنة وقيل بسبعمائة وخمسين سنة وقيل بسبعمائة وستين سنة وقيل بسبعمائة وسبعين سنة وقيل بسبعمائة وثمانين سنة وقيل بسبعمائة وتسعين سنة وقيل بثمانمائة سنة وقيل بثمانمائة وعشرين سنة وقيل بثمانمائة وثلاثين سنة وقيل بثمانمائة وأربعين سنة وقيل بثمانمائة وخمسين سنة وقيل بثمانمائة وستين سنة وقيل بثمانمائة وسبعين سنة وقيل بثمانمائة وثمانين سنة وقيل بثمانمائة وتسعين سنة وقيل بتسعمائة سنة وقيل بتسعمائة وعشرين سنة وقيل بتسعمائة وثلاثين سنة وقيل بتسعمائة وأربعين سنة وقيل بتسعمائة وخمسين سنة وقيل بتسعمائة وستين سنة وقيل بتسعمائة وسبعين سنة وقيل بتسعمائة وثمانين سنة وقيل بتسعمائة وتسعين سنة وقيل بألف سنة وقيل بألف وعشرين سنة وقيل بألف وثلاثين سنة وقيل بألف وأربعين سنة وقيل بألف وخمسين سنة وقيل بألف وستين سنة وقيل بألف وسبعين سنة وقيل بألف وثمانين سنة وقيل بألف وتسعين سنة وقيل بألفين سنة وقيل بألفين وعشرين سنة وقيل بألفين وثلاثين سنة وقيل بألفين وأربعين سنة وقيل بألفين وخمسين سنة وقيل بألفين وستين سنة وقيل بألفين وسبعين سنة وقيل بألفين وثمانين سنة وقيل بألفين وتسعين سنة وقيل بثلاثة آلاف سنة وقيل بثلاثة آلاف وعشرين سنة وقيل بثلاثة آلاف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة آلاف وأربعين سنة وقيل بثلاثة آلاف وخمسين سنة وقيل بثلاثة آلاف وستين سنة وقيل بثلاثة آلاف وسبعين سنة وقيل بثلاثة آلاف وثمانين سنة وقيل بثلاثة آلاف وتسعين سنة وقيل بأربعة آلاف سنة وقيل بأربعة آلاف وعشرين سنة وقيل بأربعة آلاف وثلاثين سنة وقيل بأربعة آلاف وأربعين سنة وقيل بأربعة آلاف وخمسين سنة وقيل بأربعة آلاف وستين سنة وقيل بأربعة آلاف وسبعين سنة وقيل بأربعة آلاف وثمانين سنة وقيل بأربعة آلاف وتسعين سنة وقيل بخمسة آلاف سنة وقيل بخمسة آلاف وعشرين سنة وقيل بخمسة آلاف وثلاثين سنة وقيل بخمسة آلاف وأربعين سنة وقيل بخمسة آلاف وخمسين سنة وقيل بخمسة آلاف وستين سنة وقيل بخمسة آلاف وسبعين سنة وقيل بخمسة آلاف وثمانين سنة وقيل بخمسة آلاف وتسعين سنة وقيل بستة آلاف سنة وقيل بستة آلاف وعشرين سنة وقيل بستة آلاف وثلاثين سنة وقيل بستة آلاف وأربعين سنة وقيل بستة آلاف وخمسين سنة وقيل بستة آلاف وستين سنة وقيل بستة آلاف وسبعين سنة وقيل بستة آلاف وثمانين سنة وقيل بستة آلاف وتسعين سنة وقيل بسبعة آلاف سنة وقيل بسبعة آلاف وعشرين سنة وقيل بسبعة آلاف وثلاثين سنة وقيل بسبعة آلاف وأربعين سنة وقيل بسبعة آلاف وخمسين سنة وقيل بسبعة آلاف وستين سنة وقيل بسبعة آلاف وسبعين سنة وقيل بسبعة آلاف وثمانين سنة وقيل بسبعة آلاف وتسعين سنة وقيل بثمانية آلاف سنة وقيل بثمانية آلاف وعشرين سنة وقيل بثمانية آلاف وثلاثين سنة وقيل بثمانية آلاف وأربعين سنة وقيل بثمانية آلاف وخمسين سنة وقيل بثمانية آلاف وستين سنة وقيل بثمانية آلاف وسبعين سنة وقيل بثمانية آلاف وثمانين سنة وقيل بثمانية آلاف وتسعين سنة وقيل بتسعة آلاف سنة وقيل بتسعة آلاف وعشرين سنة وقيل بتسعة آلاف وثلاثين سنة وقيل بتسعة آلاف وأربعين سنة وقيل بتسعة آلاف وخمسين سنة وقيل بتسعة آلاف وستين سنة وقيل بتسعة آلاف وسبعين سنة وقيل بتسعة آلاف وثمانين سنة وقيل بتسعة آلاف وتسعين سنة وقيل بعشرة آلاف سنة وقيل بعشرة آلاف وعشرين سنة وقيل بعشرة آلاف وثلاثين سنة وقيل بعشرة آلاف وأربعين سنة وقيل بعشرة آلاف وخمسين سنة وقيل بعشرة آلاف وستين سنة وقيل بعشرة آلاف وسبعين سنة وقيل بعشرة آلاف وثمانين سنة وقيل بعشرة آلاف وتسعين سنة وقيل بأحد عشر ألف سنة وقيل بأحد عشر ألف وعشرين سنة وقيل بأحد عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بأحد عشر ألف وأربعين سنة وقيل بأحد عشر ألف وخمسين سنة وقيل بأحد عشر ألف وستين سنة وقيل بأحد عشر ألف وسبعين سنة وقيل بأحد عشر ألف وثمانين سنة وقيل بأحد عشر ألف وتسعين سنة وقيل باثني عشر ألف سنة وقيل باثني عشر ألف وعشرين سنة وقيل باثني عشر ألف وثلاثين سنة وقيل باثني عشر ألف وأربعين سنة وقيل باثني عشر ألف وخمسين سنة وقيل باثني عشر ألف وستين سنة وقيل باثني عشر ألف وسبعين سنة وقيل باثني عشر ألف وثمانين سنة وقيل باثني عشر ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وستين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بأربعة عشر ألف سنة وقيل بأربعة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وستين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بأربعة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بخمسة عشر ألف سنة وقيل بخمسة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وستين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بخمسة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بستة عشر ألف سنة وقيل بستة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بستة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بستة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بستة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بستة عشر ألف وستين سنة وقيل بستة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بستة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بستة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بسبعة عشر ألف سنة وقيل بسبعة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وستين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بسبعة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بثمانية عشر ألف سنة وقيل بثمانية عشر ألف وعشرين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وأربعين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وخمسين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وستين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وسبعين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وثمانين سنة وقيل بثمانية عشر ألف وتسعين سنة وقيل بتسعة عشر ألف سنة وقيل بتسعة عشر ألف وعشرين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وثلاثين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وأربعين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وخمسين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وستين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وسبعين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وثمانين سنة وقيل بتسعة عشر ألف وتسعين سنة وقيل بعشرين ألف سنة وقيل بعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بعشرين ألف وستين سنة وقيل بعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وستين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بواحد وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وستين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل باثنين وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بأربعة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بخمسة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بستة وعشرين ألف سنة وقيل بستة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بستة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بسبعة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وستين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بثمانية وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وعشرين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وثلاثين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وأربعين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وخمسين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وستين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وسبعين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وثمانين سنة وقيل بتسعة وعشرين ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثين ألف سنة وقيل بثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثين ألف وستين سنة وقيل بثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بواحد وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وستين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل باثنين وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بأربعة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بخمسة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بستة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بسبعة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بثمانية وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وعشرين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وثلاثين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وأربعين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وخمسين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وستين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وسبعين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وثمانين سنة وقيل بتسعة وثلاثين ألف وتسعين سنة وقيل بأربعين ألف سنة وقيل بأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بأربعين ألف وستين سنة وقيل بأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وستين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بواحد وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وستين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل باثنين وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بأربعة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بخمسة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بستة وأربعين ألف سنة وقيل بستة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بستة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بسبعة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وستين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بثمانية وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وعشرين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وثلاثين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وأربعين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وخمسين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وستين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وسبعين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وثمانين سنة وقيل بتسعة وأربعين ألف وتسعين سنة وقيل بخمسين ألف سنة وقيل بخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بخمسين ألف وستين سنة وقيل بخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وستين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بواحد وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وستين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل باثنين وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بثلاثة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بأربعة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بخمسة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بستة وخمسين ألف سنة وقيل بستة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بستة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بسبعة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وستين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بثمانية وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وعشرين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وثلاثين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وأربعين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وخمسين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وستين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وسبعين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وثمانين سنة وقيل بتسعة وخمسين ألف وتسعين سنة وقيل بستين ألف سنة وقيل بستين ألف وعشرين سنة وقيل بستين ألف وثلاثين سنة وقيل بستين ألف وأربعين سنة وقيل بستين ألف وخمسين سنة وقيل بستين ألف وستين سنة وقيل بستين ألف وسبعين سنة وقيل بستين ألف وثمانين سنة وقيل بستين ألف وتسعين سنة وقيل بواحد وستين ألف سنة وقيل بواحد وستين ألف وعشرين سنة وقيل بواحد وستين ألف وثلاثين سنة وقيل بواحد وستين ألف وأربعين سنة وقيل بواحد وستين ألف وخمسين سنة وقيل بواحد وستين ألف وستين سنة وقيل بواحد وستين ألف وسبعين سنة وقيل بواحد وستين ألف وثمانين سنة وقيل بواحد وستين ألف وتسعين سنة وقيل باثنين وستين ألف سنة وقيل باثنين وستين ألف وعشرين سنة وقيل باثنين وستين ألف وثلاثين سنة وقيل باثنين وستين ألف وأربعين سنة وقيل باثنين وستين ألف وخمسين

ما حملوا منها وذلك ان المراد وقع في القلب لم تملك نفسه (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أثقالا من حلى القبط أو أرادوا بالاوزار الآثام وسماها لانهم هدايا استعاروها للخروج من مصر بعلة أن لهم اعيادا فيما قال السامري اغتاظ موسى لشؤم رجوعهم الا انهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن العسكر لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها خوفا في سقره النار فالتحق ما ضاع تحللا محرما (٢٤٥) فصار دخول الربح في عاريته أسوأ حالا

من دخوله في بيع فاسد ثم رأيت في تفسير ابن عباس ما يوافق ما ذكرته (فقذفناها) أي ألقيناها في النار (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقد سأل ابن هرون من علي السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما يصنع ولا تسألني فقذف في فم العجل وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كذلك بدعوة هرون ذلك قوله تعالى (فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اتخذوا هل كان الجسد حيا أم لا حتى قوله أحدهما لا لانه لا يخور الا طاهر جرى العادة على يد صاحبه والسامري صوره على شكل العجل وجعل فيه ماء فدوخار بين يحسب اذا دخل فيها الريح يصوت كصوت العجل الا ترى انه صار له خوار كالخوار العجل (فقالوا هذا الهكم وإله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وضل عن علمه واعتقاده واحبوه حتى لم يحولوا وجوههم عنه (فنسي) على هو اخبار عن قول السامري أي ان موسى نسي الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وضل معناه ان موسى انما طلب هذا وتركه عندنا وجاء في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وضل هو بمعنى كلام الله تعالى وكلامه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء منهم سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أي ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا نفع من عبده وكان العجل قد سمع من الله تعالى الذي به بني اسرائيل ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم انما فتنتم به) أي انما ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعوني) على دين الله في عبادته (واطيعوا أمري) اي في ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لانه رجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة الرحمن بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمري فهذا هو الترتيب الحسن دلالة لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهي ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم السلوك بالشرائع وانما قال وان ربكم الرحمن خص هذا الموضع هذا الاسم لانه يفهم على انهم متى ما تولوا فعل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فعابوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) اي لن نزال (عليه) أي على عبادته (عاكفين) اي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كانهم قالوا لن نعمل بقولك الا ان يرجع موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة فقال ليوشع كان في العسكر دواب فقال ليس معنا هذا صوت دواب انما هو صوت لعب فلما رأى هرون احد عشر

ان العجل لا يكون الها بدليل قوله (افلا يرون ان لا يرجع) اي انه لا يرجع فان تحقق منه له (اليهم قولا) اي لا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) اي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع وكيف يعبدونه الها وهذا امر لا يطاق (ولقد قال لهم) اي قبل ان يرجع موسى (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما فتنتم به) اي ابتليتم بالعجل دلالة قوله (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) كونوا على دين الذي هو الحق (واطيعوا امري) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) وانظر هل يعذر بهذا ويدخل عندي السامري أم لا فلما رجع موسى

أي مادعاك الى ان لا تسعى أو جود التعلق بن الصارف عن فعل الشيء بين الداعي الى تركه وفعل لامريد والمعنى اي شيء منعك أن تتبعني
حين رأيتهم ضلوا وأمرتك بالحق في تقصيري أو ما منعك ان تتبعني في المعصية وهذا قاله من كفر عن آخر وما للعلم تباشر الامر كما كنت أباشره
انا لو كنت شاهدا (أفعصيت أمري) أي الذي أمرتك به من القيام عصاهم ثم أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله عصبا وانكر اعليه
لان التعسير في الله ملكسه (قال ياابن أم) وتحنن المسلم سامحي وكوني عسيرا عصى ركاك لاء وأمه هذا الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا
وتذكيرا (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) بم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) اي قائل بعضهم بعض (فرقت بين بني اسرائيل) أو خفت
أن تقول ان فارقتهم واتبعتني فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولي) احلمي في

قومي واسلح وهذا دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامري منكرا عليه بقوله (فما خطبك) ما أمرك الذي تخاطب عليه (ياسامري
قال بصرت بما لم يبصروا به) وبالياء مكسورة وعلى قال الرماح بصر علم وابصر بغير أي علمت مالم تعلموه يعني جبريل (فقبضت
قبضة من أثر الرسول) أي من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) اي فقذفتها في فم العجل فخار فانقلب كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر الناس فلم يذكر واحد منهم أحدهما انه ولد في
السنة التي كان يقتل فيها المولود فوضعه في كهف حذرا على ما فعل فعلم الله الملك جبريل ليربه ما قضى
الله على يديه من الهلاك الوحداني انه لما رأى جبريل الى موسى لبذهب به الى الطور رآه السامري من بين
سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأنا قصة من أصل ربه ا ومولده فلما سأله موسى قال وقعت
قبضة من أثر الرسول البارحة يوم جاء الميعاد ورأيته يوم في البحر فأخذت القبضة وجعلتها في فمي عامدا لما أمر بذلك
ان يظهر بها الله على يدي رهو قوله (وكذلك سولت) أي زينت (لي نفسي) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الامساس لك ولولده فصار السامري وولده في البرية مع
الوحش السباع لا يمس أحدا ولا يمسه أحد وهل كان أحد يمس أحدا أو يمسه أحد حتى عاقبهم الناس
وتحاموه وكان نصح لا مساس حتى ان بعضهم اذا لامس بعضا يحمى (وان لك) اي يا سامري (موعدا) اي
يعذبك الله في الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن يعجزك الله ولن تذهب لك عنه ولن تواريه يوم
القيامة وقرئ بالفتح اي لن يكذبه ولم تخلفكه انت بل يكلفك على رغمك (وانظر الى الهك) اي الذي زعم
(الذي ظلت عليه عاكفا) أي دمت عليه مقيما على عبادته (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) اي لنذرينه (في اليم)
أي في البحر (نسفا) روي ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وسقى منه ما

فحوف العجل (وكذلك سولت) زينت (لي نفسي) ان افعل فعلا ما عاقبني الهوى وهواء راف ما لخطاوا دار (قال) له موسى لتحرقنه
(فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك في الحياة) ما عشت (ان تقول) ان أردت بحالك ما هذا حالك (لا مساس) أي لا تمسني احدا ولا أمسه
ع من مخالطة الناس ما كلاوحرم عليهم مكالمته ومواناتهم وكان يهيم مع الوحش والمسوس وكان بهم في البرية
فعوقب بمثل ما عاقب به نفسه وروي ان ذلك دعاء عليه وقيل اراد به نهي الناس عن مكالمته بهذا اللفظ (وان لك موعدا لن
تخلفه) اي لن تخلف الله موعدا لعذابك في الآخرة وقيل في الدنيا وقيل في الآخرة بعد ما عاقبك الله في الدنيا بالحياة (وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) وأصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) لنذرينه (في اليم نسفا) لنذرينه في البحر فرد في البحر فصار بعضهم من ماشيته فظهر على عاتقهم صفر الذهب

(إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) تمييز أي وسع علمه كل شيء وجعل المكلفين (كذلك) نقص (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الأمم الماضية تكثيرا للمعجزات زيادة في تحريك الهمم (وقد آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم منه الخلق ما يحتاجون إليه وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقة فهو بالذكر والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) يعاقبه الله بحملها وزرا ثقيلا تثقلها على المعاصي وسمي به لأنه يحمل الذي يثقل الذي يعصي ظهره ويلي عليه مهره أولا ما جزاء الوزر وهو الإثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل والجمع على المعنى ووحد في قوله حملا على لفظ من (د ه) في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء هنا بمعنى بئس ومخصوصها محذوف والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة بمعنى أو يجوز (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أي ينفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أي عميا (٢٤٧) كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا الأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتسارون (بينهم) أي يقول بعضهم لبعض (إن لبثتم) ما لبثتم في القبور (إلا عشرا) أي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام اللهو والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور تقصر أو لأنها ذهبت عنهم والأهوال طالت فيه فصار بالانهماك في أولاها يظن بقية عمره الآخرة لأنها أشد عليهم أو لأنهم استصغروا لبثهم في جنب الخلود أو لأنهم لما عاينوا أهوال القيامة ظنوا أنهم ما لبثوا في القبور إلا قدر ما بين الإماتة والإحياء (نحن أعلم بما يقولون) من قولهم لبثنا عشرا (إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا وأقربهم إلى الصواب (إن لبثتم إلا يوما) وهو استقصارهم مدة لبثهم في القبور بالإضافة إلى ما رأوا من الأهوال (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس رضي الله عنهما سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منبثا (فيذرها) أي يدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفصفا) أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى الموقف يوم القيامة وهو إسرافيل ودليله أنه نصح الصور في نفخة البعث على صخرة بيت المقدس وقيل أنها

لحرمه أي لم يرد به على هذا الأول لم يعلم أنه مار دما فإن ذلك لا يمكن أن يرد ما لم يرد ويمكن أن يقال صار الماء دما قبل أن يرد عظامه ثم يرد حتى صار يحتمل أن يمكن نسفها في البحر فلما فرغ وعي من أمر الجبل وأبطل ما ذهب إليه السامري يرجع إلى بيان الذي هو حال محاط المبدأ فقال (إنما إلهكم الله) أي المستحق للعبادة والمعظم هو الله (الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من عباده

قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الأمم الخالية وقيل ما مضى من الأمور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جزاء ثقيلا لأن الإثم (خالدين فيه) أي معذبين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أي بئس ما حملوا أنفسهم من الإثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه كما يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية بدليل قوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي نحشر المجرمين يوم ينفخ في الصور زرقا يعني سود الوجوه وقيل عطاشا (يتخافتون) أي يتسارون (بينهم) ويتكاذبون فيه (إن لبثتم) أي ما مكثتم في الدنيا (إلا عشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك أن العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدته لما هم فيه لهول ما عاينوا وقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي نسارون فيما بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أي أعدلهم قولا وأعدلهم (إن لبثتم إلا يوما) يعني رد الله في أعينهم في حسبانهم أعمالهم في أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدارا لبثهم لشدة ما هم فيه

قوله عز وجل (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس رضي الله عنهما سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منبثا (فيذرها) أي يدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفصفا) أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى الموقف يوم القيامة وهو إسرافيل ودليله أنه ينفخ الصور في نفخة البعث على صخرة بيت المقدس وقيل أنها

الآخر ويدرج الله قول من يكون أسند بعالمه بقوله (نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (إن لبثتم إلا يوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (ويسألونك عن الجبال) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما مصير الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى (فقل ينسفها ربي نسفا) أي يقلعها كالرمل يرسل عليها الرياح فتصير هباء كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرها) فيذر عارها أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (قاعا صفصفا) مستويا ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وإن كان في المعاني كالأود المفتوح في الأعيان والأرض عين لكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها عوج جاز أن يوجد فيها واو عطف حرف على حرف (يومئذ) إضافة اليوم إلى ما بعده أي يوم إذ يكون ما ذكر (يتبعون الداعي) إلى المحشر أي صوت الداعي وهو إسرافيل قائم على صخرة بيت المقدس يدعو بالحشر فيقول أيتها العظام البالية

العظام الخ والخلود المعروف واللزوم المعروف هملوا الى عرض الرحمن (لا عوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه (خشعت الاصوات) أى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وعلى خضعت الاصوات من سنة الفرع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد انها همس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الا من أذن له الرحمن) أى الا من أذن له ان تشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وهذا دليل على انه لا تشفع غير المؤمن وقيل ان درجة السافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الا لمن أذن الله له فيها وكانه تعالى مرصدا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ان تشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أى أيدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) وقيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون علما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اى ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم وتصير الملك والعز لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وارادة الكل لان عنت من صفات الكل ثم لما كان لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع فيها يتبين وفيها يظهر ۞ وقوله تعالى (للحى القيوم) يعدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بما لم يعمله ولا يعطل عن حسنة عملها ۞ وقوله تعالى (وكذلك انزلناه) اى كما بينا فى هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) أى لسان العرب لتفهموه وتعملوا على اعتبار وتحسن نظمه وحوى وجوه من كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) اى كررنا وصفا فيه ذكر الوعيد وقيل الوعيد يدخل تحت الوعد لان الفرائض والمحارم لان الوعيد هو ما ذكر فيه وعيد على ترك ما ذكر فيه وعد على سبيل الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى تحذرون المحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أى انما انزلنا القرآن لتصرفوا فيه من الوعيد ما لا بد منه ويحدث لهم القرآن ذكرا برغبهم فى الطاعات وقيل ما سبق وقيل ما يحدث لهم القرآن عند وعظه ونهيه وزجره ويعطون بذكر عظمة الله الاسم السالم ۞ قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أى جل الله وعظم عن الخلف المخلوقين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل معناه تعالى ما لزم خلقه من تعظيمه وعبوديته وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس كملك من قبل انه يتغير ويزول ولا غير أولى منه (ولا تعجل بالقرآن) ارادة النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن اراد ان يتلوه قبل ان يفرغ جبريل مما ينزله فنهى ان يعجل بما ينزله الا لوه بما الاعلام أو النسيان فيها الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ولا تعجل بالقرآن اى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) أى من قبل ان يفرغ

العظام الخ والخلود المعروف واللزوم المعروف هملوا الى عرض الرحمن (لا عوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه (خشعت الاصوات للرحمن) أى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وعلى خضعت الاصوات من سنة الفرع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد انها همس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الا من أذن له الرحمن) أى الا من أذن له ان تشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وهذا دليل على انه لا تشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الا لمن أذن الله له فيها وكانه تعالى مرصدا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى أى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ان تشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أى أيدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) وقيل الكناية ترجع الى ما أى هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون علما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اى ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم وتصير الملك والعز لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وارادة الكل لان عنت من صفات الكل ثم لما كان لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع فيها يتبين وفيها يظهر ۞ وقوله تعالى (للحى القيوم) يعدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بما لم يعمله ولا يعطل عن حسنة عملها ۞ وقوله تعالى (وكذلك انزلناه) اى كما بينا فى هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) أى لسان العرب لتفهموه وتعملوا على اعتبار وتحسن نظمه وحوى وجوه من كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) اى كررنا وصفا فيه ذكر الوعيد وقيل الوعيد يدخل تحت الوعد لان الفرائض والمحارم لان الوعيد هو ما ذكر فيه وعيد على ترك ما ذكر فيه وعد على سبيل الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى تحذرون المحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أى انما انزلنا القرآن لتصرفوا فيه من الوعيد ما لا بد منه ويحدث لهم القرآن ذكرا برغبهم فى الطاعات وقيل ما سبق وقيل ما يحدث لهم القرآن عند وعظه ونهيه وزجره ويعطون بذكر عظمة الله الاسم السالم ۞ قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أى جل الله وعظم عن الخلف المخلوقين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل معناه تعالى ما لزم خلقه من تعظيمه وعبوديته وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس كملك من قبل انه يتغير ويزول ولا غير أولى منه (ولا تعجل بالقرآن) ارادة النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن اراد ان يتلوه قبل ان يفرغ جبريل مما ينزله فنهى ان يعجل بما ينزله الا لوه بما الاعلام أو النسيان فيها الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ولا تعجل بالقرآن اى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) أى من قبل ان يفرغ جبريل

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما قدموه من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) أى بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أو يرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت الوجوه) خضعت وذلت وهو مثل للاسرى (للوجوه) أى أعظمها (للحى) الذى لا يموت وكل حى سيموت فهى الموت فهى كالميت (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يئس من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ولا ظلم اعظم من حمل الخلق على عبادة غير الخالق (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهو مؤمن) مقر بما جاء به محمد عليه السلام وهذا يدل على انه لا يسمى اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلا يخاف) ان ظهر لا يخاف على الهيئة مكى (ظلما) أن يزاد فى سيآته (ولا هضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم الكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى مثل ذلك الانزال (انزلناه قرآنا عربيا) لسان العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) [illegible] (أو يحدث لهم ذكرا) الوعد والقرآن (ذكرا) عطف او مرفوعا تأويلهم مثل أو تعمل (فتعالى الله) ارتفع [illegible] عما يصفها الامم [illegible] (الملك) الذى صح انه الملوك (الحق) [illegible] (ولا تعجل بالقرآن) اراد [illegible] (من قبل ان يقضى اليك وحيه) [illegible]

حبريل من الاملاع وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تعلمهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شئ علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شئ الا في العلم وكان ابن مسعود اذا مر بهذه الآية يقول اللهم ردني علما وايمانا ويقينا ﴿ قوله عز وجل (ولقد عهدنا الى آدم) يعني أمرناه وأوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين عصوا عهدي وبركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يعقلون (فنسي) أي ترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل هذا الشجر وأكل منها وقيل أراد انه نسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معروفا وانما سمي ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على القيام على الامر به فيكون الى المدح اقرب ﴿ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى) ان يسجد (قلنا يا آدم ان هذا) أي ابليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج الى الزوج وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وعمل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب وتكون عيشتك من كد يمينك تعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصاد والطحن والخبز لانها نزل آدم لم يرأ خبزا فكان يحترف عليه وعيش الانسان في جنته فكان ذلك سعادة له فان قلت لم أسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه المنعم عليهم الساعي أبدا في السعادة المنعي في طلب العيوب ودلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على رؤوسهن (ان لك ألا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها) اي تعطش (ولا تضحى) اي تبرز للشمس فتؤذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان التمتع والري والكسوة والاكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة ليدل به على انه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) اي ألقى اليه الوسوسة كما ذكرنا في قوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اي على الشجرة التي ان أكلت منها صرت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا تبلى ولا تفنى وهو دوام الراحة فكان الذي وعد به آدم وعدا لم يسبق له لان الله تعالى وعد ذلك على الاحتراز عن ذلك الشجر وابليس وعده على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو المعبود به ومولاه وناصره وابليس هو عدو اعترض على قول الله تعالى ولم يرد الخالق الموصوف بالعلم هذا الا من عرف انه لا داعي لعصيانه ولا مانع له منه ﴿ وقوله تعالى (فاكلا منها) يعني اكل آدم وحواء من الشجرة (وبدت لهما سوآتهما) أي عريانهما التي كانت عليهما حتى بدت عورتاهما وظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اي

وروي انه أهبط الى آدم نور فاستحى منه فجعل الورق يتساقط عليه فجعل يخصف من جسده (ان لك الا تجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) من الملابس التي معه عند اهباطه (وانك) بالكسر على الاستئناف وقرأ نافع بالفتح عطفا على ان الاولى وعمرهما بالفتح عطفا على ان لا تجوع ومحله نصب بان وصار الفعل كما قيل ان في علي الملابس (لا تظمأ فيها) لا تعطش لوجود الاسر فيها (ولا تضحى) لانه ليس في الجنة شمس فأهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) اي ألقى اليه الوسوسة كما ذكرنا (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجر الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد ولم يمت (وملك لا يبلى) لا تبقى (فاكلا) اي آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) عوراتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا اذا فعل فعلا وهو كناية عن وقوع الخبر (وعصى آدم ربه فغوى) الغي ضد الرشد وقيل خاب من الخير (ثم اجتباه ربه) أي قربه وقيل اختاره (فتاب عليه وهدى) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان اكرم من حشر الى الموقف فلما رأى ما نزل بآدم من الخير والكرامة من الله تعالى حسده فلما رأى ما نزل بآدم من الشقاء والتعب فرح به وقال الحسن الملائكة لما اطلعت على الخطيئة من الارواح ولا تساكن والليس من نار السموم وانما هو اسم اوقع عليهم لانه كان معهم وبعد الله معهم (الى) جملة مسألته كانه حوالهم قال لم لم تسجد والوجه ان لا يقدر له معمول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه اطهر الاباء ويوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حسد لم يسجد لك ولم يرض (فلا يخرجنكما من الجنة) فلا تكونا سببا لاخراجكما (فتشقى) فتتعب في طلب العيوب ولم يقل فتشقيا اكراما لرؤس الآي او لان طلب العيوب والرحل هو الكامل الذي يقع المراد

بالرقان بسوآتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أى بأكل الشجرة (فغوى) أى فعل مالم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الخلق وصل حيث طاب الخلد بأكل مانهى عنه فحاد ولم يبلغ مراده وصار من الغى الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يعصى ثم يتوب يقال عاص ثم تاب ولا يقال هو عاص حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت ممن اصطفاه الله بكلامه وخط التوراة بيده أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقنى بأربعين عاما فحج آدم موسى وفى رواية أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وعصى آدم ربه فغوى) أصل العصيان فى الرأى وفى الامساك والحاصل أن العصيان والمخالفة يقابلان الامر والنهى وقد تكون عمدا فتكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فلا يكون ذنبا ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان ضلالا الى خلاف الرشد وفى التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم ربه ونحوه ما فيه وعيد كاد يكفر به الكافر كأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعى على النبى المعصوم حتى سألته ولم تعذره العلة فلا تنهاونوا عما فرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر

فحج آدم موسى

(الكلام على معنى الحديث وشرحه)

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أى جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابى وقد حسب كثير من الناس ان معنى القدر والمعاصى من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر له على ما يأتيه ويذره وهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه ليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله عز وجل بأن يكون من أفعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقديره وخلقه لها جريها على مراده واجراء لها على ما سبق به علمه وليس معناه الخلق والاجبار كذلك قد نفى عنهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكسابهم وما هم صائرون اليه من الامور وملابسهم اياها عن قصد منهم وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالخلق انما يلزمهم بها واللائمة لاحقة بهم عليها وساغ العذل فى هذا لهم لما أمرهم الله به ونهاهم عنه وأعلمهم أن أحدهما طاعة له والآخر معصية والاساس والآخر ممنوعا له الا بعد رام الفصل بينهما فقدم آدم الاكل وعصى وانما وضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه سيتناول الشجرة بعد أكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله وقو

أقل سلام عدول الامه وذلك غير خارج عن معنى النبوة والرسالة هو أن نشهد على الله أنه سيرفع هذا الحكم وأضافه يوم القيامة شاهدا على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وسماه الله ذنبا فهو ذلك محال الرابع ثبت بحديث العسيف أنه لا شيء أصح مما رفع الله وحسمه وأتقنه معنى وحبه وسعه حليفة في عباده ولا نه سمع ربه يناديه لا تفعل كذا وعزم عليه ويفعله برحمة العزيمة واجمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ولم يعلموهم انهم سيخالفون قوله ثم يأمرون الناس بالعود لتسوية أنفسهم وأيضا لو كان الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات وأعظمه العصوم عند أول الكل ودليل على فعل ما ينبغي فعله ويرك ما ينبغي تركه فعلم أن الانبياء كانوا قاعلين لكل خير وتاركين لكل شر وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وعد دالمن الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر عبد الله من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان قبل النبوة وذلك مما لا يقدرون عليه بعد هذه الآية فما كان جوابا فهو جوابنا في هذه الواقعة كان قبل النبوة وان الله تعالى قال لنوح انه ليس من أهلك وقد أخبر الله تعالى بعذر نوح في قوله وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين وقال لابراهيم لا ينال عهدي الظالمين وقال لموسى انك لن تراني وقال لداود وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقال لمحمد عليه السلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال لنبيه ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى وقال عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى وقال ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض وقال عفا الله عنك لم أذنت لهم وقال لنبيه واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان عند الله فوزا عظيما وقال ان فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وقال ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقال عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وقال ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وقال ما كان لنبي أن يقتل حتى يثخن في الارض وقال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال ما كان لنبي أن يستغفر للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا

(ومن أعرض عن ذكري) من القرآن (فإن له معيشة ضنكا) عيشا ذا ضيق وشدة على الكافر في قبره أو النار أو الزقوم أو الضريع أو شجرة الزقوم أو شجرة من نار أو الغسلين أو الحميم أو عذاب القبر أو جهنم أقوال مأثورة عن الصحابة والتابعين (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار كما تركت آياتنا ولم تؤمن بها (وكذلك نجزي من أسرف) أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد المعرض عن ذكره بالمعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي العسر على العمى الذي لا زوال أبدا أشد من عمى العين المعهود (أفلم يهد لهم) أي الله بدليل قراءة نون العظمة (كم أهلكنا قبلهم) بالدمار (من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور في لهم (في مساكنهم) يرتدون قرى تساكنون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) لذوي العقول إذا تفكروا واعلموا أن أسباب هلاكهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) الله أيضا وهو معطوف على

ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله تعالى يقول في آخر هذا الفصل ما اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكا) روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث ومثل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس السعادة مقال كل ما أعطى الله عز وجل أم كره فلم يذكره فهو مما لا خير فيه وهو الضلال في المعيشة وإن وسع فيها وأعرضت عنهم الدنيا فلم يكثر من منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون أن الله لم يوسع عليهم فأحسن الظن بهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل نسلط الضاغطة حتى لا تشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتتك آياتنا فنسيتها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقيل تنسى من الخير والرحمة ولم تنس من العذاب (وكذلك نجزي من أسرف) أي كما نجزي ابن آدم كذلك نجزي من أسرف أي أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) أي عذابها دائم الله في الدارين (وأبقى) أي وأدوم ﴿قوله تعالى (أفلم يهد لهم) أي أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم إذا سافروا وذلك أن قريشا كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقرى قوم لوط (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) أي لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) بعذابهم ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو الساعة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) يعني يا محمد آنه السحر (وسبح بحمد ربك) أي صل أمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) أي صلاة العصر (ومن آناء الليل) أي ومن ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر سميت وقت الظهر أطراف النهار لأنه بعد الزوال وهو طرف النصف الأول منها وطرف النصف الآخر منها (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أي يعطى ثوابه وقيل يرضيك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله

لكان (لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) الله أيضا وهو معطوف على

كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) يا محمد (وسبح) وصل (بحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لأنهما وقعتا في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وبعض آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار سميت صلاتها صلاة الليل وقد أول التسبيح في آناء الليل صلاة العشاء وأطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما مر في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما جمع بأطراف النهار وهما طرفان لأن أقل الجمع اثنان وهو معطوف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن

قال الله تعالى ما نهاه ترسى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أى يرضيك (ولا تمدن عينيك) أى تطرحهما تطويلا وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه وانخداعا به وحاصله أن النظر هو المد وهو عدم رد الشئ بسرعة ما ينظر اليه بعض النظر ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن أشياء الظلمة وعدد الصحابة فى ملازمتهم وسراكهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقد فعلم الطمعة ولكن انظروا كيف تلوح دل المعاصى من تلك الرفاف وهذا لأنهم انما قصدوا هذه الأشياء لعيون الناظرة فالناظر انما حصل لغرضهم ومعرفتهم على اتحادها (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة وجوز ان يتعلق بالامر هذا النهى والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وبأسلافهم (زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها (٢٥٣) وانتصب على الذم أو على ابدال من محل

به أو على ابدال من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى تسوجوا العذاب لوجود الكفر ان منهم أو لنعذبهم فى الآخرة فنسبه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافى (خير وأبقى) مما زووا (وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطبر) أنت وهم (عليها لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وايانهم فلا تهتم لأمر الرزق وتفرغ لأمر الآخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير رأيته كان اذا رأى ما يعجبه من السلاطين قرأ ولا تمدن الآية ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا صلوا انما أمر الله بهذا أهله وعن

لا تصاموا بضم الميم من الصمم وهو الطم والمعنى اسكروا به جعلا الطم بعضكم بعضا فى رؤسهم وروى بشد الميم من الاصمام والارصام اى لا يرد سلم ولا يصم بعضكم الى بعض فى رؤسهم والكاف فى قوله كما يروى هذا العمر كناية النشبيه والمروية لا للعمر حقيقة وهى صلة الرائى ومعناه يروى ربكم روية سراح معها الشك كروية كم هذا العمر لله المدرك لا يراوغ فيه ولا يسكون ﴿ قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا على اليهودى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول بنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأبى فقال له ذلك فقال والله انى لأمين فى السماء وأمين فى الارض اذهب بدرعى الحديد الى بيته فلما سمع هذه الآية ولا تمدن عينيك أى لا تنظر نظرا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه وانخداعا به وحاصله (الى ما متعنا به) أى أعطينا (أزواجا) أى أصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) أى بهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنعذبهم بذلك فتنة لهم فان من يرى نعمة من يعذبها كفرانا وطغيانا (ورزق ربك) اى فى المعاد فى الجنة (خير وأبقى) أى لآدوم وقال ابن عباس من كتب منكم لم يعبر الله بطعم نعمة حسرات ومن استبع بصره ما فى أيدى الناس نقل حزنه ومن طال أن نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه ومنكحه دخل عمله وحضر عذابه ﴿ قوله تعالى (وأمر أهلك) اى قومك وقيل من كان على دينك (بالصلوة) أى المحافظة عليها (واصطبر عليها) أى اصبر على الصلاة ولا تشتغل عنها بالمكاسب والمكاره وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ لسان الفعل أبلغ منه لسان القول (لا نسألك رزقا) اى لا نكلفك أن ترزق احدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أى بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) اى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا الله ورسوله وآمنوا به وفى بعض المسانيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أى بالآية المقترحة فانه كان وفد أتاهم آيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى) أى ان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما فى الصحف ما فى التوراة والانجيل وعبر عنهما بالصحف اذ الاغلب انهم انما رأوا الآيات فى أنهم لم يؤمنوا بها فجاءهم العذاب والهلاك عقوبة لهم ان لم تكن الآية كما جاء أولئك وقيل معنى ما فى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى قوله وعد الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى من قبل ارسال الرسول وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أى لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم

مالك بن دينار له وفى بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضاف (وقالوا) أى الكافرون (لولا يأتينا بآية من ربه) هلا يأتينا بمحمد آية تدل على نبوته (أولم تأتهم) أولم يأتهم مدنى وحفص وبصرى (بينة ما فى الصحف الاولى) اى الكتب المنزلة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم فى المعجزات آية على الدعوى فجعل لهم أولم تأتكم آية هى أم الآيات وأعظمها فى باب الاخبار يعنى القرآن فيها ما فى سائر الكتب المنزلة وذلك لان معجزة كل نبى لما كانت مقصورة على زمانه ومكانه لم تبق بعد انقراضهما حجة الا على من شاهدها أو سمع بها فجعل الله معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم بحيث تبقى على مر الدهور ليراها كل من يجئ بعد من يشاهدها ويسمع بها ليكون كل واحد منهم مشاهدا لها (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بدخول النار (ونخزى) فى العقبى (قل كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة وسائل السبيل أمرنا وأمركم

(٢٥٤)

للعاصي العالمين (ما يأتيهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل إتيانه مسندا بتلاوته درسا بعد درس بعهده باستماعهم والمراد به الحروف المعلومة ولا خلاف في حدوثها (إلا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره حين يتلوه (وهم يلعبون) يستهزئون به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو منهم يلعبون ولاهية حال من الضمير في استمعوه ومن فاعل لاهية بالرفع تكون حالا بعد حال من ضمير يلعبون وهم واو يعقب (قلوبهم) لاهية وهي من لها عنه إذا ذهل وعمل والمعنى قلوبهم عاملة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق الغافل اللاهي المتعرل يرى الدنيا ولا يراها والدنيا ورسومها الزائلة تمر به ولا يعتبر بها (وأسروا) وبالواو في أحد وجهيه (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم بدل (الذين ظلموا) من واو أسروا والمعنى أن ما يأتيهم الموسوم بالظلم مما

بقوله

الدهر فإذا ما ناب تعلقوا به قال الله تعالى (فلما رأوا) أي فلما طرأ (بأسنا) أي إذا جاءهم أمر الله وعاينوه العامة (من أصحاب القرية) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسراره كذا

(تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية والف وثمانمائة وسبعون كلما وأربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) أي دنا وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة مرتب في مكرر البعث وإعادة ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فكونوا أقرب إلى الأهبة له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم فعلى هذا المشركون هذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أي عن الأهبة له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء منهم إذا بنوا أمره على العقل بما دلي عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما تحدث الله من تنزيل سيء من القرآن بعد ذكرهم وتعظيمهم به وقيل معناه أن الله تعالى أحدث الأمر بعد الأمر بنزول الآية بعد الآية والسورة بعد السورة وفي الجملة له أن الأحكام تتغير بها من الأمر والنواهي وفصل الذكر المحدث مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر المواعظ سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (إلا استمعوه وهم يلعبون) أي لاهون لا يتدبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم) أي ساهية معرضة عاقلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في إخفاء ما جرى وهم الذين أشركوا من قومه الذي تأخر ذكره قال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا إلا بشر مثلكم) أي إنهم أنكروا إرسال البشر وظنوا أن الرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى القبول من جنسه أقرب (أفتأتون السحر) أي المحصور في السحرة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والأرض) أي لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراه) أي اختلقه (بل هو شاعر) ودل بأن المشركين سموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وما

تقوله

أسروا به أو حاء على تعمية من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدل من النجوى إن أريد بالذين ظلموا معينون أو على ذم المعينين إن أريد الجنس وتحوران على قالوا مضمرا والمعنى أنهم أعدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن كل من يدعي الرسالة من البشر يدعوه إلى سحر يحببه سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتصدقون السحر وأنتم تبصرون وبعد أن نبه (ربي) حكاية ما خاطبهم به على جهة التلقين أي قل ربي (يعلم القول في السماء والأرض) أي يعلم ما يقال في السماء والأرض (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام)

بقوله تعالى بل هم قوم شاعر وهكذا الباطل يخبط ويخلط ويناقض فتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر وليس الأمر كما يقولون (فليأتنا بآية) معجزة (كما أرسل الأولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وجملة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لك ارسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد بن عبد الله بالحجة وفرد الله عليهم وقولهم هو (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية بعد صفة يعني الآيات المقترحة لا نهم طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لأنهم أقسى هؤلاء المقترحون لو أعطيناهم ما اقترحوا أفهم أعني منهم والمعنى أن أهل القرى أقسموا على أنفسهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فلما جاءتهم نكثوا وجحدوا فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (نوحي إليهم) نوحي خصصنا (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالكتب فإنهم يعترفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة معترفون على قولهم (إن كنتم لا تعلمون) ذلك ثم بين أنه كان تقدم من الأنبياء قوله (وما جعلناهم جسدا) وجعلناهم جسدا (٢٥٥) لا إرادة الجنس (لا يأكلون الطعام)

بقوله تعالى بل تعصفهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو مفتر به وقال بعضهم هو ساحر وما أتاه كمه بسحر (فليأتنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أي بحجة على أن كل ما جاء به (كما أرسل الأولون) أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية (أهلكناها) أي بالتكذيب (أفهم يؤمنون) أي إن جاءتهم آية والمعنى أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿ قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحي إليهم مثل ذلك (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل الورى والآية تحتمل أن يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين وقال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب إلى التصديق بهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (إن كنتم لا تعلمون) ﴿ قوله عز وجل (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) أي في الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدناهم بالإنجاز أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) أي من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين لأن المسرف مسرف على نفسه ﴿ قوله عز وجل (لقد أنزلنا إليكم) أي يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم وخبركم وهو ما عرف به أمر دينكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه ذكركم لتحذروا فتكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) وتعتبرون على الإيمان لولا الخوف لزوال العقل ﴿ قوله تعالى (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي كافرة والمراد أهل القرية (وأنشأنا بعدها) أي أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أي عذابنا بحاسة البصر (إذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين ممن رأوا مقدمات العذاب (لا تركضوا) أي قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) أي نعمتم من الدنيس (ومساكنكم لعلكم تسألون)

صفة لقوله وما جعلناهم الأجساد ذوي جسد غير طاعمين (وما كانوا خالدين) كما زعم قولهم لا كان هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فنزل ما جعلناهم أجسادا لا يأكلون الطعام ويعيشون أبدا بل هم أجساد يأكلون الطعام ويموتون كما يموت البشر (ثم صدقناهم الوعد) بإنجاز ما وعدناهم من النصر (فأنجيناهم ومن نشاء) أي من أمرنا بإنجائه (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر والمعاصي (لقد أنزلنا إليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم إن عملتم به أو لأنه ذكر لكم ما تحتاجون إليه من أمر دينكم (أفلا تعقلون) ما فيه من الوعظ والتخويف (وكم) صفة لقوله (قصمنا) أي أهلكنا (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهي واردة على سبيل التهديد لأهل مكة لأن القصم هو كسر الشيء حتى يبين الكسر الذي يلزم الانتفاع بالمقصوم فيه كقصم الزجاج والإناء (وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) غيرهم (فلما أحسوا بأسنا) أي المهلكون (إذا هم منها يركضون) أي علموا علم حس رأوا العذاب بأبصارهم (لا تركضوا) أي قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) أي نعمتم من الدنيا (ومساكنكم لعلكم تسألون)

قال ابن عباس عن قتل بسكين قيل نزلت هذه الآية في أهل حصورهم به بالنص وكان أهلها عزما فمنعت الله
اللهم بما دعوهم الى الله فكذبوه وقاتلوه وسلط الله عليهم بحصر قتلهم وسباهم فلما اسمر فيهم العسل
هزموا فطالب الملائكة لهم اسهراء لا تركضوا أي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم
تسألون سألوا عن دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فاسكم أهل بروده وبعثه فانهم تحصن
واحدهم السوق وبادي بادس حوّا السماء والدار والاسماء فلما رأوا ذلك اعترفوا بالذنوب حين لم ينفعهم
(قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي لا نفسنا حين كذبنا الرسل ودلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب
ولم ينفعهم ذلك سئل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا انا
(حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كالحصد الزرع (خامدين) أي ميتين ۞ قوله عز وجل (وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين) معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من الجواهر للعب واللهو وانما سويناها للفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع
الى لا نعبد ولا نحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وسماه الولد (لاتخذناه من
لدنا) أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم أهل الارض ومثل معناه لو كان ذلك جائزا في حكمنا
لفعلناه بحيث يظهر لكم لئلا يسعدنا حتى لا تطيعوا علموا ان النصارى لما قالوا في المسيح ما قالوا
رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لا انكم تعلمون ان والد الرجل وزوجته كونان عنده لا غيره (ان كنا
فاعلين) أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا داعي له (بل) أي دع ذلك الذي
قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالامتحان (على الباطل) أي على الكفر
وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) أي ذاهب
والمعنى انا نطل كيدهم بما نسن من الحق حتى نذهبه ونجعل ثم أو عدهم على كيدهم فعال تعالى (ولكم
الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله تعالى انه من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارض)
اي عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بما ذكر (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خص
الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات اكراما لهم وعرفا الاضافة لهم (لا يستكبرون عن
عبادته) أي لا يتكبرون ولا يستعظمون عنها (ولا يستحسرون) اي لا يعيون ولا يزهقون ولا يملون
عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى فقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يعصون ولا ينامون وذلك
ان تسبيحهم صلاتهم لا يفترون في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة هراع اوسعل آخر قال كعب الاحبار السابع
لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الخشب والحجر وغيرهما من المعادن
وهي من الارض (هم ينشرون) اي يحيون الاموات ادلا تستحق الالهة الا من يقدر على الاحياء والاختراع

قال ابن عباس عن قتل بسكين قيل نزلت هذه الآية في أهل حصورهم به بالنص وكان أهلها عزما فمنعت الله
اللهم بما دعوهم الى الله فكذبوه وقاتلوه وسلط الله عليهم بحصر قتلهم وسباهم فلما اسمر فيهم العسل
هزموا فطالب الملائكة لهم اسهراء لا تركضوا أي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم
تسألون سألوا عن دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فاسكم أهل بروده وبعثه فانهم تحصن
واحدهم السوق وبادي بادس حوّا السماء والدار والاسماء فلما رأوا ذلك اعترفوا بالذنوب حين لم ينفعهم
(قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي لا نفسنا حين كذبنا الرسل ودلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب
ولم ينفعهم ذلك سئل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا انا
(حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كالحصد الزرع (خامدين) أي ميتين ۞ قوله عز وجل (وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين) معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من الجواهر للعب واللهو وانما سويناها للفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع
الى لا نعبد ولا نحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وسماه الولد (لاتخذناه من
لدنا) أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم أهل الارض ومثل معناه لو كان ذلك جائزا في حكمنا
لفعلناه بحيث يظهر لكم لئلا يسعدنا حتى لا تطيعوا علموا ان النصارى لما قالوا في المسيح ما قالوا
رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لا انكم تعلمون ان والد الرجل وزوجته كونان عنده لا غيره (ان كنا
فاعلين) أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا داعي له (بل) أي دع ذلك الذي
قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالامتحان (على الباطل) أي على الكفر
وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) أي ذاهب
والمعنى انا نطل كيدهم بما نسن من الحق حتى نذهبه ونجعل ثم أو عدهم على كيدهم فعال تعالى (ولكم
الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله تعالى انه من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارض)
اي عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بما ذكر (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خص
الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات اكراما لهم وعرفا الاضافة لهم (لا يستكبرون عن
عبادته) أي لا يتكبرون ولا يستعظمون عنها (ولا يستحسرون) اي لا يعيون ولا يزهقون ولا يملون
عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى فقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يعصون ولا ينامون وذلك
ان تسبيحهم صلاتهم لا يفترون في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة هراع اوسعل آخر قال كعب الاحبار السابع
لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الخشب والحجر وغيرهما من المعادن
وهي من الارض (هم ينشرون) اي يحيون الاموات ادلا تستحق الالهة الا من يقدر على الاحياء والاختراع

ولما ذكر الحسن والمسيء
على ما تقتضيه حكمته ثم
بين ذلك عن سبب الحدث
بقوله (لو أردنا أن نتخذ
لهوا) أي ولدا أو امرأة
كأنه رد على من قال عيسى
ابنه ومريم صاحبته
(لاتخذناه من لدنا) من
الولدان أو الحور (ان كنا
فاعلين) أي ان كنا ممن
يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله
لاستحالة ذلك عليه او لو
شئنا كقوله وان أدري أي
ما كنا فاعلين (بل نقذف)
بل اضراب عن اتخاذ اللهو
وتنزيه نفسه عنه كأنه قال
سبحانا ان نتخذ اللهو بل
من شأننا ان نقذف أي
نرمي ونسلط (بالحق)
بالقرآن (على الباطل)
الشيطان أو بالاسلام على
الشرك أو بالحد على
اللعب (فيدمغه) فيكسر
فيدحض الحق الباطل
وهذه استعارة لها معان
أصل استعمال القذف
والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لاراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالاستعارة محسية والتي قبلها عقلية من
حكاية فعل لن يرد الحق السابق بالجسم القوي على الباطل الذي هو بالجسم الضعيف فيبطله اطلاق الجسم القوي الصعب (فاذا هو)
أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه (وله من في السموات والارض) خلقا وملكا فالذي يكون
منه ولد الله وبنوهما ناف وتوهم على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا يعني الملائكة (لا يستكبرون)
لا يتعاظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل سبحون أي تسبيحهم صلاتهم دائم في
جميع اوقاتهم لا يفترون فترة واحدة آخرون تسبيحهم جاري النفس من غير انقطاع ذكر اعلامهم وتحاشاهم أم اتخذوا

من العدم والاعدام بالمنع وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أى فى السماء والارض (آلهة الا الله) أى غير الله (لفسدتا) أى لخرجتا عن ما هما عليه من وجود المنافع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضى الى المحال ويجب أن يكون المحال بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لو قدرنا وجود الهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو قدرنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر ولا يقع مراد أحدهما دون الآخر لان وجود مراد أحدهما دون الآخر يدل على عجز من لم يقع مراده وذلك ينافى الالهية فثبت أن كل واحد منهما لو كان الها لكان عاجزا وذلك محال فثبت بهذا البرهان القاطع أنه يستحيل أن يكون مع الله تعالى شريك فى الالهية وهذا البرهان مأخوذ من قوله تعالى (لفسدتا) أى لخرجتا عن ما هما عليه من النظام والاتساق وذلك يدل على أن الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وان الكثرة لا تصدر الا عن الواحد وهذا يدل على أن الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وان الكثرة لا تصدر الا عن الكثرة

الأولين فوحيدوتنزيههم عن الاولاد (هذا) أي القرآن (ذكر من معي) يعني أمتي (وذكر من قبلي) يعني أمم الانبياء قبلي وهو أن توحيد الله ونبي الشركاء عمن مضى فلما لم ينتهوا عن كفرهم أضربنا عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي القرآن وهو نصب يعلمون وجزئ الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه) الا نوحي كوفي غير أبي بكر وحماد (انه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) ترل في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فرد الله عليهم ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا أولادا لله ورد بهذا قول الولاد (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم فاسد اللام لان الاصل وهو أن المعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبقونه بقولهم قوله (وهم بأمره يعملون) أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم تابع

ى على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أي لمن رضي الله عنه وقال لا اله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) يخافون (ومن يقل منهم) من الملائكة (اني اله من دونه) من دون الله اني مغنيك وأبو عمرو (ذلك) مبتدأ أي ذلك القول (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وصفوا الله في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتقدير لو قدر ان أحدا منهم قال اني اله من دون الله فانه لا يستحق العبادة الا الله وحده لا شريك له ودعا الى طاعته فسه وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يعلم الذين كفروا (ان السموات والارض كانتا) أي جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن هذا

(رتقا) بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر ولذا صح ان يقع موقع مرتوقين (ففتقناهما) فصلنا بينهما بالهواء والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضده قال في قاموس اللغة ولي في رأوهما بمعنى علمي جاء نظيرهم بذلك فلذا لم يرد في القرآن الذي هو حجة على كل العالم المراد المشاهدة ولان الرؤية بمعنى العلم يلاصق الارض والسماء لان بينهما اشتراكا في العلم والاختصاص بالناس دون الملائكة لا ينافيه من خصص وهو العدم حيث حال بينهم وبين السماء كما لا يخفى على من له أدنى تأمل في الارض لا فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتوقة لا فرج فيها وكذلك الارض فرتق الله تعالى السموات بعضها فوق بعض وجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت فرتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء حي من الحيوان وقيل لم نجعل شيئا من الماء الا وفيه الحياة وقيل لانه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني الانسان فان خلقه من نطفة وخلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان فلم يخرج

آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا (هذا) يعني القرآن (ذكر من معي) أي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة عما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) أي خبر (من قبلي) أي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا او كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) أي فوحدوني ولما نزلت هذه الآية علم المشركون انها نزلت في آلهتهم فقالوا لنحمدن ربنا ولنعبدن ربنا ولنطيعن ربنا فنزل (بل عباد مكرمون) أي بل الملائكة عباد الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون) أي أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أي لا يسبقونه (بالقول) أي لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون ومكر (ومن يقل منهم اني اله من دونه) قيل عنى بها ابليس حين دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الانبياء لم يقل اني اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أي ألم يعلم الذين كفروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا سماء واحدا مغلقة ليس فيها روح ولا باب ولا شجر ولا جبل ولا أرض ولا سماء (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها فصيرهن سبع سموات في يومين الخميس والجمعة وكذلك الارض وقيل كانت السموات رتقا لا تنزل منها قطرة والارض رتقا لا تنبت شيئا فلما خلق الحيوان وبث فيها من كل دابة فتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء حي من الحيوان وقيل لم نجعل شيئا من الماء الا وفيه الحياة وقيل لانه سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني الانسان فان خلقه من نطفة وخلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان فلم يخرج

(أفلا يؤمنون) بمفعول ما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالا ثوابت من رسا الشيء (أن تميد بهم) لئلا تضطرب بهم هدف لا والام وانما أوقعه لانعدام الالتباس كما زاد لئلا في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجا) أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وصف على الحال من (سبلا) بعد صفات مثلث أي مفرق بين موقه تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه على الاول للاعلام بأنه جعل بعضها طرقا واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (لعلهم يهتدون) إليه وإلى ما إلى الملاذ المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) فيما وصفه من السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أو محفوظا بالشهب من الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وهم) أي الكفار (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها كالشمس (٢٥٩) والقمر والنجوم (معرضون) عن

هذا المطرح الأعلى والأكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض محلوق من الماء أو يعاوده الماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم فعل أن الأرض تسعى على الماء فكأنها تتحرك كما تحرك السفينة في الماء فرساها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجا) أي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أي من أن تسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكونها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها والتعريف في الآيات للعهد الدال على الحكمة الباهرة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر فيها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يصعها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة المغزل ويدار الذي تجري فيه النجوم مستديرا كفلكة المغزل وقيل الفلك السماء الذي فيه الكواكب فكل كوكب يجري في السماء الذي يليه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك سبح مكفوف وهو السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الفلك اسم لما لا بد له ولا يحتمل معه غيره له للحركة والاتمام والصعود والنزول والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بإخبار الصادق فيجب على الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة عرفنا الله ﷻ بقوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفإن مت فهم الخالدون) برفع هذه الآية من قال الواو نصب بجعلنا ومن قال بالنون نصب بمحذوف وفي الآية السماء مبهمة والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشر الا أنت ولا هم فإن مت أنت أفهم هؤلاء وفي جعلنا وجوه أحدها

وعلى السماء وعلى الأرض ... أن قد علوا بمكارم وتكرما

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم خصوص معناه تعالى يعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فإن الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والدوس هنا ورد عن معاني الموت وآلائه فعلمه وقدرته حاولوه (ونبلوكم) أي نختبركم (بالشر والخير) أي بالسقم والصحة والفقر والغنى والعمى والبصر والهدى والضلال (فتنة) مصدر وكذلك ما عطف عليه (وإلينا ترجعون) فنجازيكم على حسب ما وجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن عباس ترجعون (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك) ما يتخذونك (إلا هزوا) مفعول ثان لـ (أهذا الذي يذكر) به (آلهتكم) والذكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاكر مشركا فهو ذم وإن كان مؤمنا فهو مدح (وهم بذكر الرحمن) أي بذكر آياته ونعمه ومما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا

معتبرين فيها فهم معرضون (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبصروا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) لتكون سراج الليل (كل) من ذلك (في فلك) عين السماء (يسبحون) يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وإنما قال يسبحون لأنه عامل معاملة من يعقل لما ذكر معها من يعقل وقيل الفلك طاحونة كهيئة المغزل يدار الذي تجري فيه النجوم مستديرا كفلكة المغزل وقيل الفلك السماء الذي فيه الكواكب فكل كوكب يجري في السماء الذي يليه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك سبح مكفوف وهو السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل واحد منها (يسبحون) يسيرون أي يدورون والجملة في محل الرفع على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفإن مت) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) والهمزة الأولى للعطف حذفت على جملة والثانية للمراد

موضع الحال أي يقصدون كفرهم وهم على حال هي أصل الكفر وهو الصد عن سبيل الله تعالى وكررهم للتأكيد أولان الصلة للتنبيه
وبين الخبر وهو المبتدأ (خلق الانسان من عجل) مسرا بالحس وهو ما يرتاب حين كان الصبر من الحرث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة
مصدران وهو عدم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب منه العجل فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه الكثر منه العرب يقول لمن يكثر
منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا دم الانسان على ادراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم عذر وحرره كأنه قال ليس ينبغي منه أن يستعجل
فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وجبلته فلا تدركه فيه لوم كما قال الشاعر * والعجل سبب الماء والعجل * أي ومن عجل حال أي عجلا
(سأريكم آياتي) بمعنى (فلا تستعجلون) بالانسان بهار هو بالساعة تدعون وانقسم سهل وعاش في الوصل (ويقولون متى هذا
الوعد) انسان العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قل هو أحد وحي استعجالهم (لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون)
جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستجلبونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت غلبتهم فيه النار من
وراء وقدامهم ولا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا فيه من الكفر والاستهزاء
والاستعجال ولكن يمهلهم به هو الذي هونه عندهم
(بل تأتيهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبهتهم) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تعجلهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدرون على
دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) حل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أسوة وبأن ما يتعاونه به تحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء قبلهم (قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان أتاكم ليلا أو نهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا
يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى ادارروا الكلاءة معروفة من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله أن يسألهم عن
الكالئ من أمرهم لا يطمعون أن ذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى
بل والهمزة أي بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تجاوز حفظنا لهم الى تعجيب من قوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) ومن ان مالهم
ما دخل بينهم وبين نصرها لا يصحبون من الله بالنصر والا كرامة ثم صرح بذلك فقال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر)

الكفار ﴿ قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان نسمة وخلق ممن العجلة وعليها طبع وقيل لما
دخل الروح في رأس آدم وهو نسمة نظر الى عمارا لجسد فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ
الروح الى رجليه عجلا الى عمارا لجسد فوقع فتسفل خلق الانسان من عجل وأورث ذلك العجلة وقيل معناه خلق
الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان جسده كان يعدل كل شيء آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل
مغيب الشمس فلما أحس الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجل
على عمره اس خلق بسببه لانهم خلقوا من طين فالطين ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى
خلق الانسان من عجل اي من طين قال الشاعر * والعجل سبب الماء والعجل * اي بين الماء والطين وقيل
اراد بالانسان النوع الانساني بدليل ما بعده قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا
يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي ولا تظنوا ان العذاب
قيل ومنه فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الانكار فبين تعالى أنهم انما
يقولون ذلك لجهلهم وعماهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون)
أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل الساط (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من
العذاب والمعنى لو علموا ذلك واعلى كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
(بل تأتيهم) يعني الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها
عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون قال ابن عباس والمعنى (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي بالمجد كما استهزأ بك
قومك (فحاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي عقوبة استهزائهم وهذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم أي كذلك نحن نجازي من استهزأ بك ﴿ قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أي
يحفظكم (بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا تصرفتم في معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم
من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها
(أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال
(لا يستطيعون نصر أنفسهم) اي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف يقدرون على نصر عابديهم (ولا هم منا
يصحبون) قال ابن عباس يجارون وقيل يحارون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا
هؤلاء) يعني الكفار (وآباءهم) اي في الدنيا بالنعم فاغتروا بها (حتى طال عليهم العمر) أي

أي ما هم فيه من الخفاء والكلال أفما وقع منالامن تالع تحدهم من إهلاكنا وما كلا ما هم وأنا دهم الماضين الا تتبعهم بأحيائهم الذين هم الا كما شعاعهم من الكفار وقتلهم ما هم حتى قال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم داخلون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي بعض أرض الكفر وبعض أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها او ردها او اسلام وذكر يأتي بشير بان الله يحرزه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين (٢٦١) وتأتيها فاتحا معلنها ما بعضه من أطرافها (أفهم الغالبون) أو كفار مكة يغلبون بعضا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصرنا (قل انما أنذركم بالوحي) أحوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بضم الياء واللام ورفع الصم ولا تسمع الصم ساعي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صدمة صغيرة (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرونه به أدنى شيء لدلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وعرفوا انهم ظلموا انفسهم حين تصاموا وأعرضوا ودونك حديث الكلبي والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والنافحة المرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما توزن به الشيء عرف كالميعاد والميقات وانما جمع الموازين لعظم ما توزن بها كما في قوله تعالى والوزن يومئذ الحق (القسط) وصف الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لاجلهم (فلا تظلم نفس شيئا) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة من الرفع مبني وكذا في الاوزان على كان التامة (من خردل) صفة لها (أتينا بها)

أتيناهم فيه من الخفاء والكلال أفما وقع من الامن تالع تحدهم من إهلاكنا وما كلا ما هم وأنا دهم الماضين الا تتبعهم بأحيائهم الذين هم الا كما شعاعهم من الكفار وقتلهم ما هم حتى قال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم داخلون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي بعض أرض الكفر وبعض أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها او ردها او اسلام وذكر يأتي بشير بان الله يحرزه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين (٢٦١) وتأتيها فاتحا معلنها ما بعضه من أطرافها (أفهم الغالبون) أو كفار مكة يغلبون بعضا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصرنا (قل انما أنذركم بالوحي) أحوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بضم الياء واللام ورفع الصم ولا تسمع الصم ساعي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مستهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صدمة صغيرة (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرونه به أدنى شيء لدلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وعرفوا انهم ظلموا انفسهم حين تصاموا وأعرضوا ودونك حديث الكلبي والنفحة لان النفح يدل على القلة يقال نفحه الدابة وهو رمح لين ونفحه بعطية رضخه والنافحة المرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما توزن به الشيء عرف كالميعاد والميقات وانما جمع الموازين لعظم ما توزن بها كما في قوله تعالى والوزن يومئذ الحق (القسط) وصف الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لاجلهم (فلا تظلم نفس شيئا) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة من الرفع مبني وكذا في الاوزان على كان التامة (من خردل) صفة لها (أتينا بها)

عنهما لا يسمن حفظا شيأ حسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) مثل هذه الآية هي التي نورت لأن الفرقان بين الحق والباطل وضياء استضاءة به ويوصل به إلى سبل الخير المحمود ذكرا أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكرا مما يحتاج الناس إليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسدادا وحصورا وديباجا وقول من زعم أن هرون بدل من الفرقان بعيد لأن المعطوف غير المعطوف عليه (للمتقين) ويحتمل (الذين) جرا على الوصف أو (٢٦٣) نصبا على المدح أو رفعا على (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء

(وهم من الساعة) القيامة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير عظيم النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) أي مع هذا البرهان الواضح أي جاحدون أنه منزل من عند الله (ولقد آتينا إبراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد أو من قبل البلوغ (وكنا به) بأن أهله للنبوة أو بأنه (عالمين) أي علمنا أن أهلا لأن يؤتى رشده هو (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) أي الأصنام المصورة على صور السباع والطير والآدميين وإنما سألهم ليعرف أنهم مع علمهم بفساد ما هم عليه (التي أنتم لها عاكفون) أي لأجل عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد أن العابدين والمعبودين صائرون في النار (قالوا أجئتنا بالحق) في قولك هذا (أم أنت من اللاعبين) تمزحنا أم تجد فيما تقول أم اللعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم) أي على أنه الإله الذي تستحق العبادة وأنا (من الشاهدين) على أنه خالق السموات والأرض (وتالله لأكيدن أصنامكم) أي لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أي منطلقين إلى عيدكم وإنما قال إبراهيم هذا القول سرا إلى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو الذي قال إنا سمعنا فتى يذكرهم وهو إن كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إليهم فلما كان ذلك العيد قال أولياء إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشتكي رجلي فمر كوه وهو ماض في آخرهم وهو يتخلف وصاح الناس بالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه فرجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهي في بهو عظيم وبيت المهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام صفها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما من بدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بورك الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال مالكم

(وهم من الساعة) القيامة وأهوالها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) كثير الخير عظيم النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) أي مع هذا البرهان الواضح أي جاحدون أنه منزل من عند الله (ولقد آتينا إبراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد أو من قبل البلوغ (وكنا به) بأن أهله للنبوة أو بأنه (عالمين) أي علمنا أن أهلا لأن يؤتى رشده هو (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) أي الأصنام المصورة على صور السباع والطير والآدميين وإنما سألهم ليعرف أنهم مع علمهم بفساد ما هم عليه (التي أنتم لها عاكفون) أي لأجل عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد أن العابدين والمعبودين صائرون في النار (قالوا أجئتنا بالحق) في قولك هذا (أم أنت من اللاعبين) تمزحنا أم تجد فيما تقول أم اللعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم) أي على أنه الإله الذي تستحق العبادة وأنا (من الشاهدين) على أنه خالق السموات والأرض (وتالله لأكيدن أصنامكم) أي لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أي منطلقين إلى عيدكم وإنما قال إبراهيم هذا القول سرا إلى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو الذي قال إنا سمعنا فتى يذكرهم وهو إن كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إليهم فلما كان ذلك العيد قال أولياء إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشتكي رجلي فمر كوه وهو ماض في آخرهم وهو يتخلف وصاح الناس بالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه فرجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهي في بهو عظيم وبيت المهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام صفها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما من بدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بورك الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال مالكم

(فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

ذهابكم إلى عيدكم فقال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرفه بقوله إني سقيم (ق) يعني سأسقم ليتخلف فرجع إلى بيت الأصنام (فجعلهم جذاذا) قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا كسر على جمع جذ كأخ وأخوة أي كسرهم (إلا كبيرا لهم) للأصنام أو للكبار أي كسرها كلها بفأس في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (لعلهم إليه) إلى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيبين لهم عجزه أو إلى إبراهيم ليحج عليهم أو إلى الله أو إلى أوائل آلهتهم (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك (من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أي أي من فعل هذا الكسر لشدة الطم لما به على الآلهة الجمعة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) الجملتان صفتان لفتى الأولى وهو مذكرهم أي يعيبهم لأنه لا يسمع لا يقول سمعت يدا ويسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الأنثى وارتفاع إبراهيم بأنه فاعل يقال (٢٦٣) فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم (قالوا) أي عرودا براهيم ومن معه (قالوا به) أحضروا إبراهيم (على أعين الناس) في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي عرأى منهم وبمرأى (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه أو بما فعله كانهم كرهوا فعله بلا شهادة أو يحضرون عقوبته فلما أحضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال) إبراهيم (بل فعله) أي الكسر الذي نسب إليه بمعنى أي فعله من فعله وإنما حذف الفاعل وإنما لا يحسن ذكره لأن يكون الفاعل مذكورا في قوله إني سقيم أو في قوله بل فعله أو إلى المذكور في قوله مذكرهم أو إلى إبراهيم في قوله يا إبراهيم ثم قال (كبيرهم هذا) وهو مسند أو خبر والأكثر أنه لا وقف على الفاعل كبيرهم وهذا وصف أو بدل أو بيان والفعل إلى كبيرهم وقصد بتعريضه وإضافته لهم على استهزاء بهم إن كانوا ينطقون فراع عليهم صغيرا ما أبقى وحمل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم علق الفأس في عنقه وصل في يده ثم خرج وذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أي كسرا وقطعا (إلا كبيرا لهم) أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وذلك ليرجعوا إليه ويسألوه عما صنع بآلهتهم من ذهب وبعضها في صفة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وخزف وخشب وكان الصنم الأكبر من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان (لعلهم إليه يرجعون) قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم والى دينه ويأيسون من آلهتهم إذا عاينوا عجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أي في تكسيرها واحتقارها لها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) أي يسبهم ويعيبهم (يقال له إبراهيم) أي هو الذي يقال إنه صنع هذا فلما سمع ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي حتى يكون ظاهرا للناس وإنما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) أي عليه بما سمعوه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ويقال معناه لعلهم يحضرون عذابه وبما سمع منه فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال) يعني إبراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب أن يعبد معه هذه الصغار وهو أكبرهم سنا وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا عن فعل نفسهم وفعل معه إن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي صحة ما فعله دلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي لفظ الترمذي وفي قوله إني سقيم أي سأسقم وفي سقيم السقم المعهود بصلاتكم وما قوله بل فعله كبيرهم هذا فإنه على حجة بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق الكشف لقومه وقوله لسارة هذه أختي في الدين والإسلام قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة كل هذه الألفاظ صدق في نفسها لكن فهم منها الكذب فلذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات قوله لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فلم يعد إلا إنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن لأحد الكلامين وإنما كان معهود ظاهرها خلاف باطنها أسمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها وأحسن بها قال النووي وهذه الثلاث لا تنافي الكذب عن إبراهيم والأولى هو الأول للحديث وتحرر أن يكون الله أذن له في ذلك لعبده الصالح ونبيه ورسوله والإصباح عليهم كما ذكر ليوسف حتى أمر منادية تعالى أيتها العير إنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الإمام فخر الدين

لا تطعنون فراع عليهم صغيرا ما أبقى وحمل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم علق الفأس في عنقه وصل في يده ثم خرج وذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أي كسرا وقطعا (إلا كبيرا لهم) أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وذلك ليرجعوا إليه ويسألوه عما صنع بآلهتهم من ذهب وبعضها في صفة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وخزف وخشب وكان الصنم الأكبر من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان (لعلهم إليه يرجعون) قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم وإلى دينه ويأيسون من آلهتهم إذا عاينوا عجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم رأوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أي في تكسيرها واحتقارها لها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) أي يسبهم ويعيبهم (يقال له إبراهيم) أي هو الذي يقال إنه صنع هذا فلما سمع نمرود ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي حتى يكون ظاهرا للناس وإنما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) أي عليه بما سمعوه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ويقال معناه لعلهم يحضرون عذابه وبما سمع منه فلما أتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال) يعني إبراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب أن يعبد معه هذه الصغار وهو أكبرهم سنا وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا عن فعل نفسهم وفعل معه إن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي صحة ما فعله ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي لفظ الترمذي وفي قوله إني سقيم أي سأسقم وفي سقيم السقم المعهود بصلاتكم وما قوله بل فعله كبيرهم هذا فإنه على حجة بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق الكشف لقومه وقوله لسارة هذه أختي في الدين والإسلام قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة كل هذه الألفاظ صدق في نفسها لكن فهم منها الكذب فلذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات قوله لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فلم يعد إلا إنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن لأحد الكلامين وإنما كان معهود ظاهرها خلاف باطنها أسمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها وأحسن بها قال النووي وهذه الثلاث لا تنافي الكذب عن إبراهيم والأولى هو الأول للحديث وتحرر أن يكون الله أذن له في ذلك لعبده الصالح ونبيه ورسوله والإصباح عليهم كما ذكر ليوسف حتى أمر منادية تعالى أيتها العير إنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الإمام فخر الدين

الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب أصلا لجاز أن يكذب الله فيه فلم يؤمن هذا الاحتمال فى كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق الهدم الى كلها واحتج الحديث محمول على المعارض فان فيها مدوحه من الكذب ﴿وقوله﴾ (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا واعلموا بها ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما يراه الا كما قال (انكم أنتم الظالمون) اى بعبادتكم ما لا ينكلم رسل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سوالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو قوله ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) هو فى موضع المصدر اى معنا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر متبرم أى من أجلهم على عبادتها بعد اظهاع عذرهم وبعد وضوح الحق وأتاهم به والام ان التأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أفف مقتى وحقص أف بكى وسكن أفف عمرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز أن يكون الها فلما لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها هول ما تعاقب به وأفظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلين) أى ان كنتم ناصرين آلهتكم

الاحتمال فى كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق الهدم الى كلها واحتج الحديث محمول على المعارض فان فيها مدوحه من الكذب ﴿وقوله﴾ (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا واعلموا بها ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما يراه الا كما قال (انكم أنتم الظالمون) اى بعبادتكم ما لا ينكلم رسل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل فى سوالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على ألسنتهم فى القول الاول وهو قوله ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف نسألهم فلما انجهت الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) أى ان عبدتموه (ولا يضركم) أى ان تركتم عبادته (أف لكم) أى بالكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه يحقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أى ألبس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يعنى انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلين) اى ناصرين آلهتكم قال ابن عباس الذى قال هذا رجل من الاكراد واسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال كعب بن سحار بن سحار بن مرود بن كوش بن سام بن نوح

(ذكر القصة فى ذلك)

فلما اجمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بكوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الحشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتستعين الحطب تغزل لها احتسابا فى دينها وكان الرجل توصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأسعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتد حتى ان الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها وجوها فاقتدروا عليها ساعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقال لهم ابليس لعنه الله هل لكم علم فى المنجنيق فعملوه لهم فعادوا الى ابراهيم فقيدوه ووضعوه على رأس البناء ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحوا واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك ليس فى الارض أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الهه ليس له الهة غيرى فان استغاث بأحد منكم أو دعاه فاصره وقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا ولية وأنا أولى به فجعلوا يرمونه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن الماء وقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى بكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم قال حسبى الله ونعم الوكيل فى النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فجعل يمشى فى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (ح) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم

حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار وجعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الورع فانه كان يسطع في النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ وزاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم (فلما) أي قال الله عز وجل (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت تلك البرد أبدا ولم يبق أحد الا أتى كفه تصفي ابراهيم فاجتمعوه على الارض فاذا هي ما عدت وردا أحمر ورد أحمر وحمس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه فانها أبرأته في ذلك الموضع من ستة أيام قاله المهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أنا ما قط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقيل ان الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فجعل الى جنب ابراهيم يؤنسه فالوا وانما أمر الله عز وجل جبريل بعد ما نودي من حر النار بالخمود وطفئها وأمره على الطفئها وأمره بحفظه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود فرأى ابراهيم من صرح له فرآه قائما في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي تلعبت عنده أن يحال بيننا وبين النار فيما ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل يخشى أن أغلبك ان تصير له قال لا قال نعم فاخرج منها فقام ابراهيم عشيا فخرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من عظيم قدرته وعزته فيما صنع بك حين أنجاك من النار وجنوده والي داعيه أربعة آلاف بعوضة فقال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له ذبحا لم يذبح مثله فذبحها ونزع لحومها وشربت دماءها ودخلت بعوضة في منخاري نمرود فأهلكته (وكيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته ﴿ قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعني من نمرود وقومه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام أرسل الله فيها الخصب وكثر الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها باركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي هريرة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار تحول الى المدينة فيها هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب لا بل أسكن في كورة الله المقدسة فان الله تعالى قد أمر الموحدين بالسكنى من الشام كما أمر الله من أرضه وسمائها كما يكره من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فأهل الارض الزموا مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام رغب في المقام بها عن ربيعة بن هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقيل ومالاهل الشام يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها أخرجه الترمذي ﴿ عن مهران حكيم عن أبي أمامة عن جده قال قلت يا رسول الله ائذن لي أن آتي نبي الله فقد كنت السلام أخرجه الترمذي قال مجد بن اسحق اسحق ابراهيم وقال من قوله (ونجيناه ولوطا) يعني من نمرود وقومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمن به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم ولوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور لا بنهم أولاد تارح وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس المرار بنبيه والامان على عبادته حتى نزل حران وكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي مسيرة يوم وليلة من السبع وهي الى عمالها ومأمرت به قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ﴿ قوله تعالى (ووهبنا له اسحق

(فلما نار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلام وسلم في ذلك كان دانيا برد وسلام (على ابراهيم) أراد ان نبينا صلى الله عليه وسلم سلم على ابراهيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يقل ذلك لانها كانت بردتها وانما أمر الله تعالى برفع حرها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير (وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فأهلكته (ونجيناه) أي ابراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) أي ارض الشام وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشروا في العالمين آثارهم الى يومنا هذا وهي أرض خصبة تنبط بها عين المعين وفيها من ماء عذب في الارض الا وينبع اصله من صخرة بيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فالزموا مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق

ويعقوب ما قبله) أي عطف من عطف الله قال ابن عباس الساقط هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب بما قبله وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أئمة) اي هدوهم يهدي بهم في الخير (يهدون بامرنا) أي يدعون الناس الى دينا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلوة) أي المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) أي الواجبة وخصهما بالذكر لان الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية وجمعهما المعظم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي موحدين ﴿قوله عز وجل (ولوطا آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث ايتان الذكور في أدبارهم وكانوا صاروا في مجالسهم مع أسباه آخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الجنة (انه من الصالحين) يعني الانبياء ﴿قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) اي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق يكذبونه وهو له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب الشدة العظيم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) ﴿قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أسفل العرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعت ليلا فافسدته وكانت بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك معلوما وعلمنا الذي علمناه وقيل معناه لم يخف علينا شيء من أمورهم والمراد بداود وسليمان قال ابن عباس وعمرو بن دينار دخل رجلان على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم يبق منه شيئا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبرا فقال سليمان لو ولاني امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وروي انه قال له تحول الى منزلي وأدفع الى غنمك أصب من درها ونسلها وصوفها ومنافعها وزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث حتى اذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فدخل الناس على سليمان فاخبروه بقضاء أبيه فقال لو كان الامر الى لقضيت بغير هذا فبلغ ذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي فقال اني دفعت الغنم الى صاحب الحرث ليقوم على حرثه حتى يعود كما كان ويأخذ صاحب الحرث حرثه وعلى صاحب الغنم رعي غنمه حتى اذا عاد الحرث كما كان دفع الى كل واحد منهما ماله فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فدخل على كان لسليمان يوم حكم فيه كل من الغنم احدى عشرة ساعة وحكم الاسلام في هذه المسئلة انما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنوه بالاجماع الا في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وردنا الليل الى المراح ودليل هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فافسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أفسدت ليلا كان أو نهارا ودليلنا قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمنا أمرها الحكم

العصه

ذكرهم وانا هم (وداود وسليمان) اي واذكرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان في الحرث) في الزرع او الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا فاكلت ما فيه وافسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع (وكنا لحكمهم) ارادة ما والحاكمين لهما (شاهدين) [illegible] ان يحكما [illegible] الصواب [illegible] ان صاحب الله عليه

وقصته ان الغنم رعت الحرث أو أفسدته بالرباح ليلا فقضى داود بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر قيمة الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعرض عليه الحكم فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها ويدفع الحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يتراد ان فقال نعم ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شرعهم فأما في شرعنا فلا ضمان (٣٦٧) عند أبي حنيفة وأصحابه رضي

العصمة (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أي نبوة وجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله جعد هذا صوابه وأثنى على هذا باجتهاده واحتلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فعلى نعصهم حكما بالاجتهاد قال وتحور الاجتهاد للانبياء لانهم لو تركوا وأن المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث لدام تحدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطأوا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا تحور للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم معصومون عنه بالوحي واصح من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب تظاهر هذه الآية وبالحديث الذي بعدها وأن المجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اصاب المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا نه لو كان كل واحد مصيبا لم يكن للقسم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطأ له أجر لم يرده انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عباده والاثم في الخطأ معفو عنه اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود وقوم قدروا الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عند سليمان الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة ما يساوي قدر الضرر فالزم تسليم الغنم الى المجني عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب معادلة الاصول بالاصول والرؤوس بالرؤوس فما يساوي الاصول بالرؤوس فهو يسير ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاءهما الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان معهم تسبيح الحجر والشجر وفي كتاب الجبال يحاوبنه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وفي كتاب داود اذا فتر تسبيحه سبح الجبال والطير استطابة لسماع صوته وكانا على (وكنا فاعلين) يعني ما ذكر من الفهم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب وهي أول من صنع الدروع وورثها وأحدها حلقا داود وكان يقال صانع فقالوا ان الله ألان الحديد لداود وكان يعمل مثقال درع بمثقال طين والدرع تجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) أي عن بأسكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل لتحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) اي نعمتي في ذلك لداود وأهل بيته ﴿ قوله عز وجل (ولسليمان الريح) اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم محرك لما يمر به يظهر للحس عن هبوبه ويخفى عن البصر لطفه (عاصفة) اي شديدة الهبوب قال قتادة وصفها الله بالرخاء هنا وقال كانت الريح تحت أمره ان اراد أن يسير سارت به وان أراد أن تمر مرت به (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها) يعني الشام

العصمة (وكلا) يعني داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أي نبوة وجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله جعد هذا صوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فعلى نعصهم حكما بالاجتهاد قال وتحور الاجتهاد للانبياء لانهم لو تركوا وأن المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث لدام تحدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطأوا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا تحور للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم معصومون عنه بالوحي واصح من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب تظاهر هذه الآية وبالحديث الذي بعدها وأن للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اصاب المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا نه لو كان كل واحد مصيبا لم يكن للقسم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطأ له أجر لم يرده انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عباده والاثم في الخطأ معفو عنه اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود وقوم قدروا الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عند سليمان الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة ما يساوي قدر الضرر فالزم تسليم الغنم الى المجني عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب معادلة الاصول بالاصول والرؤوس بالرؤوس فما يساوي الاصول بالرؤوس فهو يسير ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاءهما الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان معهم تسبيح الحجر والشجر وفي كتاب الجبال يحاوبنه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وفي كتاب داود اذا فتر تسبيحه سبح الجبال والطير استطابة لسماع صوته وكان ذلك على (وكنا فاعلين) يعني ما ذكر من الفهم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب وهي أول من صنع الدروع وورثها واحدها حلقا داود وكان يقال صانع فقالوا ان الله ألان الحديد لداود وكان يعمل مثقال درع بمثقال طين والدرع تجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) أي عن بأسكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل لتحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) اي نعمتي في ذلك لداود وأهل بيته ﴿ قوله عز وجل (ولسليمان الريح) اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم محرك لما يمر به يظهر للحس عن هبوبه ويخفى عن البصر لطفه (عاصفة) اي شديدة الهبوب قال قتادة وصفها الله بالرخاء هنا وقال في موضع آخر بالعصوف لانها تجري بأمره كما شاء في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجري بأمره) بأمر سليمان (الى الارض التي باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد بالشام وكان يسير به هو وجنوده الريح من نواحي الارض اليها

(وكنا بكل شيء عالمين) فنعلم كيف نسخر الريح لسليمان (ومن الشياطين من يغوصون له) في البحر فيستخرجون اللؤلؤ وغيره (ويعملون عملا دون ذلك) من البناء وغيره (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره (وأيوب) أي واذكر أيوب (اذ نادى ربه أني مسني الضر) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (وأنت أرحم الراحمين) أي أرحم بي من كل رحيم (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) قال وهب بن منبه ابتلي أيوب سبع سنين وأشهرا وقال ابن اسحاق ثلاث سنين وقال الكلبي سبعة أعوام وستة أشهر وقال مقاتل ثلاث سنين وستة أشهر وقال عطاء بن أبي رباح ثلاث سنين وستة أيام وقال عبد الله بن شداد ابتلي أيوب سبعة أيام وقال ابن عباس ابتلي أيوب بالبلاء ثمانية عشر سنة فرفضه القريب والبعيد غير رجلين من اخوانه كانا يغشيان منزله فقال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه منذ ثمانية عشر سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر له ما قال صاحبه فقال أيوب لا أدري ما تقولان غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله الا في حق وكان يخرج الى حاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان يوم من تلك الايام أبطأ عليها فأوحى الله تعالى اليه في مكانه (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فتلقته على تلك الحال فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على وجهه ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أنا هو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وقيل بعث الله جرادا من ذهب فجعل يثب اليه فجمع في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن عباس رد الله عليه أهله بأعيانهم وأحيا أولادهم الذين ماتوا وأعطاه مثلهم معهم وقال وهب بن منبه أحيا له أهله ومثلهم معهم وقال الكلبي آتاه مثلهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة وقال مقاتل آتاه مثلهم من نسلهم (رحمة من عندنا) أي فعلنا ذلك به رحمة (وذكرى للعابدين) أي عظة للعابدين (وذا الكفل) قال ابن عباس هو نبي من الانبياء ليس بذكر في القرآن الا في هذا الموضع وقال مجاهد كان رجلا صالحا وليس بنبي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله اليسع لما كبر قال لو أني استخلفت رجلا على الناس فرأوا كيف صلاته فيهم ثم جئتهم بعد ما أتيتهم بعد ما أتيتهم لعلي أن أزيدهم خيرا فجمع الناس فقال من يقوم مقامي فيكون معي في الجنة فقام عابد شاب فقال أنا فرده ثم قال من يقوم مقامي فيكون معي في الجنة فقام ذلك الشاب فقال أنا فرده ثم قال من يقوم مقامي فيكون معي في الجنة فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال نعم أنت فاستخلفه فكان يصلي بالناس النهار ويقضي بينهم بالحق ثم يذهب فيقيل ثم يرجع فيقضي بينهم بالحق ثم يذهب فيقيل فسمي ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به (وكل من الصابرين) على البلاء (وأدخلناهم في رحمتنا) أي النبوة (انهم من الصالحين) ﴿ قوله عز وجل (وذا النون) أي واذكر ذا النون وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) أي مراغما لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف أي نضيق عليه ونقضي عليه بالعقوبة قال ابن عباس ظن أن لن نعاقبه بذنبه وقال الحسن ظن أن لن نحبسه وقال الضحاك ظن أن لن نقضي عليه بما قضينا عليه وقال سعيد بن جبير ظن أن لن نفعل به ما فعلنا بمن قبله من الانبياء اذا خرجوا من بين أظهر قومهم عذبوا فخرج مغاضبا لربه مخافة أن يعذب (فنادى في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت سبحانك) تنزيها لك أن يعجزك شيء (إني كنت من الظالمين) بخروجي من بين أظهر قومي بغير أمرك (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) من بطن الحوت (وكذلك ننجي المؤمنين) ﴿ قوله عز وجل (وزكريا) أي واذكر زكريا (اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) أي وحيدا لا ولد لي (وأنت خير الوارثين) أي خير من بقي بعد فناء الخلق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) قال ابن عباس كانت عاقرا لا تلد فجعلها الله ولودا وقال كعب كانت سيئة الخلق فجعلها الله حسنة الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) أي يبادرون الى الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي رغبة ورهبة (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين متذللين (والتي أحصنت فرجها) أي واذكر التي منعت فرجها من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت عيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أي دلالة على قدرتنا وعلى توحيدنا وعلى صدق أنبيائنا ﴿ قوله عز وجل (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أي ان هذا الذي أنتم عليه من التوحيد والايمان بالله دين جميع الانبياء وهو دين واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي تفرقوا في دينهم فصاروا فرقا وأحزابا (كل إلينا راجعون) أي بالبعث (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ثوابه بل يشكر ويجازى عليه أحسن الجزاء (وإنا له كاتبون) أي لعمله حافظون ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية) أي وممتنع على أهل قرية (أهلكناها) بالعذاب (أنهم لا يرجعون) أي لا يرجعون الى الدنيا قبل يوم القيامة وقيل لا يرجعون عن الكفر الى التوبة وقيل لا يرجعون الى التكليف (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قرأ ابن عامر وحفص فتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد (وهم من كل حدب ينسلون) أي يخرجون من كل مكان مرتفع وقيل من كل أكمة وقيل من كل نشز من الارض وقيل من كل موضع وهو قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) أي القيامة (فإذا هي شاخصة) أي قائمة (أبصار الذين كفروا) أي تشخص أبصارهم من الفزع فلا تطرف (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) أي في الدنيا (بل كنا ظالمين) أي بالشرك (إنكم وما تعبدون من دون الله) من الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها وقيل ما يرمى به في النار (أنتم لها واردون) أي داخلون (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) أي ما دخلوا النار (وكل فيها خالدون) أي الآلهة والعابدون (لهم فيها زفير) أي أنين وشهيق (وهم فيها لا يسمعون) أي لشدة ما هم فيه من العذاب (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي السعادة في الذكر الاول (أولئك عنها مبعدون) أي عن النار (لا يسمعون حسيسها) أي صوتها اذا دخلوا الجنة (وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون) ﴿ قوله عز وجل (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس هو النفخة الثانية وقال الحسن هو حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وقيل حين يطبق على أهل النار (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم على أبواب الجنة (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (يوم نطوي السماء) أي نذهبها ونفنيها (كطي السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة وقال مجاهد السجل الكاتب وقال الكلبي السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد فاذا صعد بالكتاب طويت صحيفته (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما خلقناهم أول مرة كذلك نعيدهم يوم القيامة (وعدا علينا) أي وعدنا ذلك وعدا (إنا كنا فاعلين) ﴿ قوله عز وجل (ولقد كتبنا في الزبور) قال ابن عباس الزبور كتاب داود وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر (من بعد الذكر) أي من بعد اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قال ابن عباس يعني أرض الجنة وقال مجاهد هي الأرض المقدسة وقال الضحاك هي أرض الدنيا يرثها المؤمنون (إن في هذا) أي القرآن (لبلاغا) أي كفاية (لقوم عابدين) أي مطيعين ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال ابن عباس من تبعك منهم كتب له الرحمة والكرامة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعك عوفي مما أصاب الامم من الخسف والمسخ والقذف (قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) أي ما يوحى إلي شيء الا التوحيد (فهل أنتم مسلمون) أي مخلصون (فإن تولوا) عن الايمان (فقل آذنتكم على سواء) أي أعلمتكم ما أمرت به على سواء أي على بيان منه لكم (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) أي ما أدري أقريب أم بعيد ما وعدتم من العذاب (إنه يعلم الجهر من القول) أي ما ظهر منه (ويعلم ما تكتمون) أي ما تسرون في أنفسكم (وإن أدري لعله فتنة لكم) أي ما أدري لعل تأخير العذاب عنكم فتنة لكم (ومتاع إلى حين) أي تمتيع لكم الى حين انقضاء آجالكم (قال رب احكم بالحق) قرأ حفص بالالف على الخبر وقرأ الآخرون بضم الميم على الدعاء (وربنا المستعان على ما تصفون) أي على ما تكذبون من الشرك والولد

(وكنا بكل شيء عالمين) فنعلم كيف نسخر الريح لسليمان (ومن الشياطين من يغوصون له) في البحر فيستخرجون اللؤلؤ وغيره (ويعملون عملا دون ذلك) من البناء وغيره (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره (وأيوب) أي واذكر أيوب (اذ نادى ربه أني مسني الضر) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (وأنت أرحم الراحمين) أي أرحم بي من كل رحيم (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) قال وهب بن منبه ابتلي أيوب سبع سنين وأشهرا وقال ابن اسحاق ثلاث سنين وقال الكلبي سبعة أعوام وستة أشهر وقال مقاتل ثلاث سنين وستة أشهر وقال عطاء بن أبي رباح ثلاث سنين وستة أيام وقال عبد الله بن شداد ابتلي أيوب سبعة أيام وقال ابن عباس ابتلي أيوب بالبلاء ثمانية عشر سنة فرفضه القريب والبعيد غير رجلين من اخوانه كانا يغشيان منزله فقال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه منذ ثمانية عشر سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر له ما قال صاحبه فقال أيوب لا أدري ما تقولان غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله الا في حق وكان يخرج الى حاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان يوم من تلك الايام أبطأ عليها فأوحى الله تعالى اليه في مكانه (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فتلقته على تلك الحال فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على وجهه ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أنا هو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وقيل بعث الله جرادا من ذهب فجعل يثب اليه فجمع في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن عباس رد الله عليه أهله بأعيانهم وأحيا أولادهم الذين ماتوا وأعطاه مثلهم معهم وقال وهب بن منبه أحيا له أهله ومثلهم معهم وقال الكلبي آتاه مثلهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة وقال مقاتل آتاه مثلهم من نسلهم (رحمة من عندنا) أي فعلنا ذلك به رحمة (وذكرى للعابدين) أي عظة للعابدين (وذا الكفل) قال ابن عباس هو نبي من الانبياء ليس بذكر في القرآن الا في هذا الموضع وقال مجاهد كان رجلا صالحا وليس بنبي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله اليسع لما كبر قال لو أني استخلفت رجلا على الناس فرأوا كيف صلاته فيهم ثم جئتهم بعد ما أتيتهم بعد ما أتيتهم لعلي أن أزيدهم خيرا فجمع الناس فقال من يقوم مقامي فيكون معي في الجنة فقام عابد شاب فقال أنا فرده ثم قال من يقوم مقامي فيكون معي في الجنة فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال نعم أنت فاستخلفه فكان يصلي بالناس النهار ويقضي بينهم بالحق ثم يذهب فيقيل ثم يرجع فيقضي بينهم بالحق ثم يذهب فيقيل فسمي ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به (وكل من الصابرين) على البلاء (وأدخلناهم في رحمتنا) أي النبوة (انهم من الصالحين) ﴿ قوله عز وجل (وذا النون) أي واذكر ذا النون وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) أي مراغما لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف أي نضيق عليه ونقضي عليه بالعقوبة قال ابن عباس ظن أن لن نعاقبه بذنبه وقال الحسن ظن أن لن نحبسه وقال الضحاك ظن أن لن نقضي عليه بما قضينا عليه وقال سعيد بن جبير ظن أن لن نفعل به ما فعلنا بمن قبله من الانبياء اذا خرجوا من بين أظهر قومهم عذبوا فخرج مغاضبا لربه مخافة أن يعذب (فنادى في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت سبحانك) تنزيها لك أن يعجزك شيء (إني كنت من الظالمين) بخروجي من بين أظهر قومي بغير أمرك (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) من بطن الحوت (وكذلك ننجي المؤمنين) ﴿ قوله عز وجل (وزكريا) أي واذكر زكريا (اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) أي وحيدا لا ولد لي (وأنت خير الوارثين) أي خير من بقي بعد فناء الخلق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) قال ابن عباس كانت عاقرا لا تلد فجعلها الله ولودا وقال كعب كانت سيئة الخلق فجعلها الله حسنة الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) أي يبادرون الى الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي رغبة ورهبة (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين متذللين (والتي أحصنت فرجها) أي واذكر التي منعت فرجها من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت عيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أي دلالة على قدرتنا وعلى توحيدنا وعلى صدق أنبيائنا ﴿ قوله عز وجل (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أي ان هذا الذي أنتم عليه من التوحيد والايمان بالله دين جميع الانبياء وهو دين واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي تفرقوا في دينهم فصاروا فرقا وأحزابا (كل إلينا راجعون) أي بالبعث (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ثوابه بل يشكر ويجازى عليه أحسن الجزاء (وإنا له كاتبون) أي لعمله حافظون ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية) أي وممتنع على أهل قرية (أهلكناها) بالعذاب (أنهم لا يرجعون) أي لا يرجعون الى الدنيا قبل يوم القيامة وقيل لا يرجعون عن الكفر الى التوبة وقيل لا يرجعون الى التكليف (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قرأ ابن عامر وحفص فتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد (وهم من كل حدب ينسلون) أي يخرجون من كل مكان مرتفع وقيل من كل أكمة وقيل من كل نشز من الارض وقيل من كل موضع وهو قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) أي القيامة (فإذا هي شاخصة) أي قائمة (أبصار الذين كفروا) أي تشخص أبصارهم من الفزع فلا تطرف (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) أي في الدنيا (بل كنا ظالمين) أي بالشرك (إنكم وما تعبدون من دون الله) من الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها وقيل ما يرمى به في النار (أنتم لها واردون) أي داخلون (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) أي ما دخلوا النار (وكل فيها خالدون) أي الآلهة والعابدون (لهم فيها زفير) أي أنين وشهيق (وهم فيها لا يسمعون) أي لشدة ما هم فيه من العذاب (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي السعادة في الذكر الاول (أولئك عنها مبعدون) أي عن النار (لا يسمعون حسيسها) أي صوتها اذا دخلوا الجنة (وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون) ﴿ قوله عز وجل (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس هو النفخة الثانية وقال الحسن هو حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وقيل حين يطبق على أهل النار (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم على أبواب الجنة (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (يوم نطوي السماء) أي نذهبها ونفنيها (كطي السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة وقال مجاهد السجل الكاتب وقال الكلبي السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد فاذا صعد بالكتاب طويت صحيفته (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما خلقناهم أول مرة كذلك نعيدهم يوم القيامة (وعدا علينا) أي وعدنا ذلك وعدا (إنا كنا فاعلين) ﴿ قوله عز وجل (ولقد كتبنا في الزبور) قال ابن عباس الزبور كتاب داود وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر (من بعد الذكر) أي من بعد اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قال ابن عباس يعني أرض الجنة وقال مجاهد هي الأرض المقدسة وقال الضحاك هي أرض الدنيا يرثها المؤمنون (إن في هذا) أي القرآن (لبلاغا) أي كفاية (لقوم عابدين) أي مطيعين ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال ابن عباس من تبعك منهم كتب له الرحمة والكرامة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعك عوفي مما أصاب الامم من الخسف والمسخ والقذف (قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) أي ما يوحى إلي شيء الا التوحيد (فهل أنتم مسلمون) أي مخلصون (فإن تولوا) عن الايمان (فقل آذنتكم على سواء) أي أعلمتكم ما أمرت به على سواء أي على بيان منه لكم (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) أي ما أدري أقريب أم بعيد ما وعدتم من العذاب (إنه يعلم الجهر من القول) أي ما ظهر منه (ويعلم ما تكتمون) أي ما تسرون في أنفسكم (وإن أدري لعله فتنة لكم) أي ما أدري لعل تأخير العذاب عنكم فتنة لكم (ومتاع إلى حين) أي تمتيع لكم الى حين انقضاء آجالكم (قال رب احكم بالحق) قرأ حفص بالالف على الخبر وقرأ الآخرون بضم الميم على الدعاء (وربنا المستعان على ما تصفون) أي على ما تكذبون من الشرك والولد

وذلك لانها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم تعود الى مبركها بالشام (وكنا كل شئ عالمين) أي بعظمة الله وقدرته وعلمنا ان ما أعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه سخر له الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امر أعراه عليها كان يغدو عن العرو لا يسمع في ناحيتين من الارض ثلث الا أتاه حتى يدله وكان يسير وان اذا أراد العرو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحملته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فرمت به شهرا في روحته وشهرا في عدوته الى حيث أراد وكانت تسير بعسكره الريح الرخاء والمرزعة تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان بساطا لسليمان كان يحمل مكون فرسخ من أصحابه سليمان اما من الانس أو من الجن من يراه ما يشاء ومن أوحشه اتاه عدوا من اصطخر ما اه ونحن راتحون منه ان شاء الله فيقولون بالشام وقال مقاتل تحت البساط لسليمان بساط من ذهب فرسخ في فرسخ فكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلثمائة ألف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما سأل نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقرها الا خمسين منها وأمر الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من اصطخر فيقيل بكابل ثم يروح منها فيكون رواحه بفارس وروي ان سليمان سار من أرض العراق فنزل عند مدينة يقال لها مهرجانقذق فأقام بها ثلاثة أيام ثم حملوا رحالهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف ذات يمين مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وهي أرض مهرة فمر منها الى مكران وكرمان ثم حاذاها حتى أتى أرض فارس فمر بها ولم يمر بها قبل ذلك بعسكره ثم راح الى الشام وكان مسيره في ذلك شهرا وكان أمر الشياطين أن يغوصوا له في العراق فيستخرجوا له الصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) اي يدخلون تحت الماء فيستخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اخراج الصناع البحر كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية ويحاورون في ذلك الى اعمال المدن والقصور والصناعات كالحدادة وضرب الصلبان وغير ذلك (وكنا لهم حافظين) اي حتى لا يخرجوا عن أمره ويعمل حفظنا اياهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ من عمله قبل الليل أفسده وحتى لو قبل ان سليمان كان اذا تعب منا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عملك قبل الليل أفسده لتعمل آخرا لا فسد ما عمل وتحرمه قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه) أي دعا ربه

(ذكر قصة أيوب عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن ازرح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه وآتاه النبوة وبسط له الدنيا وكانت له الثنية من أرض البلقاء من أعمال حوران مع أرض السواد كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر الغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل فضله في العدد والكثرة وكان له جسمانية غلام فيها جميعا عبيدا كل عبد منهم أهل وولد ومال ويحمل له آلة كل غلام من أولئك الثلثمائة من الولدان أولاده وأربع أولاد وهو ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا ومالا وخولا وكان براه رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويحمل اين السبيل وكان شاكرا لانعم الله ودنيا

(وكنا كل شئ عالمين) وقد أحاط علمنا كل شئ فسخرنا الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بأمره لاستخراج الدر وما تكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء الحارات والتماثيل والقصور والصدور والجفان (وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يفسدوا أو يوجشهم فيفسدهم (وأيوب) أي واذكر أيوب (اذ نادى ربه)

خلق الله فلما سمع من عدو الله ابليس ان نصب سمعه ما نصب من أهل النهي من العزة والعظمة والتشاغل عن أمر الله عما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل النهي يقال له العمر ورجل نفر ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صاقر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لا يخفى عنه شيء من السموات وكان قعيدهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تحاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وابتلي عليه فأدرك ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهي تطرف في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا لا يصبح الا شاكرا ولا يمسي الا شاكرا ولا يطعم طعاما الا شاكرا ولا يلبس ثوبا الا شاكرا ولا يمس خيرا الا شاكرا ولا يدفع عنه سوء الا شاكرا ولا يسأل شيئا الا شاكرا ولا يفرغ عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانغض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الانس وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والعسة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء آتي عليه فقال ابليس اذهب فذاك الا لي ورعاتها فاتى الا لي حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى نارت تحت الارض اعصار من نار فاحرق الا لي ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صور رجال ممن كانوا يعلمونها على تعود الى أيوب وحده فاتاه وهو يصلي فقال يا أيوب أتاك نار حتى عشت الا لك وأحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب لعدو الله فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطاها وهو أخذها وانها لمال الله اعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها قال فبركت الا بل مهوية بحوبها مهامهم من تعول ما كان أيوب تعد سناما وما كان الا في عز وروعهم من تعول لو كان اله أيوب يقدر على ان يصنع شيئا لمنع ولنصر تعولهم من تعول بل هو الذي فعل ما فعل لنسمعنه عدوه ونفجع صدقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس لي أن تضرح حين اعارك وتخرج حين قبض عاريته الله أولى لي وما أعطاك ولو علم الله فيك خيرا لعجل بها العبد خير العمل وجعل مع تلك الارواح وضرب سهما ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى أصحابه حاسدا لئيما فقال ما عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبا قال عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صحة لا يسمعها ذو روح الا خر صريحا وجعه قال ابليس فاتى الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجعلت أوتاد من عند آخرها وما يرعاها فاذا ابليس قد ملأ مهرمان الرعاة الى أيوب وحده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ما عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبا قال عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت تحولت رجلا فصعدت في السماء فكنت في الحرث والزرع فانطلق نوبهم وذلك حين يرعى الحدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هجم عليهم فصاح صيحة لا يبقى شيء الا هرب فجاء ابليس بذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس مهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصعد ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه وروى عنه بالعصاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم يجتمع منه شيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي وقف فيه وقال الهي أن أيوب يرى انك ما منعته ولده وانت معطه المال فهل انت مسلطي على ولده فقام المصيبة التي لا تقوم لها الجبال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانغض عدو الله حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل حدره يضرب بعضها بعضا برمتهم بالحسك والحجارة فلما انتهى اليهم كلمهم فلما رفع القصر وقلبه عليهم وصار رأسا مكبوسا وانطلق الى أيوب من الانا بالمصاب الذي كان بعلمهم الحكمة وهو جريح مسدوح الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عدوا وكيف اعتلوا مكبوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف سقط

بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لم يقطع قائل علمهم فلم يزل يقول هذا وهو حتى رد أيوب عليه نفسه فنهض فنفض التراب عن وجهه فجاء على رأسه وقال يا أيوب أما لم أغنك فاعتبر بالناس دلالة فصعد سريعا الذي كان من خروج أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن عاد وأبصر واستعبر فصعد فرآه من الملائكة ما شاء الله وهو أعلم فوقف الناس حاسدا ليلا وقال إلهي إنما هوّن علي أيوب المال والولد إنه يرى أنه سيعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فعال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وعلمه وعقله وكتاب الله أعلم به ولم تسلطه عليه الا رحمة علمه له الثواب وجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم فأسوأه في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله الناس سريعا إليه فوجد أيوب ساجدا فجعل كلما أن يرفع رأسه فاه من قبل وجهه فجعل يحكه بأظفاره حتى سقط كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى ما عها ثم حكها بالحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح جميعه وتقطع ونتن وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه حتى الله كلهم غير امرأته وهي رحيمة ابنة افراثيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تغشى إليه كما تصلحه وتأتيه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما لا طاقة لهم به انهزموا ورفضوه من غير أن يتركوا له شيئا طالبا له إلا انطلق إليه أصحابه فبكوا ولاموه وقالوا تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضرهم في حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم العي أنكم كلكم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن بركم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتهكتم وحرمة من أنتهكتم ومن الرجل الذي عبتموه وأنهمتموه ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض إلى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم تطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره قد آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله عز وجل في طول ما ابتلاه به إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علم أن الله تعالى يبتلي المؤمن والصديق والشهداء والصالحين وليس بلاؤه إلا دليلا على سخطه عليهم ولا الهوان بهم عليه ولكنها كرامته وخيرته لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا الذي أحببتموه على وجه العجلة لكان لا يحمل بالحلم أن يعدل إحاءة البلاء ولا يغيره بالصبر ولا أنه بما لا تعلمون وهو مكروب حزين ولكنه يرجو ويبكي ويسأله ويتضرع إليه ويدله على مراشد أمره وليس يحكم ولا يرشد من جهل هذا فاعلموا أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر أيوب ما قطع ألسنتكم وتكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله إذا أسخط تهم الحسنة من غيري ولا تكم وإنهم لهم الصحاء الملاء الا البلاء العالون بالله ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله قطع ألسنتهم وأسعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم فأعطاهم الأمر الله وأجلالا فإذا أسمعوا إلى ذلك أسمعوا إلى الله بالأعمال الزاكية بعد وأنفسهم من الظالمين والخاطئين وإنهم لأبرار رأوا مع المعصرين المفرطين وإنهم لأكياس فهو بما قال أيوب عليه السلام إن الله يرزع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فإذا نبت في القلب نطقها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل اللسان ولا طول الخبرة وإذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم يسخط له عبدا حكيما وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أنا موبخ عصابا رهبتم قبل أن تسيروا وتكلموا فمثل أن تصبروا كما في لو طلب تصدوا عني أموالكم لعل الله أن يخلصني أو فروا عني فرارا لعل الله أن يرحمني عني وإنكم قد أخسكم أنفسكم وطننتم أنكم قد عدوتم بأحسانكم ولو نظرتم فيما أتيتم وتبرأتم صدقتم لوجدتم أنكم قد باعدتم الله تعالى بالعافية التي لبستكم وقد كنتم حاسدا لا تودوني وأنا مسموع كلامي معروف حقي مصغى من حصمي فأصحب اليوم وليس لي رأي ولا

كلام معكم وأنتم كنتم أشد علي من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه
فقال يارب إلاي إني خلقتني لسبي اذكرتني لم تحاسبني بالشيء عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت
فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أتيتني يا مالك فأوبخك كان أجمل بي أن لا أكون للعرب دارا
وللمساكين دارا وللمتيم وليا وللأرملة معينا الهي اما علمت دلسل ان أحسنت قالت الناس أساء دلسل
عموبي حملني البلاء غرسا ولفسة حصادا وقع علي من الالام والوساطة على حمل الضعف عن حمله فكيف
تحمله صبري وان صاعقك هو الذي أدلى وان سلطانك هو الذي أسقمني واعمل جسمي ولو انني رفعت
الهمة الى في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم عمل عني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأحاصم عن نفسي
لرجوت ان تعافيني عبدك لك عيناي ولكنه العافي وتعالى عني فهو يراني ولا أراه يسمعني ولا أسمعه فلما قال
ذلك أيوب وأصحابه عبدة أطلق عليهم حتى طمى أصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله يقول لها أنا مددت
له ولم أزل له قريبا فهم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وحاصم عن نفسك واسدد ازرك وهم معاهم حمار
تحاصم حمارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان تحاصمني الا ما أمرني لعذرك نفسك يا أيوب أمرا ما يبلغ لك
مثلك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي عند ما طرقتها هل علمت ما مقدار
قدرها أم على اي وضعت اكنافها أنت عملت حمل الماء الارض أم تحكمك كانت الارض للماء عطاء
أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق نسامي من فوقها ولا يعلمها دعم من تحتها هل بلغ من
حكمتك ان تحري نورها أو تسير نحوها أو تحلف بأمرك لليلها ونهارها ان كنت مني يوم أسعت الانهار
وسكبت البحار اسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك شققت الارحام حين بلغت مدتها
أين كنت مني يوم صببت الماء على الثرى وصببت سوامح الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال
وزنتها أم هل لك من ذراع نطاولها أم هل تدري من اين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من
أي سي انسياب السحاب أم هل تدري أين حوابه الى ام أين حبال البرد ام اين حوابه الليل بالنهار وحوابه
النهار بالليل وأين حوابه الريح وما يعمل كلام الانهار ومن حمل العقول في احواف الرحال وسوق
الاسماع والابصار ومن دلك اللاتكما لكه وقهر الجبار من بحوره وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير
يدل على آثار قدرته ذكرها الايوب فقال أيوب صعر سأني وكل لساني وعملي ورأيي وضعف مني عن هذا
الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك
واعجب لو سألت عما لا تعرفني ولا تحصي عما لا تشاهدني الهي اوحى الملائكة كلامك ولم املك بحسي
فكان الالاء هو الذي اطمى لب الارض اسمعت بي قدمك فيها ولم اكلم بسي سمعك لتريني ولسني سمعك
تعمى في اسدلائه ل دلك اعا كلامك حين كلامت عبدي وسكت حين سكت لترحمني كلمرتني وان
أعود وقد وضعت يدي على في وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعود لك اليوم لك واستجير
بك من جهد البلاء فاجرني واسعفني بك عما لا طاقة لي واسعفك على أمري فاعفني واتوكل عليك
فاكفني واعلم لك فاعصمني واسأل عفرك فاغفر لي فلي اعود لسبي ذكرهمني قال الله تعالى يا أيوب بعد
ذلك علي وسألت رحمتي عصمتي فقد غفرت لك وردد ت على اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
آية ويكون عبرة لاهل الالاء وعراء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل باردو شراب فمه تداول وقرب عن
أصحابك قربانا واسأل عفرلهم فانهم قد عصوني فيك روي عن أنس رفعه ان أيوب لم تسلا به عيناي عشرة
سنة وقال وهب بلاء سبع سنين لم يردوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة
بني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدود لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وكانت تأتيه
بالطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصبر ابليس
صبرته جميع فيها وقد من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أجزلك قال اعطاني هذا الغني الذي لم
أدع له مالا ولا ولدا ولم يرد الا صبرا ثم سلط علي جسده فمزقه فرحمه فلما على كناسة لا تعرفه الا امرأته

وأستعينكم لتعينوني عليه فقالوا له فاس مكرك الذي أهلكت به من سعى قال تعالى ذلك كيدهن أوب
فاشير واعلي فقالوا له أين أنت آدم من أخرجته من الجنة قال ليس مثل امرأته فقالوا فإنا نأتيك بأوب مثل
امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها قال أصنع فانطلق الناس حتى أتوا رحمة امرأة
أوب وهي تصدق فعمل لها في صوره رحل وقال لها أين نزلت يا أمة الله قالت هو ذاك تحت مروحه ويرد
الريح في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كما وصف له وسوس إليها وذكرها ما كان فيه من النعم
والمال وذكرها جمال أوب وسلطانه وما هو فيه من الصبر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرحت فعلم أنها قد
خدعت فأتاها فسحله وقال لندعن لي هذه أوب وبرأ منها فصرحت بأوب حتى بعد الدار بأن المال
أين الولد أين الصديق أين لون الجسد أين حسن الجسد ادع هذه السحلة واسترح قال أوب أبالك عدو
الله وصنع فيلويك أرأيت إن كنت علمت من المال والولد والصحة من أعطاه قال الله قال كذبت إنه قال
تبارك اسمه قال فتذكر إذ أنا قال مد سبع سنين واسهر قال ويلك ما أصبرك ألا صبرت في الثلاث
عامين سنة كما كان في الرخاء عامين سنة والله ليس يعافي الله لأحد بلسانه حتى يأمرني أن أدع له فإن الله
طعامك وشرابك الذي تأتي به على حرام إن أدوي منه شيئا أعرني دعني فلا أراك فطردها فذهبت فلما
نظر أوب وليس عنده طعام ولا شراب لا صدق حر ساعة الله وقال رب (إني مسني الضر وأنت أرحم
الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم
يبق عليه من دوره داء إلا ظاهر الاسقط وعاد إليه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت
أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان
عليه وما كان له من أهل ومال إلا وقد ضعفه الله له وذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه وقع على صدره جرادا
من ذهب فجعل يضمه فناداه ربه ألم أوب ألم أجعلك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال شرح
حتى جاس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت لو أتاك إنسان كان طردني إلى من أكله أدعه فيوب جوعا وتضع
ما كلها السباع لا رحمن الله فرحمت الله فلما الكداس وأتى الحلة التي كانت تعرف إذا الأرض قد
تغيرت فجعلت تطوف حسب كانت الكداس وتبكي وذلك تعني أوبا وهو صاحب الحلة أن الله سأله
عن أوب دعاها وهو أعلم به فقال أوب ما كان به لك يا ربك وقالت أردت ذلك المال الذي كان مسودا على الكداس
لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أوب ما كان به لك يا ربك وقالت بلى يا ربك فقال هل رفعه إذا رأيته وقالت
نعم فقال أوب فإني أحدرآ ثم جعلت تطوف حسب كانت تطوف وهي تبكي فقال لها أوب ما يبكيك يا رحمة
فقالت أما إنه أشبه شيء بك لما كان صحيحا قال فإني أنا
أوب الذي أمرني أن أدعو بهذه الدعوات فأستجيب لي وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين
وقال وهب لبث أوب في البلاء سبع سنين فلما عاد أوب إلى ولم يستطع أن يعرض امرأته في هيئة
ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم ورجلان فقال
لها أي صاحبة أوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفين قالت لا قال أما والله الذي صنع
بصاحبك ما صنع لقد رد الله السماء وبركتي فأعطى ولو شاء لرد على واحدة ردد عليك وعلى كل
ما كان لك من مال وولد فإنه عندي ثم أراها أنه بطن الوادي الذي لهما فيه وفي بعض الكتب أن الله
قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد فانطلق راعي رحل فرحمت إلى أوب فأخبرته بما قال
لها وما أراها قال لعن الله عدو الله لقد سلك بي كل سبيل ثم أقسم إن عافاه الله الصرنهما ما خلد وقال عند ذلك
مسني الضر من طمع الناس في سجود حرمني له ودعاءهم إياها وإياي إلى الكفر ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أوب فصبرها فعطف على البلاء وخف عنها وأراد أن يعرض أوب فأمره أن يأخذ ضغثا فيضرب به ضربة واحدة
فبر بيمينه ما صالحها عليه والباقي أن امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوائبها فأتته بطعام

(أني) أي دعا بأني (مسني الضر) الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في الجسم من مرض أو هزال (وأنت أرحم الراحمين) ألطف في السؤال حيث لم يذكر بصريح ما طلب من الرحمة وذكر ربه بعنايته الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن أنس رضي الله عنه أحد عن صفته حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يستطع أن يسكن فيصلي له إلا وحده فإنه صار نعم العبد وصل إنما سكن إليه لما رأى أنه لا يستطيع القيام إلا وحده فصار إنما يسكن والسكون إليه عابه الله به كما أن السكون إلى غيره عابه الله

والثالث قول ابليس اني أدانيه على أن يقول أنت شفيني وقيل مسني الضر أي شماتة الاعداء حتى روي انه قال له بعد ما عوفي ما كان أشد على في ثلاث قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر السكوى والخرع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب فلت ليس هذا سكاية وانما هو دعاء مدليل قوله تعالى فاستجبنا له والسكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله وقال سعيد بن جبير مما أظهر السكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقال لعائشة حميراء قالت وا رأساه قال أما وارأساه لي أنا وارأساه ﴿قوله تعالى (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فعاد صحيحا ثم مشى أربعين ذراعا ثم ضرب برجله الارض مرة أخرى فعاد صحيحا ثم ضرب برجله الارض مرة أخرى فعاد صحيحا ثم ضرب برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء بارد فاغتسل منها

اسهم فأصابت قوم فأقرعوا أيهم يلقون فعطفت حوتهم فالتقمتهم فانطلق فأتى قومه فقال ما حبسك قال ذنب عجلت فيه قال

سافان قلت قد تسلم جواب من هذه الصفة من أخطر وقوع الدنس من الانبياء فيها فوله أحدهما معاصا ومنها فعلم أن لى بعد وعلى ومنها قوله الى كنت من الظالمين فلت أما الخواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعه هل كانت قبل الرساله أم لا فعال ابن عباس كانت بعد ان أوحى الله تعالى أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وثبت بهذا أن هذه الواقعه كانت بعد الرسالة وعد أخار بعضهم عليهم الصغائر قبل الرسالة وهو هنا بعد الرسالة وهو الصحيح وأما الخواب المفصلى لقوله أحدهما معاصا فحمله على انه لقومه أولى لحال الانبياء وأما قوله تعالى أن لى بقدرنا معناه قدم أى لى بضيق على ودليلك أن يونس ظن انه يخبران ساعة أقام وان ساعة خرج وان الله تعالى لا يضيق على أحد ذلك وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله الى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه من قومه بغير اذن ربه أو لصعبه عما حمله أولدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقوله فى كانت رسالته فى هذه الواقعه دليل على قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فعلى هذا تكون الخواب عن هذه الواقعه مما تقدم من التفصيل والله أعلم ۞ قوله عز وجل (وزكريا اذ نادى ربه) أى دعا ربه تعالى (رب لا تذرنى فردا) اى وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارثا لى (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التوسل الى المحاورة وكقوله وانت خير الراحمين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أى ولدا (وأصلحنا له زوجه) اى جعلناها صالحة للولادة بعد العقر أى (٢٧٥) بعد عقرها وحسنة وكانت سيئة الخلق (انهم) أى الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون فى الخيرات) اى انهم كانوا يسارعون الى طلبها لما درتهم أنواع الخير ويسارعون فى تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى طمعا وخوفا كقوله تعالى الا خوفا وطمعا رغبا ورهبا وهما مصدران فى موضع الحال او المفعول له أى لرغبته فيما يرجوه مما (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتى) أى واذكر التى (أحصنت فرجها) حفظت من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام فى بطنها واضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) معجزة بان (للعالمين) واعلم ان قوله آية كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما مجموعهما آية واحدة هى ولادتها اياه من غير فحل او المعنى وجعلنا كل واحد منهما آية كذلك فآية مفعول ثان لمحذوف دل عليه ما قبله من قوله آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) الامة الملة وهذا اشارة الى ملة الاسلام وهى ملة جميع الانبياء فهو امة واحدة حال أى محدودين عبيد مربوبين والعامل ما دل عليه اسم الاشارة أى ان ملة الاسلام هى ملتكم التى يجب ان تكونوا عليها لا تختلفون عنها بالتفرق فيها له واحد غيرى فلا (وأنا ربكم فاعبدون) أى وحدونى بالعبادة واخلصوا لى دون سكر واوثانكم والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعوا أمرهم بينهم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم الذى امروا بالاجتماع عليه فرقا وأحزابا لم يجتمعوا على شىء ثم توعدهم بان هؤلاء المختلفين كل الى راجعون) فمجازيهم على أعمالهم (فمن

نعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقبل الشكر من الله الجزاء والكفران ترك الجزاء ۞ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ۞ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) وقد صح السد وذلك ان الله تعالى أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما اثنان قال ابن عباس رضي الله عنهما أعسار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح لدليل ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رميته الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة الشرقية بدمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويباركل في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم وكل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم * (هذا لفظ الحديث) * قوله حتى ظننا في طائفة النخل أي ناحية النخل وحائطها والطائفة من الشيء القطعة منه والخفض الذي هو ضد الرفع أي خفض صوته ورفعه يريد ما تكلم به في أمر ونزل به من أمر هو بسببه ورفع من شأنه والنحو من أمره قوله انه شاب

(قوله ينسلون) يسرعون الانسلال أي الاسراع (قوله) سرعت

قطط

(واقترب الوعد الحق) أي القيامة جواب اذا (فاذا هي) وهي اذا المفاجأة (شاخصة أبصار الذين كفروا) أي مرتفعة لا تكاد تطرف من هول ما هم (٢٧٧) فيه (ياويلنا) منقلب محذوف بعد قوله

يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام والشياطين وأعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم في حكم عبادتهم (حصب) حطب وفي حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وكآبة وحزن (وهم فيها لا يسمعون) سماع انتفاع صاروا صما وفي السماع نوع أنس فلم يعطوا (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة الحصلة في الحسن بأدب الاحسن وهي السعادة أو السبق بالثواب أو الوفق للطاعة برلت حين قالوا للرسول انما نعبد عزيرا والملائكة والمسيح وهو عليه السلام على ما يدعيه النصارى عبد لله ورسوله (انكم وما تعبدون من دون الله) الى قوله خالدون ليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وهو

فقط أي حمد الشرور وله طائفة أي جار حمة عن حمدها هو له انه طارح حلة أي أنه يحرج قصدا وطريقا بين حمدين والحلل الدخول في الشيء وله تعالى أي أسعد وله أقدر والله قدره أي قدر واقدر يوم من أيامكم المعهود وهو اليوم الذي أوجده وله درج طعامهم سار حمهم أي واشبهم وقوله مصحوبين تعلمان أي متحابين مداً حدب أرضهم وعلب أسعارهم وله كعاسب الحل جمع عسوب وهو فحل النحل ورئيسها وله وطعموا من رسمه العرض أي طعمي والعرض الهدف الذي يرمى بالنشاب وله بين مهرودتين رو ب بالدال المهملة والمعجمة أي سمين وهو سل حلس وهو الهر دالصحيح الاحمر بالورس والزعفران وله لا يدان لاحد بمسالهم أي لا قدرة ولا قوة لاحد بمسالهم والعفدود يكون في أنوف الابل والنعم فرسي جمع فرس وهو الحمل وله رهمهم أي برحمهم المسنة وله كالرامة أي كالرآمة جمعها رامات و يروى بالعاف وأراد به اسوداها وبطاقها وله تأكل العصابة أي الجماعة من الناس وقحف الرمانة في الحديث كسرها والرسل بكسر الراء اللبن واللحمة الناقة الحلوب والطعام الجامع من الناس والعدد دون العشرة وله نهار حوب أي تحلوب والنهار حوب الاحلاف وأصله الاثم * (الوجه الثاني) * في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يحشرون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ﴿ قوله عز وجل (واقترب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة بن اسيد الغفاري قلنا يا رسول الله ما نذكر (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا جاءت شخصت أبصار الذين كفروا لما رأوا الاهوال ولا يكاد يطرف من هول ذلك اليوم و يقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقيل انه عز وجل (بل كنا ظالمين) اي في وضعنا العبادة في غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) اي حطبها ووقودها وقيل ترمى بهم في النار كما يرمى بالحصا وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي مداخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل الاصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يملأ الرجل صدره عند شدة نفس وقيل هو شدة ما بهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون ﴿ أولا ترى أحدهم ان في النار أحدا بعذب غيره ﴿ قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هذا يعني الا أي الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعفو الحاصلة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادته من بعد كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وهناك نفر من قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما يعرض له الصريخ الحرب فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخصمهم بلا عبادتكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فاخبروا الوليد بن المغيرة فقال لهم

ما تح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لا تعقل الا انهم اهل عبادة من بني آدم (اولئك) يعني عزيرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى سبق الموعد بالسعادة في الآخرة وهو قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال ابن عباس رضي الله عنهم في هذه الآية هم أمامهم

لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا يوم ثوابكم الذي وعدكم به في الدنيا بالعمل في (يوم نطوي السماء) لا يحزنهم أو لمعناهم تطوى السماء بعد وطيها كطي السجل وهو صحيفة يكتب فيها أو هو صحف الشر يجمعها ويطويها (كطي السجل) أي الصحيفة (للكتب) أي لما يكتب فيها من حفظ وعلى وحفص أي للملك وبالجمع أي لما يكتب فيها من (٢٧٨) المعاني الكثيرة وعرفهم للكتاب أي كما يطوى الطومار الكتابة أي لما كتب فيه فعلان الكتاب أصله المصدر كالبطان ثم يوضع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا بمعنى المكتوب فيها والطي مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كما بدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بمحذوف تقديره نعيده اعادة مثل بدئنا وما موصولة أي نعيده مثل الذي بدأنا به وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من مفعوله أي لا فرق بين البادئ والمعيد في المعنى وأول الخلق انجاد أي وجوده كما أوجدناه ولانعيده ما ابتدأناه في تأول العسر لهما على السواء والذكير في خلق محمول له في قوله هو أول رجل جاءني يريد أول الرجال ولكل وجهة هو موليها يريد وجهة ارادها فحذف لهم ويجوز رجوع الضمير لكل أي ولكل أمة وقت تبعث فيه وقيل معنى أول خلق كذلك معنى أول الخلق على أن الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده للاعادة (علينا) أي حقا واجبا لا خلف فيه (انا كنا فاعلين) ذلك أي نجعل هذا الوعد قاعدة عندنا وعد بالاصالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتب أردفها السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أي الشام (يرثها عبادي) ساكنوها المجتنبون عن الشرك (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب وبمعنى ما أنزل على الانبياء والذكر أم الكتاب التي في السماء لان كل كتاب أنزل بعد التوراة فهو مأخوذ منها وتخلف اسم الزبر على جمع الزبور بمعنى المزبور والارض أرض الجنة (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) كفاية لما فيه من المواعظ (لقوم عابدين) أي موحدين لانهم دون غيرهم من

رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى اني الزبيري أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعري اعبدت من دون الله حصب جهنم قال نعم فقال قد عبدت الملائكة وعبد عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وذكر نحوه فضاح بعبد بن الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم يعبدون الشياطين فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعري ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من ان تعقل وما لما لا تعقل (لا تسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت أنفسهم) أي من النعيم ولكرامة (خالدون) اي معذبون قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة وهم يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا قوله عز وجل (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد وقيل اسم الصحيفة والمعنى تطوى السماء كما تطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والمعنى نطوي السماء يوم القيامة (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأنا هم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال انها ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا قوله عز وجل (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عند الله ومن ذلك الكتاب نسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعده بمعنى قبل (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتاب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان أراضي الكفار يفتحها المسلمون بعد أن حكم الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لقوم عابدين) المراد بالعباد في الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي موحدين لانهم دون غيرهم من

دون الله تعالى وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وسائر مصلي القبلة من أهل العالمين وقيل هم العاملون العاملون ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ﴾ قيل كان الناس أهل كفر وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمرهم لعلول مدتهم وانطماس آثار نبوة أنبيائهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى النور والصواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل نبي الهدى خاصة ظهور رحمته لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن من آمن ظهور رحمته له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن ظهور رحمته له في الدنيا أخر العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) اي عابدون لما يوحى الي من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد هو الامر أي أسلموا (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي اني وإياكم سوى في علم الاستواء بأنه دونكم لتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم لي وحسبي سوى بحيث لا يتميز في العلم به وقيل معناه استوائي وإياكم في الاعتقاد به وأعلمكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أي وما أعلم (أقريب ما توعدون) أي يوم القيامة (أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي لا يخفى عليه شيء منكم في علانيتكم وسركم (وان أدري لعله فتنة لكم) اي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم لنرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم (ومتاع الى حين) أي وما هو الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افصل بيني وبين من كذبني (بالحق) أي بالعذاب كأنه استعجل العذاب لهوله فقيل له يوم بدر قل عساه فصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للخلق ويوجب نصري عليهم والله حكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الزيف من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي في السر لك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قولوا يا رب احكم بالحق وقولوا وعدنا الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كلامه

﴿سورة الحج﴾

وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي عشر وسبعون آية والف وماتان واحدى وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شيء عظيم)

لا يحاط ولا أدري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) اي انه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم على ذلك (وان أدري لعله فتنة لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع لكم الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم بالحق) افصل بيني وبين أهل مكة بالعدل أو عاجلني عليهم من العذاب ولا تعلمهم وسدد علمهم كما قال واشدد وطأتك على مضر قالوا وهذا خاص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم بيننا وبين قومنا بالحق (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن كيسان كانوا يصفون الحال على خلاف ما هي عليه كانوا يتمنون أن تكون الشوكة لهم ارادوا كذب الله ظنهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما تصفون

﴿سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) امر ندب آدم بالموعظة بما علمهم من ذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) اضطرابها الى ذلك الصفة صارت هي وما فيها من الاهوال حتى ذهلوا على أنفسهم وتركوها بين سدائد ذلك اليوم بما أطارهم به من الهول فالناس الهوى الذي هو بهم من ذلك الافزاع والزلزلة سده الصدر والارتعاد واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز لما كان في الظرف ولابسها كقولهم نهاره صائم وليله قائم ويوم يكون يوم العذاب أو يوم القيامة وقيل هو من قولهم أولاد

القيامة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ولدها أو من الذي أرضعه وهو الطفل وفعل مرضعة لتدل على ان ذلك الهول اذا لحقت وهذا لحقته الرضيع تذهل عن فيمن الطفها اذ هشته اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمه ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها (٢٨٠) له (وتضع كل ذات حمل) أي حبلى (حملها) ولدها قبل تمامه من الخوف وتذهل المرضعة عن ولدها لعظم ما ترى تظنها لعظم تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على الشبه لما شاهد من اضطراب العقول وسلط عليها الخوف و مراده الكبرياء حتى قال كل بي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) لخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطيرة رهم ردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتدبيره وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى بها بالاماله حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان وروى انه لما انزل الله تعالى في عروة بن الاطنابي وعمر أهما النبي عليه السلام ولم ير أكربنا كانا من الليل (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال من الضمير في يجادل أي جاهلا (ويتبع) في جداله (كل شيطان مريد) أي متمرد الشر في السر وجه وجهان أحدهما انهم سائر الناس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه النضر وحده (كتب عليه) أي قضي على الشيطان (انه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية وجهان أحدهما ان المعنى كتب على الشيطان انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير والثاني كتب على من تولاه انه يضله ويهديه الى عذاب السعير (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) يعني ان ابتداء خلق آدم من تراب (ثم من نطفة) يعني ثم خلقنا ذريته من نطفة وهي الماء الذي يكون منه الولد (ثم من علقة) وهي الدم الجامد (ثم من مضغة) وهي اللحم الصغير قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس تام وغير تام وقيل حي وميت (لنبين لكم) بذلك كمال قدرتنا وصحة البعث (ونقر في الارحام ما نشاء) من الحمل (الى أجل مسمى) الى وقت الوضع (ثم نخرجكم طفلا) حال أي أطفالا (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال عقولكم وقوتكم وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة (ومنكم من يتوفى) قبل الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه وأدونه وهو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي ينسى ما علمه من قبل (وترى الارض هامدة) يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت بالماء (وأنبتت من كل زوج بهيج) من كل صنف حسن (ذلك) الذي ذكر من الخلق والبعث

الزلزلة سماه الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قلت هي من أشراط الساعة قبل وقيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة امامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وهو الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تسهل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد رضيع (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لعظم ما ترى تظنها لغير تمام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام على هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وهوله لا على حقيقته كما يقول أحدنا لامر شاب منه الوليد هذا يوم شديد (وترى الناس سكارى) على الشبه (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) وقرأ حمزة والكسائي سكرى في الحرفين وما هم بسكرى وقرأ الباقون بالالف فيهما وهما لغتان مثل عجلى وعجالى (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك وفي رواية والشر ليس إليك قال أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال رسول الله اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وفي رواية أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال شطر أهل الجنة فكبرنا فقط البخاري وفي حديث عمران بن حصين وعشرة من هذه الامة وفي رواية للامام أحمد عن عروة بن الاطنابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنحن والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم فلم نر أكربنا كان تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم ينزعوا الخطم ولم يطعموا الناس من نائل وحالس حرس من ذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فأبلس القوم حتى ما أنطق منهم بكلمة فقال لعلكم أن تكونوا منهم إنما بعث واحد من ألف ومعكم واحد ومن يأجوج ومأجوج ألف (قوله عز وجل) (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان منكرا البعث والقيامة فمن صار رأيا (ويتبع) أي في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) أي المتمرد الشر في السر وجه وجهان أحدهما انهم سائر الناس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه النضر وحده (كتب عليه) أي قضي على الشيطان (انه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية وجهان أحدهما ان المعنى كتب على الشيطان انه من تولاه فانه يضله ويهديه في ضلاله ثم الزم الله تعالى

على أو هي عامة في كل من تحاكم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مريد) عات متمرد في الشر ولا وقف على مريد لان ما بعده صفة له (كتب عليه) قضي على الشيطان (أنه) ان الامر والشأن وهو فاعل كتب (من تولاه) أي اتبع خطواته (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) النار وقال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتأكيد ورد بأن الشرط لا يعمل في شرطين وقال ابن كيسان الشرط الثاني بدل من الشرط الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهذا يؤدي الى الخلف لان الزم الله تعالى الشيطان اضلال من تولاه لا يمنع من توبة من تولاه ثم اهتدائه وقيل الضمير في كتب عليه للشأن والهاء في انه ضمير الشأن وانه يضله الخ تفسير للشأن وقيل الضمير في كتب عليه للشيطان والهاء في انه للشيطان وانه يضله الخ تفسير للشيطان وقيل الضمير في كتب عليه للشيطان والهاء في انه للشيطان وانه يضله الخ تفسير للشيطان وقيل الضمير في كتب عليه للشيطان والهاء في انه للشيطان وانه يضله الخ تفسير للشيطان

فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذرية من المني وأصلها الماء الدافق (ثم من علقة) أي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تام الخلق وغير تام الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي بان به الرأس واليد وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والاعضاء والقسم الثاني هو الناقص من هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم يكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب اذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي أرض تموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك لن تخلق نسمة الا كذلك فذهب فخلقها في أم الكتاب فلم تسقها ولا تزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴿وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم واستدلوا بقدرته في انشاء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما نحاجون اليه في المعاد وقيل لنبين لكم أن نصير المضغة الى الخلقة هو اختيار الصانع القادر على هذه الاشياء كي تكون عارفين الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء) اي لا نسقطه ولا نخرجه (الى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا واحدا وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) اي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) اي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يذهب من السن ما يعتريه عقله فلا يعقل شيئا كما كان في أول طفولته ضعف البنية عديم العقل قال الله ﴿تعالى مذكرا دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) اي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت ودل ذلك ان الارض ترفع النبات (وأنبتت) هو محال لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو السار للناظر ثم ان الله تعالى لما ذكر هذه الدلائل ونبه عليها ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكر ما ذلك لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا قدر على انشاء هذه الاشياء فكذلك يقدر على اعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان

حلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وعاشهم ومعاشهم وانما نعلمكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) هذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا ان من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم نطفة بادئا ولا يامتنع من التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادته مادة أخرى (ونقر) بالرفع عطفا على نخرجكم والمعنى نحن نقر (في الارحام ما نشاء) وقت (الى أجل مسمى) اي وقت الولادة وما لم نشأ نسقطه (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأراد به الجنس فلذلك جمع أو أريد به كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربيكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لا تستعمل لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخسه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي لكيلا يعلم أن

بعدما كان يعلمه قويا كيلا يشبه علمه بشيء ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) ميتة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وارتفعت (وأنبتت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار الناظرين اليه (ذلك) الذي ذكر (بان الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في ذلك من الدلالة على ان الحكم حاصل بها أو هو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر

(وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة وانبأ أنه يبعث من في القبور
(ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فيصفه بغير ما هو له وليست في أي سبيل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى
ما يعرفه (ولا كتاب منير) أي وحي والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) سال اي لاوي اعطافه متكبرا وجيلا
ومعنى الحسي ثاني عطفه بفتح العين أي مائل يعطفه الى عبره (الاصل) تعليل للمجادلة ليضل مكي وأبو بحر و (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا
خزي) أي الاصل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب النار مع (ذلك بما قدمت يداك) أي السبب في عذاب
النار هو ما قدمت يداه من الكفر والتكذيب وكني عنها بالمدلول الذي آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير
ذنب ولا يذنب غيره وهو عطف (٢٨٢) على عما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لامرانه بلغ الجمع وهو العبيد ولان ظلم الظالم

قادرا على جمع المكلفين (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من
الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وان الله يبعث الموتى حق ﴿ قوله تعالى (ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم) نعي النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا
كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لاوي جيده وعنقه متكبرا له كبر معرضا عما
يدعى اليه من الحق تكبرا (الاصل عن سبيل الله) اي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك (بما
قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي وبأن ظلمه لعبيده بتعذيبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد تصرف في
عبيده فحكمه عدل وهو غير ظالم ﴿ قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم
من الاعراب كانوا يقدمون المدينة فان صحت في سوائمهم وكثر تناسلها وولدت غلمانا قالوا ما على ديننا بأس
وان لم تصح ولدت غلمانا قالوا ما على ديننا بأس فنزلت هذه الآية فيهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف)
اي على شك من دينه وذلك هو الحائر بن الله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) اي على شك من دينه
حرف السين وهو طرفه مجاز من حرف الجبل والحائط الذي عبر عنه بالشك في الدين انه يعبد الله على
حرف لانه لم يدخل فيه على الاستمكان وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون
وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لكونوا على حرف وثبات هو الذي يعبد الله
لسانه دون قلبه (فان أصابه خير) اي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضي به وسكن اليه
(وان أصابته فتنة) اي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) اي ارتد ورجع على عقبه الى
الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) اي خسر في الدنيا العز والاكرام مولاه في ذمته وماله
مصونا وفي الآخرة الجنة اما كافر فيخسرهما جميعا (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعو من دون الله ما لا يضره) ان عصاه ولم يعبده (وما لا ينفعه) أي ان اطاعه وعبده (ذلك
هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) قال علي قد قال الله تعالى في الآية
الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا يناقض
فكيف الجمع بينهما فاعلم ان هذا يحصل المعنى دفع هذا الوهم ودلك ان الله تعالى قال في الآية الاولى ما لا يضره
اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي ضرر عبادته وقيل انهم لا يضرون ولا ينفعون بأنفسهما ولكن عبادتهما تسبب
الضرر ودلك لكون في اصابة الضرر الذي هو سؤال ان الله تعالى سمى الكافر حين عبادة الاصنام لا يضرون ولا ينفعون وهو

بعبده

قال ما أصابه من خير اطمأن به وان كان الامر بخلافه قال ما أصابه من شر
واعلم ان قوله (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد قدر له قراءة روح وزيد خسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا ما حصل فيها وفي
الآخرة ما حصل في النار (ذلك) اي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على احد (يدعو من دون الله) يعني الصنم
فانه بعد الرد عليه قال (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعو لمن ضره أقرب
من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام في هذه الآية واثبتهما لها في الآية الاخرى والجواب ان المعنى اذا فهم دفع هذا الوهم ودلك
ان الله تعالى سمى الكافر بما عبده وجاد لا ذلك ضرا ولا نفعا وهو بعبادته يعرض نفسه لان يوم القيامة يقول هذا الكافر عبدنا وصار سببا

(لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) الصاحب وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أمر نبيه بقوله شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله كل حال لا لمن عبده على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) حبل (الى السماء) الى سماء (٢٨٣) بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وتكسر اللام نصرى وسامى (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى الذى يغيظه أو ما مصدرية أى غيظه والمعنى فلصور فى نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهبن نصر الله الذى يغيظه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس فى يده الا ما ليس عند هذا غيظ (وكذلك أنزلناه) وما ذكر من ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدى من يريد) أى وبان الله يهدى به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يهدى الذين آمنوا من يريد هدايته أو كذلك يهدى الله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) وصل الاديان جمع دين لان المطيع والعاصى يدينان لله ووحد الرجس والصابئون نوع من النصارى فلا يكون جمعا (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فلا يحشرهم جزءا واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد وحيزان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما يقول ان ربك يأتيه ويأمر (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به حافظ له فاطر كل امرئ بمقتضى قوله وفعله وهو بالغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما هو مع العيان (ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل ان الكل تسجد له ولكن لا يعقل على نسقها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من ابتغاء وتسخيره له سجودا له تشبيها لطاعته بسجود المكلف الذى هو خضوع بدنه

بعد تحمله وصلاحيته يسطع به حتى يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يظهرون لهم لانه يصح منهم ان ينصروا ويمنعوا وعلى هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لا تنصر ولا تمنع وهذه الآية بينت كون المذكور فيها صنما لانها لو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فى كلام الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر والصاحب المعاشر ۞ قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أى ما ولاه وأهل طاعته من الكرامة وأهل معصيته من الهوان ۞ قوله تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله) نعى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) أى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانعام على كيده (فليمدد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد على نفسه بحبل فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى ليعمل بعد الاختناق وقيل ليمدد الحبل حتى يقطع ويموت حتما (فلينظر هل يذهبن كيده) أى صنعه وحيلته (ما يغيظ) أى فليختنق ولينظر هل ينفس هذا على نفسه الخنق لانه لا يكاد القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا ويكيد فى أمره ما يغيظه فليقطعه من أصله فان أصله فى السماء فما عليه سبيل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فانظر هل يمكنه الوصول الى السماء حتى يفعل ذلك وهو بعيد على ادعائه فكذلك هم لا يقدرون على ما كان يغيظه عدم العائدة وفى الآية وجوه للكفار عن العيط فيما لا فائدة فيه وروى ان الآية نزلت فى قوم من أسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان منهم من اليهود فحالفوه فعلوا لا يمكن ان نسلم لاستحكام ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فقطع الحالفة بينه وبين اليهود فلا ينصروا ولا ينووا وقيل المراد بمعناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليتسبب عليه الخروج وهو الاختناق فان ذلك لا يجعل له مزيدا فتحول العرب من نصرى نصره الله أى من يعطى اعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وان الله يهدى من يريد) أى وبان الله يهدى به الذين يعلم انهم مؤمنون أو يهدى الذين آمنوا من يريد هدايته أو كذلك يهدى الله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعنى هذه الاديان على اختلافها وهو الاسلام وجميع الباطل وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أى يحكم بينهم (يوم القيامة) وفصل بعضهم فى الاحوال والاماكن حتما فلا يحشرهم جزاء واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) أى انه عالم بما استحقه كل واحد منهم فلا يحتاج فى ذلك الى فصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة الحج ۞ قوله عز وجل (ألم تر) أى ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع احداهن ساعة لا يعرف حتى تؤدى له ما حددن له من حين يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى ساجد له وسجود بعضهم لله والسجود وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كان لها لجميع الاعراض التى جعلها الله تعالى فيها من عجائب صنائع الله ما سبب عظموها فعال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان فعل هذا

التأويل ببطلانه قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكرناه عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون بخصوص عبر عنه بقلب المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه مجرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلا يحسن هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وحسن معنى الآية ولله تسجد من في السموات ومن في الارض وتسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود مع كفرهم وانما عمهم من السجود بسجود ظلالهم لله عز وجل (ومن يهن الله فما له من مكرم) أي من يذله الله فلا مكرم له أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والاهانة يوم القيامة بالثواب والعقاب

(فصل) هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها ﴿قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمروا بالجهاد في هذين الخصمين روى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (ح) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأبو الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار فقالوا لا نعرفكم ولا حاجة لنا فيكم انما دعونا اولاد عمنا فقال عبيدة بن الحرث وأنا عبيدة وحمزة وأنا حمزة وعلي وأنا علي فقالوا نعم الاكفاء كرام فبارز عبيدة عتبة وحمزة شيبة وعلي الوليد فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان علاه بالسيف فقتله وعبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله وتحها نسلت فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال بلى قال لو كان أبو طالب حيا علم انا أحق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبيا فنحن أولى بكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم قال فقال الله عز وجل للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عز وجل رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا فيسكنهم الجنة وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاسارة الى ما تقدم

(وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس بسجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفته والخبر محذوف وهو مثاب ونحوه يدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود (ومن يهن الله) بالشقاوة (فما له من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وعبر بذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها يقتضي على العبرة قولهم لانهم يقولون ساء اسما ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء (هذان خصمان) أي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصفتها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الفرق خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

(الذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى نحو ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله قدر لهم نيرانا على مقادير جسومهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واحضر لفظ الماضي لانه كائن لامحالة فهو كالثابت المحقق (يصب من فوق رؤسهم) بكسر الهاء والميم نصري وبضمهما حجازي وعلي وحفص وبكسر الهاء وضم الميم عن الحلواني (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنهما والسعطف مسه يقطعه على حسال الدسالا دابها (يصهر) يذاب (به) بالحميم (ما في بطونهم والجلود) أي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط يختصهم (من حديد) تضربهم بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتمال من ضميرها باعادة الجار أو الاولى لابتداء الغاية والثانية تعدي من أخل بمعنى كلما أرادوا (٢٨٥) الخروج من النار بأخل غم لحقهم

ذكر وهو أهل الاديان السبعة واضافة ذكر مرتين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما آل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مداب ولبس من الآدميين اذا حي اسد حرامه وسمي باسم الثياب لاحاطتها بهم كاحاطة الثياب ولبس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار الذي انتهى حره (يصهر به) أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم (ما في بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سياط من حديد وهي الجر ومن الحديد وفي الجر لو وقع مقمع من حديد في الارض لم يهتد لاعلاها من أسفلها من الارض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالمقامع وقيل ان جهنم لما سمع بهم فلعهم الى أعلاها فلما هموا بالخروج منها ضربتهم الزبانية بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لانهم يفعلون بها ما لكآبة ثم يعودون اليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو العذاب في النار والسعير العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور (جمع اسوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب عطفا على محل من ذهب وبالجر عطفا على لفظه وبرفع الهمزة الاولى في كل القرآن أبو بكر وحماد (ولباسهم فيها حرير) أي تسحب (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) أي أرشدوا هو لاء في الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحمد اي الاسلام وهداهم الله في الآخرة والهمهم ان قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الحمد والحمد لله المحمود لكل لسان (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن الدخول في الاسلام ويصدون ما من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم دائم كما تقول فلان يحسن الى الفقراء فانه يريد به استمرار وجود الاحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) معلقا من صفة وقف أو بدل من المسجد الحرام مكة بدليل قوله سواء العاكف فيه والباد أي يستوي في ان لهم جميعا حق الاقامة بها والطواف بالبيت فالعاكف مرتفع بالابتداء والجار قبله خبر مقدم وسواء حال من الضمير في الجار والعامل فيها معنى الاستقرار الذي تضمنه الخبر ولو تأخر لجاز كونه صفة لنكرة (سواء) بالنصب معمول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وعبر بالمضارع بالنظر الى دوامه أو عمر وفي الوصل وعبر بالرفع على انه مبتدأ

والبادي سواء العاكف فيه والبادي فيه سواء) أي مستويان في التعظيم وحرمة النسك والبدء بمشاهد الحل والحرم وجماعة قالوا المراد بنفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مابين صنعاء إلى مكة لا يصلح أحد أن يطوف بهذا البيت وصلى أيه ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه البزار وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر عند أبي حنيفة لا يمنع أحد أحدا إذا كان قد سبق إلى منزل ونزول الناس وسع قديما وحديثا وأبى وقالوا هما سواء في السوب والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزل منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يتخذوا أفنيتهم في الموسم على هذا القول لاتحتمل سعة دور مكة وأجازوا بيعها وأجاز أبو حنيفة بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمر ومجاهد والبادي فيها أحق بالسكنى حتى يظعن وهو قول مالك والشافعي في أحد قوليه وقال الشافعي في القول الآخر هما سواء كالمساجد والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأظهر إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمر ومجاهد والبادي فيها أحق بالسكنى عند الشافعي في أحد قوليه وقال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن الشافعي في ذلك قوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار إلى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الدار إليهم بعد ملكهم وباعها عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم ذكر هذه النصوص علي حوار بيعها ﴿قوله تعالى﴾ (ومن يرد فيه) أي في المسجد الحرام (بإلحاد بظلم) أي ميل إلى الظلم فعل الإلحاد هو العدول والميل وكل شيء كان مستقيما فعدل عن جهته فقد ألحد ومنه لحد القبر لأنه في ناحية منه وقيل هو كل شيء كان من غير الحل إلى الحل أو من الحل إلى غير الحل حتى سيم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو أن يهم بقتل خادم لا يعمل أو يظلم خادما لا يظلم وقال مجاهد بصاعب السباب بمكة كما بصاعب الحساب وقتل الخادم بمكة كارتكاب الطعام بمكة دليل ما روي بعلي بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ارتكاب الطعام في الحرم إلحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم يكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو بعدن أبين أذاقه الله من عذاب أليم قال السدي الإلحاد الظلم وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله ﴿قوله تعالى﴾ (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلناه له منزلا وطأنا وقيل بنينا واتخذ مكان البيت لأن الكعبة مرتفعة إلى السماء ومن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة هي فبعث الله تعالى ريحا فكنست له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فساعدت بحمال البيت ومعيار أمر الله تكلم بإبراهيم أين على قدري فبنى عليه ﴿قوله تعالى﴾ (أن لا تشرك بي شيئا) أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا (وطهر بيتي) أي من الشرك والأوثان والأقذار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين به (والركع السجود) أي المصلين ﴿قوله عز وجل﴾ (وأذن) أي أعلم وناد والأذان في اللغة الإعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد يا أيها الناس أهل الأرض (بالحج) فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الأذان وعلينا الإبلاغ فعلم إبراهيم على المقام حتى صار كالطول الجبال وأشرف أبو قبيس فنادى بأعلى صوته يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج إلى البيت فحجوا فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس وقيل الصفا فنادى برفع الخمس أن الله قد اتخذ بيتا وأمر الناس أن يحجوه فحجوا من يومئذ إلى يوم القيامة فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة وهو على دين إبراهيم ووحد الله فإنه يجب عليه الحج وروي أن إبراهيم

ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) في الآخرة وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رجع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من بناء مكة قبل إبراهيم عليه السلام بألفي عام وقيل إن المعنى أريناه مكان البيت وعرفناه إياه بعد ما كان درس على إبراهيم (أن) هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له (لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي) من الأصنام والأقذار وقيل طهره من الشرك (للطائفين) أي الذين يطوفون به (والقائمين) المصلين عنده (والركع السجود) المصلين جمع راكع وساجد (وأذن في الناس بالحج) نادهم والحج هو القصد إلى معظم وروي أنه لما أمر بالأذان قال يا رب وما يبلغ صوتي فقال أذن وعلينا البلاغ فصعد أبا قبيس وقيل الصفا وقيل الحجر فقال يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه فوقر في قلوب الناس فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك وروي أن أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروي أن إبراهيم لما أذن قال يا رب كيف أقول فقال قل يا أيها الناس إن الله قد أمر ببيت فحجوه فأسمع من في أصلاب الرجال وأجابه من في الأرحام من كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك وروي أنه لما فرغ من بناء البيت أوحى الله إليه أن طهر بيتي من الأصنام والأوثان فأذن في الناس بالحج وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الوداع

(يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وعدم الرجال على الركبان لظهور المشاة كما ورد في الحديث (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع ومر أحمد الله تارة صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعد قال محمد بن سابق في شيخ في الطواف بن أبي أسعد بن حراس قال كم تسكن بين البيت قلت سنين سنين أو ثلاثة قال فأنتم حيران البيت علمك أنه من أين جئت قال من مسيرة خمس سنين أو ست سنين أو نحو ذلك فكيف ذلت والله هذه الطاعة الجميلة والخصلة الحامدة فقال ورمى هو بيده وراء ظهره نحو الدار * وقال من دونه نحف واستدار لاجتمل بعد عن داره * ان المحبين هم امروا واللام (في ليشهدوا) لتصيروا متعلق بأذن أو بأتوك (منافع لهم) ذكرها لانه أراد منافع تخصهم في العاجل دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج على هما مع ما فيه من تحمل الاتعاب وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر الاولاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما تستبصر عليه اذا تعلق من دار الفناء الى دار البقاء (٢٨٧) فالحاج اذا دخل البادية لا يقتل فيها

الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي بعير كناية على الابل المهزولة من كثرة السير وقد أبدى المشاة سرا لطيفا لهم (يأتين) أي جملة الابل (من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد من أي مكان جاءت فدأبي ابراهيم لانه لما دعا لهم بقوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) وسئل العمرة والمعتمر وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضي به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة وقول ابن عمر لم أسمع من سئل لها معلومات الا عرض عليها من أحل وقف الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا وتكون من الابل والبقر والغنم ويستدل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان الاسم معلق بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب ودلت ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيأ فأمر الله تعالى عتهم وانفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا نحر للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر رضي الله عنه في صفة حجه الوداع قال وقدم علي رضي الله عنه من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث به فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر علي ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحمها وشربت من مرقها أخرجه مسلم وقوله ما غبر أي ما بقي وقوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وبوطء الصيد هل يحرم أكله للمهدي بأن أكل منه شيأ قال الشافعي لا يأكل منه شيأ وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب على نفسه الا من هدي الاذى وجزاء الصيد والمنذور به أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران لا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا يسأل وقوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وحلق العانة

الا على عباده ولا يأكل الا من زاده وكذا المرء لا يخرج من ساحة الحلة وترك محرا لوفا لا يقطع وحشيه الا ما يسعى في معاشه لعياله ولا يؤنس وحشيه الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من تحرم وباشره ليس عليه غير الخطو وما شاكله مما لا بد منه على سبيله وعلى من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطلقا بالخطو ملفعا في كفن غير محرم فكون أشعث حيران وكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحج يعرفات أنبأ نورها سائر الموقوفين طمعا وهم في موقفهم ذليل وتحت العرصات لا كلام لهم الا ما دنيهم سبق

وسعد والاقصاء الى المرد لفه بالمساء هو السوق لفصل الخصام وهو وقوف الى للمدين الى سماع الشاهدين وحلق الرأس والخروج من الاحرام الذي من دخله كان آمنا من الابداع والعمال العود لدار السلام التي هي من ولها في سلما من الغاوي والزوال عن الحج مخافة كارثة الخمس كما ان الكعبة مخصوصة بالبادية فرحة الناس حولها لا وادي سوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند الشافعي رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن جبير رحمهم الله وقتادة ومجاهد رحمهما الله (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) اي على ذبحه وهو نحو قوله تعالى والهكم اله واحد في كل دابة أربع في البقر والنحر وجب بالانعام وهي الابل والبقر والغنم (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة وتحرم الاكل من هدي الطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الا كل من جزاء الصيد والهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أسقطه الاعسار (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم وأدرانهم كذا قاله معاوية وعلي وابن عباس وقتادة والشافعي وعن الاخفش والاصمعي أنهم الوجوه والمراد به ما يعرض للمحرم من الشعث وقال ابن

هو ركن الحج ويتم به تمام التحلل الأول الثلاث ساكنة عند عيرا من عباس وأبي عمرو (بالبيت العتيق) التقديم لأنه أول بيت وضع للناس
بناه آدم ثم جدده إبراهيم أو الكرم ومعناه الخلص لكرامتها وصيانة الرقيق لحر وجنسه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو لأنه أعتق من
الغرق لأنه رفع وقت الطوفان أو من (٢٨٨) أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه منعه الله أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف
أهل السماء كالعرش مطاف أهل السماء فإن
الطائف إذا هاجمه معه
الطرب وحدثه حوادث
الطائف حمل بقطع مناكب
الأرض مراحل وبعد
مسالك المهالك مسارل فإذا
عاين البيت لم يرده التسلي به
الا استلاما ولم يقده النسي
بالسلام الخبر الا احتراما
فعرده الأنس لهيبة
وبرده الهيبة حسرة في
الدوران وطواف الزيارة
آخر فرائض الحج الثلاث
وأولها الاحرام وهو عقد
الالتزام تسمية الاعتمام
بعروة الاسلام حتى لا
ينقض ما ركب منها هو
محظوره به وفي عقده
مع ما يعقده وناديه كما
ان عقد الاسلام لا يحل
بارتكاب الآثام ويرتفع
ألف حوبته وبه وبأنها
الوقوف بعرفات سمته
الاهلال في صفة الاهلال
وصدق الاعمال على مراتب
دفع الاشكال على مراتب
الاعمال وشواهد الاحوال
(ذلك) حتم قدر محذوف
أي الامر ذلك أو تقديره افعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمة ما لا يحل هتكه وجمع ما كلفه الله عز وجل مجتنبه الصفة وحسنا
من مناسك الحج وغيرها فحقه أن يكون على ما أمر به كالصفة ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام
والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم القيام بما يجب مراعاته
والحفظ عن انتهاكه (وأحلت لكم الأنعام) أي كلها (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى أن الله
تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما ذكي كما فاطوا على حدود ولا تحرموا ما أحل كتحريم أهل الجاهلية وتحوهم ولا تحلوا ما حرم
عليكم بكفركم وإلحادكم فتحلوا الميتة وتحرموا البحيرة (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الأوثان

الاطهار والاسحدا دليس السباب والحاج أشعث أغبر اذا لم يرل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء
التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدي وما نذر الانسان من شيء يكون في الحج
أي ليموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه بنذره
أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي
والحلق والطواف بلا به طواف القدوم وهو واجب على قادم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل بثلاثة أشواط من الحجر الاسود
الى أن يعود اليه وعسى أن يعاود هذا الطواف سعيا على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به
حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا زاد في رواية ثم صلى
ركعتين ثم سعى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يمشي ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين
والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ب) عن عائشة قالت حاضت صفية
بنت حيي بعدما أفاضت يوم النحر فذكرت حيضتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عقري حلقي أطاف يوم النحر قلت نعم
قال فانفري قوله عقري حلقي عقاها عقرها الله أي أصابها بالعقر وهو جرح في حلقها وقيل معناه مسوه
مودية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو جار على ألسنة العرب كقولهم لا أم للمهر ويرب عمل وفيه
دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يحل له أن يقرب النساء وبه قال طواف الوداع لا رخصة
لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يقارنها حتى يطوف سبعا من تركه فعليه دم الا المرأة
الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المذكور ولما روي ان عباس قال أمر الناس ان يكون آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض ضعفها والرمل جار في طواف العدوم ولا رمل
في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وعمره سمي عتيقا لان الله أعتقه من
أيدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله
أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك ﴿ قوله عز وجل (ذلك) اي الامر ذلك يعني
ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) اي ما نهى الله عنه من معاصيه أو عظمها بترك ملابستها
وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها كذا قيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم الاخلال به وقيل الحرمات ما
يتعلق بالحج وبعضها قاصرها وعامها وقيل الحرمات هي البيت الحرام وابن الحرام والمسجد الحرام
والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) اي ثواب
تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أي ان ما كانوا حرموه عند الحج وهي الابل
والبقر والغنم (الا ما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية
(فاجتنبوا الرجس من الأوثان) اي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الأوثان

رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أبي بكرة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال هذا لفظه لا نعرفه الا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن جرير قائلا نحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ﴿ قوله تعالى (حنفاء لله) أي مخلصين له (غير مشركين به) دليل على ان المكلف يؤدي عباداته بمعنى العبادة الاخلاص لله فيها لا غيره وعمل كانوا في الشرك يحجون ويعتمرون للصنم والاصنام والاحوال وكانوا يحجون عبرا لله غير مشركين به أي هؤلاء لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أي تسلبه بسرعة فتخطفه أي تختطفه بدني (أو تهوي به الريح) أي تسقطه والهوي السقوط (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا كالذي رأى نفسه بأن صور حاله صورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهاوي البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان بالسماء والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي تورع أو كار بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ﴿ قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أي يعظم شعائر الله من يقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله الهدي وأصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في الهدي (منافع) قيل هي درها ونسلها وصوفها وبرها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أي الى أن تسمى بدنا وتسمى هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له سبيل من منافعها وهو قول مجاهد وعطاء وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد اعطائها وتسميتها هديا بأن يركبوها ويشربوا من ألبانها بالمعروف اذا احتاجوا اليها (ثم محلها الى البيت العتيق) أي محرها عند البيت العتيق ويريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال السعائر الاشعار قال معنى ثم محلها

(٣٧ - (جمل) - مالث)

الى البيت العتيق أي بالحرم والبيت والاسواق الى أجل مسمى اي الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالاجارة والاستيفاء الى أجل مسمى يعني الى ايام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) أي محرها عند البيت العتيق ويريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال السعائر الاشعار قال معنى ثم محلها

[illegible] (منسكا) كان بكسر السين معنى الموضع على وجه أى موضع مرتبات وعبر هما بالفتح على المصدر أى اراقة الدماء ودفع القرابين (لتذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أى صيد بحرها ودجنها (فالهكم اله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وهو دليل على ان ذكر اسم الله شرط الذبح يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن يذكروا له أى يذبحوا له على وجه القربة وجعل ذكر اسمه فى ذلك أن يذكر اسمه عند ذبح النسائك وقوله (فله أسلموا) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه سالما أى سالما من الاشراك (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا (٢٩٠) وقيل بفسر ما بعده أى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمى الصلوة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفى السريعة تاول الابل والعرب ترى بها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من اعلام السريعة التى شرعها الله واضافتها الى اسمه لتعظيمها او من شعائر الله التى جعلت مشعورا لكى جعلا (لكم فيها خير) النفع فى الدنيا والاجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صوافّ) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وارجلهن (فاذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبا اذا سقط أى اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها (وكلوا منها) ان شئتم (واطعموا القانع) السائل من قنع اذا تعرض لسؤاله وقيل القانع الراضى بما عنده وارسلكم وعبادتى بن عرسوال من قنع قنوعا اذا تعرض للسوال (كذلك سخرناها لكم) اى كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم وهو كقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) اى لن يصل الله اللحوم والدماء ولكن يصل اليه التقوى اولن يصيب رضا الله اللحوم ولا الدماء ولكن يناله الاخلاص والمراد باصحاب اللحوم والدماء هنا الذين يرضى المحبوب المعبود بهم الا ترى انه لما ذكر الاخلاص ورباه بقوله التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت وشطوا بالدم فلما جاء [illegible] (كذلك سخرها لكم) اى الابل (لتكبروا الله) [illegible] (على ما هداكم)

محلها أى يحل للناس من احرامهم الى الطواف الذى يطوفون به طواف الزيارة ﴿ قوله تعالى (ولكل أمة) أى جماعة مؤمنة مضت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم ودفع القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أى عند ذبحها ونحرها مما هاهنا سمى ما لها الانعام لان ما سواها لا يحل ذبحه فى القرابين وان جاز أكله ﴿ قوله عز وجل (فالهكم اله واحد) أى هو الذى الذبح اسم الله وحده فان الهكم الله واحد (فله أسلموا) أى أخلصوا واعادوا أطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المراد بهم المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الذين وجلت قلوبهم الذين لا يظلمون اذا ظلموا ولا ينتصرون أوصفهم الله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اى خافت من عصيان الله فتطهر عنها الخشوع والخوف والخضوع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) اى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن ينتصر لنفسه (والمقيمى الصلوة) أى فى اوقاتها بحافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أى يتصدقون ﴿ قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بذلك لعظمها وضخامتها وتبدالى الضخامة الاحسام والابل ولا تسمى العرب بدنة الا بعيرا (جعلناها لكم من شعائر الله) أى من اعلام دينه جعل لام التعليل وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها علم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) اى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) اى عند نحرها (صوافّ) أى اما على بلاث قوائم قد صففن ارجلها وبديها اليمنى والاخرى معقولة وهو نحرها كذلك (ف) عن زيد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل وهو أناخ بدنه يريد نحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت بعد النحر ووقعت جنوبها على الارض (فكلوا منها) أمر اباحة (واطعموا القانع والمعتر) قال القانع الخالس فى بيته لا يعتفى بنا ولا يسال والمعتر هو الذى يسال ويعتفى عن ابن عباس القانع هو الذى لا يسال ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسال والمعتر هو الذى يريك نفسه ولا يسال وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا يكون له بحيث يحمله على العموم يتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) أى مثل ما وصفنا لكم نحرها اما (سخرناها لكم) أى لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) اى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يريدون ان ذلك هو الذى يتقرب به الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أى لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) اى ولكن يرفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعنى البدن (لتكبروا الله على ما هداكم)

على ما أرشدكم إليه (وبشر المحسنين) المستقلين بأوامره بالإثواب (إن الله يدفع) بمكة وبصري وغيرهما يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه ما الله عن رسله والذين آمنوا هو مثل ذلك قوله (إن الله لا يحب كل خوان) في أمانته الله (كفور) لنعمه الله أي لا يحب أعداءهم وهم الحريه الكفرة الذين يحاربون الله والرسول ويحاربون أولياءهم ويكفرون بنعم الله ونعمتهم (أذن) مدني وبصري وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى أذن لهم في القتال لحذف المأذون له لأنه يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يظلمون له ويشكون إليه فلم أزل أقول عسى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه وسبعين آية (وإن الله على (٣٩١) نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصر وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) في محل جر بدل من الذين أو نصب بأعني أو رفع بأصمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) أي بغير موجب سوى الوحدانية الذي يسعى أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج وما له هل تعدون منا إلا أن آمنا بالله ويحتمل أن يقولوا حق بدل من بغير حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدني وبعضهم (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف بخاري (صوامع) رهبان (وبيع) وصلوات ومساجد) أي ولولا اطهاره وتسلطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل فلم يتعبد

وأرشدكم لعالم دسوه ما سألتموه وأن يقول الله أكبر على ما هداكم والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس المؤمنين ﴿قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدفع عائلة المشركين عن المؤمنين وينصرهم ويصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانته كفور لنعمه قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه غيره وكفروا نعمه وقيل من تعرب إلى الأصنام يذبح له وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور ﴿قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد لما قاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه وسبعين آية وقيل نزلت هذه الآية في قوم أخرجهم المشركون من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين هم منهم بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا وأعدوا على أنفسهم بالإشراك (وإن الله على نصرهم لقدير) وعد من الله نصر المؤمنين وتسميتهم بوصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى الوحدانية الذي يسعى أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المنفردة في الصحراء (وبيع) هي كنائس النصارى في المدن (وصلوات) هي الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود وتسميها بالعبرانية صلوثا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلوا فيهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه (إن الله لقوي) أي على نصر من نصره (عزيز) أي لا يضام ولا يمانع عما يريده ﴿قوله عز وجل (الذين إن مكناهم في الأرض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأن قوله الذين إن مكناهم صفة لمن عدد ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه ودل أنه يبطل ما كل ملك سوى ملكه ومصير الأمور إليه لا لغيره ﴿قوله تعالى (وإن يكذبوك) فقد

أمرهم وعلى معابدهم فهدموها ولم يتركوا للصابئين ولا لليهود صلوثا أي كنائس ومعابد يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد ولعاب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ديارهم وهدموا معابدهم فلولا دفع الله عز وجل المسلمين بالجهاد لهدمها وخربوها أو لعم بأس اليهود بالمسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) في المساجد أو في جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي دينه ورسوله (إن الله لقوي) على نصر أوليائه (عزيز) على أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من نصره أو جر بإضافة المصدر إليه (إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سكنوا مكة بعد الهجرة وتسلطوا على أهلها وكسروا أصنامها وأظهروا دين الله عز وجل أعطاهم التمكين وبلغهم الأمر مع السير العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الأمور) أي مرجعها إلى حكمه وقضائه وقدره وهذا تأكيد لما وعد من إظهار دينه وإعلاء كلمتهم (وإن يكذبوك) يا محمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل

(وقوم نوح) لما (وأصحاب مدين) شعيب (وكذب موسى) كذبه فرعون وقومه مثل قوم موسى لما كذبه قومه بعد ما أراهم الآيات (فأمليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاجلتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) إنكاري وتغييري حيث أهلكتهم بأنواع مختلفة من العذاب هلا كانوا بالغمارة حوا بالكبرى بالألف في الوصل والوقف بعقوب (وكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بالقهر (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (٢٩٢) (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم إذا سقط (على عروشها) سقوفها

ساقطة على سقوفها أي خربت سقوفها على الأرض ثم سقطت عليها الحيطان فصار السقوف تحت الحيطان فهي خاوية من الأعراب لأنها مسقوطة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا إذا جعلنا الكاف منصوبا بفعل مضمر يفسره أهلكناها (وبئر معطلة) أي متروكة لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع الآبار من ساد البناء يسوده والمعنى كم من قرية أهلكناها وكم من بئر عطلناها عن سقيها وقصر مشيد عطلناه عن ساكنه أي أهلكنا أهله والخاصرة جمعا تخلف المصور عن أربابها والآثار عن روادها والأطهر أن المراد بالقصر على العموم (أفلم يسيروا في الأرض) هذا حث على السفر للزراعة من أهلكهم الله بكفرهم ليتعاهدوا آثارهم ويعتبروا بها (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) العمى في قلبها عبر العصا وصمم منهم عبر الأصوات أي ليست عمى الأبصار بل قلوبهم عمت عن الاعتبار وكل إنسان أربع أعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فإذا انصرم ما في القلب وعمي ما في الرأس لم تبصر وإن انصرم ما في الرأس وعمي ما في القلب لم تعمه وقد ذكر الصدور إذ ان محل العلم القلب لا الرأس إن القلب تعمى به عبرة العصا كما تعمى القلب كل ذي (و يستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كما قال ولم يستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) تعدون

سلبه وتغييره إلى صلى الله عليه وسلم والمعنى وإن كذبك قومك (وقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فأملت لهم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى فلعل وقوم موسى سقط من الناسخ أو هو مبتدأ وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أتباعه وصوح آياته وظهور معجزاته مما ملك بعده (فأملت للكافرين) أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاجلتهم على كفرهم (فكيف كان نكير) إنكاري وتغييري حيث أهلكتهم بأنواع مختلفة من العذاب هلا كانوا بالغمارة حوا بالكبرى بالألف في الوصل والوقف بعقوب (وكأين من قرية أهلكناها) أهلكتها بالقهر (وهي ظالمة) حال أي وأهلها مشركون (٢٩٢) (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم إذا سقط (على عروشها) سقوفها

ساقطة على سقوفها أي خربت سقوفها على الأرض ثم سقطت عليها الحيطان فصار السقوف تحت الحيطان فهي خاوية من الأعراب لأنها مسقوطة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا إذا جعلنا الكاف منصوبا بفعل مضمر يفسره أهلكناها (وبئر معطلة) أي متروكة لا يستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) مجصص من الشيد الجص أو مرفوع الآبار من ساد البناء يسوده والمعنى كم من قرية أهلكناها وكم من بئر عطلناها عن سقيها وقصر مشيد عطلناه عن ساكنه أي أهلكنا أهله والخاصرة جمعا تخلف المصور عن أربابها والآثار عن روادها والأطهر أن المراد بالقصر على العموم (أفلم يسيروا في الأرض) هذا حث على السفر للزراعة من أهلكهم الله بكفرهم ليتعاهدوا آثارهم ويعتبروا بها (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) العمى في قلبها عبر العصا وصمم منهم عبر الأصوات أي ليست عمى الأبصار بل قلوبهم عمت عن الاعتبار وكل إنسان أربع أعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فإذا انصرم ما في الرأس لم تبصر وإن انصرم ما في الرأس وعمي ما في القلب لم تعمه وقد ذكر الصدور إذ ان محل العلم القلب لا الرأس إن القلب تعمى به عبرة العصا كما تعمى القلب كل ذي (و يستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كما قال ولم يستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) تعدون

ثم يكون لهم عاقبة أي كيف يستحقون بذلك بعد يوم وبعد من أيامهم هذه في طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد طوال (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أمهلتهم حينا (ثم أخذتها) بالعذاب (والي المصير) أي المرجع الي فلا يموتني شيء وأنا كائب الاولى أي وكائين بمعطوف عليها وهذه أي وكائين بالواو الاولى وعبثه دلائل على ذلك كان سكن وأماهذه فحكمها حكم ما تقدمها من المعطوف عليه بالواو وهما واو تحلف الله وعده وان وما بعدها (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) وانما لم تقل مشيرون مرة ذكر النذير يعني بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداؤهم وهم الذين قيل لهم أقلم تسيروا وقيل هو الاستحال وانما أنتم المؤمنون بوابهم لعلهم أو تقديره نذير مبين وبشير مبين أو لا فعال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أبدل فعال (والذين سعوا) سعي في أمر فلان اذا أفسده ضد سعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال بمعجزين حيث كان كل واحد منهما سابقه كان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وبجزه والمعنى سعوا في معارضتها لظنهم أنهم يقدرون على ذلك فيما حسبوها سحرا وشعرا وأساطير

وما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر على ساعة أحدهم لا يعوزه شيء بالنسبة وعلى قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا على قول ابن عباس (وكأين من قرية أملت لها) أي أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع اصرارها على الظلم (ثم أخذتها) أي أرسلت عليهم العذاب (والي المصير) يعني مصيرهم الى الآخرة وقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أمر الله رسوله أن يدعوهم لهم الخوف والانذار وأن يقول لهم انما أنا لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بان أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لما عاثر ذنوبهم وقيل للكبائر أي تصامح الا وبة ورزق كريم اي لا يقطع أمده وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) اي مغلبين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اي معاندين مسابقين وقيل معاجزين أنهم يحشرون ويثابون فلا يقدر عليهم ونحن نعجزهم ان لا يعذب ولا يثاب ولا يحشر ولا يثار (أولئك أصحاب الجحيم) ﴿ قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه يئس من ايمانهم فكان يتمنى في مجالس قريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه قال العزى العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون وسجد جميع من في المسجد من المشركين غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فانه أخذ حفنة من البطحاء ورفعها الى جبهته وسجد عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وانصرف قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

وقوله سبحانه وتعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه يئس من ايمانهم فكان يتمنى في مجالس قريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه قال العزى العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون سجودا وسجد جميع من في المسجد من المشركين غير رجل واحد وهو الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فانه أخذ حفنة من البطحاء ورفعها الى جبهته وسجد عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وانصرف قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

كذبهم في الاسلام بهم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) اي النار لا وعده (وما أرسلنا من قبلك) من لابتداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفي (ولا نبي) هذا دليل من على ثبوت المغايرة بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وقول النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون الفا قل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر والجواب ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو الى شرع من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره (الا اذا تمنى) قرأ قال نبي كتاب الله أول ليلة * نبي داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في امنيته) بالوجه قالوا انه عليه السلام كان في نادي قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يلتفت له حتى ادرك العصمة فسجد وسجد معه المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم ثم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي لانه لا يجوز ان يكون كلام النبي عليه السلام مما يحتمل ان يكون من الشيطان لان ما يحتمل الفساد لا يجوز ان يكون معجزا ولانه لا يجوز ان يكون كلام الشيطان مساويا لكلام النبي عليه السلام في الاعجاز على قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما ثبت هذه الوجوه في الاوحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فكلام الشيطان مع هذه الكلمات مسموعا فيها الى صلى الله عليه وسلم فوقع في ضميره انه عليه السلام هو الذي تكلم بها فكون هذا الكلام في قراءته الى عليه السلام كان الشيطان هو الذي ألقى الى عليه السلام وسمع كلامه فعند ذلك قال انه نادى يوم أحد لان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لاعالين كم الوم من الناس وانى سارانكم

ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ما زال ما سمعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فغرب رسول الله صلى الله عليه وسلم غربا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية بعربية وكان به رحيما وبهم بذلك من كان منهم ناصحا لله ورسوله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم صعود قريش وصل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا أحيى أداد وا من مكة أعلمهم أن الذي كانوا حدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الإ نحو أو سبعين فلما نزلت هذه الآية قال قريش لقد علا محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في كل مسرة فأرادوا شرا إلى ما كانوا عليه وسده على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي يأتي معه جبريل بالوحي علانية والنبي الذي هو الذي يكون نبوته إلهاما أو منامة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا ذا نبي أحب شيأ واستهواه وحدث به نفسه تمنى بقلبه ألقى الشيطان في أمنيته أي في مراده وقال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد اليهود بذلك سبيلا والمعنى ما من نبي الا نبي أن تمنى قومه ولم يتمن ذلك نبي الا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما ألقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته قال حسان في عثمان

تمنى كتاب الله أول ليله ✻ وآخرها لاقى حمام المقادر

فإن قيل قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فكيف يجوز عليه ما هو بخلافه ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في البلاغ وهو معصوم قيل قد ذكر العلماء عن هذا الإشكال أجوبة أحدها وهي أصل هذه العصمة وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها مسند صحيح أو سلم مرسل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقوطون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها واختلاف سندها واختلاف ألفاظها فمنهم من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها مستلقيا وآخر يقول لما حدث نفسه بها جرى ذلك على لسانه وآخر يقول ألقاها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ النجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس رواه البخاري وهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شيأ من الألفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فغير ثابت بالنقل الكلي وهو مع عدمه فهذا وهن في هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن نحمله فنقابل الدليل الصحيح والإجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وبراءته من هذه الرذيلة وهو أن نقول على ما مدح الله عز وجل به رسوله وأثنى عليه في القرآن حتى يجعل ما ليس منه حتى ينبهه جبريل على ذلك فهذا كما صح في حديث صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو قول على الإطلاق لأحد ما ألفيناه لما أطعناه فهو من الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ القرآن ولا يفعل الآن فصلا كما صح عنه في قراءته فحمل أن الشيطان رصد ذلك الكلام فدس بينهما ما ألقاه من تلك الكلمات حتى كالصوت النبي صلى الله عليه وسلم

(فيسمخ الله ما يلقي الشيطان) أي يذهبه ويبطله ويخبر انه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من طروق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى الى نبيه محمد الشيطان (حكيم) لا يبعث حتى يكشفه وتزيله ثم ذكر ان ذلك ليعلم الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين في قلوبهم مرض) سلب وسلف (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون بمحمد وما جاء به شكا وطاعنه (وان الظالمين) أي المنافقين والمشركين وأصلهم فوصم الظاهر موسع الضمير وصفاه علمهم بالعلم (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أي القرآن (الحق من ربك) وبك دومنوا به) بالقرآن (فتخبت) فتطمئن (له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) فسأولوا ما شابه في الدين بالتأويلات الصحيحة وتطلبوا لما اشكل منه الحمل الذي يقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تطفئهم حيرة لا تعرفهم سبيلا (ولا يزال الذين كفروا في مرية) سلب (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر وهو يوم عقيم عن ان يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير أو سمي بذلك لشدته اولانه لا ليلة له في عظم أمره لان الملائكة فيه وعن الصحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماتها (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والسؤال عن الحال أي يوم تقوم أو يوم نزول من تقوم (لله) لا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي بينهم بحكمه بينهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم حض على الهجرة بقوله (والذين هاجروا في سبيل الله) حثوا على الهجرة من ديار الشرك الى دار الاسلام (ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) هو رزق الجنة الذي لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) فان رزق الرازق في الجملة هو الله عز وجل لا رازق للحق غيره وكيف وان الله لهو خير الرازقين ورزق غيره يسمى عند الله رزقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند اي اعطاهم أرزاقهم أن الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقد قال الله تعالى يعطي من لا يرزق مالا مدخرا عنده (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعني الجنة يرضونه ولا يكرهون فيه ولا يتألمون (وان الله لعليم) بأعمالهم (حليم) بالعصاة حتى يتوبوا (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

سمعه من ذامه من الكفار فطمسوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم سجدوا فسجد فأما المسلمون فلم يقدح ذلك في قلوبهم لمعرفتهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم دوام الاوامر بالسجود فهاؤلاء هم كانوا المحكمون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان المنى يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة على الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي حدث نفسه وبنى عليه بعض الامور ولا بعد انه اذا قوى المنى اسهل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير المنى بالتلاوة يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي تلا وهو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكره للوحي والحديث كما صح في الحديث بعد أن ذكر في كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان العرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم ﴿قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها (والله عليم حكيم) ﴿قوله عز وجل (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) أي محنة وابتلاء (والقاسية قلوبهم) أي الجافية عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي اليهود والقرآن والصديق (انه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يصدقوا الله من الله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) اي تسكن اليه (وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أي الى طريق دينهم وهو الاسلام ﴿قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد الساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لانه لا ليلة له في عظم أمر أهوال الملائكة فيه (الملك يومئذ) أي يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مساوله فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك لهم عذاب مهين) ﴿قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) اي فارقوا اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) اي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان ما سوى الآخرة يفنى والله أعلم (وان الله لهو خير الرازقين) فان رزق الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للحقيقة غيره وكيف وان الله لهو خير الرازقين ورزق غيره يسمى عند الله رزقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند اي اعطاهم أرزاقهم أن الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقد قال الله تعالى يعطي من لا يرزق مالا مدخرا عنده (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعني الجنة يرضونه ولا يكرهون فيه (وان الله لعليم) بأعمالهم (حليم) بالعصاة حتى يتوبوا (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) عز اق عبر أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف بعلمه الليل والنهار وإحاطته عا تجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت الهوى وأن كل ما يدعى الهادونه باطل الدعوة وأنه لا أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت لإفادة استمرار المطر وما يتعقبه من كمال الخضرة ونعومة النبات بخلاف ما يقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرا له ولو قيل فترجح وتغدو لم يفد ذلك الموقع وإنما وقع فعل الإصباح خبرا لأن المعنى على الاخضرار كما يقول لصاحبه ألم تر أني أنعمت عليك فأصبحت غنيا تنعم به وتسكن من شكره وثنائه وقيل عدل إلى المضارع لأن المراد بالإنزال تكرره وتجدده حينا بعد حين فكأنه قيل ألم تر أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة بسببه (إن الله لطيف) بأوليائه بإيصال الأرزاق إليهم على وجه الخفاء والرفق (خبير) بمصالح الخلق وما يقيم أبدانهم وقلوبهم (له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وملكا (وإن الله لهو الغني) عن كل شيء سواه (الحميد) المستحق للحمد بلسان كل مخلوق (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) بمشيئته وتسخيره لها بالريح ولولا ذلك لما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أي كراهة أن تسقط (على الأرض إلا بإذنه) أي بخوف أن تقع (إن الله بالناس لرؤف رحيم) بمصالحهم ومن رأفته ورحمته إمساك السماء أن تقع عليهم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم النشور (إن الإنسان لكفور) أي جحود لنعم الله عز وجل ﴿ قوله تعالى

نصوب اللغات نصرعا معلوم ولا سيره شيء نسي في الماضي وإن والطلبات

علمك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقتل قاتل المسلم كما فعلوه (ثم بغي عليه) أي ظلم ما حواجه من نصره يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مكة وعذبوهم أو ظلمهم من لم يسلم من المشركين أو قوم من المسلمين للمسلمين بعد ما انحرم وكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال في الأشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله إن الله لعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعني لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء من قدرته أنه (يولج الليل في النهار) أي يدخل هذا في هذا (ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الإيلاج قولان أحدهما أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغروب الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يرجع إلى أحدهما وهو ما يرجع إلى الآخر من الساعات والليالي لا يقدر عليه إلا الله تعالى (وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق) أي دون الحق في قوله وفعله ودينه وعبادته حق (وأن ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الأصنام التي ليست عندها نصر ولا نفع (وأن الله هو العلي) أي العالي على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) أي بالنبات (إن الله لطيف) أي باستخراج النبات من الأرض وروى أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إلا رجلا كان يقال له لطيف (خبير) أي عالم بما في قلوب العباد ما يحل المطر عنهم (له ما في السموات وما في الأرض) أي عبيدا وملكا (وإن الله لهو الغني الحميد) روى العوفي عن ابن عباس في قوله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخر لها الماء والريح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أي كراهة أن تسقط (على الأرض إلا بإذنه) أي بخوف أن تقع (إن الله بالناس لرؤف رحيم) يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ العباد في الإنعام والإحسان فهو أرأف وأرحم بكم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم النشور (إن الإنسان لكفور) أي جحود لنعم الله عز وجل ﴿ قوله تعالى

(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) عراق عبر أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف بعلمه الليل والنهار وإحاطته عا تجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت الهوى وأن كل ما يدعى الهادونه باطل الدعوة وأنه لا أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت لإفادة استمرار المطر وما يتعقبه من كمال الخضرة ونعومة النبات بخلاف ما يقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرا له ولو قيل فترجح وتغدو لم يفد ذلك الموقع وإنما وقع فعل الإصباح خبرا لأن المعنى على الاخضرار كما يقول لصاحبه ألم تر أني أنعمت عليك فأصبحت غنيا تنعم به وتسكن من شكره وثنائه وقيل عدل إلى المضارع لأن المراد بالإنزال تكرره وتجدده حينا بعد حين فكأنه قيل ألم تر أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة (إن الله لطيف) واصل عمله أو وصله إلى كل شيء (خبير) بمصالح الخلق وما ينفعهم أو اللطيف المحسن بالرزق الخبير العالم بكل خفي وكبير (له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وملكا (وإن الله لهو الغني) المستغني بكمال قدرته عن عباده (الحميد) المحمود بفعله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض) من البهائم دلالة للمركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جاريه في البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجري حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أي تحبطها بأن تمنع (إلا بإذنه) أمره أو عند (إن الله بالناس لرؤف) بتسخير ما في الأرض (رحيم) بإمساك السماء أن تقع على الأرض عند آلاء ممكنوه بما عليه ليشكروا على آلائه ويذكروا نعماءه وعن أبي حمزة رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات التي قبلها يستجاب لعارفها إذا دعا به (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا تصال حياتكم (إن الإنسان لكفور) لجحود الله وإخلاله عا عليه من صروف النعم ودفع النقم مع عروفه بالنعم ولا تعرف نعمة الله

(لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس سر نعه (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعملها به قال ء دا وعمل موضع
مر بار ندكوره هو فعل موضع عباده (فلا ينازعنك) أي في أمر الدين ثم ولسي بدليل س و رقاء
و بسر من سه ا ن و ر بدس بس قالوا الاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما به اون ما ندبكم
ولا تأكلون مما قتل الله وعمل معناه لا ينازعهم أب ﴿ وله تعالى (وادع الى ربك) أي ادع الى الايمان به والى
دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أي على دين واضح قو يم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره
(فقل الله أعلم بما تعملون) أي من الكذب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) اى
فيعلون حينئذ الحق من الباطل وفعل حكم يوم القيامة يرد دين حمه وبواب لمن فعل و بين نار وعقاب لمن رد
وأبى ﴿ وله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب لا بي صلى الله عليه وسلم و بدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب) اى في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين
وقيل ان كتب الحوادث مع أنها من العسر على الله يسير (و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) أي
حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي
(وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) اى مانع هم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني
القرآن وصفه بذلك لان به بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر) أي الانكار والكراهة يبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يبطشون و يسطون بالكم
أيديهم بالسوء وقيل يطسون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى يتعمدون اصحابه من سدة العظ (قل) أي قل
لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) اى بشر لكم وأكره لكم من هذا القرآن الذي تسمعون (النار) أي
هي النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ﴿ وله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي
جاءه ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلنا كان المثل في الاصل كما مضى عبارة عن كل كلام
كان كذلك سواء كان في الكتاب قد ب الصفة والقصة الرائعة العجيبة الشان والاستغراب لا
تستبعد الهاء بعض الامثال المشهورة كونها مستعارة لهذه المعاني المستغربة (فاستمعوا له) اى تدبروه حق
تدبره فان الاستماع بلا تدبر و تعقل لا ينفع والمعنى جعل لي سمعك وسمعي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام
مركانين تدعوهم الى عبادتها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا
ذبابا) اى واحدا في صغره وضعفه وقلته لا يقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه والمعنى ان

(لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس سر نعه (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعملها به قال ء دا وعمل موضع
مر بار ندكوره هو فعل موضع عباده (فلا ينازعنك) أي في أمر الذبح ثم ولسي بدليل س و رقاء
و بسر من سه ا ن و ر بدس بس قالوا الاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما به اون ما ندبكم
ولا تأكلون مما قتل الله وعمل معناه لا ينازعهم أب ﴿ وله تعالى (وادع الى ربك) أي ادع الى الايمان به والى
دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أي على دين واضح قو يم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره
(فقل الله أعلم بما تعملون) أي من الكذب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) اى
فيعلون حينئذ الحق من الباطل وفعل حكم يوم القيامة يرد دين حمه وبواب لمن فعل و بين نار وعقاب لمن رد
وأبى ﴿ وله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب لا بي صلى الله عليه وسلم و بدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب) اى في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين
وقيل ان كتب الحوادث مع أنها من العسر على الله يسير (و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) أي
حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي
(وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) اى مانع هم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني
القرآن وصفه بذلك لان به بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر) أي الانكار والكراهة يبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يبطشون و يسطون بالكم
أيديهم بالسوء وقيل يطسون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى يتعمدون اصحابه من سدة العظ (قل) أي قل
لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) اى بشر لكم وأكره لكم من هذا القرآن الذي تسمعون (النار) أي
هي النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ﴿ وله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي
جاءه ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلنا كان المثل في الاصل كما مضى عبارة عن كل كلام
كان كذلك سواء كان في الكتاب قد ب الصفة والقصة الرائعة العجيبة الشان والاستغراب لا
تستبعد الهاء بعض الامثال المشهورة كونها مستعارة لهذه المعاني المستغربة (فاستمعوا له) اى تدبروه حق
تدبره فان الاستماع بلا تدبر و تعقل لا ينفع والمعنى جعل لي سمعك وسمعي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام
مركانين تدعوهم الى عبادتها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا
ذبابا) اى واحدا في صغره وضعفه وقلته لا يقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه والمعنى ان

بالثواب والعقاب وسلاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما تحدث به النفوس في السموات والارض (ان ذلك) المذكور وهما (في كتاب) في اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى علمه مع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار باعتقادهم عجز المسيح لها بقوله (و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به) به على نبي و رسول (سلطانا) حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) أي لم يمكنوا في اعتقادهم لها برهان سماوي من جهة الوحي ولا لهم عليها دليل عقلي (وما

للظالمين من نصير) ومالهؤلاء المشركين الذين ارتكبوا هذا الظلم من أحد ينصرهم و ينقذهم (واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار والعبوس والكراهة والمنكر صفة (يكادون يسطون
بطشون والسطو الوثوب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من عبادتكم
على الصنم وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسماعها على عاكم (النار) خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما هو فقيل النار
أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانوا يدعون أن الله تعالى سيكرمهم كما أكرمهم في العاجلة
والشهرة يجري الامر المشهور قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) تعبدون سهل
و تعبدون (من دون الله) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأكيد النفي المستقبل وتأكيده للدلالة على ان حال الذباب منهم مستحيل كأنه
قال يستحيل ان يخلقوا وتخصيص الذباب لها مهانة وصغره واستقذاره وهي ذبابا لانه كما مضى لا يقدر أحد على ان يخلق ذبابا (ولو اجتمعوا له) لخلقه

هذه الاصنام لو اجتمعوا لم يقدروا على خلق ذبابة لي صغرها وصغر شأنها فكيف بالي العاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جاء الذباب فاسلبه وهو ما كانوا يصيبون الطعام من أنف الاصنام فمنع الذباب عليه وياكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يضع ولا يرفع من الذباب ولا يسلب منه (ان الله لقوي عزيز) أي عالم لا يقهر ﴿قوله عز وجل (الله يصطفي من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وعزرائيل (ومن الناس) اي ويختار الله من الناس رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعزيز هم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين وقال المشركون أأنزل على محمد الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار الى الله في رسالته (ان الله سميع) أي لاقوالهم (بصير) أي لافعالهم لا يخفى عليه شيء ﴿قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله أن يحفظهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور) اي في الآخرة ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) اي وحدوه وصلوا احلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل افعل الخير عموم بعد خصوص الى خدمة المعبود الذي هو عبادته عن الاعظم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو ابتغاء الشفعة على خلق الله وندخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أفعال البر (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتفوزوا بما تطلبونه

(فصل في حكم سجود التلاوة هنا) لم يختلف العلماء في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق لما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما اخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجهما مالك في الموطأ وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم

هذه الاصنام لو اجتمعوا لم يقدروا على خلق ذبابة لي صغرها وصغر شأنها فكيف بالي العاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جاء الذباب فاسلبه وهو ما كانوا يصيبون الطعام من أنف الاصنام فمنع الذباب عليه وياكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يضع ولا يرفع من الذباب ولا يسلب منه (ان الله لقوي عزيز) أي عالم لا يقهر ﴿قوله عز وجل (الله يصطفي من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وعزرائيل (ومن الناس) اي ويختار الله من الناس رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعزيز هم عليهم السلام هذا رد لما انكروه من أن يكون الرسول من البشر وقال أئن رسل الله على غير ما نألف وننكر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته وجميع الاقوال الرسل فيما يحمله العقول بصير بأحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت او ما عملوا وما سيعملون او ما بين أمر الدنيا (والى الله ترجع الامور) اي الامر جميع الامور كلها والذي هو الى هذه الصفات لا تسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدبيره وانما مرجع سائر الخلق اليه (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم وكان أول ما أمروا به الصلوات بالركوع والسجود فامروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال التي من الايمان وان هذه الصلاة لا الاولى (واعبدوا ربكم) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) لما كان المذكور من قبله على عشرة من الطاعات دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التي هي ذكر خاص فقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم الى الصلاة مع الركوع والسجود ثم الى جميع الطاعات بقوله وافعلوا الخير وقيل افعل الخير عموم بعد خصوص الى خدمة المعبود الذي هو عبادته عن الاعظم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو ابتغاء الشفعة على خلق الله وندخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أفعال البر (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا وتفوزوا بما تطلبونه

أي كي تفوزوا واوامروا هذا كما تأمرون الملاك لعبد مستقيم ولا تتكلوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالقر وأوجاهدوه النفس
والهوى وهو الجهاد الاكبر أوهو كلمستحق عند أمير جائر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله (٢٩٩) (حق جهاده) وهو أن لا تخاف في الله

لومة لائم يقال هو حق عالم
وحد عالم أي عالم به أو حدا
ومنه حق جهاده وكان
العباس حق الجهاد منه
أو حق جهادكم فحذف الكل
الاضافة تكون بأدنى
ملابسة والخصائص فلما
كان الجهاد مختصا بالله من
حيث انه مفعول لوجهه
ومن أجله صح اضافته
الى هو نحو رأس سبع في
الطرف كقوله
ويوم سهدناه سليما وعامرا
(هو اجتباكم) اختاركم لدينه
ونصرته (وما جعل عليكم
في الدين من حرج) ضيق
بل رخص لكم في جميع ما
كلفكم من الطهارة والصلاة
والصوم والحج بالتيمم
وبالايماء بالصلاة والافطار
لعذر السفر والمرض وعدم
الزاد والراحلة (ملة أبيكم
ابراهيم) أي الزموا ملة
أبيكم أو نصب على
الاختصاص اي أعني
بالدين ملة أبيكم وسماه
أباهم وان لم يكن أبا للامة
كلها لانه أبو رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان أبا لامته
لان الرسول في حكم
آبائهم قال عليه السلام أنا
لكم مثل الوالد (هو
سماكم المسلمين) الله
بدليل قراءة أبي الله سماكم
(من قبل) في الكتب
المتقدمة (وفي هذا) أي في
القرآن اي صاكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) انه بلغكم رسالته (وتكونوا شهداء على
الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة بالامر (فاقيموا الصلاة) بواجباتها وآتوا الزكاة) بسرائطها (واعتصموا بالله)

الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج
سجدة وأسقط سجدة ص وبه قال أحمد في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات في خمس عشرة سجدة
وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا
تكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة
ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث
في المفصل وفي سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة القارئ
والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب ۞ قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي
جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال
لا تخافوا في الله لومة لائم وهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق
عمله واعبدوه حق عبادته وقيل يستخرجها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن
يكون بالنية والصدق في الجهاد لله وأن يكون كلمة الله هي العليا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري وقيل جاهدوه النفس
والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار
وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاجتباء الاختيار وعباده وطاعته فأي رتبة
أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو ان المؤمن
لا يخلو عن الذنوب الا جعل الله له مخرجا فمن خواطره بالتوبة والعزم على ترك المظالم والغصب ومن أفعاله
بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب وعبر بذلك فانه ليس في دين الاسلام ما لا يمكن الخلاص عنه سلما الى
الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل معناه ما وضع الله في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان
والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تستوفوه وقيل معنى الرخص عند الضرورات
كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع
العجز بعذر المرض وتعذر الرخص التي رخص الله لعباده فعل أعطى الله هذه الامة خصائص لم يعطها
أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على
بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم ووضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم ابراهيم) لما أمركم ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماها بقوله ملة أبيكم ابراهيم قلت ان كان
الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب
احترامه وحفظ حرمته كوجوب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما أنا لكم كالوالد وقوله (هو سماكم المسلمين من قبل) يعود الى أحدهما ان الكناية ترجع الى الله
تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من قبل نزول القرآن والقول الثاني ان الكناية راجعة
الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في امته من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك واستجاب الله دعاءه فيهم (وفي هذا) اي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول
شهيدا عليكم) يعني يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على
الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل

(ونعم النصير) أي الناصر هو حسبكم على عاجلكم وآجلكم من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب * (آخر ما أردنا تفسيره من سورة آل عمران مائة وثمان عشرة آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) قد تقدم قبلها هي تنتظر الوقوع ولما تقدم وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي (م ٣) الاخبار بثبات الفلاح لهم فوطنوا أنفسهم على ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فاز وانجا

تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المؤمنين وهي مكية)

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وستمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وستمائة حرف وحروفها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه دوي كدوي النحل فأنزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم قرئ عليه فصار أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أولها فقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي

قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالوحدانية في الصلاة الخاشعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس خائفون أذلاء خاشعون وقيل خائفون وقلوبهم واجفة وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخاشع في صلاته لابد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فأما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهايته الخضوع والذلال للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك المعظم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وحد الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد والاختلاس هو الاخطاف عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وحد الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (ح) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وحد الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وحد الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر

قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن السرك وقال عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو ومالا يحمل من القول والفعل وحد هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) اي الزكاة الواجبة مؤدون فعلى الاول هما مصدران والثاني اسم

الخطاب أن يأمر كالكتب والسيم والهرل يعني أن لهم من الخدم ما يعلمهم عن الهرل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه هي لوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم العمل والترك الشاقين على الانفس الذين هما عماد باب الكمال (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وفعل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من المال ليطهر وعلى المعنى وهو فعل المزكي وهو المراد هنا لان فعل المزكي فاعل له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما بخلاف المصارب والعامل والمزكي فعل الضرب والعمل والزكاة وتحرير ان مراد بالزكاة العين وتقدير مضاف محذوف وهو

هى العمل الصالح والاول اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه
الا عفف عن الحرام (الاعلى أزواجهم) على تعمى من (أوماملكت أيمانهم) يعنى الاماء والجوارى والآية
فى الرجال ساصة لان المرأة لا تحور لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعنى بعدم حفظ فروجهن
امرأته وأمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير
المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا تحور ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) أى التمس
وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة (فأولئك هم العادون) أى الظالمون المجاوزون
الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء بالكف حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه
فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عند الله أمة
كانوا يعبثون عذبهم ﴿ قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى حافظون يحفظون
ما ائتمنوا عليه والعهود التى عاهدوا الناس عليها يعنى ما بينهم وبين ربهم من الوفاء بالامانات بخلاف ما يكون بين العبد
وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء
بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وعقد النكاح فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم
على صلواتهم يحافظون) أى يداومون ويراعون اوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها
فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا وآخرا قلت هما ذكرا ان بالامانات فلم يتكررا ووصفهم اولا بالخشوع
فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها ﴿ قوله عز وجل (أولئك) يعنى أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون
منازل أهل النار من الجنة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله
منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى
أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وسالوها كما
يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض
والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس أخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ قوله عز وجل (ولقد
خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة
الماء وقيل هى التى لانت نطفة نسل من الظهر من طين يعنى طين آدم لان السلالة تولد من طين خلق منه
آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو

لاماناتهم مكى وسهل يعنى الشئ المؤتمن عليه من الامانات والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعانى والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعهدوا من حقها لله عز وجل ومن حقه الخلق (راعون) حافظون والراعى القائم على الشئ يحفظه ويصلح ما يراعى من الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلاتهم كرر فى آخر (يحافظون) يداومون فى أوقاتها واعاده ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أولانها وجدت أولا لتعاد الخشوع فى حين الصلاة أنه صلاة كانت وجعت آخرا لتعاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون لهذه

الاوصاف (هم الوارثون) الاحياء الذين يسمعون ورثا دون من عداهم ثم وجه الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار فى الجنة يسمى أحدكم الاولى منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس)
هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال غيره هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أى الفردوس ساوى الجنة
أى آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل
تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان (ثم جعلناه) أى نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة
وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وجعل الانسان سوآدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة
أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مسلولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليلا

(٣٠٢)

الانسان حملها اذا طعمه (في قرار مكين) اى حرز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولاده (ثم خلقنا النطفة علقة) اى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقنا العلقة مضغة) أي جعلنا القطعة الدم الجامد قطعة لحم صغيره (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي ما سماه الخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وجعله حيوانا بعدما كان جمادا وباطنا بعدما كان أكمه وأعمى وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عظائمه عجيبه وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف أحواله بعد الولاده من الاسهلال الى الرضاع الى المعدود والقيام الى المشي الى الطعام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويعلم في الملاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق العظم والثناء أنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين وان طلب كيف الجمع بين هذه الآيه وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله فالخلق له معان منها الاختراع والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآيه الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو أن عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا فقوله اى أحلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكرت من خلقكم (لميتون) أي عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامه تبعثون) أي للحساب والجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض ومثل لانها طرائق الملائكه في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أي لم نكلهم حافظين ان يسقط السماء عليهم فيهلكهم وقيل معناه ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل معناه ما خلقنا السماء فوقهم عبثا أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم من الارزاق والبركات فيها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا نخفى علينا حالهم (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) اى بعلم منا بما يكفيهم ولا يضرهم لعلمنا بحاجتهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعه (فاسكناه في الارض) يعني ماء المطر في الغدران والمستنقعات وماء البحر في الصدف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه في الارض ثم أخرجنا منها أنواع الثمار والكروب والاشجار وكل ما في الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنه أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنه خمسه أنهار سيحون وجيحون ودجله والفرات وقال الله عز وجل ما عن واحده منهن الا وهي تنزل في خمس من جبال الجنه على جبل جابرس ومنها الحيوان وأخرجها الى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

بيضه فانه يحب عند بيضه ولا يؤذ الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضه (فتبارك الله) فتعالى أمره في تقديره وفعله (أحسن) بدل أو خبر مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكره وان أضيف لان المضاف اليه عوض من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقديرا فاقترن ذكر المبرد لدلاله الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فطن بذلك فجعل املاءه ما له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا فرجع عبد الله ان كان محمد يوحى اليه فانا يوحى الى فارتد وقال كلكم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكايه غير صحيحه لان ارتداده كان بالمدينه وهذه السوره مكيه وقيل القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامه تبعثون) عند النفخه الثانيه للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع طرائق وهي السموات لانها طرق الملائكه ومصاعدهم (وما كنا عن الخلق غافلين) اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه اعلم خلقها فوقهم اطلع عليهم الارزاق والبركات وما كنا غافلين عن أعمالهم وحفظهم (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) مقدر بسلوب معه من المضرة وصلوب الى النفع أو بمقدار ما علمه امن حاجتهم (فاسكناه في الارض) كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل معناه اما ما في الارض فماء الارض كله من السماء ماء المطر في سكرهم هوله (وانا على ذهاب به لقادرون) اى كما قدرنا على انزاله قدرنا على اذهابه ثم واحد النعمه بالشكر

(فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخل والاعناب (ومنها تأكلون) اى من الجنات أى من ثمارها وحبوبها هذا على قولهم ملابسا كل من حرف تخبر به أو من متعلقة بانشأنا أى انشأنا لكم بسببها منافعها ومعايشكم ومنها تأكلون (وشجرة) عطف على جنات وهى شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يعلم أما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا كما مر ومضاف اليه كما مر فى الجيس وهو جبل فلسطين وسيناء معرفة بمنع الصرف بكل حال مكسورا لا غير كما قاله الفراء أو مفتوحا كما قاله غيره لان الالف للتأنيث كصحراء (تنبت بالدهن) حال الرماح الباء للحال أى تنبت ومعها الدهن (وصبغ للآكلين) أى ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم فى الانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وتقرأ بفتح النون سقى ونافع وأبو بكر وسقى رأسقى لغتان (مما فى بطونها) اى تخرج لكم من بطونها ألبانا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهى منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها تأكلون) اى لحومها (وعليها) على الانعام فى البر (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) فى اسفاركم وهذا اشارة الى ان المراد بالانعام الابل لانها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدى زمامها * ترمى بساه

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والحاء اسم فاعل من حرى يحرى اذا حمل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم اذا تركتم عبادته فى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اى اشرافهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) فى الصورة (يريد أن يتفضل عليكم) اى يطلب الفضل عليكم وبالرياسة (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) اى بارسال بشر رسولا أو عما نأمر به من التوحيد وسائر ما يدعو اليه من المحاسن (فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) أى جنون (فتربصوا به حتى حين) أى الى الموت بشر بحوادثه (قال رب انصرنى

كلها والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وباقوت موسى عليه السلام وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء عند ذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض وقد أهلها حمر الله تعالى ريحا فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة وكل من فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة وروى هذا الحديث البغوى فى تفسيره وقال وروى هذا الحديث الامام الحسين بن مسعود بالاسناد عن عبد الله بن عباس بن سعد بن ساقى الاسكندرانى عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) أى بالماء (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما وهما يومان معظم الطعام والادام والفواكه (لكم فيها) أى فى الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) أى تتعيشون (وشجرة) اى وانشأنا لكم شجرة وهى الزيتون (تخرج من طور سيناء) اى من جبل معروف وقيل من جبل حسن وقيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل المشجر وقيل كل جبل يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذى منه نودى موسى بن عمران وقيل هو جبل بفلسطين وقيل سيناء اسم حجارته التى أصلت الجبل والوجود هذه وقيل هو اسم الكان الذى فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أى تنبت ومعها الدهن وقيل تنبت الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى فى هذه الشجرة الاربعة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منشأ وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها بقيت فى الارض ستة آلاف سنة ﴿ قوله عز وجل (وان لكم فى الانعام لعبرة) اى آية تعتبرون بها (نسقيكم مما فى بطونها) اى الباء وحد الاشارة لان ما اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم بأمر الله تعالى ليس فيه شىء من هذين فيتحول الى الطهارة والى طعم يوافق الشاربين والطاعم ويصرعداء وهذا من بسط الكلام عادته كقوله فى سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعنى كما تنتفعون بها وهى حية كذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) أى وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أى ما لكم معبود سواه (أفلا تتقون) اى افلا تخافون عقابه اذا تركتم عبادته (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) اى آدمى مثلكم مسارك لكم فى جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أى انه يحب الشرف والرئاسة عليكم وبالرياسة يتوسع أمره (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعنى بالايحاء الوحى (ما سمعنا بهذا) أى الذى يدعونا اليه نوح (فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة) أى جنون (فتربصوا به حتى حين) أى الى الموت بشر بحوادثه (قال رب انصرنى

عما كذبون) اى اعنى باهلاكهم بسكذيبهم اياى (فاوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا) اى بمرأى منا حافظين لها بامرنا (ووحينا) اى امرنا وتعليمنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا كملتم عليها واستقر بكم (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا لان كان فاذا استويتم ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه خطابهم وامامهم وكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل القوة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) اى انزالا أو موضع انزال منزلا بركة اى مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة فى نجاة من فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وسائر وجوه الخير (ان فى ذلك) اى فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية ومعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح بالاغراق مظهرين بهذه الآيات ادلة على قدرتنا (ثم أنشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا عليه السلام (أكثر المفسرين وقيل العرب عبدوا الرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) اى هذه الطريقة التى أنتم عليها تحافظ العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا

(ممهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا كملتم عليها واستقر بكم (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا لان كان فاذا استويتم ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه خطابهم وامامهم وكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل القوة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) اى انزالا أو موضع انزال منزلا بركة اى مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة فى نجاة من فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وسائر وجوه الخير (ان فى ذلك) اى فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية ومعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح بالاغراق مظهرين بهذه الآيات ادلة على قدرتنا (ثم أنشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا عليه السلام أكثر المفسرين وقيل العرب عبدوا الرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) اى هذه الطريقة التى أنتم عليها تحافظ العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا

كسب وعلمها ما اكتسب (ممهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فانى أغرقهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا كملتم عليها واستقر بكم (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا لان كان فاذا استويتم ومن معك فى معنى اذا استويتم لانه خطابهم وامامهم وكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل القوة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) اى انزالا أو موضع انزال منزلا بركة اى مكانا (مباركا وأنت خير المنزلين) والبركة فى السفينة فى نجاة من فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وسائر وجوه الخير (ان فى ذلك) اى فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) لعبرا ومواعظ (وان) هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية ومعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) مصيبين قوم نوح بالاغراق مظهرين بهذه الآيات ادلة على قدرتنا (ثم أنشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا عليه السلام أكثر المفسرين وقيل العرب عبدوا الرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) اى هذه الطريقة التى أنتم عليها تحافظ العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا

(وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا) أي النبي (الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي يدعي ما يدعي لطلب الرياسة عليكم أي يريد تفضيل نفسه عليكم بما ادعاه من الرسالة وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب القسم قاموا مقامهما (لخاسرون) بالاتباع (ايعدكم) ومن جهلهم أنهم أتوا باسم مثلهم وعدوا أخر منهم (أنكم اذا متم) بالكسر ماض وبالضم مضارع (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) من قبوركم أحياء للحساب والثواب والعقاب وبني انكم للتأكيد وحسن ذلك الفصل بين الاول والثاني بالظرف ويخرجون خبر عن الاول والمعنى أيعدكم أنكم تخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر الثاني مع التنوين وبدونه وبالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء فيهما وهو اسم للفعل وامع موضع بعد فاعلها مضمر أي بعد الصدق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذه الحياة لا نعلم ما هي بالاتباع لما من أجله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها أو هي ضمير الشأن والمعنى لا حياة الا هذه الحياة التي نحن فيها وتموت بعض الا ان الباقي مدة حياة على هي التي في معنى الحياة على الخلق فيها أو راجع لا الى التي الخلق (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض يتعاقبون قرنا بعد قرن آخر أو موت تقدم وتأخر أي

(وكذبوا بلقاء الآخرة) اي بالبعث الها (وأترفناهم) اي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحيوة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) اي لمغبونون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعد بعد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اعمالا منهم لا فكرهم في مدة أعمارهم وقدرة الله على اعادتهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل نموت الآباء ونحيا الابناء وقيل نموت نحن ونحيا (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (ان هو) أي ما هو (الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وهي صاح بهم جبريل فصدعت قلوبهم وسمعت أرادت الصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وبعر والمعنى صيرناهم هلكى وسوا بين الغاصين بالارض (هيهات) أي الزمان بعد الزمان الرجعة (لما توعدون) ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) اي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) اي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي متواترين بتبع بعضهم بعضا عن ابن عباس كل ما جاء رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك فاهلكنا بعضهم في أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أي صيرناهم قصصا يتحدث بها من بعدهم بأمرهم وسأتهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) ﴿قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) اي معجزة كالعصا واليد وغيرهما

(فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله تعالى (فجعلناهم غثاء) سفههم في دمارهم بالماء وهو ما حمل السيل مما لا ينتفع به من الورق والعيدان (فبعدا) هلاكا كما يقال بعدا وسحقا أي هلاكا وهو من المصادر التي جاءت بأفعال لا تستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) سألت لدعي على أعدائه بالبعد نحو هلك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلة أي ما تسبق أمة (أجلها) الذي جعل لهلاكها والوقت الذي حد لهلاكها كما (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) على الالف كسكرى لان الرسل جماعة والالف تأنيث لانه غير صرف يجري بالسوسي مكي وأبو عمرو وبر على ان الالف للالحاق كارطى وهو نصب على الحال في العراقيين أي متواترين واحدا بعد واحد وأصلها وتراها فبدلت من الواو والاصل وتري من الوتر وهو الفرد فعلى هذا الواو ياء كما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول يلتبس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم القرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) اي اذا سمع بهم وبما حل بهم تحدث بها والاحاديث تكون جمع الحديث وهو ما يحدث به أحاديث السمر عامة والسلام وتكون جمعا للاحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وهو المراد هنا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة

(الى فرعون وملئه فاستكبروا) أى تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) متكبرين متجبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون (فكذبوهما) فى دعوى الرسالة (فكانوا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) بما فيها من شرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحد لان الاخبار عنهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية عدت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما) جعلناهما أو أويناهما أى صيرناهما (الى ربوة) ساحة وعاصر بوه بمعنى أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية (ومعين) ماء ظاهر جار على وجه الارض أو ماء معين أى مدرك بالعين ظهور ومن عانه اذا أدركه بعينه أو فعيل لانه يعاين ظهور وجريه من الماعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب لنبينا عليه الصلاة والسلام لظاهرهما لانهم أرسلوا مقترنين فى الزمان فحمل عليه واعتبر التعدى فى الاعلام بان كل رسول فى زمانه ودى بذلك ووصى به ليعتد السامع ان أمرا ودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق بان يتوحد به ويعمل عليه ولما وجه الخطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وعمومه معالم الكل فى زمانه وكان ما كل من الطعام أو لعيسى عليه السلام لانفصال الآية بذكره وكان ما كل من عمل امه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للاباحة أو ما استطيب وتستلذ والامر للوجوب والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشرع (انى بما تعملون عليم) فأجازيكم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف ان كان خبريا وبصرى بمعنى ولان اى فاتقون لان هذه او معطوف على ما قبله اى بما تعملون علىم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه (امتكم) اى ملتكم وشريعتكم التى اسم عليها (امة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام راد صاب امته على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام وهو ان الدين عند الله الاسلام (وانا ربكم) وحدى (فاتقون) فخافونى فى مخالفتكم امرى (فتقطعوا امرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع اى قطعوا امر دينهم (زبرا) جمع زبور اى كتبا فرقوها كل فرقة تحب كتابا ومعنى الخطاب قطعوا او قرئ بالتخفيف وهو راجع اليه اى قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء الحمقى المتقاطعين دينهم (بما لديهم) بما عندهم من الكتاب الذى اولوه على الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معجبون ارم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) حيرتهم عن علم (حتى حين) الى وقت موتهم او الى وقت قتلهم بالسيف يوم بدر (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) أى ما نعطيهم ونجعله لهم مدادا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم

في الخيرات ثم والعائد من خبرات الى اسمها المحذوف اى تسارع لهم به والذي ان منا الامداد لهم الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم محسبونه مسارعتهم في الخيرات ومعادله بالنواب حراما على حسن صنعهم وهذه الآية محكمة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وهذا خبر بأنه ليس يخبرلهم في الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) بل استدراجه له وله انحسبون اى انهم اساءوا لهم لا يشعرون حتى يتأملوا في ذلك انه استدراج ومسارعة في الخير ثم بين ذكر اولئك فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) اى يكتسبونه كلها لا مرءون بشيء من كسبه كالذين تصدقوا امرهم بتمامهم بل هم اهل الكتاب (والذين هم بربهم لا يشركون) كسرى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) اى يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يؤتون ما أتوا بالقصر اى يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وجلة) خائفة لا تقبل منهم لتقصيرهم (انهم (٣٠٧) الى ربهم راجعون) الجمهور على ان

في الخيرات) أي نجعل لهم ذلك في الخيرات ونمدهم بها لاعمالهم لرضاء انفسهم (بل لا يشعرون) أي ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون والمعنى ان المؤمنين على ما هم عليه من حسن الطاعة قال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وحسنة والمنافق جمع اساءة وأثاما (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل مع ما يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) اى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (انهم الى ربهم راجعون) أي انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله الطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي ﴿قوله (أولئك يسارعون في الخيرات) اى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي البها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ﴿قوله هو رجل (ولا نكلف نفسا) اى طاقتها يعني ان الذي وصفنا به الصالحين غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أي اللوح ارصد فيه الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم وكتاب اعمال العباد الى كتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) اى لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ذكر الكفار بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) اى لاجل الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من ان يعملوها ويدخلوها النار لما سبق لهم في الازل من السعادة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) اى رؤساءهم واغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويحزنون (لا تجأروا اليوم) اى لا تجزعوا ولا تصيحوا اليوم (انكم منا لا تنصرون) اى لا يمنعونكم منا ولا ينصرونكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) اى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون القهقرى وتدبرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي

المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) اى ولهم اعمال خبيثة مجاوزة قحط ذلك اى لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مصرون لا ينطقون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا اخذنا مترفيهم) منهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو الجوع سبع سنين حين دعا عليهم الى عليه الصلاة والسلام أو لهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والجملة الشرطية (اذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجوار الصراخ يأتي بيانه قال لهم (لا تجأروا اليوم) قال الحوفي عن ابن عباس (انكم منا لا تنصرون) اى من حولنا لا تمنعكم نصرأ ومعونة (قد كانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى والنكوص ان ترجع القهقرى وهو أقبح مشيه لانه لا يرى ما وراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من ضمير تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لانهم يقولون لا نطوف الا بأحد لانا أهل الحرم والذي شرع هذا الاصنام شهرهم بالاستكبار بالبيت أو بآيات لانها في معنى كتاب ومعنى

To: www.al-mostafa.com

القرآن وما أطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمعون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وسمروا الساهر يتحدث الخاصة في الاطلاق على الطبخ وقرئ سمارا أو سموه (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون بالضم من أهجر في منطقه أفحش (أفلم يدبروا القول) أفلم تتدبروا القرآن ليعلموا به الحق المبين فيصدقوا به وعن جابه (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) بل أجاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وحسن النسب وحسن الأحوال أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) تعاموا حسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الأتم والصراط المستقيم وعاداتهم سفاهاتهم وأهواءهم وهواهم وحسدهم الإسلام ولم يعدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه إلى الجنون (وأكثرهم للحق (٣٠٨) كارهون) ويدل على أن أفعالهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للاهتمام به أنهم

بالنسب الحرام كأنه على عمد مذكور أي مستعظمين بالنسب وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا نظهر على أحد ولا يخاف أحدنا أمنون به وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا والقول الأول أظهر (سامرا) تعني أنهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وسمرا وتحولك من القول فيه إلى القول في النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الإهجار وهو الإفحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الاهتمام به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي يهذون ويقولون مالا يعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يدبروا ما جاءهم من القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا برسالته فعاندوا ولهم رسالة إلى آبائهم فكذلك لم يعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس لم يدعوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبروا وعرفوا أمانته وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والأمانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا يحتمل صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يعملون لو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما تحبون وما تعبدون (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه سرهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) أي عن فخرهم (معرضون أم تسألهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) أي ما يعطيك الله من ثوابه في الجنة (وهو خير الرازقين) بعد نظيره (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) أي إلى دين الإسلام (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لناكبون) أي لعادلون عنه وما يلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدب به (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم يرجعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) ودلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على مضر أن يعينه الله عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم القحط فشكوا أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال لهم قد أكلوا العلهز والعظام وسكان الصحراء فادع الله أن

من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعبدون من الآلهة (لفسدت السموات والأرض) كما قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (ومن فيهن) من العقلاء بالذكر لأن عبادهم مع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم وشرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لأخلصنا العبادة (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير) تجاري وعدي وعامهم خراجا فخراج وخيره ساق خراجا فخراج وهو ما تحمله الإمام من ركاة وصدقة إلى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج يكسب العمر به وخرج الكوفة فزاد اللفظ لزيادة المعنى وإذا اختلف القراءة الأولى معنى أم تسألهم على هذا تسألهم فما لا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير (وهو خير الرازقين) اتصل المعطف (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) وهو دين الإسلام فقوله إن تسعة آيات (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أجدبهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال لهم قد أكلوا الولد والعظام وسكان الصحراء فادع الله أن يكشف عنهم هذا الضر فدعا الله فكشف عنهم هذا الضر (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ذهب عنهم هذا البلاء بدعوته (ولقد أخذناهم بالعذاب

يكشف عنا هذا القحط وندعوك كما كشفت عنهم فما رد الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو يوم القيامة (اذا هم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير ﴿ قوله عز وجل (وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) أي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم (واليه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أي يجيء أحدهما عقب الآخر واختلافهما في الظلمة والنور وفي الزيادة والنقصان وهو تخصيص له ولا يقدر على نصريفهما غيره (أفلا تعقلون) ثم عرفوا قدرتنا على البعث فقال تعالى (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ما قال الاولون) أي الكفار منهم من ما قالوا قوله (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) من ما منع وجره وعلى وخفض (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) اي البعث (من قبل) يعني محمدا (ان هذا الا أساطير الاولين) جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون كالاحاديث وجمع أسطور أو هي جمع أمر يد بها الصلاة والسلام ما قامه الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا ان من قدر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقا ان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافون به فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في تكذيبكم وقدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة يعني عظم الملك (وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أي يجير فلا يخفر أحد ممن يشاء ولا يقدر أحد أن يجير ممن يشاء (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته وكيف تخدعون عن الحق أو عن توحيد وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذا السؤال لمن وكذا الثاني والثالث ويقرأ هل البصرة على المعنى لانك اذا قلت لمن هذا فمعناه لمن هذا فصار لله لان كقول الشاعر اذا فعل من رب المراكب والمرى * ورب الجماد الجرد قيل لخالد أي لمن المراكب ومن قرأ تحذفه على الظاهر لانه اذا قال من رب هذا الخيل فقال (قل أفلا تتقون) ان لله الولد البعد المحال والشرك باطل (وانهم لكاذبون)

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) اى من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بالذى خلقه ما تشتهيه وتقدر عليه كل واحد منهم من الاستعلاء (ولعلا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما يرون حال ملوك الدنيا مما لكهم مما يرومونه مما لوب وحين لم يروا أثر الغلبة والتغالب فاعلموا أنه اله واحد يسوسه ملكوت كل شئ ولا يعالج اذ الا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع الذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وبعد ورد ولو كان معه آلهة لما دلالة وما كان معه من اله علامة وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الاضداد والاولاد (عالم) بالخرصة الله والرفع على مدح وكونه عز وجل مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما ترينى ما يوعدون) ما والوب مؤكدان أى ان كان لا بد من ان ترينى ما تعدهم من (٣١) العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) اى فلا تجعلنى قرينا لهم

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) اى من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) أى لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه ولم يرض أن يشاركه فيه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) أى طلب بعضهم ما لبعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد وانه ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ وتعالى فعال (سبحان الله عما يصفون) أى من اتخاذ الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أى يعظم من أن يوصف بشئ لائق به ﴿ قوله عز وجل (قل رب) ﴾ (اما ترينى ما يوعدون) اى ما يوعدهم من العذاب (رب) أى يا رب (فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى لا تهلكنى معهم (واما على أن نريك ما نعدهم) أى من العذاب (لقادرون ادفع بالتى هى أحسن) اى بالخلة التى هى احسن وهى الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعنى اذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقابلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون ويقولون من الشرك ﴿ قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) اى امنع واعصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس يريد نخسهم وغلبتهم وتسلطهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) اى فى شئ من أمورى واعلم ان حضور الشيطان الانسان انما يحصل عند الغفلة عن ذكر الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان اذا حضره ﴿ عن جابر بن مطعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة فقال عمر لا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموءودة أخرجه أبو داود وفسر بعضهم همزه بالالقاء فى الجنون ونفثه بالشعر ونفخه بالكب

في الموضع الذي تركته وهو الايمان والعمل الصالح بسبب ترك الدنيا وصار الى العقبى فالمعنى فلعلي أعمل صالحا فيما بقي أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن لابد أن يرجع الى الله فيجازيه على أعماله (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة العبارة أعني قوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يجابها ولا يسكت عنها لاستلزامها الحسرة والندم على ما فرط (ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للعصابة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) ثم يردون يوم البعث وانما هو اسقاط كلي لما علم ان لا رجوع بعد الموت الا الى الآخرة (فاذا نفخ في الصور) قيل انها النفخة الاولى (فلا انساب بينهم يومئذ) وبالادغام أي يعرفون لاجتماع المتناسبين وان كانا من كليبي بحيث يقطع النظر بينهم حتى يتعارفوا به ويتعاطفوا ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه موصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) (٣١١) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا الا ان كلا منهم مشغول بحال نفسه عن سؤال صاحبه تعالى ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانه أيضا موطن في موطن شديد تذهل فيه النفوس عن التساؤل وفي موطن يشتد عليهم الخوف فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه) بالسيئات والمراد الكفار (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) بما فوتوها من النعيم (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم لان الصلة لا تحل انها وحدها بعد حذف الموصول الا ان أو حذف المبتدأ المعطوف (تلفح) اي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) تتقلص شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كالحون قال تسود النار ما نضج منه العظم حتى تلتمع وسط رأسه وتسيل حتى منكبه السفلى حتى تضرب بربه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿ قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) أي مواعظ القرآن وزواجره تعرفونها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي الى كتب علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) أي لما نذكره (فانا ظالمون قال اخسأوا فيها) أي انعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم وقد ذلك أنس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام

من الزكاة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال مقاتل معناه اني أرجع الى أهلي وعشيرتي ولا أصنع الذي صنعت في الشهوات ولكن اني أرجع فيما بقي من عمري بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما بقي له ما لم يكن قادرا على العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا أرجع الى ما طلب (انها) يعني مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا بد منها (ومن ورائهم برزخ) أي من امامهم ومن بين أيديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حاجزا ومانعا من الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اسقاط كلي لما علم انه لا رجعة يوم القيامة الا الى الآخرة ﴿ قوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى تنفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم تنفخ نفخة أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الاولى قال يوحد بين الخلائق يومئذ ولا يتفاخرون بالآباء وروى الاولين والآخرين ثم ينادي منادي فيقول فلان بن فلان من كان له مظلمة فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أحد منهم فيرتاد لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أبوك وأين أبوه بل أتى يرد أن الانساب تنقطع فلا ينتسب أحد الى أحد ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فلا تنافي بين الآيتين لان القيامة أحوال ومواطن ففي موطن تشتد عليهم الخوف فيتساءلون وفي موطن ﴿ قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا) اي غبنوا (أنفسهم في جهنم خالدون تلفح) اي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون قد تشنجت شفاههم وتقلصت عن أسنانهم وبدت أسنانهم وهذا صفة سقاتهم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كالحون قال تسود النار ما نضج منه العظم حتى تلتمع وسط رأسه وتسيل حتى منكبه السفلى حتى تضرب بربه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿ قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) أي مواعظ القرآن وزواجره تعرفونها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) اي الى كتب علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) اي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسأوا فيها) اسكتوا سكوت هوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف (انه كان فريق من عبادي) هو آخر كلام

يعني الكفار (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) استهزاء بهم (حتى أنسوكم ذكري) اشتغالكم بالسخرية منهم عن ذكري (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على أذاكم واحتملوه (أنهم هم الفائزون) بالجنة (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) ما بين الدنيا والآخرة (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي للعبث واللعب كما يخلق البهائم لا للعبادة والتكليف (وأنكم الينا لا ترجعون) للجزاء (فتعالى الله الملك الحق) عن العبث وعن أن يخلق شيئا عبثا (لا اله الا هو رب العرش الكريم) قرأ حمزة والكسائي بالجر على الوصف لله تعالى وقرأ الباقون بالرفع على القطع والاستئناف (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) صفة لازمة لان من عبد غير الله لا يكون له برهان على عبادته (فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعد من مات على الكفر (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) ختم السورة بما افتتحها به من الدعاء بالمغفرة والرحمة

(سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات) العفائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السماوات والارض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

(سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون في ما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في

يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا فيكلمهم اربعين عاما ما لك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم يا أحكم منك بهم فيقولون عذابا فما طالوا فيدعو عليهم مثل عمر الدنيا ثم تبكم ثم يردعليهم احسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يكلمهم ان كان الا الزفير والشهيق وذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن ابي الدرداء قوله فما يئس القوم بعد ذلك كلمه اي سكتوا ولم تكلموا كلموه قال ادا قال لهم احسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم على وجه بعض وأطبق عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) اي تسخرون منهم وتستهزؤن بهم (حتى انسوكم ذكري) اي انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار مكة كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا (انهم هم الفائزون) اي جزيتهم الفوز بالجنة (قال) يعني ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الارض) اي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم في القبور لطول العذاب ما هم فيه من العذاب (فاسئل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم ويحصون اعمالهم (قال ان لبثتم) اي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان ما دام في الدنيا فانه يكون قليلا فاني حقيقة ما لبث في الآخرة (لو انكم كنتم تعلمون) اي قدر لبثكم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) اي لعبا باطلا لا لحكمة وعمل العباد معادا لتعبوا وتعبدوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة وأقامه أوامر الله عز وجل (وأنكم الينا لا ترجعون) أي في دار الآخرة للجزاء روى الهروي بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به علي ابن مسعود فرفأه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى سكن السورة فعرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال بقدرة الله تعالى بمسه عما تصفه به المشركون وقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) اي هو الدائم الملك الحق لاصاف المملوك (لا اله الا هو رب العرش الكريم) اي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أي لا حجة ولا بينة له بما يدعيه دليل ولا برهان (فانما حسابه) اي جزاؤه (عند ربه) اي هو يجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) اي لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

يكلمون) اي كم عددسنين لبثتم فيكم نصب بلبثتم وعدد مفسر (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) اسقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم وبالهم فيما بعد ذلك لان المحبوس يستطيل ايام محبسه ويستقصر ما مر عليه من ايام الدنيا (فاسئل العادين) اي الحساب او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم قيل بلاهم من بني آدم وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) اي ما لبثتم الا زمانا قليلا او الا لبثا قليلا (لو انكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في مقالهم لسي لبثهم في الدنيا وتحسرهم على فعلهم التي كانوا عليها قيل ان جزه وعلى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) قال ابن عباس اومعقولا له اي للعب (وانكم الينا لا ترجعون) وفتح الباء وكسر الجيم جزه وعلى ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم او على علة اي للعب وليس كذلك بل خلقناكم للرجوع الى دار الجزاء لا للعب والباطل والله اعلم * (فتعالى الله) عن ان يخلق شيئا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء سواه فانه والباطل الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه وانما وصف الله تعالى بالكرم وهو رب الكرم صفة الرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الي زيدا أحق بالاحسان منه فان الله منه واضعه لا رمه حجة فيما يدعيه ولا بد ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان (فانما حسابه) اي جزاؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أي هو يجازيه لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة وخاتمتها لا يفلح الكافرون وما بين الفاتحة والخاتمة ما ذكر من اصناف الكفرة وجرائمهم ثم قال (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لان

وسعه اذا درکت احدا استحص رجته بمرجوم غيرها لا سيما من رجته *(سورة النور مدنية وهي ستون واربع آيات)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* *(سورة)* خبر مبتدأ محذوف اى هذه سورة (انزلناها) صفتها او مرفوعة بفعل مضمر اى اتلوا سورة على زيادة التاء او على أن كل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات لها تعلمها واسماعها شعائرها من سور المدينة (وفرضناها) أى فرضنا أحكامها التي فيها او اصل الفرض القطع اى جعلناها مقطوعا بها او بالتشديد بمعنى اوجبنا العمل بها او لكثرة الفروض فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا او تخففت الذال جزما وعلى وتخلص وحمص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزاني أى حدهما أو الخبر فاجلدوا أو دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره الى زنت والذي زنى فاجلدوهما كما يقول من يرى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة أعني من عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وضعها اشارة الى انه لا يبالغ (٣١٣) ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة او امناء الحدين الذين وهي على الكل الا انهم لا يمكنهم الاحاطة بجميع الامام مناهم وهذا حكم كل من يخص احكام المخصص الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن العبد عبر مسروع لان العامة انما تدخل على الحرائر وهو اسم للكامل والعبد بخلاف المروي منسوخ بالآية كما سيجيء الخبر والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما يعني الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) اى رحمة والمعنى لعله وهي رقة في الرأفة في دفع المكروه والرحمة

(تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنان وعشرون أو أربع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) اى أوجبنا ما فيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وفصلنا مقاديرها ما فيها من الحدود وقيل أوحيناها اليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى واضحات (لعلكم تذكرون) أى تتعظون قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب الحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العمل والبلوغ وشرط الاحصان في الرجم وتحصن على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتبعض وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا تضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اى الزانية والزاني مائة جلدة ويدرء عن السكران حد مائة ويعزر به قال الشافعي وقال أبو حنيفة يعزر الى رأى الامام وقال مالك يحد الرجل مائة جلدة ويعزر بها عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يعزر الى رأى الامام وقال مالك يحد الرجل مائة جلدة ويعزر ويحلق المرأة ولا تعزر وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة فتعطلوا الحدود ولا تهنوها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والشعبي وقتادة في معنى الرأفة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري تجتهد في حد الزنا والعربة اى الضرب وتخفف في حد السرقة وقيل تجتهد في حد الزنا وتخفف دون ذلك في حد العربة وتخفف دون ذلك في حد السرقة (في دين الله) أى في حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جاريته لفجور فعال للحد اضرب ظهرها وحلها فعال له انه لا يحل لك ضربها فعال له أفي دين الله تقول يا ابن اللخناء لم يأمرني بها وقد ضربت فاوجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ما ان المؤمن لا يأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله وقيل هو من باب الاغراء بحذف الباء والمعنى التعصب لله تعالى والدين وهو كقولك ان كنت رجلا فافعل كذا ولا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) اى وليحضر (عذابهما) أى حدهما اذا اقيم عليهما (طائفة) أى نفر (من المؤمنين) اقل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل لا يقبل أربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك

(٤ - (حازن) - ثالث)

في اتصال المحصنات والمعنى ان الواجب على المؤمن أن يصلي في دين الله ولا يأخذهم الله في اسقاط حدوده فيعطلوا الحدود او تخففوا الضرب (في دين الله) اى في طاعة الله وحكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب الاغراء والتهاب التعصب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اى فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) والحضور موضع حدهما وفيه دليل على انه عقوبة (طائفة) قدره عكرمة أن يكون حاضرا للضرب او يرجموها اذا زنت وهي محصنة (الزاني) الخامل الحاصل الخامل حول سئل ابن عباس رضي الله عنهما أربعة الى اربعين رجلا (لا ينكح الا زانية) من الصدق بالله (او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك) اى الحكم الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في حده من يكون مسركا او في مسركة لحد ما له كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها من هو من نكاحها في المعصية او المشركين والآية نزلت في نكاح البغايا اذا الزنا عدل الشرك في العصمة والاثم وقرن العفاف بالمحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية حراما في اول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان عبد الزانية لا يستبد بالزنا بمولاته

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفى المدينة نساء بغايا أحصن أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لما مقن علمهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والسدى ورواه عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات تعرف بهن أم مهزول راية البغايا أن أبى الغاشية المرثدى وكان فى الجاهلية يتزوج الزانية بعد هجرتها أكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على ذلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح أم مهزول واشترطه أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد أبى مرثد الغنوى وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقته فى الجاهلية وأنه جاء إلى مكة حتى إذا كان بعض الليالى أضطجع إلى جنب حائط من حوائط مكة حتى جاءت عناق فأبصرت سواد ظله عند الحائط فلما انتهت إليه عرفته فقالت مرثد فقال مرثد فقالت مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة فقال يا عناق حرم الله الزنا فقالت يا أهل الخباء هذا الرجل يحمل أسراكم فيذهب بهم فتبعه ثمانية فسبق مرثد فدخل الخندمة فوقفوا على رأسه فبالوا فسعى بوله فى الخندمة فطمست على أثره فجاء حتى قام على الحائط ثم انطلق حتى أتى الكثيب الذى عليه الأسرى فاحتمله فانطلق به حتى أتى الحزورة من مكة فجعل يضرب الحائط برجله حتى أتى الأسرى فحل كبولهم فحملهم فجعل لا يمر بصنم إلا احتمله حتى وضعهم بالأذخر فانطلقوا حتى جاءوا المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل ترى أن ننكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا حتى نزلت هذه الآية فدعا مرثدا فقرأها عليه وقال لا تنكحها أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى وعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا فى حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزانى لا يزنى الا زانية أو مشركة والزانية لا يزنى بها الا زان أو مشرك فعلى هذا معنى النكاح الوطء وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواه عن ابن عباس قال من زنى بامرأة لا يتزوجها إلا أن تتوب وتحدث توبة ومن زنت به لا يتزوجها إلا أن يتوب ويحدث توبة وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية قبل أن توجد منها توبة وإذا وجد منهما زنا وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما ثم نسخ هذه الآية بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فدخلت الزانية فى هذا العموم وأصح من هذا نكاح الزانية ما روى عن عمران رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لامس قال طلقها قال إنى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى رواية غيره فأمسكها أخرجه أبو داود والنسائى وهذا الحديث ليس بصحيح وروى أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأته فزنا وحرص على أن يجمع بينهما فأبى العلماء وقيل فى معنى الآية ان العاجز الذى لا يرغب فى نكاح الصالحات من النساء وانما يرغب فى نكاح فاجرة مثله أو مشركة لما يسمح له أو مشرك لما لا يرغب فى نكاح الصالحات من الرجال وانما يرغب فى نكاح فاسق مثله أو مشرك لما يسمح له أو مشركة لما لا يرغب فى نكاح الصالحات من النساء وانما يرغب فى نكاح فاجرة مثله أو مشركة لما يسمح له أو مشرك لما لا يرغب فى نكاح الصالحات من الرجال وانما يرغب فى نكاح فاسق مثله أو مشركة لما يسمح له أو مشرك

أو باشهدت أو ما أشهد أو قال امرأتي لا ترد يدي أمس شهادا ونحوه لا يكون حدا الا أن يريد ذلك وأما العرض بأن يقول أما أنا ما شهدت أو ليست امرأتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة ومالك يجب به الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا ﴿ وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وان تاب وبه قال مالك وحسنت حاله بعد التوبة فلم تقبل شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقال آخرون الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته وبرئ من اسم الفسق روى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول الحسن وطاوس وشريح وأصحاب الرأي قالوا ليس القذف لا رد شهادته مالم يحد قال الشافعي هو مثل أن يحد مرة ممن يحد لان الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حالاته وتوبته فيها وذهب الشافعي الى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا صلحت شهادته بدا لا وبتوبته معنى قوله أبدا ما دام مصرا على القذف لان الذنب كل انسان مدة على ما يأتي وبه كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا وان تاب ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته ﴿ قوله عز وجل (والذين يرمون) أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنفسهم) أي غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرأيت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاء عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا انتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله ارأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من ملاعنتهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فكانت تلك سنة الملاعنين أخرجاه في الصحيحين زاد في روايته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد يسب الى أمه قوله أسحم أي أسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين أي ممتلئ الساقين عاريهما وقوله كأنه وحرة بفتح الحاء وهو دويبة كالعظاءة تلصق بالارض وأراد بها في الخلق لا اللون العمى بصره (ح) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة

(ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) ذكر شهادة في موضع النهي عن كل شهادة ورد الشهادة من الحد دنيا ويعلق بإسقاط الحد أو بعصمة على ما عرف وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعلى رد شهادته بنفس القذف بعد إجراء الشرط الذي هو الرمي الخالي ورد الشهادة على التأبيد وهو عقوبتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط كأنه حكاية حال الراميين عند الله تعالى بعد انقضاء الجلد والشرط به وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أي القذف (وأصلحوا) أحوالهم استثناء من الفاسقين ودليل على (فان الله غفور رحيم) أي يغفر لهم ويرحمهم وحق الاستثناء أن يكون متصلا بما قبله غير أنه عن موجب عند من جعل الاستثناء عائدا إلى الجملة الأخيرة كأن يكون تقديره والذين لا يأتون بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الا الذين تابوا فان الله غفور رحيم لهم في ذلك ولما ذكر حكم قذف الأجانب بين حكم قذف الزوجات بقوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أي لم يكن لهم على صدق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرفع على البدل من شهداء (فشهادة أحدهم أربع) بالرفع كوفي غير أبي بكر على أنه خبر والمبتدأ شهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر بالاضافة إلى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة أحدهم وعلى هذا خبر محذوف بعد قوله فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا

والاحد فظهرت فقال هلال ما أظنه والذي نعلك بالحق إني لصادق وليمين الله ما يعني فطهري من الحد فنزل بعد ذلك عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاءا فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فما كأبت وكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به أكحل العينين ساذج الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تعدهار جل لم يكن لي ان أشهد حتى آتي بأربعة شهداء والله ما كنت لآتي بهم حتى يقضي حاجته وان كان مارا بها طرفي لبعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأته فاجترأ رجل منا ان يقربها فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكني عجبت من ذلك لما أخبرت الله قال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حد بعلة فرأى بعينه وسمع باذنه فلم يهج حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى اهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيت به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لأرجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه فقالوا لا نبرح حتى يأتي الخبر فقال هلال وقد علمت ما علمت وانك لتعلم اني لصادق فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قام هلال فشهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله قد صدق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة وقفوها انها موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ولا ينبغي ان الولد لها ولا ينتفي لا ترمي ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي رميت به فجاءت به على النعت المكروه وكان امرا مصدقا لا بد من أن يكون من أجل الا ولا يرث ولا يرث هو الا نص وروى ابن عباس ان عويمر الملاعن زوجه محوله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تؤدي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر فعلم فعال اشهد بالله ان حولة لزان وان لي الصادقين ثم قال في الخامسة اشهد بالله ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قام فاستأخر ثم قال اشهد بالله انها لحلبي من عمري وان الصادقين

(والخامسة) لاخلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والمعتبر والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهي مؤكدة أو خبر (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا

ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما قربتها مذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله علي
هو عمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالعود فعد ثم قال لعلها هو هي فقامت فعالت
أشهد بالله انه لمن الكاذبين ثم قال في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكا على بطنها وانه
لمن الكاذبين ثم قال في الثالثة أشهد بالله اني حملي منه وانه لمن الكاذبين ثم قال في الرابعة أشهد بالله انه
ما رآني على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قال في الخامسة غضب الله علي حولها يعني نفسها ان كان من
الصادقين فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي ولها شأن ثم أمر هما أي ثم قال
بجيئوا الولد فجاءت به أشبه أربع بضم الى السواد وهو لسرياء بن سحماء وان جاءت به أورق جعدا
جمالا حمش الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس جاءت به على النعت المكروه من حكم الآية ان
الرجل اذا قذف امرأته هو وحده موجب حد القذف الا حصنة وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان
كانت غير محصنة عيران المخرج منهما محلف فاذا قذف أحدنا أو أحدهم عالما بالحد الآن بأي بأربعة
يشهدون بالزنا أو بقر المقذوف بالزنا فسقط عنه الحد وفي الروضة اذا وجد أحد هذين أولاهما سقط عنه
الحد فالعان في حد القذف الزوجة هو الذي يلاعن الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا زنى بها أو أقر بالزنا بها
بمكة والصبر على العار فجعل الله اللعان مخرجا له على صدقه فعال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه
لمن الصادقين واذا أقام الزوج البينة على زناها او اعترفت هي بالزنا سقط عنها الحد والعان الا أن يكون له ولد
ينفيه عنه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقعدهم ويقدمه ويقول له كلمات اللعان
فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي هلال من الزنا وان كان حملها من زنا
مما في اللعان و يقول كما قال له الامام وان كان ولد أو حمل ينفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحمل من الزنا
ما هو مني و يقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا واذا أتى بكلمة من
كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب واذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه و بين الزوجة
وحرمت عليه على التأبيد وفي نسخة وسقط عنه الحد وجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام
تتعلق باللعان الزوج قوله عز وجل (ويدرأ) اي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (ان تشهد أربع
شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج
اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت اسقاط العذاب عن نفسها فلها ان تلاعن فيقوم وتشهد بعد تلاعن
الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به ويقول في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي
من الصادقين فيما رماني به ولا تلاعن لعانها الا بهذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة
لم تسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته لموجب اللعان فان لم تلاعن
حبس حتى تلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الا خرين اللعان
يجب بصدوره والقاذف اذا قعد ليقام الحد عليه فلا يحبس لان حد كحد القذف الاجنبي اذا تعذر على اقامة
البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة وفي النسب وهما لا يحصلان الا باللعان الزوجين جميعا
وفصل العاصي وقوله اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة مسألة حتى لو أكذب
الزوج نفسه بعد ذلك فيما لاعن عليه فلا يرتفع به حد الحرمة وعند أبي حنيفة هي فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه عاد له ان يتزوجها واذا أبى بعض كلمات اللعان لا يتعلق به
الحكم وعند أبي حنيفة اذا أبى أكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح طلاقه صح لعانه حرا كان
أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك
والاوزاعي والشافعي واكثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان الا بين مسلمين
حرين غير محدودين قاف كان أحد الزوجين عبدا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن

وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد لقوله أنه اللعان في هلال بن امية أو عويمر حيث قال وحدث على اثر أبي سوءة
ثم بانت من بعضها فكذبه فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما

ان (لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان) أي الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا وفتح حفص الخامسة وما على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم الثقيلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما تجترئ على الاقدام لكبيرة جرى اللعن على ألسنتهن بسقوط وقوعه عن قلوبهن وذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان يمين سدت مسد أربع شهادات مؤكدات بالايمان مصروبة باللعن فائدة حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها الا ان الله تعالى جعل شهادة واحدة من الزوج روجه بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا لاعنها في الذمة لا يقع الفرقة حتى يفرق العاصي بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى يصح بلا فرقة بينهما والفرقة تطليقة بائنة

(عليكم ورحمته) نعمته (وان الله توان عليكم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها قال حديثى عروة عن الزهرى وسعد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شانى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب على فاسترجع بانا سمعته حين عرفنى فخمرت وجهى عنه بخمارى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله ابن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم يصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى قالت وانما أريد أن أستيقن الخبر

(عليكم ورحمته) نعمته (وان الله توان عليكم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها قال حديثى عروة عن الزهرى وسعد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شانى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب على فاسترجع بانا سمعته حين عرفنى فخمرت وجهى بخمارى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله ابن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم يصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى قالت وانما أريد أن أستيقن الخبر

(عليكم ورحمته) نعمته (وان الله توان عليكم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها قال حديثى عروة عن الزهرى وسعد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شانى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب على فاسترجع بانا سمعته حين عرفنى فخمرت وجهى بخمارى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله ابن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم يصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعى ما قال فاخبرنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى قالت وانما أريد أن أستيقن الخبر

(عليكم ورحمته) نعمته (وان الله توان عليكم) جواب لولا محذوف أى لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها قال حديثى عروة عن الزهرى وسعد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شانى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب على فاسترجع بانا سمعته حين عرفنى فخمرت وجهى بخمارى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله ابن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أرى من الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم يصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعى ما قال فاخبرنى بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى قالت وانما أريد أن أستيقن الخبر

من قبلها فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أروى فقلت لها ويحك ما أمثاك إذا تحدث الناس به فقالت
يا بنية تعوذي على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها وله ضرائر إلا كثرن عليها قالت
فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم
ثم أصبحت أبكي قال ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث
الوحي يستشيرهما في فراق أهله قال فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه
من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم
يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا
قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قال فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي روايته في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي
إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي قال فقام سعد بن معاذ
أحد بني عبد الأشهل فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من
إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان
بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا
تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله
لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قال وبكيت
يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي الثانية لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي
أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قال وبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي
إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء
قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن
كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت
لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فوالله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي
أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى
استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي
ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم
الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله
عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل
القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها
أن قال لي يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله

الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل
ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فأنزل الله عز وجل هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو
بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل
الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي
فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي
وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا
الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط ثم قال عروة قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان
الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق
على صحته أخرجاه في الصحيحين وأما البخاري فرواه عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن
أبي ابن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة ولم يسم
لي من أهل الافك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم
عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالدي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا ينسب من أبياته قال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذن له أن يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم * وقد ذكر بعض ألفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها قوله
كان أو عى اي أحفظ له قولها آذن أي أعلم بالرجل قولها فادا عسعس الليل من قرع أظفاره هو نوع من الحرز
وهو الخرز اليماني المعروف وقولها المهيلي أي تكسر لحمها بالسمن وقولها العاديا كل العلقة من
الطعام هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يسد الرمق وقولها وليس بها منهم داع ولا مجيب أي
ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا وقولها فيعمد اي فيقصد وقولها فيدخر من وراء الحائش فادخل
الدخر ليس برول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتبكير سيرا آخر الليل وبالتعريس سيرا الليل كله
وقولها ناسرجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون وقولها خمرت اي عدلت وجهتي عنك الى اي اراري وقولها
موعز بي في نحر الظهيرة وعزه الحر وكذا نحر الظهيرة اي أولها وقولها والناس به صوب اي نحوصون
ويعذبون وقولها وهو يريبني يقال رابني الشيء أي شككني وقولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه
وسلم اللطف أي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام وقولها حتى نقهت اي اقعت من
المرض والمناصع المواضع الخالية تقضي منها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط
كساء من صوف أو خز وقولها انعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الانسان أي سقط لوجهه وقولها اباها
اي بالهاء كناية عن اسمها الى آخره وقوله المعرة قولها الا ترقأ لي دمعة أي لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت منها
أي مما تأتي منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتعتلفه قوله صلى الله
عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم بعذري ان أنا كافأته على سوء صنعه أي عابت أو عاقبت فلا ألومني على
ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من عشيرته اي من قبيلته قولها ولكن احملتها الحمية اي حملة العصبية
والانفة والتعصب على الجهل للمرأة قولها فاستوأى اي استقام وهم صواله الرجل ومحاصمه قولها فلم يرل
يحصهم اي يهزم علهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت لمنهم قيل هو من اللحم وهو سعار الذئب

(لا تحسبوه) أي الافك (شرا لكم) عند الله (بل هو خير لكم) لان الله أنما كم عليه وأنزل في البراءة عشر آيات والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبة جزاء ما له على مقدار خوضه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم وبعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكي ان صفوان مر بهودج عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وقع الحديث بعد (لولا) هلا (اذ سمعتموه) أي الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم (خيرا) عفافا وصلاحا وذلك نحو (٣٢١) ما روي ان عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام اما فاطع يكذب الا نفس لان الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فلما لم تطع بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا تعصمك من عين تكون ملطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما أوقع طلك على الارض لئلا تضع انسان قدمه على ذلك الظل فلم لم تكن أحدا من ثوب عرض وجعلت وكذا قال علي رضي الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعالك قذرا وأمرك بالخلع العلل عن رجليك نسبته ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بخلعها بعد ان يكون ملطخة بنجس من النجاسات وروي ان أبا أيوب الانصاري قال لامرأته ألا ترين ما يقال صفوان بالمدينة أكنت تظنين بحرم رسول الله

وقتل معناه معاقبته الذنب من غير فعل وقولها فاض دمعي أي انطلع حرمانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمي سمعي وبصري أي أمنعهما من أن أخبر عالم أسمع ولم أبصر قولها وهي التي كانت تساميني من الجمال وهو العلو والعلو يحميهما الله أي يمنعهما من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما اكتسبت من كذا أي من شر أبي وله وتسنه وسنه أي تسحر حتى بلغ السن والاسعاد معه وقول حسان في عائشة حصان بضم الحاء بمعنى امرأة حصان أي معصمة مرزان أي ما مرزن أي برئ ولا يهم برية أي بأمر يريب الناس منه ونصب عرضي أي جانبه والعرب الخروج من لزوم العوامل جمع عاذلة والمعنى انهم الا تعاب أحدا منهم هو عاذل على مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان انه كان ساخ أي ساعل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التعيير بقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك أي بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق ودلت ان عائشة كانت تستحق الذم بهذا المدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد عدل الحق بالباطل وجاء بالافك عنه (أي جاء به كم أي عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وحمنة طلحة بن عبد الله فان طلحة بن عبد الله بن أبي ابن سلول كان رأس الافك فكيف قال منكم فلك كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاعلام فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وجماعة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرا لكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة وأبويها والنبي صلى الله عليه وسلم وصفوان (بل هو خير لكم) يعني ان الله أحرجكم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الجنة وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) اي من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) اي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وقام بأساسه وهو عبد الله بن أبي ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار وفي الآخر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالحد في قذف عائشة فحد وا الحد حد عائشة عائشة ﴿قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) اي الكذب الكذب وهو قول أهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول اهل الافك ان كذبوا وتحسنوا الظن ولا تسرعوا في التهمة وقول الزور وفي عرضوا حتى يتبين لهم وجه الحق في ذلك (وقالوا هذا افك مبين) اي كذب بين لاحجة له (لولا) اي هلا (جاؤا عليه) أي على ما رموا (باربعة شهداء) أي يشهدون بذلك (فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله) اي في حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فان كل من تصور عند الله كاذبا ان لم يأت بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كذب سواء اتى بالشهداء أو لم يأت فلم فصل هذا

(٤١ - (خازن)) - (ثالث) سوأ فعال لا قائل ولو كنت أنا بدل عائشة لما حل لرسول الله بعائشة حرمتي وصفوان حرمتي وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وهو أبلغ في الوعظ نظرا الى الاعتذار وادل التصريح بلفظ الايمان على ان الايمان الصادقة حقيقة بان لا تصدق مؤمنا على أخيها قولا عائشة ولا ما نص وهذا من الادب الحسن الذي دل العالم به والحافظ له ولم يحدث نفسه ولا سمع ما سمعه اخوانه (وقالوا هذا افك مبين) كذب ظاهر لانا قد رأيناه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فاذ لم يأتوا بالشهداء) الاربعة (فأولئك عند الله) اي في حكمه وشرعه (هم الكاذبون) اي العادلون لان الله تعالى جعل الاصل في الرمي الصلاح والكاذب سقوط شهادته والشهود الاربعة رأوا ما هو أفظع الذنوب ورموا عائشة رضي الله عنها لكن لم يأتوا على قولهم بشهداء فكانوا كاذبين

[illegible] (ولولا أن ثبت أن فضل عليكم في الدنيا بضروبه النعم التي من جملتها الامهال لتوبة وأن رحيم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما سلف منكم من حديث الافك بقال أفاض في الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكم أو لاصتم و(تلقونه) بألسنتكم) أي يلقي بعضكم بعض يقال تلقى القول وتلقفه وتلقمه (بألسنتكم) أي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق أحد الا خاض فيه (وتقولون بأفواهكم مالبس لكم به علم) اعلم أن هذا من أعظم الامور ان القول لا يكون الا بالعلم لان الشيء المعلوم يكون معلوما في العلم سواء رجع عنه انسان وهذا الافك ليس الا هو لا يدري أفواهكم من عبر رجع عن علم به في القلب كقوله يقولون بأفواههم مالبس في قلوبهم (وتحسبونه) أي حوضكم في عائشة رضي الله عنها (هينا) صغيرا (وهو عند الله عظيم) كبيرة جرح بعضهم عند الموت فعمل له في ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وعلم بالظرف (٣٢٢) لان الظروف شأنها وهو تعلقها من الاسماء بما فيها من معنى الوقوع فهما أو ما لا يتسع في غيرها

في حق الذين رموا عائشة حاشاها ومعاذ الله أولئك هم الكاذبون في حقي وعلى وعلى معاذ الله وأولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب محذور عن الكذب والصادق ادام بان بالشهود يحذر وجوه ﴿ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا الذي فضل الله أن أفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن رحيم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك والخطاب للعدد وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقول التوبة من بان (اذ تلقونه بألسنتكم) اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول لعمري كذا وكذا فيلقونه بلقاء بعضهم الى بعض (وتقولون بأفواهكم مالبس لكم به علم) أي من عبر ان تعلموا أنه حق (وتحسبونه هينا) أي وتظنون أنه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) أي في الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك) هل هو لا تحب وفيه قوله (هذا بهتان عظيم) أي كذب عظيم بهت يحير من عظمه روي ان أم أيوب الانصاري قالت لابي أيوب الانصاري ما لعل ما يقول الناس في عائشة فقال لها سبحانك هذا بهتان عظيم فعرف الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل يأمركم الله (ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) أي في الامر والنهي (والله عليم) اي بامر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم برامتهما ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) أي تظهر الزنا وتذاع (في الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة عن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم وكل من أحب أن تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأنتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسانا وحمنة (ان الله رؤف رحيم) ﴿ قوله

أن لا يكون معه ما يسترهم به والكفر عسر فرقهم وأما الكبيرة فمن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يبهت من يسمع (عظيم) وذكر ما تقدم هذا أفضل من تحذير أن يكونوا أمروا بهما بل العفو أولى ترى (يعظكم الله أن تعودوا) في ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدا) ما دمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه دليل لهم لما مطوا وذكر توجب ترك العود وهو الاعتبار الصادق كل وقت (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات واحكام الشرائع والآداب الحاجة له (والله عليم) بكم وبأعمالكم (حكيم) يجري على وفق أعمالكم أو عليم صدق براءتها وحكيم براءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي ما فيه حد او المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبتها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولمن ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ان أتى وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعند الله لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وما يرى الصدور (وأنتم لا تعلمون) اي انه يعلم محبتهم أحب الاشاعة وهو معاقبهم عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكرر الله تعالى الفاحشة بالعذاب مع حذف الجواب مبالغة في الامهال لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقذوفين وأتاب (رحيم) بعباده حيث

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره وطرقه سماه بالاسم الى الافعل والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتستوحش عنه ولا ترتضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة لعصمكم فلما طهر منكم أحدا آخر الدهر من دنس الاثم الاول (ولكن الله يزكي من يشاء) يطهر التائبين قبول توبتهم اذا نحضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واحوالهم (ولا يأتل) ولا يحلف من الالية وهي الحلف افتعال من الالو وهو التقصير لانه منع نفسه مما حلف عليه أو من الالية وهي القوة لانه يقوي عزمه على البر بيمينه (أولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا ان يؤتوا

أي لا يؤتوا ان كان من الالية (أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم مساءة فعلية امروهم ونعوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أي وليجاوزوا عن الخطاء والعرصوا عن العقوبة (الا تحبون ان يغفر الله لكم) وليعاملوهم معاملة من يحب أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بآداب الله واغفروا وارحموا ترغيب في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح اثر حادثة الافك الخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا يتيما مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليمات الصدور والقلوب الغافلات اللاتي لم تمرس

تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبائح من الاقوال والافعال وكل ما تكرهه الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب الذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) أي يطهر (من يشاء) من المذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لاقوالكم (عليم) أي عالم بأحوالكم ﴿قوله عز وجل (ولا يأتل) أي ولا يحلف من الالية وهي القسم (أولو الفضل منكم والسعة) يعني العفي يعني أبا بكر الصديق (ان يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أي عن خوض مسطح في أمر عائشة (ألا تحبون) مخاطب أبا بكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وفي الآية دليل على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولوا الفضل وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو مرتبته ومزيد مهابته أحمل الاذى من ذوي القربى ورجع عما كان عليه من النفقة عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومهما يأبه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال وفي الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فانه يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه ﴿وفيه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك ﴿قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) اي العفائف (الغافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وروي عن حصين قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة لعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة قد جعل الله له توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات الى قوله ما لوا جعل لهؤلاء توبة ولم تجعل لاولئك توبة وقال لهم توبة أيضا الآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قال ان تختم على افواههم (وأيديهم وأرجلهم) روي انه تختم على الافواه فتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقال حسابهم العدل (ويعلمون ان الله

ولا مكر لانهن لم تجر بن الامور (المؤمنات) بما تحب الاتمان به عن ابن عباس رضي الله عنهن أزواجه عليه السلام وقال هن جميع المؤمنات اذا قذفت بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال أبو قتادة عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) حيث العذب ملعونين في الدارين ووعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) عذاب الآخرة وقيل (ألسنتهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أنكروا أو هم والعامل في (يوم يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله ومن احتج بالرفع صفة كقراءة أبي ليوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله تعالى نصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله

[illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [

كما في الآية من عديم الاستئذان مسلم السلام وقال الآخرون بعدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كندة رجل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال العامري رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي موسى كلاهما مدعو فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الخفي الاول اعلام والى مواعيده والثاني استئذان بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وفيه اذا وقع بصره على انسان منهم السلام والا فهم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الاشعري وحذيفة استئذان على دور المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أستأذن على أمي قال نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مرسلا ۞ وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) اي فعل الاستئذان خير لكم وأزكى لكم من الدخول بغير اذن (لعلكم تذكرون) أي هذه الآداب فتعملوا بها ۞ قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) اي في البيوت (أحدا) أي يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أزكى لكم) أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات تكره لهم ان يطلع الداخل عليهم في تلك الاحوال وادا حصر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب فطار كان ابن عباس اذا مر بالدور الا نصار اطلب الحديث وهم قعود على الباب ولا يستأذن حتى يخرج الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله ألا أخبرك بكلام سمعته من رسول الله هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من سعة اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يحك بها رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح وقال مرة أخرى ما كان عليك من حرج (والله بما تعملون عليم) اي من الدخول بالاذن وبغيره ان آية الاستئذان قالوا كما ان البيوت التي ليس فيها ساكن قال الله تعالى (ليس عليكم جناح) اي اثم (ان تدخلوها وليست بمسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) اي منفعة لكم مثل ان هذه البيوت وهي الخانات والمارستانات المعدة للسبيل أووا البيوت المعدة

اذا دخل بيت غيره يقول سبحانك ما أحسن مساءه ثم يدخل فرعا أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أي فصل لكم هذا البيان تذكروا وتعطوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) في البيوت (أحدا) من الآدميين (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا بأذن أهلها لان التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أي اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تقفوا على الباب ولا تجلسوا على الباب ولا تعتمدوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فانه ربما يدعو الى الكراهة وحب الانسان عند كل ما يؤدي الى ما يدعو الى وقوع الشر بينهما والصلح يصلح الدار ويعمرها وعن أبي عبد الله عمر بابا على عالم فما (هو أزكى لكم) اي الرجوع اطهر وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة وقوله تعالى (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين

بابه عما يأتون ويذرون مما يحوط وابه فوقف جزاء عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) في ان تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط ونحو ذلك للتجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستكنان

أمتعتهم فيها فحرم لحملها نعما استدان ولمنفعة النزول بها واتخاذ الحرز والبرد ونواع الاستمتاع بها وحل بيعها كالثياب وحوائجهم في الاسواق بخلافها للبيع والشراء وهو منعهما فليس فيها استدان وحل هو جمع الدور التي لا ساكن فيها لان الاستدان انما يحل لاطلاع على عورة فاذا لم تحصن ذلك سارله الدخول بغير استدان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ﴿ قوله تعالى (قل للمومنين يغضوا من أبصارهم) أي عما يحل النظر اليه فحل متعلق بغضوا أبصارهم وحل من للتبعيض لانه لا يحب غض البصر عما يحل الا نظر اليه وانما أمروا بان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا يفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد ﴿ وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على بعض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الخواري المستعرضات في البيع والاحمة منظور النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكذلك ان أبيح النظر الاماستدعي مسه وحظر الجماع الا ما استدعى مسه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان البصر مبدا وارائد المنظور والمنظور اليه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) اي غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أي انه عليم بما يحوالهم وافعالهم وكيف يخفى عليه أبصارهم وكيف يصنعون بسارحواسهم وجوارحهم ﴿ قوله عز وجل (وقل للمومنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة اذ قبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله ألیس أعمى لا يبصرنا ولا نعرفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿ قوله تعالى (ولا يبدين) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الحلي مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والعرط في الاذن والعلائد في العنق فلا يحل للمراة اظهارها ولا يحل للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة الا نظر الى مواضعها من البدن (الا ما ظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس ومسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يحل للرجل الاجنبي النظر اليه في بعض الاوقات مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم تحسن ولم تشته وسهوه فان خاف شيئا من ذلك فعن الضرورات وما رخص في هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة ويومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) أي الملاحف تضعها النساء (على جيوبهن) أي موضع الجيب وهو الصدر أي ليسترن بذلك

أمتعتهم فيها فحرم لحملها نعما استدان ولمنفعة النزول بها واتخاذ الحرز والبرد ونواع الاستمتاع بها وحل بيعها كالثياب وحوائجهم في الاسواق بخلافها للبيع والشراء وهو منعهما فليس فيها استدان وحل هو جمع الدور التي لا ساكن فيها لان الاستدان انما يحل لاطلاع على عورة فاذا لم تحصن ذلك سارله الدخول بغير استدان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ﴿ قوله تعالى (قل للمومنين يغضوا من أبصارهم) أي عما يحل النظر اليه فحل متعلق بغضوا أبصارهم وحل من للتبعيض لانه لا يحب غض البصر عما يحل النظر اليه وانما أمروا بان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا يفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد ﴿ وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على بعض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الخواري المستعرضات في البيع والاحمة منظور النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكذلك ان أبيح النظر الاماستدعي مسه وحظر الجماع الا ما استدعى مسه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان البصر مبدا وارائد المنظور والمنظور اليه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) اي غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أي انه عليم بما يحوالهم وافعالهم وكيف يخفى عليه أبصارهم وكيف يصنعون بسارحواسهم وجوارحهم ﴿ قوله عز وجل (وقل للمومنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة اذ قبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله ألیس أعمى لا يبصرنا ولا نعرفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿ قوله تعالى (ولا يبدين) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الحلي مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والعرط في الاذن والعلائد في العنق فلا يحل للمراة اظهارها ولا يحل للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ما ظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس ومسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يحل للرجل الاجنبي النظر اليه في بعض الاوقات مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم تحسن ولم تشته وسهوه فان خاف شيئا من ذلك فعن الضرورات وما رخص في هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة ويومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) أي الملاحف تضعها النساء (على جيوبهن) أي موضع الجيب وهو الصدر أي ليسترن بذلك

أمتعتهم فيها فحرم لحملها نعما استدان ولمنفعة النزول بها واتخاذ الحرز والبرد ونواع الاستمتاع بها وحل بيعها كالثياب وحوائجهم في الاسواق بخلافها للبيع والشراء وهو منعهما فليس فيها استدان وحل هو جمع الدور التي لا ساكن فيها لان الاستدان انما يحل لاطلاع على عورة فاذا لم تحصن ذلك سارله الدخول بغير استدان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) ﴿ قوله تعالى (قل للمومنين يغضوا من أبصارهم) أي عما يحل النظر اليه فحل متعلق بغضوا أبصارهم وحل من للتبعيض لانه لا يحب غض البصر عما يحل النظر اليه وانما أمروا بان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا يفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد ﴿ وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على بعض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الخواري المستعرضات في البيع والاحمة منظور النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكذلك ان أبيح النظر الاماستدعي مسه وحظر الجماع الا ما استدعى مسه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان البصر مبدا وارائد المنظور والمنظور اليه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) اي غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أي انه عليم بما يحوالهم وافعالهم وكيف يخفى عليه أبصارهم وكيف يصنعون بسارحواسهم وجوارحهم ﴿ قوله عز وجل (وقل للمومنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة اذ قبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله ألیس أعمى لا يبصرنا ولا نعرفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود ﴿ قوله تعالى (ولا يبدين) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الحلي مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والعرط في الاذن والعلائد في العنق فلا يحل للمراة اظهارها ولا يحل للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ما ظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس ومسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يحل للرجل الاجنبي النظر اليه في بعض الاوقات مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم تحسن ولم تشته وسهوه فان خاف شيئا من ذلك فعن الضرورات وما رخص في هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة ويومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) أي الملاحف تضعها النساء (على جيوبهن) أي موضع الجيب وهو الصدر أي ليسترن بذلك

سفورهن وأعناقهن وأطرافهن وصدورهن (ح) عن عائشة قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز وكان وصل هو الازار وفصل هو الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الحمية التي لم يرخ لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يبدين الخلخال والسوار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا يجوز الى ما بين السرة والركبة ويجوز لهم أن ينظروا الى جسم بدن وجسد غير انه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المسلمات من أهل دينهن أراد به انه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة من أهل الذمة أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها لا تمتنع في الدين كما يمتنع الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وفصل يجوز كما يجوز أن تكشف المرأة المسلمة لاجنبي جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة (أو ما ملكت أيمانهن) فصل هو عند المرأة يجوز له الدخول عليها اذا كان عبدها وأن ينظر الى مولاه الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة ويروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا مدته على رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وفصل هو نعت الاسماء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لان كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الاربة هم الذين يدورون للطعام لا حاجة لهم الى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق الغبي وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا ينتشر وقيل هو المخنث والخصي وفصل هو السمج الهرم الذي ذهب سهوه وفصل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فاحتجبوه واذا أراد أبو داود في روايته واخرجوه الى الدار يدخل كل جمعة فيستطعم وقوله أربع أي ان لها في بطنها أربع عكن فهي اذا استقبلتها وأدبرت بان لها ثمان طرائق العكن الاربع من الخلف ومن ذلك صفة المرأة السمينة (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكتسوا على عورات النساء للجماع ولم يعرفوا عوراتها ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء ولم يعلموا حد الشهوة وفصل الطفل اسم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فصل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو نحو ذلك فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يطلع على شعر المرأة اذا سمع صوت الخلخال وتصور ذلك داعية له الى مساءتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فسمعه على ان الذي لاجله نهين عنه أن تعلم به ما عليهن من الحلي وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أي من التقصير الواقع في أمر هذه السورة واجعلوا طاعتكم فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة ليكون أوامر الله ونواهيه في كل باب لا تعدوا الصدع على مراعاتها وان

سفورهن وأعناقهن وأطرافهن وصدورهن (ح) عن عائشة قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف أو خز وكان وصل هو الازار وفصل هو الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الحمية التي لم يرخ لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يبدين الخلخال والسوار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا يجوز الى ما بين السرة والركبة ويجوز لهم أن ينظروا الى جسم بدنها وجسدها غير انه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المسلمات من أهل دينهن أراد به انه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة من أهل الذمة أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها لا تمتنع في الدين كما يمتنع الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وفصل يجوز كما يجوز أن تكشف المرأة المسلمة لاجنبي جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة (أو ما ملكت أيمانهن) فصل هو عند المرأة يجوز له الدخول عليها اذا كان عبدها وأن ينظر الى مولاه الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة ويروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا مدته على رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وفصل هو نعت الاسماء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لان كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الاربة هم الذين يدورون للطعام لا حاجة لهم الى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق الغبي وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا ينتشر وقيل هو المخنث والخصي وفصل هو السمج الهرم الذي ذهب سهوه وفصل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فاحتجبوه واذا أراد أبو داود في روايته واخرجوه الى الدار يدخل كل جمعة فيستطعم وقوله أربع أي ان لها في بطنها أربع عكن فهي اذا استقبلتها وأدبرت بان لها ثمان طرائق العكن الاربع من الخلف ومن ذلك صفة المرأة السمينة (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكتسوا على عورات النساء للجماع ولم يعرفوا عوراتها ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء ولم يعلموا حد الشهوة وفصل الطفل اسم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فصل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو نحو ذلك فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يطلع على شعر المرأة اذا سمع صوت الخلخال وتصور ذلك داعية له الى مساءتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فسمعه على ان الذي لاجله نهين عنه أن تعلم به ما عليهن من الحلي وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أي من التقصير الواقع في أمر هذه السورة واجعلوا طاعتكم فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة ليكون أوامر الله ونواهيه في كل باب لا تعدوا الصدع على مراعاتها وان

أي لم يطلعوا لعدم السهو من ظهر على السبي اذا اطلع عليه أو لم يعلموا أوان العدم على الوطء من ظهر على فلان اذا قوي عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت ليسمع قعقعة خلخالها فنهين عن ذلك لان سماع صوت الزينة كاظهارها وهو صوت الحلي ونحوه

التقصير (لعلكم تفلحون) العبد لا يخلو من سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة لأن بها تنال الفلاح إذا ما توا وهيل أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة وظاهر الآية يدل على أن العبد لا يبقى في الآخرة

(وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرا كان أو ثيبا وأصله أيائم قلبت (والصالحين) أي الحرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وإمائكم) أي من علمتم منكم وحوارتكم والأمر للندب إذا النكاح مندوب إليه (إن يكونوا فقراء) من المال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو بالجماع الرزق وفي الحديث تمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضي الله عنه عجبت لمن يبتغي الرزق في ثلاثة وتلا هذه الآية (والله واسع) غني جواد لا ينزوه إعطاء الخلائق (عليم) بمصالح الرزق لمن يساء وقيل في الآية دليل على أن زوج النساء والإماء إلى الأولياء كالأب والجد وعند مالك والشافعي وأحمد وإسحق وجمهور أصحاب الرأي المرأة تزوج نفسها وقال مالك إن كان المزوج دنيا حط لها في الصداق زوجها أو شريفا رفع لها فيه وليس لها أن تزوج نفسها وإن كان كفؤا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له ﴿ وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) قيل المعنى هذا الغنى وقيل هو احتمال الزوج فقر الزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالصوم فقال تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال إن يفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) أي إنه ذو الإفضال والجود (عليم) أي بما يصلح حلقه من الرزق ﴿ وقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما يتزوجون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه

ضبط نفسه واجتهد فلا يبعد عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعدهم بالفلاح إذا تابوا واستغفروا لذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الأغر أغر مزينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي كل يوم مائة مرة وفي رواية سبعين مرة (م) عن ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ت) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بادر بالأعمال طلوع الشمس من مغربها بادر الله إليه بمائة رحمة ﴿ وقوله عز وجل (وأنكحوا الأيامى منكم) جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى وهو من لا زوج له من رجال وإمائكم وأنسائكم (والصالحين من عبادكم) أي من عبيدكم (وإمائكم) إن حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه وسحنون نفى نفسه إلى النكاح ووجد أهبته أن يتزوج وإن لم تجد أهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح يكنى به عن الجماع أصلها والوجاء كسر الوارمين الأنثيين وهو نوع من الخصاء سماه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا يتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي عند ذكر الله عبدا أكرمه فعالى رسدده وحرره وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزويج الأيامى إلى الأولياء لأن الله خاطبهم به كما أن تزويج العبد والإماء إلى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والليث وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق وجمهور أصحاب الرأي المرأة تزوج نفسها وقال مالك إن كان المزوج دنيا حط لها في الصداق زوجها أو شريفا رفع لها فيه وليس لها أن تزوج نفسها وإن كان كفؤا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له ﴿ وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) قيل المعنى هذا الغنى وقيل هو احتمال الزوج فقر الزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالصوم فقال تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) أي إنه ذو الإفضال والجود (عليم) أي بما يصلح حلقه من الرزق ﴿ وقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما يتزوجون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه

(والذين ملكت أيمانكم) أي عبيدكم وإمائكم (الكتاب) أي المكاتبة وهو أن يقول السيد لعبده كاتبتك على كذا فإذا أديته فأنت حر (فكاتبوهم) أمر ندب عند الجمهور وقيل أمر إباحة وقيل أمر وجوب لمن علم منه خير (إن علمتم فيهم خيرا) أي قوة على الكسب وأمانة وقيل صلاحا في الدين وقيل إسلاما (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر ندب عند الجمهور وقيل أمر وجوب لمن علم منه خير وقيل أمر إباحة وقيل أمر وجوب على السيد إن سأل المكاتب ذلك وقيل على الإمام أن يأمر السيد بذلك وقيل على الإمام أن يأخذ من السيد ويعطي المكاتب وقيل هو حط شيء من الكتابة وقيل هو أن يعطيه من الزكاة وقيل هو أن يعطيه من سهم الرقاب وقيل هو أن يعطيه من الصدقة المفروضة وقيل هو أن يعطيه من الصدقة المندوبة وقيل هو أن يعطيه من الفيء وقيل هو أن يعطيه من الخمس وقيل هو أن يعطيه من الجزية وقيل هو أن يعطيه من الغنيمة وقيل هو أن يعطيه من الكفارة وقيل هو أن يعطيه من النذر وقيل هو أن يعطيه من الوصية وقيل هو أن يعطيه من الميراث وقيل هو أن يعطيه من الهبة وقيل هو أن يعطيه من الوقف وقيل هو أن يعطيه من اللقطة وقيل هو أن يعطيه من الضالة وقيل هو أن يعطيه من الركاز وقيل هو أن يعطيه من المعدن وقيل هو أن يعطيه من البحر وقيل هو أن يعطيه من الساحل وقيل هو أن يعطيه من الجبل وقيل هو أن يعطيه من السهل وقيل هو أن يعطيه من الوادي

(والذين يبتغون الكتاب) أى يطلبون الكتابة (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سيأتى قول هذه الآية ان شاء الله تعالى علما لحو طب من عبد العزيز سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حو طب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وعتق يوم حنين فى الحرب * بيان حكم الآية وكيفية الكتابة ودلائلها أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال وتسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين او فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر وتقابل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق وصار العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واداء ما على مادام المال باقيا متصلا فى يده من المال فهو له وولده أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى الحمل واداء عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يصيح كما سيرد ذكره الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ندب واستحباب ولا يجب الكتابة على أحد من يحتمل عبد السيد لانه عبد حر ارقا ما لا يجد ومن تمام الارفاق أن يكون ذلك المال عاما فى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وحتى أوجب بعضهم الكتابة الى نجم واحد وحاله واحدة والمراد بقوله ان علمتم فيهم خيرا فعال ان عمر فوه على الكسب وهو قول مالك والثورى وفى الموطأ روى ان عبد السلمانى القارى قال له كاتبنى قال لك مال قال لا قال لم يدنس طعمى أوساخ الناس ولم يكاتبه فعل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم حسنا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعى أظهر معانى الخير فى العبد الاكتساب مع الامانة فحسبان لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا روى أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله أخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير ان يكون العبد عفيفا لا مالا فأما الصبى والمجنون فلا يصح كتابتهما لان الاسقاط منهما لا يصح وحتى أوجب بعضهم كتابة الصبى المراهق ﴿ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فحث على السخاء

(٤٢ - (حازن) - ثالث) ظاهرا وما هو منهم بالعبس فهم * ولكن معدن الذهب الرغام يأكل ما يأكلون ويشربون مما يشربون ومادرهم انه صعب الله يرى السموات والارض فاتقوا بأمره وكاتبه عمل صعب فان بقى الايام واسمهم * فان المسك بعض دم الغزال قال ولى العزيز أصبى واحلى رجال ولى العشيرة أوفى واعلى وبزل الاول من الثانى فى حصيرة الرجس منزلة الدم من الوريد والساطان أما الى عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن السرين ومجمع الخالين وجمع الرذائل ساطن أحواله مهدى ولى العزيز وظاهر أعماله مهدى ولى العشيرة والمجاهد المحاسب العامل المطالب بالصراط كجموم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المائتين درهما خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زوره فكاتبه اسرى نفسه من ربه فهذه الجموم المرهقة سعى فى فكاكه وهو فاس السعاة فى بيعه لله ودينه وطمعا فى فتح باب الحرية لنفسه فمع ذلك فيه ما لا يفعل ما سواه وهم والراتع الاثام فاكثرهم فيهم العاصى الخاسر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون اكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا يعنيه فصول فصلا عن السارق والزانى والخاصى نفسه والمرتد عن الاسلام والصلاة والصوم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآخر

(والذين يبتغون الكتاب) أى يطلبون الكتابة (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سيأتى قول هذه الآية ان شاء الله تعالى علما لحو طب من عبد العزيز سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حو طب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وعتق يوم حنين فى الحرب * بيان حكم الآية وكيفية الكتابة ودلائلها أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال وتسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين او فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر وتقابل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك المال عتق وصار العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واداء ما على مادام المال باقيا متصلا فى يده من المال فهو له وولده أولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى الحمل واداء عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يصيح كما سيرد ذكره الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ندب واستحباب ولا يجب الكتابة على أحد من يحتمل عبد السيد لانه عبد حر ارقا ما لا يجد ومن تمام الارفاق أن يكون ذلك المال عاما فى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وحتى أوجب بعضهم الكتابة الى نجم واحد وحاله واحدة والمراد بقوله ان علمتم فيهم خيرا فعال ان عمر فوه على الكسب وهو قول مالك والثورى وفى الموطأ روى ان عبد السلمانى القارى قال له كاتبنى قال لك مال قال لا قال لم يدنس طعمى أوساخ الناس ولم يكاتبه فعل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم حسنا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعى أظهر معانى الخير فى العبد الاكتساب مع الامانة فحسبان لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا روى أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله أخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير ان يكون العبد عفيفا لا مالا فأما الصبى والمجنون فلا يصح كتابتهما لان الاسقاط منهما لا يصح وحتى أوجب بعضهم كتابة الصبى المراهق ﴿ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فحث على السخاء

مولاه حو يطلب أن يكاتبه فأبى

اعلم ان العبد أربعة أقسام قسم فى الخدمة ومأذون فى التجارة ومكاتب وآتى قسم الاول وفى العزيز الذى حصل العزيز ما يشاء الحلو وترك العسيرة والثانى وفى العشيرة وهو الذى حصل العشيرة ويحالط الناس لعشيرة ويشاطرهم ويأمرهم بالعشيرة وهو حليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويطعمهم عن الله ويسكام مع الله فالدنيا سوق تجارته والعمل رأس ماله والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى عنوانه والعلم مفرعه ومحاه والقرآن كتاب الادب من مولاه هو كان فى الناس يطواهره ناس منهم يسرارة بعد شهرهم فعماله علهم فى الله باطنا هم وصلهم فعمالهم عما لله

من مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلي وابن عمر وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبا لم يضع عنه شيأ من أول نجومه تعاوه ان تجز وضع عنه بعضه و يضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتبين وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مواساتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه عجز ويقال ويرفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وعامة وبه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء في عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لأولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد منه أولاده وأكسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا تملك المولى فسخها مالم يعجز المكاتب عن اداء النجوم ﴿ وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيأ قال فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كان له جاريان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لصرية به أحدهما مسيكة وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يوجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قال بعضهم كيف نصنع بما كان هذا الامر الذي كنا عليه ولا يحل لنا ونحن نجد ما نكسب به فأنزل الله هذه الآية وروي ان احدى الجاريتين جاءت برد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكما لم جئتما بهذا فوالله لا نعمل عندكما شيأ أبدا فذهبتا الى أبي فقالتا له ما قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على قولين أحدهما ان الشرط في هذا الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكرنا في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن مرتبطا به الا بما اشترط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها هي بالطبع طوعا لا مكره لها فأي ان معنى اذا أي اذا أردن وليس معنى الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن التحصن كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذا كنتم مؤمنين والقول الرابع ان في هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره ولا تكرهوا فتياتكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) أي لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أي من أموال الدنيا وتكسبوهن وتنفقوا عليهن (ومن يكرههن) يعني على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله ﴿ وقوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أي من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي سهاما حالكم كحالهم أم الكذبون وهو نحو قولهم ما نحن فيه من كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أي الموحدين الذين هم بالسر والكتاب ﴿ قوله عز وجل

شاسعة وهي صدر البعث (ان أردن تحصنا) بعضكم على الزنا واعلم ان قيد هذا الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فأما المطيعة لزناه فليست بمكرهة ولا يسمى مكرها ولا أمره اكراها ولا يجوز ان يكون على سبب ورفع النهي على تلك الصفة وقيد به ويبتغي للموالي أي اذا رغبن في التحصن فانهم أحق بذلك (اذا هوا عرض الحياة الدنيا) أي لتبغوا ما كرههن عليه الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أي لهن وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اذا به السر وهو الذي تخاف منه الملف وكانت آمنة أولهم اذا باوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعني الامر والحلال والحرام وبيان ما تحتاجون اليه من أمر دينكم (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي شبها من أمر الذين مضوا قبلكم من الامم الخالية وقصتهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة ما سمي الله بها (وموعظة) ما وعظ به

(الله
من الذين خلوا
(وموعظة) ما وعظ به

أى هم المقصودون بها وان كانت موعظة للكل تغليبا (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره من يشاء ذكرهم وخود ثم تقول يبعث الناس نكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وذو نور السموات والأرض الحق شبه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله الله ولى الذين آمنوا نخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضىء له السموات والارض وحقيقة المراد أهل السموات والأرض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة (كمشكوة) كصفة مشكاة وهى الكوة فى الحائط غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج (٣٣١) صحيح ثاقب (المصباح فى زجاجة)

(الله نور السموات والأرض) قال ابن عباس معناه هادى السموات والأرض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه يعلمون حجره الصلاة يحوب وقيل معناه الله نور السموات والأرض نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء وقيل معناه مزين السموات والأرض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الأرض بالماء والأشجار وقيل معناه أن الأنوار كلها منه وقد ذكر هذا القطع على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله من مرو ليلة * فقد سار منها نورها وجمالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الأنوار الى نفسه لما بينهما من الاتصال وبعضهم (كمشكوة) هى الكوة التى لا منفذ لها وقيل هى المعلقة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من الضوء (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل واعلم أن ذكر الزجاجة لان النور وضوءها أظهر وأبهى من كل شىء وضوء ونور فى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) من درأ الكوكب اذا اندفع مضاء ومضاعفة نوره فى ذلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى أى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أصوأ من الدر لكنه يفصل الكوكب نفسه كما يفصل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى أحد الكواكب الخمسة السيار التى هى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وقيل سمى بالكواكب ولم يسم بالشمس والقمر لانهما لطمسهما الكسوف بخلاف الكواكب (يوقد) أى يعد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة مباركة كثيرة المنفعة وقيل سميت بذلك لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو أدام وهو أصفى الادهان وأضوؤها وقيل أراد بالشجرة الطوبى وقيل أراد بها شجرة تنبت بفلاة من الأرض لا يواريها شىء من الأرض الا أنها بارزة للشمس طول النهار وكذلك بالليل لا يظلها شىء وهى أجود ما تكون زيتونا اذا كانت بهذه الصفة لان ثمرتها حينئذ تكون أنضج وأجود وقيل هى شجرة التين وقيل هى شجرة بين مصر والشام وقيل هى شجرة بيت المقدس بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة بعينها (لا شرقية ولا غربية) أى ليست بنابتة فى مكان الشرق ولا فى مكان الغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون ما نبت فى الشام وقيل لست مما تطلع عليه الشمس فى وقت دون وقت أو هى مما تطلع عليه الشمس فى جميع أوقاتها ولكنها بارزة (يكاد زيتها) دهنها (يضىء ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والجودة لانه اذا كان كذلك كان أضوأ (نور على نور) أى هذا النور الذى وصفه بالحق نور منضاف بعضه الى بعض فنور المسكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق منها سوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان صاف كالمسكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء يتفرق فيه والقنديل أعون على زيادة الانارة وكذلك الزيت صفاؤه وصيرورته الى أن يكون بحيث يحسبه من يعهده ولا يعلم عهده ولا يشهد فانه يعلم لما قال فى المأمون

فى قنديل من زجاج ساجى بكسر الزاى (الزجاجة كأنها كوكب درى) معنى بضم الدال وتشديد الراء منسوب الى الدر لصفائه وصفائه بالكسر والهمز عمرو وعلى كأنه بدرأ الظلام بضوئه بالضم والهمز أبو بكر وحمزة وفى زهرية بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف حجازى وعلى وأبو بكر الزجاجة وتوقد بالتخفيف ساجى وبالتشديد مكى بصرى أى هذا المصباح (من شجرة) أى ابتداء منبته من شجر الزيتون سمى بها (مباركة) كثيرة المنافع أولانها تنبت فى الأرض التى بورك فيها للعالمين وقيل كان يبارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة بعينها (لا شرقية ولا غربية) أى ليست بها الشام يعنى ليست من الشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون ما نبت بالشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس فى وقت دون وقت أو هى مما تطلع على بعضها دون بعض بالعداوة والتى جميع ثمارها فى شرق وغرب (يكاد زيتها) دهنها (يضىء ولو لم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والجودة بحيث لو مسه النار لاشتعل من غير احتياج الى النار (نور على نور) أى هذا النور الذى وصفه بالحق نور منضاف بعضه الى بعض فنور المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق منها سوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان صاف كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء يتفرق فيه والقنديل أعون على زيادة الانارة وكذلك الزيت صفاؤه وصيرورته الى أن يكون بحيث يحسبه من يعهده ولا يعلم عهده ولا يشهد فانه يعلم لما قال فى المأمون

* (فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) * اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والاضاءة الى أقصى الغايات وصارت تلك الهداية المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح متقد بلغت نهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفاته وصح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يبين للناس ولو لم يتكلم به كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب العرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين سمي الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس ولو لم يتكلم به نور على نور أي نور قلب المؤمن نور على نور من تلقي نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل هذا المثل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة جسده والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن نور في صدر مبارك هي شجرة الاخلاص لله وحده لا شريك له مثل ضربها الله وهي حضراء لا تعفيها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت كذلك المؤمن قد احترس أن تصيبه بيمن الغيب فهو يمشي في أربع حلال ان أعطى شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يأتيه ما يوافقه نور على نور قال أبي أي هو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى الجنة نور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني اعمال المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما تستصباح بالمصباح فكذلك يهتدي بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة تسرع في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجج القرآن تضيء لهم نورا ونور على نور يعني القرآن نور من الله فجمعهم مع ما قام لهم من الدلائل والاعلام مثل نزول القرآن فازداد بذلك نورا على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أي يبين الله الاشياء للناس بضربها الى الافهام وتسهيلا للسبيل الادراك (والله بكل شئ عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي في المساجد كما قال ابن عباس وابن مسعود وجماعة من المفسرين وهي بيوت الله في الارض يضيء لاهل السماء كما يضيء الكواكب لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد أربعة بناها ابراهيم وابنه اسمعيل عليهما السلام بيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا (اذن الله أن ترفع) أي بنى وعمل تعظيما ولا ذكر فيها الخير من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يصلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلي له فيها (بالغدو والآصال) أي بالغداة والعشي قال أهل

الا مستنير والمصرف له من قوله مثلا شر وداني الذي والناس فالله قد ضرب الامثال لنوره مثلا من المشكاة والنبراس (يهدي الله لنوره) أي هذا النور الباهر (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابته الحق من يشاء من عباده الهام من الله او بنظره في المثل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم لتعتبروا فتوحدوا (والله بكل شئ عليم) فمن كل شئ يعلم ما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) أي على معنى كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل لم نوره كما يرى في المساجد نور المشكاة الى من صيرها كواكب أو وقد أي توقد في بيوت أو مسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها يذكر فيه نوكد بحور يغدى الدار جالس فيها أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت (أذن الله) أي أمر (ان ترفع) بنى كقوله بناها رفيع سمكها فسواها وقد رفع ابراهيم القواعد او تعظم من الرفعة وعن الحسن ما امر الله ان يرفع ما الا ويكثر ما له عظم (ويذكر فيها اسمه) في فيها كتابه هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) اي يصلي

ال مفسر

في فيها ما له ذا صلاة العصر بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء لما وحد الغدو لان صلاته واحدة وفي الآصال صلاتان والآصال

التفسير أراد به الصلاة المعروفة فالمراد بالغدوة صلاة الصبح والتي تؤدى بالعداة صلاة العصر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس السبح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود (رجال) فصل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وفصل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا تشغلهم بيع (عن ذكر الله) اي حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون ممن يقيم الصلاة روى سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم وذهبوا الى المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة) يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضروقت أداء الزكاة لا يحسبونها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم أنهم ما عبدوا الله حق عبادته وقال ان القلوب تتقلب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب من الخوف والرجاء فحين الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية توحذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن اي ثقوبهم كتبهم امن قبل اليمين أم من قبل الشمال ويقال تتقلب القلوب في الحلق فترتفع الى الحنجرة لا ترجع ولا تخرج وتتقلب الابصار فتشخص من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) وهو يشعر على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ﴿ قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب سبحانه مثلا لحال المؤمن وانه في الدنيا والآخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم ضرب مثلا لاعمال الكفار وشبهها بالسراب وهو شيء ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظن من رآه ماء فاذا ورد لم يجد شيئا والقيعة الفاع وهو المنبسط من الارض وجمعه قيعان ويكون السراب (بحسبه) أي يوهمه (الظمآن) أي العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء ما ظنه ماء وذهب اليه حتى جاء الى موضع السراب (لم يجده شيئا) أي لم يجد ما ظنه على ما قدر وظنه وهو وجه التشبيه ان الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وانه

(ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلوة) أي وعن اقامة الصلاة الباء في اقامه عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما نقلت الواو ألفا التقى ساكنان حذفت احداهما للقاء الساكنين فاذا حذفت الياء عوضا عن المحذوف فلما أضيف أقيم الاضافه مقام الياء فأسقطوا الياء (وايتاء الزكوة) أي وعن (ايتاء الزكاة والسعي لاخوانهم حتى يلبيهم كاولياء العزلة أو يسعون ويسترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها عجلة (يخافون كراهة العسرة (يخافون يوما) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في يلبيهم أو صفة أخرى لرجال (تتقلب فيه القلوب) تتقلب فيها الى الحناجر (والابصار) بالشخوص والزوغة أو تتقلب القلوب الى الاعمال بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) اي يثيبهم ويجازيهم

لنجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي لنجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يعطي من يشاء ما لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهديين برسول الله فما الذين صلوا عليه فالمذكورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجير وجار (يحسبه الظمآن) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيئا) كما توهم

(ووسط الليل) أي بعد ثلثه الأول وقبل ثلثه الأخير (وبعد عقبه) أي بعد مضي زمن عقبه (وبعد عقبه) أي بعد مضي زمن عقبه (كلما) وبعد تقدم الجمع جلا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عدد ولا يشغله حساب عن حساب أو مر بحسابه لأن ما هو آت قريب شبيه بما بعده من لا يعتقد الإعادة ولا يشح الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها بمعهم عند الله ويجنيه من عدابه ثم يحيي العالمين أولهم وآخرهم ويلي حلاف ما قدر تسراب براما لكافر بالساهرة وقد غلظه عطش يوم القيامة فحسبه ماء أتاه فلا يجده ما رحاه ويجد زبانيته عنده فأخذوه إلى سواء الجحيم والعصاة وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولي برلف في عمل (٣٣٤) وبعقب أمية كان يترهب ملتمسا الدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات في بحر)

أو هما كما وفي أو كصيب (لجي) يحسب كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاه) أي يعشى البحر أو من فوقه أي يعلوه ويعظمه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الأعلى سحاب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (إذا أخرج يده) أي الواقع منه (لم يكد يراها) مقاربه في لم يكد يراها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها بعد أعمالهم أولا في حوان بعدها وبحصور رصررها تسراب لم يحدث من حدث من بعد سماولم كمحسبه وكذا ان لم يحدث أكثره ن السراب حي وحد عنده الرما بعد له إلى الا اروسمها ما ماي ظلمتها وسوادها الكوم ها ما طله وفي سلوها عن نور الحق بظلمات مراكم من لج البحر والامواج بعضها والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا ما له ن نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الرحاح في الحديث حلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره من أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يعوم مقام العيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير أي بعض أصحهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو لله كل في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يعد الله الطير دعاء وتسبيحا كما لهمها سائر العلوم الدقيقة مما إلى لا كاد العقلاء منهم يدرون لها (والله عليم بما يفعلون) لا مر بعض عباده ي (ولله ملك السموات والأرض) لانه خالقهما ومن ملك شيأ ملكها (وإلى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يزجي) يسوق إلى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة وإنما قال له (ثم يؤلف بينه) وذكره للفظ أي يضم بعضها إلى

كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظن ويحسبه العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظم حسرته وتباهي عجبه وشماته بحال الظمآن الذي استدرجه حامله إلى الماء فإذا ساهد السراب في البر يعلو فالمه فإذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج إلى عمله لم يجده (عند الله فوفاه حسابه) أي وجد الله بالمرصاد وقدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد كما يشغل المخلوق لا آخر تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات وفصل معادها بأن مثل أعمالهم في فسادها وحبطها بهم فيها كظلمات (في بحر لجي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي مرتفع (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه أن البحر اللجي يكون فيه مظلما جدا لسبب عمور الماء فإذا تراكب الامواج ازداد الظلام فإذا كان فوق الامواج سحاب تضاعف الظلمة الهائلة العصوى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الإنسان قال لم يكد يراها وروي أنه سبحانه ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر قلبه ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل سماه بحرا لجيا لما فيه من الجهل والشك والحيرة والسحاب الختم والطبع على ما فيه قال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له وقيل ترك هذه الآية في حق قوم ثم قال في حق قوم آخرين كان منهم الذين في الجاهلية ولبس الموج فلما جاء الإسلام كفروا والاصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار ﴿قوله عز وجل (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء مثل حص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والأرض فتكون جارحة عن حكم من في السموات والأرض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قال الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل إن ضرب أحدهما الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه أن كل فصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معنى الكل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض) أي إن جميع الموجودات ملكه وفي نصرته وقهر أعدائه دليل واضح على أنه وحده هو المستحق للعبادة دون الأوثان التي لا تملك لعابديها ضرا ولا نفعا (وإلى الله المصير) أي وإلى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي) أي يسوق (سحابا) بأمره إلى حيث يشاء من أرض عاد (ثم يؤلف بينه)

بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل) ويرسل بمعنى ويعطي ويصير (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) السيل أو الابل لان ابتداءها والآخر للبعض ومعناه وينزل البرد من السماء من جبال فيها أو على الاول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن الله تعالى خلق في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة مثل ذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي صيب الانسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه (يكاد سنا برقه) ضوء

بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أي مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) اي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان تلك الجبال التي في السماء والثانية للتبعيض لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيهلكه وأمواله (ويصرفه عمن يشاء) أي فلا يضره (يكاد سنا برقه) أي ضوء عرف السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ارخاء السحاب وارسال الودق والبرد وتعاقب الليل والنهار (لعبرة لاولي الابصار) لذوي العقول وهذا من بعد الدلائل على توحيده حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما تطير بهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر فهي براهين لائحة على وجوده دلائل واضحة على صفاته لمن تطير وتدبر بين الآخر وقال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان شاهدنا في الدنيا ولا ندخل فيه الملائكة والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وقد دلت الآية ان الله خلق ما شاء من عجائب قدرته الخلق منه الجن وجعل بعضه ملائكة وخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على بطنه) أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات والناس غير نطفة فكيف ذلك الخلق من غير نطفة لابد ان يكون من شيء وذلك الشيء اصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشي صح ير العقلاء ولم استعمل في غير العقلاء فقد ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فعلت اللغة الآتي ذكرها بعد ان جعل السرب أصلا والخنس تبعا وولي فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاغرب في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الارجل والعوام يقدمون ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الخلق وأبان ما يمشي على اكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا ومالها أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاعم الاغلب وقيل ان هذه الآية اعتمادها على أربع في المشي إذ الاربع هي التي لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا نعلم ولا نعلم (ان الله على كل

عباده واحد ونفصل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا ومدبرا والا لم تختلف لان الفعل لا يخالف الاصل واما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود من اكثر الحيوان مخلوق من الماء وانه هو الاصل ان تعالى به وبنباته وسائر ما قالوا ان اول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من البخار الريح والملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تسمى المدبر وعبر المدبر على ما ورد أعلى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون ثم منهم (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر أو على طريق المشاكلة لما قبله ذكر الراجح في الماشي (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالبهائم وقدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل أو غيرها والماشي على اربع (يخلق الله ما يشاء) كالفرس (ان الله على كل

هو قدير) أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل فيحكم على ما يشاء كما يشاء لا معقب لحكمه (ولقد أنزلنا آيات بينات والله يهدي من يشاء) بالطافه وتسديده (إلى صراط مستقيم) إلى دين الإسلام الذي لا يعلو إلى جنسه الآيات لاتزام محتملا ذكر أنزل الآيات ذكر بعدها افترق الناس إلى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون وعلى هذا الترتيب بدأ المصنف فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بألسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أي المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا لا إلى الفريق المتولي وحده وفيه إعلام من الله بأن جمعهم مشتركون في عدم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقدهم هؤلاء والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلهم (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) أي إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه بمعنى بذكرهم ويدعى (لحكم) الرسول (بينهم إذا فريق منهم معرضون) أي فاجأ فريق منهم الإعراض برئاسة المنافق وخصمه اليهودي حين احتكما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا (وإن يكن لهم الحق) أي إذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا إليه) إلى الرسول (مذعنين) حال أي (٣٣٦) مسرعين في الطاعة طلبا لحكمهم لا رضا بحكم رسولهم قال الراغب الإذعان الإسراع مع الطاعة ومعنى

أنهم لم يعرفوا أنه ليس معك إلا الحق والعدل المحض تعصون عن الحاكم الذي إذا تركتهم الحق لثلا يسرعه من أحد إليهم بغصائك عليهم لخصومهم وأن ليس لهم حق على خصم أسرعوا إلى المجيء ولم يرضوا بالتحكيم لما أحد لهم ما وجب لهم في دعوى الخصم (أفي قلوبهم مرض) أم ارتابوا) أم تحاقون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فيسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل جوديهم بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أي لا تحاقون أن يحيف عليهم لعرفهم بحاله وأنهم ظالمون يريدون أن يظلموا له الحق عليهم وذلك لا يليق بحاله فيه في تحاكمه إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام في تأويل المحاكمة إلى (إنما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع وإنما صح القول لأن أولى الأمور بكونه اسما لكان أن يعلم أن العرب إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله ليحكم (إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم أي ليفعل الحاكم (بينهم) بحكم الله الذي أنزل عليه (أن يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله) في مرضاته (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض القراء أنه سأل عن أنه كان يقرأ هذه الآية وهي جامعة لأسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أو بكسرها والوقف وبسكون القاف وكسر الهاء بخلسة هض وكسر القاف والهاء عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلفوا المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم لو قدروا على جهد وجهدهم وجهدهم مصدر من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعه وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية سعيه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قال بالله فقد جهدهم وأصل أقسم أن أقسم جهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر ووضع موضعه صفاته إلى المفعول كقولك ضربا زيدا أي يضرب ضربا (لئن أمرتهم ليخرجن) أي لئن أمرتهم بالخروج

أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل فيحكم على ما يشاء كما يشاء لا معقب لحكمه ولا دافع (لقد أنزلنا آيات بينات) يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وحده ﴿قوله تعالى (ويقولون) يعني المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) أي يقولون بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا وادعوا في غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نحاكم إلى كعب بن الأشرف فأبى محمد أن يحيف فأنزل الله هذه الآية (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم (إذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وصل عن الإجابة (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي مطيعين منقادين لحكمه أي إذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم أنه يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفي قلوبهم مرض) أي كفر ونفاق (أم ارتابوا) أي شكوا وهذا استفهام توبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أي لأنفسهم بإعراضهم عن الحق ﴿قوله عز وجل (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله) أي إلى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (أن يقولوا سمعنا) أي الدعاء (وأطعنا) أي الإجابة (وأولئك) أي هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما يأمره وينهاه (ويخش الله) أي فيما عمل من الذنوب (ويتقه) أي فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أي الناجون ﴿قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما

قل لا تقسموا أو الخروج من ديارنا لغير جهاد (قل لا تقسموا) لا تحلفوا أيها المكذبون لا تقسموا قسمة (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الأعمال الكاذبة تبتدأ أحدوثة بأمر أو بسبر مستذاع مصدوق أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا تشك فيها ولا ارتياب كطاعة الخلص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها أفواهكم وقلوبكم على خلافها (إن الله خبير بما تعملون) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم فإنه فاضحكم لا محالة ومعاريكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ في تبكيتهم (فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) يريد فإن تتولوا فما ضر وه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدته سكلفتموا ما أبى فعلكم ما كلفتم من التقي بالقبول والانقياد فإن لم تفعلوا وتولوا ثم فضرر ذلك عائد إليكم لتسببكم لسخط الله وعذابه (وإن تطيعوه تهتدوا) أي وإن تطيعوه فيما تأمركم به تهتدوا فقد أخبرهم بصلاحهم في الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائد إليكم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وما على الرسول إلا أن يبلغ ما أمر به فمن قبل منكم ولا عليه ضرر في تولكم والبلاغ يعني التبليغ كالأداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه معروفا بالآيات والمعجزات (٣٣٧) ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه منهم أو للمنافقين ولمن أراد به المهاجرين ومن لم يهاجر (ليستخلفنهم في الأرض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام زويت لي هذه الأرض على ما رأيت منها لي ما زوى (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم ولنمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ولنبدلنهم) وأبدلهم بالخوف أمنا (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن يظهر الإسلام على الكفر وفتح لهم الأرض وتجعلهم فيها حكاما كما فعل بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام

قل فإن كرهتم حكم الله ورسوله قالوا لا نبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونساءنا لخرجنا فأنزل الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) أي لا تحلفوا وهم الكاذبون فيما حلفوا عليه (طاعة معروفة) أي هذه طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة أي أمر عرفتموه أنكم تكذبون وتقولون ما لا تعملون وقيل معناه طاعة معروفة خير لكم من الحلف الفاجرة أفضل وأصل من حيث باللسان لا بوافقها العمل (إن الله خبير بما تعملون) أي من طاعتكم بالقول وخلافكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما يأمركم وينهاكم (فإن تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فإنما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) أي ما كلفتم من الإجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي الإبلاغ الواضح الذي لا يحتمل تأويلا (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) قال مكي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوف لا يفارق أحدهم سلاحه فقال رجل متى يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وحكامها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وكما استخلف بني إسرائيل لما هلك الجبارة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم (ولنمكنن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس نوسع لهم في البلاد حتى يملكوها وتظهر دينهم على سائر الأديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) أي (لا يشركون بي شيئا) فأنجز الله وعده وأظهرهم ونصرهم وأبدلهم بعد الخوف أمنا وتسلطوا على الأرض (ح) عن عدي بن حاتم قال بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه رجل شكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر يشكو قطع السبل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد فلئن طالت بك

(٤٣ - (خازن) - ثالث) بعد اهلال الحاجة وأن عمر الدين المرتضى وهو دين الإسلام وكمله وأظهره على سائر الأديان ومن ارتد منهم أو بدل عهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون حتى قال رجل ما إلى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وأصبحوا أبعد الناس من الخوف والعرب ومرجوا ملك الأكاسرة وملكوا أموالهم وأبناءهم والمراد بالذين آمنوا الصحابة رضي الله عنهم وقيل المراد به المهاجرون ومن لم يهاجر (ليستخلفنهم في الأرض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام زويت لي هذه الأرض على ما رأيت منها لي ما زوى (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم ولنمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ولنبدلنهم) وأبدلهم بالخوف كما أبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن يظهر الإسلام على الكفر وفتح لهم الأرض وتجعلهم فيها حكاما كما فعل بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام

جملة لتقتلن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز وليش طالت بملك حياة لتوشكن
الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد أحدا يقبله منه ولتفتحن القسطنطينية أسد كم
يوم الصائفة وليس بسمونه ترجمان يترجم له فيقول ألم أبعث اليك رسولا فبلغك فيقول بلى يارب
فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فيقول فبما عزمت فيما عزمت فيقول كنت أتصدق
فيذكر طرفا من أحاديثهم ويطرى على سمائه فلا يرى الا وجهه قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة
وكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت
فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج
الرجل ملء كفه منها الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده
لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة من فتح كنوز كسرى وغيرها من الممالك وحصل الامن والتمكين
وظهور الدين * عن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم
تكون ملكا ثم قال لي سفينة أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشرة سنة
وعلي سنة قال لي سفينة أمسك خلافة هؤلاء قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي نحوه هذا لفظ
أبي داود وفي هذا الحديث من الفصل وفيه اجمال ومن الفصل خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة
أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثني عشرة سنة كما ذكر في الحديث
وخلافة علي أربع سنين وستة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلي كذا ولم يبين بعض مدته
وعلى هذا الفصل تكون مدة خلافة الاربعة الاولين ثلاثين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة
بخلافة الحسن كما سنذكره أشهر ثم رأيت عن ابن عباس رضي الله عنهما الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم
يصلون بعد ذلك كما أحوجا * عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أراد عثمان حاصرناه فقال
فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فاني لست داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله عز وجل معمود وان الملائكة في سمائه وفي
الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تعلموا انه ظلم وانه اعتدى طردتم
جيرانكم الملائكة وليسأل الله عز وجل عنكم فلا تعمدوا الى يوم القيامة قالوا فعلوا اليهودي واقتلوا
عثمان أخرجه الترمذي وزاد في روايته غير الترمذي فما فعل بي فعل الاقلين به سبعون الا ولا حاجة لنا
جسيم ولا يوم ألما ﴿ قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اي
اوامره واعلم ان الاتيان على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أي فائتين عنا (في الارض ومأواهم
النار ولبئس المصير) ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن
عباس وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج من عجز والى عمر بن الخطاب وقد
الظهيرة يدعوه فدخل فرأى عمر عند ذلك كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء
بنت مرثد كان لها غلام كرهت دخوله عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت
أيمانكم واللام لام الامر وهو قول أحدهما انه على الادب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو
الاولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبد والامة (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار وليس المراد
منهم الذين لم تظهر واعلى عورات النساء لان المراد الذين عرفوا امر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو
الجماع والعقل وعبرهما وا وهو العلماء على ان الاحتلام لوقوع واحد منهما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم تحتلم

وأولاهم النار (وبئس المصير) اي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت
أيمانكم) ... الذين لم يبلغوا الحلم منكم ... ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر ... الظهيرة ... صلوة العشاء

(ثلاث مرات) في اليوم والليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت المنام من الاضاحي وطرح ملابسهم (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لانها وقت وضع الثياب غالبا (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت المنام من أيام المطلوب الاعلام بثياب التوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات هدف المدة أوالاصناف وانتصب كونها غير خمس بدلا من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يختل فيها الاغلب ومنها الاعورار والخلل العين دخل علام من الانصار رضي الله تعالى عنه مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه فرأت الظهيرة هو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عرفهم في تلك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح) (٣٣٩) بعدهن) أي لا اثم عليكم ولا على المذكورين

قال أبو حنيفة لا تكون بالعاشي بقية عشاء سبعون بكملها والخارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في العلا والخارية بخمس عشرة سنة بصير مكلفا ويجري عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت العمل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة بالاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما بدو من الانسان ما لا يحب أن يراه أحد من الخدم والصبيان فأمرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وعبر العبد والصبيان بلفظ الاذن في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبد والخدم والصبيان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) اي العبد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أي تطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان رجلا من أهل العراق قال يا ابا العباس كيف ترى في هذه الآية التي امرنا بها ولا نعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر كان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك يعني عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية أمنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون منسوخة والله ما هي منسوخة ولكنها مما تهاون به الناس قتل ثلاث آيات برئ الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعطكم ما وادا حضر القسمة أولوا القربى الآية ﴿ وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) اي دلالاته ومعالم احكامه (والله عليم) اي بامور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب استأذن الرجل على امه فانما أمرت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تعمل رأسها منها ما تكره ﴿ قوله (والقواعد من النساء) يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا

في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بحوائج المتاع (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها وان يكون مبتدأ وخبره بعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة تطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو حرم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو موضوع في الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) اي كما بين لكم الاستئذان بين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الى انها (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أي الاحرار

دون المماليك (الحلم) اي الاحتلام اي اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم (فاستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) اي الذين بلغوا الحلم من غيرهم وهم الرجال والذين ذكرناهم في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم حتى تستأذنوا الآية والمعنى ان الاطفال مأمورون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا عاد الاطفال ذلك لم يعدوا بالاحتلام أو بالسن وجب ان يعطوا حكم الكبار ويحملوا على انهم استأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يزالوا يستأذنون في الدخول عليكم الا ما ذكرنا وبالله التوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله أن أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما دبر من الاحكام (حكيم) فيما صالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها ترك العجائز من النساء كالطالق والحائض أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء)

بدن ولا بعض (الذي لا يرجون نكاحا) أي لا يرد الارواح لكبرهن وقلهن الجماع الوافي اذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت منهن بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الخمار والرداء الذي فوق الثياب والصناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والصدر والساق ونحو ذلك مما لا يبدين بوضعها التبرج ولكن (التعفف وسعة التبرج تركه) اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلن العفة عن وضع الثياب فيبقين مستترات وهو مبتدأ

خبره (لهن والله سميع) لما يقلن (عليم) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو دفعوا الى الزمنى والعرج والمرضى مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعهدوا أقفالهم وأمروهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وكسبه كسبه فخاطب الاولاد في الآية وهو قول عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجة صارت كالمرأة كسب الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتم مفاتحه) جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنه هو كل الرجل وضمنه في صدره وما سدله ان تأكل من غير صديق هو نسيب من بيت ما سدره أن يدخل المفاتيح كلها في يده وحفظه وكل ما ائتمنه عليه لان العبد وما في يده مولاه (أو صديقكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته ويصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل داره صديقه وهو غائب فيسأل خادمه كيف صديقي أحدثت شيئا فاذا حضر مولاها فاحضرته أعمتها

طعامك

طعامك تعمد ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلوها وان لم يحضروا من عمران يؤذنوا وتعملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد المسافر انهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل صرورة أو في قوم من الانصار اذا لم يكن لهم سعة لا يأكلون الامع غيرهم أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت التي كانوا (فسلموا على أنفسكم) أي فليسلم بعضكم على بعض (تحية من عند الله) أي شرعه وأمر به ويسر عليه من لدنه أو لان المسلم والمسلم عليه يطلبان السلامة (٣٤١) وحياة المسلم عليه والدعاء له من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيد (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يرحمهم عظم الحاجة في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا معه اذا كانوا معه على أمر جامع جعل لهم ذهابهم حتى يستأذنوه بالايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالشيء له والشاهد لذكره ولذلك مع تقدم الحاجة بما ساوا تعاطي المؤمنين به اذا حضروا معه موصول أحاط صلاة

طعامك تعمدا ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلوها وان لم يحضروا من عمران يؤذنوا وتعملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه وربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كان معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يسابره فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقال ابن عباس كان الحي يدخل على الحي من دوي فراشه وصداقه فيدعوه الى طعامه فيقول له اني لاجد أي الحرج ان آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية ونزل في قوم من الانصار كانوا اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا وجميعا أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال عطاء اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس جعله وصل ذكر البركة والطيب هو المأمور به من الباب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اي عن الله أمره ونهيه وآدابه ۞ قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضر أو جمعة أو عيد أو جنازة أو تشاور في أمر نزل (لم يذهبوا) اي لم يفارقوا ولم يصرفوا عنها حتى يعلموا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخاطب براسه عرف انه انما قام ليستأذن فاذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان شاء وذلك قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يحل لهم ولا يرخص لهم الا بالاذن واذا استاذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث شيء من المهام فان حدث شيء من المهام فان يكونوا في المسجد فيخص امرأة منهم أو يحدث حدثا أو يعرض له مرض فلا يحل له الانصراف الا بالاذن (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) اي ان رأيت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) ۞ قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

ذكر الانصراف بعد ما ذكر الاذن دليل على ان الاصل ان لا يستأذن وانما جعل الاذن الى الامام لانه ربما عرض له عارض فيأذن لمن شاء منهم ولا يأذن لمن لا عذر له فيه وقيل نزلت في المنافقين كانوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو فيأذن لمن شاء منهم ويعتذر لهم فنزلت هذه الآية

دعاء بعضكم بعضا وزجروكم عن الجميع خيرا ذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته دعاء بينكم كما تسمي بعضكم بعضا باسمه الذي سماه أبواه فلا تقولوا يا محمد ويا أبا القاسم بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون (منكم لواذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي يستترون عن الجماعة في الخندق على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وعنه وما أمر بذا خالفكم إلى ما أنهاكم عنه مواخالفته عن الأمر إذا صد عنه دونه وعنه والضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام المعنى عن طاعته ومتعلق يحذر محذوف أي فليحذروا عقوبته (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسلط سلطان جائر أو وسوسة القلب عن معرفة الرب أو استرسال النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الأمر للوجوب ألا إن لله ما في السموات والأرض) ألا يدعلى أن (٣٤٢) لله ما الخلائق أمر من له ما في السموات والأرض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد ليؤكد علمه بأحوالهم

يعلم ما أنتم عليه من المخالفة عن أمره والنفاق وغيرهما وهو وعيد لمن يخالف عن أمره (ويوم يرجعون إليه) أي يعلم يوم يرجعون إليه فحذف المفعول به لدلالة ما قبله عليه (فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بأعمالهم ويجازيهم عليها (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء منها ورأى ابن عباس رضي الله عنهما رجلا يقرأ سورة النور على المنبر فوقف عند هذه الآية وبكى وقال يا معشر المسلمين ما أغفلنا عن هذه الآية وأشار بيده إلى أذنيه وقال أذناي هاتان إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه صب في أذنيه يوم القيامة آنك ولم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ وأشار إلى عينيه وقال عيناي هاتان إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنيه الآنك يوم القيامة وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وأخرجه أبو داود أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الرجل إذا أسلم جاء فأقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سئل أحق هذا فيقول نعم فيجالسهم فجاء رجل فأسلم فجاء فقال أحق هذا فقال ما يدريني ما تقول إلا أني أظن أنك قد جلست إلى قوم فقالوا مثل ما قلت فقام من مجلسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحق ما يقول هؤلاء فقال ما يدريك ما يقولون فقال أظن أنك قد جلست إلى قوم فقالوا مثل ما قلت فقال ما يدريني ما يقولون إلا أني أظن أنك قد جلست إلى قوم فقالوا مثل ما قلت فقام من مجلسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحق ما يقول هؤلاء فقال ما يدريك ما يقولون فقال

ردعلى النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) اى هو الرد الالهيه وهو مردعلى النبويه وعباد الاصنام (وخلق كل شئ) مما يطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) أى سوّاه وهيأه لما يصلح له لا يحالة ومثل تفاوت وفصل قدر كل شئ تعد براس الاجل والرزق وغيرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) أى انهم آثروا على من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة غيره لا يقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) اماته (ولا حياة) أى احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وبعثها كالصلاة تقيم عامدها ويقال الذين كفروا ان (٣٤٣) هذا) ماهذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى فالله البصير ان الحرث (فقد جاؤا ظلما وزورا) هذا احبار من الله ورد للكفرة فجمع الضمير الى الكفار وجاء يعمل فى معنى فعل فعدى بعدها او حذف الجار وأوصل الفعل أى ظلم زور وظلمهم ان جعلوا القرآن ملفقا من التخمى الرومى كما مر بيانه وصاحبه جبر وعبد بنى الحضرمى ويسار عبد بنى عامر بن لؤى وعداس عبد بنى ربيعة (وقالوا أساطير الاولين) أى هو احاديث المتقدمين وما سطروه وكرروه وغيروا جمع اسطار واسطوره كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه (هى تملى عليه)

ردعلى النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) اى هو الرد الالهيه وهو مردعلى النبويه وعباد الاصنام (وخلق كل شئ) مما يطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) أى سوّاه وهيأه لما يصلح له لا يحالة ومثل تفاوت وفصل قدر كل شئ تعد براس الاجل والرزق وغيرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) أى انهم آثروا على من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة غيره لا يقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أى دفع ضرر ولا جر نفع (ولا يملكون موتا) اى اماته (ولا حياة) اى احياء (ولا نشورا) أى بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أى ماهذا القرآن (الا افك) أى كذب (افتراه) أى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبد بنى الحضرمى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن مسد كانوا يكتمون أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعنى قائلى هذه المقالة (ظلما وزورا) أى ظلم زور وهو نسبتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون من حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها استكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان يكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تملى عليه) أى يقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعنى عدوه وعشيه قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزله) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) اى الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما) أى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) اى كما نأكل نحن (ويمشى فى الاسواق) أى يلتمس المعاش كما نمشى نحن واذا كان كذلك فليس بينه وبيننا فضل فلا نتبعه ولا نصدقه وانما قالوه قولا لا يليق به لسد تلك الابواب عن نفسه وانما قالوا ما قالوا لانهم لا يأكلون ولا يمشون لان الملك لا يشبه البشر وأنت ترى بطلان ما قالوه فاسدا لان اكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى الاوراء ولم يكن ذلك قادحا فى الاسواق وليس شئ من ذلك بدال على انه ملك من الملوك (لولا انزل اليه ملك) أى هلا انزل اليه ملك (فيكون معه نذيرا) أى داعيا (أو يلقى اليه كنز) اى انزل عليه كنز من السماء فنستغنى به فلا نحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (أو تكون له جنة) أى بستان (يأكل منها) أى هو دلالة من ذلك ان لم يكن له كنز

اى يلقى عليه من كلامه (بكرة) اول النهار (وأصيلا) آخره فحفظها على عادتهم لوعيها (قل) يا محمد (أنزله) اى القرآن (الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى يعلم كل سر حتى فى السموات والارض اعنى ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب الى يستحيل على عادتهم ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة ان استمروا على كفرهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام فى المحكى بعد القول على الهاء وحظ المحكى ان لا تغير وتبقى بحالها كما هى كقولهم والله لافعلن كذا (يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أى ان صح انه رسول الله فسألوه يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد لجاز ان يكون ملكا لان المعاش لا يكاد يتم الا بالاكل والمشى فى الاسواق ولجاز ان يكون انسانا معه ملك يعضده فى الانذار والتحذير ثم عرضوا الى ان يكون مرفودا بكنز او بستان يلقى اليه من السماء عيانا يطعم منه ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم عرضوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كلما شاء او يأكل نحن كفرا منه على وجه الهزء والسخرية وتكون على أول وهو ما حكى المضارع وهو يكون بمعناه او حصه فتكون على العراء او ورد له جواب لولا تعين هذا حكمه حكم الاء فهم أراد الطاء التى فى قوله

(وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أى محدودا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) بالجد (كيف ضربوا لك الامثال) أى الاشباه التى لا فائدة لها وقالوا مسحور بمعنى (ضلوا) أى عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ويحتمل عن الصلاة ﴿ قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) عن ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى بساتين عن أبى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى جبال مكة ذهبا تاتى على ملك ان جبريل لتساوى الكعبة فقال ما محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا ملكا فاشار جبريل الى أن تواضع فقلت بل نبيا عبدا قالت فما أكل متكئا حتى لقى الله عز وجل يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين المعوى رحمه ﴿ قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أى النار (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهو أنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (اذا رأتهم) أى النار رأى عين (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم على مسيرة عام أى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليانها وشدة ذلك صوت الغيظ والزفير أو اذا رأتهم زبانيتها غاظوا وزفروا غضبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار (مكانا ضيقا) عن عامتى قال الكرخى مع الصفد كما ان الروح مع السعة ولذا وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه انه نصب على عليهم كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الخوان وكيف يصدقون بجبل مثلى ما وعد الله فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) وهو أنا للمكذبين بها نارا شديدة فى الاستعار (اذا رأتهم) أى النار رأى عين (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم على مسيرة عام أى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ا

(خالدين) حال من الضمير في يشاؤن والضمير لهم (كان) ثابتا (على ربك وعدا) أي وعدوه (مسؤولا) مطلوبا أو حقيقا أن يسأل أو تسأله الملائكة في دعواتهم وسارعوا آتيناهم وعدتنا على رسلك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ونحو ذلك أو تسأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم وسارعوا آتيناهم وعدتنا على رسلك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ونحو ذلك أو تسأله الأنبياء في قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة (ويوم يحشرهم) بالياء مكي وبصري ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد بالمعبودين من الملائكة والمسيح وعزير ونحوهم الكافي يعني الأصنام بعثها الله وقال عام ويتناول العقلاء وغيرهم لأنهم أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم (فيقول) وبالنون ساكي (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو الطريق وصل مقارع أصله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادعاء الشركة أم هم ضلوا عن أنفسهم واختاروا الضلال بعد أن أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وبدأ بهم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لو لا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن سببه فلا بد من ذكرهم وإنما ثنى بحرف الاستفهام لعلم أنه السؤال عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤل عنه ان عصوا عاينوا أنهم استحقوا بفعلهم ما فعل بهم من حشرهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك مما لا يليق بك (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ (٣٤٥) دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا

لا يحصل في الجملة كان يشهي الوالد نحوه وليس هو في الجملة على أن الله يريد ذلك الخاطر من أهل الجملة بل كل واحد من أهل الجملة مستعمل عما هو منهي عنه من الآداب الساعة عن الالتفات إلى غيره (حالدين) أي في نعيم الجنة ومن علم النعيم أن يكون دائما ولو انقطع لكان منغصا ومن النعيم وأنشد في المعنى

أشد العيم عندي في سروو * تيقن عنه صاحبه ارتحالا

(كان على ربك وعدا مسؤولا) أي مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك بقولك كان إعطاء الله المؤمنين ما وعدهم وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا وسؤالهم إياه ذلك الوعد وسؤال الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿ قوله تعالى (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والإنس والجن مثل عيسى والعزير ونحوهما ثم يحشر طائفتهم (فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي اخطؤا الطريق (قالوا) يعني المعبودين (سبحانك) تنزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك فكيف أن نأمرهم وندعوهم إلى عبادتنا فكيف بغيرنا (ولكن متعتهم وآباءهم) أي طول العمر والصحة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والاعتبار بالقرآن وتمثل تركوا ذكرك وعظاءك (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى أي علم عنهم السعادة والخير دلالة (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم آلهتكم ودينكم (بما تقولون) أي إنهم آلهة (فما تستطيعون) أي الآلهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصرة أنفسهم وقيل لا تصرفون أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي نذقه (نذقه عذابا كبيرا) ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين إلا إنهم

(٤٤ - (خازن) - ثالث)

من لا يراد في المفعول الثاني بل في الأول تقول ما اتخذت من أحد أولا تقول ما اتخذت أحدا من ولد (ولكن متعتهم وآباءهم) مالا وولدا وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكرك والإيمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ وهم في الحكم كالبائر بمعنى الهالك (فقد كذبوكم) هذا خطاب للكفار بقول الحكماء عند ولادة الولد قد كذبك الولد فانظر بماذا يكذبك أي بموته أو بخروجه قبيحا أسود أو بنحو ذلك وقيل معناه كذبوكم في قولهم إن الأصنام آلهة (بما تقولون) وقيل معناه كذبوكم بقولهم سيشفعون لكم عند الله (فما تستطيعون) أيها الكفار (صرفا) أي دفعا عن أنفسكم العذاب (ولا نصرا) أي ولا انتصارا بغيركم (ومن يظلم منكم) أي نذقه (نذقه عذابا كبيرا) ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين إلا إنهم

أحد أولا يصح لنا أن نوالي أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك يتعدى تارة إلى واحد وتارة إلى مفعولين تقول اتخذت ولدا وإلى مفعولين تقول اتخذت فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلا فالمفعول الأول من المتعدي لواحد وهو أولياء والأصل أن يتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والمفعول الثاني إليه من المتعدي إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن لا تخص أي لا تخذ بعض أولياء لأن

لنا (وكان ربك نصيرا) عالما بالصواب فيما يقضي به أو يقضي بنصره وعجز (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفروا لا يؤمنون بالبعث أولا يخافون عقابنا لان الراجي طمع فيما يرجوه كالخائف أولان الرجاء في لغة تهامة الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فنصدقه برسالته واتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر مبالغ في اقترافه أي انهم لم يحسنوا على هذا القول العظيم الا انهم لعتوا عاتيه الاستكبار وأقصى العتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) اي يوم الموت أو يوم القيامة ويوم منصوب بمضمون جملة قوله (لا بشرى) اي يومئذ (يومئذ) مؤكد ليوم يرون أو باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى يومئذ ولا يصح ان يكون لا بشرى عاملا فيه ولان ما بعد لا لا يعمل فيما قبلها ولا في الا بل يعمل فيما بعدها لا (للمجرمين) ظاهر في موضع ضمير أو عام ساقهم لعمومهم وهم الذين اجرموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاجرام يدخل أكثر المسلمين (ويقولون) أي الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم كما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والضم لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر التي يستعمل بها الامر فيقال حجرا ومحجورا كما يقال معاذ الله وعياذا بالله والمعنى انهم كانوا يقولون عند لقاء العدو أو عند نزول العذاب بهم حجرا محجورا اي حراما محرما عليكم الغفران والرحمة فلا تنالكم (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له

لما يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) قال ابن عباس لما عيروا المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا يمشون في الاسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من حالهم وقد علمنا أيتم الهدى فمن يزلف في البلاء السريع بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد ان يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي فيمنعه ذلك من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والحرث وذلك انهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وغيرهم من فقراء المسلمين قد أسلموا فقالوا لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء الفقراء فنزلت هذه الآية فصبر المسلمين على ما يسمعون من هؤلاء الكفار كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين هدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من موالينا وأرذالنا وقال الله تعالى لهؤلاء الموالي (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والسقم والاذى وقيل ان العني به الفقراء يقول تعالى لم أكسبكم المال والصحة فيسبب المرض والسقم والوضيع (وكان ربك بصيرا) أي لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبي هريرة سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو دونه في المال والخلق لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) اي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا أنزل علينا الملائكة) فنصير بأن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فنصير بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) اي طغوا وتجاوزوا حدهم في القول وهو أشد الكفر والعتو وعتوهم ظلمهم ورد به الله تعالى ﴿قوله تعالى﴾ (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بخير كما يبشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس يقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم قيل لهم الملائكة حراما محرما عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا لقي بعضهم بعضا في الشهر الحرام أو في الحرم وأراد أن يقاتله قال له حجرا محجورا فيعلم الآخر انه يريد قتاله فيمتنع منه بذلك (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له

وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صدقة وصلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف وغير ذلك مما لم يشترط تعالى من حالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشنائه وقصد إلى ما ألفت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس سمي بها لانبثاثه واستطاره وعن حذيفة يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف يمشون وصنف يركبون وصنف تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار وتقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) ثمر والمستقر المكان الذي يكون فيه في أكثر أوقاتهم يتحالسون ويتحادثون (٣٤٧) (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون إليه للاستراحة أي أرواحهم ولا يوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروي أنه يفرغ من الحساب نصف ذلك اليوم فمقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل لفظ الأحسن

لأنهم لم يعملوه لله عز وجل وهو ما الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيها فلا تمس الأيدي ولا يرى في الظل والمنثور والمعرى قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما سطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار ﴿قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك أن أهل الجنة لا تعرض لهم يوم القيامة الا مدة من أول النهار إلى وقت القائلة حتى يسكنوا منازلهم فإن ابن عباس قال ليس في ذلك اليوم في أوله ولا في آخره يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ﴿قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم تكن الا لبني إسرائيل في تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الإنس والجن ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة وأهل كل سماء ينزلون على أهل السماء التي تليهم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا لملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يدعى غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا وهذا دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما ودعا الناس فصنع يوما وكان كثير المجالسة للنبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس فأتوه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فعل عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت فشهدت له فطعم فشهدت له بطعم فعال ما أنا الذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ على عنقه فعل ذلك عقبة فعاقبه الله تعالى على عداوة رسوله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه يوم بدر فقتل صبرا وأما أبي بن خلف فإنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رأسه في وجهه فأخبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله تعالى فلما كان يوم أحد وصل إلى الشعب من الجبل فرآه

واتخذ معه طريقا الى الهداية (ياويلتا) دعاء على نفسه بالويل (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) فعل يعني أني من خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أي كثير الخذلان يترك نصرته عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل ظالم ومضاف اجمعا على معصية الله (ن) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة ش أي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل اخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ﴿قوله عز وجل (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن ﴿مهجورا) أي متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوا هجرهم اياه من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن ﴿مهجورا فعلى هذا الهجر ضد الوصل (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا تحزن على ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم وقد صبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) ﴿قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) نفعل ذلك (لنثبت به فؤادك) أي نقوي به قلبك ونحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور يحدث في أوقات تحتاج فيها الى بيان حكمها فيكون ذلك وحيا للرسول صلى الله عليه وسلم وتسرية على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وغيره بينا فيه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتمهل فرقا بعد فرق آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) أي بصفة يريدون بها ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) أي بما

واتخذ معه طريقا الى الهداية (ياويلتا) دعاء على نفسه بالويل (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) فعل يعني أني من خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أي كثير الخذلان يترك نصرته عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل ظالم ومضاف اجمعا على معصية الله (ن) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة ش أي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل اخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ﴿قوله عز وجل (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن ﴿مهجورا) أي متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوا هجرهم اياه من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن ﴿مهجورا فعلى هذا الهجر ضد الوصل (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا تحزن على ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم وقد صبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) ﴿قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) نفعل ذلك (لنثبت به فؤادك) أي نقوي به قلبك ونحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور يحدث في أوقات تحتاج فيها الى بيان حكمها فيكون ذلك وحيا للرسول صلى الله عليه وسلم وتسرية على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وغيره بينا فيه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتمهل فرقا بعد فرق آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) أي بصفة يريدون بها ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) أي بما

تركوه ولم يؤمنوا به من القرآن وهو معجز ولم يأت بمثله ومن الايمان وهو معجز ولم يأت بمثله لان الانبياء اذا سكتوا اتاهم الله بالوحي فقوموهم حتى يهلكهم العذاب ولم يعذب الله أمة الا بعد ما أقام عليها الحجة وقطع عذرها وأعذر اليها بالرسل فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) أي كذلك كان كل نبي قبلك قد ابتلي بعداوة قومه كما ابتليت فاصبر كما صبروا فاني هاديك في طريق الحجة وناصرك على أعدائك بالحجة والظفر والانتصار منهم وناصرك عليهم والعذاب يحور أن يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أي وكفى بربك هاديا وهو تفسير (وقال الذين كفروا) أي من قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أي مجتمعا (واحدة) يعني هلا انزل عليه جملة واحدة كما انزلت الكتب الا انه نزله على الانجيم نيف وعشرين سنة فرقا بعد فرق لان أمر الانجيم والاحكام لا تحتمل أن تنزل جملة واحدة أو معنى قوله لولا نزل والا لكان سدادا ما دليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من أصعر السور فقصروا فصيحهم حيرهم حتى لادوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الحج (كذلك) جواب لهم أي كذلك انزل مفرقا في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين وذلك في كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليه القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك (لنثبت به) نقوي به (فؤادك) حتى نعيه ونحفظه لان الامي قد يعتريه على حفظ العلم سأمة تعدي وحرأة عجز ولو ألقي عليه جملة واحدة لتعذر عن حفظه أولنثبت به فؤادك عن الصبر سواء والوصول الى الرسول لان قلب المحب يسكن واصل كتب الحب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة أو أمرنا جبريل عليه السلام أن يقرأه عليه وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه على ترسل وتؤدة (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجب عن سوء أحوالهم في ابطالهم كأنه قيل في أي حالة يأتون (الا جئناك بالحق)

لان في الكلام دليلا عليه كما قال ثم آيتين يريد اوهم اوان كانوا عشرين وجها فيه ليدل على انك تريد من ذلك واما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولا يأتونك تعال وصفه عيسى بقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك ان تعجب منه وما هو أحسن تكشيفا لما تعنت عليه ودلالة على صحة نبوته بمعنى ان من له مثل معرفتك وعلمك بأنواع العلوم التي كل واحد منها أدخل في الاعجاز من ان يأتي كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك والجملة خبر الاول أو الذين يحشرون صفة لهم أو لأولئك والخبر أولئك شر أو الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك والجملة خبر الاول أو الذين نعت لهم أو أعني الذين وأولئك مستأنف (مكانا) اي مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أي وأخطأ طريقا وهو من الاستدراج والمعنى ان حالكم على هذه السؤالات أسوأ حالا من حال المحشورين على وجوههم الى جهنم لعلمهم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفي طريقه قوله هل هل أنتم منتهون من ذلك وبعد الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال عليه الصلاة (٣٤٩) والسلام الذي أمشاهم على أقدامهم

ردته ما سواه من المثل ونحوه فسمي ما يورد من الشبه لا وسمي ما يدفع به الشبه حلا (وأحسن تفسيرا) اي أحسن بيانا وتفصيلا مما ذكر من قول المشركين وقال تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) اي يساقون ويحشرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) اي منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) اي أخطأ طريقا ﴿وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي معاونا ومظهرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني الغرقى (فدمرناهم) دمارا أي فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) أي أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكر بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) أي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا وثمود) أي أهلكنا عادا وثمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل الرس قوما لما علم ولا كانوا أصحاب مواش وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فمادوا في طغيانهم وآذوا شعيبا فغيض الماء حول المنزل عليهم ارضهم فانخسف بهم وبديارهم وبزروعهم وقال الرس بئر قتلوا نبيهم ورسوا في قليبها فسماهم الله وأهلكهم الله وقال مقاتل بن حيان كان بئر يقال لها الرس فنسبوا اليها وقال السدي كانوا قوما يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم رسولا فقتلوه فأهلكهم الله وقال الرس بالطاء كعب وأصحاب مدين هم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (ومرونا بين ذلك كثيرا) أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) أي في الاساءة في اقامة الحجة عليهم فلم يهلكهم الا بعد الاعذار (وكلا تبرنا تتبيرا) اي أهلكناهم هلاكا ﴿وقوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قرى قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها أربعا وبقي واحد وهي أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم

لاتم ما المقصود من القصة اعني الزام الحجة بما رأوا من حال المرسل اليهم بتكذيبهم (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحا ومن بعده من الرسل وان كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم وقصتهم (للناس آية) عبرة يعتبر بها (وأعتدنا) وهيأنا (للظالمين) لقوم نوح وأمثالهم الآية أراد بظلمهم كفرهم أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك وبدأ بهم لعمومه (عذابا أليما) اي النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حذف وخص على تأويل القبيلة وغيرهما وثمود على تأويل الحي أو لانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم سبعث كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فغيض ما حول الرس وهي البئر عن مطرها بهم بخسف بهم وبديارهم وحول الرس قريب فماتوا بهم فهلكوا أو هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فأهلكوا (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص التي هي قصص الاولين (وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه مضمر الا الاول هو أنذرنا أو حذرنا والثاني بما لا به فارغ له (ولقد أتوا) يعني اهل مكة (على القرية) سدوم وهي اعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله ثلاثا منها وبقي واحدة (التي أمطرت مطر السوء) أي أمطر الله عليها الحجارة يعني ان قريشا ومن مر في متجره من الشام كانوا يمرون على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء وهو مطر السوء مفعل من ساء والاصل أمطرت القرية مطرا أو صدر محذوف الزوائد أي امطار السوء (أفلم

لا يخافون نشورا فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا رأوك ان يتخذونك) ان ما
(الا هزوا) اى هزؤا فى معنى استهزاء والاصل اتخذ موضع هزؤا موهزؤا به (أهذا الذى) محكى بعد القول المضمر وهذا استفتاح
واستهزاء أى قائلين اهذا الذى (بعث الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذى محذوف أى بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا
عليها) ان خفف من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى
شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط تحاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد
ودلالة على انهم لا يموتون وان طالت مدة امهالهم (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كادا لما الاية نسب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الضلال ادلا يضل عنه الامن هو ضال فى نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يأتى من شرهه وعابد هواه فيما
يهواه فيعبد الله تعالى لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا الاهواه كما يستطيع ان يدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان
يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه رمى الاول وعبد الثانى وعن الحسن هو فى كل مستحسن هواه (أفأنت تكون عليه وكيلا) أى

يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى اسفارهم مروا واعتبروا ويعطفون مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى
ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) اى لا يخافون ﴿ قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الا
هزوا) مر فى أى محل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) أى
قد قارب ان يصدنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) أى على عبادتها والمعنى لولم نصبر على عبادتها الصرفنا
عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أى فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت
من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه واتخذ
الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من يترك عبادة الله خالقهم وهوى حجرا فعبده ما حاله عند ربه
الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه وكيلا) أى حافظا تعطفه عن اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون
الله والمعنى ليس كذلك وقال الكلبى معناها أنه العال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) أى ما قول
سماع طالب الافهام (أو يعقلون) أى ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التى قدمت
لانهم لسوء حالهم لا يسمعون القول اذا سمعوه ولا يفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة وعند
دلالة سلبهم بالانعام قال تعالى (ان هم) أى ما هم (الا كالانعام) أى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم
ادراكهم على التدبر والتفكر قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم هى تدرى لمراعيها ومشاربها
وتنقاد لربها الذى يعلفها ويسقيها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا ما يوردهم الذى خلقهم
ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ﴿ قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل)
هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سمى ظلا لان الشمس معه ممدودة لانه ظل لا شمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما
لا يزول ولا يذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما
عرف الظل ولولا النور لما عرف الظلمة والاشياء تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) يعنى الظل (اليه قبضا
يسيرا) أى بالشمس التى نامى عليه والمعنى ان الظل يتبع ضوء الشمس فاذا طلعت

سبيلا تحفظه من متابعة
هواه وعبادة ما يهواه فأنت
لا تكون عليه وكيلا فتصرفه
عن الهوى الى الهدى عرفه
ان الامر ليس كما يحسب أم
تحسب أن أكثرهم
يسمعون أو يعقلون ان هم
الا كالانعام لهم أضل
سبيلا) أم منقطعة عما
قبل أتحسب كان هذه المذمة
أسوأ من التى تقدمتها حتى
تحسب بالاضراب عنها اليها
وهى كونهم مسلوبى الانتفاع
والعقول لانهم لا يتوصلون الى
استماع الحق ادنا ولا الى
تدبره قط ومشبهين بالانعام
التى هى مسلوبة العقول
البتة فى صدر كلامهم
السبيل الاسد دلال
اثر كهم الاستدلال ثم هم
أبعد حالا منها لان الانعام تسمع رشدها وتنقاد لمن يتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها
وتتجنب ما يضرها وهم عدى لمراعيها ومساربها وهؤلاء عادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اسدائه السحاب الذى هو عدوهم ولا
يعاينون الماء الذى هو أعظم المنافع ولا يعاينون الغمام الذى هو أسد المطار والهالك ولا يدرون للحق الذى هو المرعى الهنى والعذب الروى
وقالوا الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى يجمع الكل فالانعام عليها النفس والهوى فصارت الانعام وان علمت الروح
والعقل فصل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان منهم من لم تصده عن الاسلام الاحب الرياسة كبنى عمه داعية الاولين منهم من آمن (ألم
تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك ومدوره (كيف مد الظل) أى بسطه بين الارض وذلك الشمس حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فى قول
الجمهور ولانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظله وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظله (ولو شاء لجعله ساكنا)
لا يذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس تعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف بأضدادها
(ثم قبضناه) أى أضدادنا ذلك الظل الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قبضا قليلا أى سوخرا بالشمس الى ما على عليه
وبما تحدثه فى الارض من الاثر وكان الذى هو أعظم من الاول وأدل على القدرة أعظم من الثانى لانه تتابع عليه ما تحدثه الشمس من الحوادث فى الوجه

(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتا) راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والباتر مسبوت لانه اسقط عمله وتركه وسمي الميت سبتا لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذا النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أي نشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان في الاختلاف سير الليل فوائد يسكنون به وفي النوم والقطعة المشبهين بالموت والاحياء عبرة لمن اعتبر وقال لعمار لانه كان تيمم وقطع كذا للثلوث منشر (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع نشور (بين يدي رحمته) أي قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذا استعارة ملخصه (وأنزلنا (٣٥١) من السماء ماء) مطرا (طهورا)

الشمس نص الله العلل حرأ خر أمصاحفها (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي ساترا يستر وينه والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذي يشمل على لابسه (والنوم سباتا) أي راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم (وجعل النهار نشورا) أي يعقبه ويرتبه بسرعة كأنه ناشر لكم ما طواه النوم وطلب الاسترزاق (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فسمى الطهر بخصوص الماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوهما ولو ثبت ما قالت حتى جوز الوضوء بالماء اذا لوصي به مره وان وقع في الماء شئ غير طعمه أو لونه أو ريحه هل يزول طهوريته فان كان الواقع ساما لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب أو زال الاسم كماء الورد والطهارة به كالوتغير تغيرا يمكن الاحتراز عنه كما لو تغير تغيرا حاصلا في مقره وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالط كالدهن يصير مستعملا بخروج الماء عن اطلاق اسم الطهور والطهارة به لان تغير المجاورة لا يخل بالطهارة وان كان ساما يمكن صون الماء عنه ويخالطه كالحبل والزعفران ونحوهما يزول طهوريته فلا تجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه تغيرا ان كان الواقع ساما ظاهرا كالبول طهوريته تجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع ساما تغيره فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر وهو طاهر تجوز الوضوء به والغسل ما لم يتغير بالمتداعي بدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا لم يتغير أحد اوصافه بالنجاسة وان قل لم يجز أن يتوضأ به وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة وتلقى فيها لحوم الكلاب وحيض الحبض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفي رواية قال قلنا يا رسول الله أفنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شئ ﴿ قوله تعالى (لنحيي به) اي بالمطر (بلدة ميتا) دل ارادته موضع البلد (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (انعاما وأناسي كثيرا) أي نسقي كثيرا والانعام جمع نعم والناسي جمع انسي ودخل جمع انسان ﴿ قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم)

طهورا حسن لانه صفة كقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا أي طاهرا واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار ومصدر كقولك تطهرت تطهرا حسنا لانه صفة قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أي بطهارة وما حكي عن بعضهم ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة نفس وبعضه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والانانس جمع انسي من الاعلال في نسي وهو أصله نسي على ما هو مستعمل في الاصل المتعدي كمطلوع ومرتع غير مستعمل لان الفعول انما يصوغ من الفعل المتعدي فان كان الفعل غير متعد فالمفعول منه مفعول كان لازما فالرام (لنحيي به) بالمطر (لبلدة ميتا) ذكر مساعي ارادة البلد او المكان (ونسقيه مما خلقنا انعاما وأناسي كثيرا) أي ونسقي الماشية والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسي مما خلقنا ونسقي وأسقى لغتان ومر الفصل والترجمة ونسقيه والاناسي جمع انسي على الناس ككرسي وكراسي وانسان أصله انسيان كسرحان وسراحين فابدلت الياء واوا وأدغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حياتهما سبب لحياتهم والتخصيص الانعام من الحيوان السارب لان عامة منافع الاناسي حاصلة بها فكان الانعام عليهم بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وكثير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس يحيون بالعرب من الاودية والانهار فهم عند سقي السماء وعماناهم وهم كثيرون مما نزل الله من رحمته وتكثير الماء لانه يزيد بعض الاوقات على مقدار الحاجة ولما كان سقي الاناسي من فضله ما نزل له الماء صلة الانعام واكثر الهم وبيان ان موجبهم ان يؤثروا الطهارة في نواحيهم وطواهرهم لان الطهور به شرط الاسلام (ولقد صرفناه بينهم)

بالرسالة الى كافة العالمين
وصرنا الامر على
وعظمائه فتكون وحدك
كلهم ولما حشر ملك
ملجم يا أيها الرسل صالى
ذلك بالسكر والصبر
والتشديد ولا تطع الكافرين
فيما تدعوننا اليه من
مواعيدهم ومداهنتهم وكما
آثرت على جميع الانبياء
فآثرت صلى على جميع
الاهوا وأولئك هم ذا نهضه
وتهضم الموسين وتحرضهم
(وجاهدهم به) أى بالله
تعالى بعونه وتوفيقه أو
بالقرآن أى جادلهم به
وذكرهم بالتحريض (جهادا
كبيرا) عظيما موقعه عند
الله لما تحمل فيه من
المشاق وتحوران ترجع
الضمير فيه الى ما دل عليه
ولو شئنا اسمائى كل قرية
نذيرا من كونه نذيرا كافة
القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فكثر جهاده والاولى
من اجل ذلك وعظم قوله وجاهدهم به نسب كونه نذيرا كافة القرى جهادا كبيرا عاما لكل مجاهد (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما
مجاز ومن سلاسة سبيل مرج الدابة اذا خلاها ترعى وسمى الماء الكثير البحر لوسعه بحر (هذا) أى أحدهما (عذب فرات) صفة
لعذب أى سديد العذوبة يسحى سهولة فى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة لملح أى سديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا لئلا يمتزج
بينهما وقد مر بيانهما فى الطاهر مختلفان وفى الماء هنا فصلان (وحجرا محجورا) وسترا وعاصما الاعين كقوله تعالى حجابا مستورا (وهو
الذى خلق من الماء) أى النطفة (نسبا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد بتقسيم النسب تقسيم ذوى نسب اى ذكورا نسبهم فعال
فلان من فلان وفلانة من فلان وذوات صهر أى اناثا صاهرن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث
خلق من النطفة الواحدة نسبا نوعين ذكرا أى وصل فجعله نسبا أى مرانه وصهرا مصاهر يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانسان لان
الواصل مع من يصاهره لا ينفك عن الانسان والتكوين جميعا

(ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصيته ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل كصريخ بمعنى مصارخ والظهير والمظاهر كالمعين والمعاون والمظاهرة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم مساعد الشيطان ومعاونه على معصية الرحمن (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا الكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) المراد الا فعل من شاء واستثناء معنى الاجر وفى ذى سبيل تهكم لان ما طلب سبيلا ما على ما سيجىء الا ان يحفظ هذا المال ولا يصرفه فليس بمطلب المال لنفسه فى شىء من حيث الثواب ولكن صورته صورة المال لان كلا من حفظ مال احد فقد حفظ عليه الثواب فى ورضائه كرضا المثاب بالثواب ولعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته هذا العدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالايمان الى رضا ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم اليه أجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك اجرى لان الله يأجرنى عليه (وتوكل على الحى الذى لا يموت) الحمد من لا يموت وكل الا لا يكمل الى من يموت دليلا يعنى بقى به وأسند أمرك اليه فى اسكفاء سرورهم ولا تسكل على حى يموت وفيها نص الصالحين فعال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد على كل (٣٥٢) أمر (وسبح) من أن يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) وهو الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده او نزهه عن كل العيوب بالشكر عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير باحوالهم كاف فى جزاء اعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مقدار هذه المدة لانه لم يكن ثم نهار ولا ليل ولا شمس ولا ارض ولا سموات (ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) اى فاسأل الخبير بذلك يعنى عالما كريما وهو الله عز وجل او جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اى ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا)

والاى (ويعبدون من دون الله) يعنى هؤلاء المشركين (مالا ينفعهم) أى ان عبدوه (ولا يضرهم) أى ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أى معينا أى ان الشيطان على ربه بالمعاصى لانه اغتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هادا للاسلام من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام فى كل كافر ۞ وقوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا) أى بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ الوحى (من أجر) فيقولوا انما تطلب يا محمد أموالنا فى دعوتنا الى الله فلا نتبعك (الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء ان يجتهد بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم شيئا اجرا ولكن أطمع من ايمان المال الا فى طلب مرضاة الله وانخاذ السبيل الى حبه ۞ قوله عز وجل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجرا الا بما امره الله به وكل عليه فى جميع اموره وانما قال على الحى الذى لا يموت لان من توكل على حى يموت ينقطع توكله عما قريب واما الله سبحانه وتعالى فانه حى لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع الله (وسبح بحمده) أى صل له شكرا على نعمه وقل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعنى انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فجازيهم بها وقيل معناه لا يخفى عليه شىء من احوالهم لانه عالم قادر على مكافأتهم وقيل نزلت هذه الآية فى قوم من المسلمين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله بالصبر على مخالفتهم كما كان يصبر على مخالفة اصحابه فى مكة ثم نسخ ذلك بآية السيف ۞ قوله عز وجل (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) اى فاسأل الخبير بذلك يعنى عالما كريما وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اى ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا)

الرحمن فالرحمن حينئذ اما مخترع او دال على الصفة فى اى هو الذى خلق هذا والرحمن خبر (فاسئل) لهم يا محمد (به) صلة كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلة فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقيل الباء بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا أى عنه وقيل الباء زائدة والمعنى فاسأل خبيرا وقيل فاسأل بسببه خبيرا يخبرك بحقيقته أو فاسأل محمدا عن الرحمن حتى يخبرك بما انزل عليه من امره وقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرفك من هو فانهم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة الكذاب (واذا قيل لهم) اى اذا قال محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا ينكرون هذا الاسم بل السؤال عن المجهول عما أو عن علة لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كاستعمال الرحيم والراحم والرحوم (أنسجد لما تأمرنا) الذى تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منه بانه مأمور بما أو على وجه كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا بالسجود له محمد أو يأمرنا بالسجود للمسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وبعد هذا والاسم بعد أهل اللغة والرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اذا كان فى ابنية المبالغة

أب ماجد (وزادهم) أي وول العائل الحمد والرحمن (نفورا) اي عن الايمان والسجود

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراءتها

﴿قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيار وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والحدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وعامة المفسرين البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها (٣٥٤) سراجا حرة على أي نحو ما (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار

خلفة) فكل من خلف كان ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر فيعتبر بهما ويحسن فيهما ويعرف مدبرهما فيذكر حقه ويخاف أي يذكر الله أو المنعم فيطيعه (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمه ويرى عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أولئك يجزون الغرفة والذين يمشون وما بعده ما صفته والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشاة على هونا والهون الرفق والمعنى أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا وقد أكره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولعوله وعسى في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) اي السفهاء مكروهون (قالوا سلاما) سدادا من القول نسلم منهم ونسلمكم من الاذاء والاثم أو نسلم منكم تاركين مكافأتكم السلام هنا المسالمة ولا نستجيبها آبه اهل ولا نحاجهم الى ذلك فالاعتصام عن السفهاء مستحسن مرغوب فيه وصف بهذا وصفهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة مخلاف الطول وهي ان يدرك الليل نائما اولم ينم وقالوا من قرأ ما من القرآن في صلاة او في غيرها فقد بات ساجدا وقائما وهما أفضل أحوال المصلي وقدم السجود على القيام لانه أطول وأشق فكان الاكثار منه أفضل وقيل قدم السجود لانه أشرف أعمال الصلاة لان العبد يكون في السجود أقرب الى الله منه في القيام (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) ملازما لصاحبه من الغرام وهو اللزوم ومنه قيل للمرأة المولعة بالرجل المغرمة به وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) أي

في حكم ثبت ودوامهم لمسهم بقسر مستقرا والحصور هو الذي لم يحضر معاشرة النساء مع تمكنه منه مراد معناها هي وهذا النهي هو الذي ورد الخلاف باسم ان وجعلها حجرا لها أو تعني أحرف وفيها صعوبة اسم ان ومسوغ السؤال أو تحريره وصح ان يكون النعاة لا يسمى حلالا ومعناه الذي وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكايته لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم يأكلوا السرف ولم يلبسوا للصلف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعصوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة القدر ومع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلاة والسلام من سمع صحا فقد سمر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر الباء مدني وشامي وبفتح الياء وكسر الباء مكي وبصري والقتر والاقتار والاقتار والاقتار الضيق الذي هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أي الاسراف والاقتار (قواما) أي عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمعنى بالذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وصفهم بالقصد الذي هو بين الجانبين والمعنى وعدله أمر عباده الصلاة والسلام ولا تجعل بخلا معاونة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقة بعض رجاله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك بذلك أراد في هذه الآية وقيل أولئك (٣٥٥) أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا

موضع قواما فقد (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وصل الاسراف بالقتر في معصية الله وان قل والاقتار ضيق حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يطعم عياله ولا يعطيهم ولا ينفق على نفسه يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أي قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين مثل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقوّيهم على عبادتهم ومن اللباس ما يستر عورته ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا الا اكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو الى لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل هل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) أي ومن يفعل من هذا ذلك يلق أثاما قال ابن عباس أثام واد في جهنم وقال الامام واد في جهنم وروي في الحديث ان الجبل والاثام مران في جهنم يسيل بهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وبسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على تركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) أي ذليلا ﴿ وقوله تعالى (الا من تاب) أي عن شركه (وآمن) أي بربه (وعمل عملا صالحا) أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ومن قتل مسلما متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما فقال وحشي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي توبة فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما

لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والبرد قال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا الا أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أي لا يشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها بعني حرم قتلها (الا بالحق) هو أو حرم أن يزنى بها أو سرق أو سعى في الأرض بالفساد وهو على بالقتل المحدود أو غيره (ولا يزنون) وفي هذا اكبار عن عادة الصالحين بعد ما كان عليه أعداؤهم من عبادة الأوثان وقتل الأولاد وغير ذلك طهرهم الله منها بما

(ومن يفعل ذلك) أي المذكور (يلق اثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق على معنى واحدا من يضاعف العذاب هي لغة الامام كقوله متى يأت الملك يا دارما * تجد حطبا جزلا وبارا مجرما لم لانه بمعنى ان شاء الله وهو الامام يضعف مكي وبزي ويعقوب يضعف ساعي يضاعف أبو بكر على الاستئناف وعلى الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الايام في الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي وقيل ضاعف العقوبة لمضاعفة المعاصي (ويخلد) جزمه عاصم ويضاعف ورفعه الباقون على انه معطوف على (يلق) في العذاب مدني ومكي وحفص بالاشباع وابن كثير بحذف الالف وصل الاشباع وهو زيادة مد بعد الهاء في الوقف والعرب تمد بالمد العين مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أي ذليلا (الا من تاب) عن الشرك وهو استثناء من الخلد في موضع الجزم (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوفقهم للعمل بالطاعات أو يمحو عنهم ما سلف من كفرهم بالايمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة تصير حسنة ولكن المراد ما ذكرنا قال عطاء الخراساني (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبدلها بالحسنات

قال ابن عباس بدلهم الله بقبائح أعمالهم في السر لـ محاسن الأعمال في الإسلام وبدلهم بالسر لـ أعمالا
وروى المؤمنين والمشركين والرياء والحسنات وقيل بدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام
حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة
وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها
فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم
لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول
رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقال
إن الله تعالى يحو بالندم جميع السيئات بدليل قوله كان كل سيئة محسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قال هذا
في التوبة من عبر عاص وذكر في الآية الأولى من العمل والرياء ومعناه ومن تاب من السر لـ وعمل صالحا يعني
أدى الفرائض من العلانية ولم يرب (فإنه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت (متابا) أي حسنا بفضل
على عمل من قال يرجع في الآية الأولى وهي قوله ومن تاب يرجع عن السر لـ والإصرار إلى التوبة والمكافاة
وقيل هذه الآية أضافي التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فإن الله تعالى
يقبله ويتوب إلى الله حسن يعني الأمر أي يأتي الله ويعمل ما علم أن توبته تصيره إلى الله تعالى
﴿قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني السر لـ وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين
وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن
الخطاب يحد شاهد الزور أربعين سوطا ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق ويقال لا يشهدون الزور
يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقال الروح وقيل لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور واللهو
واللعب والعرب تقول إن مسعودا لعاتب الأعادي في العلف كما يعتب الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو ميل الباطل بأوهام أنه حق (وإذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويطرح (مروا كراما) يعني إذا سمعوا من الكفار السب والأذى أعرضوا وصفحوا على هذا التفسير يكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها واللغو الباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن يمر المرء مسرعا ويكرمها عن هذه المجالس السيئة
(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قال مقاتل ليس هو نفي الخرور وإنما هو
أن لا يقعوا وفي الصم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على سماعها آذانا واعية وقلوبا على الذكر
بها يعني مبصرين مؤمنين وقال لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يمروا عليها صما وعميانا كالمنافقين
وصفهم بأنهم عن سماعها يسمعون ما يذكرون به ويعملون ما يؤمرون به ﴿قوله عز وجل (والذين
يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي اجعل لنا ما نقر به أعيننا من يعمل بطاعتك

قال ابن عباس بدلهم الله بقبائح أعمالهم في السر لـ محاسن الأعمال في الإسلام وبدلهم بالسر لـ أعمالا
وروى المؤمنين والمشركين والرياء والحسنات وقيل بدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام
حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة
وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها
فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم
لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول
رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقال
إن الله تعالى يحو بالندم جميع السيئات بدليل قوله كان كل سيئة محسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قال هذا
في التوبة من عبر عاص وذكر في الآية الأولى من العمل والرياء ومعناه ومن تاب من السر لـ وعمل صالحا يعني
أدى الفرائض من العلانية ولم يرب (فإنه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت (متابا) أي حسنا بفضل
على عمل من قال يرجع في الآية الأولى وهي قوله ومن تاب يرجع عن السر لـ والإصرار إلى التوبة والمكافاة
وقيل هذه الآية أضافي التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فإن الله تعالى
يقبله ويتوب إلى الله حسن يعني الأمر أي يأتي الله ويعمل ما علم أن توبته تصيره إلى الله تعالى
﴿قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني السر لـ وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين
وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن
الخطاب يحد شاهد الزور أربعين سوطا ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق ويقال لا يشهدون الزور
يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقال الروح وقيل لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور واللهو
واللعب والعرب تقول إن مسعودا لعاتب الأعادي في العلف كما يعتب الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو ميل الباطل بأوهام أنه حق (وإذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويطرح (مروا كراما) يعني إذا سمعوا من الكفار السب والأذى أعرضوا وصفحوا على هذا التفسير يكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها واللغو الباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن يمر المرء مسرعا ويكرمها عن هذه المجالس السيئة
(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قال مقاتل ليس هو نفي الخرور وإنما هو
أن لا يقعوا وفي الصم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على سماعها آذانا واعية وقلوبا على الذكر
بها يعني مبصرين مؤمنين وقال لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يمروا عليها صما وعميانا كالمنافقين
وصفهم بأنهم عن سماعها يسمعون ما يذكرون به ويعملون ما يؤمرون به ﴿قوله عز وجل (والذين
يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي اجعل لنا ما نقر به أعيننا من يعمل بطاعتك

ويدخل فيه الأولاد والأزواج والأقارب والأصدقاء وقيل من رآه يطيع الله قرت عينه ومن رآه يعصي الله
سخنت عينه وقيل قرة العين الولد الصالح يراه يطيع الله فتقر عينه بذلك وقيل لا تقر عين المؤمن دون
أن يرى ولده مطيعا لله من بعده وقيل لا تقر عين المؤمن دون أن يرى أهله مطيعا لله وقيل لا تقر عين
المؤمن دون أن يرى أصدقاءه مطيعا لله وقيل لا تقر عين المؤمن دون أن يرى أعداءه يعصون الله
وأصل القرة من البرد لأن العين الباكية تسخن بالدموع والعين المسرورة تقر بالدموع الباردة
(واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدى بنا في الخير وقيل أئمة في الدين يأتم بنا الأتقياء
﴿قوله تعالى (أولئك يجزون الغرفة) أي الجنة (بما صبروا) على الفقر في الدنيا وقيل على الطاعة
وقيل على ترك المعصية (ويلقون فيها تحية وسلاما) أي يحيا بعضهم بعضا بالسلام وقيل يحيون
بالبقاء والتحية والسلام والسلام الله تعالى (خالدين فيها) أي في الغرفة (حسنت مستقرا ومقاما)
أي موضع قرار وإقامة ﴿قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي ما يصنع بكم ربي لولا
دعاؤكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا عبادتكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا إيمانكم وقيل ما يعبأ بكم ربي
لولا طاعتكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه في الشدائد وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
بالتوحيد وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فتتوبوا إليه وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فتؤمنوا به وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فتطيعوه وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيغفر لكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيرحمكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيستجيب لكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيعطيكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيكشف عنكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيعافيكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيرزقكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيهديكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيسقيكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيشفيكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيغيثكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيكفيكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيعصمكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيحفظكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيستركم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيرضى عنكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيجيركم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيعينكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه
فيرحمكم وقيل ما يعبأ بكم ربي لولا أن تدعوه فيغفر ل

قل لبني آدم ليعين المؤمن من أن يرى وجهه وأولاده مطيعين لله عز وجل فطامع أن يحلوا معه في الجنة
ثم مر وجه وتقرعينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند
الغم والحزن يقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن تصادف
قلبه مسرورا فتقر عينه عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في الخير وقيل
معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله أن
يلهمهم في الطاعات المبلغ الذي يصيرون به للمتقين أئمة يقتدى بهم قال بعضهم وهذا دليل على ان الرياسة في الدين
مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مهتدين وعنى بهم
(أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل ترفع الدور والقصور
واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل عما صبروا
عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل يعاينون (وسلاما) أي تسلم بعضهم على بعض أو يسلم
الرب عز وجل عليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات ﴿قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما) أي موضع قرار وإقامة ﴿قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي) أي ما يصنع ويفعل بكم وبعبوركم وعذابكم
سواه وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) أنه فعل معه إذا تولاه أدعوه إلى تولاه إياكم
وقيل لولا دعاؤكم إياه في الأعياد فإذا أتيتم طهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبأ بكم لولا عبادتكم
وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لعبادته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقال معنى ما يعبأ أي ما يبالي بعفرانكم
ربي لولا دعاؤكم إياه وقيل معناه ما خلقكم ولي لكم حاجة الا ان تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر
لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم إلى توحيده وعبادته على لسان
رسولي الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم
أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل عذابا والمعنى يكون التكذيب لازما لهم
كذب ملازما لصاحبه حتى يجازى بعمله وقيل معناه فقد اتاكم ما هو كالازم لكذبتم ما لطف بعضكم
بعضا وقيل هو يوم بدر وقيل هو يوم القيامة وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أيهم
أولى يوم بدر وأنزل بهم عذاب الآخرة لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان
واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى
أعلم

(تفسير سورة الشعراء)

وهي مكية الا الآيات الاربع من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي ثمان وتسع
وعشرون آية وألف وثمانمائة وتسع وسبعون كلمة وستة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا وروي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه الصلاة والسلام

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم حرف الهجاء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه
قسم وهو من اسماء الله تعالى وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسناه
وملكه (تلك آيات) أي هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن سببا للوحدة
والاعتصام دل الله على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع بسبب ذلك أن آيات القرآن كاد

أي صبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كونوا عن حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او تحيي بعضهم بعضا وتسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار وإقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) ما يصنع بكم يعني الآدميين وهي في محل النصب وما نصب بكم ربي لولا دعاؤكم إياه أي إلى الإسلام لولا عبادتكم أي إلهيته لعبادته كقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي إلا ليعبدوني وعبادتكم إياه دعاؤكم وما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم (فقد كذبتم) رسولي يا أهل مكة (فسوف يكون) التكذيب (لزاما) أي ملازما لكم أو لهم ووضع فسوف لازم موضع اسم الفاعل وقال المحاق

(أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا) كم نصب بما بعدها (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرطبة الكريم الذي يعمه نفعه وفائدة الجمع بين الكثرة والإحاطة بأن كلمة كل تدل على الإحاطة بأفراد الجنس على سبيل الشمول وكريم يدل على أن هذا النبات مع كثرته مشرف على كمال في نوعه (إن في ذلك لآية) أي في ذلك الذي ذكر من الإنبات (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وإن الشأن لم يكن أكثرهم مؤمنين لانهماكهم في الكفر وإصرارهم عليه (وإن ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم ﴿ وآياته مع الإخبار بكثرتهم لأن دلالة سائر آياته على المصدر بسيطة أو المراد أن في كل واحد من تلك (ولهم الأرواح لآياته أي آياته (واد) مفعول به أي اذكر (نادى) دعا (ربك موسى أن ائت) أن تعدي أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبني إسرائيل بالاستعباد ووضع الأولاد محل ضميرهم للتعليل عطف (قوم فرعون) على القوم الظالمين وترك قوم فرعون وكأنهما أريد بأن تعدية أن على ودي واحد (ألا يتقون) أي أنهم أحرياء بأن يتقوا الله لهم أن موسى وهي كلمة تحضيض أعراب محل الجملة حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخل همزة الإنكار على الحال (قال رب إني أخاف) الخوف هنا لحق الإنسان لأمر متوقع (أن يكذبون ويضيق صدري) كذبهم إياي مستأنف أو عطف على أخاف (ولا ينطلق لساني) بأن يعتريني الحبسة على ما أري من الحال وإنما خاف ذلك وضمها الله وبين عليها على يكذبون لأن الخوف على هذا الاعتبار يكذبون وحده وعدم الرجاء (فأرسل إلى هرون) أي أرسل إليه جبريل وأحمله

(لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (ألا يكونوا مؤمنين) أي لأن لم يؤمنوا ودل حين كذبه أهل مكة وشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية تلجئهم فلا يأتي أحد منهم عن الله تعالى معصية والله سبحانه وتعالى ولي ما لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره فلا يعمل أحد منهم بعده معصية فظلت كذا في مصحف حمص خاضعين خبر عن الأعناق فأجمعت الأعناق لسان موضع الخضوع ونزل الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء نزل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم وقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين رؤساء (وما يأتيهم من الناس أي جماعة من الناس ﴿ قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) أي وعظ وتذكير (محدث) أي محدث إنزاله فهو بحدث التنزيل وكل ما نزل بني من القرآن بعد بني فهو أحدث من الأول (إلا كانوا عنه معرضين) أي عن الاعتداد به (فقد كذبوا فسوف يأتيهم) أي سوف يأتيهم (أنباء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد أن لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي حسن ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام وقال السعدي الناس إن الأرض في دحيها الخ فهو كريم من دحل الأرض هو أم (إن في ذلك) أي الذي ذكر (لآية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرته وتوحيده كما قال

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون (وإن ربك لهو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) بالرحمة لأوليائه ﴿ قوله تعالى (وإذ نادى) أي واذكر يا محمد إذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى النار (أن ائت القوم الظالمين) يعني القبط ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين (ألا يتقون) أي يصرفون عما يسخط الله عليهم ويوجب عقابه والاستفهام فيه (قال) يعني موسى (رب) أي يا رب (إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي يكذبهم إياي (ولا ينطلق لساني) أي لا يسعفني الكلام على لساني (فأرسل إلى هرون) أي وأرسل جبريل عليه السلام إلى هرون

(ولهم علي ذنب) أي دعوى ذنب وهو قوله السابق (فأخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فاذهبا أنتما وأخوكما بآياتنا إنا معكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان ذلك كشف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان ذلك أن أخاهما ملحق بالجماعة وهو سائر في نعت العرب (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) فان ذلك هنا بمعنى الرسول كما في قوله فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فلك الرسول قد يكون بمعنى الرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى الرسل فلم يكن بد من تثنيته وجمعه فجعل بمعنى الرسالة يخبر عنه بالواحد والتثنية والجمع والمعنى إنا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل إنهما لما تعاقبا في الرسالة والسير بها والأخوة صارا كأنهما رسل واحد وقيل إن واحدا منهما رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي سلمهم وأطلقهم معنا إلى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أو عذبهم بسببه وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وعشرين ألفا فأطلق موسى برسالة ربه إلى مصر وهرون بما أخبره بذلك * وفي القصة أن موسى رجع إلى صروعا محمد صوفه في يده عصاه والمكتل في رأس العصا وقد حمل داره وحمه وأخبر هرون أن الله قد أرسله إلى فرعون وأرسل إليه هرون فخرجا إلى فرعون يدعوانه فأتيا بابه فلم يستأذنا عليه حتى أصبحا ثم دعاهما وقال لهما انطلقا عني فلا حاجة لي بكما فقالا لن نبرح حتى تأذن لنا فأذن لهما فدخلا عليه فقالا له إنا رسولا رب العالمين فعرفهما وقال ألم نربك فينا وليدا ولبثت من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين الخامسة لم تعمد وهي قوله وأنا من الضالين كما قال إن ذلك اليوم ما هو كائن إلا أنه لما كان قريبا من الكائن جعل كأنه كائن وقيل إن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية لأن الكفر محال على الأنبياء قبل الوحي ولا يعدها وقيل لما سمع من الكافرين فرعون وإلهه (قال) يعني موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين) أي الجاهلين بأن ذلك يؤدي إليه لأن فعل الوكزة على وجه الأدب لا على وجه القتل ويقال من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخطأ من (ففررت منكم) أي إلى

(مستمعون) حمزة لأن ومعكم لعاصم أي سامعون والاستماع في غير هذا الموضع للسماع يقال استمع فلان حديثه فسمعه أي أصغى إليه ولا يقال سمع إليه على ذلك فهو دليل على السماع (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) لم يكن الرسول كما في قوله إنا رسولا ربك لأن الرسول يكون من الواحد إلى الواحد فعلى هذا كان ينبغي أن يقال إنا رسل ربك لكن لما كان الرسول بمعنى الرسالة جاز وصفه بالواحد والاثنين والجمع والمعنى إنا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل إنهما لما تعاقبا في الرسالة والسير بها والأخوة صارا كأنهما رسل واحد وقيل إن واحدا منهما رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي سلمهم وأطلقهم معنا إلى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أو عذبهم بسببه وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وعشرين ألفا فأطلق موسى برسالة ربه إلى مصر وهرون بما أخبره بذلك * وفي القصة أن موسى رجع إلى صروعا محمد صوفه في يده عصاه والمكتل في رأس العصا وقد حمل داره وحمه وأخبر هرون أن الله قد أرسله إلى فرعون وأرسل إليه هرون فخرجا إلى فرعون يدعوانه فأتيا بابه فلم يستأذنا عليه حتى أصبحا ثم دعاهما وقال لهما انطلقا عني فلا حاجة لي بكما فقالا لن نبرح حتى تأذن لنا فأذن لهما فدخلا عليه فقالا له إنا رسولا رب العالمين فعرفهما وقال ألم نربك فينا وليدا ولبثت من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين الخامسة لم تعمد وهي قوله وأنا من الضالين كما قال إن ذلك اليوم ما هو كائن إلا أنه لما كان قريبا من الكائن جعل كأنه كائن وقيل إن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية لأن الكفر محال على الأنبياء قبل الوحي ولا يعدها وقيل لما سمع من الكافرين فرعون وإلهه (قال) يعني موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين) أي الجاهلين بأن ذلك يؤدي إليه لأن فعل الوكزة على وجه الأدب لا على وجه القتل ويقال من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخطأ من (ففررت منكم) أي إلى

فلسطين وكانت سكنهما فأتاه فلم يزالا يدعوانه حتى قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الضالين فأراه الرسالة فعرف فرعون وهي قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين فعرف فرعون وهارون ما يعني بقوله

(لما خفتكم) أن يقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لي ربي حكما) نبوة وعلما قال ابن عباس (وجعلني من المرسلين) من جملة رسله (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) كرر على اسمائه عليه بالتبرية فانطلق من أصله وأبى ان تسمى نعمة لانها بسبب ان جعلها نعالمه عليه تعبد بني اسرائيل لان بعثه فيهم وتصديهم بدعوة أسلافهم هو السبب في حصوله عنده وبرسوله ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون امس على موسى بعثه فيهم واخراجهم من حجر أبويه اذا حققت وتعبدهم بدليلهم واتحادهم عند الصبر في عهاوء عبدت وجمع في بعثكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده (أكن منه ومن ملئه المؤمن بعثه بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتناع منه وحده وكذا البعد فوق اشارة الى حصوله سعاة مهمة لا يدري ما هي الا بعثها (٣٦٠) ويحتمل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أي تعبد بني اسرائيل نعمة تمنها علي (قال فرعون

عبدت (لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) نبوة وعلما بالعلم والفهم (وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) اي اتخذتهم عبيدا يسخرهم موسى نعمة عليه حيث ربأه ولم يتخذه كفعل فرعون ببني اسرائيل ولم تسمه عبدا كما سعبدت بني اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وهو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام بحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن معمر

لم أنس يوم الرحل وقد بها * وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * سر كبي هكذا ولا تطق

أي أسر كبي والمعنى أمن علي أن ربيتني وتسبب لحملك علي بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات الهمة أو تريد كيف تمن علي بالتربية وهذا استعباد فرعون ومن أشبه فوجه تعبد بني اسرائيل عدأ الى أولادهم لم أرفع الى حيي وتكفلني والكاك لي من أهلي من غير ولم يلقوني في اليم (قال فرعون وما رب العالمين) سؤال أي شيء رب العالمين الذي يزعم انك رسوله اي تسوصفه الهه الذي ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنس والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واحاله بذكر أفعاله وآثار قدرته التي يحار الخلائق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ايه حالهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفها الا بذكر ما له كيف كان أي يعلم بذلك لزمكم ان تطلبوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال أهل المعاني اي كانوا يرون هذه الاشياء التي تعاينونها ويشاهدونها فيعلمون انه لا بد لها من اله خالق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى (قال لمن حوله) أي من أشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسة من حمل عليهم الاسورة (الا تستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني اني انما أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بأفعاله وآثار قدرته دون ان آلهتهم ملوكهم مرادهم موسى في البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعني ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعني فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) يعني المقصود من السؤال طلب الماهية وهو تعالى بالآثار الخارجة وهذا لا يدل على ان هذا الذي يدعي الرسالة مجنون لانهم السؤال فصلا عن أن يجيب عن كلام لا يعقل له ولا يعرف صحته وكان قصدهم ان من لا يعقل ما يعبدون ليس بعاقل فرادى الباقي (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق بالغ أوضح من الباقي ومعنى ان كنتم تعقلون وتعرفون أنه لا جواب عن

وما رب العالمين) اي اي شيء يدعي انه رسول رب العالمين فاضمر له لانه اراد ان السؤال عن صفته يدل عليه وقول ما يريد به أي أطويل أم قصير أبيض أم أسود نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رب السموات والارض وما بينهما) أي ومالبين الجنسين (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل وكيف يخلو هذه الاشياء دلالة أو ان كان يرجى منكم الايمان الذي يؤدي اليه الاقرار الصحيح بعد هذا الجواب والا لم يطمع والايمان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قال) أي فرعون (لمن حوله) من اشراف قومه وهم خمسة من حملت عليهم الاساور وكان للملوك خاصة (الا تستمعون) يعجب قومه من جوابه لانهم

فرعون ومن معه ما يرون لهم ارتباطا فاحتاج موسى الى ان يستدل بما شاهدوا وحدوه وعاينوه سوالك

فاستدل بحدث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فاستدلوا بما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) اي فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان فرعون يكرر الهاء في غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) وتستدلون بما أول ظهوركم وجدانا على الارشاد الى تعلم ان لكل السموات والارض وما بينهما خصص من العالم لان أنفسهم وآباءهم لان اقرب الى ما ظهر له من العاقل نفسه ومن ولد منه وباشاهد من احواله من وقت ولادته الى وقت بلوغه حد التكليف من طلوع الشمس من أحد الجانبين وغروبها الى الآخر على ما يرى بالعين وان الموجد لذلك ما ظهر له ذلك وما على الانسان به الا الرجوع الى الاستدلال بالاشياء

والامانة على غرور ثم كذاب وقيل ساله مرهون من الماهية ما هلاص حقيقة سؤاله فلما أسلم موسى صفة ثبات الحواب وقع عند ما سمع موسى عاد عن الحواب حيث سأله عن الماهية وهو يحسن رد ستة آلاف سنة فقال مخاطبا لهم من حواب موسى ألا تسمعون عادة موسى الى مثل قوله الاول حسبه فرعون وانما انه حائد عن الحواب عاد ثانيا الى مثل كلامه الاول سئال الفرد الحقيق انما تعرف بالصفة والسؤال عن الماهية محال والله الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعقلون أي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يهتد أن يدفع ظهور آياته (قال لئن اتخذت الها غيري) أي غيري الها (لاجعلنك من المسجونين) أي لاجعلنك واحدا من عرف حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأمر من يريد سجنه فيطرحه في هوة عميقة في الارض بعيدة العمق فرد لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو صل لا سجننك لم يرد هذا المعنى وان كان أحصر (قال أولو جئتك) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك (بشيء مبين) أي بآية شاهدة بالحق (قال فأت به) بالذي بين صدق (ان كنت من الصادقين) ان للدعوى حواب الشرط محذوف أي فاحضره (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبان كما يكون الاسم المروزة بالثعبوة والبحر روي ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت منه له الى فرعون وجعلت تقول

ياموسى مرني بما شئت وروي فرعون اسالك بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) دليل على ان ما كان سبب جمع الظاهر على الباطن فهو حسن في العادة وكان ابيضها وروي ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل لي غيرها فاخرج يده قال لفرعون ما هذه قال فرعون بل أدخلها في أطمارهم وتحت ابطهم ولها شعاع يكاد يعمي الابصار ويسد الافق (قال) أي فرعون (للملا حوله) هو صفة لصفة محذوفة تعت في الاصل والعامل فيه ما يتقدر في الظرف وتعمه

سؤالك الاماكن (قال) فرعون حين لم يمكنه الخلاص عما اتى به الحواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) مثل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأمر الرجل فيطرح في مكان مهوى عميق الى الارض وحيدة فرد لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (أولو جئتك بشيء مبين) أي بآية شاهدة بالحق والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتك بحجة شاهدة بالحق فيما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاحابة الى الحق بالبيان (قال) يعني فرعون (فأت به) أي ائتني بما تدعيه (ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قال ابن عباس رضي الله عنهما رفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت منه له الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت وروي أن فرعون لما رأى العصا قال يا موسى أسالك بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملا حوله ان هذا) يعني موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلهذا رجح فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التهمة لانه لو قال لهم موسى (يريد أن يأمركم بأمرون) يعني ما رأيتم منه وما الذي أتى به من ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أي أخره وأخاه (وابعث في المدائن حاشرين) تأويله كل سحار عليم) قيل ان فرعون اراد بقوله موسى فعالوا الا فعل قال ان الله تعالى دخلت الالف واللام في أمره لكن أخره واجمع له سحرة ما مروه ولا نسبه على خطئه وقوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعني يوم الزينة قال ابن عباس وكان ذلك يوم النيروز وهو أول يوم من السنة وهو يوم البرد (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي لتنظروا ما فعل الفريقان ولكن لتكون العلة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أرادوا بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) ظنوا من فرعون الخير لما وعدهم بذل المال والجاه بدل لهم ذلك

في المحل وهو النصب على الحال من الملا الذي كان حوله والعامل فيه قال (ان هذا لساحر عليم) السحر هو أعوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من الامر وهي المشاورة ومن الامر الذي هو ضد النهي لما سحر فرعون بزعمه ما سحر ذكر دعوى الالهية موحطا عن منكر ما سحره وازدراء فراعنة موحطا فيق قومه الذين هم بزعمه وهو الههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) احزم هما ولا تعجل فيهما وخاف الفتنة (وابعث في المدائن حاشرين) سرطانة يحشرون السحرة وعارفوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) هذا وان كان لفظه الاخبار فمعناه الامر لتكون وابعث على (يجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وهو عاشوراء وقت الضحى لانه الوقت الذي وعده لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والمعاد ما وعد به أي حدد من زمان أو مكان وهو مواعيد الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) اي احمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه حثهم على تعجيلهم (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أي غالبين موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى وانما قالوا ذلك لان الكلام مع الملوك لا يتم الا بموافقتهم لكونهم مرؤسين (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين

كلموا كذه قوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أى بعظمته فرعون (انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى ما يقلبونه عن وجهه ووجهه وحقه وهو سحرهم فقال لهم موسى صار حبالكم وعصيكم ما تلعب كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هى كما كانت أول مرة (فألقى السحرة ساجدين) فعل انهم لما رأوا ما جاء به حقا علموا انه ليس بسحر لم يملكوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا ان لا يتوهم فرعون انهم آمنوا به (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) فى ذلك (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وتواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) ومال ما فعلناهم ثم صرح فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أحد شقى خلاف ظهرا لبطن منكم (ولاصلبنكم أجمعين) كانه أراد به رؤساء العامة لئلا يتوهم فى الاتباع (قالوا لا ضير) لا ضرر وحسر لا تحذروا أى فى ذلك أو على (انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك بل انما أعظم الطمع لنا لحصول ذلك انما الضرر على من كفر الخطايا أولا ضير علينا فيما سوء عندنا انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا سبحانه من اسكان الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها ولا ضير الذى

علينا فى ذلك لان ما الينا من الانقلاب الى ربنا يطمع فى مغفرته ورحمته ونيل رضاه والسعى الى الاسكان (وأوحينا الى موسى ان أسر) وتوصل الهمزة بحارى (بعبادى) بنى اسرائيل منهم عند انجائهم اياى من فرعون وقومه (انكم متبعون) يعنى فرعون وقومه على الاثر بالرعاية فرعون وجنوده آثارهم يعنى انى سأدبر امركم وامرهم على ان تعدموا وشكوكم حتى تدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه ما بقى فى ذلك الملك فى كل بيت منهم ولد فما فوقه الا وقد ماتوا بموتهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت واذبح الخدا واصربوا دمائها على أبوابكم فان ذلك علامة لاهل البيوت ان لا يدخلوا ما عليه الدم وسآمرهم بقتل الكفار فاطرقا فانه أمرع لكم ثم سر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فاذا جاوزته فاضربه برجلك فانفلق فيبس فاعبر منه فلما أصبح (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) أى حاشرا يحشرون الناس (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) قال أهل السير كانت السرذمة

القبط فلم يبق منهم أحد إلا أتى (وأغرقنا آل فرعون) أي قومه الذين اتبعوه (وأنتم تنظرون) أي إليهم يتبعون أثرهم والأمة مطبقة على غرقهم من مصرنا وحلمهم حليما وقتلهم أكثارنا (وإنا لجميع حذرون) شاكون في السلاح وغيرهم محذورون فالحذر الاستعداد الذي يتحدد الحذر وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني وعن قوم من عادتنا الحزم واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج عليها خرج سلاحا على حسم فساده وهو معاد راعتذر بها إلى أهل الدنيا لئلا يظن به التحرز والتعوذ (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) هو ما يتفاخر به الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب (٣٦٣) على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (وأورثناها) أي أسرائيل) عن الحسن الماعون والنهر رحبوا واحدا دارهم وأموالهم (فأتبعوهم) فلحقوهم فأتبعوهم بمعنى (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أي أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي ما لا يتهيأ ترى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل وآله ط (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعني موسى إنه موعود الله تعالى إنا (كلا) أي لن ندرك (إن معي ربي سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) أي فضرب فانفرق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي بموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله أين أمرت بقدوم فرعون من خلفنا والبحر أمامنا فقال موسى هيهات يوشع ضاع الماء لا تخف وقال الذي يكتم إيمانه يا كليم الله أين أمرت قال هيهات لكم ورسمه فكبحه بلجامه حتى طار الفرس سدوهم أفحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم ليدخلوا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يزل سرجه ولا لجامه (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا فرعون وجنوده إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون يحرسهم من العدو فلما أصبح قال لبني إسرائيل لا تسيروا حتى يخرج آخركم أولكم وقيل لفرعون لا تطلب آخرهم حتى يدخل أولهم فكان كذلك وأمر جبريل موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل وكان يوم فرعون موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني أنه تعالى جعل البحر

القبط فلم يبق منهم أحد إلا أتى (وأغرقنا آل فرعون) أي قومه الذين اتبعوه (وأنتم تنظرون) أي إليهم يتبعون أثرهم والأمة مطبقة على غرقهم من مصرنا وحلمهم حليما وقتلهم أكثارنا (وإنا لجميع حذرون) شاكون في السلاح وغيرهم محذورون فالحذر الاستعداد الذي يتحدد الحذر وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني وعن قوم من عادتنا الحزم واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج عليها خرج سلاحا على حسم فساده وهو معاد راعتذر بها إلى أهل الدنيا لئلا يظن به التحرز والتعوذ (فأخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) هو ما يتفاخر به الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (وأورثناها) أي أسرائيل) عن الحسن الماعون والنهر رحبوا واحدا دارهم وأموالهم (فأتبعوهم) فلحقوهم فأتبعوهم بمعنى (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أي أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أي ما لا يتهيأ ترى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل وآله ط (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعني موسى إنه موعود الله تعالى إنا (كلا) أي لن ندرك (إن معي ربي سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) أي فضرب فانفرق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي بموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله أين أمرت بقدوم فرعون من خلفنا والبحر أمامنا فقال موسى هيهات يوشع ضاع الماء لا تخف وقال الذي يكتم إيمانه يا كليم الله أين أمرت قال هيهات لكم ورسمه فكبحه بلجامه حتى طار الفرس سدوهم أفحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم ليدخلوا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يزل سرجه ولا لجامه (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا فرعون وجنوده إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون يحرسهم من العدو فلما أصبح قال لبني إسرائيل لا تسيروا حتى يخرج آخركم أولكم وقيل لفرعون لا تطلب آخرهم حتى يدخل أولهم فكان كذلك وأمر جبريل موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل وكان يوم فرعون موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني أنه تعالى جعل البحر

أصرب بعصاك البحر) أي العظيم أزالنا (فانفلق) أي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الأسباط (فكان كل فرق) أي جزء يعني منه (كالطود العظيم) كالجبل العظيم فصار في السماء (وأزلفنا ثم) قربنا هناك (الآخرين) فوم فرعون أي فرقناهم بين أسرائيل أومن البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وذلك أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار اثني عشر طريقا لكل سبط طريق فلما رأى بنو إسرائيل الماء قائما كالجبال قالوا يا موسى إنا لا نرى أصحابنا فقال كل سبط قتل موسى أصحابنا فدعا الله تعالى فأحيا الله تعالى كل سبط منهم بعضهم بعضا حتى تعارفوا فقالوا الآن علمنا أنا لم نقتل أصحابنا ولكن سحرنا فرعون فلما خرجوا من البحر قال موسى لبني إسرائيل اتركوا البحر على حاله رهوا أي ساكنا كما هو حتى يدخل القبط فلما دخل آخرهم وهم كانوا في الساقة وهم يومئذ اثنا عشر ألفا قال موسى لبني إسرائيل اضربوا البحر بعصاكم فضربوه فالتطم عليهم فغرقهم الله تعالى وأنجى بني إسرائيل وقيل إن موسى لما انتهى إلى البحر قال لبني إسرائيل لا تسيروا حتى يخرج آخركم أولكم وقيل لفرعون لا تطلب آخرهم حتى يدخل أولهم فكان كذلك وأمر جبريل موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل وكان يوم فرعون موكلون بما رأيتم الحرس من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني أنه تعالى جعل البحر

بنى اسرائيل خرج موسى وقومه ليلا وأخبر فرعون وقومه بذلك فاتبعوهم (وما كان أكثرهم) أى المتبعين (مؤمنين) بموسى وقومهم بل الأكثرية منهم آل فرعون ومن ثم آل فرعون ومن ثم التى دلت على موسى وقومه (وإن ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مسمع قريش (نبأ إبراهيم) خبره (إذ قال لأبيه وقومه) هم إبراهيم أو هم الأب (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجوابه ما تعبدون أصناما كيف يقولون ذلك وقد يعقلون قبل العقوبة ما قال وبكم قالوا الحق لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وإنما أرادوا وصف المعبود فأجابوا بما ي

وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه بما لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (وألحقني بالصالحين) أي من سلف مني من الانبياء في البرزخ والقبور حتى الخاتمة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جميلا ولا عاما في الامم التي تجيء بعدي فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الاديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي من الباقين فيها وأعمر لابي

نسمع لما نقول دلك الكفار حين نسمع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق في الوده مع مواعده الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الحياة ما فعل بصديقي فلان وصديقي كم فيقول الله يرد حل أخرجوا له صديقه الى الجنة ويقول من يوم ما أمس شافعين ولا صديق حميم رواه البيهقي باسناد الحسن وقال الحسن اسكروا من الاصدقاء الا ثلاثة مؤمن فان لهم شفاعة يوم القيامة (وأولئك ما كره) أي رحمة الى الدنيا (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنعم الذي لا يعاقب وهو في وصف عزيز رحيم ﴿ قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح لان القوم مؤنث سماعي وتصغيرها قويعة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد فان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا منهم فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لا في الدين (الا تتقون) أي ألا تخافون وتتركوا الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين) أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما أمركم به من الايمان والتوحيد (وما أسألكم عليه من أجر) اي من جعل وجزاء (ان أجري) أي ثوابي (الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قد تكرروا وتكرر عليهم وتقرر في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في تخطئتي وانني لست أحد منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) اي السفلة قال ابن عباس يعني العاجزين وقيل هم الحاكة والاساكفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصناعتهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى ومالي الا ظواهر أمرهم وقال الرجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم ان الله يطلعني على سرائرهم وانما كلفت الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) اي لو تعلمون ذلك ما عيروهم بصناعتهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي عن بابي وقربتي (ان أنا الا نذير مبين) معناه ما خوف من كذبني فمن آمن فهو المعزز بي ومن لم يؤمن فهو الذي أدعى (قالوا لئن لم تنته يا نوح) اي عما تقول (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

نعت الرسل أصلا فلذا جمع أولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جمع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبا لا دينا (نوح الا تتقون) حال الا تمام متروكوا عبادته الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم يحمد عليه الصلاة والسلام في درس (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به وادعوكم اليه من الحق (وما أسألكم عليه) على هذا الامر (من أجر) جزاء (ان أجري) بالجمع مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (الا على رب العالمين) فلذلك أرشد (فاتقوا الله وأطيعون) كرروا موره في نفوسهم مع تعاقب كل واحد منهما لعله فعله الاول كونه أمرا فيما مضى وفعله الثاني حسم طمعهم كأنه قال اذا عرفتم رسالتي وأمانتي فاتقوا الله وأطيعوني في المستقبل (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الواو للحال قد مضمرة بعدها اذ لا يراد معطوف وأتبع جمع تابع كشاهد وأشهاد وجمع كامل الاراذل (الارذلون) السفلة والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزري بالديانة فالعبرة في الدين والنسب نسب التقوى ولا تحور ان يسمى المؤمن رذلا وان كان أشرف الناس وأوضعهم نسبا وانما الناس أبناء آدم وحواء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء علمي (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما كلفت منهم الايمان وقبول ظاهرهم وقالوا ان الذين آمنوا ليس في طويتهم ما يظهرونه فعلى ما علمك الا عبرة بالظاهر وهو الله يتولى السرائر (ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في طويتهم (وما أنا بطارد المؤمنين) اي ليس من شأني ان أطرد من طمعت في ايمانهم (ان أنا الا نذير مبين) على الا تأثير لي في ايمانهم انما الهادي هو الله (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

(قال ربكم ان قومي كذبون) ليس هذا الخبر لله تكذيب لهم لان علم الغيب والشهادة أعم ولكنه أراد انهم كذبوني في رسالتك (فافتح بيني وبينهم فتحا) أي احكم بيني وبينهم حكما والفاتح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجني ومن معي) أي خلصني (من المؤمنين) من عذابهم (فأنجيناه ومن معه في الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك فالواحد يورث فعل والجمع يورث أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أي الذي علؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنيع بانتقامه من عدوه (الرحيم) المنعم بالعافية من عدوه وآمن (كذبت عاد المرسلين) هي علم في الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله) في تكذيب الرسول الأمين (واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع)

المشحون (قال رب ان قومي كذبون فافتح) أي احكم (بيني وبينهم فتحا) أي حكما (ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي بعد انجاء نوح ومن معه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿ قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين) أي أمين على الرسالة فكيف بسهو أو وهم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أي كل طريق وقال الضحاك هو الجبل وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعبثون) أي تمرون بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة لتشهر واعلى المارة والسابلة فتسخر وامنهم وفيما بينهم وقيل انهم كانوا يبنون بروج الحمام وأنكر عليهم هو باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أي قصورا وقيل مصنعة وحصونا مانعة وقيل ما تحفر للماء يعني الحياض (لعلكم تخلدون) أي كأنكم تعيشون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أي واذا أخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) أي ضربتم بالسوط والعصا الذي يضرب به على العصب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) وحذروا بأسه وسطوته (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكرما أعطاهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) ثم ابتدأ فخوفهم فقال (اني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتموني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم ان (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) اي انهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب يذكر الوعد والوعيد (ان هذا الا خلق الاولين) قرئ بضم الخاء أي اختلاقهم الاولين وكذبهم وقرئ بفتحها واللام أي عادة الاولين فيما يأتون ويذرون ولا نعبث ولا نحاسب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم أظهروا بذلك بقولهم هو سهم فيما يسكنونه من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿ قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) اي في الدنيا من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) اي ثمرها الذي يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وقيل ما تنفتح وقيل هو اللين الرخو وقيل ينهضم بعضه على بعض اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج

مكان مرتفع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تسخرون من مرهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) ما تحفر للماء أو قصورا مشيدة أو حصونا (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أحدتم الحد العنيف (بطشتم جبارين) لا تبالون بما فعلتم وضربا بالسوط والخيزران الذي يعتاد الضرب على العصب (فاتقوا الله) في العقاب (واطيعون) فيما ادعوكم اليه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) من النعم عددها عليهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين) فرق بين الأنعام والبنين لان النعم عليهم في حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتموني (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) اي لا نبالي كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم تفعل أم لم تعظ (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت وانتحال الاباء الا عادة الاولين أو ما نحن عليه دين الاولين الاحلق الاولين من يولد ويموت على أي ما حشت به احلاق الاولين وكذبهم في قولهم أساطير الاولين او خلقهم كخلق الاولين يموتون ويحيون كما كانوا (وما نحن بمعذبين) في الدنيا ولا نعب ولا حساب (وكذبوه) أي هودا (فاهلكناهم) بريح صرصر عاتية (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون) انكارا لان يتركوا خالدين في نعيمها (فيما ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسر نعيمها فقال (في جنات وعيون) وهذا اشارة الى ما يحيط بالانسان من البساتين (وزروع ونخل) وعطف على جنات مع ان الجنات تتناول النخل في أول الكلام لفضل النخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يطلع

أو العموم وهو المدرك (ويحزنون من الخيال سوء فارهين) وفرى فارهين مثل الفاره الحاذق بعنتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه مصورين فرحين متخيرين نعمكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل هي التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب (ما أنت الا بشر مثلنا) أي لست ملكا ولست بنا (فأت بآية) يعني على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعني انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) اي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي تعقروها (فعقروها فأصبحوا نادمين) أي على عقرها لما رأوا العذاب (فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ﴿ قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) يعني نكاح الرجال من بني آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) يعني أتتركون العضو المباح من السماء وتأتون الى أدبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أي من قريتنا (قال اني لعملكم من القالين) أي من الباغضين المبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) اي من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) أي امرأته (في الغابرين) أي تبقى في المهلكين (ثم دمرنا الآخرين)

أراد بالعالمين الناس أتأتون الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أطؤن أدبارهم من بين من عداكم من العالمين الذكران أي أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما سكن من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) من نسائكم لما خلق أوعضو والمراد بما خلق العضو الباح منهن وكانوا يطعنون في ذلك بسائهم وفي مقابلة تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن اجازه بعد أن خطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادي المتعدي في ظلمه المجاوز حده اي بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان من غيركم في مثل هذه الفعلة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا وتعرضك لأمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناهم من بين أظهرنا وطردناهم من لدنا لفعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعملكم من القالين) هو أبلغ من ان يقول قال فعلك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تسند به مساهم لهم في العلم والقلي البغض على المرادو الكثرة وفيه دليل على عظم المعصية فلان من حيث الدين (رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناه وأهله أجمعين) يعني لوطا ومن آمن به (الا عجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بفعل قومها والراضي بالمعصية في حكم العاصي واسم امرأة الكافرة من الاهل وهم موقوفون للاسترداد في هذا الايمان لم يشاركهم في الايمان (في الغابرين) صيرناها اي في الباقين في العذاب فلم ينجها مع الغابرين في العذاب الباقي كلهم وقيل الا عجوزا غابرة أي متخلفة عن الهلاك ورهاد العذاب ولم تكن معهم ولم تخرج معهم (ثم دمرنا

ترصوا أجمعين فكانوا يحتسبون على المراعي في حدرها ومولون أرضي فعول من كذلك فعلهم (فاصبحوا نادمين) على عقرها حوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فأخذهم العذاب) المدمر ذكره (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون

الآخرين) والمراد استئصالهم بالكلية (وأمطرنا عليهم مطرا) هي قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وما لم يرمي بالاستئصال حتى أتبعه بمطر آخر من حجارة (فساء) ما فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) بالهمزة والطرحي عيصة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة بحاري وشاني وكذا في ص علم لبلد فعل أصحاب الايكة هم أهل مدين الحوا الى عيصة اذا لح عليهم الوهج والاهم انهم عرفوا بنسبتها بالمادة وأكثر شعرهم المقل بدليل انه لم يقل هم أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين وفي الحديث ان شعيبا حامد بن أرسل اليهم والى أصحاب الايكة (المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) ولا تنقصوا الناس حقوقهم بالكيل والوزن وهو مأمور به وطفف وهو منهي عنه ورائد وهو متروك عنه فتركه دليل على انه لا يفعل أحسن وان لم يفعل فلا شيء عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي القبان أو العدل فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين كررة فوزنه فعلال والا فهو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته سقته اذا نقصه ماله (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بطح أطرافهما (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تسالغوا في الافساد كوطع (٣٦٩) الطرق والغارة واهلاك الزروع

الآخرين) أي أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) يعني الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ❁ قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أي العصة الملتفة من الشجر وهي اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم (ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين) انما كانت دعوة هود ولا لاعلاء دعائهم الى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له بقوله على نهي الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين) يعني الخلقة والامم المتقدمة (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) أي قطعا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون) أي من نصبان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك انهم اصابهم حر شديد كانوا يدخلون الابار فيجدونها أحر من ذلك فخرجوا فظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فاضرمت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فأغنى عن الاعادة هذا والله أعلم مراده ❁ قوله عز وجل (وانه) يعني القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعني ان وما من أخبار الامم الماضية مما يدل على انه من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه حي من الروح وسماه امينا لانه وثق

وكانوا يفعلون ذلك وهو عبثه تعالى في الارض اذا أفسدوا في الارض احيى عيشا (واتقوا الذي خلقكم والجبلة) الخلقة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الخلقة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا لتأكيد ما دخلت عليه من كلامهما مثل الرسالة عندهم السحر وتركيبها في قصة ثمود لم تدخل فيه لمعنى واحد هو كونه مسوقا مساق الجواب لتلك المراجعة (وان نظنك لمن الكاذبين) ان مخففة من الثقيلة واللام

(على علم) اى بصحته وصدقه (فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يا قريش (بالبينات والزبر) متعلق بارسلنا المقدر بعد الا او بالذكر (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) من الاحكام والقصص (ولعلهم يتفكرون) فيما فيه من المواعظ فيعملون به (افامن الذين مكروا السيئات) الشرك والمعاصي (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا يحتسبونها (او يأخذهم في تقلبهم) في متاجرهم (فما هم بمعجزين) الله بالهرب منه (او يأخذهم على تخوف) تنقص بان يهلك طائفة بعد طائفة (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) من الاشياء (يتفيؤا ظلاله) اي يتميل من جانب الى جانب (عن اليمين والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال اي خاضعة لله بالعبودية (وهم داخرون) صاغرون (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) نسمة تدب على الارض (والملائكة) خصهم بالذكر لشرفهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) حال من الملائكة اي يخافون عذاب ربهم كائنا من فوقهم (ويفعلون ما يؤمرون) به من العبادة (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) تأكيد لما يفيده النهي (انما هو اله واحد) وهو الله (فاياي فارهبون) فخافوني دون غيري (وله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين واصبا) دائما (افغير الله تتقون) تخافون (وما بكم من نعمة فمن الله) اي هو موليها (ثم اذا مسكم الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) ترفعون اصواتكم بالدعاء والتضرع (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) فيعبدون غيره (ليكفروا بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون لما لا يعلمون) من الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) من ان الله امركم بذلك (ويجعلون لله البنات) قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عما قالوا (ولهم) اي لقائلي ذلك (ما يشتهون) من البنين (واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه مسودا) متغيرا (وهو كظيم) ممتلئ غما (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) اي يستخفي منهم خوفا من التعيير بها (ايمسكه على هون) ذل (ام يدسه في التراب) يدفنها حية (الا ساء ما يحكمون) حكمهم هذا (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة النقص (ولله المثل الاعلى) صفة الكمال (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصي (ما ترك عليها) على الارض (من دابة) بشؤم ظلم الظالم (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) وقت معين (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) عنه (ويجعلون لله ما يكرهون) من البنات والشركاء في الرياسة (وتصف ألسنتهم الكذب) قولهم (ان لهم الحسنى) عند الله لو بعث (لا جرم) حقا (ان لهم النار وانهم مفرطون) متروكون في النار (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان اعمالهم) الخبيثة (فهو وليهم اليوم) في الدنيا اي قرينهم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (وما انزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) من امر الدين (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون به (والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها) يبسها (ان في ذلك لآية) دلالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونه) اي الانعام (من بين فرث) ما في الكرش (ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شيء منهما (سائغا) سهل المرور في الحلق (للشاربين) لذيذ (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) خمرا (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) ينتفعون بعقولهم (واوحى ربك الى النحل) الهمها وقذف في قلوبها (ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يبنون من الكروم والسقوف (ثم كلي من كل الثمرات) مما تشتهين (فاسلكي سبل ربك) طرقه في طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل اي منقادة لك لا يعسر عليك سلوك شيء منها (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر واسود (فيه شفاء للناس) من الاوجاع (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في صنع الله (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اخسه وهو الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اي يذهب عقله (ان الله عليم) بخلقه (قدير) على ما يشاء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم غني وفقير ومملوك ومالك (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم) من العبيد والاماء (فهم فيه سواء) اي ليسوا بشركاء لهم فيما رزقوا (افبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث اشركوا به غيره (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال وماء النساء (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) اولاد الاولاد او الخدم من الانس (ورزقكم من الطيبات) كالحلال (افبالباطل) الاصنام (يؤمنون وبنعمة الله) بالاسلام (هم يكفرون) حيث اشركوا (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) ذلك (فلا تضربوا لله الامثال) تجعلوا له امثالا تشركونها به (ان الله يعلم) ان لا مثل له (وانتم لا تعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) من التصرف لعجزه (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) اي متصرف في امواله كيف شاء (هل يستوون) هذا العبد وذاك الحر (الحمد لله) على ما انعم به (بل اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كذلك فيشركون به (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) اخرس (لا يقدر على شيء) من الكلام والفهم (وهو كل على مولاه) ثقل وعيال عليه (اينما يوجهه) يرسله (لا يأت بخير) لعجزه عن تدبير نفسه (هل يستوي هو) هذا الابكم (ومن يأمر بالعدل) وهو الناطق المدبر (وهو على صراط مستقيم) طريق الحق (ولله غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عن العباد (وما امر الساعة) القيامة في سرعة مجيئها (الا كلمح البصر) في قربه (او هو اقرب) منه (ان الله على كل شيء قدير) ومنه الساعة (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) حال (وجعل لكم السمع) لتسمعوا به (والابصار) لتبصروا بها (والافئدة) القلوب لتعقلوا بها (لعلكم تشكرون) نعمة الله عليكم بذلك (الم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (في جو السماء ما يمسكهن) عن السقوط (الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) تسكنون فيها (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخيام (تستخفونها) تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم) في الحضر (ومن اصوافها) اي الضأن (واوبارها) اي الابل (واشعارها) اي المعز (اثاثا) متاعا (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) تستظلون بها من الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو ما يستتر به من مغارة وغيرها (وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) وهي القطن والكتان والصوف (وسرابيل تقيكم بأسكم) في الحرب (كذلك يتم نعمته عليكم) بما ذكر (لعلكم تسلمون) تنقادون لله بالتوحيد (فان تولوا) عن الايمان (فانما عليك البلاغ المبين) التبليغ الظاهر (يعرفون نعمت الله) التي عددت عليهم (ثم ينكرونها) بعبادة غيره (واكثرهم الكافرون) بها (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) نبيها يشهد لها وعليها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار (ولا هم يستعتبون) يطلب منهم العتبى اي الرجوع الى ما يحبون (واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم) بالتشديد والتخفيف (ولا هم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اي الشياطين او الاصنام (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم (فالقوا اليهم القول) رد عليهم قولهم (انكم لكاذبون) في ان لنا شركاء (والقوا الى الله يومئذ السلم) الانقياد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من ان لله شركاء (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) بسبب افسادهم غيرهم (بما كانوا يفسدون) بصدهم (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) من انبيائهم (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) اي امتك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا لكل شيء) من امور الدين (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) خصهم لانهم المنتفعون به (ان الله يأمر بالعدل) التوسط في الامور (والاحسان) الى الناس (وايتاء ذي القربى) اعطاء القرابة حقوقهم (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) ما قبحه الشرع (والبغي) على الناس (يعظكم) بما ذكر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) ما عاهدتم عليه (اذا عاهدتم) به (ولا تنقضوا الايمان) بالحلف (بعد توكيدها) بذكر الله (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) فيجازيكم به (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) اي كامرأة حمقاء كانت بمكة اسمها ريطة بنت سعد بن تيم (من بعد قوة) اي بعد ابرام (انكاثا) اي اطرافا جمع نكث (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) اي مكرا وخديعة (ان تكون امة هي اربى من امة) اي اكثر عددا واقوى (انما يبلوكم الله به) يختبركم بالامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) على دين واحد (ولكن يضل من يشاء) اضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته (ولتسئلن عما كنتم تعملون) من خير وشر فنجازيكم به (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) على الاسلام (وتذوقوا السوء) العذاب في الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدكم غيركم عن الوفاء (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من الدنيا بالنكث (انما عند الله هو خير لكم) من الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك (ما عندكم ينفد) يفنى (وما عند الله باق) دائم (ولنجزين الذين صبروا) على الوفاء (اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) اي بجزاء احسن اعمالهم (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) في الدنيا بالقناعة او الرزق الحلال (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) في الآخرة بالثواب (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) اي قل اعوذ بالله الخ (انه ليس له سلطان) تسلط بالاغواء (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون امورهم (انما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه (والذين هم به مشركون) بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ (والله اعلم بما ينزل) من الناسخ والمنسوخ (قالوا) لرسولنا (انما انت مفتر) كاذب (بل اكثرهم لا يعلمون) ما ينزل (قل نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزله (ليثبت الذين آمنوا) بالقرآن (وهدى وبشرى للمسلمين) خصهم لانهم المنتفعون به (ولقد نعلم انهم يقولون) لرسولنا (انما يعلمه بشر) قال ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامان يسميان يسارا وجبرا يقرءان التوراة ويدرسان بلسان اعجمي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع منهما فقال المشركون انما يتعلم منهما (لسان الذي يلحدون) يميلون (اليه) اي يشيرون اليه بالاعجمة (اعجمي) لا يفصح (وهذا لسان عربي مبين) فصيح فكيف يتعلم منهما (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) الى الايمان (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) القرآن (واولئك هم الكاذبون) حقا (من كفر بالله من بعد ايمانه) اي ارتد (الا من اكره) على الكفر بالقتل او الضرب (وقلبه مطمئن بالايمان) غير مرتد (ولكن من شرح بالكفر صدرا) طابت به نفسا وانبسط (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) في الآخرة (ذلك) اي الغضب والعذاب (بانهم استحبوا) اختاروا (الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين) الى دينه (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فلا يهتدون (واولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لا جرم) حقا (انهم في الآخرة هم الخاسرون) الذين خسروا انفسهم (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) عذبوا على الكفر (ثم جاهدوا وصبروا) على دينهم (ان ربك من بعدها) اي الهجرة او الفتنة (لغفور رحيم) لهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) تحتج لا تلتفت الى غيرها (وتوفى كل نفس ما عملت) من خير وشر (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب او زيادة عقاب (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) من الغارة (مطمئنة) ساكنة لا تحتاج الى الانتقال لكثرة خيراتها (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكفرت بانعم الله) جمع نعمة (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) شبههما باللباس لاشتمال اثرهما عليهم (بما كانوا يصنعون) من التكذيب (ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) بالكفر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) مستلذا (واشكروا نعمت الله) بالطاعة (ان كنتم اياه تعبدون) فيه التفات عن الغيبة (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله) ذبح للاصنام (فمن اضطر) الى اكل شيء من ذلك (غير باغ) على مضطر آخر بان يأكل ميتة مثلا وهو واجد طعام غيرها (ولا عاد) متجاوز قدر الضرورة (فان الله غفور رحيم) له (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) متعلق بتقولوا اي لوصف ألسنتكم (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تحرموا ما احل الله ولا تحللوا ما حرمه (لتفتروا على الله الكذب) بنسبة ذلك اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجحون (متاع قليل) ما هم فيه من التمتع في الدنيا (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريمها عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب ما حرم عليهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) اي عاصين (ثم تابوا من بعد ذلك) السوء (واصلحوا) اعمالهم (ان ربك من بعدها) اي التوبة او السوء (لغفور رحيم) لهم (ان ابراهيم كان امة) اي جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق (ولم يك من المشركين) كما كانت قريش تدعي (شاكرا لانعمه) التي انعم بها عليه (اجتباه) اختاره للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) طريق الحق (وآتيناه في الدنيا حسنة) نبوة وثناء حسنا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى (ثم اوحينا اليك) يا محمد (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال (وما كان من المشركين) كما تقول اليهود (انما جعل السبت) اي تعظيمه بترك الصيد فيه (على الذين اختلفوا فيه) بان امرهم موسى بالجمعة فقالوا نريد السبت لانه يوم استراح الله فيه من الخلق فشدد عليهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة (ادع الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالمقالة المحكمة (والموعظة الحسنة) الزواجر المقرونة بالترغيب (وجادلهم بالتي هي احسن) كالدعاء الى الله بالآيات والحجج (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) فيجازيه (وهو اعلم بالمهتدين) فيجازيهم (وان عاقبتم) اردتم عقوبة من ظلمكم (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) من غير زيادة (ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو خير للصابرين) لهم (واصبر) نفسك على ما اصابك (وما صبرك الا بالله) بمعونته (ولا تحزن عليهم) على الكفار اذا لم يؤمنوا (ولا تك في ضيق مما يمكرون) بك وبالمؤمنين (ان الله مع الذين اتقوا) الشرك والمعاصي (والذين هم محسنون) في اعمالهم

(على علم) اى بصحته وصدقه (فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يا قريش (بالبينات والزبر) متعلق بارسلنا المقدر بعد الا او بالذكر (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) من الاحكام والقصص (ولعلهم يتفكرون) فيما فيه من المواعظ فيعملون به (افامن الذين مكروا السيئات) الشرك والمعاصي (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا يحتسبونها (او يأخذهم في تقلبهم) في متاجرهم (فما هم بمعجزين) الله بالهرب منه (او يأخذهم على تخوف) تنقص بان يهلك طائفة بعد طائفة (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء) من الاشياء (يتفيؤا ظلاله) اي يتميل من جانب الى جانب (عن اليمين والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال اي خاضعة لله بالعبودية (وهم داخرون) صاغرون (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) نسمة تدب على الارض (والملائكة) خصهم بالذكر لشرفهم (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) حال من الملائكة اي يخافون عذاب ربهم كائنا من فوقهم (ويفعلون ما يؤمرون) به من العبادة (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) تأكيد لما يفيده النهي (انما هو اله واحد) وهو الله (فاياي فارهبون) فخافوني دون غيري (وله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين واصبا) دائما (افغير الله تتقون) تخافون (وما بكم من نعمة فمن الله) اي هو موليها (ثم اذا مسكم الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) ترفعون اصواتكم بالدعاء والتضرع (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) فيعبدون غيره (ليكفروا بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون لما لا يعلمون) من الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) من ان الله امركم بذلك (ويجعلون لله البنات) قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عما قالوا (ولهم) اي لقائلي ذلك (ما يشتهون) من البنين (واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه مسودا) متغيرا (وهو كظيم) ممتلئ غما (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) اي يستخفي منهم خوفا من التعيير بها (ايمسكه على هون) ذل (ام يدسه في التراب) يدفنها حية (الا ساء ما يحكمون) حكمهم هذا (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة النقص (ولله المثل الاعلى) صفة الكمال (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصي (ما ترك عليها) على الارض (من دابة) بشؤم ظلم الظالم (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) وقت معين (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) عنه (ويجعلون لله ما يكرهون) من البنات والشركاء في الرياسة (وتصف ألسنتهم الكذب) قولهم (ان لهم الحسنى) عند الله لو بعث (لا جرم) حقا (ان لهم النار وانهم مفرطون) متروكون في النار (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان اعمالهم) الخبيثة (فهو وليهم اليوم) في الدنيا اي قرينهم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (وما انزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) من امر الدين (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون به (والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها) يبسها (ان في ذلك لآية) دلالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونه) اي الانعام (من بين فرث) ما في الكرش (ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شيء منهما (سائغا) سهل المرور في الحلق (للشاربين) لذيذ (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) خمرا (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) ينتفعون بعقولهم (واوحى ربك الى النحل) الهمها وقذف في قلوبها (ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يبنون من الكروم والسقوف (ثم كلي من كل الثمرات) مما تشتهين (فاسلكي سبل ربك) طرقه في طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل اي منقادة لك لا يعسر عليك سلوك شيء منها (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر واسود (فيه شفاء للناس) من الاوجاع (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في صنع الله (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اخسه وهو الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اي يذهب عقله (ان الله عليم) بخلقه (قدير) على ما يشاء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم غني وفقير ومملوك ومالك (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم) من العبيد والاماء (فهم فيه سواء) اي ليسوا بشركاء لهم فيما رزقوا (افبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث اشركوا به غيره (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال وماء النساء (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) اولاد الاولاد او الخدم من الانس (ورزقكم من الطيبات) كالحلال (افبالباطل) الاصنام (يؤمنون وبنعمة الله) بالاسلام (هم يكفرون) حيث اشركوا (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) ذلك (فلا تضربوا لله الامثال) تجعلوا له امثالا تشركونها به (ان الله يعلم) ان لا مثل له (وانتم لا تعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) من التصرف لعجزه (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) اي متصرف في امواله كيف شاء (هل يستوون) هذا العبد وذاك الحر (الحمد لله) على ما انعم به (بل اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كذلك فيشركون به (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) اخرس (لا يقدر على شيء) من الكلام والفهم (وهو كل على مولاه) ثقل وعيال عليه (اينما يوجهه) يرسله (لا يأت بخير) لعجزه عن تدبير نفسه (هل يستوي هو) هذا الابكم (ومن يأمر بالعدل) وهو الناطق المدبر (وهو على صراط مستقيم) طريق الحق (ولله غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عن العباد (وما امر الساعة) القيامة في سرعة مجيئها (الا كلمح البصر) في قربه (او هو اقرب) منه (ان الله على كل شيء قدير) ومنه الساعة (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) حال (وجعل لكم السمع) لتسمعوا به (والابصار) لتبصروا بها (والافئدة) القلوب لتعقلوا بها (لعلكم تشكرون) نعمة الله عليكم بذلك (الم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (في جو السماء ما يمسكهن) عن السقوط (الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) تسكنون فيها (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخيام (تستخفونها) تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم) في الحضر (ومن اصوافها) اي الضأن (واوبارها) اي الابل (واشعارها) اي المعز (اثاثا) متاعا (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) تستظلون بها من الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو ما يستتر به من مغارة وغيرها (وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) وهي القطن والكتان والصوف (وسرابيل تقيكم بأسكم) في الحرب (كذلك يتم نعمته عليكم) بما ذكر (لعلكم تسلمون) تنقادون لله بالتوحيد (فان تولوا) عن الايمان (فانما عليك البلاغ المبين) التبليغ الظاهر (يعرفون نعمت الله) التي عددت عليهم (ثم ينكرونها) بعبادة غيره (واكثرهم الكافرون) بها (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) نبيها يشهد لها وعليها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار (ولا هم يستعتبون) يطلب منهم العتبى اي الرجوع الى ما يحبون (واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم) بالتشديد والتخفيف (ولا هم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اي الشياطين او الاصنام (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم (فالقوا اليهم القول) رد عليهم قولهم (انكم لكاذبون) في ان لنا شركاء (والقوا الى الله يومئذ السلم) الانقياد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من ان لله شركاء (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) بسبب افسادهم غيرهم (بما كانوا يفسدون) بصدهم (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) من انبيائهم (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) اي امتك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا لكل شيء) من امور الدين (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) خصهم لانهم المنتفعون به (ان الله يأمر بالعدل) التوسط في الامور (والاحسان) الى الناس (وايتاء ذي القربى) اعطاء القرابة حقوقهم (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) ما قبحه الشرع (والبغي) على الناس (يعظكم) بما ذكر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) ما عاهدتم عليه (اذا عاهدتم) به (ولا تنقضوا الايمان) بالحلف (بعد توكيدها) بذكر الله (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) فيجازيكم به (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) اي كامرأة حمقاء كانت بمكة اسمها ريطة بنت سعد بن تيم (من بعد قوة) اي بعد ابرام (انكاثا) اي اطرافا جمع نكث (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) اي مكرا وخديعة (ان تكون امة هي اربى من امة) اي اكثر عددا واقوى (انما يبلوكم الله به) يختبركم بالامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) على دين واحد (ولكن يضل من يشاء) اضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته (ولتسئلن عما كنتم تعملون) من خير وشر فنجازيكم به (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) على الاسلام (وتذوقوا السوء) العذاب في الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدكم غيركم عن الوفاء (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من الدنيا بالنكث (انما عند الله هو خير لكم) من الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك (ما عندكم ينفد) يفنى (وما عند الله باق) دائم (ولنجزين الذين صبروا) على الوفاء (اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) اي بجزاء احسن اعمالهم (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) في الدنيا بالقناعة او الرزق الحلال (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) في الآخرة بالثواب (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) اي قل اعوذ بالله الخ (انه ليس له سلطان) تسلط بالاغواء (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون امورهم (انما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه (والذين هم به مشركون) بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ (والله اعلم بما ينزل) من الناسخ والمنسوخ (قالوا) لرسولنا (انما انت مفتر) كاذب (بل اكثرهم لا يعلمون) ما ينزل (قل نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزله (ليثبت الذين آمنوا) بالقرآن (وهدى وبشرى للمسلمين) خصهم لانهم المنتفعون به (ولقد نعلم انهم يقولون) لرسولنا (انما يعلمه بشر) قال ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامان يسميان يسارا وجبرا يقرءان التوراة ويدرسان بلسان اعجمي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع منهما فقال المشركون انما يتعلم منهما (لسان الذي يلحدون) يميلون (اليه) اي يشيرون اليه بالاعجمة (اعجمي) لا يفصح (وهذا لسان عربي مبين) فصيح فكيف يتعلم منهما (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) الى الايمان (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) القرآن (واولئك هم الكاذبون) حقا (من كفر بالله من بعد ايمانه) اي ارتد (الا من اكره) على الكفر بالقتل او الضرب (وقلبه مطمئن بالايمان) غير مرتد (ولكن من شرح بالكفر صدرا) طابت به نفسا وانبسط (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) في الآخرة (ذلك) اي الغضب والعذاب (بانهم استحبوا) اختاروا (الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين) الى دينه (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فلا يهتدون (واولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لا جرم) حقا (انهم في الآخرة هم الخاسرون) الذين خسروا انفسهم (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) عذبوا على الكفر (ثم جاهدوا وصبروا) على دينهم (ان ربك من بعدها) اي الهجرة او الفتنة (لغفور رحيم) لهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) تحتج لا تلتفت الى غيرها (وتوفى كل نفس ما عملت) من خير وشر (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب او زيادة عقاب (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) من الغارة (مطمئنة) ساكنة لا تحتاج الى الانتقال لكثرة خيراتها (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكفرت بانعم الله) جمع نعمة (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) شبههما باللباس لاشتمال اثرهما عليهم (بما كانوا يصنعون) من التكذيب (ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) بالكفر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) مستلذا (واشكروا نعمت الله) بالطاعة (ان كنتم اياه تعبدون) فيه التفات عن الغيبة (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله) ذبح للاصنام (فمن اضطر) الى اكل شيء من ذلك (غير باغ) على مضطر آخر بان يأكل ميتة مثلا وهو واجد طعام غيرها (ولا عاد) متجاوز قدر الضرورة (فان الله غفور رحيم) له (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) متعلق بتقولوا اي لوصف ألسنتكم (هذا حلال وهذا حرام) اي لا تحرموا ما احل الله ولا تحللوا ما حرمه (لتفتروا على الله الكذب) بنسبة ذلك اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجحون (متاع قليل) ما هم فيه من التمتع في الدنيا (ولهم عذاب اليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريمها عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب ما حرم عليهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) اي عاصين (ثم تابوا من بعد ذلك) السوء (واصلحوا) اعمالهم (ان ربك من بعدها) اي التوبة او السوء (لغفور رحيم) لهم (ان ابراهيم كان امة) اي جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق (ولم يك من المشركين) كما كانت قريش تدعي (شاك

(حتى يروا العذاب الأليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك اليأس ولا ينفعهم (وأنى لهم به) أي من أين (وهم لا يشعرون) بأنه (مقتولون) وفاتهم معلوم فأين على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين ولا يجابون إليها (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لهم واستكار عليهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس عجلة من اغتر بحلمه والبدار إذا تأنى وسكن إلى مألوفاته والله تعالى يقول (أفرأيت إن متعناهم سنين) فمهما هي ومتعناهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى إن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتمادهم أنه عز كأس ولا لاحى بهم وأنهم يمتعون بأعمارهم طوال الدهر في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أفسر أو نظر أساءوا حكما على الأمل الطويل ثم قال هب أن الأمر كما تعتقدون من تمتعهم وتعمرهم فما الذي يحقق لهم الوعد بعد ذلك ما يمتعهم (٢٧١) حينئذ عما قصى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ممنوعون من مهران الله تعالى الحس في الطواغيت وكان يمنى لقاءه تعالى له عطى فلم يرده على تلاوة هذه الآية فقال ممنوعون وقد وعظ فاتعظ وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يمر وقها عند حلوله للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) رسل ينذرونهم ولم يدخل الواو على الجملة بعد إذ كما في وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية وقد أكد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) مصدر بمعنى تذكرة لأن الرسول وتذكر معناه وكأنه قيل منذرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي منذرون ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لأجل التذكرة والموعظة أو مرفوع على إضمار مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراض أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو يكون ذكرى خبر مبتدأ محذوف كما مر والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية من القرى الماضية إلا بعد ما أزلنا إليهم الكتب وأرسال المنذرين إليهم لكي يكون هلاكهم بذكرة وعبرة لغيرهم ولا نعصاهم لنا (وما تنزلت به الشياطين) فهلك فيما عبر طائفة من المشركين أن الشياطين تلقي القرآن على محمد أنزل (وما ينبغي لهم) أي القرآن (الشياطين وما يستطيعون) وما يسهل لهم وما يقدرون عليه (إنهم عن السمع لمعزولون) ممنوعون بالشهب (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) ورد النهي لغير على الغير نص والغير لمثله على زيادة الإخلاص (وأنذر عشيرتك الأقربين) خصهم لأن الإنسان يسامح قرابته فإذا لم يسامحهم فغيرهم أولى بأن لا يسامحهم ويقال ما من عبد المطلب بني إلا جمعهم ثم بني عبد مناف ثم بني عبد مناف ثم بني هاشم ثم بني عبد المطلب ثم ناداهم فاجتمعوا فقال يا بني عبد مناف إني لا أملك لكم من الله شيئا

العرآن (حتى يروا العذاب الأليم فإنهم يعاينونه وهم لا يشعرون فمقولوا هل نحن منظرون) أي ليؤمن ونصدق ونتوبوا الرجعة ولات حين رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) فلما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفرأيت إن متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) نعمي العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ولم يكونوا كأنهم لم يكونوا نعم قط (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) نعمي أن المشركين كانوا يقولون أن الشياطين تلقي القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن يتنزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (إنهم عن السمع لمعزولون) أي ممنوعون بالرجم بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك ﴿ قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) روى محمد بن إسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت إني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد لا تفعل ما أمرت به حتى تدعوهم فصنع لنا طعاما واجمعنا له عدد رجال يومئذ ما بين الأربعين إلى الثلاثين فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنع فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشيء من حاجة وايم الله إن كان الرجل الواحد منا ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فإن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول وفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم فعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فجئت به فصنع كما فعل بالأمس فأكلوا وشربوا ثم قال يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا أكون وزيرك عليه يا نبي الله فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع فقام أبو طالب يطرد عنه الناس ويقول أترون محمدا يهذي ويخرج الناس من بيت أخيه فانصرفوا فلما كان الغد قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي إن هذا أول ما سمعت فاصمت عنه فأنا أول من آمن به وصدقه وبايعه وأجابه وأقر بنبوته وشهد أن ما جاء به حق وأن من خالفه ضال مبطل فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بيدي فضمني إليه وقال اللهم اغفر لعلي ما تقدم من ذنبه وما تأخر وما أسر وما أعلن وما أنت به أعلم منه وارحمه وتحنن عليه وأعنه وسدده واجعل له وزيرا من أهله وأخا في الدنيا ووصيا في الآخرة وارزقه من الجنة ما تقر به عينه وتسكن به نفسه وتجعل له أذنا واعية وقلبا حفيظا وعلما وفهما وحكما وأيده بالنبوة وأطلعه على ما أطلعني عليه من الغيب وأعنه بالنور والحكمة وأيده بالنصر والتأييد وأعنه بالنور والحكمة وأيده بالنصر والتأييد وأعنه بالنور والحكمة وأيده بالنصر والتأييد

عبد المطلب ألا فدعسكم تحبري الدساوالا آخره وقد أمرني الله تعالى وحق أن أدعوكم الى ما فيكم نوار ربي على أمري هذا وكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأيكم يقوم معها جعاوأيا أحدثهم سنا فقال أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا فمالك اليوم ألهاك فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية فنزلت وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه فذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا وأبا صفية عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا (م) عن عبيد الله بن عمر وهشيم بن عمر قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد جبلا أو علا هنالك فنادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا دعوتنا جميعا فنزلت تبت يدا أبي لهب وقد تب الآية كلها (ق) عن أبي هريرة قال لما أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها (م) عن عائشة قالت لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا وصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا (م) عن عبيد الله بن عمر وهشيم بن عمر قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد جبلا أو علا هنالك فنادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا دعوتنا جميعا فنزلت تبت يدا أبي لهب وقد تب الآية كلها (ق) عن أبي هريرة قال لما أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها

أعم الهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءه بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره والتعزز على نعمه وصبر وقالوا التوكل من اراد همه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه عاهو معصية لله وقال الحسن رضي الله عنه التوكل ان تعمل بالكفاية معتمدا به فاذا حاسبك الله في الدارين فتوكل ان شئت على ربك وان شئت على غيره فاما الذي يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) اي وتري تقلبك (في الساجدين) في المصلين اي جميع حركاته وسكناته على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو كرما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في صفوف أصحابه المصلين من حيث لا تعرفون ولا علم لهم كيف أحوال الله في تقلبه من أصحابه اذا طلع عليهم من حيث لا تعرفون ولا علم لهم كيف تصرفك في أحوال الله كما كنت الا تعلم من قبل وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء حتى أخرجك في هذه الامة (انه هو السميع) اي لقولك ودعائك (العليم) أي بنيتك وعملك قل يا محمد (هل أنبئكم) أي أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم تنزل علينا محمد شياطين فعلى من تنزل الشياطين فعال تعالى (تنزل على كل أفاك) اي كذاب (أثيم) أي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع

بهم عامه وركوعهم وسجودهم وعبوديتهم وعن معاذ انه سأل أباه محمدا صلى الله عليه وسلم هل تعد الصلاة ما الجماعة في القرآن فقال لا حصري ولا له هذه الآية (انه هو السميع) لما يقوله (العليم) بما هو به وبما هو أهله هو عالم بأن ما يقال في الكهان أحاديث ولا له اذا لامسه على ان يعلم انه يعمل المعملون ان احلى * تنزل حوا بالقول المسرك ان الشياطين تلقي السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أي هل أخبركم ايها المركبون (على من تنزل الشياطين) ثم فصل فقال (تنزل على كل أفاك أثيم)

ثم ذكر الله تعالى مآل حالهم فقال تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون تنزل الشياطين
عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن تحجبوا بالرجوم يستمعون الى الملأ الاعلى فيخطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم ويلقون اليهم أى تنزل ملقين السمع اوصفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجر أو
استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحونه اليهم لانهم يسمعون بعض
ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وهم الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم أو
يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يمرون على الشياطين (٣٧٣) مالم يوحوا اليهم والاخبار الذى يكثر

ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه
الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال أهل
المعانى أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى
وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة وعبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى
تكلموا بالكذب والباطل قالوا نحن نقول لما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون
أشعارهم حتى يهجوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يرون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم
الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الصالون وفى
رواية ابن جبير أحد هما من الانصار هجا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من
قومهم السفهاء فعرفنا هذه الآية (ألم تر أنهم فى كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين
وعن طريق الحق ساردين والهائم الذاهب على وجهه لا يعتمد له وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل
يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الذى ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق قال الوادى
سيل لغوب الكلام والخوض فى المعانى والعراق (وأنهم يقولون مالا يفعلون) اى انهم يكذبون فى شعرهم
وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون
الناس بادنى شئ يصدر منهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا
حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا يعنى شعرا يهجى المسلمين الذين كانوا يحسنون شعر الكفار ويهجون
ويذمون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك
قوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله
أنزل فى الشعر ما أنزل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده
لكأنما ترمونهم به نضح النبل * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى
عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى
وقد روى فى غير هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين
يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد
ذلك فلعل الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء

الافك ولا يدل ذلك على انهم لا يطلقون الا الافك وأراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجن وأكثرهم مفتر على الجن وكلهم واغما فسرنا بهذا لقوله تعالى رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهى احوال لا بد ان يكون بين ما تكلمت به الشياطين وبين ما تكلم به الانس وجه يصح التمثيل به عند ذلك على سبيل العادة حتى كما اذا حدث حديثا وفى صدر المستمع شئ من ذلك ذكر ولا يشكل على الرجوع اليه * وقيل الشعر هو الذى كان يقول الشعر ويتعمل له حتى يقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقوله تعالى (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) اى فى اى فن من فنون الكلام شاءوا يذهبون وقوله (وأنهم يقولون مالا يفعلون) اى لا يفعلونه فهم على باطلهم وكذبهم وتلونهم فى الاغراض والقدح فى الانساب والمدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون اى السفهاء والرواون والشياطين والمشركون قال الرماح اذا مدح أو هجا شاعر فما لا يكون واحد من ذلك قوم وما هو منهم الا الغاوون يتبعهم الغاوون (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) حيران اى فى كل فن من الكذب يخوضون أو فى كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا يعتمد له وهو يفعل ذلك منهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى فصلوا أحسن الناس على عمره وانحلهم على حائم عن الرزق ان سامه ابن عباس رضى الله عنهما قال سمع قوله

وبيت اعبر اعلاه الحمام فقال وبيت عبر الله يعنى الحمد فقوله (وأنهم يقولون مالا يفعلون) يحتمل وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد ويحتمل ان المراد الموصوفين بالصالحات بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم مر معه حسان اهج المشركين فإن جبريل معك (ح) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي نفسي بيده لأفرينهم بلساني فري الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنساب قريش وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا حنيفا * رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
تكفلت بنت لم تروها * بمر النبع من طرف كداء
بوادر تحت أطراف الأسنة * مصعدات على أكتادها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم * يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا * هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

(فصل في مدح الشعر) (ح) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر لحكمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية بعد كاد يسلم في شعره * عن عامر بن سعد قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعرهم وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد وروي أنه دعا عمر بن سعد الحرمي فاستنشده القصيدة التي قال فيها

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فاستنشده القصيدة إلى آخرها وهي مائة وثلاثون بيتا عن ابن عباس أن أعاد القصيدة جمعها وكان يحفظها عن ظهر قلب واحدة بعد واحدة قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوا في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه مذمة وقال أبو بريدة الذكر الكثير من الناس بالعدد والعدة لكثرة الحصور (وانتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحيى الحق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * وعن السدي وغيره أن كفار مكة هم الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البالغ وقوله (الذين ظلموا) وأظلم منهم وقوله (أي منقلب ينقلبون) وأيهم أشد بلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنه حين عهد إليه وكان السلف يتواعظون بها قال ابن عباس علم المعرض عما الذي فاته * وأي صوب وعلى المصدر لا علم لأن صلة الذين لا تعمل فيما قبلها وما بعدها وأي الانقلاب

*(تفسير

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي هذه آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته ما قد تحط فيه كل ما هو كائن فهو مبين الناظر من فيه آياته أو القرآن وآياته بين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف أحد الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل الساعي والجواد وكرر الكتاب لتكون أعم له ولمن لم يذكر الكتاب هنا وعرفه هنا بالخبر دون العرآن هناك وكرره ثمة لأن العرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ورصفان له بعد أن غلبا عليه بحيث صارا كالعلمين للمعرف بالعلم وحيث جاء بالتنكير فهو للوصف (هدى وبشرى) في محل النصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة للعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة أو الخبر على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على أن تكون خبرا بعد خبر لتلك أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقرئ هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يديمون على مراعاة شروطها وسننها (ويؤتون الزكوة) يؤدونها كما أمروا بها (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن يتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه قد جعل اسمه وكرر ضمير المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها ويأتون بالآخرة حق الإيقان الأهؤلاء الخ ما يعرفون من الإيمان والعمل الصالح لأن حروف (٣٧٥) العادة تحملهم على تحمل المشاق

(تفسير سورة النمل وهي ثلاثمائة وثلاثون وست آيات ألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) أي الخمس بأمرها ظاهرا (ويؤتون الزكوة) اداء محتسبا طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أي الخبيثة حتى رأوها حسنة وقيل أمهلناهم وأطلنا أعمارهم حتى ماتوا على كفرهم فصاروا إلى النار قوله تعالى (وإنك لتلقى القرآن) أي تؤتاه وتوحى إليك (من لدن حكيم عليم) أي حكيم علم بما أنزل إليك فإن قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالأمور العامة فقط والعلم أعم فكل حكمة علم وقد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية أشرف (إذ قال) أي واذكر يا محمد إذ قال (موسى لأهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (إني آنست) أي أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) أي إما كي سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) الشهاب سعلة النار والقبس الاقتباس وسمي ما يؤخذ في أحد طرفي عود النار (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون من البرد وكان في ليلة شديدة البرد (فلما جاءها نودي أن بورك

أو ما هو له سبب (من في حكم علم) من عذاب حكيم أو أي علم وهذا معنى تكريرهما وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الآيات ص وما في دالة من لطائف حكمه مودعة في علمه (إذ) منصوب باذكر كأنه قال على إثر ذلك اذكر لقومك آثار حكمة وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لأهله) لزوجته ومعه عشر مسيره من مدين إلى مصر امكثوا (إني آنست) أبصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق لأنه كان قد ضل (أو آتيكم بشهاب) بالتنوين كوفي أي سعلة مصدر (قبس) بمعنى مقبوس وصف به للمبالغة أو على حذف المضاف وعمر هم قبس على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا مانع بين قوله سآتيكم ولعلي آتيكم في القصص مع أن أحدهما مرجح والآخر مرجوح لأن الراجح إذا وعد بصيغة تحتمل الوقوع كان وعدا مع تحقيق الرجاء ومتوقعا فيقع الموعود به عند الموعود له بأنهم به وإن أبطأ أو كان المسافة بعيدة وإنما قدم الرجاء على الإتيان لأنه إن لم يظفر بخبر عن الطريق ظفر بما هو أهم منه وهو الاقتباس من النار ولم يرد به ظفر على النار بعينها لأن الكلام وهما عن الوعد والآخر واختلاف الألفاظ في هذين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز النقل بالمعنى وجاز الكلام ورفع الوجه (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم والعامة على لام الجحود (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك

قوله عز وجل إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) تحلى الشهوة حتى رأوا القبيح حسنا كما قال الشيطان لبني آدم اسجدوا لربكم فسوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالتهم كالسكران لا يهتدي لسبيل (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي القتل والأسر يوم بدر وما كان منهم من موت أو هلاك (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من السعداء على الرجاء فبسر وا ذلك مع خسران الجنة وثواب الله (وإنك لتلقى القرآن)

من فى النار) أى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه بحسب ما ظن الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور وكذلك النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك أن النور الذى رآه موسى كان ضوء ملائكة لهم رجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بورك النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من حيث كما روى انه مكتوب فى التوراة عطاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى جاء من سيناء انه كلم موسى منه ومن ساعير نقطة المسيح ومن جبال فاران انه محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المبرء من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قيل لما أراد الله أن تظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما تعجز عنه الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألق عصاك) فعل ذلك فالقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى تكبر اضطرابا (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت ﴿قال الله تعالى (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد انا أمنهم لا يخافون انما الخوف الذى هو سمة الاجرام فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل هو ما تصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه المعترض عما وحد من موسى من قتل القبطى وهو من الامر نصاب الطاعة وعماد طلبه القول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فقال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أحملك لنفسك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الا من يذنب نصبه أحدهم قال اصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون مصحوبا بما هى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابدا الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المعلوم ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء منقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم أى اغفر له وأزيل عقوبته وقيل الا هاهنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) وقيل كانت يده بيضاء نورانية (من غير سوء) أى برص (فى تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت

يا هاتين بعد ان ولى مدبرا (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) اى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى اياهم مرسل
أو لا يخاف لدى المرسلون من غيرى (الا من ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الاولياء لا يظلمون ولكن من ظلم منهم من ولى من المرسلين فاغفر ما أذنب له مما تحجور على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) اى اتبع توبته (بعد سوء) له (فانى غفور رحيم) أى لتوبته واغفر ذنوبه فاستجاب الله دعاءه وكانه بعد ما قال موسى حين قال الله على رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلونى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) ساطعة كضوء البرق (من غير سوء) برص (وهو من آياتك

حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى يتعلق بمحذوف اى اذهب فى تسع آيات أو والق عصاك وأدخل يدك فى جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) أى يتعلق بمحذوف أى مرسلا الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) حال من أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا أى معجزاتنا (مبصرة) حال أى ظاهرة بينة سميت الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأملها للابستهم اياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصر تهدى لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره وسميت ولهم كلمة عياء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تعوى (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قرن بين المبصرة والمبين (وجحدوا بها) قبل الخوض لا يكون الامن علم من الجاحد وهذا ليس بعلم لان الخوض هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ المعلوم وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر فى شرح التأويلات وقد ذكر فى الديوان يعنى جحدته وجحمته بمعنى والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من (٣٧٧) الايقان (أنفسهم) أى جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم (ظلما) حال من الضمير فى جحدوا وأى ظلم أفحش من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا مبينا (وعلوا) مرفوعا عن الاعمش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاعراف هنا والاحزاب عنه (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما عظيما والمراد علم الدين والحكم (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآية تدل على المعجزة فى رد الاصح وهما محذوف لصحة عطف الواو عليه ولولا مقدر المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك اعطه فسكر وقدره آتياهما علما بمعاملة وعلما وعرفا حق

مرسل من على هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد السنون والعلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والحديد فى نوادرهم والقصاص فى مزارعهم ومرسل فى بعض من أى من تسع آيات فتكون اليد والعصا من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة (فلما جاءهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة تبصر وتهدى (قالوا هذا) أى الذى يراه (سحر مبين) أى ظاهر (وجحدوا بها) أى أنكروا الآيات ولم يعترفوا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلما وعلوا) أى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى العرق ﴿ قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) أى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمهما وقيل انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفضل انهما لم يفضلا نفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع ﴿ قوله تعالى (ووارث سليمان داود) يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فاعطى سليمان ما اعطى داود ورثه لنبوته وعلمه لبر الوالد وفضل الملك والسلطان قال مقاتل كان سليمان اعلم ملوك الناس داود وأعلم منه وكان داود أسن منه بعد ما سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال) يعنى سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) يعنى صوت الطير معلما لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحب فاخته فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ما خلق الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاح طيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدر حمامة قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح سرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والجدأ يقول كل شئ هالك الا وجهه والعقاب يقول من سكت سلم والسعدانة يقول ويل لمن كانت الدنيا همه والصدى يقول سبحان ربى القدوس والهازى يقول سبحان ربى وبحمده والصدعة يقول سبحان الذكور لكل لسان وعن

ابن عباس رضى الله عنهما كان سليمان يفهم لغة الطير وكلامها وروى الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال بلغنى ان سليمان مر بقرية نمل فسمع نملة تقول لاخواتها ادخلن مساكنكن لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين (وورث سليمان داود) أى ورث منه النبوة والملك دون سائر ولده وكان له تسعة عشر ولدا وقيل ورث منه النبوة والملك والمال وقيل ورث منه النبوة وكان له أربعمائة امرأة وثلثمائة سرية فلما توفى أبوه أوتى النبوة مثل أبيه وكانت له وراثة والاول أصح (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشكرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء الناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير والمنطق كل ما يتكلم به من المعقول والمؤلف المعتد به وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كلام بعضها من بعض روى أنه صاح فاخته فاخبرانها تقول لتحلموا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قال

مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السنجي مر سليمان على تل فرأى حجرا يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا التل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف عمره فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اسألوا لنا عن سبعة أشياء أخبرتنا أنها وصدوه قال سلوا فقالوا أخبرنا ما يقول العصفورة في صفيرها والديك في صفقه والضفدع في نقيقه والخارج في سجوده والفرس في صهيله وما يقول الرعد والدراج قال نعم أما العصفور فانه يقول اللهم العن محمدا وآل محمد والديك يقول اذكروا الله ياغافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الخارج فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الرعد فانه يقول اللهم اني أسألك توب يوم وبرد يوم ونار يوم وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح السرسر قال يا بن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال اللهم العن بغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين وبعد العالمين كما بعد العارين ۞ وقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) اي مما أوتي الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) أي الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيره وروى ان سليمان أعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة ملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين الطير والدواب والسباع واعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفهم منطق الضبع الضبعة (وحشر) أي جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن التي هم فيها في مسيرة (فهم يوزعون) أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم فيل كان على جنوده ورعة من الانبياء يردون أولها على آخرها الاول عند موافي المسير قال محمد بن كعب العرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والعرض اثنا عشر الف خطوة فالذي عليه وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون ميلا وجعل لسليمان كرسي من ذهب وحرير فرفع كان يوضع كرسيه في وسطه ومعه حوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها مائة كوجه تعني جوهرة يسير به في أمر الريح العاصف فيرفعهم بأمر الرخاء فيسير به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق تحت الاحاجيف الريح واحبرناه ۞ قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادي النمل) اي أشرفوا على وادي النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وجنوده معه فاذا نحن بمطاح ومحار فيها بساتين الحديد والدر والعظام بسبع كل قدر عشرة من الابل فطاح الطاحون ومحير الحارون وهو بين السماء والارض والجنود اذ ذاك للدواب فتحرى بهم الريح وهي به فسار من اصطخر فمر بدارابجرد فسار

في سلمان وأتباعه الواجد الطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس الكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها نساؤه ومعسكره وسمعه ربه وقد يسخر له الجن فساطيط دهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع سريره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وروح ريح الصبا الشاطئ فتسير به مسيرة شهر

وروي انه كان يأمر الريح العاصف فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في أذنك فعرف ذلك وعلمه فمكث كذلك ما شاء الله ثم ان سليمان غزا بلاد اصطخر وقال اني حامل اليها جندا لا قبل لها به فسار حتى نزل بساحتها فلما رأوه قالوا ما قبل لنا بهذا فصالحوه على ما أراد فلما رجع مر بمدينة يقال لها دارابجرد فنزل بها فلما كان في بعض الليل وسوس الشيطان الى بعض نسائه فقال لها ان سليمان يريد أن يتزوج بنات ملوك الارض فيذهب بهن الى بلاده فلما أصبح سليمان لم يخرج من قبته فلما طال ذلك قال الناس بعضهم لبعض ما شأن سليمان لم يخرج فدخلوا عليه فوجدوه قد مات فعرفوا موته بأن الدابة التي تأكل الخشب وهي الارضة دخلت عصاه فأكلتها فخر ميتا فلما رأوه ميتا تفرقوا وتركوه فلما مضت سنة أرسل الله دابة الارض فأكلت عصاه فخر ميتا فعلموا موته فحملوه فدفنوه بدارابجرد وهي بين فارس وكرمان وبينها وبين كل واحدة منهما مسيرة شهر

على

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى لأن اسمها كان من قولهم أتى على كذا إذا تعرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء اسمها طاخية وهو ذو من قتادة أنه دخل الكوفة فالف عليه الناس يسألونه فسألوه أو عمرو رضي الله عنه وهو شاب عن علة سليمان أكان يذكر الله أم أنسي فاحتشم فقال أبو عمرو رضي الله عنه كان أنسي فتنبه له عالم عربي فقال سلوه فإنه كان يذكر الله قال فسألوه ولو كان يذكر الله قال وذلك أن النملة سألت الحمامة عن وضعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة تعرفونها حمامة ذكر وحمامة (٣٧٩) أنثى وهو وهي (يا أيها النمل ادخلوا

على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرته التي تكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فعاد ولم يدخل لما علم أن البيت فاوحى الله إليه ما يبكيك قال يا رب أبكاني هؤلاء بني آدم يعبدون من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فإني سوف أملؤك وحوشا تعبدني وأرزاقهم في يدك فرأى حديدا وأنعم عليك سبعا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل منك عمارا مني حلوني تعبدوني وافرض عليهم فريضة يرون المشي فيها وكرها وتحبون السلم حتى الساعة إلى ولدها والحمامة إلى نصفها وأطهرك من الأوثان والأصنام والبيت الذي بمكة حتى مر بوادي السدر وادي الطائف فإني على وادي النمل كذا قال كعب الأحبار وقيل إنه بالشام وقيل هو واد بسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم ونمل اسمه ذلك النمل أمثال الذئاب وقيل كالبغال الشهباء وإنه النمل الصغار (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت حذاء حكاه ابن قتيبة وقيل حرجي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه جعل لهم عقولا كالآدميين هبوط واحطاب الآدميين وهذا من عبد الله تعالى الله فيها علما وطبعا فإنه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علم النملة أن سليمان نبي الله فيسير ولا ظلم ومعنى الآية ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمكم فلو لم يذكرهم سمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد حتى ينتهي الجيش فلما سمع سليمان قولها بلغ وادي النمل حشر جنوده حتى دخلوا مساكنهم قال فلما كف صوت الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح فعلت كلامهم أرادوا النزول فدمعت الوادي فذلك قوله لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم ما داموا في الريح يحملهم لا يخاف حطامهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الأنبياء تبسم وإنما ضحك لأنه سمع ما قالت النملة وعلم أنها تنصح وأتباع (وهم لا يشعرون) لا يعلمون مكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا فذلك على وجه العذر وأصبح سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها وإشفاقها على أصحابها ونصحها للعمل أو فرحا لطفه وعدله وضاحكا حال وكذلك تبسم معنى ضحك وأكثر

ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعني) ألهمني رحمه الله كذا عن الأصمعي (أن أشكر نعمتك) من الأمن والملك والعلم (وعلى والدي) لأن الإنعام على الوالد إنعام على الولد (وأن أعمل صالحا ترضاه) في بقية عمري (وأدخلني برحمتك) وأدخلني الجنة برحمتك لا لصالح عملي إذ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله كما جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فسمع سليمان الريح فوقف لئلا يدوس مساكنهم فدعا بالدعوة (وتفقد الطير فقال مالي) مكي وعلي وعاصم وغيرهم يسكنون الياء وقد طلب ملتحق بفعل (لا أرى الهدهد

مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه لما جعلها قائلة والنمل معقولا لهم كما يكون في أولي العلم أجرى عليهم تجري عليهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو بهي مسألتين وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن التفريط والوقوف على طريقة لا أرينك ههنا أي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الأمر وهو صحيح يدعون الألف لأنه من صريح الشعر (سليمان وجنوده) قال أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (وهم لا يشعرون) لا يعلمون مكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا فذلك على وجه العذر وأصبح سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها) متعجبا من حذرها وإشفاقها على أصحابها ونصحها للعمل أو فرحا لطفه وعدله وضاحكا حال وكذلك تبسم معنى ضحك وأكثر

الماء فقده فسأل وذكر الله وقت نحو نصف الشمس على رأس سليمان فمطر فاذا موضع الهدهد حال دون عينه المطر وهو البصر فسأله عنه فلم يعلمه عنه علمه ثم قال لسند الطير وهو العقاب على به فارتفع فمطر فاذا هو مقبل فقصده فأسده الله فعرفه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه تخرهما على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فاربعد سليمان وعفا عنه (لاعذبنه عذابا شديدا) بنتف ريشه والقائه في الشمس أو في الضريبة وهو بين العين أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع أضداده وهي نحو أصوات البحور معاشرة الاضداد أو بابداعه النفس أو بتكليفه بين يدي العمل الشاق له بعد ذبح الهدهد لما رأى به من المصلحة كحمل دفع النهاب والطوف والاكل وعرض المنافع واذا سخر له الطير لم يتم السخير الا بالتأديب والسياسة (أو لاذبحنه أو لتأتيني) بالوجه الذي يسكن له النفس ويزول عنه الخوف (بسلطان مبين) أي بحجة بينة على عذره وكان سبب عذاب الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فسخر له الريح والانس والطير والوحش فحملهم الريح فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله ان يقيم وكان في كل يوم يسخر طوعا من الجن ثلاثمائة وستين ألف بناء وستين ألف نجار وعشرين ألف ساع وقال لن يحضر من أمراق ومعه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعلي النصر على جميع من ناواه وتتابع هذه البشارة سهل العزيز والبعد عنده في الحق سواء فلا يحدثه في الله لومة لائم فقالوا أي ذي بن نبي الله فقال ذي بن الخ يعني فطوبى لمن أدركه وآمن به فقالوا كم بينه وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فلما بلغ الساهد العائث فانه سمع الاسماء حاضر الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال ونزل بمسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ذات زرع وضرع فاعجب النزول بها فصلى وبعدي فلما نزل قال الهدهد اسقط على سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء فطار الى الدنيا وعرضها فما هو بطير صغير ولا كبير الا رآه فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يديه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان نعمور واسم هدهد اليمن نعفير فقال نعفير لنعمور من أين أقبلت وأين تريد فقال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان بن داود فقال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أي أمة يعفير فقال أنا من هذه البلاد فقال ومن ملكها فقال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك لملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس كملك سليمان ملك بلقيس اثنا عشر ألف قيل تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعمائة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وثلاثون سريرا ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أتيتك طلوعي حتى نظر الى ملكها فقال أضاف ان فعدني سليمان في وقت الصلاة اذا اجتمع الى الماء قال الهدهد اليماني اني صاحب لسليمان بأسفل بحرهذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على عين ماء فسأل عن الماء الذي لم يعلموا فقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أراه الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو سيد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم انقض عليه سريعا فلما رآه الهدهد مقبلا نحوه ظن أنه قد أمر فيه بأمر فنزل على الارض فاعتقل العقاب بريشه فعلم الهدهد أن العقاب يقصده فسوغ فقال له نجى الله الذي هو الله ولا تنزل على الارض حتى يأتيك أمر سليمان فلما انتهى الى العسكر بلقاء النسر والطير فقالوا له ويلك أين كنت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله بأمر عظيم

(بسلطان مبين) بحجة لعذره ظاهرة على عذره والاشكال انه حلف على أحد شيئين لا محالة اما على فعله ولا معنى له والا لم يفعل الهدهد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتي بسلطان حتى قال والله لأتيني بسلطان وجوابه أن معنى كلامه أكون أحد الاثنين ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن بعد ذبح ولا نتف وان لم يكن كان أحدهما وليس

عما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى بي الله قالوا بلى واكنه قال لأولياتين سلطانا مبينا قال نحوب اذا فأطلق به العقاب حتى أتى سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب هذا تسليمه يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وحاميه بجرهما على الارض يوهم السليمان فلما دنا منه أخذ برأسه عند الله وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد هذا أخبرا الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم ولم يعلم ما لم يطلع أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان بها على ان أدبي حتى الله هذا أحاط علما بما لم تحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما أن علمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم (وجئتك من سبأ) قيل هو اسم للذي هو اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين سماهم منهم سبأ وبشاعم أربعة (بنبأ) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (اني) أي الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل بن يشرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشان قد ولده أبو عوب ملكا هو أخوهم وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبى ان يزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن فملك في سبأ وصولة الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فرعما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فجعلي عنهم فطهر له ملك الجن وسكره على ذلك واعتد صيدها فخطب اليه فزوجها اياه وقيل انه خرج صيدا فرأى جنيتين يصيدان ظباء وسوداء وقد ظهرت السوداء على الظباء فجعل السوداء وجعل الظباء وضع عليها الماء فاقفن وأطلعها فلما رجع الى داره وجلس وحده مفردا فاذا معه ساحر فقال له ما الذي أعجبك من الظباء الى أحدثي والاسود الذي قتله هو عندك ما تريد عنده ما وصل عندهما وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها اياه وقيل له بلقيس وحاصل الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمع في الملك وظن أنه يقدر أن يغلبها فاطلعها قوم وأتى آخرون وما كوا عليهم رجلا آخر فقال انه ابن أخي الملك وكان حديث السيرة في أهل مملكة حمير كان عدده الى حمير هو بمعربهن فاراد قومه قتله فلم يقدروا عليه فلما رأى بلقيس ذلك ادركتها الحيرة فارسلت اليه تعرب نفسها فأتاها الملك وقال ما هي ان الرجل ما خطبه الا الناس لملك فقالت لا أرغب في الملك كقومكم فاجمع رجال أهلي واحطي منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تصلح لي انها قد رغبت في ذكر وادلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما دخلت به سقاها الخمر حتى سكر ثم قتله وحز رأسه وانصرف الى صاحبها من الغد فلما أصبح أرسلت الى وزرائها وحاشيتها وعرفهم وقالت اما كان فيكم من ناصح كريم أو كريم عشيرة ينهاهم اذ قالت احبارا وأحلاما كونوا عليكم فقالوا لا نرضى عبدا ملكوها وعلموا ان ذلك الكاح كان مكرا وخدعة منها (ح) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم قال قتادة كان طول سرير الهدهد عرسها على ما رأى من عظم ملك سليمان وقيل عظيم لانه كان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر أخضر ودر وزمرد وعلى سبعة أبواب على كل باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان

في هذا دعاء دراية (فمكث) الهدهد غير بعيد فقال سليمان انظر نصم الكاف وضمها

عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان (غير بعيد) أي مكث غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله على فرس ووصف مكثه بقصر المدة على اسراعه الدلالة بحوفا من سليمان فلما رجع سأله عما بقي في نفسه (فقال أحطت) علما (بما لم تحط) علم شيء من جميع جهاته (علما به) أي علما بما لم تعلم ولم يعلم ما لم يطلع أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان بها على ان أدبي حتى الله هذا أحاط علما بما لم تحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما أن علمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم (وجئتك من سبأ) قيل هو اسم للذي هو اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين سماهم منهم سبأ وبشاعم أربعة (بنبأ) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (اني) أي الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل بن يشرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشان قد ولده أبو عوب ملكا هو أخوهم وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبى ان يزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن فملك في سبأ وصولة الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فجعلي عنهم فطهر له ملك الجن وسكره على ذلك واعتد صيدها فخطب اليه فزوجها اياه وقيل انه خرج صيدا فرأى جنيتين يصيدان ظباء وسوداء وقد ظهرت السوداء على الظباء فجعل السوداء وجعل الظباء وضع عليها الماء فاقفن وأطلعها فلما رجع الى داره وجلس وحده مفردا فاذا معه ساحر فقال له ما الذي أعجبك من الظباء الى أحدثي والاسود الذي قتله هو عندك ما تريد عنده ما وصل عندهما وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها اياه وقيل له بلقيس وحاصل الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمع في الملك وظن أنه يقدر أن يغلبها فاطلعها قوم وأتى آخرون وما كوا عليهم رجلا آخر فقال انه ابن أخي الملك وكان حديث السيرة في أهل مملكة حمير كان عدده الى حمير هو بمعربهن فاراد قومه قتله فلم يقدروا عليه فلما رأى بلقيس ذلك ادركتها الحيرة فارسلت اليه تعرب نفسها فأتاها الملك وقال ما هي ان الرجل ما خطبه الا الناس لملك فقالت لا أرغب في الملك كقومكم فاجمع رجال أهلي واحطي منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تصلح لي انها قد رغبت في ذكر وادلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما دخلت به سقاها الخمر حتى سكر ثم قتله وحز رأسه وانصرف الى صاحبها من الغد فلما أصبح أرسلت الى وزرائها وحاشيتها وعرفهم وقالت اما كان فيكم من ناصح كريم أو كريم عشيرة ينهاهم اذ قالت احبارا وأحلاما كونوا عليكم فقالوا لا نرضى عبدا ملكوها وعلموا ان ذلك الكاح كان مكرا وخدعة منها (ح) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم قال قتادة كان طول سرير الهدهد عرسها على ما رأى من عظم ملك سليمان وقيل عظيم لانه كان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر أخضر ودر وزمرد وعلى سبعة أبواب على كل باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان

[illegible] يوسف على يعقوب عليهما السلام (وتجدهم لو قومها ساجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) الى الحق ولا يهتدون الهدهد الهدى الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله كما ألهمه وعرس الطير وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الراجح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا) بالتشديد أي صدهم عن السبل لئلا يسجدوا فحذف الخافض مع أن أو أدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لامرية وتكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا بالعطف بردعلى وتقديره الا ياهؤلاء اسجدوا ألا اسجدوا ويكون بالنداء وساداه محذوف بين سقط الاعلى العرس العظيم ومن حقف (٣٨٢) وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا أو وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واحدة في القراءتين جميعا بخلاف ما تقوله الرجاء انه لا سجود مع السجدة لان مواضع السجدة انما أمرها أو مدح الآتي بها أو ذم تاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم لتاركه (الله الذي يخرج الخبء) يعني الخبأ المصدر (في السموات والارض) مادة جميع السماء المطر وجمع الارض الماء (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يسجد القارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة الى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى ان الناس والدواب لما ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين فلما لم يرد على ما بعث الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا تطول ولا تكرر فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) انما قال اليهم لما ان الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس بعد فألقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل بعد ما ألقاه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكان أرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء وحدها ما يلي سلمية على فعلها وقد علمت الانواء ووصف الفلاح بحر أسها وكذلك كانت بفعل اذا ورد وأتى الهدهد وألقى الكتاب على بحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب عارضا حتى وقف على المراة بحولها العابدة

طوله عما مر في عباب وعلوه عباب وقيل كان طوله عباب وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا قوله عن وحمل اختيار أعني الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المرئي هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي الى الصواب (الا يسجدوا) قرئ بالتخفيف على ما بينا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله سبحانه وتعالى بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخبأ (في السموات والارض) فسر الخبء السموات المطر وجمع الارض النبات (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يسجد القارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة الى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى ان الناس والدواب لما ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين فلما لم يرد على ما بعث الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا تطول ولا تكرر فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) انما قال اليهم لما ان الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس بعد فألقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل بعد ما ألقاه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكان أرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء وحدها ما يلي سلمية على فعلها وقد علمت الانواء ووصف الفلاح بحر أسها وكذلك كانت بفعل اذا ورد وأتى الهدهد وألقى الكتاب على بحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب عارضا حتى وقف على المراة بحولها العابدة

(اصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان عروفا بالاخبار الحق سلك الوزراء الكاذبين كان كاذبا لامحالة واذا كان كاذبا لم يوثق بما أخبر به فلم يوثق به في كتاب سليمان كما أمره به من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال الهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه) بكسر الهاء فيهما أبو عمرو وعاصم وجر بخ بكسرها الكسر الدال الكسرة على الالف المحذوفة ورفع وقالون وبخلف عنه بالضم على الاصل وهما لغتان (اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وفي الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب منهم بحيث تراهم ولا يروك لتكون على مقولهم عند ما يلقى اليهم (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فاحمل الهدهد الكتاب فطار حتى دخل خلالهم ثم كوة فطرح الكتاب على حجرها وهي راقدة ووارى في الكوة فارتابت حين رأته وأخذت حذرها ثم أخذت الكتاب فحملته حتى وضعته بين يديها وكان لها حق فختمت

(قالت) لقومها ان صغت شائقة (يا أيها الملأ اني) وفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو (ألقي الي كتاب كريم) ختم بطابع أو عنون أو مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تفسير لما ألقي اليها كأنها لما قالت اني ألقي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن في (ألا تعلوا) لا تترفعوا (علي) ولا تتكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعني أي امشوا (وأتوني مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الاسماء مسمعة على الانحاء والاعصار (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أشيروا علي في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة شبه على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد هنا الفتوى الاشارة عليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب أنفسهم (٣٨٣) لما لوفها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمرا) فاصلة أو مصيبة حكما (حتى تشهدون) بكسر الواو والعين حيث كان الا سوسن انما تضم في موضع الرفع وهذا في موضع النصب وأصله تشهدونني حذف الاول لانه الاولى بالحذف وأصل الباقي تشهدونني فحذفت النون الاولى للاضافة والباقية للاعراب والوقف تشهدون أي تحضرون أو تشيرون علي أو تشهدوا أنه صواب أي لا أقطع الامر الا بحضرتكم وقد كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأحدقوا بمجلسها (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم) فصل بسم الله الرحمن الرحيم كما هو عادة الكتب وما روي ان عباسا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه أو لشرف ما فيه أو لانه سلم من الكتاب وعلا (انه من سليمان) فرأت الملكة مبتدأ وخبرا (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) قال علي لم يقدم انه من سليمان على بسم الله فعلت لعل هذا كذلك لم أسد أسلم سليمان بسم الله الرحمن الرحيم واعاد كرر بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكر ما في الكتاب فقال وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا علي) قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تعوا من الاتيان الي والتكبر (وأتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي أشيروا علي وما عرض لها (ما كنت قاطعة أمرا) أي فاصلة وقاضية (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملأ مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقد أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أي ان أمرتنا بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيها الملكة في القتال تركه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة عن التعريض للقتال وما تؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي اهانوا أشرافها وكبراءها كي يسلم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم نهاهم عن الخوض فيما لا خير فيه وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وفيه رد قولها وهو لا تأكيد لما قالت ثم قالت (واني مرسلة اليهم بهدية) أي الى سليمان وقومه أصانعهم بها على ملكي وأحتبرهم بها أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه الا الاسلام فهي ذو موهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان

والور راعوا الحدود فمر فرق ساعة والناس يطردون حتى انتهى بعضهم الى رأس الكتاب في صخرها وقال وهب ان سليمان كان لها كتوما مستترة له السمس تتبع فيها حتى تطلع فاذا طلعت الهدهد وسط الكوة محاذيا لها فنظر السمس ولم يعلم فلما اسقط طل الشمس فاسقط منقاره فيها فاحدث بالقرص الكتاب وكانت فارته فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وبأحوال الهدهد عند ذلك وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة ملك مع كل ملك مائة ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأحدقوا بمجلسها (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم) فصل بسم الله كما هو عادة الكتب وما روي ان عباسا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه أو لشرف ما فيه أو لانه سلم من الكتاب وعلا (انه من سليمان) فرأت الملكة مبتدأ وخبرا (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) قال علي لم يقدم انه من سليمان على بسم الله فعلت لعل هذا كذلك لم أسد أسلم سليمان بسم الله الرحمن الرحيم واعاد كرر بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكر ما في الكتاب فقال وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا علي) قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تعوا من الاتيان الي والتكبر (وأتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي أشيروا علي وما عرض لها (ما كنت قاطعة أمرا) أي فاصلة وقاضية (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملأ مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقد أرادوا بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أي ان أمرتنا بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيتها الملكة في القتال تركه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة عن التعريض للقتال وما تؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي اهانوا أشرافها وكبراءها كي يسلم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم نهاهم عن الخوض فيما لا خير فيه وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وفيه رد قولها وهو لا تأكيد لما قالت ثم قالت (واني مرسلة اليهم بهدية) أي الى سليمان وقومه أصانعهم بها على ملكي وأختبرهم بها أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه الا الاسلام وهو في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان

أرادوا نحن من أنصاف الحرب لا من أنصاف الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والسديد فانظري ماذا ترين فنرجع وأنت فيما أحببت منهم الى قول الى المحاربة بعد الى المصالحة ورتب الجواب هذا الترتيب أولا ما ذكروه وهم الخطأ فيه بحت (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أذلوا الشريف بالقتل أو أهانوا أو أرادوا وقد كرر لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تعرف لها كائنة في سالف الدهر ثم ذكر تعديدا لسوء عاقبة الهدية وما رأت من الرأي السديد وهو صدها عن الله لعبدتها واحتج الساعي في الارض بالفساد منه الآية ومن أباح حراما قد كفروا احتج له بالقرآن على وجه الخطأ في وضع الشيء في غير موضعه (وانى مرسلة اليهم بهدية) أي مرسلة رسلا بهدية (فناظرة) أي منتظرة (بم) أي عالمة بالاناة بحسب ما يليق بالحال في الاستيهام (يرجع المرسلون) به وهو أم مردها لانها عرفت عباد الملك وعلمت بوضوح الهدا

فاجتذبته سمرة وذلت في الدرق حتى دخلت بيوتها فخبطها بفيها وثفنث منها وذعا ما تاه فكانت الجارية تأخذ الماء منها فتحمله في الأخرى
ثم تصب به وجهها العلام كما يأخذه بصره ومعه ثم رد الهدية وقال للمندر ارجع اليهم (فلما أتاه) رسولها المندر بن عمرو (سليمان
قال أتمدونني بمال) سوين وابيات الياء في الوصل والوصل وسهل وافقهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدونني بنونين
وبعرهم بنون بلا ياء ومهما والخطاب للرسل (فما آتاني الله) من النبوة والملك والعلم وبخير ياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم)
من زخارف الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدى كالعطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هديته
فلان يريد هي التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم ذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والعيش الاوسع
وآتاني من الدنيا ما لا استزاده عليه فكيف ترضى مثلي بأن عد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما ترادون
وتهدي اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بمثل ذلك ولا أفرح به (٣٨٥) الا بالاسلام وترك المجوسية والعرب من

قوله أتمدونني بمال وما أعني منكم ومن ان تمولوه بالماء اني اذا فلسته بالواو جعلت معطوفا على عالما في بادي في العي وهو مع ذلك عدني بمال واذا فلسته بالماء جعلته من جنس علمه عالي فاما أخبره الساعة بما لا أحتاج معه الى امداده كأني اقول له أنكر علمك ما علمت فاني عمي عنه وعلمه وردها آتاني الله ووجه الاضراب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره بأن ما أصرت من ذلك الى ذكر السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سببا وصولا لفرح الا أن يهدي اليهم حظ من الدنيا الى لا يعلون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدهد تهكما كما آتاه الهم ان يلقي وبومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على المعارضة والمقابلة

أي لا يقدرون أن يقاوموهم (ولنخرجنهم منها) من سبا (أذلة وهم صاغرون) الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يعطوا في أيسر واسعاد فلما رجع الهدهد برسولها الهدايا وعرض عليها القصة قالت هو ما ترى وما بأيدينا طاقة لنا بقتالهم وعلمت الالوان وركبت سريرها وسارت الى سليمان في قاعدة السلام وهي مسيرة ثلاثة أيام وعسكرت الانس في اثني عشر ألف صف على كل صف ألوف فلما لمعت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يريهم بعض ما خصه الله تعالى به من أنواع الحكمة على جميع أهل عصره ليكون على ما شهد لسليمان وأراد أن يأخذ قبل أن
يسلم لعلمه بأنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ ماله وهذا هو عند أهل العلم أو أراد ان يريه كرامة أخرى بأن يأتيه بعرشها قبل
(قال عفريت من الجن) وهو الجان المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه)
على حمله (لقوي أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) وقيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف

ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بما سأل ما الكتاب وكان الله وآتاه علما وفهما على هذا يكون الخطاب العجيب الذي كله فوائد سامان اظهار عجزه فحسدهم اولا بما رأى من العجز به بما يليه من سرعة الاتيان بالعرش مالا سبيل للعجز فيه وكان الدعاء الذي دعا به اذا الجلال والاكرام وفي رواية أخرى يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فحجب الله الملائكة فحملوا السرير تحتهم حتى وضع بين يدي سليمان وقيل حرك سليمان ساحد ودعا باسم الله الاعظم فجاء العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فعال ما قال (أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت الي من أن انتهي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت فعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني راى سليمان العرش (مستقرا عنده) أي محولا الى مجلسه مأخوذ من الى السهم في مدار زناد الغرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني) يعني الممكن من حصول المراد (أأشكر) أي نعمه على (أم أكفر) أي نعمه (ولا أشكر بها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره الى نفسه وهو ان يستوجب بها المزيد من النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة نوار وقلما أقشعت بارقه فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم واهبها بكرم الجوار واعلم ان سرعة سير الله تعالى مع خلقه عجائب سير ما أبطأ سير من لم يرح نفسه وقارا أي لم يستكثر نعمة الله تعالى (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمه قال الواسطي ما كان مناص الشكر هو لنا وما كان مناص النعمة هو له الا أوله الا هو والصلى على (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي احعلوا مقدمه وخره وأعلاه أسفله (ننظر) بالخبر على الجزاء (أتهتدي) الى معرفته عرشها أو الجواب اذا سئلت (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) لسليمان (قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب لم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها لما لم تعلم في الحال الا عرشها أو اشاسها واعلمها بقولها أهكذا عرشك شبهت عالم بهويتها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام الملا أي واوتينا العلم بقدرة الله تعالى وتمامه وكنا مسلمين الآيات لتعلم من اصر الهدهد الى آخره يعني الخبر اي اسار الترس ارض وقيل هذا الخطاب (وكنا مسلمين) أي عالمين خاضعين لامر سليمان وقيل

اني برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بما سأل ما الكتاب وكان الله وآتاه علما وفهما على هذا يكون الخطاب العجيب الذي كله فوائد سامان اظهار عجزه فحسدهم اولا بما رأى من العجز به بما يليه من سرعة الاتيان بالعرش مالا سبيل للعجز فيه وكان الدعاء الذي دعا به اذا الجلال والاكرام وفي رواية أخرى يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فحجب الله الملائكة فحملوا السرير تحتهم حتى وضع بين يدي سليمان وقيل حرك سليمان ساحد ودعا باسم الله الاعظم فجاء العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فعال ما قال (أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت الي من أن انتهي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت فعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني راى سليمان العرش (مستقرا عنده) أي محولا الى مجلسه مأخوذ من الى السهم في مدار زناد الغرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني) يعني الممكن من حصول المراد (أأشكر) أي نعمه على (أم أكفر) أي نعمه (ولا أشكر بها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره الى نفسه وهو ان يستوجب بها المزيد من النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة (ومن كفر فان ربي غني) أي عن شكره لا تضره ذلك الكفران (كريم) اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعني غيروا تغيرها الى حال يشكره اذا رأته هل هو ان يزاد فيه او ينقص منه وهل اذا تحمل اسفله اعلاه وتجعل مكان الجوهر الاحمر أحمر ومكان الاخضر اخضر (ننظر اتهتدي) الى معرفته عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته فلما جاءت سليمان على ذلك ما قال رهير محمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فيفشي الى البشر اسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولد الانسان من جنية سخر سليمان ودخل بعده فاساوا له العمل فهدوه فيها وقالوا ان عقلها سيا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها فيكتفي عرشها ونظر الى قدميها ساقها الصرح (فلما جاءت قيل لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قال ابن عباس عرفته ولكن سبق علمنا بها قبل مجيئها وقال ابن عباس كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من الكذب أيضا قالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها فلم يسألها عن شيء آخر ولم ينكر وقيل اسرع عليها امر العرس لانها رأت عرشها مسمرا أو لان معجزة سليمان والمعنى فجاءت فقيل لها أهكذا عرشك فقالت كأنه هو (وأوتينا العلم من قبلها) أي من قبل الآية في العرس (وكنا مسلمين) أي عالمين خاضعين لامر سليمان وقيل

مراد وهو حضور العرش في مجلسه او ارتداد الطرف (من فضل ربي) علي واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خالص العوض صاف عن العرض (ليبلوني أأشكر) أم اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويربط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة نوار وقلما أقشعت بارقه فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم واهبها بكرم الجوار واعلم ان سرعة سير الله عجائب سير من لم يرح نفسه وقارا أي لم يستكثر نعمة الله (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمه قال الواسطي ما كان مناص الشكر هو لنا وما كان مناص النعمة هو له الا أوله الا هو والصلى على (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي احعلوا مقدمه وخره وأعلاه أسفله (ننظر) بالخبر على الجزاء أتهتدي الى معرفته عرشها أو الجواب اذا سئلت (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) لسليمان (قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فاجابت أحسن جواب لم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها لما لم تعلم في الحال الا عرشها أو اشاسها واعلمها بقولها أهكذا عرشك شبهت عالم بهويتها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام الملا أي واوتينا العلم بقدرة الله تعالى وتمامه وكنا مسلمين الآيات لتعلم من اصر الهدهد الى آخره يعني الخبر اي اسار الترس ارض وقيل هذا الخطاب (وكنا مسلمين) أي عالمين خاضعين لامر سليمان وقيل

قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل ومنها أي من قبل الآية في العرض وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون العرض من هدا سكر نعمه الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام ومن قبل معناه وأوتينا العلم بإسلامها وحسن طاعتها من قبل تحقيقها طائعة وكنا مسلمين لله تعالى قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله ومن قبل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وقال سبحانه وتعالى (إنها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم تعبد دون الله الشمس فخشأ سبهم ولم يعرف الاعتقاد السليم (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليمان لما أخبر بعرش بلقيس وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما أخبر به الجن أن رجليها كقوائم حمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها صرحا من الزجاج الأبيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجري تحته الماء وألقي فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر وضع سريرها في صدر الصحن وجلس عليه وقيل اتخذ الصرح ليختبر به عقلها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا الجن والإنس فقيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبته لجة) أي ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء إلى سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال إنه صرح ممرد) أي ملس (من قوارير) زجاج وليس عليه شيء يستر ساقيها وعلم من ذلك وعلم أن ملك سليمان من الله تعالى واستدل بذلك على التوحيد والله (قالت رب إني ظلمت نفسي) بعبادة غير الله (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له الوحدانية والله قيل إنها لما علمت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان الله قد أهون من هذا فلما سمعت لها خلاف ذلك قالت رب إني ظلمت نفسي بذلك الظن واتبعت في أمر سليمان بعد إسلامها فعيل اسمي أمرها إلى قولها أسلمت لله رب العالمين لا علم لا حذر وأعاد ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم مر وحها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الإنس عما يزيلها فقالوا الموسى فقالت المرأة إني لم أحدث حدثا فكره سليمان الموسى وقال إنها قطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا نحن لك نصنع كالحمصاء فنحذرا الزجاج والحمام وكانت المورة والحمامات من يومئذ فلما رآها سليمان أحبها واستدناها وأمرها على أكلها وأمر الجن فأزالوا الماء عن أرض اليمن بلا محصون لم يزالوا يبنونها وهي سخين وسدود وعداد ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا أن لما أسلمت قال لها سليمان اختاري وجلاس ومالك حتى أزوجك إياه فقالت وهل يليق بي يا نبي الله مملكة الرجال وقد كان لي ربي الملك والسلطان قال نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا بد لي لك أن تحرمي ما أحل الله قال كان ولا بد فزوجها ذا منج الهمداني فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملكه وجهادا مع على اليمن ودعاء وبعث إلى الجن وقال له اعمل لي كذا وكذا فعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وقال الأول وعلم الجن موت سليمان فانطلق رجل منهم حتى أتى حوف اليمن وقال يا على صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وفرحوا وقيل مكث سليمان بعد ذلك سبع سنين وقيل الملك لله الواحد القهار وقيل إن سليمان ملك وهو ابن ثلاث

قيل لها ادخلي الصرح) أي القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لأنها الهدهد مكن روي أن سليمان أمر فعمل قدامها صنعي له على طرقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه السمك وضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليريدها إلى عظيم ملكه وما آتاه الله دونه وقيل إن الجن كرهوا أن يتزوجها خوفا من أن يراهم لأنها كانت من الجن فقالوا لسليمان إنها لا تحيض فلما تزوجها علموا أن ذلك لا يكون فقالوا إن الجن والإنس يختلفون من ملك سليمان إلى ملكها وهو أشد عليه لو أنها كانت في عملها شعراء الساقين وريحها كحافر الحمار ذكر بعضهم أنه لما أراد أن يتزوجها أمر الجن فعملوا لها الحمام والنورة فكانت أول من استعملها فوجد ريحها كريح الحمار فأمر الشياطين فعملوا لها النورة فأذهبت عنها ذلك وقيل إنه لما أراد أن يتزوجها أمر الشياطين فحلقوا شعر ساقيها بالموسى وقيل إنه أمر الجن فعملوا له النورة فاستعملها قبله وقيل إنه أمر الشياطين فعملوا له الحمام والنورة فاستعملها قبله وقيل إنه أمر الجن فعملوا له الن

قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون ويقول كل فريق الحق معي وهو مستأنف في جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقر الفريق الكافر ناصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعذاب الذي توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترحمون) بالإجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مجيئه لكثرة ذنوبهم والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت التاء في الطاء وزيد الألف لاسكون الطاء (ومن معك) من المؤمنين (قال طائركم عند الله) أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمه أو عملكم مكتوب عند الله فاعمل لكم ما لزمكم العمل به لكم وقرئ به وهو كل إنسان لزمه طائره في عنقه وأصله أن المسافر إذا مر بطائر فزجره فإن مر سانحا تيامن وإذا مر بارحا تشاءم فلما استعملوا (٣٨٨) الخير والشر في الطائر لما كان سببهما من قدر الله وقسمه أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والعقوبة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بسبب كفركم (وكان في المدينة) مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به وكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الأربعة إلى العشرة وعن أبي دواد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين عقروا الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) يعني أن سائر أمرهم الإفساد المحض لا يخلطونه بشيء من الصلاح كما يرى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح ومن الحسن يطلبون الماء ولا يطلبون الطعام وعن ابن عطاء يسعون عباب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا

عشر سنوات وهو ابن ثلاث وحسن سنه ﴿ قوله عز وجل (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا (فإذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل فريق يقول الحق معي (قال) يعني صالحا للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) أي بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) أي العافية والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة من الكفر (لعلكم ترحمون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاءمنا (بك وبمن معك) وسبب هذا القول أن المطر عنهم فقالوا ذلك أو غير ذلك فلما سألهم العطر عنهم قالوا إنما أصابنا هذا الضر والشدة من سوء رأيك وسوء أفعالك (قال طائركم عند الله) أي ما نصيبكم من الخير والشر إلا من الله مكتوب عليكم عبر عنه بالطائر لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أنتم عليه إنما هو من عند الله بكفركم وقيل طائركم أي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والسرور وقيل معناه تعذبون ﴿ قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء أشرافهم (يفسدون في الأرض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم عوا قوم صالح الذين اتبعوا على عقر الناقة ورؤسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لنبيتنه) أي لنقتلنه ليلا (وأهله) أي لمن آمن معه (ثم لنقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندري من قتله ولا له لأن أهله (وإنا لصادقون) أي في قولنا ما شاهدنا ذلك (ومكروا مكرا) أي عذبوا عذابا حين قصدوا قتل صالح وأهله (ومكرنا مكرا) أي عاقبناهم على مكرهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) أي أهلكناهم أي التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح تحرسه فلما كان التسعة عند الدار صالح شاهروا سلاحهم وسورهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فصلبتهم وأهلك الله جميع القوم

تقاسموا) تحالفوا واحلفوا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متحالفين (بالله لنبيتنه) بالنون وضم التاء أي لنقتلنه ليلا (وأهله) وقرئ بالتاء مسندا إلى ضمير المخاطبين أو إلى الباء وضم اللام جمعا على (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) بفتح الميم واللام وقرئ بضم الميم وفتح اللام مصدرا بمعنى الإهلاك أو مكان الإهلاك أي لم نعرض لإهلاكه ولم نعرف له أو ما حضرنا موضع إهلاكهم كما عاينوا ذلك (وإنا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) مكرهم ما حضروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه مكر الماكر على سبيل الاستعارة وروي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فتعاهدوا وهم صالح أنه يخرج ما إلى الليل فحين يخرج منه وهن أهله إلى المنزل فرجعوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء نصلي فنقتله ثم نرجع إلى أهله فدمغتهم الحجارة من الهضبة فهلكوا وانطبقت الصخرة عليهم في الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) بفتح الألف كوفي وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف على تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا دمرناهم أو على أنه خبر كان أي وكان عاقبة مكرهم التدمير

(وقومهم أجمعين ذلك بسوئهم شاورية) ساطعة نتنة تؤذي القلوب إذا سمعها أو خالطتها أو هي مثل فعل قوم لوط وهي مثل فعل قوم لوط (عما ظلموا) بظلمهم (إن في ذلك) فيما فعل بقوم (لآية) عبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا فيعتبرون (وأنجينا الذين آمنوا) صالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف مع صالح من العذاب (ولوطا) واذكر لوطا وانتصب لوطا بأذكر ويصح عطفه على نوح (لقومه أتأتون الفاحشة) أي إتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم يسبقوا إليها من بصر العلم أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يركبونها في نادبهم معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض بحالة وإنها كانت العذاب أو تبصرون آثار العذاب عليكم وما نزل بهم ثم صرح بقبحها (أئنكم) بهمزتين كوفي وشامي (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أي إن الله تعالى إنما خلق الإتيان الذكور على الذكور والأنثى للأنثى فهو مصادمة لله في حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة عليكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمحاماة التي كانوا عليها وهذا أصح الخطاب والعنف في قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون تعلق الخطاب على العموم لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أي لوطا ومن معه فما كان جواب قومه إلا أن قالوا (من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يتحرجون عن العادورات (٣٨٩) يستكرون هذا العمل القبيح

(وقومهم أجمعين ذلك بسوئهم شاورية) أي نظامهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) أي لعبرة (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف ۞ قوله تعالى (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر العلب وقيل معناه صريحة كم تعصون وكانوا لا يستترون عموما منهم (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) قال قتادة إذا تبصرون بالعلم وقد قال تعالى قوم تجهلون فتكون العلم جهلا فلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون أنه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يعني من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أي قضينا عليها بأنها تحلفها في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أي الحجارة (فساء) أي بئس (مطر المنذرين) ۞ قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير أما يشركون) وبكسر التاء للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فإن الله خير لمن عبده وآمن به لا يعبده من الهلاك والأصنام لم تعن شيئا عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أولا ما يدل على وحدانيته وكماله وقدرته ۞ فالنوع الأول قوله تعالى (أمن خلق السموات والأرض) ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آلأصنامكم أم خير أم الذي خلق السموات والأرض ۞ ثم ذكر نعمه فقال (وأنزل لكم من السماء ماء) يعني المطر (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحوط عليها سمي بذلك لأنه منع مما حوله (ذات بهجة) أي ذات منظر حسن والبهجة

الذكر هم وقيل هو استهزاء كقوله إنك لأنت الحليم الرشيد (فأنجيناه) خلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله إلا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى بمعنى دبرنا وأبى تكرر أي قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة كرناها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يؤمنوا الإنذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعد سوق هذه القصص بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلو من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يبدأ بتسطير تحميد الله أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله وخلصه من هلاكهم وعصمه من دينهم (آلله خير أم ما يشركون) بالياء نصري وعاصم ولا خير مما يشركونه أصلا حتى يوازن به ومن هو خالق كل شيء وإنما هو الزام لهم وتهكم بهم وذلك أنهم لم يروا آباءهم عبدوا الأصنام على عهد الله تعالى ولا توقعوا منها أن تدفع عنهم شيئا فدعوه إلى الإقرار بأنه خير مما عبدوه معه فجعل لهم مع العلم بأنه لا خير مما أشركوه وأنهم لم يتوقعوا منه أن يدفع عنهم شيئا على الخطأ المفرط والجهل المورط أو على أن الإيمان يجب أن يكون لخير الرازقين كان عليه الصلاة والسلام إذا مر أهاب الله بخير وأحل وأكرم ثم عدد شواهد الخلق والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والأرض) والمعنى بل أم وأم في أما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك مفصلة إذ المعنى أنهما خير وهذه مجملة معناه بل والهمزة ولما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير بمعنى أن الذي قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء (وأنزل لكم من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا) صرف الكلام عن الغيبة إلى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل به وإيذانا بأن إنبات الحدائق لمجموعة الأصناف والألوان لطعوم والأشكال مع حصولها على أمر واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده (به) بالماء (حدائق) بساتين والحديقة ما أحاط به الحائط من الأشجار وهو الإحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لأن المعنى حائط حدائق كما يقول الشاعد مدمنة (بهجة) حسن لأن الناظر يبتهج به ويتسع معنى الاختصاص قوله

هم قوم يعدلون) بربهم أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد ولما هم بعد الخطاب أتبع فى تعظيم أمرهم (أمن جعل الارض) وما بعده من أمن خلق فمكن بحكمته (قرارا) دحاها وسوّاها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) طرقا أى وسطها وهو المفعول الثانى والاول (أنهارا) ومن البحرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا ان يختلطا (أإله مع الله) بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرر وهى الحالة التى وجد فيها الفاعل اضطرارا الى الكذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى التضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من وقع به ولم يرد به حسه عن الحق وهو منه على حذر (ويكشف السوء) الضر او الجور (ويجعلكم خلفاء (٣٩) الارض) أى مهدوا لكم قواريهم سكناها والتصرف فيها فقرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) وما الفرق بين أو ومع وبين قراءة حمزة وعلى وحفص وما مزيدة أى تذكرون تذكرا قليلا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (فى ظلمات البر والبحر) إذا سلكتم (ومن يرسل الرياح) الريح تكون جمعا وعلى (نشرا) من النشور وقد مر فى الاعراف (بين يدى رحمته) قدام المطر (أإله مع الله) تعالى الله عما يشركون أمن بدأ الخلق) بدأ الخلق (ثم يعيده) وأيهما سهل لهم ثم يعيده وهم يقرون بالاعادة لانه أقرب عليهم بالممكنات من المعدوم والاقرار بالشئ يلزم الاقرار بما هو مثله وعلى الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أى المطر (والارض) أى من الارض النبات (أإله مع الله) على هذا أيضا (قل هاتوا برهانكم) على قولكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم ان مع الله الها آخر

الحس يشهد به ويراه (ما كان لكم أن تنشئوا شجرها) يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا قادر على الشجر ولكن أعرضها وأسقيها الماء فقال الله هذه السببية مقبولة ما كان لكم أن تنشئوا شجرها لان الشجر انما ينمو بالحدائق المجاورة المجاورة الاسقاف والطعوم والروائح المجاورة والروح يسقى عليه واحد لا تقدرون عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد أن يأتى بذلك لعجزه بحال (أإله مع الله) يعنى هل معه معبود اعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ﴿ النوع الثانى قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أى دحاها وسوّاها للاستقرار عليها وقيل لا تميد بأهلها (وجعل خلالها أنهارا) أى وسطها بأنهار تطرد بالماء (وجعل لها رواسى) أى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعنى العذب والملح (حاجزا) أى مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله) بل أكثرهم لا يعلمون) أى توحيدهم وقدرته وسلطانه ﴿ النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أى للمكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوج من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت بأحد نادى الا الحاح والتضرع الى الله تعالى وهو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعنى فكشف ضره (ويكشف السوء) أى الضر لا يقدر على ذلك أحد من خلقى الى يحمد من ضر فى الى سعة الا القادر الذى لا يقهر والظاهر الذى لا يغلب ولا يمانع (ويجعلكم خلفاء الارض) أى سكانها ودلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها فقرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل يجعلكم خلفاء لمن فى الارض (أإله مع الله) قليلا ما تذكرون) أى تتعظون ﴿ النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) أى يرشدكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر (ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) ﴿ النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أى يخلقهم فى الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أإله مع الله) على هذا أيضا (قل هاتوا برهانكم) أى حجتكم على قولكم (ان كنتم صادقين) ﴿ قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى يقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعنى ان من فى السموات وهم الملائكة وفى الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى يعلم ذلك (بل ادارك علمهم) أى بلغ

وقرئ (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يعلم علما دليل ولا اطلع عليه مخلوق معقول والله تعالى من والذى لا يعلم استثناء منقطع الا الله يعلم ان الله تعالى على ان يكون من فى السموات والارض وكل معطوف على ضمير من فى يعلم حيث يجوز الاستثناء المنقطع يجرى المتصل ويجوز النصب والدليل فى المنقطع كما فى المتصل وما يشعرون ما فى الدار أحد الا حمارا وقال ابن عباس رضى الله عنهما زعم انه يعلم ما فى غد فقد ادعى علم الله الغيب والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) يبعثون (بل ادارك) مكن وتصرى ويزيد والمعنى اى انه تعالى وكامل من أدرك العلم كهه بكامل بصحاصل ادرك عن الاعمى أو معنى بل تدارك علمهم اسعكم وأصله تدارك ثم ادغمت التاء فى الدال وزيدت ألف الوصل ليمكن النطق بها (علمهم

وفي الآخرة) بمعنى في شأن الآخرة وسعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة حصل لهم وتكوا من معرفتها وهم شاكون بها مكابرون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضراب الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصمهم أولا بأنهم لا يشعرون وثانيا بأن الله تم بأنهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بأنهم محجوبون عن سلوك سبيلها والاراءة مستطاعة ثم عما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ أعماهم ومنشأ هذا عدا عن دون عن لان الكفر بالعاقبة والخوف هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر وقد حسملا مة معمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة تمثيلا له وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشئ منه البتة لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا مما يتحيرهم ويوصف بالعجز عن علمهم عجزا بليغا سموه هم انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وشيك الوقوع أعجاز لهم لا يكون مع ان عندهم أسبابا معرفة كونه واستحكام العلم به وحاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لاجهل الناس ما أعملك على سبيل الهزء وذلك حيث سكنوا عما نبه الله الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وجه كونه الذي لا طريق الى معرفته هو نحو ان يكون أدرك بمعنى انتهى وبمعنى مر قولك أدركت الغلام ان كانت غايتها التي عندها بعد مدركها الحس ما يحصل علمهم في الآخرة وبدارك من بدارك نحو فلان ادارك ما يعلم في الهلال (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء وكرر بحرف الاستفهام في اذا وانا في قراءة عاصم وحمزة وحذف ان كان بعد أئن كقوله تعالى وتحوده تعتب تحود دليل على

ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وتوسط عجزهم عليه وقيل لم يعلموا في الآخرة حين عاينوها ما سكنوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى العلب وصل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة تستوي علومهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الاوار والعقاب وان كانوا علموهم محققة في الدنيا ﴿ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي منكرو مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الاولين) أي أحاديثهم التي كذبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي كذبهم المال واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) برك في المستهزئين الذين اوسعوا عداوتك مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب قتل يوم بدر ﴿ قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي خافية من مكنون سر وخفي أمر

من قول محمد صلى الله عليه وسلم قدمه هذا على نحن وآباؤنا ولقد وعدنا نحن وآباؤنا على هذا الدليل على ان المعنى ولقد ذكر هذا وعدنا نحن وآباؤنا نحن (ان هذا الا اساطير الاولين) ما هذا الا احاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين في تكذيب الاحرام لطف بالمسلمين في ترك الحزن كقوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وقوله تعالى حطا آخرهم اعترفوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يقبلوا ولم يسلموا فسلموا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يعني صناديد الشرك وهو قراءة عبد الله بن كثير وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالمكذبين (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود به قيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فاللام للتأكيد كما في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وقرب لكم ومعنى ردف لكم تبعكم وجاء على وزن فعل يدل على صدق الامر وجده نحو دلف وعدا له ووعد (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بتركه الاخذ بالعذاب (ولكن اكثرهم لا يشكرون) اي اكثرهم لا يعرفون حق النعمة ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب جهلهم (وان ربك ليعلم ما تكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون) يظهرون من العول فاس بأخبار العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر أوانه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو مجازيهم على ذلك عما قريب وقرئ تكن بضم التاء من أكن الثلاثي واكنه (وما من غائبة)

مادل عليه فخرجون وهو تخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أولم الانباء لا تعمل عمل الفعل كما لا تعمل في الجحد والصغرى فانهم لا تمنع لان كونهم مرادا وقولهم وآباؤنا عطف على العامل في اذا كما عطف على العامل في الصغرى كالان المعمول جزء العامل نحو لقد وعدنا هذا (نحن وآباؤنا من قبل)

وشئ غائب (فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) أى بين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يلعن بعضهم على بعض بعد ما اتفقوا (وانه) يعنى القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) أى يهتدى به المؤمنون من الضلالة ويرحمهم الله به (ان ربك يقضى بينهم) أى بين المؤمنين والكافرين (بحكمه) أى بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو بحكمه ودل عليه بما يراه من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاءه (العليم) بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو العزيز فى انتقامه من الطالبين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) أمره ما توكل على الله وله المنلاء اعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذى لا يلويه شك وشبهة بان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصره (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به يسمعون سموا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين يعقلهم ولا يسمعون وبالعمى حين يضلون الطريق ولا يدرى أحد أين

يتوجه لهم هذا نصراء الا الله تعالى بما كد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا بعد عن الداعى بان لم يرى ولم يسمع كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا فى الروم وما أنت بهادى العمى وكذا فى الروم جره (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ما تجدى دعاءك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله تعالى أسلم وجهه لله بمعنى جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) بمعنى العول ومؤداه العول وهو ما وعدوا من وقوع الساعة والعذاب ووجوه حصوله والمراد مساءة الساعة وظهور أماراتها وحين لا يطيع الا وان (أخرجنا لهم دابة من الارض

تكلمهم) هي أيضا تتكلم بلغة يفهمها العرب وتخرج لهم من الأرض (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يعتقدون أنها آيات الله تعالى ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وقيل) تكلمهم بأن (تقول لهم إن الله تعالى يقول لكم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يعتقدون أنها آيات الله تعالى ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وقيل) تكلمهم بأن تقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يعتقدون أنها آيات الله تعالى ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وقيل) تكلمهم بأن تقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يعتقدون أنها آيات الله تعالى ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها

(٣٩٣)

أي تقول الدابة ذلك وتكون المعنى بآياتنا أو حكاية لقول الله تعالى بعد ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من المكذبين أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة (ممن يكذب) من للتبعيض (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب هذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى إذا جاءوا) حضروا موضع الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وإنها جديرة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حتى تكذبوا بها فاتكم لم تحيطوا بها (ووقع القول

جسمه في وجهه فيعاير الناس في دارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشاركون في الأموال فيعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وبهذا دلالة على حديث سمات الجمال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فمكثنا عشية نطوف بالمسجد ومعنا المسلمون إذ انصدع الأرض وبين الصفا فأول ما خرج منها رأسها بالعقيدات وبرة رئيس لم يدركها الطالب ولم يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فأما المؤمن فتدع وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو مجوف وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن أبي عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث الشعب شعب أحاد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات تسمعها من بين الخافقين وروي

الى ان يوا ويسل جميع ما يراد ل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الا من شاء الله) روى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا تصل اليهم الفزع وقيل هم حور العين ومكائيل واسرافيل وحملة العرش وقيل هم الملائكة الذين كانوا يأتون آدم عليه السلام لا نفخة الصعق مرفوعة ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (وكل أتوه) حضرة وخضوع وخلف آتوه بمعنى أتوا (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين سماعي وحذره وتريد وعاصم وبكسرها غيرهم حال من الخاطب (جامدة) واقفة تحسبها على الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ماشية في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا حثيثا كالسحاب اذا حركته الريح وهكذا الاجرام العظام الكثيرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال الا انه في صفة جامد

وترى مر الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب

وقوف الجبال والركاب مع ذلك سيرها (صنع الله) مصدر عمل مؤكد لما قبله كقولك هذا عبد الله حقا (الذي أتقن كل شيء) أي أحكم خلقه (انه خبير بما تفعلون) مكي وبصري غير سهل وأبو بكر غير يحيى وعبرهم بالتاء اذ هو عام فيما فعل العباد فكأنه قيل لهم انا نجازيكم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي بكلمة لا اله الا الله عند الجمهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة لا أن يكون خير بمعنى أفضل وتكون منها في موضع الصفة لخير أي خير كائن منها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع يوم القيامة وهو الخوف الذي يذهب بالعقول وكسر الميم غيرهم (يومئذ) أي يوم اذ تكون الجبال سيرا (آمنون) من فزع ذلك اليوم (وكبت) أكبه الله

(ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) ألقت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار وعبر عن الجملة بالوجه كما عبر بالرأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار وقيل لهم تبكيتا أصد الكفار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها حرما آمنا يأمن فيها الوحش فلا يصاد ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الاشياء كلها (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما أوحي اليك من ربك أمرني ربي بقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أجعد له شريكا كما فعله عبدة الاوثان وأن أكون من الجماعة الذين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسم الله اليها لانها أحب بلاده اليه وأعظمها عنده وأشار إليها (٣٩٥) بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتعريف

دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصفها بالحرم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول أهلها تحتها (فمن اهتدى) باتباعه اياي فيما يأمرني به من توحيد الله وفي السر كما هو حقه والدخول في السلم الخ فانه وبال ما عليه (فانما يهتدي لنفسه) فعمله لها ثوابه وإياها يعود لا إلى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أي ومن ضل فلم يهتد فلا علي وما أنا الا رسول منذر وما علي الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمه التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته في الآخرة من حيث لا يحتسبون وفي الدنيا وهو أن سمعان الصفار والسحاب وما حل بهم من عذاب الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتاء حمدي وشامي وحفص وتعريض للكفار بالوعيد أي كل عمل تعملونه فان الله عالم به عن قريب فمجازيكم عليه والسهو لا يجوز عليه

(سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) *(طسم تلك آيات الكتاب المبين)* تقدم نظائر أوائل السور وآيات الكتاب المبين وأضافها إليه لأنه بين ما يحتاج إليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) أي بعض (نبأ موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الارض) أي ارض مصر (وجعل أهلها شيعا)

أبناءهم) هم بنو إسرائيل (ويستحيي نساءهم) أي يتركهن أحياء لخدمتهم فيتسبب ذبح الأبناء كما قاله ولا ينافيه ولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده ويدل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه العمل وإن كذب فما معنى القتل ويستضعف بالبناء للمفعول من الصعير وبجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويدع يدل على يستضعف (إنه كان من المفسدين) أي إن القتل ظلما فعل المفسدين أو لأطائل تحته مسدد الكاهن أو كذب (ونريد أن) نفضل وهو دليل لما في مسألة الأصلح وهذا الجملة معطوفة على إن فرعون علا في الأرض لأنها بشارة ثانية في وقوعها بتسير الساموسي وفرعون واقتصاله أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم ونراد الله تعالى كائنة فعلت كالعارية لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة) فائدة بدي بهم في الخير أو فائدة الخير أو ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) (٣٩٦) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (ونمكن) نمكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرتفق ومعنى التمكين (لهم في الأرض) أي أرض مصر والشأم أن نجعلها تحت تصرفهم لا تتعداهم وتسلطهم وبعد أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) أصم الثوب ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على ونجري منهم ما حذروه ومن ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ونرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة الثوب أو رفع على الاستئناف (منهم) من بني إسرائيل ويعلو بنرى دون نحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر الموقى من الضرر (وأوحينا إلى أم موسى) بالإلهام أو بالرؤيا أو بملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة ولا تكون هي رسولا (أن أرضعيه) أن تمني أي أرضعيه (فإذا خفت عليه) من القتل بأن تسمع الخبر أن صوته فسموا عليه (فألقيه في اليم) البحر والنيل هو النيل لمصر (ولا تخافي) من الغرق والضياع (ولا تحزني) بفراقه (إنا رادوه إليك) لو حفظ عليه لم يرضع منه (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران وبشارتان وسارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف عم يلحق الإنسان لتوقع وقوع المكروه والحزن عم يلحقه لوقوع وهو فراقه والأحظر به وقد جمعهما وبشر برده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى سبعون ألف وليد وروي أنها لما حملت صرح بها الطلق وكانت تكتم الحمل فلما أوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فرح فرحا شديدا وسر سرورا لم يسر مثله قط وكان عند فرعون جواريه فلما أحسن بالطلق أرسل إلى القوابل فلم يجدن عندها فلما وضعت موسى هابته فألهمت أن قالت ما يخفى عليكم أمري وإني لست بمومس فجئتموني فلما رأيته ألقى محبته في قلبي فأحببته حبا شديدا فاكتموا علي شأنه فلما خرجوا أتت بابنها فأرضعته ثلاثة أشهر فلما استشعرت عليه أخذت تابوتا فجعلت فيه قطنا وجعلت موسى فيه وسدت رأس التابوت بالقطن ثم أخذت مفتاحا فألقته في النيل وكان لبابها فخرجت وتركت الباب مفتوحا وكان فرعون قد بث على بابها عيونا فلما خرجت رأوا الباب مفتوحا فدخلوا فلم يجدوا شيئا فأخذوا ما كان في البيت فلما خرجت أم موسى رأت التابوت قد طفا على الماء فأخذته فجعلت تسير على شاطئ النيل حتى انتهت إلى مكان فرعون فأخذته فأدخلته منزل فرعون فلما فتحوا التابوت رأوا موسى فلما رأته آسية بنت مزاحم امرأة فرعون أحبته حبا شديدا وكان من أمر فرعون ما كان فلما أراد فرعون قتله قالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون فلما رجع فرعون إلى قولها تركه وقال لها أما لك فنعم وأما لي فلا حاجة لي فيه فلما رأت أم موسى أن قد وقع في يد فرعون ما كانت تحذر وكادت تبدي به لولا أن ربط الله على قلبها بالصبر فلما لم تر شيئا مما كانت تحذر صبرت حتى إذا أخذ موسى الرضاع وأبى أن يقبل ثدي امرأة أرسلت إليها آسية أن ابعثي إلي بظئرك لعل موسى يرضع منها فأرسلت إليها فجاءت فأبى أن يقبل ثدي امرأة فقالت آسية لأم موسى ما يمنعك أن ترضعي ابني فقالت إني امرأة طيبة الريح لا يكاد يوجد صبي يرضع مني إلا جاء إلى أمه وطابت نفسه فانطلقت به إلى منزلها فدفعته إليها فلما أخذته فتحت ثديها اليمنى فدر عليه اللبن فالتقمها فمص منها حتى روي وسكن فنام فقامت إلى الثدي الأيسر فمصت منه حتى روي ون

ثم تقذف الثعابين في السيل فانطلقت في رسل الحجارين قوم فرعون فأشربت سمه ثابوتا صغيرا فقال الحجار ما تصنعون بهذا الثابوت فقال اني لي أحمله في الثابوت وكرهت الكذب فقال ولم تفعل أحشى علمه كيد فرعون فلما اشتد الثابوت وحمله وانطلقت به انطلق الحجار الى الذباحين ليحبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم تطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامساء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اصبروه فصبروه وأخروه فلما انتهى الحجار الى موضع مرد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أفصا ريد الامساء فأخبرهم فأحد لسانه وبصره فلم تطق الكلام ولم تبصر شيأ فصبروه وأخروه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فجعل منه ما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فحمد الله وأحدث عملا صالحا وقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فأتى به وصدقه وقال وهب فلما جاء أم موسى بتوبتي كتمت أمرها عن جميع الناس فلم تطلع على حملها أحدا من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كان السنة التي ولد فيها ابن فرعون القوابل وبعدم الامين فعيش الناس فيها فلم يمس قبل ذلك مثله وجلب موسى ولم يعثر لهن بها ولم يتطهرن فكانت القوابل لا يعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولده ولا رأين عليها ولا قابله ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خاف عليه جعل يأتيها ما شاء الله في اليم وهو الصريف ليلا قال ابن عباس وعمره كان لفرعون ولد قد مات ولم يكن له ولد غيرها وكان من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات وبعها الذي كان بها مرض شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا نرى الا من قبل البحر لوجد منه نسيم الانسان وجد من ريحه فيطلع به ريحها فنرى أمن ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين ينسرب النسيم فلما كان ذلك اليوم عمد فرعون الى مجلس كان له على شط البحر الذي ومعه امرأته آسية بنت مزاحم فاتكأ فرعون في حوارها حتى جلس على ساحل البحر مع حوارها بالاعين ونضح الماء على وجوههن اذ أقبل الثابوت يضربه الامواج فقال فرعون لهامان ما هذا الذي في البحر فدعا له بالسفن وأمر به فأخرج فلما رأى الثابوت به فأمر به فأخذ من كل ناحية منه وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف الثابوت نورا لم تر مثله فعالجته ففتح الباب فاذا هي بصبي صغير في الثابوت واذا نور بين عينيه ومد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية وأحبته فرعون وعطف عليه وأقبلت فرعون فلما أخرجوا الصبي من الثابوت عمدت الى ما تسل من أسداف من رقته فلطخت به رصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت العواتك يوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمى به في البحر فرعاك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي نتخذه ولدا أو كما قالت لا ندري وهب فلما رأى موسى من فرعون وهمه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال نعم لهداه الله كما هداها الله فعند ذلك لا تسمع منه قالت سمية وهي لا تدري وحدثا في الماء والسحر لان موسى ما هو الا في الماء وما هو الا بالسحر بدليل قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أي عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) اي آثمين وقيل هو من الخطء ومعناه انهم لم يستعملوا الذي يدفع عنهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه

ولدا) أي لو كان غير مطبوع على ما هو كما أسلم كما أسلم وقره حبر مسند الحدوف اي هو قرة لي ولك فصحان لفره (لا تقتلوه) خاطبت الملوك أو خاطبت العواد (عسى ان ينفعنا) فان فيه محامل النفع ودلائل ما يبشر من الدرور وقره الترصيه (او نتخذه ولدا) أو بسماء فانه أهل لان يكون ولد الملوك

وارد على طريق الحجازيين ذلك لما كان شعبة القاطهم له سبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المبيء (وحزنا) وحزنا على وحزنوهما لغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تحقيق خاطئين أو تحمير أي كانوا مدنسين وعاقبتهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم بدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك) روي انهم حين التقطوا الثابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف الثابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي فوجد نورا بين عينيه فأخذوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فرأت فعالجت العواتك يومئذ هو الذي تحذر منه فأدنت اذني له فهم بذلك فعالجت آسية فقره عين لي ولك فقال فرعون انك لذلك وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل

ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر المرعوب قال عدائي من الاعداء بعاطفة ذلك وقال كم أخطأ هذا الغلام الذبح وكان آسية امرأة فرعون من خيار النساء وبنات الانبياء وكانت أماثل المساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الولد أكرم على منك وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقبل انها قالت له أنا ما من أرض أحرى وأنس هو من بي اسرائيل فاستوهبه فرعون وألبى الله عليه ذلك فقال ابن عباس لو أن فرعون قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا لنفعه الله ولكنه أبى الشقاء الذي كتبه الله عليه ﴿قوله تعالى﴾ (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من كل شئ الا ذكر موسى وهمه وقيل معناه ما أطاق القلب أن يصبر على الوحي الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد اليها أن رادوه اليها وتجعله من المرسلين فكاد يظهر الامر بالوحي وقال كرهت أن يقول فرعون ولد فيكون لك أجره وثوابه وثواب أنسه له وألقيه في البحر وأغرقه فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في عدوه الذي حذرت منه فما ساها عظم الا لاه ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح أنها من سببه وحملها قال ابن عباس كادت تقول واسيداه وقيل لما رأت الماء يرفعه موجة أخرى حتى علا العرش كادت تصيح من شدة سرورها عليه وقيل كادت تظهر أنها من حبس موسى ان فرعون وقومه أخذوه وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن رادوه اليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والرحمة (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت عمته حتى جاءت بنطقه احتسابا برى انها الاظئرة (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها تريده (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع وسلمنا موسى حنان لبنان لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من يرضعه كانوا قد جمعوا له المراضع وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل مجيء أم موسى وذلك انها رأته أحب موسى الى أرسلها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قد ولدها فاحب ما يدعى اليه ان تحضر مرضعا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يضمونه ما يضمن من يريد منفعته والصحة والسلامة فقال لها فالت وهم له ناصحون فقالوا لها قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما اعرفه ولكني قد رأيت الملك يحبه ويكرمه فقالوا لها صدقت فاطلعت لهم أخته عن بعد كأنها لا تعرفه فقالوا لها وأخبرتنا انها وجدته في البحر ولا يدري من هو وكان فرعون قد أمر بذبح الولدان عن السنة التي ولد فيها موسى فقالوا لو علمنا انه ابن من هو لرحمناه فلما سمعت أخته كلامهم علمت أنهم لا يعرفون أمره ولا يعلمون خبره فقالت لهم هل أدلكم على من يكفله لكم ويحسن اليه ويحفظه ويحنو عليه فقالوا نعم فجاءت بأمه فلما وجد ريحها عرفته فقبلته وضمته الى صدرها فقالوا لها ما أعرفك بهذا الغلام وأشفقك عليه فلعلك أمه فقالت لهم لا والله ما أنا بأمه ولكني امرأة لا يولد لي ولد وليس يطيب لبن أحد الا لبني فلما رأيته قد قبل ثديي رجوت أن يكون ذلك سببا لحياته وأن يكون ابني بالتبني فقالوا لها قد أصبت فاذهبي به الى بيتك فاصلحي شأنه فانطلقت به الى بيتها فأخذ موسى ثديها فمص منه حتى روي وهدأ ونام فخرجت الى الملأ من بني اسرائيل وهم على باب فرعون ينتظرون خروجها وما يكون من خبر موسى فقالت لهم ابشروا فقد وجدت ما كنتم تطلبون فدخل الناس عليها فاخبرتهم بقصة موسى وما كان من أمره فأرسل فرعون اليها فأتته فأخبرته الخبر فأمر بموسى فأدخل عليه فأخذه وضمه الى صدره وجعل يمازحه ويداعبه فأخذ موسى بلحيته فنتفها فغضب فرعون وقال ويلك ما حملك على ما صنعت بي فقالت له أيها الملك انه صبي لا يعقل ولا يفرق بين الجمر والياقوت فاختبره بهما فان أخذ الجمر فاعلم انه يعقل ما صنع فأخذ فرعون جمرة ليضعها في فيه فأخذ موسى جبريل فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصار في لسانه عقدة فذلك قوله تعالى ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي أنعمنا عليك مرة أخرى ﴿قوله تعالى﴾ (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من الهم والحزن لما علمت من سلامة ولدها ووثقت بوعد الله اياها وقيل فارغا من الوحي الذي أوحى الله اليها حين أمرها أن ترضعه فلما أخذه منها فرعون نسيت ما أمرت به من رضاعه وتعهده وقيل فارغا من الصبر وهو ضد الجزع وقيل فارغا من الهم بقتل فرعون لما سمعت أن فرعون يريد قتله وقيل فارغا من الحزن لما سمعت أن فرعون تبناه وقيل فارغا من الهم بالوحي الذي أوحى الله اليها وقيل فارغا من الهم بالوعد الذي وعدها الله أن رادوه اليها وقيل فارغا من الهم بالوعد الذي وعدها الله أن يجعله من المرسلين فكاد يظهر الامر بالوحي وقال كرهت أن يقول فرعون ولد فيكون لك أجره وثوابه وثواب أنسه له وألقيه في البحر وأغرقه فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في عدوه الذي حذرت منه فما ساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح أنها من سببه وحملها قال ابن عباس كادت تقول واسيداه وقيل لما رأت الماء يرفعه موجة أخرى حتى علا العرش كادت تصيح من شدة سرورها عليه وقيل كادت تظهر أنها من حبس موسى ان فرعون وقومه أخذوه وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن رادوه اليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والرحمة (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت عمته حتى جاءت بنطقه احتسابا برى انها الاظئرة (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها تريده (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع وسلمنا موسى حنان لبنان لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من يرضعه كانوا قد جمعوا له المراضع وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل مجيء أم موسى وذلك انها رأته أحب موسى الى أرسلها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قد ولدها فاحب ما يدعى اليه ان تحضر مرضعا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يضمونه ما يضمن من يريد منفعته والصحة والسلامة فقال لها فالت وهم له ناصحون فقالوا لها قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما اعرفه ولكني قد رأيت الملك يحبه ويكرمه فقالوا لها صدقت فاطلعت لهم أخته عن بعد كأنها لا تعرفه فقالوا لها وأخبرتنا انها وجدته في البحر ولا يدري من هو وكان فرعون قد أمر بذبح الولدان عن السنة التي ولد فيها موسى فقالوا لو علمنا انه ابن من هو لرحمناه فلما سمعت أخته كلامهم علمت أنهم لا يعرفون أمره ولا يعلمون خبره فقالت لهم هل أدلكم على من يكفله لكم ويحسن اليه ويحفظه ويحنو عليه فقالوا نعم فجاءت بأمه فلما وجد ريحها عرفته فقبلته وضمته الى صدرها فقالوا لها ما أعرفك بهذا الغلام وأشفقك عليه فلعلك أمه فقالت لهم لا والله ما أنا بأمه ولكني امرأة لا يولد لي ولد وليس يطيب لبن أحد الا لبني فلما رأيته قد قبل ثديي رجوت أن يكون ذلك سببا لحياته وأن يكون ابني بالتبني فقالوا لها قد أصبت فاذهبي به الى بيتك فاصلحي شأنه فانطلقت به الى بيتها فأخذ موسى ثديها فمص منه حتى روي وهدأ ونام فخرجت الى الملأ من بني اسرائيل وهم على باب فرعون ينتظرون خروجها وما يكون من خبر موسى فقالت لهم ابشروا فقد وجدت ما كنتم تطلبون فدخل الناس عليها فاخبرتهم بقصة موسى وما كان من أمره فأرسل فرعون اليها فأتته فأخبرته الخبر فأمر بموسى فأدخل عليه فأخذه وضمه الى صدره وجعل يمازحه ويداعبه فأخذ موسى بلحيته فنتفها فغضب فرعون وقال ويلك ما حملك على ما صنعت بي فقالت له أيها الملك انه صبي لا يعقل ولا يفرق بين الجمر والياقوت فاختبره بهما فان أخذ الجمر فاعلم انه يعقل ما صنع فأخذ فرعون جمرة ليضعها في فيه فأخذ موسى جبريل فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصار في لسانه عقدة فذلك قوله تعالى ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي أنعمنا عليك مرة أخرى ﴿قوله تعالى﴾ (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من الهم والحزن لما علمت من سلامة ولدها ووثقت بوعد الله اياها وقيل فارغا من الوحي الذي أوحى الله اليها حين أمرها أن ترضعه فلما أخذه منها فرعون نسيت ما أمرت به من رضاعه وتعهده وقيل فارغا من الصبر وهو ضد الجزع وقيل فارغا من الهم بقتل فرعون لما سمعت أن فرعون يريد قتله وقيل فارغا من الحزن لما سمعت أن فرعون تبناه وقيل فارغا من الهم بالوحي الذي أوحى الله اليها وقيل فارغا من الهم بالوعد الذي وعدها الله أن رادوه اليها وأن يجعله من المرسلين فكاد يظهر الامر بالوحي وقال كرهت أن يقول فرعون ولد فيكون لك أجره وثوابه وثواب أنسه له وألقيه في البحر وأغرقه فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في عدوه الذي حذرت منه فما ساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح أنها من سببه وحملها قال ابن عباس كادت تقول واسيداه وقيل لما رأت الماء يرفعه موجة أخرى حتى علا العرش كادت تصيح من شدة سرورها عليه وقيل كادت تظهر أنها من حبس موسى ان فرعون وقومه أخذوه وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن رادوه اليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والرحمة (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت عمته حتى جاءت بنطقه احتسابا برى انها الاظئرة (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها تريده (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع وسلمنا موسى حنان لبنان لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من يرضعه كانوا قد جمعوا له المراضع وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل مجيء أم موسى وذلك انها رأته أحب موسى الى أرسلها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قد ولدها فاحب ما يدعى اليه ان تحضر مرضعا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يضمونه ما يضمن من يريد منفعته والصحة والسلامة فقال لها فالت وهم له ناصحون فقالوا لها قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما اعرفه ولكني قد رأيت الملك يحبه ويكرمه فقالوا لها صدقت فاطلعت لهم أخته عن بعد كأنها لا تعرفه فقالوا لها وأخبرتنا انها وجدته في البحر ولا يدري من هو وكان فرعون قد أمر بذبح الولدان عن السنة التي ولد فيها موسى فقالوا لو علمنا انه ابن من هو لرحمناه فلما سمعت أخته كلامهم علمت أنهم لا يعرفون أمره ولا يعلمون خبره فقالت لهم هل أدلكم على من يكفله لكم ويحسن اليه ويحفظه ويحنو عليه فقالوا نعم فجاءت بأمه فلما وجد ريحها عرفته فقبلته وضمته الى صدرها فقالوا لها ما أعرفك بهذا الغلام وأشفقك عليه فلعلك أمه فقالت لهم لا والله ما أنا بأمه ولكني امرأة لا يولد لي ولد وليس يطيب لبن أحد الا لبني فلما رأيته قد قبل ثديي رجوت أن يكون ذلك سببا لحياته وأن يكون ابني بالتبني فقالوا لها قد أصبت فاذهبي به الى بيتك فاصلحي شأنه فانطلقت به الى بيتها فأخذ موسى ثديها فمص منه حتى روي وهدأ ونام فخرجت الى الملأ من بني اسرائيل وهم على باب فرعون ينتظرون خروجها وما يكون من خبر موسى فقالت لهم ابشروا فقد وجدت ما كنتم تطلبون فدخل الناس عليها فاخبرتهم بقصة موسى وما كان من أمره فأرسل فرعون اليها فأتته فأخبرته الخبر فأمر بموسى فأدخل عليه فأخذه وضمه الى صدره وجعل يمازحه ويداعبه فأخذ موسى بلحيته فنتفها فغضب فرعون وقال ويلك ما حملك على ما صنعت بي فقالت له أيها الملك انه صبي لا يعقل ولا يفرق بين الجمر والياقوت فاختبره بهما فان أخذ الجمر فاعلم انه يعقل ما صنع فأخذ فرعون جمرة ليضعها في فيه فأخذ موسى جبريل فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصار في لسانه عقدة فذلك قوله تعالى ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي أنعمنا عليك مرة أخرى

(فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بالقائم معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أى ولتسلى علمها مشاهدته كما علمت حياته ولا تحزن معطوف على تقر وأعاجل لها ما يحدث من الدهر كل يوم كما قال السيد لانه مال حربى لانه أخوه على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أى لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق بدليل قوله تعالى نص عما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فقرحت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى حد الله القوة عمام العقل وهو جمع شده كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس أربعين سنة (آتيناه حكما) نبوة (وعلما) فهما أو علما بمصالح الدارين (وكذلك نجزى المحسنين) أى كما جعلنا موسى وأمه جعل بالموسى قال الرماح جعل الله تعالى اباءه العلم والحكمة جزاء على الاحسان لانهما تودان الى الله التى هى جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل على لانه تعالى قال واما ما روى انه أسلمهم لو كانوا يعلمون فعلهم جهالا لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة) أى مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أى غافلا وهو ما بين العشاءين او وقت القائلة يعنى انصاف النهار وقيل لما سئل عمل احد بكلام ما لحق وذكر عليهم فاجابوه فلما دخل المدينة الاعلى نعمل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) من شايعه على دينه يعنى اسرائيلى (وهذا من عدوه) هو السامرى وشيعته الرجل أتباعه وانصاره (وهذا من عدوه) من مخالفة من السبط وهو قابوس وقيل فهما هذا وهذا وان كانا من اهل مصر لتباين مذهبهما الحكاية أى ادابط الهما الطرف فقال هذا من شيعته وهو هذا من عدوه (فاستغاثه) فاستصرخه (الذى من شيعته على الذى من عدوه) فركز موسى) صرخة تجمع كفه أو اطراف أصابعه (فوكزه) له (فقال هذا) اشارة الى العمل الحاصل بعد صدر (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وهو اطلاق المعنى وان لم يقصده لانه كان مأمورا بالجهاد لكن الكافر الحربى المأمون او لا بد له أن يؤذن له فى القتال وهو هنا لم يؤذن له (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة

اللهم فلما وجد الصبى ريح أمه رد لى ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جسمه رياضا فلما كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) أى بردموسى اليها (ولا تحزن) أى ولا تتحزن (ولتعلم ان وعد الله حق) أى برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قال الاشد ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أى بلغ اربعين سنة والله اعلم (وقيل انبهى شانه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أى عقلا وفهما فى الدين وعلم وحكم موسى قبل ان بعث نبيا (وكذلك نجزى المحسنين) ﴿قوله تعالى (ودخل المدينة) يعنى موسى وانما سميت مدينة لان فيها ما يكفى من أعمال مصر وقيل هى قرية تعرف بانين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هى نصف النهار واستعال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سنة دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان تركب فى مراكب فرعون ولبس لباسه فتركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فعلم ما عمل له ان فرعون قد تركب فركب موسى فى أثره فادركه القائل بارض مصر فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان موسى سمعه من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف منه ما هو عليه من الحق رأى مراد فرعون وقومه تحاملهم فى دينه سعى فى انكار ذلك منه وعاونوه وما منهم مكان لا يدخل فيه الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما صير موسى فرعون بالعصا صغيرا فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باحراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى وقيل انهم جعلوا لبعد عهدهم به وعلى انه كان يوم عيد لهم فناموا عنهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) اى يتعاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أى من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) أى من القبط وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدو هو طباخ فرعون وكان القبطى يريد ان يأخذ الاسرائيلى ليحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل يظلم بنى اسرائيل يعوا كل الباع وكان اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى القبطى والاستغاثة طلب العون والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وكان موسى يبصره علمه فعرف موسى انه عدو لله لانه أحمر وهو نعت مبرله موسى من بنى اسرائيل وحملهم ولا يعلم الناس الا انه من آل فرعون الصاعقة فقال موسى للقبطى حل سبيله فقال انما أحمله لتحمل الحطب الى مطبخ آل فرعون فقال القبطى لقد هممت أن أحمله على ظهرك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أى قتله وفرغ من أمره وقد مر موسى على قتله ولم يكن قصده الى قتله فلما رأى الدم موسى استرجع وقال (هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) اى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى عمل القبطى لا الى عمل موسى والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه ان كونه محمولا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى

المعمول يعني انه من حند الشيطان وحزبه (قال رب اني ظلمت نفسي) أي بقتل الذي من غير أمر وقتل هو على سبيل الاضاعة لله تعالى والاعراف بالتقصير في القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب ﴿وقوله (فاغفر لي) أي ترك هذا الندوب وقتل يحتمل أن يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك منه تعالى به تعالى فاغفر لي أي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة والستر الذي (أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) بعدها بالا أكون معاونا بالاحتمس المجرمين قال ابن عباس للكافرين ومنه دليل على أن الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فاعلي في اللوم الثاني أي لم يعمل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصبح في المدينة) أي الى وقت صباحها المعتاد (خائفا يترقب) أي ينتظر المكروه وهو القبض عليه بسبب قتل القبطي (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) أي يستغيثه سوأ والمعروف استظار المكروه وقتل يا موسى يوحديه (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) أي يستغيثه من بعد قال ابن عباس أي فرعون فقال له ان بني اسرائيل هم اشرار حتى لا تعد لاحدهم الا قتل واقاتله ومن يشهد عليه فيسمعهم يقولون لا تحدون بسببه الا موسى من القبط فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي (قال له موسى) للاسرائيلي (انك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية فاشتر حتى بالامس قتل القبطي ثم تقاتل اليوم آخر وتستغيثني (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) وذلك ان موسى أحد به العصا والوقف للاسرائيلي لعدة بطش بالقبطي قتل الاسرائيلي انه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) أي بالقتل ظلما وقتل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا يبالي في الغواية وقتل هو الذي يعظم ولا يواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا ان موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه فوجدوا رجلا من شيعة موسى يقال له ومن آل فرعون واسمه حزقيل وقتل سمعون وقتل شمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) أي يسرع في مشيه وأخطر بقلبه فاخبره حتى سبق الى موسى وأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك) أي يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقتل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) أي من المدينة (اني لك من الناصحين) أي في الامر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه فلما ألقى الله تعالى

(ما تحت علي من نعمة فلن أكون ظهيرا للمجرمين) يعني الكافرين وبما أنعمت علي قسم حوائجه تعظيما لأمر ما يعلمه من حق المغفرة لأنه لن أكون ظهيرا للمجرمين وأراد عظاهرة المجرمين صحبة قرنائهم وانتظامه في جملتهم وتكثيره سوادهم حيث كان يركب ركوبهم كالوليد مع الوالد (فاصبح في المدينة خائفا) على نفسه من قتل القبطي أن يؤخذ به (يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستقاد منه أو الاضرار أو ما يعالج به وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا يأمن المخوف من دون الله خلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يتوقع المخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا للمفاجأة وما (٤٠) بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي لما سمع موسى استغاث به ثانيا على قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي (انك لغوي مبين) أي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا فصاعدا تستغيث والرسدي اليوم أن لا تفعل فعلا يعصي الى الملا على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما ان أراد) موسى (أن يبطش بالذي) هو على القبطي (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلي لانه لبس على دينهما أولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم انه أراد أحدهما لأحد القبطي اذ قال له انك لغوي مبين (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الا أن تكون جبارا) أي قتالا بالغصب (في الارض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى الاسرائيلي على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مومن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتمار التشاور يقال الرجلان ائتمرا بامرهما اذا تشاورا في امرهما ثم يسمى كل واحد منهما بما رضاه به فسمي ائتمارا (فاخرج) من المدينة (اني لك من الناصحين) لك ان ولي نصيحتك لان الصلة لا تتقدم على الموصول كما قال ابن عباس أراد اني من الناصحين وقال ابن كيسان يعني السومرية الى (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) الامر حيث في الطريق

اوان فعله في بعض

(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحو هنا التوجه الانتقال على الشيء ومدين مرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي وسطه ومعظمه فهداه ملك فانطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على حافة البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تطردان عنهما غنمهما لئلا تختلط بغنم غيرهما (قال ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مطلوبكما أي ما مطلوبكما من الذيادة فسمي المطلوب خطبا (قالتا لا نسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم تصدر ساقيه وترد أو تعود وأي ترجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقي الاغنام (كبير) في سن أوفى السن لا يقدر (٤٠١) على رعي الغنم أو شديد الهرم

لعلمه انه لا ملجأ الا الله (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ۞ قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ما صدر النهاية سل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه رابطة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سمي البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام فسل خرج موسى حافيا لا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر وبات الارض حتى رأى خضرة البقل في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع حجر قدمه قال ابن عباس وهو أول الاسلام من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها فسل لما دعا موسى جاءه ملك فدعوه فانطلق به الى مدين ۞ قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) اي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل امامهم الجماعة (امرأتين تذودان) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتعلوا لهما الا يردوا لكثرة العدم أن تختلط بأغنام الناس وقيل سألهما عن أغنامهما عن ان يذهبا بها والاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان مع الناس (قالتا لا نسقي) أي أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) اي حتى ترجع الرعاء عن الماء والى ايانا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا اتحتى مواشيناس فضل ما بقي منهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسقي مواشيه وذلك احتصاصتا الى سقي العشم قيل أنهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاء لم صخرة بئر على رأس بئر أخرى كانت بئرهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم وتعاهم كلهم عن البئر وسقى لهما العشم وقيل لما نزع الرعاء عن السقي عطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة عن رفعه موسى وحده ونزع دلوا واحدا ودعا عليه بالبركة وسقى العشم وروي ذلك في قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فاستظل في ظلها من شدة الحر وهو سائح (فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير) محتاج الى الطعام لخوي بطني واحمرار لوني قال ابن عباس ان موسى سأل الله طعاما فلما سخر لهم ما سأله وعن ابن عباس قال لما قال موسى رب اني لما أنزلت الي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد أصبح الى شق تمرة وما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا

(٥١ - (خازن) - ثالث)

الرجال وتحتي من الاعياء فلا بد لنا من أخذ السقي الى ان يصدروا فانا لا نسقي حتى يسقي الناس فلان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لا بأس وأما المروءة فمعتادات الناس في ذلك باختلاف أحوال العرب فمخالف أحوال العجم ومذهب أهل البدو مخالف مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كان الحامل عليه ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وهذا دليل جواز الاستراحة في الظل بخلاف ما يقوله بعض الصوفية ان الاستظلال علامة أنس بالدنيا والاتكاء على السكون الى المولى (فقال رب اني لما) لاجل (أنزلت الي من خير) فلق أو كثير من أمر (فقير) محتاج تعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب فسأل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بطنه بظهره حتى يرى ان ترى ما يدخل من الاحل ما أنزلت الي من خير الدارين وهو الطعام من الطالب لانه كان عند فرعون في ملك وزوجة فاذا دلك رسالة الى السبب وقدرته وشكر الله وقال ابن عطاء نظر من الله وديه الى الزوجة وهو كلام حسن الا ما ورد في الخبر من الاولى

ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نطلب على سقينا لغنما الدنيا ولا نأخذ على المعروف شيئا فلما جاء أبا هما أخبراه الخبر فقال له اجلس فتعش فقد بينا لك أنا قوم لا نأكل طعاما إلا بثمن فقال له موسى لا تفعل أما أنا من أهل بيت لا نأكل على عملنا طعاما أما تعلم أنا نحن معشر الأنبياء نأكل من أوساط الطعام مخافة أن تسلط علينا الشهوات فقال له الشيخ لا والله ما بذلك بأس ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه القصص) أي أخبره بأمره وأصله من حيث ولد إلى وقته (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) قيل من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت إحداهما يا أبت استأجره) أي اتخذه أجيرا للرعي إنما (إن خير من استأجرت القوي الأمين) يعني إن خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة يقال لها أوها وما ملكت يمينه وأمانته قال أمانته رفع الحجر عن على رأس البئر ولا رفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدني (قال) شعيب عند ذلك (إني أريد أن أنكحك) أي أزوجك (إحدى ابنتي هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الأكثرون إنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي جاءت إلى موسى (على أن تأجرني ثماني حجج) أي تكون لي أجيرا ثماني سنين (فإن أتممت عشرا فمن عندك) أي فإن أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أي أكلفك عمام العشر الا أن برع (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أي في حسن الصحبة والوفاء فعاهده موسى عليهما السلام على ذلك وقيل الخطاب وإنما قال إن شاء الله للاستكمال على وجه

قيل ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نطلب على سقينا لغنما الدنيا ولا نأخذ على المعروف شيئا فلما جاء أبا هما أخبراه الخبر فقال له اجلس فتعش فقد بينا لك أنا قوم لا نأكل طعاما إلا بثمن فقال له موسى لا تفعل أما أنا من أهل بيت لا نأكل على عملنا طعاما أما تعلم أنا نحن معشر الأنبياء نأكل من أوساط الطعام مخافة أن تسلط علينا الشهوات فقال له الشيخ لا والله ما بذلك بأس ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه القصص) أي أخبره بأمره وأصله من حيث ولد إلى وقته (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) قيل من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت إحداهما يا أبت استأجره) أي اتخذه أجيرا للرعي إنما (إن خير من استأجرت القوي الأمين) يعني إن خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة يقال لها أوها وما ملكت يمينه وأمانته قال أمانته رفع الحجر عن على رأس البئر ولا رفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدني (قال) شعيب عند ذلك (إني أريد أن أنكحك) أي أزوجك (إحدى ابنتي هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الأكثرون إنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي جاءت إلى موسى (على أن تأجرني ثماني حجج) أي تكون لي أجيرا ثماني سنين (فإن أتممت عشرا فمن عندك) أي فإن أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أي أكلفك عمام العشر الا أن برع (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أي في حسن الصحبة والوفاء فعاهده موسى عليهما السلام على ذلك وقيل الخطاب وإنما قال إن شاء الله للاستكمال على وجه

العوي الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بالأمر فقد فرغ البال وتم المراد قال وهب ومعنى العوي في لسان الأمين في حوار حسن وقد اختلف أهل العلم في هذا الكلام الجاري مجرى المثل على أن يقول استأجره لقوته وأمانته وعلى أن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاث فراسات وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأبو بكر في عمر (قال إني أريد أن أنكحك) أزوجك (إحدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرهما وهذه واقعة حال ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقد النكاح قد أنكحك (على أن تأجرني) تكون أجيرا لي أجره إذا كسله أجيرا (ثماني حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حج والحج على وزن العلم جائز بالاجماع لأنه من باب العلم بأمر الروحة لا أصله فتحذف الروح على الحذف (فإن أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) تفضل منك ليس واجبا عليك أو أتممته على ذلك وأكملته فإن ذلك مفهوم بتفضل وبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام إتمام الأجل ومعنى قوله معنى على الأمر إذا ما طال كأنه مشى على الطريق ومن قول بارك الله عليك وعلى الله توكلوا إن كنتم مسلمين (قال الله على ما نقول وكيل) معناه الإخبار عن الوفاء والرضا

بالشرط الذي شئته لك فصار هذا من الصلح الذي كان على تومة فيه وهو ثقة لانه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بيني وبينك) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني عليه وشارطني عليه قائم بيننا جميعا لا يعدو كلانا عنه لا أبالي ما شرطت علي ولا أبالي ما شرطت علي بعد ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أي أي أجل قضيت من الاجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نصب قضيت وما زائدة مؤكدة لابهام أي وهي شرطية وجوابها (فلا عدوان علي) أي لا تعتدي علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد دخلت على أن لانها عدوان عليه في أيهما ولكن جعلهما الجعل الاول كالتمام في الوفاء وكان طلب الزيادة عدوانا وكذا طلب الزيادة على الاول (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل الله الامر وعدى بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب

(٤٣)

ومعونه (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت علي ذلك وما شرطته علي يرفع أحدهما أولى والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أي أي الاجلين أتممت ووفيت به من العشرة أو الثمانية (فلا عدوان علي) أي لا طلبة علي أن أطالبك بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (ح) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الجزيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروي عن أبي ذر مرفوعا اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأوفاهما واذا سئلت أي المرأتين يزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فزوج صغراهما وبقي أوفاهما وقال وهب أسكنه الكبرى وروى سدادين أوس مرفوعا لما قضى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حيي عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا بل شوقا لكن سوقا الى لقائك فأوحى الله اليه ان كان ذلك فهو مألك لقائي ما سعيت لذلك أحد مثلك كما مضى موسى ولما مضى هذا العدد منهما أمر سعيب ابنه أن يعطي موسى عصاه ليدفع بها السباع عن غنمه فنزل كالبس من آس الجنة فحملها آدم معه وتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبي الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب الى الماء وقال لها موسى اطلبي من أول أن تحمل لك بعض الغنم فطلبت أن أنبهاك فقال لك كل ما ولدت هذا العام على غير لونها وولد ان سعد ما أراد الله تعالى موسى على حسن رعايته كرامة له وصلة لابنه فقال له ابني قد وهبت لك من ولدي أغنمي كل أنثى ولدت في هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى في المنام ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام فعمل ذلك فما اخطأ واحدة الا وضعت حملها ما خلا واحدا ولدت معلما شعبان هدارون ساقه الله الى موسى وأمره أن يفي له بشرطه وأعطاه الاغنام ﴿ قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه وتبرع به (وسار بأهله) وحمل مكث موسى بعد الاجل عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فأذن له وسار بأهله اي برز به قاصدا الى مصر (آنس) اي أبصر (من جانب الطور نارا) وذلك انه كان في الليلة المظلمة شديد البرد واحد امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد اخطأ الطريق (أو جذوة من النار) اي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) اي تستدفئون (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى فيها وبعثه نبيا ولن يبعث نبيا الا في البقعة المقدسة (من الشجرة) اي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العناب وعن ابن عباس انها العناب (ان يا موسى اني أنا الله رب العالمين)

روى أن سعيبا كان عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال لموسى يا فتى ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا فوقعت في يده آدم من الجنة فلم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فتمثل له ملك فقال خذ غيرها فعاد فأخذ غيرها فرفع فيه الا هي فسمع مرارا فعلم أنه له أخذها فلما أصبح قال له شعيب اذهب الى المرعى فما أخذت فهو لك فذهب الى المرعى فلم يأخذ على غير تلك العصا فكان لا يأخذ شاة الا أتت بتوأمين الا عاما واحدا فأتت بتوأم ذكر والانثى فكان مهرها أكثر الالوان فلما أراد الرجوع سأل شعيبا أن يعطيه ما أخذ لنفسه من الغنم فأعطاه ذلك فانطلق بأهله وماله فلما كان في الليلة المظلمة الباردة ضل الطريق وأخذ يقدح فلا يورى فرأى النار من بعيد فظنها كما ظن الناس فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين فعرف موسى أن الذي كلمه هو الذي كلم جده ابراهيم فخر موسى مغشيا عليه فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين أي من بني اسرائيل في زمانك أو أول المؤمنين بأنه لا يراك أحد فيحيا الا مات فلما ذهب عنه الغشي عاد الى مناجاة ربه فقال ما تلك بيمينك يا موسى فما أبصرها قط ولا علم أنها تتحرك فقال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخر قال فما هي يا موسى قال أما قوله هي عصاي أتوكأ عليها فقد علمت وأما قوله أهش بها على غنمي فكنت آتي الشجر فأضربها فيسقط الورق فترعاه غنمي وأما قوله ولي فيها مآرب أخر فانها تضيء لي بالليل كما يضيء الرمح وكنت أحمل زادي فيها فتصير لي كالراوية وكنت أتوكأ عليها اذا عييت وأجد غصنين يتثنيان من ورقها فيكفيانني ما أريد من دوابي وكنت أطرح بها لغنمي الورق فتأكل منه وكنت أقاتل بها السباع دوني وكنت أثب بها الى الشجرة فتصير في يدي كالدلو العظيم فتأتيني بالماء فيها فقال له ربه ما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخر قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى فأدخل يدك تحت عضدك ثم اضمم جناحك اليك فهذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فجعل يتعجب من ذلك فقال له ربه ما يحملك على التعجب من هذا فوعزتي لئن أردت لأجعلن منها ومن غيرها ثعبانا أعظم مما رأيت ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فسأل ربه أن يشد أزره بأخيه هارون ويطلق لسانه ويحل عقدة من لسانه ليفقه قومه في الدين ويؤمنوا بما جاء به من عند الله فأجابه الله الى ذلك كله وقال له سنشد عضدك بأخيك هارون ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون وقال له اني قد غفرت لك ذنبك من قتل القبطي وفتنتك اياك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء فخلصناك من فرعون وقومه وقال له اني قد اخترتك لنفسي أي اصطفيتك لرسالتي وكلامي وقال له ولتصنع على عيني أي تربى بمرأى مني وقال له اني قد جعلت لك ولأخيك آية في يديكما وقال له اذهبا أنتما وأخوك بآياتي أي بالتسع الآيات التي أعطيتك وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات وقال له اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى وقال له لا تخافا انني معكما أسمع وأرى وقال له اذهبا بآياتي ولا تنيا في ذكري وقال له اذهبا الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى فأتياه فقالا له ما قال الله تعالى فقال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى قال فما بال ما نجد في الكتب التي كانت قبلنا أنه يخرج من ذريتك قوم يأكلون في بطونهم ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يبصقون أيأكلون ويشربون قال نعم والذي نفسي بيده انهم لأكرم على الله من أن يبتليهم بشيء من ذلك فقال فما بال الرجل منا اذا جامع امرأته خرج منه الماء الدافق وان هي جامعته خرج منها الماء الدافق فقال موسى أما الماء الدافق فمن الرجل فمنه العظام والعصب وأما الماء الدافق من المرأة فمنها اللحم والدم والشعر فقال فما بال الرجل منا اذا جامع امرأته وهي حائض أو هو حائض فقال موسى أما الحائض فانها تعتزل الفراش ولا تقرب زوجها ولا تصلي ولا تصوم وأما الحائض فانه يعتزل ما يعتزل الحائض ولا يقرب الصلاة حتى يغتسل

خطاب واسئلني سمعته أمس حوالي نهار ذلك كله سريعاً بعض ما سأل وأمن عما خافني وأنجدوه بالله أنا ثلاث وثمرتي بين منتهم
بفتح أنعم وجر توطف بعمها وعمرهم بكسرها العود العلط كانت في رأسه نار أو لم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء
من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أي الجانب
(وأن ألق عصاك) وبودي أن ألقى عصاي فألقاها فقلبها الله تعالى (فلما رآها تهتز) تحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهي لعبان في
جثتها (ولى مدبرا ولم يعقب) برجع فعل له (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) أي أمنت من أن يسالك مكروه من الجانب (اسلك)
أدخل (يدك في جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب)
جناحي يعني يدي والرهب الخوف بفتحتين ومعنى الكل الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من برص فرأى أي لاجل الجانب
عن ابن عباس رضي الله عنهما كل حائف اذا وضع يده على صدره زال الخوف عنه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما جعل العصا صارت في يد موسى
واتقافها بيده كالمعجز الخائف من (٤٤) السبع فعل له ان ما فعل بك من عصا صيرها عند الاعداء أفعى فكما تتقلب حيته فاذا حل
يدك تحت عصر بدل مكان أعائك بها ثم أخرجها بيضاء لفعل الامران احدهما ما هو عصاه على
واظهار معجزة أخرى والمراد
بالجناح اليد لان يدي
الانسان عن يمينه وشماله
واذا أدخل يده اليمنى تحت
عضده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه أو أراد بضم
جناحه العتاد الموضوع
عليه عند ملاقاة العصا
حيه لا يضطرب ولا
رهب اسم مأخوذ من فعل
الطائر لانه اذا خاف نشر
جناحيه وأرخاهما والا
فجناحاه مضمومان اليه
ومعنى ان ومعنى من الرهب
من أجل الرهب أي اذا
اصابك الرهب عند رؤيته
الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان تصدقه أو علة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى
واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك اجعل احدهما عبرة واحدوا كني جوانب العبارين لاختلاف العرضين اذ العرض في أحدهما
خروج الشعاع وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك في طيه أدخل يمناك تحت يسراك (فذانك) فعلانك يدلك ومسددا
مكررا ومعنى ذلك فاحدى اليدين عوض من اللام المحذوفة ومعنى المراد باليد والعصا (برهانان) حجتان برهانان بدلان من الضمير
لانا نريدها من قولهم للمرأة التي جاءت برهرهة (من ربك الى فرعون وملائه) أي ارسلناك الى فرعون وملائه معجزتين من الآيات (انهم كانوا قوما
فاسقين) كافرين (قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون) به تعبيرا عن الموت المعنوي (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فارسله معي)
معينا (ردءا) حالا أي عونا يصدقني لانه اعلم وبلاغته مرتبة (يصدقني) عاصم وجزم صفته اي ردءا مصدقا والرفع على استئناف جواب لارساله
ومعنى تصديقه اياه زيادة الايضاح في مطابقة الحال ان احتاج الامر الى ذلك فانه كان يقول له صدقت أو يفعل ما يدل على صدقه
(اني أخاف أن يكذبون) بحذف احدى النونين

وقيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله
تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم
هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته
بجميع أجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن
ألق عصاك) اي فالقاها (فلما رآها تهتز) أي تحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة المعنى انها في سرعة
حركتها كالحية الا انها لم تعظم حركته (ولى مدبرا) أي هارب منها (ولم يعقب) أي ولم يرجع قال وهب انها لم
تدع شجرة ولا حجرة الا لقمتها حتى ان موسى سمع صريف أنيابها ومعها السحرة والسحرة حولها فعند ذلك
ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى أقبل (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك
يدك) أي ادخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أي برص والمعنى انه أدخل يده تحت ولها
شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) أي من الخوف والمعنى اذا اهالك أمر يدك وما
تراه من شعاعها فاد خلها في حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى ان يضم يده الى صدره
وذهب عنه ما ناله من الخوف فدعاه الحق سبحانه وتعالى وقال يا موسى الا اذا وضع يده على صدره زال الخوف
وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن وعد واجعل عصاك يدك جناحك لان من سار الخائف ان
يضطرب فاذا وضع يده على صدره زال الرهب الكائن بعد حسر ومعناه اضمم اليك يدك وأخرجها من كمك لانه زال
العصا وبقيت يده في كمه (فذانك) يعني العصا واليد البيضاء (برهانان) أي آيتان (من ربك الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الحق (قال رب اني قتلت منهم نفسا) يعني القبطي (فاخاف أن
يقتلون) اي به (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا) اي بيانا وافصح قال دلك للعقدة التي كانت في لسانه من
وضع الجمرة في فمه (فأرسله معي ردءا) أي عونا (يصدقني) يعني فرعون وقيل يصدقني هارون هو ان يفصح
الدلائل ويحسن عن السؤال ويجادل الكفار فهذا هو المعتبر في التصديق المقبول (اني أخاف أن يكذبون) يعني فرعون

(قال قد أجيبت دعوتكما) ستعرف أنه إذا اليد لشد بشدة العضد فلا تقوم اليد وحدها تقوى شدة العضد على مزاولة الأمور (وجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبة في قلوب الأعداء (فلا يصلون إليكما بآياتنا) الباء تتعلق بمحذوف أي لا يصلون إليكما بسبب آياتنا ولزوم الكلام أو تتعلق بنفس لكما سلطانا أي تسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو هو بيان للعالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه (أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بحجة من عند الله (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) حال مصوبة من هذا أي كائنا في زمانهم يعني ما حدث إلا في زماننا فكيف يكون له عاقبة الدار (إنه لا يفلح الظالمون) أي ربي أعلم بمن هو محق ومن هو مبطل وبمن تكون له عاقبة الدار

الرشاد وجنبه لا يستحق أضال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردا وابعادا عن الرحمة
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو الملعونين المشوهين سوادا لوجوه
(ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط
عليهم السلام (بصائر للناس) حال من (٤٠٦) الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي

(يدعون إلى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم صار ومدخل النار (ويوم
القيامة لا ينصرون) أي لا يعانون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي جزاء وعذابا
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المبعدين وقيل الهالكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه
وزرقة العيون ويوم ظرف للمقت وقيل (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى)
يعني قوم نوح وعادا وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أي لبصر وا دلائل فهتدوا به
(وهدى) أي من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) أي لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) أي يتعاظون
(وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) أي بجانب الجبل
الغربي قال ابن عباس يريد حين ناجى موسى ربه (إذ قضينا إلى موسى الأمر) أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر
معه بالرسالة إلى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا إلى موسى
وعهدنا إليه (ولكنا أنشأنا قرونا) أي خلقا بعد موسى أممنا (وطال عليهم العمر) أي طال عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره فلذلك أن الله عهد إلى موسى ورسوله عهودا في محمد
والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلف الخلوف بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها
(وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين) أي كمقام موسى وسط أهل مدين (تتلوا عليهم آياتنا) أي
تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتعرف أخبارهم (ولكنا كنا مرسلين)
يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا إليك كتابا مهيمنا على الكتب قبلك ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم
بها (وما كنت بجانب الطور) أي ناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (إذ نادينا) يعني موسى حين
الكلام بعوده وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا وأمته قال إنك لن تصل إلى ذلك ولكن إن شئت نادهم
أمته وأسمعك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال
الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء والأرحام أي أرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك إن الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد قد رحمتكم سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد
أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن جاءني
يوم القيامة شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كان ذنوبه أكثر من زبد
البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمة الله رحمد بإرسالك والوحي إليك واطلاعك على الأخبار العامة عمن
(لا تدري وما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما ذكر قصة
موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي
اتفقت لموسى فالمراد بقوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو إنزال التوراة عليه حين تكلم ربه معه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله إذ نادينا ربك المناجاة فهذه أعظم
الأحوال التي لم يشاهدها الرسول ولم يكن في هذه الأحوال حاضرا بين الله أنه علمه وعرفه هذه الأحوال الدالة

على هذه الأحوال الثلاثة ذكر بعد ذلك الوحي الذي هو أطال العمر ودل به على السبب الحاصل لهذا الاستدراك بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا) أي خلقا بعد موسى (وطال عليهم العمر) أي طال عليهم الأعمار وهم سعوا وطول العمر موضع للغفلة (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب ومن تبعه (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم بعد ما نسوها وتموت فتخبرهم بما فيها من غير سماع منك ولا قراءة (ولكنا كنا مرسلين) ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) من زمان الفترة بين عيسى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لعلهم يتذكرون)

ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر على الأقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الأولى لامتناع جوابها لحذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر المراد الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى ولولا إنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هذا أرسلت إلينا رسولا فحسن علينا بإرسالك إلينا أرسلناك إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو لئلا يقولوا ما قالوا كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لان القول لولا الإرسال لم يعلم به قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن العقوبة لما كانت (٤٠٧) سببا للقول وكان وجودها

على سوء ﷺ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا إنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم ولكنا نرسل إليهم رسولا ونكلفهم لئلا تكون لهم حجة على الله بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) قال اليهود أرسلوا إلى قريش أن اسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم هل ما أوتي موسى فعال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين أمروهم بهذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يقوي كل واحد منهما الآخر وقال ساحران يعني محمدا وموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أن نعته في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بصفته فقالوا اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا إنا بكل كافرون) يعني من التوراة والقرآن وقيل يعني محمدا وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني بالتوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا استدعاء على تعجزهم عن الإتيان بمثله (إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك) أي فإن لم يأتوا بما طلبت (فاعلم إنما يتبعون أهواءهم) يعني إن مشركي مكة ومن الكفار لا يحملهم على ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ﷺ قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس رد أولا أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا للكفار كما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كي يعتبروا بهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أي يعملون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) يريد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أهل الإنجيل الذين مدحهم الله في الخاتمة وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما المسلمين من الخاصة والخصاصة قالوا يا رسول الله إن لنا أموالا فإن أذنت رجعنا فأتينا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأنزل الله هذه

واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بعد ما كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أو في التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل علي (أتبعه) حتى نتبعه (إن كنتم صادقين) في أنهما سحران (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فإن لم يستجيبوا لدعائك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم إنما لم يأتوا لأنهم لا يتبعون إلا أهواءهم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى حال أي متجاوزا لحكم الله ولدلالته (إن الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) الوصل ضد الهجران وتكريره يعني أن القرآن أتاهم به تباعا واصلا بعضه ببعض وقيل وصلنا وعدنا ووعظنا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وهم الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) وهم أهل الكتاب

(قرآن كل شئ) معشر الكتبة كتبوا وأثبتوا من كل شئ (رواسي) هو مصدر لأن معنى جعلنا فيها رواسي أرسيناها (أموالا) من الثمار أبان كان بعضي مرزوق لخصها بالاضافة كما يضاف من النكرة لتخصصه بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمحذوف أي ما يسلبهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون بذلك ولو علموا لعلموا أن الخوف والأمن من عنده وإنما خافوا التخطف إذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تحويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بأنعم الله عليهم فلم يشكروا النعمة وما فوها بالبطر فأهلكوا وكم نصب بأهلكنا أو بمحذوف دل الخبر وإيصال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) مبتدأ وخبر أي ترى مساكنهم بأرض اليمن والشام في الأسفار كبلاد عاد وثمود وقوم سبأ وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الإشارة (من بعدهم إلا قليلا) من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافر ومارة الطريق يوما أو ساعة (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنها لأنا لا نملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) وتكسر الهمزة جر وعلى أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لإلزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها رسولا (٩ ٤) يعني محمدا عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) أي وما أهلكنا هم للإشراك إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الإعذار إليهم (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) وأي شئ أوتيتموه من أسباب الدنيا فإنما هو متاع تتمتعون به أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأنه دائم (أفلا تعقلون) أن الباقي خير من الفاني وخير أفعل من الشئ والشئ لا يخير ولا يشار به إلا إلى ما فيه اشتراك وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يزودها من الدنيا إلى الآخرة والمنافق يتمتع فيها كالأنعام والكافر يأكل رزق الله ويعبد الأصنام (وإن مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون يوما أو بعض يوم (وكنا نحن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا يذكرهم ويحض الأمم بعثه الرسول لأنه تعالى الآخذ بالعذاب وهم سكان المدن والرسل حيث بعثوا بعثوا في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني أنه يؤدي إليهم ويبلغهم وفيه تحذير لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) أي مشركون ﴿قوله عز وجل﴾ (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أي يتمتعون بها أياما حياتكم هي التي تتنعمون بها (وما عند الله خير وأبقى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالدور والأثاث إلى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي أن الباقي خير من الفاني وفيه ترجيح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل من هذا قال الشافعي من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك إلى المسلمين لطاعتهم الله تعالى لأن أعقل الناس من أعطى العمل الباقي وأحذ الكافر وهم الذين يطيعون الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لاقيه) أي مصيروصائر إليه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) أي بزهرتها (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار وهذا في حمزة وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ﴿قوله عز وجل﴾ (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغوينا)

أي دعوناهم إلى الهدى وهم الأصنام (أعوتناهم كما عوتنا) أي أصلناهم كما أضللنا (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) معناه برأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب) لو أنهم كانوا مهتدين) معناه لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واستبهت عليهم (الأنباء) يعني الأخبار والأعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يحتجون ولا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ﴿وقوله تعالى﴾ (وما لم يحاجك ما تساءوا به محمد) (الآية) نزلت هذه الآية حين قال المشركون حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى أنه لا يعبأ الرسل بأخبارهم لأنه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما شاء لا اعتراض عليه في أفعاله (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ما كان لهم ما كان هو الأصلح والخير لهم وهو ﴿ثم برأه الله تعالى بقوله تعالى﴾ (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أي تخفي (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) أي يحمد على ما فعل في الدنيا ويحمد به في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالجنة ولأهل المعصية بالنار (وإليه ترجعون) ﴿وله عز وجل﴾ (قل) أي يا محمد لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (إلى يوم القيامة) لا نهار فيه (من إله غير الله يأتيكم

عنده عذر ولا حجة لأنهم يتساءلون في الخير عن الجواب (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بربه وعمل صالحا فيما عنده (وعمل صالحا) يعني أن يكون من المفلحين) أي يعني أن يطلع عند الله ويعني بالكرام يحمد في وقته إشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب الكافرين على الأعمال وقيل نزلوا لما قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني مكة أو عروة بن مسعود (وربك يخلق ما يشاء) وفيه دلالة على الأفعال وقوله على (ويختار) أي ويرجح لمن يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ما كان لهم أن يختاروا على الله شيئا بل الله يختار ما يشاء ويرجح لمن يشاء (سبحان الله وتعالى عما يشركون) في ما كان لهم الخيرة لأنه لا يجوز أن يكون لقوله ويختار إلا المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار على الله ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة بعد أن تعذل ما ليس اختيار الخلق شيئا بل الاختيار لله تعالى وحده لا شريك له وأصلح فيهما مائل إلى الاختيار والخيرة من الخير يستعمل بمعنى المصدر وهو الخير وفي المختار كما لهم خيرة لله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله يرى عن أن يكون لأحد على الله اختيار (وربك يعلم ما تكن) يضمر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم وقولهم هلا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين (وهو الله) وهو الله (لا إله إلا هو) يعني لا إله في السماء كما هو إله في الأرض (له الحمد في الأولى) الدنيا (والآخرة) هو له الحمد الذي أدخل أهل الجنة الجنة الذي صدقهم وعده وسهل لهم الجنة وقيل الحمد لله على نعمه الله لا على نعمه (وله الحكم) القضاء بين خلقه (وإليه ترجعون) بالبعث والنشور يوم القيامة وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أخبروني يا محمد يا أهل مكة (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) هو معترض ما بين قل أي دائما لا ينقطع السرمد الدائم يقال لا أفعل هذا سرمد الدهر أي لا أفعله أبدا (إلى يوم القيامة

نهاره) أي نهار يطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي لا إله غيره (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنعم عليكم من الخطأ فضل أن من نعمه الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار مختلفين لأن المرء في حال البقاء وفي حال السكون مدفوع إلى التعب لتحصل ما تصلح به ولا سبيل له إلى ذلك لو كان النهار ولا حاجة تحصل الاجتماع فيه لمكاسب المعاش ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا جرم جعلهما مختلفين فالناس في الليل لا يتعبون ولا يكدون أنفسهم في الأعمال وفي النهار يتصرفون في مكاسبهم ومعايشهم وهذا يدل على أن المعاد لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأن الذي قدر على هذا لا يعجز عن شيء وهذا يدل على أن الإله لا بد وأن يكون عالما بجميع المعلومات لأن الإحكام والإتقان لا يحصل إلا بالعلم بجميع المعلومات (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يحتمل أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي (٤١١) الذين كنتم ترعمون) كرر التوبيخ

نهاره) أي نهار يطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) أي لا إله فيه (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنعم عليكم من الخطأ فضل أن من نعمه الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار مختلفين لأن المرء في حال البقاء وفي حال السكاسب مدفوع إلى التعب لتحصل ما تصلح به ولا سبيل له إلى ذلك لو كان النهار ولا حاجة تحصل الاجتماع فيه لمكاسب المعاش ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا جرم جعلهما مختلفين فالناس في الليل لا يتعبون ولا يكدون أنفسهم في الأعمال وفي النهار يتصرفون في مكاسبهم ومعايشهم وهذا يدل على أن المعاد لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأن الذي قدر على هذا لا يعجز عن شيء وهذا يدل على أن الإله لا بد وأن يكون عالما بجميع المعلومات لأن الإحكام والإتقان لا يحصل إلا بالعلم بجميع المعلومات (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي بعضا من ظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار (ولعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعمون) كرر للتأكيد النداء للمشركين زيادة في التوبيخ والتقريع (ونزعنا) أي أخرجنا وفصلنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لأن الأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك وخالفتم الرسل (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) الواحد (وضل عنهم) وغاب عنهم عند البيان (ما كانوا يفترون) من الكذب على الله وشفاعة آلهتهم (إن قارون) لا ينصرف للعجمة والمعرفة ولو كان فاعولا من قرن الشيء لا ينصرف (كان من قوم موسى) كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث فهو لو كان ابن عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) فلما كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل ظلمهم وبغى عليهم وقيل بغيه عليهم تكثره وقيل زاد في طوله ثلاثة أشبار (وآتيناه من الكنوز) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يعطي الله يوم القيامة من حرز ماله حلالا أحرز ماله في الصخور وقيل بغيهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه خزائنه (لتنوء بالعصبة أولي القوة) معناه تثقل عليهم وتميل بهم إذا حملوها يقال ناء به الحمل إذا أثقله وقال ابن عباس ما بين الإبهام إلى السبابة وقيل إلى الخنصر وقيل إلى الإبط بعين وقيل إلى الساعد قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوياء ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أعطي مفاتيح كنوز يوسف وكانت من جلد فما كبر وتعب عليه حملها من حسب وتعب فجعلها من جلود الإبل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل مفاتيحه أربعين بغلا (إذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تأشر ولا تبطر ولا تفرح (إن الله لا يحب الفرحين) أي الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وقيل إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها فأما من نظر إليها نظر من يعلم أنه صائر إلى الدار الآخرة ولم يفرح ولم يأسف على ما فات منها فليس بداخل في هذا الذم وقيل

لاتحاد الشركاء ليؤذن أن لا أحد أحب لعبد الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في سخط الله من توحيده (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لأن الأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك وخالفتم الرسل (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) الواحد (وضل عنهم) وغاب عنهم عند البيان (ما كانوا يفترون) من الكذب على الله وشفاعة آلهتهم (إن قارون) لا ينصرف للعجمة والمعرفة ولو كان فاعولا من قرن الشيء لا ينصرف (كان من قوم موسى) كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان

أسدا نعم عدى فى سرور * بقى عمه صاحبها تائه الا

(واسع مما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وطاعته فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك أن تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تحوز السعادتان لان جمعه نصب الانسان من الدنيا أن تعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وفعل لا بأس محتملة وقوله وسائل وعمالك ان تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن مهدى الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس سابق قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن مهدى لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم (واحسن كما أحسن الله اليك) أى أحسن بطاعة الله كما أحسن الله اليك بنعمه وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أى ولا تطلب (الفساد فى الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (انما أوتيته على علم عندى) أى على فضل وخير علمه الله عندى ورآنى أهلا لذلك فعطانى هذا المال علىكم كما فضلنى بعلمه وهو علم الكيمياء وكان موسى علمه فعلم يوشع بن نون ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا علمه وعلم قارون ثم فقدوهما وقارون حى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص قصدير ومن النحاس ذهبا وكان ذلك يكثر أمواله وكان علم حسن التصرف فى الحراث والزراعات وأنواع المكاسب ﴿ قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أى الاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) ومعناه ان الله تعالى اذا أراد عذاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وفعلهم لا يسألون سؤال استعلام وانما يسألون سؤال توبيخ وعرض وقيل لا يسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسماهم ﴿ وقوله عز وجل (فخرج على قومه فى زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الديباج الاحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) أى من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أى عما وعد الله فى الآخرة وقال ابن عباس يعنى الانبياء (ويلكم ثواب الله) أى ما عند الله من الثواب الجزيل (خير لمن آمن

أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأعتى لانه قد قرأه فى التوراة كما نه قيل أولم يعلم فى حكمه ما عذب من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو ابى لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل أعنده من ذلك العلم الذى ادعاه ورآى نفسه به مخصوصا لكل نعمه ولم يعلم هذا العلم الا نفر حتى بقى بنو اسرائيل الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يحاسبون النار بغير حساب أو يعرفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسماهم فلا يسئلون أولا يسئلون لعلم من حولهم بل يسألون سؤال توبيخ اولا يسئل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (فخرج على قومه فى زينته) فى الحمر والصفر وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها اى الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زينته وقيل على عليهم وعلى حوائجهم الديباج الاحمر وعن عكرمة ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وفى زينته حال من فاعل خرج اى مترينا (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) وقيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الغبطة فى الدنيا كعادة الدنيا ومثل كانوا كفارا (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون) فالموصول عائد الى ما والعائد هو الذى فى له من قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وقال الله له لتصكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نصر الله طعاما لانا كثير فنصر الله طعامنا فنشبع (انه لذو حظ عظيم) الحظ الخير هو الحب والدرجة (وقال الذين أوتوا العلم) ما ثواب والعمل وما عاقبة العصى لعنك الله يا قارون (ويلكم) اصل ويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والنصب على مثل ما يرمى به فى النار وقيل فى اعراب القرآن هو مصدر فعل محذوف اى الزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن

أى صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أى ذلك خير مما أوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أى لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهى قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أى على طاعة الله حتى يزينه الدنيا ﴿قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض)

﴿(ذكر قصة قارون)﴾

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأمرأهم للتوراة وأجلهم وأعلاهم وكان حسن الصوت وبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان مر قومه أن يعلموا فى أزقتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء و يعلموا بنى ميرل سبعا كلا فى فقال موسى يارب أولا مرهم ان يجعلوا أزقتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل يستصعر هذا الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فلم تطو فى الامر الصغير لم تطو فى الامر الكبير فجمعهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تتخذوا فى أزقتكم خيوطا خضرا كلون السماء اذا نظرتم ذكرتم ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الاربان بعد هم لكى يميزوا عن غيرهم وكان هذا بعد عصيانه و بغيه فلما سمع موسى بنى اسرائيل البحر جعلت الحوراء تمرون وهى رأسه المدبح فكان بنو اسرائيل يأتون تمرانهم الى هرون فصنعها على المدبح فينزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك فى نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وليس فى شئ من ذلك وانا أمرأ التوراة لاصبر لى على هذا فقال انما أنا ما جعلها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترينى بينه فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال لهم اعلموا انكم ان وجدتم عندكم عصا فهو نبى الله وان لم تجدوا عندكم عصا فهو غير نبى فكتبوا أسماءهم على العصى فأصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتز لها وورق فأخضر وكان قد سمى شجرة اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعجل قارون موسى بما أعده وجعل موسى يناديه للعرانه الى سبعين رجلا وهو يؤذيه كل وقت ولا يزداد الا عتوا وتجبرا وعاداه لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان المار من بنى اسرائيل بعد موت هرون يروح ويجد طعامهم الطعام و يجدونه يضاحكونه قال ابن عباس فلما رأى الركاء على موسى أتاه قارون فصالحه على كل الف دينار عشرة دنانير وعلى كل الف درهم عشرة دراهم وكل ألف شاة عشرة شياه وكذلك سائر الاشياء يرجح الى نفسه وحده شاكرا فلم يسمع بنفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم كل سبعة منكم وهو يريد أحدأموالكم فقالوا انك كبيرنا وسيدنا فقال انى أمركم ان تحدوا غلاما من بنى اسرائيل وتجعلوا علمكم لها جعلا على ان يقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عامة بنى اسرائيل فرحوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار والف درهم وقيل طشت من ذهب وقيل قال لها قارون أرأيت ان حلفت لموسى أنك لم تقذفى على أن تعطينى موسى بمسألة عند اذا حضرت بنى اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل فى مأدبة فقال ان موسى بنى اسرائيل قد طغى علينا وعصانا وقد أمرنا بأمر فان نحن فعلناه فهو نبى وان لم نفعله فليس بنبى فقالوا له مرنا بأمرك فقال انى قد أمرتكم ان تجدوا غلاما من بنى اسرائيل فيقذف موسى بنفسه فان فعل

ان كذبون رسولك فاعصمني فاوحى الله اليه اني أمرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني اليكم كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليسر فاسرعوا فسار موسى ومن معه وسار فارون ومن معه حتى اذا كانوا بين ظهراني الارض خسف بفارون وداره وأمواله فصار موسى يأمر الارض فتأخذهم فأخذتهم الارض حتى بلغت سرته ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك يستغيثون موسى وناشدوه فارون الله والرحم حتى فعل فابتلعتهم أجمعين مرة ومال سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظك أما لو سألني بحقك فارون سبعين مرة فلم أفعله أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة أو سجد لي سجدة واحدة قبل أن أخسف به الارض لفعلت ولكن حق لمن عصاني أن لا أرحمه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان فارون يؤدي الخراج من خمسة آلاف بغل كل بغل حمل وقر وكان له أربعة آلاف مملوك وكان له ألف جارية وكان له ألف بيت من ذهب وفضة وكان له ألف بيت من زجاج على أعمدة من ذهب وفضة وكان له ألف بيت من صفر وكان له ألف بيت من حديد وكان له ألف بيت من ساج وكان له ألف بيت من آجر وكان له ألف بيت من قصب وكان له ألف بيت من جلود وكان له ألف بيت من صوف وكان له ألف بيت من شعر وكان له ألف بيت من وبر وكان له ألف بيت من خز وكان له ألف بيت من قز وكان له ألف بيت من كتان وكان له ألف بيت من قطن وكان له ألف بيت من حرير وكان له ألف بيت من ديباج وكان له ألف بيت من إبريسم وكان له ألف بيت من عنبر وكان له ألف بيت من مسك وكان له ألف بيت من كافور وكان له ألف بيت من زعفران وكان له ألف بيت من خل وكان له ألف بيت من عسل وكان له ألف بيت من لبن وكان له ألف بيت من سمن وكان له ألف بيت من زيت وكان له ألف بيت من شراب وكان له ألف بيت من خمر وكان له ألف بيت من ماء وكان له ألف بيت من ثلج وكان له ألف بيت من برد وكان له ألف بيت من رمان وكان له ألف بيت من تفاح وكان له ألف بيت من سفرجل وكان له ألف بيت من مشمش وكان له ألف بيت من خوخ وكان له ألف بيت من كمثرى وكان له ألف بيت من تين وكان له ألف بيت من عنب وكان له ألف بيت من رطب وكان له ألف بيت من تمر وكان له ألف بيت من زبيب وكان له ألف بيت من فستق وكان له ألف بيت من لوز وكان له ألف بيت من جوز وكان له ألف بيت من بندق وكان له ألف بيت من صنوبر وكان له ألف بيت من حنطة وكان له ألف بيت من شعير وكان له ألف بيت من ذرة وكان له ألف بيت من أرز وكان له ألف بيت من عدس وكان له ألف بيت من حمص وكان له ألف بيت من فول وكان له ألف بيت من باقلا وكان له ألف بيت من لوبيا وكان له ألف بيت من ترمس وكان له ألف بيت من سمسم وكان له ألف بيت من بطيخ وكان له ألف بيت من قثاء وكان له ألف بيت من خيار وكان له ألف بيت من باذنجان وكان له ألف بيت من كرنب وكان له ألف بيت من جزر وكان له ألف بيت من لفت وكان له ألف بيت من فجل وكان له ألف بيت من بصل وكان له ألف بيت من ثوم وكان له ألف بيت من كراث وكان له ألف بيت من هندبا وكان له ألف بيت من خس وكان له ألف بيت من سلق وكان له ألف بيت من سبانخ وكان له ألف بيت من كزبرة وكان له ألف بيت من نعناع وكان له ألف بيت من ريحان وكان له ألف بيت من شاهسفرم وكان له ألف بيت من بقدونس وكان له ألف بيت من كرفس وكان له ألف بيت من شبت وكان له ألف بيت من طرخون وكان له ألف بيت من قرفة وكان له ألف بيت من قرنفل وكان له ألف بيت من دارصيني وكان له ألف بيت من سنبل وكان له ألف بيت من زنجبيل وكان له ألف بيت من فلفل وكان له ألف بيت من كمون وكان له ألف بيت من كزبرة وكان له ألف بيت من شونيز وكان له ألف بيت من حلبة وكان له ألف بيت من ينسون وكان له ألف بيت من رازيانج وكان له ألف بيت من كمون وكان له ألف بيت من كزبرة وكان له ألف بيت من شونيز وكان له ألف بيت من حلبة وكان له ألف بيت من ينسون وكان له ألف بيت من رازيانج

الآخرة) تلك نعلم لها ونخصهم لشأنها (نجعلها) نهيئها ونقدرها (للذين لا يريدون علوا في الارض) تعاظما وتكبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وقيل العلو التجبر كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتعلوا الوعد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليحبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل نفسه في هذا وعن الفضيل انه قرأها ثم قال هو لباس الامارة وعن عمر رضي الله عنه كان يردد هذه الآية حتى مات وقال بعضهم حجبهم السمع عن سماعه وأبصارهم عن رؤيته وقلوبهم عن معرفته (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) من جاء بالحسنة فله خير منها) من الجنة (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) من الاشراك (الا ما كانوا يعملون) الا جزاء ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها أو يزيد بغير حساب (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أي عاد الى معاد ليس لغيرك من البشر فاذكر المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاده الى يوم القيامة لما وعده من نصرة دينه وإعلاء كلمته وإظهاره على الاديان كلها وقيل معاده الموت أي يميتك ثم يحييك ثم يرجعك الى معاد وقيل معاده الجنة وقيل معاده آخر الزمان وقيل معاده القيامة وقيل معاده لدى الله حيث لا يملك الامر غيره وقيل معاده الى الدنيا بعد الموت وقيل معاده الى الدنيا بعد ما يرى من الثواب والعقاب

وقال له أشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب من عند الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين ومعاده هو أعلم بالفريقين ﴿ قوله عز وجل (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي توحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم ودلك حين دعوه الى دين آبائه وذكروا نعمهم عليهم وما هم فيه من مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته ووحدانيته (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي لا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واحد على الكل لأنه خاطبه بخصوصه لاحل المعظم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهي قلت الخطاب مع النبي والمراد به غيره وهو لزوم الامة لا بعد غيره وكذلك في أول كلامه أولا تعبد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أي (الا وجهه) أي الا هو والوجه تعبير به عن الذات وقيل معناه الا ما أريد به وجهه لان عمل كل شئ ازاله عن الله فهو هالك (له الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أي ترددون الآخرة فيجزيكم باعمالكم والله أعلم بمراده

(تفسير سورة العنكبوت)

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها اثنتا عشرة مائة وحروفها أربعة آلاف وثمانمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أي أظن الناس (أن يتركوا) أي بغير اختبار وابتلاء (أن) أي أن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي لا يختبرون في أموالهم وأنفسهم كالمخلص من المنافق والصادق من الكاذب نزل في ناس هذه الآية في أناس كانوا أسلموا فعذبوا وفتنوا فكان عذابهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يتعلم منكم الا قرار بالاسلام حتى يهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فعاتبهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد عمار بن ياسر وعبدهم وقتل في عذاب كان يعذب في الله تعالى وقتل في مجمع من الناس مولى عمر وكان أول من قتل

لانها آخر ما نزل من القرآن (كل شئ هالك الا وجهه) أي الا ما أريد به وجهه عبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء في خلقه (واليه ترجعون) بالتاء وكسر الجيم وقرئ بالياء وفتح الجيم (سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قد يأتي على الاصل وهو الظن وقد يأتي على اليقين فعلى الاول فعل الحسبان حتى يتعلق بالعرض والكلام الدال على المعنى الذي يصح أن يتعلق به الحسبان هو أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن بعد رد أحسب وأن تركهم عبر عنه وبين لقولهم آمنا فالترك الذي يتعلق حسب لقولهم آمنا هو الخبر وأما عبر عنه وبين هو الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير تركه يحور الشئ بمعنى صيره كما يقال في المثل ترك السيف بضربه أي صيره بضربه فيكون تقدير الكلام أحسب الناس بعد أن صيرهم قولهم آمنا على بعد أن حصل ومسهم قول اللسان وهو الاقرار بالايمان دون أن يكلفوا ما يصعب من معارفه الاوطان كالجهاد الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات بالصبر والعبادات أنواع المصائب الابدان والاموال وصابرة الكفار على أديانهم كرهها وهي ما أمر الله صلى الله عليه وسلم بهجرها وبعد أن أمر بها أو ندبا وكما

من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة سوى أواه وامر انه فانزل الله هذه الآية ثم عيرهم فقال تعالى (والذين قالوا لوالديهم أف لكما) نعي الآباء منهم من يسر بالمشار ومنهم من مسل واما لي سوا مسل يعرعون فكان نسومهم سوء العذاب (فليعلن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (ولنعلن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاخبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى نوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال الخلق تصعد فتظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ﴿ وقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني السرك (ان يسبقونا) أي يفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون) من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وعمل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لآت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمن فليستعد لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيسمعهم أو يعاقبهم أو يثيبهم ﴿ وقوله تعالى (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن اعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء كلها أعطى جميع ما يطلبه منه ولا يبخل عليه بشيء البتة وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعدله فلا يمنعه عن ذلك مانع (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي لنمحون عنهم عقاب ما عملوا من السيئات حتى نصير عملهم كأنه لم يعمل والمراد بالحسنة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) اي بأحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل بعظمهم أكثر مما عملوا ﴿ وقوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه ألزمناه عطفا عليهما والمعنى وصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن ويأتي هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأمه قالت له أمه ما هذا الذي احدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت وتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا فاتل أمه مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وأتوها فقالت لها أما لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركتني

ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أي بئس حكما يحكمونه حكمهم (من كان يرجو لقاء الله) أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فان أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لا محالة فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يعملونه فلا يضيع ما وعد الرجاء من الثواب وبرجع بالابتداء وبحوال الشرط فان أجل الله لآت كقولك ان كان زيد الدار فعمرو صديق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان يدفع وساوسه أو الكفار (فانما يجاهد لنفسه) لان ثمرة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم

وانما أمر وهي برحمته اياه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي السرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) اي احسن جزاء أعمالهم في الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمنا أمرنا ونصرنا يقال وصيت له ان يفعل خيرا كما تقول أمرته ان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا أو بأن بالديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ماهرا في دينه حسن لقرط حسنه وقوله الا ان حسنا او تحذف ان تجعل حسنا نفس ان وقوله وان جاهداك لتشركني ما ليس لك به علم فلا تطعهما نزلت في سعد وذلك انه لما اسلم وحسن اسلامه قالت له أمه أليس قد أمرك الله ان تطيعني وأنا أمرك بهذا فمكثت ثلاثا حتى غلبت فجاءت ابنا لها يقال له عمارة فشكت اليه فقال والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دين

أضمر القول معناه وقلنا (وان جاهداك) أيها الانسان (لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كله قال لتشرك بي شيأ لا يصح ان تكون الهاً (فلا تطعهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الي مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم حق جزائكم وفي ذكر الرجع والوعد بعده زمن متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين وروي ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم بمر به أصحابه لا يأكل ولا يشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في العنكبوت والتي في الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ أول الخبر (لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام (٤١٧) وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله) اي اذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) اي واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم أي في ما أنتم فيه لكم في دينكم فاعطونا ما نال من الغنم (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي هو اعلم بما في صدور العالمين من الايمان والنفاق وفي صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين

وكلي ان سنوات سنت فلانا أن كلي فلما أن سنت منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالصائرا له فقال تعالى (الي مرجعكم فانبئكم) أي فاخبركم (بما كنتم تعملون) أي بصالح أعمالكم وسيئاتها أي فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) اي في زمرة الصالحين وهم الانبياء او الاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة ﴿قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي) يعني أصابه بلاء من الناس اذ من (في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) اي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر على ما اطاع الناس كما يطيع الله من يخافه من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) اي فتح وظفر للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا على ما قلنا فاعطونا كما قسم الله تعالى لنا (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أي صدقوا (وليعلمن المنافقين) اي بالبلاء (وقال الذين كفروا) يعني من اهل مكة (للذين آمنوا) أي من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا (وليحمل خطاياكم) يعني من الكفر والمعاصي كل ذلك قول الله تعالى ذكره (وليحملن خطاياكم) اي أوزاركم والمعنى انهم سألوا احتمال كل خطيئة كما كذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالهم) أي أوزار اعمالهم التي عملوها لما فسهم (وأثقالا مع أثقالهم) أي أوزارا من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان قيل قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقال هها وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وكيف الجمع بينهما فالجواب معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بحمل كل واحد تحمل خطيئة نفسه ووزر اضلال المضلين اوزارهم ويحملون اوزارا من اضلوا اضلالا في غير هم وهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من اوزارهم شيء رواه مسلم (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) اي سؤال توبيخ وتقرير لانه تعالى عالم باعمالهم واقوالهم ﴿قوله تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث) أي اقام (فيهم) يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده (ألف

(٥٣ — (حازن)) — (سابع)

آمنوا واعملوا الصالحات) أي حالهم ظاهره كباطنه ممن عاش اخيارا عليها (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أمروهم بالاتباع لهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم وعطف الامر على الامر وارادوا بالجمع هذان الامران في الحصول ان يتبعوا سبيلهم وان تحمل خطاياكم والمعنى تعالين الحمل بالاتباع أي ان اتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول من اذن من رؤسائهم كانوا يقولون لمن آمن منهم لا بعث ولا أنتم فان كان ذلك فانا نحمل عنكم الاثم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) لانهم قالوا ذلك وقولهم على خلافه كما كذبهم الذي بعدوب الذي وعدوهم به الخلف (وليحملن أثقالهم) اي أوزار اعمالهم يعني أوزارهم بسببهم (وأثقالا مع أثقالهم) أي أوزارا أخر غير خطاياهم الى صدوا المؤمنين عن الايمان بها وهي أوزار الذين كانوا سببا في ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين اضلوهم بغير علم (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) من الاكاذيب في الاباطيل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف

سنة الاخمسين عاما) فان فائدة هذا الاسناد هو لا قال سبعمائة وخمسين سنة فلربما ظن
احدهما ان الاسناد يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة
فعديوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا سيرا أزال ذلك الوهم
ويفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لسان ان نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد
ألف سنة وكان المراد الكثير فلذلك أتى بعقد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه نكتة لمعنى صلى الله عليه وسلم
حث أعلم ان الاسناد قد استعمل في قوله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما فدعوهم فصبر في الدعاء ولم
يؤمن من قومه الا قليل فاب أولى بالصبر لعله مدة لبث وكثرة من آمن لذلك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين
سنة ونبي في قومه فدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وكان
عمره الذي خمسين عاما وقوله تعالى في عمره عمر ذلك ﴿ قوله تعالى (فاخذهم الطوفان) أي فاغرقهم (وهم ظالمون)
قال ابن عباس مشركون (فانجيناه وأصحاب السفينة) يعني من الغرق (وجعلناها) يعني السفينة (آية)
اي عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقبى هم بالغرق عبرة ﴿ قوله تعالى
(وابراهيم) أي وارسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي أطيعوا الله واخافوه (ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون) اي ما هو خير لكم مما انتم عليه من عبادة الاوثان لو كنتم تعلمون (انما تعبدون من دون الله أوثانا
وتخلقون افكا) أي تعبدون آلهة اصناما وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من
دون الله لا يملكون لكم رزقا) اي لا يقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق)
الكامل هو الرازق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) قال عطاء عبادته والشكر له على النعمة وفتح الياء وكسر الجيم تعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم من
قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني ولا تصدقوني فقد كذبكم قبلي الرسل فلي تكذيبهم أسوة بهم وما عاقبة من
أهلكهم حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد أدى ما عليه من أمر التبليغ الذي لزمه السلام وهو ابراهيم ما آتاه الله
ومعجزاته أو وان كذبتموني فما أنا بأول من كذب من الانبياء فاسوة بمن كذب قبلي في سائر الانبياء وما على الرسول الا البلاغ وما عليه ان تصدق ولا تكذب وهذه الآية
والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اعتراض بين كلام ابراهيم عليه السلام وقومه والمراد بالامر له قوم سمعوا دعوته
ونوح عمرهم وان يكون آية وقعت معترضة بين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت ما الحامل
الاعتراضه لانه لما ذكر انهم اصابتهم الصاعقة بسبب تكذيبهم فلا تقول كذبوا فاخذهم الله بل كذبوا ابراهيم فما الذي أراد بقصة ابراهيم عليه السلام
قلت الا راد له قلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون سلاة له بان اباه ابراهيم عليه السلام كان لقي ما لقي من قومه
وصبر على ما صبر من الاذى فاعرض عن قولهم وان كذبوا فعليهم ما كسبوا وان كذبوا فقد كذب ابراهيم نوح وكل أمة نبيها
لان قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه كناية عن تكذيبهم اياه لا ان قصد بيان ان قالوا اقتلوه او حرقوه

(كيف يبدئ الله الخلق) أي خذوا دلائله وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس معطوفا على يبدئ ولا تشك الرؤية واقعة على ما هو الظاهر على سبيله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (إن ذلك) أي الإعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وإن كان من كلام إبراهيم فمعذور وأوحيا إليه أن قل (سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لعلكم تعتبرون فطركم الله بالمشاهدة وبدأ أبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والمدخل كالمتن وأنوعهم وهذا دليل على أنهما نشأتان بأن كل واحد منهما أنشأه أي أوجده واختراع وأخرج من العدم إلى الوجود بعد أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك والعباس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم يبدئ النشأة الآخرة لأن الكلام معهم ومع في الإعادة فلما رهم في الابتداء بأن الله أحق عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الابتداء فإذا لم يتعذر الابتداء وجب أن لا يتعذر الإعادة وكذلك قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فالمسمى على هذا المعنى أمر واحد وهو مسند (إن الله على كل شيء قدير) فاذر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والطاعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه أو بمنعه الدفع وملازمة (٤١٩) النسمة (وإليه تقلبون) ترددون وترجعون

أن يكون من تمام قول إبراهيم لقومه وصل إنهاء وعظ معترضة في قصة إبراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم بشرا ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) أي في الآخرة بدا بعد بدء (إن ذلك على الله يسير) أي الخلق الأول والخلق الثاني (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم إن الله الذي خلقهم يبدئهم نشأة ما بعد الموت والمعنى وكما يبدعهم أحدثهم هكذا لا يتعذر عليه إنشاؤهم بعد الموت بدا (إن الله على كل شيء قدير) أي من البداءة والإعادة (يعذب من يشاء) عدالة (ويرحم من يشاء) تفضلا (وإليه تقلبون) أي ترددون (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء في السماء ومعنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يحميكم (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك يئسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات التي تذكر أهل مكة بها قصة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقال الرؤساء للأتباع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أي بأن جعلها عليه بردا وسلاما قيل إن ذلك اليوم لم يبق أحد من النار (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي تتحابون عليها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) بسبب الأوثان من عابد يتبرأ من المعبود في الدنيا ويلعن كل واحد منهما صاحبه (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) أي ما يمنعكم من عذابه (فآمن له لوط) أي صدقه برسالته وآمن بمعجزاته وهو أول

واحد منهم وكان الناموس واحدا في جميعهم حكما تعالى فاختلفوا على نحو ما ذكره (فأنجاه الله من النار) حين أرادوا قتله بها (إن في ذلك) ما فعلوا به وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم إلقاء إبراهيم في النار وذلك أنها حرقت (وقال) إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) حب وتواصل ود بينكم مدني وشامي وحمزة وحلف مودة بينكم مكي وبصري وعلي مودة بينكم الكسائي والمرجئي الباقون على الإضافة إلى الفاعل أي اتخذتموها لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وإعانة بعضكم بعضا كما يعين الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وإن كان معمولا بالقول كقوله اتخذ إلهه هواه وما كانه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبر الإن وما موصولة وأن يكون خبر إن محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله سقاه بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم على الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) بسبب الأصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أي يوم القيامة يعلو بينكم اللعن ويلعن الأتباع المتبوعين والمتبوعون الأتباع (ومأواكم النار) أي مأوى العابدين والمعبودين والتابع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) منه (فآمن له) لإبراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخي إبراهيم وهو أول من آمن له بعد رأى النار لم تحرقه

من صدق ابراهيم وأما في أصل الوحدانية كان مؤمنا لان الانبياء لا يصورون منهم الكفر (وقال) يعني ابراهيم (اني مهاجر الى ربي) الى حيث أمرني ربي مهاجرا من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى ورسوله وسار الى بيت أمر الله بالهجرة اليه وقيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي يعز من أعداني (الحكيم) الذي لا يأمر الا بما ينبغي ﴿قوله تعالى﴾ (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يعني ان الله تعالى لما اعتزل ابراهيم الامر نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه والصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿قوله عز وجل﴾ (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفاحشة لان كان فاسقا فالم يكن فاحشة لان أحدا منهم لم يعدم عليها فالواو لم يذكر على ذكر مثل قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالغلبة وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعترضهم السائل عن الفاحشة (وتأتون في ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس نادي الا اذا دام فيه أهله (المنكر) أي المضار طه والمخاصمة والسباب والقبض في المزاح والخذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة بالسوالك بين الناس (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) ضمنا بعد نزول العذاب انكم أنتم ساحر ومجنون وهو الموحد في الامام وقيل واحد من كوثى عبر بخمس آيات كم آيتكم بمعنى معدودة بعدها ياء مكسورة أو عبر وانتكم بمعنى معصورة بعدها ياء مكسورة ومكي وبابع الباقين

عبر فالون وسهل ويعقوب بعبر بد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والمولد هو اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية) اضافوها كلها لما لم يعتد بعد الايمان والقرية سدوم التي قيل فيها أحوج من فاسي سدوم وهذه القرية تشعر بأنها غير التي من موضع ابراهيم عليه السلام فالوا انا كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) أي الظلم فاشيا فيهم في الايام السالفة وهم على مصر من ظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) اي أتهلكونهم وفيهم من هو مرئي في العلم وهو لوط (قالوا) أي الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) أي لوطا (وأهله) أي أهل بيته المؤمنين (الا امرأته) أي لا امرأة لوط (كانت من الغابرين) الباقين في العذاب ثم أخبر عن سرعة امتثال الملائكة لما أمرهم ابراهيم بقوله

(ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم وان ساءلها كذلك وحودا للغلبة من أحدهما على الآخر كلهما وحدائي حرا حد من الزمان كأنه قيل كما أحس بغمهم فاحأنه المساءة من غير روية فضاقت عليهم من هو منه ان يدافعوهم بالقهر وسوء بهم مدفع وساء بهم على (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فصرف ذلك مثلا في الخير والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك) وبالتخفيف مكي وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أي وننجي أهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون) منزلون ساخطا (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) (٤٢١) هي آثار منازلهم الخربة وهي الماء الاسود على وجه الارض (لقوم) يعقلون بتركنا أو بينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) واعملوا ما ترجون به الثواب في الآخرة أو خافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان الصيحة ترجف بها (فأصبحوا في دارهم) في بلدهم وارضهم (جاثمين) بارکين على الركب ميتين (وعادا) منصوب بفعل مضمر أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لا به في معنى الاهلاك (وثمود) خبره وحمص وسهل وبعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصف من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في اسفارهم الى الشام (وزين لهم الشيطان اعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا سلوكه هو الايمان بالله ورسله (وكانوا مستبصرين) عقلاء ممكنين من النظر وعبر الحق من الباطل ولكنهم لم ينظروا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فعرضنا على من نحو ارسال العذاب به بعذبنا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) بتعذيبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أمثال الله الاوبان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما يتخذه لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ما يؤذي فكذلك الاوبان لا ينفعهم في الدنيا والآخرة ولعل ما اتخذته لا

الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) أي ظهر من الانس فعارف عليهم ومعناه ان ساءه ماساءه (وضاق بهم ذرعا) أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا لا تخف) أي من قومك (ولا تحزن) علينا (انا منجوك وأهلك) أي انا مهلكوهم ومخلصوك وأهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أي عذابا (من السماء) قيل هو الخسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أي من قرية لوط (آية بينة) أي عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعني اذا تدبروا الآثار تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض ۞ قوله تعالى (والى مدين) اي وأرسلنا الى مدين واسم رجل وهو لما سمي المدينة وعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى قرية مدين وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) اي اعملوا لما ترجون اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) اي بارکين على الركب ميتين (وعادا وثمود) أي واهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أي من مرارلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء عبريين بصاروا قيل كانوا ممكنين في دينهم وصلاتهم بحيث يمكنهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحات (فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) أي فائتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) اي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) اي بالاشراك ۞ قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعني الاصنام ترجون نصرها وهي (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تغني عبادها ولا ضروا ولا نفعا والمعنى ان المشرك الذي يعبد الاصنام مثاله الى الوهن الذي يعبد الله تعالى بعبادة ما من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا آخر وحص أوعر من حجر

فكما أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان دين من اتخذ إلها غير الله ولا قدرة لهم على عبادة الأوثان لأنها لا تبصر ولا تسمع (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار إلى صحة ما قال الرجاج إذا همت على أولاده لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد سبق أن دينهم أوهن الأديان (لو كانوا يعلمون) أي إن هذا مثلهم وإن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني أن الذي يدعون من دونه ليس بشيء (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يحق للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس بشيء أصلا (وتلك الأمثال) أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي سمعت أحوال الكفار من هذه الأمة بأحوال كفار الأمم السالفة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها إلا العالمون) يعني ما يعمل الأمثال إلا العلماء الذين يعلمون عن الله عز وجل روى العوفي بإسناده المتقدم عن جابر عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال العالم من عمل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق وإظهار الحق (إن في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿ وقوله تعالى (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلوة) قال علماء المعاني أمرهم بدوام الشيء بلزوم الكتاب وإقامة الصلاة فعطف قال الأمثال العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قسم هي الاعتقاد الحق وإليه وهي الذكر الحسن وقد سبق وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا تكرار فيه فإن عدد مرة أخرى دل ذلك على دوام مستمر وفي الذكر والعبادة البدنية وهما متكافئا الذكر أردف ذلك أمرهما (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الأعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة نهي ومن لم تحجزه عن معاصي الله فلم يأمر صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد صلاته من الله إلا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر صلاته وبال عليه ومن داوم على الصلاة حرم ذلك إلى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يدع من الفواحش سيئا إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه يوما فلم تلبث أن تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية إنه ما دام في صلاته فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله إن في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لعدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معنى الآية إن القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال ستنهاه صلاته وروى أبو داود بإسناده عن أبي بكر قال قلت يا رسول الله إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق

فكما أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان دين من اتخذ إلها غير الله ولا قدرة لهم على عبادة الأوثان لأنها لا تبصر ولا تسمع (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار إلى صحة ما قال الرجاج إذا همت على أولاده لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد سبق أن دينهم أوهن الأديان (لو كانوا يعلمون) أي إن هذا مثلهم وإن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني أن الذي يدعون من دونه ليس بشيء (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يحق للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس بشيء أصلا (وتلك الأمثال) أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي سمعت أحوال الكفار من هذه الأمة بأحوال كفار الأمم السالفة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها إلا العالمون) يعني ما يعمل الأمثال إلا العلماء الذين يعلمون عن الله عز وجل روى العوفي بإسناده المتقدم عن جابر عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال العالم من عمل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق وإظهار الحق (إن في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿ وقوله تعالى (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلوة) قال علماء المعاني أمرهم بدوام الشيء بلزوم الكتاب وإقامة الصلاة فعطف قال الأمثال العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قسم هي الاعتقاد الحق وإليه وهي الذكر الحسن وقد سبق وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا تكرار فيه فإن عدد مرة أخرى دل ذلك على دوام مستمر وفي الذكر والعبادة البدنية وهما متكافئا الذكر أردف ذلك أمرهما (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الأعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة نهي ومن لم تحجزه عن معاصي الله فلم يأمر صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد صلاته من الله إلا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر صلاته وبال عليه ومن داوم على الصلاة حرم ذلك إلى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يدع من الفواحش سيئا إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه يوما فلم تلبث أن تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية إنه ما دام في صلاته فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله إن في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لعدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معنى الآية إن القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال ستنهاه صلاته وروى أبو داود بإسناده عن أبي بكر قال قلت يا رسول الله إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق

وقيل العلم على العمل (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي بحقائق ما فيهما من الدلائل على حكمته وهي أن يكونا [illegible] مساكن لعباده وعبرة للمعتبرين بهم ودلائل على عظم قدرته الآية إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر لأنهم هم المعتبرون بها (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) تقرأ يا محمد من القرآن على قراءة كافة الناس وواظب على ما أمرت به وهي نهي عنه (وأقم الصلوة) أي دم على إقامة الصلاة (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا (والمنكر) هو ما ينكر الشرع والعقول من كل ذلك إلى أن قال تنهى عن السيئات وتمامه ما روى أنه قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال إن صلاته لترد عليه روي أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم تلبث أن تاب وقال ابن مسعود إن الصلاة تنهى صاحبها أي إذا كمل شرائطها وأركانها وقد تخلف عن الخمسة والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته

من الفحشاء والمنكر لأن الصلاة تنهى عن ذلك قال الله تعالى (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله إياكم بالثواب أكبر من غيره من الطاعات وقيل ذكر الله ليس بمقابل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره إياكم سبب العلم والإحسان ولأن ذكره لا ينسى وذكركم لا يسقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل بعد قال عليه السلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله وسئل أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أورد ذكر الله أكبر من أن تحوبه (٤٢٣) أفهامكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من أن تلقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في الهيئ عن الفحشاء والمنكر من غيره (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن الجواب وهي مقابلة الخشونة باللين والعنف بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (إلا الذين ظلموا منهم) فأقروا على الإعراض عن الجواب ولم يرعووا لها أو أبوا إعطاء الجزية مع تمكنهم أو لجوا في الجدال بعد ظهور الحق أو آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أو اتخذوا عزيرا ابنا أو عبدوا الصنم في زمن الفترة وهو الرجل الذي طال عمره حتى عاد إلى دين قومه بعد ما نسيه أو أرسل الله إليه ملكا فأماته مائة عام ثم بعثه كذا قيل وقيل هو الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقيل هو أرمياء أو شعياء أو دانيال أو حزقيال أو يوشع بن نون أو لقمان أو الخضر عليهم السلام وقيل هو العزير لا لأنه قاله بعينه بل لأن غيره قاله بعده فإذا نسب إلى الجميع لم تعتبر وحدة القائل فضلا عن تعينه واحدا والوجه في تعديه إلى ضمير المؤمنين والى

بالليل وقال إن صلاته ترد عليه على كل حال فأما المراعي للصلاة لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لا يراعيها (ولذكر الله أكبر) أي إنه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويخضب دما في سبيل الله فالذاكرون الله كثيرا أفضل درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه وتعبر العرب الناس وحده مراعاة للأمر والنهي وقيل هم المجلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (ح) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى أن أعرابيا قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه وروي مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي لذكر الله إياكم أكبر من ذكركم له (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفى عليه شيء من أمركم ﴿قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخاصموهم (إلا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء إلى الله بآياته والاستدلال على صحته وأراد بهم من قبل الجزية منهم (إلا الذين ظلموا منهم) أي أبوا أن يعطوا الجزية وقيل والحرب فاقتلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب دون من لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية إذا حدثوكم عما في كتبكم (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (ح) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية ﴿قوله عز وجل (وكذلك) أي كما أنزلنا إليهم الكتاب (أنزلنا إليك الكتاب) أي القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) ودلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي نعتوه في التوراة والقرآن فجحدوا به حسدا وبغيا فكيف يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) روي أن اليهود قالوا يا محمد إنك تقرأ نعتك وصفتك في التوراة وأنت لا تكتب ولا تقرأ فأنزل الله تعالى هذه الآية فزال الارتياب عن المؤمنين وبقي في قلوب الكافرين (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أصحابك يحفظونه ولا يقرءون كتابا قبله (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي اليهود حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من العلم والنبوة (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي هلا أنزل عليه آيات كما أرسل الأولون كالناقة والعصا واليد البيضاء (قل إنما الآيات عند الله) أي هي في قدرته يأتي بها متى شاء (وإنما أنا نذير مبين) أي مخوف بالنار ومبين الأمر بالدلائل (أولم يكفهم) أي أو لم يكفهم (أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي يقرأ عليهم في كل وقت وهم أمة أمية لا يقرءون كتابا ولا يخطونه بأيديهم فهو أعظم الآيات (إن في ذلك لرحمة) أي لنعمة عظيمة (وذكرى) أي وعظة (لقوم يؤمنون) بالقرآن فيعلمون أنه من عند الله وهو الرسول الذي بشر به الأولون (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) على صحة ما جئت به من عنده (يعلم ما في السموات والأرض) أي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وأقوالهم (والذين آمنوا بالباطل) أي بالأصنام (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) في عاقبة أمرهم ﴿قوله عز وجل (ويستعجلونك بالعذاب) أي بالعذاب الذي توعدهم به في الدنيا وهو القتل والأسر يوم بدر (ولولا أجل مسمى) أي وقت معلوم عند الله لا يعلمه غيره (لجاءهم العذاب) أي في الدنيا (وليأتينهم بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانه (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي في الآخرة (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي يحيط بهم من جميع جوانبهم (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي ﴿قوله عز وجل (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) أي إن لم تتمكنوا من عبادتي في أرض فتحولوا إلى أرض أخرى وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا فقيل لهم إن أرض الله واسعة فهاجروا فيها (كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون) أي فنجازيكم على أعمالكم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي لننزلنهم في الجنة في غرف (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي الجنة (الذين صبروا) على أذى المشركين وعلى مفارقة الأوطان (وعلى ربهم يتوكلون) في أمورهم ﴿قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي لا تدخره لغد (الله يرزقها وإياكم) أي من حيث لا تعلم ولا تدري كما قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (وهو السميع العليم) أي لأقوالكم (العليم) بأحوالكم ﴿قوله عز وجل (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن عبادته بعد إقرارهم بأنه الخالق القادر (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي يضيق على من يشاء (إن الله بكل شيء عليم) أي لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) أي على اعترافهم بأنه الخالق القادر (بل أكثرهم لا يعقلون) أي لا يعلمون أن الحمد لله وحده لا شريك له ﴿قوله عز وجل (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) أي ما الحياة الدنيا إلا كلهو ولعب يلهو به الصبيان ثم يزول (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة (لو كانوا يعلمون) أي لو علموا ذلك لما آثروا الفاني على الباقي ﴿قوله عز وجل (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) أي فإذا ركبوا في السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده وتركوا الأصنام لعلمهم أنها لا تغني عنهم شيئا فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون بالأصنام (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليجحدوا نعمنا عليهم في الإنجاء من الغرق (وليتمتعوا) أي في الدنيا بما هم فيه من الكفر والمعاصي (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم ﴿قوله عز وجل (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) أي ذا أمن يأمن فيه من دخله (ويتخطف الناس من حولهم) أي يقتل الناس ويسبون ويغار عليهم من حول مكة (أفبالباطل يؤمنون) أي بالأصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي بالإسلام ﴿قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي بنسبة الشريك والولد إليه (أو كذب بالحق لما جاءه) أي بالقرآن (ألم في جهنم مثوى للكافرين) أي مقام لهم ﴿قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي لنوفقنهم لدرك ما وعدنا به من الثواب (وإن الله لمع المحسنين) أي بالنصر والمعونة

فوقهم ومن تحت أرجلهم) بقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم مثلها ولا وقف على الكافر بل الان يوم طرحها على أهل النار بهم (ويقول) بالياء كوفى وبالنون وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاء أعمالكم (ياعبادى) وبسكون الياء مدنى وكوفى غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضى واسعة) وبفتح الياء مدنى بمعنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يمكنه أمر دينه فليهاجر عنه الى بلد يتمكن له فيه أسلم فليأت أصح دينا وأكثر عبادة والتقاعد فى ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم تعدأ عون على قهر النفس وأجمع للعلم وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من العشق وأرفق للأمر الدينى من مكث حيث لا يتهيأ له تعالى ومن سهل اذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان سبرا من الارض استوجب الجنة (فاياى فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فاياى فاعبدوا فاعبدونى وجهه

(٤٢٥)

بالعبادة فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فاخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقدم المفعول مع افادة تقدمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم ستع الها حرتقوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واحدة من اراده وكرره كما تعد الدائن طعم المذوق لانها اذا ذاقت الموت سهل عليها ما ورده وطنها (ثم الينا ترجعون) بعد الموت بالثواب والعقاب ترجعون بعضهم الى بعض ترجعون بعضهم الى الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة (غرفا) لنبزلنهم من القصور تمثيلا لمنزلتهم عند الله والذين جاهدوا الواء طلب العلم لهديتهم نوفى العمل به وعن سهل الذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل الثواب وعن الحسن جاهدوا فى الدين لنهدينهم سبل الجنة

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاء ما كنتم تعملون ﴿ قوله تعالى (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) نزل فى ناس بمكة بمعنى مسلمى اهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم فى ضيق مكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت فى قوم بمكة لم يهاجروا وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وجعل المعنى فهاجروا فيها أى فى غيرها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا فى الارض بالمعاصى فاهربوا منها فان أرضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغييرها ان يهاجر الى بلد يتمكن فيها من العبادة وقيل معنى ان ارضى واسعة أى رزقى لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أى كل احد ميت حتوفهم بالموت لهوب الهم عليهم فلا تتوانوا فى السير لخوف الموت (ثم الينا ترجعون) فنجزيكم باعمالكم ﴿ قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أى علالى جمع غرفة وهى العلية (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أى الله تعالى (الذين صبروا) على السنة الدين تركوا لاجلهم لبسه وطعمهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى الجوع والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون على الله فى جميع أمورهم ﴿ قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون اهاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة ولا منازل لنا ولا طعام فانزل الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها أى لا تدخر رزقها معها لضعفها ولا تدخر سائر الحيوان غير الانسان والطير بل الله يرزقها وإياكم) من حيث لا تعلمون (وهو السميع) أى لاقوالكم (العليم) بما فى قلوبكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان جماعة ممن سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جياعا صغارا وتروح آخر النهار الى اوكارها شباعا كبارا ولا تدخر شيئا لغدها ولا تحترس من عدو وقيل سميت الدابة دابة لدبيبها على الارض وقيل لدبها وهو سيرها على هينتها وقيل لدبها وهو سيرها على هينتها وقيل لدبها وهو سيرها على هينتها وقيل لدبها وهو سيرها على هينتها

(٥٤ — (حارث)) — (مالث)) العرف اما احراوه محرى اخوانهم أو لنزولهم أو حلفهم الاسلام حرج الى المدينة (تحرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) وقوف على العالمين على ان (الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى والعقوبات وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر منهم بالهجرة قال (وكأين من دابة) أى وكم من دابة وكأين بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الارض (لا تحمل رزقها) أى لا تدخر طلب الدواب الضعف الا الانسان فانه يدخر ويطلب لعياله (الله يرزقها وإياكم) أى لا ترزق

من كتب أي من صل ما أمرا به من الكتاب (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذا لارتاب المبطلون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي الى لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو تنسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه اذا لشكوا فيه وانهموه وقالوا ان الذي تجده في التوراة لا يقرأ ولا يكتب فليس هذا على ذلك الوصف (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حفظوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وآياته بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعته ووصفه في كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبله من ناقة صالح وعصا موسى وغير ذلك من الآيات (قل انما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزالها ان شاء انزلها (وانما أنا نذير مبين) اي انما كلفت الانذار وليس لي من الآيات وليس لي أن أقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات وجوب الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية معجزة من سائر الآيات التي سألوها لما في القرآن من الحق عن غيره أي هذا القرآن الذي يدوم على الايام ويتلى عليهم في كل وقت أبدا لا يزال معجزا لكونه بحيث لا يزول كما تزول سائر المعجزات فهو أبدا معجز على مر الدهور بخلاف غيره من المعجزات التي كانت في الامم الخالية فانها لم تبق على مر الدهور وهو قول ابن عباس ومعناه أن سائر المعجزات كانت تنقرض بانقراض أهلها وهذه المعجزة باقية على مر الدهور فهي أولى بالاعتماد عليها من غيرها (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي بالبلاغ وبينكم بالتكذيب وشهادة الله اظهار المعجزة له (يعلم ما في السموات والارض) أي هو المطلع على أمري وأمركم وعالم بحالي وباطلكم لا يخفى عليه شيء منه (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس يعني بالله ومثل نعمة السماء والارض (وكفروا بالله) قال قتادة من آمن بالباطل فقد كفر بالله جهل لهذا العطف وفائدته عند من يجعله كذلك نعم فائدته انه ذكر الباقي لسان مع الاول فهو كقول العائل بقول الباطل وبقول الحق ان الباطل مضمحل (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان (يستعجلونك بالعذاب) روي في التفسير ان جبريل قال قاطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدك الله لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة (لجاءهم العذاب) في الدنيا عند تعجيلهم (وليأتينهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي ستحيط بهم لا ينجو منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من

(واما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وليس لي من الآيات وليس لي أن أقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات وجوب الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية معجزة من سائر الآيات التي سألوها لما في القرآن من الحق عن غيره أي هذا القرآن الذي يدوم على الايام ويتلى عليهم في كل وقت أبدا لا يزال معجزا لكونه بحيث لا يزول كما تزول سائر المعجزات فهو أبدا معجز على مر الدهور بخلاف غيره من المعجزات التي كانت في الامم الخالية فانها لم تبق على مر الدهور وهو قول ابن عباس ومعناه أن سائر المعجزات كانت تنقرض بانقراض أهلها وهذه المعجزة باقية على مر الدهور فهي أولى بالاعتماد عليها من غيرها (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي بالبلاغ وبينكم بالتكذيب وشهادة الله اظهار المعجزة له (يعلم ما في السموات والارض) أي هو المطلع على أمري وأمركم وعالم بحالي وباطلكم لا يخفى عليه شيء منه (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس يعني بالله ومثل نعمة السماء والارض (وكفروا بالله) قال قتادة من آمن بالباطل فقد كفر بالله جهل لهذا العطف وفائدته عند من يجعله كذلك نعم فائدته انه ذكر الباقي لسان مع الاول فهو كقول العائل بقول الباطل وبقول الحق ان الباطل مضمحل (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان (يستعجلونك بالعذاب) روي في التفسير ان جبريل قال قاطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدك الله لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة (لجاءهم العذاب) في الدنيا عند تعجيلهم (وليأتينهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي ستحيط بهم لا ينجو منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من

فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي من فوقهم بلا من النار ومن تحت أرجلهم بلا ولا تنافي بين الكافرين بأن يوم طرف أعذبتهم النار من
(ويقول) بالياء كوفي وناصع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) وبسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم (الذين
آمنوا إن أرضي واسعة) وبفتح الياء شامي يعني أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمره وسعه فليهاجر عنه إلى بلد يتمشى
له فيه أسلم لدينه وأصح لدنياه وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم تعذب أعوت على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث
على المناصحة وأطرد للشيطان وأبعد من الشهرة وأرتط للأمر الديني من مكنة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المعاصي والبدع في
أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان سبرا من الأرض استوجب
الجنة (فإياي فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فإياي فاعبدوا فاعبدوني وجهه (٤٢٥) بالعامي فاعبدون لأنه جواب شرط
محذوف لأن المعنى إن
أرضي واسعة فإن لم تخلصوا
العبادة لي في أرض فاخلصوها
في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض عن حذفه تقديم
المفعول مع أفادة تعذيه معنى
الاختصاص والإخلاص
ثم بين وجه الهاجرة بقوله
(كل نفس ذائقة الموت)
أي واحدة مرارته وكربته
كأحد الذائقين طعم المذوق
لا أنها تعذب بالموت سهل
يستريح بمفارقته وطنها (ثم
إلينا ترجعون) بعد الموت
بالثواب والعقاب ترجعون
أنتم ترجعون بعثتم
(والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من
الجنة غرفا) لنبزلنهم من
الجنة محمد الله تعالى وهم
الذين قالوا الذاخلين في الدواء
المؤدي للخير بالا إلى دوي
أحسن الا الذين ظلموا
منهم فإنهم وضعوا
الخمر موضعها بالسيف
والآية تدل على جواز
الإطراء مع الكفرة في
الحرب فضلا بالسيف
(نعم أجر العاملين) والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

(٥٤ - (خازن) - ثالث)

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم ﴿قوله تعالى (يا عبادي
الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) نزل في ناس بمكة يقول الله تعالى إن كنتم
في ضيق عليكم من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة قال مقاتل نزل في قوم تخلفوا
عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الخروج وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم العبد هم بترك
الخروج وصل المعنى هاجروا منها أي شاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرجوا
منها فإن أرضي واسعة وصل إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة وكذلك نحب على كل من كان في
بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغييره دلت الآية أن من هاجر إلى بلد يتمكن فيها العبادة وصل معنى أن أرضي
واسعة أي يرزق لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أي كل أحد ميت حتوفهم بالموت لا محالة
الهجرة عليهم فلا يموتون إذا سرلوا حوفا من الموت (ثم إلينا ترجعون) فنجزيكم بأعمالكم ﴿قوله تعالى
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي علالي جمع غرفة وهي العلية (تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي الله تعالى (الذين صبروا) على السراء ولم يتركوا دينهم لشدته
عليهم وصل صبروا على الهجرة ومفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى الجوع والمصائب وعلى الطاعات
وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ﴿قوله عز وجل (وكأين من
دابة لا تحمل رزقها) ودلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون
هاجروا إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال من يطعمنا بها ونسقنا فأنزل الله
وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا يرزق رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد بل الله يرزقها والطير
يرزقها وإياكم) حبسكم (وهو السميع) أي لأقوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جياعا صغارا
وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعا لا مال لها ولا ادخار ولا تدخر شيئا لغد فكذلك ينبغي
أن يكون الإنسان والمرأة والعبد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس اتهموا
بقاركم من الخير وما قدمتم من النار الأوفد أمرتكم به وليس شيء بقركم من النار وباعدكم من خير
الأوقد نهيتكم عنه الأواب الروح الأمين نفث في روعي الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو الوحي وقيل
وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع أي الخوف أنه ليس من أمر الدنيا
شيء لم يطلع الله عليه
(وهو السميع العليم) ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن عبادة الله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي
يضيق على من يشاء (إن الله بكل شيء عليم) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد
موتها ليقولن الله) على معارفه الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (أكثرهم لا يعقلون) ولم
يوحدوا وكانوا في جميع ذلك الأعلى الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله وكل
(وكأين من دابة) أي وكم من دابة وكأين بالمد وبالهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه
الأرض (الله يرزقها وإياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله نبه بذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه (ومن هولاء) أي
أهل مكة لضعفهاعن حمل (الله يرزقها وإياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله نبه بذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه (ومن هولاء) أي
أهل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يعدكم لم يعد لكم اسباب الكسب لكم أنتم من الله (الا الكاسبون) الا الله وعلى في الكسر المضموم

على كبرهما وعظمهما وهو الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فانى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيده وتسميع اقرارهم بهذا كله
(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي لمن شاء توسيع الصبر موسع عليه لمن شاء منهم ويقدر معين فكان الصبر منهما
له يقدر الرزق وقتر معنى اداصبر (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى
ولو أفقره لافسد ذلك وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغناه لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به
الارض من بعد موتها ليقولن الله) أى هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على اقراله الماء لاحياء الارض أو على أنه متى أقر بحكم ما أقر به ثم بعده
ذلك فى توحيد الله وبقى السر كله صه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون عنادهم من العقول فيما
يرونهم من الآيات وهم علمهم من (٤٣٦) الدلالات اولا يعقلون ما يريد عز اسمه الحمد لله (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) أى وما هى

لسرعة زوالها عن أهلها
وموتهم عنها الا كما يلعب
الصبيان ساعة ثم ينصرفون
وهو ما يتراءى للناظر اولصغر
لامرها وكيف لا يصغر شأنها
وهى لا تزن عند الله جناح
بعوضة وانها ومايتلدذ به
الانسان فيها من المآكل
والمشارب (وان الدار الآخرة
لهى الحيوان) أى الحياة
أى ليس فيها الا الحياة
دائمة لا موت فيها فكأن
لا
دائمها احياء والحيوان مصدر
كالنزوان والغليان (لو كانوا يعلمون) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب هو الاشتغال بما لا يعنى ولا يجدى
حتى وقياسه ان يقال من عمل اللعب هو الهو فسوى هذا بين اللعب واللهو فى الاية ان سرعة زوال الدنيا على أهلها وقلة بقائهم فيها
لما لم تسمح بزوال الكموم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) اى الحياة الدائمة
لهى الحياة الحقيقية لا تنقطع ولا تزول (لو كانوا يعلمون) ذم الله تعالى اولئك على الاخلاد الى الفانية دون الباقية ﴿ قوله
تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا
الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) اى تركوا الاصنام ولجأوا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون) اى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وهو كل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر
وخافوا على أنفسهم الغرق ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم) اى ليجحدوا نعمه
من نجاتهم وغيرها (وليتمتعوا) اى بما هم فيه من الكفر والجحود (فسوف يعلمون) ما يحل بهم من العذاب
فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل

مكة

الكفر يغير بعضهم على بعض والحرم آمن لا يتعرض لهم فيه ولا يتعرض لهم فى الحل (أفبالباطل يؤمنون) بالاصنام (وبنعمة الله يكفرون)
حيث يعبدون الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق شيئا وهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)
بنسبة الشريك اليه (أو كذب بالحق) بالقرآن (لما جاءه) حين سمعه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى مقام لهم (والذين جاهدوا فينا)
فى طاعتنا (لنهدينهم سبلنا) لنوفقنهم لمزيد الخير والطاعة (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة ﴿ قوله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الارض)
أدنى الارض أقربها يقال دنا يدنو اذا قرب ومنه الدنيا لقربها من الناس وهى أرض الشام وما حولها (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) أى
سيغلب الروم فارس بعد غلبهم اياهم (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع وقد مضى بيانه فى يوسف (لله الامر من قبل ومن بعد)
أى من قبل غلبة الروم ومن بعد غلبتهم (ويومئذ يفرح المؤمنون) بظهور الروم على فارس (بنصر الله ينصر من يشاء) على من يشاء
(وهو العزيز الرحيم) فى انتقامه من أعدائه ورحمته لأوليائه (وعد الله لا يخلف الله وعده) أى وعد الله ذلك وعدا (ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) ما فى الوعد من الحكمة والصلاح (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) أى يعلمون ما يشاهدون من أمر معايشهم وتصرفهم فى
مكاسبهم (وهم عن الآخرة هم غافلون) لا يتفكرون فى العاقبة ولا يعلمون ما فيها من الثواب والعقاب (أولم يتفكروا فى أنفسهم)

(أفبالباطل يؤمنون) أي بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي نعمد صلى الله عليه وسلم والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه) أي ساعة مجيئه بكذبه محمد صلى الله عليه وسلم (ألبس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوائهم في جهنم لان همزة الانكار اذا أدخلت على النفي صار اثباتا (٤٢٧) يعني الا ثوى فيها وهذا وامثال هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين أحبر وا مثل هذه الاخبار وذكر المثوى في هذه الآية لمثوائهم تؤيد قراءة الباقين (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يذكر ما فيها ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) سبل أنواع الخير أي لنوفقنهم لها ونهديهم اليها يوم القيامة على الصراط وفي الدارين والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا فيما بعد ليعمل بما علم وفي الآية دليل على ان الذي يرجى من سهل ما لا يعمل انما هو التقصير فيما يعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم الى الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رياضة النفس لنهدينهم الى الوصول الى سبل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل الثواب وعن الحسن جاهدوا في الله لنهدينهم سبل الاخلاص أو جاهدوا في حد المعجز عليهم سبل الجنة أو الذين جاهدوا في طلب الخير بالرضا لنهدينهم سبل الوصول الينا (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة في الدنيا والثواب والمغفرة في الآخرة *(تفسير سورة الروم وهي مكية)*

وحسبوا آية وعشرون ومائتان وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وحسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم حرب وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب وعند كسرى حنث الى الروم واستعمل عليهم نوابا أسر منها له سهرمان وبعثه صيرر حالا وحسابا وأمر عليهم رجلا يدعى مجنا فاما دخل عامل كسرى وهو مرزبان السام الى أرض العرب والعجم وغلب فارس الروم فرح بذلك المسلمون بمكة وشق على مشركي مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب وعن أمور وفارس أمية وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فنحن نظهر على احوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا ظهرنا عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس ان جاء بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال اسكت يا عدو الله فيما بيننا وبينك الاجل ثلاث سنين فهاتك أجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فانما هي الى ثلاث سنين فسماها لهم لان البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايد في الخطر وماده فسمى خمسا ثم ست ثم سبعا ثم ثمانيا ثم تسعا فلم يجد في الاجل فمد في الخطر وزاده فلوص وماءة فلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما جيء أبي بن خلف ان يخرج أبو بكر بن كفيلا أرسله وقال اني أخاف ان يخرج من مكة فلم يجد أبو بكر فلما أرسلهم تطلب خلف ان يخرج الى أحد فأتاه عبد الله بن أبي بكر فلامه وقال والله لا أدعك حتى تعطي كفلا فاعتم خلف ثم خرج الى أحد فقال له أبو جهل ما عندك يا أبا صفوان فقال خلف حبسني كفلك فلان فقال ما أنت بالذي يؤخذ بمثل هذا فأعطاه كفيلا فلما خرج خلف الى مكة وقام بها جمع جموعه وتهيأ وأقبل حتى نزل بعسفان فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره وظهر الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من وقعة أبي بكر وأصحاب الفرس وكان يوم بدر وقعة الروم وهم بالداذان وهو بالعراق مدينة وهو معسكر أبو بكر أصحاب الله وكفار بن وربيعة

وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم العمار وقال النبي صلى الله عليه وسلم نصدقه وكان سبعة من الروم فارس على ما قال عكرمة وعشرون سهرمان لما غلب الروم لم يزل يغلبهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فلما رأوه قال جالس ذات يوم لبعض أصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى وقد ألقت كأنه كسرى فكتب إلى سهرمان إذا أتاك كتابي فاقطع إلى رأس أحمد فرجان فكتب إليه أما الملك فلم يحمد لي فرجان أنه لا يكاتبه ويصوله في العدو ولا يسعه فكتب إليه أنه إن رجال فارس حلفاءه فبعث إلى رأسه فراجعه بقصة كسرى ولم يحمد ولم يعب ورد إلى أهل فارس أني قد عزلت عنكم سهرمان واستعملت عليكم فرجان ثم بعث مع البريد إليه بعهده وأمره فيها على سهرمان وقال إذا دخل فرجان الملك وأعادك إلى عملك فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد إلى سهرمان عرض عما في كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة وبرا بمن سر الملك وأجلس جلسة أحاه فرجان ودفع البريد الصحيفة إلى فرجان فلما قرأها أسدى إليه شهرمان وعده النصر بعشرة فقال له لا تحمل حتى آتيك بوصي قال نعم فدعا بقط فمحا وأعطاه بلاذ فعاد به إليه وقال كل هذا راحة لك كسرى وأتى بريده إلى بكاب واحد فرد فرجان الملك أحد سهرمان بكتاب إلى قيصر ملك الروم أما بعد فإن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تحملها الصحف ولكن أحب أن أشافهك بها فابعث إلي بعض ثقاتك حتى أشافهه بها فلما قرأ قيصر الكتاب قال ما أظن هذا الرجل إلا قد نصح في أمر كسرى وما يحب أن يعلم به أحد فبعث إليه بعض ثقاته فأتاه فرجان فأخبره بما أتاه سهرمان وأن كسرى قد أمره بقتله وأنه قد أبى ذلك عليه وأنه قد أتاه ليأمره بما يشاء فقال له قيصر إن كسرى قد أمرني بقتلك وأبيت عليه فأنا آمنك على نفسك ومالك وأهلك وولدك فأقم عندي ما بدا لك فأقام عنده فلما رأى ذلك قيصر أتاه فرجان فقال له

ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويحرثون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم ليعرف الدرهم بطرف ظفره فهو كفر وزيه لا يعطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الا بحقة منها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومساعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون معادها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يفكرون فيها ولا يعلمون بها ﴿ قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) يعني لاقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الأرض) أي تسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي صاروا الى مصارع الأمم قبلهم وقد كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض أي حرثوها وفلحوها للزراعة (وعمروها) يعني الأمم الخالية أكثر مما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بحبس حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بحبس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) أي أساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم يعني الآية ان عاقبة الذين عملوا السوأى الخ (أن كذبوا) أي لأنهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان جعلهم ذلك الساء أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) ﴿ قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه ترجعون) أي فيجزيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) وقيل معناه أنهم آيسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحجتهم وقيل تظهر فضيحتهم (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني آلهتهم التي عبدوها (شفعؤا) أي يشفعون لهم (وكانوا

(٤٢٩)

بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف نبه بتركهم على تقدير البعث (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أي لكافرون لقاء ربهم (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تحريض لهم على السير في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم الغابرة ثم وصف سالفهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحرثوها (وعمروها) أي أكثر (مما عمروها) صفة مصدر محذوف وما مصدرية أي عمارة أكثر من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وقيل تقديره فعمروها فما عمروها (فما كان الله ليظلمهم) فما كان بتدميرها اياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوا أنفسهم (ثم كان عاقبة) بالنصب ساء وكوفي (الذين أساؤا السوأى) بأن الأسوأ وهو الأصل كان الحسنى بأن الأحسن وجعلها رفعا على انها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها على المعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار كما بدأهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا وان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار كذبهم بآيات الله واستهزاءهم بها (الله يبدأ الخلق) بنشأهم (ثم يعيده) بعد موتهم (ثم اليه ترجعون) بالبعث والجزاء أو يحييهم ويميتهم (ويوم تقوم الساعة يبلس) ييأس ويتحير يعني بأنواع العذاب (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكانت (شفعؤا) في المصحف بواو وصل الألف كما كتبت علوا في اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالألف وصل الهاء بالألف همزة على صورة الخط الذي هو حركتها (وكانوا

تشركائهم كافرين) أى ملحدين مشركين يعرفون بسيماهم وسمأتهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى فى جنة وهى أفضل البساتين الذى هو فى غاية الاشجار (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون يتنعمون يسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يحبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من المرأة فاذا أحد فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أحد فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الا وردته وسأل أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد الياقوت بعث الله ريحا فتحاوب بعضها بعضا فيسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث يوم القيامة (فأولئك فى العذاب محضرون) ﴿ قوله تعالى (فسبحان الله) اعلم فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أى وصلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) أى تدخلون فى الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأ هذه الآية وقال جمعت الصلوات الخمس وأوقاتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان افضل الاعمال ادومها والانسان لا يصرف جميع أوقاته الى التسبيح فخص الجميل بعضه من مأكول ومشروب وغير ذلك فحث الله عباده العاقل على اغتنام الاوقات وأمرهم بالتسبيح فى أول النهار ووسطه وآخره وفى أول الليل وآخره فاذا صلى الانسان الظهر فكأنما سبح فى هذه الاوقات الخمس وكذلك اذا صلى العشاء فكأنما سبح فى هذه الاوقات الخمس وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى أوقاتها كتب الله له بكل ركعة منها سبعين حسنة فيكون له فى سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى معدار الليل والنهار فيكون مذكورا فى الملأ الاعلى فيكون مصروف جميع أوقاته فى التسبيح والعبادة

﴿ (فصل فى فضل التحميد) ﴾ عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد أخرجهما الترمذى وقال هذا حديث صحيح (ب) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا لفظ أحد فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قال نعم قال لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بكلماتك اليوم لوزنهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكسب الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة ورواه مسلم يحط عنه أو يمحى ﴿ قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) اى يخرج

قوله فى كل يوم مائة

قوله (وحين تظهرون) صلاة الظهر اى تدخل فى وقت الظهيرة والعول الاكثر ان الصلوات الخمس مرتبة (يخرج الحى من الميت) الطائر من النطفة والمؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) اى

البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالحي كما مر (وتحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تبعثون أحياء من قبوركم (ومن آياته خلق الازواج كلها) الأصناف (مما تنبت الارض) كالحبوب والثمار (ومن أنفسهم) كالذكور والاناث (ومما لا يعلمون) مما لم يطلعهم عليه (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله عنه فيظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (والشمس تجري لمستقر لها) لوقت قدر لها تنتهي اليه في آخر السنة (ذلك تقدير العزيز العليم) الذي قهر كل شيء بقدرته وأحاط بكل شيء علما (والقمر قدرناه منازل) ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتخلف عنه ولا يتقدم عليه (حتى عاد كالعرجون القديم) في تقوسه وانحنائه ودقته وصفرته (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) في سرعة السير فتجتمع معه في الليل (ولا الليل سابق النهار) فيذهب قبل مجيئه فيجتمعان في الظلمة (وكل في فلك يسبحون) يجرون بسرعة كالسابح في الماء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) آباءهم (في الفلك المشحون) المملوء من الناس والمتاع (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل التي هي سفائن البر (وإن نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) مغيث يصرخ بهم فيغيثهم (ولا هم ينقذون) يخلصون من الغرق (إلا رحمة منا) أي لا ينجون إلا برحمتنا (ومتاعا إلى حين) إلى وقت انقضاء آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم) من أمر الآخرة فلا تعملوا به (وما خلفكم) من أمر الدنيا فلا تغتروا به (لعلكم ترحمون) كي ترحموا فتؤمنوا (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) تاركين التفكر فيها (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) تصدقوا من أموالكم على المساكين (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أي لا نطعمهم لأن الله لم يطعمهم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) في قولكم هذا (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث (إن كنتم صادقين) في مجيئه (ما ينظرون) ما ينتظر المكذبون بالبعث (إلا صيحة واحدة) هي النفخة الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون في أسواقهم (فلا يستطيعون توصية) أن يوصي أحد أحدا بشيء مما خلف (ولا إلى أهلهم يرجعون) بل يموتون في مكانهم (ونفخ في الصور) نفخة البعث (فإذا هم من الأجداث) القبور (إلى ربهم ينسلون) يخرجون بسرعة (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) من نومنا (هذا ما وعد الرحمن) أي هذا وعده (وصدق المرسلون) في الدنيا بالبعث (إن كانت إلا صيحة واحدة) هي النفخة الثانية (فإذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) من الظلم (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) من خير وشر (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) مشتغلون بافتضاض العذارى وغيره (هم وأزواجهم في ظلال) جمع ظل (على الأرائك) السرر في الحجال (متكئون) خبر ثان (لهم فيها فاكهة) من كل ما يتفكه به (ولهم ما يدعون) يتمنون (سلام) أي لهم سلام (قولا من رب رحيم) أي يقول الله لهم ذلك (وامتازوا اليوم) انفردوا عن المؤمنين (أيها المجرمون) الكافرون (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوه في معصية الله (إنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدوني) وحدوني (هذا صراط مستقيم) طريق الجنة (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) أنه لا يدعوكم إلا لتكونوا من أهل النار (هذه جهنم التي كنتم توعدون) في الدنيا (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) بكفركم (اليوم نختم على أفواههم) فلا تتكلم (وتكلمنا أيديهم) بالشهادة عليهم بما عملوا (وتشهد أرجلهم) بما كسبوا (بما كانوا يكسبون) في الدنيا (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناهم (فاستبقوا الصراط) فابتدروا الطريق (فأنى يبصرون) كيف يبصرون (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) لجعلناهم قردة وخنازير (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) عما هم عليه (ومن نعمره ننكسه في الخلق) نرده إلى أرذل العمر (أفلا يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على البعث (وما علمناه الشعر) أي ما علمنا محمدا قول الشعر (وما ينبغي له) أن يقوله (إن هو) ما هو (إلا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) بين الرشد من الغي (لينذر من كان حيا) أي مؤمنا في علم الله (ويحق القول) بالعذاب (على الكافرين) الذين ماتوا على كفرهم (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي مما تولينا خلقه من غير شركة أحد (أنعاما) جمع نعم (فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها لهم) سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) ما يركبون (ومنها يأكلون) من لحومها (ولهم فيها منافع) من أوبارها وأشعارها (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) نعمتنا عليهم بذلك (واتخذوا من دون الله آلهة) أصناما (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) أي الآلهة لعجزها (وهم لهم جند محضرون) تعبد الكفار الأصنام وهي لا تقدر على نصرهم وهم يحضرون عندها ليمنعوها فلا تقدر على ذلك (فلا يحزنك قولهم) في تكذيبك (إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم بذلك (أولم ير الإنسان) أي جنسه (أنا خلقناه من نطفة) من مني (فإذا هو خصيم مبين) مخاصم بين الخصومة منكر البعث (وضرب لنا مثلا) في البعث (ونسي خلقه) كيف خلق (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) ابتداء (وهو بكل خلق عليم) عالم (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) وذلك أن العرب كانت تقطع من المرخ والعفار وهما شجران في جبالهم فيخرج من بين الشجرتين نار فتقتدح بها (فإذا أنتم منه توقدون) تستخرجون النار من الشجر الأخضر الذي فيه الماء (أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) أي أمثالهم في الصغر والكبر (بلى) هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) للخلق (العليم) بكل شيء (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) أي فهو يكون (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) خزائنه (وإليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم

العظام الحيوان ويخرج الحي من النطفة وقيل يخرج الماء الحي من الجماد الصلب ويخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيي الارض بعد موتها) أي بالمطر وإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل إخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للحساب (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي تبسطون في الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها) أي لتألفوا بالازواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير أن يعرفه ولا أن يعرفها ولا سبب يوجب العاطفة وما هي أحب إلى أحدهما من الآخر من غير أن يعرفها الا الازواج (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد اختلاف النطق والصور فلا يكاد يسمع منطقين على هيئة واحدة ولا صورتين على شكل واحد بل كل يتكلم بلغة غير لغة صاحبه وصورته غير صورته (وألوانكم) أي أسود وأبيض وأسمر وغير ذلك من الالوان وقيل أراد اختلاف ولد آدم كل واحد على لون غير لون الآخر (إن في ذلك لآيات للعالمين) أي على أن الله تعالى خالق كل شيء (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي جعل لكم الليل للنوم والنهار للابتغاء (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واتعاظ (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) أي للمسافر ليتقي الطريق وللمقيم ليتأهب للمطر (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) بالنبات (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على البعث (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) بقدرته وإرادته (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أي من القبور (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) مطيعون (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد الموت (وهو أهون عليه) في ظنكم (وله المثل الأعلى) الوصف الأعلى بأنه لا إله إلا هو (في السماوات والأرض وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) بين لكم شبها من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي لا يكون لكم شركاء من عبيدكم في أموالكم فكيف تجعلون لي شركاء من عبيدي في سلطاني (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) نبين الحجج لمن يتدبر (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم بغير علم (فمن يهدي من أضل الله) أي لا يهدي أحد من أضله الله (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك للدين حنيفا) أي أقم وجهك للدين مستقيما (فطرت الله التي فطر الناس عليها) أي الزموا دين الله الذي خلق الناس عليه من التوحيد والاسلام (لا تبديل لخلق الله) لدين الله (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الدين القيم هو التوحيد (منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) في عبادتكم غير الله (من الذين فرقوا دينهم) تركوا دينهم الذي أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا (كل حزب بما لديهم فرحون) معجبون (وإذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) نعمة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) يعبدون غيره (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) أيها الكفار (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي بل أنزلنا عليهم كتابا بعبادة الأصنام (وإذا أذقنا الناس رحمة) نعمة (فرحوا بها) بطروا بها (وإن تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) من المعاصي (إذا هم يقنطون) ييأسون من الرحمة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يضيق على من يشاء (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون بالله (فآت ذا القربى حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون بذلك ثواب الله (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة (وما آتيتم من ربا) ما أعطيتم من هبة (ليربو في أموال الناس) ليزيد في أموالهم (فلا يربو عند الله) لا يزيد عند الله (وما آتيتم من زكاة) من صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون بها ثواب الله (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) يوم القيامة (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أي ليس من شركائكم من يفعل شيئا من ذلك (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد في البر والبحر) أي قحط المطر وقلة النبات وكثرة الخسف والغرق وقيل الفساد في البر قتل ابن آدم أخاه وفي البحر أن ملك البحر كان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا (بما كسبت أيدي الناس) بما عملوا من المعاصي (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة بعض الذي عملوا (لعلهم يرجعون) عن المعاصي (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي كيف أهلكت الأمم الخالية (كان أكثرهم مشركين) أي أكثر أهل مكة (فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم على دين الإسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله (يومئذ يصدعون) يتفرقون (من كفر فعليه كفره) وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يوطئون منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي يثيبهم على أعمالهم بالجنة (إنه لا يحب الكافرين) أي لا يثيبهم (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي المطر (ولتجري الفلك بأمره) بإذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) نعمة الله عليكم بذلك (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) بالحجج (فانتقمنا من الذين أجرموا) أشركوا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي أوجبنا على أنفسنا نصرهم (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه من مكان إلى مكان (فيبسطه في السماء كيف يشاء) قطعا أو متفرقا (ويجعله كسفا) قطعا (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من وسطه (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) بالخصب (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله لمبلسين) آيسين من نزوله (فانظر إلى آثار رحمة الله) أي المطر (كيف يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات (إن ذلك لمحيي الموتى) بعد الموت (وهو على كل شيء قدير) من البعث وغيره (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أي النبات بعد الخضرة (لظلوا من بعده يكفرون) يجحدون النعمة (فإنك لا تسمع الموتى) سماع تفهم (ولا تسمع الصم الدعاء) سماع إجابة (إذا ولوا مدبرين) عن الداعي (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) أي لا تقدر على هداية من أعمى الله قلبه عن الهدى (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي إن تسمع سماع تفهم إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (الله الذي خلقكم من ضعف) من نطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) بعد النطفة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) بعد الشباب (يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) بالتدبير (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يحلفون (ما لبثوا غير ساعة) أي ما لبثوا في القبور إلا ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) يكذبون في الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) الملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي في علم الله (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) ذلك (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) اعتذارهم (ولا هم يستعتبون) يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يحبون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل شبه يحتاجون إليه من أمر دينهم (ولئن جئتهم بآية) كما جاء الأولون بالآيات (ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) كاذبون في قولكم (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يصدقون (فاصبر) على أذاهم (إن وعد الله حق) بالنصر (ولا يستخفنك) لا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بالبعث

(والوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولا خلاف ذلك وقع التعارف ولا لولا كان الناس كلهم على لون واحد لوقع التحاسد والاختلاف ولذهب المصالح وفي ذلك آيات واحدوهم على الكثرة التي لا تعلمها الا الله تعالى (إن في ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم وكسر اللام لخص جمع عالم بتسديد الكسر وهو كل ما سوى الله تعالى وما نعلمها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللف والنشر أي ومن آياته نومكم بالليل والنهار الا انه فصل من العددين الاولين بالعددين الآخرين أو المراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول لكثرة ورود القرآن واستدلالهم على المعاش دائما في العرف (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يسمعون سماع تدبر واتعاظ (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) في بلد دون بلد أو خوفا للمسافر وطمعا للمقيم في الغيث أو خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) بعد يبسها (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) بقدرته وإرادته (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أي من القبور (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) مطيعون (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد الموت (وهو أهون عليه) في ظنكم (وله المثل الأعلى) الوصف الأعلى بأنه لا إله إلا هو (في السماوات والأرض وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) بين لكم شبها من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي لا يكون لكم شركاء من عبيدكم في أموالكم فكيف تجعلون لي شركاء من عبيدي في سلطاني (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) نبين الحجج لمن يتدبر (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم بغير علم (فمن يهدي من أضل الله) أي لا يهدي أحد من أضله الله (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك للدين حنيفا) أي أقم وجهك للدين مستقيما (فطرت الله التي فطر الناس عليها) أي الزموا دين الله الذي خلق الناس عليه من التوحيد والاسلام (لا تبديل لخلق الله) لدين الله (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الدين القيم هو التوحيد (منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) في عبادتكم غير الله (من الذين فرقوا دينهم) تركوا دينهم الذي أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا (كل حزب بما لديهم فرحون) معجبون (وإذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) نعمة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) يعبدون غيره (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) أيها الكفار (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي بل أنزلنا عليهم كتابا بعبادة الأصنام (وإذا أذقنا الناس رحمة) نعمة (فرحوا بها) بطروا بها (وإن تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) من المعاصي (إذا هم يقنطون) ييأسون من الرحمة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يضيق على من يشاء (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون بالله (فآت ذا القربى حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون بذلك ثواب الله (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة (وما آتيتم من ربا) ما أعطيتم من هبة (ليربو في أموال الناس) ليزيد في أموالهم (فلا يربو عند الله) لا يزيد عند الله (وما آتيتم من زكاة) من صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون بها ثواب الله (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) يوم القيامة (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أي ليس من شركائكم من يفعل شيئا من ذلك (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد في البر والبحر) أي قحط المطر وقلة النبات وكثرة الخسف والغرق وقيل الفساد في البر قتل ابن آدم أخاه وفي البحر أن ملك البحر كان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا (بما كسبت أيدي الناس) بما عملوا من المعاصي (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة بعض الذي عملوا (لعلهم يرجعون) عن المعاصي (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي كيف أهلكت الأمم الخالية (كان أكثرهم مشركين) أي أكثر أهل مكة (فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم على دين الإسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله (يومئذ يصدعون) يتفرقون (من كفر فعليه كفره) وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يوطئون منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي يثيبهم على أعمالهم بالجنة (إنه لا يحب الكافرين) أي لا يثيبهم (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي المطر (ولتجري الفلك بأمره) بإذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) نعمة الله عليكم بذلك (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) بالحجج (فانتقمنا من الذين أجرموا) أشركوا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي أوجبنا على أنفسنا نصرهم (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه من مكان إلى مكان (فيبسطه في السماء كيف يشاء) قطعا أو متفرقا (ويجعله كسفا) قطعا (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من وسطه (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) بالخصب (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله لمبلسين) آيسين من نزوله (فانظر إلى آثار رحمة الله) أي المطر (كيف يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات (إن ذلك لمحيي الموتى) بعد الموت (وهو على كل شيء قدير) من البعث وغيره (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أي النبات بعد الخضرة (لظلوا من بعده يكفرون) يجحدون النعمة (فإنك لا تسمع الموتى) سماع تفهم (ولا تسمع الصم الدعاء) سماع إجابة (إذا ولوا مدبرين) عن الداعي (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) أي لا تقدر على هداية من أعمى الله قلبه عن الهدى (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي إن تسمع سماع تفهم إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (الله الذي خلقكم من ضعف) من نطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) بعد النطفة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) بعد الشباب (يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) بالتدبير (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يحلفون (ما لبثوا غير ساعة) أي ما لبثوا في القبور إلا ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) يكذبون في الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) الملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي في علم الله (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) ذلك (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) اعتذارهم (ولا هم يستعتبون) يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يحبون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل شبه يحتاجون إليه من أمر دينهم (ولئن جئتهم بآية) كما جاء الأولون بالآيات (ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) كاذبون في قولكم (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يصدقون (فاصبر) على أذاهم (إن وعد الله حق) بالنصر (ولا يستخفنك) لا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بالبعث

العظام الحيوان ويخرج الحي من النطفة وقيل يخرج الماء الحي من الجماد الصلب ويخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيي الارض بعد موتها) أي بالمطر وإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل إخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للحساب (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي تبسطون في الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها) أي لتألفوا بالازواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير أن يعرفه ولا أن يعرفها ولا سبب يوجب العاطفة وما هي أحب إلى أحدهما من الآخر من غير أن يعرفها الا الازواج (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد اختلاف النطق والصور فلا يكاد يسمع منطقين على هيئة واحدة ولا صورتين على شكل واحد بل كل يتكلم بلغة غير لغة صاحبه وصورته غير صورته (وألوانكم) أي أسود وأبيض وأسمر وغير ذلك من الالوان وقيل أراد اختلاف ولد آدم كل واحد على لون غير لون الآخر (إن في ذلك لآيات للعالمين) أي على أن الله تعالى خالق كل شيء (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي جعل لكم الليل للنوم والنهار للابتغاء (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واتعاظ (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) أي للمسافر ليتقي الطريق وللمقيم ليتأهب للمطر (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) بالنبات (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على البعث (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) بقدرته وإرادته (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أي من القبور (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) مطيعون (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد الموت (وهو أهون عليه) في ظنكم (وله المثل الأعلى) الوصف الأعلى بأنه لا إله إلا هو (في السماوات والأرض وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) بين لكم شبها من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي لا يكون لكم شركاء من عبيدكم في أموالكم فكيف تجعلون لي شركاء من عبيدي في سلطاني (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) نبين الحجج لمن يتدبر (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم بغير علم (فمن يهدي من أضل الله) أي لا يهدي أحد من أضله الله (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك للدين حنيفا) أي أقم وجهك للدين مستقيما (فطرت الله التي فطر الناس عليها) أي الزموا دين الله الذي خلق الناس عليه من التوحيد والاسلام (لا تبديل لخلق الله) لدين الله (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الدين القيم هو التوحيد (منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) في عبادتكم غير الله (من الذين فرقوا دينهم) تركوا دينهم الذي أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا (كل حزب بما لديهم فرحون) معجبون (وإذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه بالتوبة (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) نعمة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) يعبدون غيره (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) أيها الكفار (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي بل أنزلنا عليهم كتابا بعبادة الأصنام (وإذا أذقنا الناس رحمة) نعمة (فرحوا بها) بطروا بها (وإن تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) من المعاصي (إذا هم يقنطون) ييأسون من الرحمة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يضيق على من يشاء (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون بالله (فآت ذا القربى حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون بذلك ثواب الله (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة (وما آتيتم من ربا) ما أعطيتم من هبة (ليربو في أموال الناس) ليزيد في أموالهم (فلا يربو عند الله) لا يزيد عند الله (وما آتيتم من زكاة) من صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون بها ثواب الله (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) يوم القيامة (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أي ليس من شركائكم من يفعل شيئا من ذلك (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد في البر والبحر) أي قحط المطر وقلة النبات وكثرة الخسف والغرق وقيل الفساد في البر قتل ابن آدم أخاه وفي البحر أن ملك البحر كان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا (بما كسبت أيدي الناس) بما عملوا من المعاصي (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة بعض الذي عملوا (لعلهم يرجعون) عن المعاصي (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي كيف أهلكت الأمم الخالية (كان أكثرهم مشركين) أي أكثر أهل مكة (فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم على دين الإسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله (يومئذ يصدعون) يتفرقون (من كفر فعليه كفره) وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يوطئون منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي يثيبهم على أعمالهم بالجنة (إنه لا يحب الكافرين) أي لا يثيبهم (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي المطر (ولتجري الفلك بأمره) بإذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) نعمة الله عليكم بذلك (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) بالحجج (فانتقمنا من الذين أجرموا) أشركوا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي أوجبنا على أنفسنا نصرهم (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه من مكان إلى مكان (فيبسطه في السماء كيف يشاء) قطعا أو متفرقا (ويجعله كسفا) قطعا (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من وسطه (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) بالخصب (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله لمبلسين) آيسين من نزوله (فانظر إلى آثار رحمة الله) أي المطر (كيف يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات (إن ذلك لمحيي الموتى) بعد الموت (وهو على كل شيء قدير) من البعث وغيره (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أي النبات بعد الخضرة (لظلوا من بعده يكفرون) يجحدون النعمة (فإنك لا تسمع الموتى) سماع تفهم (ولا تسمع الصم الدعاء) سماع إجابة (إذا ولوا مدبرين) عن الداعي (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) أي لا تقدر على هداية من أعمى الله قلبه عن الهدى (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي إن تسمع سماع تفهم إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (الله الذي خلقكم من ضعف) من نطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) بعد النطفة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) بعد الشباب (يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) بالتدبير (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يحلفون (ما لبثوا غير ساعة) أي ما لبثوا في القبور إلا ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) يكذبون في الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) الملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي في علم الله (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) ذلك (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) اعتذارهم (ولا هم يستعتبون) يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يحبون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل شبه يحتاجون إليه من أمر دينهم (ولئن جئتهم بآية) كما جاء الأولون بالآيات (ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) كاذبون في قولكم (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يصدقون (فاصبر) على أذاهم (إن وعد الله حق) بالنصر (ولا يستخفنك) لا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بالبعث

بأمره) قال ابن عباس وابن مسعود قاما على غير عمد وهما يومئذ ملء ما بينهما (ثم أراد ما كدعوه من الأرض) قال ابن عباس يعني القشور (إذا أنتم تخرجون) أي من قبوركم (ومن آياته خلق السموات والأرض) أي ومن دلائل قدرته خلق السموات والأرض (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) أي لغاتكم وهيئاتكم وصوركم (إن في ذلك لآيات للعالمين) أي للعقلاء (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي ومن دلائل قدرته نومكم بالليل والنهار وطلبكم الرزق بالنهار (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي سماع تدبر واتعاظ (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) أي يريكم البرق للمسافر خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث للمقيم (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) أي يحيي النبات بالمطر بعد يبس الأرض (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أي يتدبرون (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أي بقدرته وإرادته (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أي ثم إذا دعاكم دعوة واحدة من الأرض بالنفخة الثانية إذا أنتم تخرجون من القبور أحياء (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) أي مطيعون خاضعون (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يبدأ خلقهم ثم يعيدهم بعد الموت (وهو أهون عليه) أي الإعادة أهون عليه بزعمكم (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) أي الوصف الأعلى بأنه لا إله إلا هو (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم في كل فعل (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) هذا لما ضربه الله للأصنام كأنه قال أجعلتم الأصنام شركاء لي في سلطاني وملكي وأنتم لا ترضون أن يكون عبيدكم شركاء لكم في أموالكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يقاسموكم أموالكم كما يخاف الحر أن يقاسمه الحر في المال (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أي الدلائل والأمثال لعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام (فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) أي مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فأقم وجهك يا محمد للدين المستقيم حنيفا أي مائلا عن الأديان الباطلة إلى دين الإسلام فطرت الله أي الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي دين الإسلام لا تبديل لخلق الله أي لا تغيير لدين الله ذلك الدين القيم أي المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) أي راجعين إليه بالتوبة واتقوه بالخشية وأقيموا الصلاة بحدودها ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهو التوحيد وكانوا شيعا أي فرقا كاليهود والنصارى والمجوس كل حزب بما لديهم فرحون أي معجبون بما هم عليه من الباطل (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون) أي وإذا أصاب الناس شدة دعوا ربهم راجعين إليه بالتوبة ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) أي ليجحدوا نعمنا عليهم فتمتعوا في الدنيا قليلا فسوف تعلمون عاقبة أمركم (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي أم أنزلنا عليهم حجة فهي تتكلم بصحة ما هم عليه من الشرك (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) أي وإذا أصاب الناس خصب وسعة فرحوا بها وإن تصبهم شدة بسبب ما قدموا من المعاصي إذا هم ييأسون من الفرج (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي أولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء إن في ذلك لعبرا لقوم يؤمنون (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) أي فأعط يا محمد القريب حقه من البر والصلة والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون بأعمالهم وجه الله وأولئك هم الفائزون بالجنة (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أي وما أعطيتم من ربا ليزيد في أموال الناس فلا يزيد عند الله وما أعطيتم من زكاة تريدون بها وجه الله فأولئك هم المضعفون أي الذين يضاعف لهم الثواب (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) أي الله الذي خلقكم من العدم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم للبعث هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) أي ظهر الجدب في البر لقلة المطر وفي البحر لقلة الماء بسبب ما كسبت أيدي الناس من المعاصي ليذيقهم بعض الذي عملوا من المعاصي لعلهم يرجعون عن المعاصي (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) أي قل يا محمد لقومك سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم كان أكثرهم مشركين فأهلكهم الله بشركهم (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين) أي فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون أي يوطئون منازلهم في الجنة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين (ومن آياته يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) أي ومن دلائل قدرته يرسل الرياح مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته بالمطر ولتجري الفلك بأمره في البحر ولتبتغوا من فضله بالتجارة ولعلكم تشكرون (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي ولقد أرسلنا من قبلك يا محمد رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) أي الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا أي قطعا فترى الودق يخرج من خلاله أي المطر فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون أي يفرحون (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) أي وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي آيسين من نزول المطر فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي ولئن أرسلنا ريحا فرأوا زرعهم مصفرا لظلوا من بعد اصفراره يكفرون بنعمنا فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) أي الله الذي خلقكم من ضعف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وهو الشباب ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وهو الهرم يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أي ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا في القبور غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أي يصرفون عن الحق وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون أي لا يطلب منهم العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون أي لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بالبعث

الأصل

الأرض

وحل لي حل له من كلامي حلمه ومن
ما ملكت أيمانكم) عبيدكم وإمائكم
أيكم أن لكم شركاء في رزقه كذلك
ذلك الرزق (سواء) من عبيدكم
شركائهم في أموالكم (تخافونهم
وهم (كخيفتكم أنفسكم) يعني لا
ياء ومالك الأحرار والله تعالى
ل المثل مما ينكشف المعاني ويوضحها
أهواءهم بغير علم أي اتبعوا أهواءهم فاختار

أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو كقولك للقائم على الدين واستقامته على وجهه وأسبابه فإن من أهم بالشيء قصد عليه طرفه وسدد إليه بصره ومر وجهه وجهه (حنيفا) حال من الأمر أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله ما معنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير قابلين غيره لتكونه محالا للعقل مساويا للطبع الصحيح (٤٣٣) حتى لو تركوا لما اختاروا عنه مذهبا آخر

أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي ما يحميهم ويمنعهم من عذاب الله ﴿قوله تعالى (فأقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وميل سدد عملك والزم ما يتوجه إلى الله تعالى به الإنسان وديمه وعمله مما يتوجه إليه ويسدده ﴿قوله تعالى (حنيفا) أي مائلا إليه مستقيما عليه (فطرت الله) أي دين الله المعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها الآية بدل لخلق الله ذلك الدين القيم وإذا الصغار فإما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء يعني يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم فطرت الله الآية ولهما في رواية فقالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي رواية ما من مولود يولد إلا على الفطرة يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الخلقة التي وصف الخلق عليها وإن عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وأكثر الأعمار بالاعتبار الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الأعمال الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل الاختياري إلى حوله فإما يهودانه أو ينصرانه يعني مع وجود الاعتبار الفطري فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وقوله في معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته أي على الخلقة التي خلقه الله عليها في علم الله تعالى وقضائه وكل منهم صائر في المعاد إلى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بما يعمل المساكل بينهما وصل معناه أن كل مولود يولد على الخلقة التي فطر عليها الأبوان في السعادة والشقاوة

راصون عما عندهم ﴿ قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أى قحط وجدب (دعوا ربهم منيبين اليه) أى معرضين عما سواه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون لكفروا بما آتيناهم) أى لجحدوا نعمة الله عليهم (فمتعوا) أيها الكفار (فسوف تعلمون) أى حالكم فى هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أى يدل (بما كانوا به يشركون) أى يشركهم ويأمرهم به (واذا أذقنا الناس رحمة) أى الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أى مرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) أى جدب وقلة مطر وقيل حوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيآت (اذا هم يقنطون) أى يأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه فى النعمة ويرجوه عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بعدم تيسره ﴿ قوله عز وجل (فآت ذا القربى) أعط ذا القربى (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصبهما على الصدقة المسماة لهما وفيه دليل لوجوب النفقة للمحارم كهو مذهبنا (ذلك) أى ايتاءهم وهم (خير للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أى يقصدون بعروفهم اياهم الصالحات (وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس) أى فى احتلاب أموال الناس واحتذابها لك فى سركاة تعطى غيره العطية لتعطى أكثر منها فهو حرام لا ثواب عليها فى الآخرة وهو ما كتم (لم يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبى خاصة لقوله تعالى لا تمنن تستكثر أى لا تعط وتطلب أن يعطى أكثر من سركاة أو غيره وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو غيره ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلبس ثوبا وهو يحب أن يرى مع من هو أرفع منه ليعظم ماله لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله (وما آتيتم من زكوة) أى أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) أى تطلبون بها وجه الله (فأولئك هم المضعفون) أى ذوو الاضعاف من الحسنات وقرأ المضعفين بكسر العين أى المعطون الاضعاف (الله الذى خلقكم) هذا أول خبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أى هو الخالص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء وهو حجة لمن يقول ان الله تعالى أصاكم الى رجعهم شركاءه (من يفعل من ذلكم) أى من الخلق والرزق والاماتة والاحياء (من شئ) أى من الكسب المعاصى ونحوها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى زائدة والمعنى ما يفعل كل واحد منهم من شئ أم كوا يا قال الله تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر) أى بسبب السرك والمعاصى ظهر قحط

اصل

الناس عقوبة لهم على بعض الذى عملوا (لعلهم يرجعون) عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد الله عليهم رحمته ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أعقبه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط ذا القربى (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصبهما على الصدقة المسماة لهما وفيه دليل لوجوب النفقة للمحارم كهو مذهبنا (ذلك) اى ايتاءهم وهم (خير للذين يريدون وجه الله) اى ذاته اى يقصدون بمعروفهم اياها سالما (واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس) اى ما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو فى اموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يكون الله ولا يزكو وهو قليل هو من الربا الحلال اى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) عند كم ومن لم يرد به مكافأة لا ربا ولا صدقة (فاولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظر المضعف المكسر وعند ذكر ان من ربا لا مدخل له فى ما عطاء المال ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله (سواء) من عمل من العالم كله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) هذا سؤال تعجيز لهم عن ان يدعوا لآلهتهم شيئا من الخلق والرزق والاماتة والاحياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) ﴿ قوله تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر) عن ابن عباس رضى الله عنهما ظهر القحط وقلة الريع فى البر وانقطاع الخير فى البحر وقيل كثرة الخسف فى البر وقلة الانتفاع بدواب البحر وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم أخاه وفى البحر بأخذ كل سفينة غصبا (بما كسبت أيدى الناس) أى بسبب ذنوبهم وقيل بشؤم المعاصى (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى ليعاقبهم بعض عقوبات أعمالهم (لعلهم يرجعون) عن المعاصى ﴿ قوله تعالى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى كيف أهلكت الامم الخالية بكفرهم (كان أكثرهم مشركين) أى فاحذروا أن تكونوا مثلهم (فأقم وجهك للدين القيم) أى فاستقم على الدين القيم (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يرده الله بعد ما قضاه (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى جزاء كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أى يوطئون منازلهم فى الجنة (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أى ليثيبهم على أعمالهم بالجنة (انه لا يحب الكافرين) ﴿ قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أى بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أى من الخصب والمطر (ولتجرى الفلك بأمره) أى بالريح (ولتبتغوا من فضله) أى من التجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) أى نعمة الله عليكم فى ذلك (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات) أى بالمعجزات (فانتقمنا من الذين أجرموا) أى كفروا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى نصرنا المؤمنين حقا (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى تزعجه وتحركه (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) أى من جهة الى جهة (ويجعله كسفا) أى قطعا (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه (فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أى يفرحون بالمطر (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أى آيسين من المطر (فانظر الى آثار رحمة الله) أى الى آثار المطر (كيف يحيى الارض بعد موتها) أى بعد يبسها (ان ذلك لمحيى الموتى) أى ان الذى يحيى الارض بعد موتها لقادر على أن يحيى الموتى (وهو على كل شئ قدير) أى من الاحياء وغيره (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أى يابسا (لظلوا من بعده يكفرون) أى لجحدوا نعمة الله عليهم (فانك لا تسمع الموتى) أى الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء) أى الكفار (اذا ولوا مدبرين) أى معرضين عن الحق (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى عن كفرهم (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى مخلصون بالتوحيد (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من نطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أى بعد النطفة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) أى بعد الشباب (يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) أى بتدبير خلقه (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أى الكافرون (ما لبثوا غير ساعة) أى ما لبثوا فى القبور الا ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) أى يصرفون عن الحق (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) أى الملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم فى كتاب الله) أى فى علم الله (الى يوم البعث) أى القيامة (فهذا يوم البعث) أى القيامة (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أى ان البعث حق (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) أى كفروا (معذرتهم) أى اعتذارهم (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم العتبى وهى الرجوع عما هم فيه من الكفر (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى من كل شبه يحتاجون اليه فى أمر دينهم (ولئن جئتهم بآية) أى من القرآن (ليقولن الذين كفروا) أى كفار مكة (ان أنتم الا مبطلون) أى كاذبون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى لا يوحدون (فاصبر) أى على أذاهم (ان وعد الله حق) أى بنصرك عليهم (ولا يستخفنك) أى لا يحملنك على الخفة والطيش (الذين لا يوقنون) أى لا يصدقون بالبعث ﴿ قوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) أى بغير عمد أصلا وقيل بغير عمد ترونها وقيل بعمد لا ترونها (ثم استوى على العرش) أى استولى عليه بالملك والتدبير (وسخر الشمس والقمر) أى ذللهما لمنافع العباد (كل يجرى لأجل مسمى) أى الى يوم القيامة (يدبر الأمر) أى أمر خلقه (يفصل الآيات) أى يبينها (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أى تصدقون بالبعث (وهو الذى مد الأرض) أى بسطها على وجه الماء (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (وأنهارا) أى عذبة (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى صنفين ذكرا وأنثى (يغشى الليل النهار) أى يلبسه ظلمته (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى صنع الله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) أى بقاع مختلفة طيبة وسبخة وصلبة ورخوة (وجنات من أعناب) أى بساتين (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) أى مجتمع ومتفرق (يسقى بماء واحد) أى بالماء المذكور (ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) أى فى الطعم (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) أى يتدبرون (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) أى ان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم هذا (أولئك الذين كفروا بربهم) أى جحدوا نعمة ربهم (وأولئك الأغلال فى أعناقهم) أى فى الآخرة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ﴿ قوله تعالى (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أى بالعذاب قبل العافية (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى العقوبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم (وان ربك لشديد العقاب) أى لمن عاقبه (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل عليه آية من ربه (انما أنت منذر) أى مخوف (ولكل قوم هاد) أى نبى يهديهم الى الحق (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أى ما تحمله من ذكر أو أنثى أو واحد أو اثنين (وما تغيض الأرحام) أى ما تنقصه (وما تزداد) أى على التسعة الأشهر (وكل شئ عنده بمقدار) أى بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن العباد وما شاهدوه (الكبير) أى الذى كبر عن صفة المخلوقين (المتعال) أى المتعالى عن كل سوء (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى السر والعلانية عند الله تعالى (ومن هو مستخف بالليل) أى مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) أى ظاهر بالنهار (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) أى ملائكة تتعاقب فى حفظه بالليل والنهار (يحفظونه من أمر الله) أى من بأس الله اذا جاء القدر (ان الله لا يغير ما بقوم) أى من النعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) أى من الطاعة الى المعصية (واذا أراد الله بقوم سوءا) أى عذابا (فلا مرد له) أى لا يرده شئ (وما لهم من دونه من وال) أى من ناصر يمنعهم من عذاب الله (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) أى خوفا للمسافر وطمعا للمقيم (وينشئ السحاب الثقال) أى المملوءة بالماء (ويسبح الرعد بحمده) أى يسبح ملتبسا بحمده (والملائكة من خيفته) أى من خوفه (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) أى من عباده (وهم يجادلون فى الله) أى فى توحيده (وهو شديد المحال) أى شديد الحول والقوة (له دعوة الحق) أى لا اله الا الله (والذين يدعون من دونه) أى من الأصنام (لا يستجيبون لهم بشئ) أى لا يجيبون لهم دعوة (الا كباسط كفيه الى الماء) أى كما يبسط الرجل كفيه الى الماء (ليبلغ فاه) أى ليصل الماء الى فيه (وما هو ببالغه) أى وما الماء ببالغ فيه (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى فى ذهاب عن الصواب (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) أى من آمن سجد طوعا ومن كفر سجد كرها بالسيف (وظلالهم بالغدو والآصال) أى وتسجد ظلالهم بالغدو والآصال (قل من رب السموات والأرض قل الله) أى ان لم يقولوا الله فقل الله (قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) أى لا يقدرون على جلب نفع ولا دفع ضر (قل هل يستوى الأعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) أى الكفر والايمان (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أى فلم يعلموا أن الله خالق كل شئ فيعبدوه (قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) أى الغالب لكل شئ (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أى بقدر صغرها وكبرها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) أى عاليا على الماء (ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية) أى طلب حلية (أو متاع) أى طلب متاع (زبد مثله) أى من جنسه (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) أى رميا (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) أى فيبقى فى الأرض (كذلك يضرب الله الأمثال) أى مثل الحق والباطل (للذين استجابوا لربهم الحسنى) أى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) أى لم يوحدوه (لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) أى لبذلوه فى الآخرة ليخلصوا من العذاب (أولئك لهم سوء الحساب) أى المناقشة فى الحساب (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) أى الفراش (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أى كافر (انما يتذكر أولوا الألباب) أى ذوو العقول (الذين يوفون بعهد الله) أى بما عهد الله اليهم فى الكتب (ولا ينقضون الميثاق) أى ما أخذ عليهم فى الكتب (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) أى من الايمان بالأنبياء والكتب (ويخشون ربهم) أى فى قطيعة الرحم (ويخافون سوء الحساب) أى المناقشة فى الحساب (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) أى طلبا لرضاه (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أى فى الزكاة والنوافل (ويدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ (أولئك لهم عقبى الدار) أى العاقبة المحمودة (جنات عدن) أى بساتين اقامة (يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى ممن آمن منهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) أى يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) أى نعم العاقبة عاقبتكم (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) أى من بعد ما أخذ عليهم فى الكتب (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أى من الايمان بالأنبياء والكتب (ويفسدون فى الأرض) أى بالمعاصى (أولئك لهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) أى النار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (وفرحوا بالحياة الدنيا) أى بطروا بها (وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) أى قليل (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل عليه آية من ربه (قل ان الله يضل من يشاء) أى عن الحق (ويهدى اليه من أناب) أى رجع الى الحق (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بتوحيد الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى بتوحيد الله تسكن القلوب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) أى فرح لهم وقرة عين (وحسن مآب) أى مرجع (كذلك أرسلناك فى أمة) أى الى أمة (قد خلت من قبلها أمم) أى كثيرة (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) أى لتقرأ عليهم القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) أى بالله (قل هو ربى) أى خالقى ومالكى (لا اله الا هو عليه توكلت) أى فوضت أمرى (واليه متاب) أى مرجعى ﴿ قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أى ذهبت عن أماكنها (أو قطعت به الأرض) أى شققت (أو كلم به الموتى) أى أحيوا (بل لله الأمر جميعا) أى بل الله يفعل ما يشاء (أفلم ييأس الذين آمنوا) أى أفلم يعلموا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أى الى الايمان (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) أى داهية (أو تحل قريبا من دارهم) أى بالقرب منهم (حتى يأتى وعد الله) أى بالنصر عليهم (ان الله لا يخلف الميعاد) أى لا يخلف وعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أى كما استهزئ بك (فأمليت للذين كفروا) أى أمهلتهم (ثم أخذتهم) أى بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أى كيف رأيت عقابى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى من هو رقيب على كل نفس بما كسبت من خير وشر (وجعلوا لله شركاء) أى من الأصنام (قل سموهم) أى بينوا من هم (أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض) أى أم تخبرونه بشركاء لا يعلمها فى الأرض (أم بظاهر من القول) أى بل تقولون بظاهر من القول (بل زين للذين كفروا مكرهم) أى كفرهم (وصدوا عن السبيل) أى عن الحق (ومن يضلل الله فما له من هاد) أى من مرشد (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) أى بالقتل والأسر (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد (وما لهم من الله من واق) أى من مانع يمنعهم من عذاب الله (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفة الجنة التى وعد المتقون (تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت أشجارها وقصورها (أكلها دائم) أى ثمرها لا ينقطع (وظلها) أى ظل أشجارها (تلك عقبى الذين اتقوا) أى عاقبة المتقين (وعقبى الكافرين النار) أى عاقبتهم النار (والذين آتيناهم الكتاب) أى مؤمنو أهل الكتاب (يفرحون بما أنزل اليك) أى من القرآن (ومن الأحزاب) أى اليهود والنصارى (من ينكر بعضه) أى من القرآن (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أى قل لهم يا محمد انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به (اليه أدعو واليه مآب) أى مرجعى ﴿ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء أنزلنا القرآن حكما عربيا (ولئن اتبعت أهواءهم) أى فى القبلة (بعد ما جاءك من العلم) أى من الوحى (ما لك من الله من ولى ولا واق) أى من ناصر ومانع (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) أى نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى بأمر الله (لكل أجل كتاب) أى لكل وقت حكم (يمحو الله ما يشاء ويثبت) أى ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء (وعنده أم الكتاب) أى أصل الكتاب (وان ما نرينك بعض الذى نعدهم) أى فى حياتك (أو نتوفينك) أى قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) أى التبليغ (وعلينا الحساب) أى المجازاة (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) أى بالفتح على المسلمين (والله يحكم لا معقب لحكمه) أى لا راد لقضائه (وهو سريع الحساب) أى يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كما مكر كفار مكة برسولى (فلله المكر جميعا) أى هو خالق مكرهم ومجازيهم عليه (يعلم ما تكسب كل نفس) أى من خير وشر (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) أى لمن تكون العاقبة المحمودة (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) أى الى الناس (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) أى على صدقى (ومن عنده علم الكتاب) أى علم التوراة والانجيل وقيل هو عبد الله بن سلام رضى الله عنه

اصل

والمعاور والعمار والصرصل الدائر والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر والبحر يعني مصر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقيله المطر كالدر في البر والدر في البحر تحاول أصداف الاصداف من اللؤلؤ ودلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فتأخذ قطرة المطر صارا لولوا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب سوء صنيعهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن تعاقبهم بجميعها في الآخرة والذوق هنا بمعنى الاصابة (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسبب المعاصي لعصب الله وبكله بقوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بان يسيروا فيها فنظروا كيف أهلك الله الامم وأداقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فأقم وجهك للدين القيم) السليم الاستقامة الذي لا يأتي صاحبه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأتي والمعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا تستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو يعني الله ولا يرده من جهته (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار الى عاقبتهم بقوله (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أي يسوون لانفسهم منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي ثوابهم (انه لا يحب الكافرين) تعليل لقوله فعليه كفره (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي بالمطر (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي بالعذاب الذي استحقوه بكفرهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي بانجائهم من العذاب لعلمنا بكرمهم (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي

والمعاور والعمار والصرصل الدائر والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر والبحر يعني مصر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقيله المطر كالدر في البر والدر في البحر تحاول أصداف الاصداف من اللؤلؤ ودلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فتأخذ قطرة المطر صارا لولوا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب سوء صنيعهم وشركهم وقال ابن عباس المعاصي كلها من الشرك والقتل وقطع الطريق وقيل الظلم في البر قتل ابن آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة وقيل كثب الارض حصره موته لانه لما قتل ابن آدم حصر الارض عليه فلم تقبله وكان ماء البحر عذبا وكان لا يعصف البحر الريح فلما قتل هابيل اغبرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا فاجاج وعصفت الرياح فصارت تعصف السفن وقيل ان الارض امتلأت ظلما وعدوانا فبعث الله عليها البحر فغرقها وقيل لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس عما كانوا عليه من الكفر وأرادوا الاسلام فكفرهم وأعمالهم الخبيثة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبته الذي عملوا من السيئات (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لترى ديارهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا لكفرهم ﴿قوله عز وجل (فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم لامر الله (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا مرد لاحد (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر التفريق فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي جحوده (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أي يوطئون المضاجع ويسوون في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس يرحمهم الله ويثيبهم (انه لا يحب الكافرين) أي بالعذاب (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي بالمطر (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم ﴿قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي بالعذاب الذي استحقوه بكفرهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي بانجائهم من العذاب لعلمنا بكرمهم ﴿قوله عز وجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي

والرياح) هي الجنوب والشمال والصبا والدبور وأما الذي يرسل بالرحمة وأما الذي يرسل بالعذاب فهو قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد جاء بها في القرآن بالافراد والجمع (مبشرات) أي ارسلها لتبشر بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولادائه الرحمة هي نزول المطر وحصول الخصب الذي يعمه والروح الذي يعم به وب الريح دون كافة الارض وعبر بذلك والذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل لتبشركم ولتذيقكم (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي عند قدرته أو بتسكينه كقوله ان يشأ يسكن الريح (ولتبتغوا من فضله) بمرور في البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي فكذبوهم فانتقمنا من الذين أجرموا (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفروا بالاهلاك في الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بما تعلقت به مشيئتنا وكان الاولى أن يقال وكان حقا علينا نصرهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح تثير سحابا

بشره (فبسطه في السماء كيف يشاء) بعني مسيره يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أي قطعا متفرقة (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصاب به) اي بالودق (من يشاء من عباده) اي من شاء من عباده اذا هم يستبشرون) اي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل ان ينزل عليهم من قبله) اي من قبل المطر (لمبلسين) اي آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) اي المطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) اي بعد يبسها (ان ذلك) اي الذي ذكر من احياء الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم (وهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن ارسلنا ريحا) أي الريح (فرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وآثارها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معنى الآثار لان اسم الجنس يجمع على الفعل والكثير لانه مصدر سمي به كما سبق (مصفرا) بعد اخضراره وقال مطر الا ان تلك صفرة حادثة وقبل قرأوا السحاب (٤٣٦) مصفرا لان السحاب الاصفر لاغبر والام في لئن واطه للقسم دخلت على حرف الشرط

فسد مسد جواب القسم وجواب الشرط (لظلوا) ومعناه لمالئ (من بعده يكفرون) أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار دمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم المطر وعلموا من رحمته وصبروا أدمانهم على سدورهم مسلمين فاذا أصابهم برحمة من عنده وهو المطر اذا أرسل ريحا فاصفر زرعهم بالصفار صاروا وكفروا نعمته الله فهم في جميع هذه الاحوال على الضعة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله ويصبروا واذا سكروا نعمته ويحمدوه عليها وصبروا وأن يصبروا على لائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) اي موتى القلوب أو هو لا في حكم الموتى فلا تطمع ان تعملوا مسلمين (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا تسمع الصم مثلي (اذا ولوا مدبرين) فان قلت لا تسمع مثلا لا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان معللا فهم بالرشد والاستقامة فاذا ولى لا تسمع ولا تفهم بالاولى (وما أنت بهادي العمي) أي عمي القلوب وما أنت بمهدي العمي جمع (عن ضلالتهم) اي لا تمكنك ان تهدي الاعمى الى طريق وتصل عمى بصيرته بالضلال (ان تسمع) ما تسمع (الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) من النطف كقوله ما مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني حال الشباب وبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعني حال الشيخوخة (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وهو العليم) باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا الترديد في الاحوال أدل على العلم والقدرة من الصادق الكل عاصم وجزء وصم غيرهما وهو احباره حص وهما لان والصم أموي من العراء فلما روي عن أبي عمر وأنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بذلك لانها يقوم فيها الناس من قبورهم أو آخر ساعات الدنيا أو لانها مع قصرها كما يعول في ساعات الليل أو لانها تسع أهوالا كثيرة وحروب عظيمة وجزء عظيما كالجبل الكبير (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا يعلمون (ما لبثوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) حين استصغروا أيام الدنيا أو أهوال يوم القيامة وطول مدة في مقابلة ما هم فيه أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا

الحديث من كذب وكان يعرف أنى الخير ويشترى أحاديث ويحدث بها ويساوى يقول ان محمدا يعدكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث بسيط واحد وأنه لا يأتى كاسره فيسمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية ويدخل فى هو سواء النقاب والمحبس ومعنى الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث أو الهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل تعلم الغناء ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السكاك وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية صوارة ليمسكها بالغناء وصرفها عما عسى أن يكون لم أصل عليه ان الله تعالى يقول من الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والذى لا إله غيره يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء من الباطل وهو كل لهو ولعب وقيل آية ما معناه عظيم (من سبيل الله) أى عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أى بغير علم له بما يقول وبغير حجة يعطى بها الحق (ويتخذها هزوا) أى يتخذ آيات الله هزوا (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (لهم عذاب مهين) أى يهينهم (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أى أعرض عن سماعها متكبرا (كأن لم يسمعها) أى كأنه لم يسمعها أصلا (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا وصمما (فبشره بعذاب أليم) أى مؤلم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فالثانى مؤكد معنى الوعد ومؤكد لهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شىء فيمنعهم أعداؤه بالعذاب المهين (الحكيم) فيما فعل فى أمرهم وأمرك (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو أشهر ذكر ويجوز أن يعود على قوله بغير عمد كما تقول أصاحبك أما ترى لها زمانا ولا محل لها من الاعراب لان ما بعدها فى محل الجر صفة لعمد أى بغير عمد مرئية أى عمدها لا ترى وهى أمثالكم فى أنها مخلوقة (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث فيها) ونشر فيها (من كل دابة) مما تعلمون وما لا تعلمون (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أى مخلوقه (فأروونى ماذا خلق الذين من دونه) أى آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) بين

الحارث بن كلدة وكان يعرف أنى الخير ويشترى أحاديث ويحدث بها ويساوى يقول ان محمدا يعدكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار فيسمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية ويدخل فى هو سواء النقاب والمحبس ومعنى الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث أو الهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل تعلم الغناء ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية * وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السكاك وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية صوارة ليمسكها بالغناء وصرفها عما عسى أن يكون لم أصل عليه ان الله تعالى يقول من الناس من يشترى لهو الحديث الآية * وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والذى لا إله غيره يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء من الباطل وهو كل لهو ولعب وقيل آية ما معناه عظيم (من سبيل الله) أى عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أى بغير علم له بما يقول وبغير حجة يعطى بها الحق (ويتخذها هزوا) أى يتخذ آيات الله هزوا (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (لهم عذاب مهين) أى يهينهم (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أى أعرض عن سماعها متكبرا (كأن لم يسمعها) أى كأنه لم يسمعها أصلا (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا وصمما (فبشره بعذاب أليم) أى مؤلم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فالثانى مؤكد معنى الوعد ومؤكد لهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شىء فيمنعهم أعداؤه بالعذاب المهين (الحكيم) فيما فعل فى أمرهم وأمرك (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو أشهر ذكر ويجوز أن يعود على قوله بغير عمد كما تقول أصاحبك أما ترى لها زمانا ولا محل لها من الاعراب لان ما بعدها فى محل الجر صفة لعمد أى بغير عمد مرئية أى عمدها لا ترى وهى أمثالكم فى أنها مخلوقة (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث فيها) ونشر فيها (من كل دابة) مما تعلمون وما لا تعلمون (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أى مخلوقه (فأروونى ماذا خلق الذين من دونه) أى آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) بين

أقرب من تكليمهم الى التسهيل عليهم بالشهور والسنين بدليل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألفا وثمانمائة سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان مملوكا حبشيا غليظ الشفتين فقيل له ألست الذي كنت ترعى معنا قال بلى قيل فما بلغ بك ما نرى قال قضاء الله أداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني كان قاضيا في بني اسرائيل وقال مجاهد كان نوبيا ذا رسغين غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وقيل كان قاضي بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان مملوكا الجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فوهي الاصابة في القول والعمل وقيل الفهم والعقل وقيل الخشية والورع وقيل الفقه في الدين وقيل الزهد في الدنيا والتفكر في أمر الآخرة وقيل الصمت وقيل كان يقضي بحكم داود قبل مبعثه وقيل الحكمة النبوة نفسها لقوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وقيل الحكمة الفهم في الشرائع والتعبد بها وقيل الحكمة الورع وقيل الحكمة الخشية لقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقيل الحكمة العلم بالله والعمل بما يحب وقيل الحكمة الفقه في الدين والاتباع له وقيل الحكمة الاصابة في القول والعمل وقيل الحكمة علم الحلال والحرام وقيل الحكمة السنة وقيل الحكمة الفهم في القرآن وقيل الحكمة الفهم في كل شيء وقيل الحكمة الفطنة والذكاء وقيل الحكمة الاستدلال بالشاهد على الغائب وقيل الحكمة الاعتبار بما مضى لما يأتي وقيل الحكمة الاشفاق من خوف الله وقيل الحكمة الخوف من الله وقيل الحكمة الهيبة وقيل الحكمة الحياء والمنطق وقيل الحكمة الصدق وقيل الحكمة الوقار وقيل الحكمة السكينة والتواضع وقيل الحكمة المعرفة وقيل الحكمة الورع الحاجز عن المعاصي وقيل الحكمة الزهد وقيل الحكمة ترك ما لا يعني وقيل الحكمة الصمت وقيل الحكمة حسن الخلق وقيل الحكمة حسن المسألة وقيل الحكمة حسن الفهم وقيل الحكمة الحلم وقيل الحكمة الوقار والسكينة وقيل الحكمة الرأفة وقيل الحكمة الرحمة وقيل الحكمة العقل وقيل الحكمة الكف عن المحارم وقيل الحكمة المنطق الصواب وقيل الحكمة الصلاة وقيل الحكمة الصوم وقيل الحكمة الحج وقيل الحكمة الجهاد وقيل الحكمة الصدقة وقيل الحكمة الصبر وقيل الحكمة الشكر وقيل الحكمة الرضا بالقضاء وقيل الحكمة كف الأذى وقيل الحكمة ترك الشهوات وقيل الحكمة الحزم وقيل الحكمة الحلال وقيل الحكمة الحرام وقيل الحكمة الأمثال وقيل الحكمة الفراسة وقيل الحكمة الكتابة وقيل الحكمة الحساب وقيل الحكمة الطب وقيل الحكمة الشعر وقيل الحكمة الرمي وقيل الحكمة السباحة وقيل الحكمة الرماية وقيل الحكمة الخط وقيل الحكمة الحرث وقيل الحكمة الغوص وقيل الحكمة الصنعة وقيل الحكمة الحدادة وقيل الحكمة النجارة وقيل الحكمة الخياطة وقيل الحكمة الحجامة وقيل الحكمة الفلاحة وقيل الحكمة الحياكة وقيل الحكمة الغزل وقيل الحكمة النسج وقيل الحكمة الخبز وقيل الحكمة الطبخ وقيل الحكمة الخبرة وقيل الحكمة الدراية وقيل الحكمة الفطنة وقيل الحكمة الذكاء وقيل الحكمة الفكر وقيل الحكمة الاعتبار وقيل الحكمة الحفظ وقيل الحكمة الكتمان وقيل الحكمة الحلم وقيل الحكمة الوقار وقيل الحكمة السكينة وقيل الحكمة التواضع وقيل الحكمة المعرفة وقيل الحكمة الورع الحاجز عن المعاصي وقيل الحكمة الزهد وقيل الحكمة ترك ما لا يعني وقيل الحكمة الصمت وقيل الحكمة حسن الخلق وقيل الحكمة حسن المسألة وقيل الحكمة حسن الفهم وقيل الحكمة الحلم وقيل الحكمة الوقار والسكينة وقيل الحكمة الرأفة وقيل الحكمة الرحمة وقيل الحكمة العقل وقيل الحكمة الكف عن المحارم وقيل الحكمة المنطق الصواب وقيل الحكمة الصلاة وقيل الحكمة الصوم وقيل الحكمة الحج وقيل الحكمة الجهاد وقيل الحكمة الصدقة وقيل الحكمة الصبر وقيل الحكمة الشكر وقيل الحكمة الرضا بالقضاء وقيل الحكمة كف الأذى وقيل الحكمة ترك الشهوات وقيل الحكمة الحزم وقيل الحكمة الحلال وقيل الحكمة الحرام وقيل الحكمة الأمثال وقيل الحكمة الفراسة وقيل الحكمة الكتابة وقيل الحكمة الحساب وقيل الحكمة الطب وقيل الحكمة الشعر وقيل الحكمة الرمي وقيل الحكمة السباحة وقيل الحكمة الرماية وقيل الحكمة الخط وقيل الحكمة الحرث وقيل الحكمة الغوص وقيل الحكمة الصنعة وقيل الحكمة الحدادة وقيل الحكمة النجارة وقيل الحكمة الخياطة وقيل الحكمة الحجامة وقيل الحكمة الفلاحة وقيل الحكمة الحياكة وقيل الحكمة الغزل وقيل الحكمة النسج وقيل الحكمة الخبز وقيل الحكمة الطبخ وقيل الحكمة الخبرة وقيل الحكمة الدراية وقيل الحكمة الفطنة وقيل الحكمة الذكاء وقيل الحكمة الفكر وقيل الحكمة الاعتبار وقيل الحكمة الحفظ وقيل الحكمة الكتمان

عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب وقيل ابن خالته وقيل ابن عم أيوب وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألفا وثمانمائة سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان مملوكا حبشيا غليظ الشفتين وقيل كان نوبيا ذا رسغين غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وقيل كان قاضي بني اسرائيل وقال مجاهد كان نوبيا ذا رسغين غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وقيل كان قاضي بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان مملوكا الجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فوهي الاصابة في القول والعمل وقيل الفهم والعقل وقيل الخشية والورع وقيل الفقه في الدين وقيل الزهد في الدنيا والتفكر في أمر الآخرة وقيل الصمت وقيل كان يقضي بحكم داود قبل مبعثه وقيل النبوة نفسها لقوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وقيل الحكمة الفهم في الشرائع والتعبد بها وقيل الحكمة الورع وقيل الحكمة الخشية لقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقيل الحكمة العلم بالله والعمل بما يحب وقيل الحكمة الفقه في الدين والاتباع له وقيل الحكمة

تشكره وسكر الوالدين قال الحراء على وقت الصبر الى قال سعيد بن جبير في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال الحسن يعني ان طاعتهما واجبة فان أمرتا بشيء دلتك الآية التي بعدها على ان لا تطيعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب الي) أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الي يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتى عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر (ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن عباس قال لابنه يا أبت ان حملت الخطيئة حبة لا تراني أحدك مما يعلمها الله قال يا بني انها أي الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل أي في الصخر (فتكن) أي مع صخرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارض السابع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وحصرة السابعة منها وقيل خلق الله الارض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على ظهر ملك والملك على ظهر صخرة الصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر نون وهو الحوت وهي التي ذكر لقمان لابنه في الارض ولا في السماء عاد ذلك قال (او في السموات أو في الارض) أي على متن الريح والريح على الهدهد (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها هذا ان هذه الكلمة آخر كلام لقمان فاسمع ما ذا بعد من هديه وعظيم شأنه (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها من عزم الامور) أي فانها من عزم الامور أي قطع الاعداء والرام أي أمر به أمر ايجاب وعزم وهو من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزوم الامور أي معطوفاتها ومعزوماتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الامم (ولا تصعر خدك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أو عمرو وبابه وحجره وعلي وهو معنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقبل على الناس تواضع ولا تولهم وجهك وصفحه كما يفعله المتكبرون (ولا تمش في الارض مرحا) أي مرح مرحا أو وضع المصدر موضع الحال أي مرحا ولا تمش لاجل المرح والاشر (ان الله لا يحب كل مختال) متكبر (فخور) من بعد ما أعطاه ولا (واقصد) القصد الوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي اعتدل فيه حتى يكون مشيا بين مشي المذنبين المتماوتين ولا مشي المتطاول قال عليه السلام مر عمه المشي يذهب بها المرض وما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى أسرع فانما اراد به السرعة المرتفعة عن دبيب النساء وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا يعدون عند النبي عليه السلام ويمشون عند ذكر الموت وفي الحديث ان من الهدى الوقار وضع قدميه [illegible]

الصخرة بكسر الخاء (أو في السموات أو في الارض) أي فكان مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه وكوفي الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي والاكثر على انها الى جانب الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يأت بها الله) يوصل علمه الى كل حي (ان الله لطيف) عالم بكنهه أو لطيف بأستخراجها (خبير) بمستقرها (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها من عزم الامور (ان ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الامور) أي مما عزمه الله من الامور أي قطعه

(من)

من صوتك) واقصد مشيك أي اخفض صوتك (إن أنكر الأصوات) أي أوحشها (لصوت الحمير) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثوري صياح كل شيء تسمع الا الحمار وهو يصيح لرؤية الشيطان وذلك سماه الله منكرا وفي تشبيه الراعي أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة وقد مر روي انه عليه السلام كان يخفض أبو بكر الرجل حتى يخفض الصوت ويكره ان يكون مجهورا والصوت واحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوحد (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات) يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الارض) يعني البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسبغ) وأتم (عليكم نعمه) مدني وأبو عمرو وسهل وحفص نعمه غيرهم والنعمة كل ما يتبع مصدره الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) مما لا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة الصحة والسمع والبصر وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة العلم والعقل والفهم (٤٤١) وما أشبه ذلك وروي في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على أخفى نعمك علي فأدلك فقال أخفى نعمي عليهم النفس وغمل تخفيف السرائر وبطنه على الدرائع والخلق والخلق وغسل العطايا وصرف السلا وول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عمل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت في النضر بن الحرث وعدي في الحج (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيدعوهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب (ومن يسلم وجهه إلى الله) عدي

(من صوتك ان أنكر) أي أقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسمع الا الحمار وعلى معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان بمائتي عبر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وفعالهم ومن حكمته قيل له كان عبدا حبشا فدفع السه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان لابنه كخ يا بني لا تمص نواة ولا تلق نواة فان الناس شر من النواة قال الذي لا تعالى ان تراه الناس مسلما ﴿قوله عز وجل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ) أي أسبل وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب لم يخزكم عليها وقال مجاهد الظاهرة ما يعرف من خلق حسن وصورة حسنة وما أنعم به عليك من الرزق والباطنة ما يستر من مساوئ عملك وقبيح سريرتك وقال عطاء الظاهرة ما أنعم به في الدنيا من الصحة والسلامة والرزق والباطنة ما ستر من عورات الدنيا وآفاتها وقال الضحاك الظاهرة الرسول والقرآن والباطنة ما ستر من عورات الدنيا وآفاتها وقال قتادة الظاهرة ما أعطاك من القوة في بدنك والسعة في رزقك والباطنة ما ستر عليك من ذنب (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم ﴿قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه إلى الله) أي يخلص لله دينه ونفسه (وهو محسن) في عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي اعتصم بالعهد الوثيق الذي لا خلف عنده ولا يحول انقطاع ونبي بنا إلى أعلى المراتب والعلامات (وإلى الله عاقبة الامور) أي مصير جميع الاشياء فيجازي كفر فلا يحزنك كفره أمرهم وهم ما عملوا ان الله علم بذات الصدور) أي لا يخفى عليه شيء صلى الله عليه وسلم ﴿قوله تعالى (نمتعهم قليلا) أي نعيشهم أياما قلائل في الدنيا ثم نلجئهم (ثم نضطرهم) أي نلجئهم ونردهم (إلى عذاب غليظ) إلى النار في الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات و

الربا ... وجهه ... سلم الله أي عامله وسعى ... سلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد الوكل على الله والتفويض ... (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هي ما يعلق به الشيء (الوثقى) نائب الوصف من حال الوكل بحال ... دان تشد في ساعد أو غيره فان استمسك بأوثق عرى ما يؤمن انفصامها (وإلى الله عاقبة الامور) أي هي من والله فجازي عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزنه يحزنه إذا ساءه لا يحزنك كفر من كفر (إلينا مرجعهم) أي وجميعهم فنخبرهم بما عملوا (ننبئهم بما عملوا) وعاقبهم على أعمالهم (إن الله عليم بذات الصدور) ان الله تعالى بما في صدور عباده فكيف بأعمالهم (نمتعهم قليلا) في الدنيا أياما قلائل (ثم نضطرهم) نلجئهم (إلى عذاب غليظ) شديد وهو ما يلقونه في الآخرة من شدائد الهول والعذاب ... اضطرار الصبي والعليل ... الاجرام العالية والاعلام على الاسنة ... (ولئن سألتهم من خلق السموات و

والارض لا مولى الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد)
بعدم مسيره ﴿ قوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت قل لهم يا محمد
عن الروح الآية وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد ألست
تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أفنعنا أم قومك قال عليه الصلاة والسلام كلا وقد نعتكم قالوا ألست
تتلو فيما جاءك أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد
أتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم به قالوا كيف ترعم هذا وأنت تقول أوتي الحكمة من أوتي التوراة فقد أوتي خيرا
كثيرا فكيف يجمع بين علمك القليل في خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقال
ابن عباس قالت اليهود أمرونا وقد قرأنا ما أوتينا وأوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا فأنزل الله
المشركين قالوا ان القرآن وما فيه يوشك أن يفنى فنزلت هذه الآية مكية قال الله تعالى ولو أن ما في الارض
شجرة أقلام أي صيرت أقلاما وقوله تعالى (والبحر يمده) أي يزيده (من بعده سبعة أبحر) أي مدادا والمعنى
(ما نفدت كلمات الله) لانها لا تعد ولا تحصى (ان الله عزيز حكيم) ﴿ قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)
وبعثها الا بعد علمه بها (ان الله سميع) أي لاقوالكم (بصير) بأعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك
بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن
ما يدعون من دونه الباطل) أي لا تستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له العز والعظمة
والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿ قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) أي السفن
والمراكب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) أي من عجائب
صنعه (ان في ذلك لآيات لكل صبار) أي على طاعة الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظل)

الى حكمها حكم الظروف
واعاد ذكر البحر له
الاشعار بدلالته أو بدل
الشجر وتقصيرها عنه
بحر حي لا يتناهى من جنس
البحر ولا واحد له الا وقد
ربت أقلاما وأبرز الكلمات
وهي جمع قلة على الكثير
وهي جمع كثرة لان عباده
ان كلماته لا تفنى تكتبها
الكتبة فكيف تكتمه (ان
الله عزيز) لا يعجزه شيء
(حكيم) لا يخرج شيء عن علمه
وحكمته (ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة)
الا كخلق نفس واحدة
وبعث نفس واحدة لقدرته
على الكل وعلمه بأحوال
العالم والكل هين عليه

سأل عن سبب (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا يسمع (بصير) بأعمالهم فجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) أي
يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا دخل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لما فيه العباد (كل) أي كل واحد من الشمس
والقمر (يجري) في فلكه ومطلعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة وهو وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر
(وأن الله بما تعملون خبير) وبما فيه من دلائل الليل والنهار وغيرهما وصنعها وجري الشمس في فلكها على مقدار
وحساب وبما يحيط به علمه مع أعمال الخلق على عظم مقدرته وكمال حكمته (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) بالتاء أي تعبدون (من
دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته في تحريك الفلك الموسرة
فكيف بالجماد الذي عبد من دون الله اعلم أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وانه هو العلي الشأن الكبير
السلطان (ألم تر أن الفلك) وفي الفلك وكذا في كل محمول (تجري في البحر بنعمت الله) بأحسانه ورحمته والريح
لأن الريح من نعم الله (ليريكم من آياته) مما يقدر فيه الادراك من الهول (ان في ذلك لآيات) على الله (لكل صبار) على
بلائه (شكور) على نعمائه (واذا غشيهم) كالظلل

أي كالحمال وقيل كالسحاب وسمي الموج في كبرها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع في شدة مثل تلك الحالة يتجه الى الله بالدعاء وترك كل من عداه وينسى جميع ما سواه فاذا تخلص الى السفينة منهم من بقي على تلك الحالة وهو المراد بقوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل براد في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا الريح من الى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) أي غدار (كفور) أي جحود لا يعصاها وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) اي حافوا عقابه (واخشوا) أي خافوا (يوما لا يجزي) أي لا يقضي ولا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) قيل معنى الآية ان الله تعالى ذكر خصلتين في غاية العظم والمهم هو الوالد والولد فالاعلى على الادنى والادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته والولد يجزي عن والده لكمال حقه وقيل معناه لا يجزي والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئا فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بشأن غيره كما قال ان ابن آدم يوم القيامة يفر من أخيه ومن أمه وأبيه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقق في الوقت المعين وقيل انه تحقق بعد الموت وقيل انه تحقق بعد الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) اي لا يلهينكم (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة من خزاعة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة وزمانها وقال ان أرضنا أجدبت فمتى يأتي الغيث فمتى تخرج أمرأتي فمتى أموت فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير وفي الآية ان الله عنده علم الساعة فلا تدري أحد متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم الا الله (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله (ويعلم ما في الارحام) أذكر أم انثى أجميل أم قبيح أسود أم أحمر تام الخلق أم ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدري نفس بأي أرض تموت) اي لا يدري أحد

أي كالجبال وقيل كالسحاب سميت الموج في كبرها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع في شدة مثل الله بالدعاء وترك كل من عداه وينسى جميع ما سواه فاذا تخلص الى السفينة منهم من بقي على تلك الحالة وهو المراد بقوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل براد في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا الريح من الى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) أي غدار (كفور) أي جحود لا يعصاها وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) اي حافوا عقابه (واخشوا) أي خافوا (يوما لا يجزي) أي لا يقضي ولا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) قيل معنى الآية ان الله تعالى ذكر خصلتين في غاية العظم والمهم هو الوالد والولد فالاعلى على الادنى والادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته والولد يجزي عن والده لكمال حقه وقيل معناه لا يجزي والد عن ولده ولا مولود عن والده شيئا فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بشأن غيره كما قال ان ابن آدم يوم القيامة يفر من أخيه ومن أمه وأبيه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقق في الوقت المعين وقيل انه تحقق بعد الموت وقيل انه تحقق بعد الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) اي لا يلهينكم (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة من خزاعة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة وزمانها وقال ان أرضنا أجدبت فمتى يأتي الغيث فمتى تخرج أمرأتي فمتى أموت فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير وفي الآية ان الله عنده علم الساعة فلا تدري أحد متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم الا الله (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله (ويعلم ما في الارحام) أذكر أم انثى أجميل أم قبيح أسود أم أحمر تام الخلق أم ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدري نفس بأي أرض تموت) اي لا يدري أحد

لا أين رحلها ومرعاها أي العذرة حتى تموت في كان لم تخطر الهار وي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلساء فقال الرجل من هذا قال له ذلك الموت قال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه بالهند ففعل ثم قال ذلك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني أمرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد فما في الدراية من معنى الحيل والحذر له والمعنى انها لا تعرف وان أعملت حيلها ما خلص منها ولا يعلم أحد من الناس متى كسبه ومعاده ما دام كل له طريق الى معرفتهما كان معرفة ما بعدهما بعد وأما العلم الذي بمعنى الموت فانه حول به الموت وما تدري نفس بأي الطالع وما تدري بالدليل لا يكون عالما على انه بمجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس ولا يعلمهن الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أدنى علم هذه الخمسة بعد كقدر ما يرى في المنام رأى ملك الموت وسأله عن بعد عمر فاشار بأصابعه الخمس فصورها الصبي بخمس سنوات وخمسة أشهر وخمسة أيام فعاش ابن خمسة رضي الله عنه وهو اشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله

من الناس يعلم أني مصحف من الاوض في براد تحرى سؤل أو جبل (أنا الله عليم) اى بهذه الاشياء وغيرها (خبير) أي بسرائر الاشياء كلها فالمس تعلمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى من ادعى انه يعلم شيأ من هذه فقد كفر بالقرآن لانه خالف الله والله تعالى اعلم بمراده وأسراره وكتابه

(تفسير سورة السجدة وهي مكية)

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله افمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وعشرون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة حروفا والله تعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركون (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمي لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فترة فقال لهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بيني وبينكم رسول لم يعم عليهم منذ قط أما بين أظهرهم الخمسة السراتع التي لا يدرك عليها الا من حمته الرسل فلا وأبيك ما بعث الله نبيا بعد عيسى غيري ولا بين أظهرهم غيري فذلك قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ما إلى قوله لعلهم يهتدون) يعني بنذيرهم راجيا هداهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) بتخفيف الذال يعني أفلا تعتبرون قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء إلى الارض ثم يعرج) أي يصعد (إليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله إلى الارض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو سارها أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم جميعون وقيل معنى الآية يدبر الامر من السماء إلى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج إليه أي يرجع الامر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآدميين وحكم الحاكمين في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول تسرجبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كل ذلك في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم النخعي لا يكون على المؤمن إلا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن سرعة وقوعه وسهولته ومعناه قال ابن ابي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن عمرو بن العاص على عباس فسأله ابن عمرو عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني

أي ناصر يكم ولا شفيع لكم (أفلا تذكرون) تعظون يا عباد الله (يدبر الامر) اى امر الدنيا (من السماء الى الارض) الى ان تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) يحكم به (في يوم كان مقداره الف سنة) وهو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا عجب للمشبهة في قوله الى ربي ذاهب الى ربي مهاجر الى ربي ومن خرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) اى الموصوف بعلم ما غاب عن العباد وما هو

الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا يخفى عليه
خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل
طاعته ﴿ قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل
شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق الشخص على صورته فكل حيوان كامل في صورته محسن
في سكناه وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم إياه
وقيل معناه أحسن إلى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من
سلالة) أي من نطفة تسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه
من روحه) أضاف النفخ الروح إضافة تشريف كما قال الله تعالى ونفخت فيه من روحنا كما يقال عبد الله وناقة الله ثم ذكر ما يرتب على نفخ الروح في
الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق لأجلكم يا معشر بني آدم (السمع والابصار والافئدة) قدم السمع
لان الانسان يسمع أولا كلاما ثم ينظر إلى قائله فيعرفه ثم يفكر بعقله في ذلك الكلام إذا فهم معناه ووحد
السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلا ما تشكرون) يعني أنكم لا تشكرون ربكم هذه
النعم فوحد وهو الافئدة ﴿ قوله تعالى (وقالوا) يعني منكري البعث (أإذا ضللنا) هلكنا (في الارض)
والمعنى صرنا ترابا (أإنا لفي خلق جديد) استفهام انكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي
بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت)
وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي إنه لا يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا يعجل
له الا دليل روي أن ملك الموت جعل له الدنيا مثل راحته يتناول منها أحيا ما أحب من عدد مسمى فهو
يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
وقال ابن عباس إن حظيرة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعل له الارض مثل الطست يتناول
منها حيث شاء وقيل إن ملك الموت على معراج بين السماء والارض ينزع أعوانه روح الانسان فإذا بلغ
حلقومه تصفحه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال إن ملك الموت جزيء له ما بين المشرق والمغرب وهي صفح
وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله
ضرب رأسه بملك الحربة وقال له الآن ترك ما سكر ابن الموت وقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى
ربكم إحياء فيجزيكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون) أي المشركون (ناكسوا رؤوسهم
عند ربهم) أي نكسوا رؤوسهم من خزيهم وندما على ما فعلوا (عند ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أي ما كنا به
مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما أنذرتنا به رسلك (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) أي في الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان (ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها) أي لو شئنا لجعلنا الناس كلهم على الهدى ولكن سبق القضاء بالضلالة لبعضهم
(ولكن حق القول مني) أي وجب وثبت (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من الفريقين
(فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم العمل لما جاءكم من هذا اليوم (إنا نسيناكم) أي تركناكم
في العذاب كما تركتم العمل لما جاءكم من هذا اليوم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي في الدنيا
من المعاصي (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم سجدا
(وسبحوا بحمد ربهم) أي نزهوه عما لا يليق به (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم (تتجافى جنوبهم)
أي ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) أي الفرش جمع مضجع وهو الموضع الذي ينام عليه (يدعون ربهم خوفا
وطمعا) أي خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) أي في طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين) أي ما ادخر لهم من الكرامة التي تقر بها أعينهم (جزاء بما كانوا يعملون)
أي ثوابا على أعمالهم الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) أي لا يستوي المؤمن والكافر
في الدنيا ولا في الآخرة (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي البساتين التي يأوون
إليها (نزلا بما كانوا يعملون) أي ثوابا على أعمالهم الصالحة (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أي
مصيرهم ومنقلبهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) أي ردوا إلى قعرها (وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا بالقتل
والسبي والجوع والقحط وغير ذلك (دون العذاب الأكبر) أي عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) أي
يتوبون عن كفرهم ومعاصيهم (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لا أحد أظلم ممن
وعظ بالقرآن فلم يتعظ به (إنا من المجرمين منتقمون) أي من المشركين منتقمون (ولقد آتينا موسى
الكتاب) أي التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج أو من لقاء موسى
الكتاب ليلة المعراج أو من لقاء موسى إياك ليلة المعراج (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) أي جعلنا
الكتاب هدى لبني إسرائيل (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم
(لما صبروا) على مشاق التكاليف (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي يصدقون (إن ربك هو يفصل بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي يقضي بينهم بقضائه العدل (أولم يهد لهم) أي أولم يبين لهم
(كم أهلكنا من قبلهم من القرون) أي كثرة إهلاكنا من قبلهم من القرون (يمشون في مساكنهم) أي
يمشي كفار مكة في مساكن عاد وثمود وغيرهم إذا سافروا إلى الشام (إن في ذلك لآيات) أي لعبرا
(أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) أي التي لا نبات فيها
(فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) أي من الحبوب والثمار (أفلا يبصرون) أي ما نحن فاعلون
بأعدائنا (ويقولون متى هذا الفتح) أي يوم القيامة (إن كنتم صادقين) في قولكم إنا نبعث (قل يوم
الفتح) أي يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا ينفعهم إيمانهم بعد الموت (ولا هم
ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤخرون (فأعرض عنهم) أي عن أذاهم (وانتظر) أي ما يفعل بهم (إنهم
منتظرون) أي ما يفعل بك وبهم ﴿ قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال
ابن عباس يعني سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى
كعيسى وقال مجاهد هن سبع أرضين بعضها فوق بعض حتى ينتهي إلى السابعة وقال الضحاك سبع أرضين
بعضها تحت بعض وقال كعب الارض على ظهر حوت والحوت على الماء والماء على الصخرة والصخرة
على ظهر ملك والملك على ظهر ريح والريح على الثرى والثرى لا يعلم ما تحته إلا الله تعالى (يتنزل
الأمر بينهن) أي بين السموات السبع والأرضين السبع (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد
أحاط بكل شيء علما) أي أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه ﴿ قوله تعالى
(قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين البعث
يقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك فيجزيكم بأعمالكم
(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)
﴿ قوله عز وجل (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي لو شئنا لجعلنا الناس كلهم على الهدى ولكن سبق القضاء بالضلالة لبعضهم
(ولكن حق القول مني) أي وجب وثبت (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من الفريقين
(فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي بما تركتم العمل لما جاءكم من هذا اليوم (إنا نسيناكم) أي
تركناكم في العذاب كما تركتم العمل لما جاءكم من هذا اليوم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون)
أي من المعاصي (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم سجدا
(وسبحوا بحمد ربهم) أي نزهوه عما لا يليق به (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم (تتجافى جنوبهم)
أي ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) أي الفرش جمع مضجع وهو الموضع الذي ينام عليه (يدعون ربهم خوفا
وطمعا) أي خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) أي في طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين) أي ما ادخر لهم من الكرامة التي تقر بها أعينهم (جزاء بما كانوا يعملون)
أي ثوابا على أعمالهم الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) أي لا يستوي المؤمن والكافر
في الدنيا ولا في الآخرة (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي البساتين التي يأوون
إليها (نزلا بما كانوا يعملون) أي ثوابا على أعمالهم الصالحة (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أي
مصيرهم ومنقلبهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) أي ردوا إلى قعرها (وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا بالقتل
والسبي والجوع والقحط وغير ذلك (دون العذاب الأكبر) أي عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) أي
يتوبون عن كفرهم ومعاصيهم (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لا أحد أظلم ممن
وعظ بالقرآن فلم يتعظ به (إنا من المجرمين منتقمون) أي من المشركين منتقمون (ولقد آتينا موسى
الكتاب) أي التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج أو من لقاء موسى
الكتاب ليلة المعراج أو من لقاء موسى إياك ليلة المعراج (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) أي جعلنا
الكتاب هدى لبني إسرائيل (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم
(لما صبروا) على مشاق التكاليف (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي يصدقون (إن ربك هو يفصل بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي يقضي بينهم بقضائه العدل (أولم يهد لهم) أي أولم يبين لهم
(كم أهلكنا من قبلهم من القرون) أي كثرة إهلاكنا من قبلهم من القرون (يمشون في مساكنهم) أي
يمشي كفار مكة في مساكن عاد وثمود وغيرهم إذا سافروا إلى الشام (إن في ذلك لآيات) أي لعبرا
(أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) أي التي لا نبات فيها
(فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) أي من الحبوب والثمار (أفلا يبصرون) أي ما نحن فاعلون
بأعدائنا (ويقولون متى هذا الفتح) أي يوم القيامة (إن كنتم صادقين) في قولكم إنا نبعث (قل يوم
الفتح) أي يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا ينفعهم إيمانهم بعد الموت (ولا هم
ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤخرون (فأعرض عنهم) أي عن أذاهم (وانتظر) أي ما يفعل بهم (إنهم
منتظرون) أي ما يفعل بك وبهم ﴿ قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال
ابن عباس يعني سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى
كعيسى وقال مجاهد هن سبع أرضين بعضها فوق بعض حتى ينتهي إلى السابعة وقال الضحاك سبع أرضين
بعضها تحت بعض وقال كعب الارض على ظهر حوت والحوت على الماء والماء على الصخرة والصخرة
على ظهر ملك والملك على ظهر ريح والريح على الثرى والثرى لا يعلم ما تحته إلا الله تعالى (يتنزل
الأمر بينهن) أي بين السموات السبع والأرضين السبع (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد
أحاط بكل شيء علما) أي أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه ﴿ قوله تعالى
(قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين البعث
يقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك فيجزيكم بأعمالكم
(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)

لأملأن جهنم منكم أجمعين) أي من كفار الجن والانس (وقودها) أي وقود النار (الناس والحجارة) أي الأصنام التي عبدوها (فذوقوا) أي يقال لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الايمان في الدنيا (هذا إنا نسيناكم) أي تركناكم بالكلية غير ملتفتين اليكم كما يفعل بالناسي فعاملوا عاملتكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب ۞ قوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا مكانا لوضع جبهته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذا من عزائم سجود القرآن ليس للقاري وللمستمع ۞ قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون الصلاة وقال أنس نزلت في انتظار صلاة العشاء الآخرة كانوا لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وقال أنس نزلت في الذين يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال الحسن كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وروى عن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان الذين يصلون ما بين المغرب والعشاء هم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال الضحاك هم الذين يصلون العتمة في جماعة وقال مجاهد هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وقال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كابدوا قيام الليل وقال أبو العالية هم الذين يواظبون على الصلوات الخمس وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا وأشهر الأقوال أن المراد بالصلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة

(فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربك من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه

لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) أي يثابون ويعطون على الصبر على الطاعة وترك المعصية وقيل كل نعيم مآله الفناء وقد أعطاها الله لهم في الجنة فهي لا تفنى ولا تبيد وقيل أولاها الآية تشير إلى الصلوات الخمس وهو أول فاضلها وأعرف في مصر الأدلة (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ولكن وجب القول مني وعلمت أنه تكرر منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفي هذه الآية دليل على أن الله تعالى عصم ملائكته من عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم العمل لهذا اليوم وهو الإيمان به (إنا نسيناكم) تركناكم في العذاب كما نسيتم (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله عما لا يليق به وأثنوا عليه بما هو أهله (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم والمضجع الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل (ق) عن أنس في قوله تعالى جنوبهم عن المضاجع

(يبيتون لربهم) عايدمنه (سجدا وقياما) مفعول له أى لاجل سجودهم فى صلاتهم وقيامهم فى ركعتيه وهم التهجدون وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أتت بجموعهم ان تسكن على بساط العظمة وطلب بساط القربة يعنى صلاة الليل وعن أنس كان ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون ما بين صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا يبالون بصلاة (ومما رزقناهم ينفقون) فى طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) ما تعنى الذى أخفى على

حكايته النفس جزء ونصوب (من قرة أعين) أى لا تعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أى جوزوا جزاء (بما كانوا يعملون) من الخير رضى الله عنه أخفى الله أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهذا دال على ان المراد الصلاة فى حوف الليل أكون الجزاء وفاقا ناسب ان من كان فى نور الطاعة والايمان لا يستوى مع من هوى فى ظلمة الكفر والعصيان هو له (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى كافرا وهما محمولان على الطرفين وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل قوله (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هى نوع من الجنات أوى اليها وراح الاهداء وقيل هى عين من العين (نزلا بما كانوا يعملون) عطاء أعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أى مثواهم ومصيرهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) اى يقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وهذا دال على ان المراد بالفاسق الكافر لان التكذيب بما لا يعلم الا بالايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) اى عذاب الدنيا من الاسر والقحط وغيره وقيل من السبع سنين (دون العذاب الاكبر) اى عذاب الآخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما العذاب الادنى الحدود والعذاب الاكبر الخلود فى النار وقيل العذاب الادنى عذاب القبر (لعلهم) لعل الذين هم العذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) اى بالقرآن (ثم أعرض عنها) أى ولم يعمل بها ولم يتأثر بها وهذا فى اعراض

حتى قول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدى رجع رجعة بعد رجعة وسعيه بعد سعيه حتى أهريق دمه أخرجه الترمذى بمعناه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ى) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورم قدماه فقلت له تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (ح) عن الهيثم بن أبى سنان انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه فى قصة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أحدكم لا يقول الرفث يعنى بذلك امرأته وأحسبه قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه ✽ اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ✽ به موقنات ما اذا قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ✽ اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث ۞ وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل هو عام فى الواجب والتطوع ۞ قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) اى مما تقر به أعينهم فلا ينظرون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا يعلمه الا الله وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) اى من الطاعات فى دار الدنيا (ى) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ۞ قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بينهما شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وأنا شيخ والله ان بسطت لسانا وأحد لسانا واسمع منك وأملأ منك فى المجلس والى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد به حسن المؤمن وقبح الفاسق ولم يريدوا به واحدا ولا فاسقا واحدا (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) اى التى أوى اليها المؤمنون (نزلا) هو ما يعد للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات فى دار الدنيا (واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) ۞ قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) اى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا وأسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الخوف والجوع بمكة حين كانوا أهل العطاش والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) اى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن ذكر بآيات ربه) اى بدلائل وحدانيته وأعلامه (ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان

(من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء

ح (أنا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه أنهم لما لم يرتدعوا بالعذاب الأدنى فإنا منهم منتقمون بالعذاب الأكبر ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه (م) عن أنس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره قال قلت وصح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات وكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة سمع حديثه هناك وقد سقط عنه التكاليف وهو على كل شيء قدير قال وقد صح كذلك أن نبينا صلى الله عليه وسلم صلاه في قبره وهو مستوقد سقط عنه التكاليف وهو في دار الآخرة ولست دار عمل وكذلك الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون فالحواب عن هذا كما جاء عنه ما جاء به أحدهما أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا بعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يتعبدوا لله تعالى طاعوا وإن كانوا قد ماتوا لأنهم بعد الإحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن يبعثوا يوم القيامة إلى دار الجزاء التي هي الجنة والجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كما كانوا كما كان حجهم وصلاتهم والجواب الثالث أن الكلام وإن ارتفع عنهم في الآخرة لتكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يتعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يتعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة المقربين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون عامة ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف هي على معنى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني إسرائيل (أئمة) أي هادين للخير يهدون الناس وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس إلى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم صبروا (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي أنها من الله تعالى (إن ربك هو يفصل) أي يقضي ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على محذوف تقديره أعموا ولم (يهد) يبين والفاعل الله تدل عليه قراءة من قرأ نهد بالنون (لهم) لأهل مكة (كم) لتكوير كم فاعل

يهدي لأن كم لا تسد مسد مفعولي علم ولا تعمل فيما قبلها وتحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط وقد مر ذكرها (يمشون في مساكنهم) أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ معطوف (أولم يروا أنا نسوق الماء) يجري المطر (إلى الأرض الجرز) أي الأرض التي جرز نباتها أي قطع لعدم الماء أولا ماء لها ولا مال لمن لا

(من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء

ح (أنا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه أنهم لما لم يرتدعوا بالعذاب الأدنى فإنا منهم منتقمون بالعذاب الأكبر ۞ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه (م) عن أنس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره قال قلت وصح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات وكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة سمع حديثه هناك وقد سقط عنه التكاليف وهو على كل شيء قدير قال وقد صح كذلك أن نبينا صلى الله عليه وسلم صلاه في قبره وهو مستوقد سقط عنه التكاليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون فالجواب عن هذا كما جاء عنه ما جاء به أحدهما أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا بعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يتعبدوا لله تعالى طاعوا وإن كانوا قد ماتوا لأنهم بعد الإحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن يبعثوا يوم القيامة إلى دار الجزاء التي هي الجنة والجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كما كانوا كما كان حجهم وصلاتهم والجواب الثالث أن الكلام وإن ارتفع عنهم في الآخرة لتكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يتعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يتعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة المقربين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون عامة ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف هي على معنى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني إسرائيل (أئمة) أي هادين للخير يهدون الناس وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء (يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس إلى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم صبروا (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي أنها من الله تعالى (إن ربك هو يفصل) أي يقضي ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على محذوف تقديره أعموا ولم (يهد) يبين والفاعل الله تدل عليه قراءة من قرأ نهد بالنون (لهم) لأهل مكة (كم) لتكوير كم فاعل

يهدي لأن كم لا تسد مسد مفعولي علم ولا تعمل فيما قبلها وتحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط وقد مر ذكرها (يمشون في مساكنهم) أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ معطوف (أولم يروا أنا نسوق الماء) يجري المطر (إلى الأرض الجرز) أي الأرض التي جرز نباتها أي قطع لعدم الماء أولا ماء لها ولا مال لمن لا

نصروا ﴿ قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قل أراد بيوم الفتح يوم العاصمة الذي يحكم فيه بين العباد وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار لما وعدهم نصره ويسره وحكمه بينهم وبينكم وقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار إنه ناصرنا ومظهرنا عليكم يقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم العاصمة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منهم الإيمان ومن قتل يوم الفتح على فتح مكة أو قبل يوم بدر قال الله لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ثم نزل بعد (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (إنهم منتظرون) أي لحوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا إياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن كل سورة في القرآن بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية)

وثلاث وسبعون آية وألف وماتان وعشرون كلمة وخمسة آلاف وستمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك أنهم قدموا المدينة بعد وقعة أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فلما دخلوا عليه قالوا ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وذروا عبد ربك فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهم أن يفعل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقل له يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقل للخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (إن الله كان عليما) أي

(٥٧ - (خازن)) - (سابع)

الزيادة كانت في صحيفة عبد الله بن سعد رضي الله عنهما فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإثباتها لما أخبر من تأخر إسلامه والرواض (يا أيها النبي) ومالهه ربانيه أي يا أيها المخبر عما أمرت على إرادة لم يحط إلى أحد وإعلام بقل يا محمد كما قال آدم أموسى بسر بعثه ورسالته وتصريحها في قوله محمد رسول الله وتحو إعلام الناس بأنه رسول الله (اتق الله) استمر على تقوى الله ودم على ما أنت عليه وازدد منها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على ما يريدون منك من أمور دينك وروي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد وقالوا ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى وقل إن لها شفاعة لمن عبدها ودع عبادة ربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بأن يفعل ذلك فهم المسلمون على ذلك فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما دعوك إليه (إن الله كان عليما) بما أضمروا

وهلاكهم (إنهم منتظرون) العذاب عليكم وهلاكهم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

(سورة الأحزاب مدنية)

وهي ثلاث وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبي بن كعب رضي الله عنه لزركم تعدون سورة الأحزاب قال بلى ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي إن كانت لتعدل سورة البقرة وأطول لقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورأى أبي أن ذلك مما نسخ من القرآن وأما ما حكى أن ذلك

تعلقه لي أن تعلمهم (حكيما) أي بما قدره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك
طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك اليه
(وكفى بالله وكيلا) أي حافظا لك وصل كفى للامر رفعل ۞ قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)
نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع فقال قريش ما حفظ أو عقل هذه
الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين
يوم بدر اذا هزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما أبا معمر ما حال
الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما
في رجلي فعلموا بوسدابه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده عن ابن عباس قال قال الاسود بن أرأيت قول الله
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى فخطر خطرة فقال
المنافقون الذين يصلون معه الا ترون ان له قلبين فليس هو معكم وهو امعهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله خطر خطرة يريد الوسوسة الى نحو صلاته
وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى انما هما الي ابي الله وكان ذلك أمرا بالمعروف وكأنه قال ولو سلم حصنها
أن لا تكون في قلبه هوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يجعل في الله احدهما وغيره الآخر هذا اصل
ضربه الله تعالى له ظاهر من امرأته فالله تعالى جعل الظهار طلاقا وجعل الابن ابنا وجعل التبني لا يكون الرجل ولدا
ثم ان الله تعالى ذكر ما يفعل بالآخر من افعال العباد وما لا يفعل عبر عنه بالجعل فقال تعالى ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وقال وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وقال وما جعل أدعياءكم أبناءكم
ذلكم قولكم بأفواهكم وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال ما جعل لهم من نصيب في السماوات والارض
وقال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقال ما جعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وقال
ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال ما جعل عليه في الأميين سبيل وقال ما جعل عليكم من جناح في الخطأ
ولكن ما تعمدت قلوبكم وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال ما جعل عليهم في أيمانهم من حرج وقال
ما جعل الله من ولي ولا حام ولا وصيلة ولا سائبة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وقال ما جعل
الله لكم أزواجا ومن أنعام أزواجا وقال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب وقال ما جعل الله لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا وقال ما جعل عليكم
من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال ما جعل عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم من حرج وقال ما جعل
عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم

لا سبيل له (والله يقول الحق) أي هو قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد الى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهو دعوى الى ما هو سبيل الحق فقال (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) وبين ان دعاءهم لآبائهم هو أدخل الامر في القسط والعدل وهو كل ما كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه الرجل ضمه الى نفسه وجعل له من نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم وصل الخبرية بعدها ووصل بينهما ثم فصل الاسمية بعدها ووصل بينهما ثم فصل ما الطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم (فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم اخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي وما أخي ومولاي بمنزلة الاخوة في الدين والولاية بعده

(ق) عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية (فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين) وقد كان سالم مولى أبي حذيفة يأتي بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتبناه كما تبنى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وكان من تبنى رجلا في الجاهلية دعي اليه وورث ميراثه حتى أنزل الله تعالى ادعوهم لآبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخا في الدين فجاءت سهلة بنت سهيل وهي امرأة أبي حذيفة فقالت يا رسول الله كنا نرى سالما ولدا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فضلا وقد أنزل الله فيهم ما قد علمت فكيف ترى في أمره فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرضعيه فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة فبذلك كانت عائشة تأمر بنات أخواتها وبنات اخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها وان كان كبيرا خمس رضعات ثم يدخل عليها بذلك الرضاع وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليهن بالرضاعة أحد وقلن لعائشة والله ما نرى الذي أمر سالما بهذا الا رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لسالم وحده فما يدخل علينا بهذا أحد ولا نرى عليه ولا نرى هذه الا رضاعة الكبير

(ق) عن

(والمهاجرين) يعني ان ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) يعني الوصية للذين يتولونهم من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما سمخ الوارث بالحلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة دون الايمان والهجرة وعلى هذا معناه الا أن تفعلوا الى قراباتكم شيئا وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوبا ثابتا ﴿قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل ان يعبدوا الله وحده ويدعوا الناس الى عبادته وينهوا عن عبادة الاوثان (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر بسر عظيم وتفضيلا وقد روى العوفي عن ابن عباس عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وصلت الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وصلت ومن نوح وقد أتيته صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل ان يصدقوا الله ويدعوا الناس الى عبادته ويبينوا للعوامهم (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعني أخذهم الميثاق ليسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في ارسالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون وكما سن ارسالهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم في قولهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ومن تبعهم من بني قريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال انهب بنا نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحر لا يسري بالليل وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا (و) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وروي الصبا ريح مهب روح ماهب على محرور الادهب حربه ﴿قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ وقد منع الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة قلعت الاوتاد وقطعت أطناب الصاط ما وأطفأت النيران وأكفأت القدور

وماحب

أي الاحزاب وهم قريش وغطفان ومن تبعهم (فارسلنا عليهم ريحا) اي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة ساكنة فاحصرتهم وأسقطت الخيام وحوهم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماحب الحمل بعضها على بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكثرت الملائكة في حوانب عسكرهم فلما رأوا ذلك ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقد كان سلمان حرج في بضعة آلاف من المسلمين فضربوا معسكرهم والخندق بينهم وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وأقبلت الحوف وكانت فرسان عدوان في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقادتهم أبو سفيان وحرج عطفان في ألف ومن يليهم من أهل نجد وقادتهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وصاميهم اليهود من قريظة والنضير وهي على العرب من سهل الاحزاب بينهم الا البراجي بالسفل والخارة حتى ارسل الله الصبا

(وكان الله بما تعملون) أي بعملكم أيها المؤمنون من الحصن بالحذر والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالتاء أبو عمرو أي عالما بعمل الكفار من السعي والسعي في اطفاء نور الله

قوله عطفان الخ كذا بالاصل وفي المواهب خرج أول اليهود حيي حاؤا عطفان من فوق سلاله وادسارحها من مهملة قال الجوهري وليس في العرب سلالة عرة اهـ مصححه

(ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب)

قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق بن يسار عمن حدثه عن حديث بعضهم في بعض أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليون في نفر من بني النضير وبني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ودعوا المادة وهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان [2] وقيسا وعيلان فاجمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فأجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في فزاره والحرث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مره ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف في بني أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنا أربعين سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار أو نحو ثلاثين ذراعا حتى اذا كنا في أخر الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وسقطت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان العدل من ورائنا أو أمر يأمرنا به فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت الى صخرة صماء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وسقطت علينا حتى ما تحد منها شيئا فلا كثيرا ولا قليلا فأمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واخذ على سفح الخندق واخذ عنا السلام المعول من سلمان وضرب به ضربة هار ورى منها ثلث اصابها من لابتيها يعني المدينة حتى كأن مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب الثانية وكبر المسلمون معه ثم ضرب الثالثة حتى اصابها من لابتيها حتى اكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب الرابعة حتى اصابها من لابتيها حتى اكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فتح وكبر المسلمون معه وأخذ سلمان وروى قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط قال فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم ما رأى سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فرفر البرق الذي رأيتم فاضاءلي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فرفر البرق الذي رأيتم فاضاءلي

(ادخلوا) بالفتح من الثلاثي (مساكنكم) أي من أهل الوادي من محل الشرب (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب (وادراعب الاعصار) مالب عن سلها ومستوى سطرها حمرة أو عدلت عن كل شئ مستقيم بلغت الاالى عدوها لشدة الزوع (و بلغت العلوب الحناجر) الحنجرة رأس الحلقوم وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتصبت الرئة من شدة الفزع أو الغصب وربت وارتفع القلب حتى بلغتها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب العلوب وان لم يبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ نقوله حتى بلغت العلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الذين بلغت العلوب والاقدام والصفاق العلوب الذين هم على حرف والذين هم على طرف الاولون بالله الظنون هم منافقوا الرال وصنف الاحمال وأما الآخرون ظنا والله ما حكى عنهم قزا أو عمرو وعمر الظنون بمعنى الوصل والوقف هو الاصل والالف فيهما بدل من ياء وأبو بكر اجراء الوصل مجرى الوقف والالف في الوقف مكن على وحفص وصله الرسولا والسبلا

الرسولا هذا ان العبد ذكر لكم نعم ن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يصيبوا فاتوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا سبيلكم وتركوا الرحل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان فاتوا والله لا نقاتل معكم حتى نعطوا رهنا فاعطوهم وحدل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لحقهم من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فدعاه لهم لينظر ما فعل القوم لياذن وروى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم النخعي عن أبيه قالا قال لي من أهل الكوفة حذيفة بن اليمان ألا تحدثنا ما رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال بلى يا ابن أخي قال كنا نصنع والله لقد كنا نجهد قال القرظي والله لو أدركناه ما ترك كان يمشي على الارض ونحن على أعناقنا وجهده امر عظيم فعلنا نحفر اليوم ونظل اليوم ونحن جياع ونحن عراة ما لنا ثياب قال يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فسكتنا فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فيأتينا بخبر القوم على ان يكون معي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وجبت حين أتيته فأخذني وسمع راسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فوالذي بعثه بالحق ما شبهت حين خرجت من عنده الا كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ما أطلق عقاله الا وهو قائم ولو لم أعجل عطفان عما فعل قريش لظننت أن بعضه سيرجع الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فجعل يحدثني بذلك وهو في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت ركبت وذهبت الى الدفاء فأدناني النبي صلى الله عليه وسلم فأمضى عدوحا هو الي على طرف ثوبه فألصق صدري بطن قدمه فلم أزل ناعما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك هو عز وجل (ادخلوا كم من قوة كم) أي من قوة الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من غطفان وهم طليحة بن خويلد الاسدي في أسد وحي من أحلاف في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب في من قريش ومن جاءهم من الاعوز وعمرو ابن سفيان السلمي من قبل الخندق الذي حفر عمرو الخندق فما قبل احلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ديارهم (وادراعب الابصار) اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تطر الى عدوها (وبلغت العلوب الحناجر) اي زالت عن أماكنها حتى لصقت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على المثل شبه عظم الخوف وقيل معناه ان القلوب ارتفعت الى الحناجر حتى لو خرجت الروح لخرجت القلوب فهي لا ترجع الى مواضعها فهي كالمعلقة في الحناجر (وتظنون بالله الظنونا)

الوقوع (وإذ يقول المنافقون) قيل هو معطوف على إذ جاءتكم وقوله (إلى قوله تعالى ألفرارا) وإلى قوله تعالى وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴿ وليست الكتابة في الأصل

وقيل إنهم قوم لم يسموا وهم في المدينة كان المنافقون يستمعون إليهم بادر إلى الشعب عليهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) روي أن معتب بن قشير

قال يوم الأحزاب قال محمد يصحب فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يذهب حيث يقضي حاجته إلا بالكراهة (وإذ قالت طائفة منهم) من المنافقين

وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لا مقام لكم) بضم الميم بخط أي لا قرار لكم هنا فارجعوا إلى منازلكم أو إلى

قومكم يؤيده (فارجعوا) عن الإسلام إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي يطلب إذنه في الرجوع إلى منازلهم

(يقولون إن بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) العورة الخلل والعرب ذات العورة هي قراءة ابن عباس يقال عورة

المكان عورا إذا استحال عما (٤٥٨) هو العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة بمعنى عورة أي ذات سوء من عرضه للعدو

والسارق لأنهم يعرضونها للسلب فكذبهم الله بما يضمرونه بقوله (ولو دخلت عليهم من أقطارها) أي لو دخل المدينة عليهم من جوانبها

جمع قطر (ثم سئلوا الفتنة) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها لأنهم لحبهم الدنيا يؤثرون الكفر على الإسلام

(وما تلبثوا بها) بالفتنة (إلا يسيرا) وما يكون السؤال والجواب من عمر يوسف أو بمائة وما بعده

أي الحق الطيب بالله على المنافقين اسم صال محمد وأصحابه وعلى المؤمنين النصر والظفر بهم (هنالك ابتلي المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالنصر والصلاح ليتميز المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلالا شديدا) أي حركوا حركة شديدة (وإذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وغيره لعبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) هو قول أهل الإفك بعد ما نجد فحص قرارة السم وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يحارب وهذا هو الغرور ﴿ قوله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة وسميت يثرب باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان وفي بعض الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى المدينة يثرب وقال هي طابة كأنه كره هذا الاسم لما فيه من التثريب وهو التعنيف والتوبيخ (لا مقام لكم) أي لا مكان لكم تقيمون فيه ولا منزلة تعلمون بها (فارجعوا) أي إلى منازلكم ودخل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقتال من قاتله (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة وبني سلمة (يقولون إن بيوتنا عورة) أي ذات عورة وهي مما يلي العدو وحكى عنهم الله السراق كذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) أي إنهم لا يخافون ذلك إنما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعني لو دخل هؤلاء الجوانب الذين يريدون منازلهم وهم الأحزاب من نواحي المدينة (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لآتوها) أي لأعطوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتبسوا عن الفتنة (إلا يسيرا) أي لا يرجعوا الإجابة إلى الشرك طمعا منهم في بقائهم وما قاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا ﴿ قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل يوم الخندق (لا يولون الأدبار) أي لا يهربون فلما كان يوم أحد انهزموا يوم سلع فلما رأوا ما نزل بهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل لهم إنكم إن عاهدتم عاقبكم الله على تركه فقالوا إن عاهدنا الله لنفعلن فسأل الله عما كانوا عاهدوا عليه فقال (وكان عهد الله مسئولا) أي عهدا في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم لا من حضر أجله مات أو قتل لذلك (وإذا لا تمتعون) أي بعد الفرار (إلا قليلا) أي مدة آجالكم وهي باقية (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله إن أراد بكم سوءا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي

بعد أن أدهم الإسراف الله بهلاكهم والمعنى أنهم يطلبون ناصرا ينصرهم من الله صلى الله عليه وسلم ناصرا والمؤمنين وعن مصاد الأحزاب الذين ماؤهم هؤلاء ورءوا هؤلاء الأحزاب كلهم لو كسوا على أعقابهم أرصهم ديارهم وأرضهم ونساءهم وفعل لهم كروا على المسلمين لسارعوا إلى قتالهم وما زادهم إلا بعدا عن الإسلام رجوعهم إلى الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل حفر الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب (لا يولون الأدبار) منهزمين (وكان عهد الله مسئولا) مطالبا به حتى يوفوا به (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي إن كان حضر أجلكم وقد فررتم لم تمتعوا في الدنيا إلا قليلا وهو مدة آجالكم وذلك قليل وعن بعض المفسرين ما نزل فيما مر ذكره هذا الآية دليل على أن الفرار من الموت لا يؤخر الأجل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي يمنعكم من قضاء الله (إن أراد بكم سوءا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا

بأصرامهم (وقد يعلم الله المعوقين منكم) أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم إلينا) أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فما نخاف عليكم الهلاك وهم أناس من المنافقين كانوا يظهرون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما نجد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا يقاتلون لكانوا معهم أي اسلموهم أو سلمانا وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك وقيل رأس المنافقين ودلك أن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم فإني سمعان ومن معه فإنهم إن حذروا علكم في هذه الأرض لم يسعكم أحد أبدا ما بقي علكم فاتبعوا أحبارا فأطاعوا ما فعل عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه على الموت من تعويقهم وتخويفهم إياهم بقتل سمعان ومن معه وقالوا إنكم غدا لتموتن جميعا فلم يستقم أحد منهم إلا مارجعوا عن مجمعاتهم فذلك قوله ما هو إلا أن أطاعوا إلى أن قال تعالى اليهود فلم يزدد المؤمنون حول المنافقين إلا إيمانا وإحتسابا ﴿وقوله تعالى﴾ (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (إلا قليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصر وسهم الله تعالى والخير (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي في رؤوسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فإنه يذهب عقله ويشخص بصره ولا يطرف (فإذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن (بألسنة حداد) أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وناولوكم بالغيض والغلبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقبيح القول فيه مولوا عطوا فاشهدنا معكم القتال وليسوا هم فاحبط الله أعمالهم أي أبطل بالغة جهادهم وقيل الحبط الإحباط وهو أن يأتي بالعمل الصالح ثم يأتي بما يحبطه (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة يقولون اقسموا لنا فإنا قد شهدنا معكم وقيل هذا في حال الخوف أي أشحة على المال والغنيمة فإذا حصل المال سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يوفوا بما أظهروا من الإيمان فأحبط أعمالهم (فأحبط الله أعمالهم) أي أبطل ثوابها وأسقط عنهم بها العقاب وأحبط أعمالهم الكفر بما أظهروا من الإيمان (وكان ذلك) إحباط أعمالهم (على الله يسيرا) ﴿وقوله تعالى﴾ (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن المدينة خوفا وفرقا منهم (وإن يأت الأحزاب) أي رجعوا إليهم في الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الأعراب من الحي والخوف (يسألون عن أنبائكم) أي عن أخباركم وما آل إليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا إلا قليلا) يعني يقاتلون إلا رياء وسمعة لا يريدون به وجه الله تعالى ﴿وقوله عز وجل﴾ (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به فتمسكوا بالصبر معه وفي رواية أسوة حسنة وهو أن صبر وا في دين الله ولو أن رواد رسوله ولا تحملوا منه صبروا على ما نصبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى صبروا وأنتم مع ذلك تفرون منه فعلتم فعل الكفار فكذلك أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (لمن كان يرجو الله) يعني أن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني يخشى يوم القيامة الذي فيه الجزاء

(وإن يأت الأحزاب) كرة أخرى (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) البادون جمع البادي أي هم الآن في البادية خشية من القتل فيسألون عن الأعراب أخبارهم تعجبا لما هم فيه من الخوف والقتال (يسألون) كل قادم منهم من عند القوم (عن أنبائكم) عن أخباركم وما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى البادية (ما قاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) بالضم والكسر أي خصلة يؤتسى بها أي يأتم بها يقال هو يأتسي به أي يأتم به وهي في نفسها هذا المعنى والحديث أو خصلة من شأنها أن يؤتسى بها فاعل من (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف الوقوف بين يدي الله واليوم الآخر فإن الذي يخاف هذا يحمله خوفه على أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر معه

(وذكر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السراء والضراء ومصداق المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أى وعده وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى الاشارة فى جميع ما وعد فتح الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وتبيل انهم وعدوا ان يطئهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا ايمانا) أى تصديقا لله (وتسليما) أى لامره ﷺ وقوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره اى صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل بنزع الخافض انهم اذا قفوا حزنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا ولما بايعوا احدى نسيبة وأخوها عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسالم مولى أبى حذيفة وعثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) اى مات شهيدا كحمزة ومصعب وغيرهما النحب النذر صار عرفا فى الموت لان كل حى لا بد له ان يموت وكأنه نذر لازم فى ذمته فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره (ومنهم من ينتظر) الموت اى على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدل من اهل الاعذار ومرض المنافقون كما مر فى قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) يقبل التوبة (رحيما) يعود الحوبة على المنافقين كأنهم قصدوا بما فعلوه السوء وارادوها بعد لهم كما قصد الصادقون بما فعلوه الصدق وقيام سهم لان كلا الفريقين مسوق الى ما فعل من الثواب والعقاب فكأنهم اسوا بما فى طلبها والسعى فى تحصيلها (رد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) حال اى مغيظين كقوله تعالى الذين كفروا) طمعا اى لم يظفروا بالمسلمين وما حصل لهم غير ما طمعوا فيه (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا)

أى فى ساكنه (غير ما) أى فى ثانى الحال ﴿ قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أى عاونوا الاحزاب من قريش وحلفائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) أى من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصة (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف (فريقا تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا سبعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة امرأة وثلاثة وعشرين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها) يعنى بعد مسلمى هجر ويقال أيها مكة وهى لفارس والروم وقيل هى كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

(ذكر عروة بن الزبير قريظة)

قال كاتب فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق سنة أربع كما كتب فى سنة أربع قال العلماء بالسير انه صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التى انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم فقال جبريل عما قليل ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم ووردى انه كان العلاء على وجه جبريل وفرسه فعل النبى صلى الله عليه وسلم تسمع الغبار على وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فانى مزلزل بهم وقاذف فى قلوبهم رعبهم وزلزالهم قال فأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برايته اليهم وأقبل حتى دنا من الحصون وسمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال أظننت سمعت لى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمه قالوا ما كنت جهولا ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصور وقيل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد قالوا يا رسول الله مر بنا دحية على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم ويلاحق به الناس فما مر حال بعد صلاة العشاء الاخرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخرة فعاتبهم الله تعالى ولاموه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل على بنى قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أتاه وا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود اكم قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا لا ثالث لها أيها شئتم فقالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فهلم فاقتلوا أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لا نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بينا وبين محمد

أى المواسى والمودة الا مسه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عمارهم للمهاجرين وقال لهم اسكنوا فى مساكنكم (وأرضا لم تطؤها) بعد وهى مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فادوا

صلى الله عليه وسلم قال فرجعوا الى سيدكم فرأوه قد سبقهم السه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد دعاك ليحكم فيهم قال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
وتسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فشق بها أخاديد ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك
الاخاديد كلما خرج بهم أرسالا وهم بين العشرة والتسعة الى السبعة والثمانية وفيهم عدو الله وعدو رسوله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو
سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الستمائة الى السبعمائة وقد قال لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا ما كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال أفي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي
لا يفزع وان منكم لا ترجع هو والله القتل فلم يزل ذلك دأب حيي فرع منهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فضاء مفرجة كل ثوب منها على حدته كوصع الانملة أنملة
لئلا يسلبها مجموعة فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في
عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر
وملحمة كتب على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة
الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت
حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة التي أمر أن الحكم القرظي وكانت قد حملت سويد
قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هذا وروى محمد بن
اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي وكنيته أبو عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس
في الجاهلية يوم بعاث أحد حصون بني قريظة يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل
تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أريد أن أجزيك بصنيعك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال
ثم أتى بابن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت
ان أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما فعل بالحصن يا ثابت قال ذهب فيما ذهب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال لهم ذلك فقالوا فنحن نصنع بالحصن ما لا يصنع بالرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأة من بني قريظة
فولدت لي فقال أهل بني قريظة يا ثابت لا مال لهم فما هو هم على ذلك فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله
يا رسول الله قال هو له فقالوا فانا نفعل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني ماله فهو له فقال أي يا ثابت
ما فعل الذي كان وجهه مرآة صدئة هي وهذه الذراري الحي كعب بن أسد قال فما فعل معدس اذا
سدد ما وجأه واذا كر ما عراه بن سموأل قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني
النضير قال هم قالوا فما أصابك أنت قال ما أصابني الا الحياة بالموت والله ما في العيش بعدهؤلاء
من خير فما زال يضرب حتى بلغ الأخدود فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى بلغ
الأخدود قال أعاذهم الله في النار سبعين مرة الخندق أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من
أنبت منهم وقسم أموال بني قريظة ونسائهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال
وكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس وللفارس سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل يومئذ
ثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بني قريظة الانصاري

الله عليه وسلم شهرا من بعض نسائه فلما مضى تسع وعشرون يوما دخل عليهن فبدأ بعائشة فقالت له يا رسول الله إنك حلفت أن لا تدخل علينا شهرا وإنا أصبحنا اليوم لتسع وعشرين يوما أعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين يوما قالت عائشة فأنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة (وقوله تعالى) (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) قالت عائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما متيسرا (قوله واحدا أي متماديا والواحد الذي أسكنه الهم وعلته الكآبة ومثل الوجوم الخرس (قوله وحاب صفقتها أي دفعته وهو له لم يعني معنا الست الشفعة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون

(فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا التخيير هل كان ذلك نصا في الطلاق البتة حتى يقع بنفس الاختيار أم لا وذهب الحسن وعامة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن نصا في الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فيما بعد أسكنوهن وأسرحوهن سراحا جميلا فدل على أنهن لم يكن مخيرات على الفور وروي عن علي رضي الله عنه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك في نحو هذا الطلاق يكون الخيار على الفور وذهب قوم إلى أنه كان نصا في الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا بائنا وهو قول علي حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس وإذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الأن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وهو أكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا ❁ قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي معصية ظاهرة وهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لأن منهن من أتت فاحشة فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلي وسائر نصف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة ودليل أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم في عصر من الرجال كنساء السادات إلى العبد لكونه ولي المولى من أنفسهم وكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي يطع الله ورسوله (ونعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها من سائر الحسنة بعشر أمثالها وضعف ثوابهن لرفع منزلتهن ولزيادة شرفهن في أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة ❁ قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس فيكن شيء مما كان في نساء الكافرين من الخلل (إن اتقيتن) يعني الله فاتقيتموه فإن الأكرم عند الله هو الأتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلين بالقول للرجال ولا ترفعن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تعالين ولا تحدثن المشافهة والفاحشة سدا إلى الطمع وكل امرأة مدعوة

والواحد وما وراءه (إن اتقيتن) إن أردتن التقوى أو إن كنتن متصفات (فلا تخضعن بالقول) أي إذا كلمن الرجال من وراء الحجاب فلا تخضعن بالقول ولكن تحدثن حديثا ليس فيه ما يدعو إلى الريبة (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور

أنه عليه وسلم من بعض نسائه فلما مضى تسع وعشرون يوما دخل عليهن فبدأ بعائشة فقالت له يا رسول الله إنك حلفت أن لا تدخل علينا شهرا وإنا أصبحنا اليوم لتسع وعشرين يوما أعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين يوما قالت عائشة فأنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة (وقوله تعالى) (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) قالت عائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما متيسرا (قوله واحدا أي متماديا والواحد الذي أسكنه الهم وعلته الكآبة ومثل الوجوم الخرس (قوله وحاب صفقتها أي دفعته وهو له لم يعني معنا الست الشفعة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون

(فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا التخيير هل كان ذلك نصا في الطلاق البتة حتى يقع بنفس الاختيار أم لا وذهب الحسن وعامة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن نصا في الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فيما بعد أسكنوهن وأسرحوهن سراحا جميلا فدل على أنهن لم يكن مخيرات على الفور وروي عن علي رضي الله عنه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك في نحو هذا الطلاق يكون الخيار على الفور وذهب قوم إلى أنه كان نصا في الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا بائنا وهو قول علي حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس وإذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الأن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وهو أكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا ❁ قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي معصية ظاهرة وهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لأن منهن من أتت فاحشة فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلي وسائر نصف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة ودليل أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم في عصر من الرجال كنساء السادات إلى العبد لكونه ولي المولى من أنفسهم وكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي يطع الله ورسوله (ونعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها من سائر الحسنة بعشر أمثالها وضعف ثوابهن لرفع منزلتهن ولزيادة شرفهن في أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة ❁ قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس فيكن شيء مما كان في نساء الكافرين من الخلل (إن اتقيتن) يعني الله فاتقيتموه فإن الأكرم عند الله هو الأتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلين بالقول للرجال ولا ترفعن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تعالين ولا تحدثن المشافهة والفاحشة سدا إلى الطمع وكل امرأة مدعوة

والواحد وما وراءه (إن اتقيتن) إن أردتن التقوى أو إن كنتن متصفات (فلا تخضعن بالقول) أي إذا كلمن الرجال من وراء الحجاب فلا تخضعن بالقول ولكن تحدثن حديثا ليس فيه ما يدعو إلى الريبة (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور

الى الخطبة فى القتال اذا خاطبت الاباعد لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) أى بوعد الجنة والاستغفار عند الخاصة اليه بما من غير خضوع وميل القول المعروف عند الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (وقرن فى بيوتكن) أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أى كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو الكسر والتعرض والتصدر وقيل هو اظهار الزينة واظهار المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو ما بين داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس درعا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان نطيا من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما ساكن السهل والآخر ساكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان بساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان الله تعالى أتى رجلا من أهل السهل وأخوه بعسه وكان بعدهما أحد سأمثل الذى يرمى به الرعاء فاعجبه فجاء يخطب لم يسمع الناس مثله فدعا ذلك من حولهم فأتوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فيخرج النساء للرجال ويخرج الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فمزجوا بهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى يوم يظعنون فى آخر الزمان وقيل قد ذكر الاولى ان لم يكن لها أخرى (وأقمن الصلوة) أى الواجبة (وآتين الزكوة) أى المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمروهن به (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الاثم الذى نهى الله تعالى عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما لا يرضى الله به وصار فعل الرجس السوء والقبيح (أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية عطاء بن يسار عن ابن عباس ولقوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وعطاء وعمرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم بدليل ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل الجاء المؤشى عليه صور الرجال والخميصة المؤشى عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكسائه وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال ابن عربى أرجو أن أكون من أهل البيت الذين حرم الصدقة بعدوه آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ﴿ قوله تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا)

الى الخطبة فى القتال اذا خاطبت الاباعد لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) أى بوعد الجنة والاستغفار عند الخاصة اليه بما من غير خضوع وميل القول المعروف عند الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (وقرن فى بيوتكن) أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أى كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو الكسر والتعرض والتصدر وقيل هو اظهار الزينة واظهار المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو ما بين داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس درعا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان نطيا من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما ساكن السهل والآخر ساكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأخوه بعسه وكان بعدهما أحد سأمثل الذى يرمى به الرعاء فاعجبه فجاء يخطب لم يسمع الناس مثله فدعا ذلك من حولهم فأتوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فيخرج النساء للرجال ويخرج الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فمزجوا بهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى يوم يظعنون فى آخر الزمان وقيل قد ذكر الاولى ان لم يكن لها أخرى (وأقمن الصلوة) أى الواجبة (وآتين الزكوة) أى المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمروهن به (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الاثم الذى نهى الله تعالى عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما لا يرضى الله به وصار فعل الرجس السوء والقبيح (أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية عطاء بن يسار عن ابن عباس ولقوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وعطاء وعمرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم بدليل ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل الجاء المؤشى عليه صور الرجال والخميصة المؤشى عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكسائه وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال ابن عربى أرجو أن أكون من أهل البيت الذين حرم الصدقة بعدوه آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ﴿ قوله تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا)

بالعرض مهابى كالثوب الطاهر ونحوه هنا لاولى الا ان عن الا ماهى برىء منها فى الاوامر (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) اى السنة او ما فى معانى القرآن (ان الله كان لطيفا) عالما بغوامض الاشياء

أي باوامر الله وأهل طاعته (خيرا) أي بجميع خلقه ﴿قوله عز وجل (إن المسلمين والمسلمات) الآية وذلك أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما نحن فيه فخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالي أرى كل شيء للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت إن المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وصلى ابن أم سلمة خلف أبي أمية فوسطهن فكعب الانصار به فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ما لك يا كعب ما لك إلا ذكر النساء في كتابه وتخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروي أن أسماء بنت عميس وخمسين من الحبشة معروحها جعفر من أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قالوا لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خسر وحسار قال وبم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكرهن عشر مراتب مع الرجال فدخل فيهن أمهاتهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما أراده أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وعما ساءه وسره وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت ولا يعبث وهو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة بما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعني عما لا يحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وهل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من خوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أمر بالله ربه وتجنب رسوله ولم يخالف ظاهر لسانه فهو داخل في قوله والآمرين والآمرات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر ثلاثة أيام فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظات فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحدودها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجرا عظيما) يعني الجنة ﴿قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) روي أن هذه الآية نزلت بسبب زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن

(والخاشعين والخاشعات) المتواضعين له بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام الفرض من كل شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله بقلوبهن لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الروحين على الروحين لان الاول لتغاير قوله بناء وأنكارا في أنهما حسنان بخلافهما وأشركا في حكم واحد لم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة لتعرف الجمع وهما أي الخاشعين والخاشعات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعاتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة فأبت هي وأخوها أن يرضيا به لأنفسهما وقالا خطبنا إلى غيرك فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (أمرا) من الامور (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل حقهم أن يجعلوا أمرهم بعد أمر الله وأمر رسوله بالاذعان والانقياد لما شاء الله فاعلمها أنا ما شاء الله لهما مهرها وأعتاها جميع الصيغ التي لهم وأن كان من حقه أن توحد لان المذكور من وهما كل ومن ومنه مفرد جمع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون مالها كوفي

النبي صلى الله عليه وسلم خطب بنت عمته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه قبل
الاسلام فكان يدعى زيد بن محمد فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وظن
انه يحبها فجاء ليخطبها فوجدها تغتسل فقام عنها ولم يكلمها فعلمت أنه يحبها فوقعت
في نفسها فجاء زيد ليخبرها بما وجد من رسول الله فلما أراد زيد أن يتكلم لم يستطع
أن يكلمها من الحياء فقال يا زينب أبشري أرسلني رسول الله أذكره فقالت ما أنا بصانعة
شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها فنزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير إذن وهي تقول سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب
وكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن
وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها
أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات وقيل
إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما
وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني
الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها
بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع
سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع
الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن
أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما
تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا
ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن
وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها
أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن
النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما
وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني
الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم
عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وقيل إن النبي
صلى الله عليه وسلم لما تزوجها أولم عليها بشاة وأشبع الناس خبزا ولحما وكانت
تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطر الحاجة وقد ابلغ البالغ حاجته من شئ قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يرد فيها حاجة ولا تعلق بها همة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) روى انه لما انقضت عدتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فعرجت وبرزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بيتها وأولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها يجسادا وخبزا حتى امتد النهار (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) فسر قضاء الوطر ادراكا لما عسى ان يتوهم من ايراده (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه (مفعولا) تمكينا لامتثاله وهو دليل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي

من أزواجه وبناته وهذا هو الأولى بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة ولان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه وهو نكاحها بعد تزوجها منه فقال تعالى زوجناكها فلما كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أبداه الله كان بظهور ذلك له لا محالة وأن ضمر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره دل على انه انما يترتب على اخفاء ما أعلمه الله انه سيكون ويمضيه وانما نهي ذلك اصحابه ان يضمروا في نكاح من شكوا في نكاحه من زوجاتهم وهذا قول حسن مرضي وكم من شئ يحفظه من مساوئ الاخلاق الناس عليه وهو في نفسه مباح منع منه وحلال تعالى فيه ولاة سعد الله ورعاه كان الله حول في ذلك المباح سببا الى حصول واجبات تعلم اثره في الدين وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فلما لم يكن في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا مساكتها فلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها ستكون زوجته فبادر النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأحب في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد حسبما قول الناس تزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها لمثل ذلك لامته وسلك في أمره ما سلكها تعالى الشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا حررنا العول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها او كتمها الوطء فاظهار زيد له في ذلك لا قدح في حال الانبياء مع ان العدد معلوم على ما يقع في ظنه من مثل هذه الاشياء وانه رآها فأعجبته فحدثت له نفسه بها ولم يعزم على طلاقها ولا كره منها ما لا كره منه لما طبع عليه النفس من استحسان الحسن ونظره فعجا منعوا عنها مالم يقصد ما تعالى الوجه وسل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه وقوله والله احق أن تخشاه لم يرد انه لم يكن يخشى الله حق خشيته في نفسه عليه الصلاة والسلام فقال أنا أحقكم بالله واتقاكم ولكنه ما ذكر الخشية في الناس ذكر الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها وقوله فيها أوب وتعاصر همته عنها وطاب عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وقد ذكرنا قضاء الوطر لنعلم ان زوجناكها الى تحلي بعد الدخول بها (زوجناكها) قال أنس كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك مثلهن جدي وجدك واحد وانى انكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن انس قال لما انقضت عدتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان اذكرها له الا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بغير اذن قال واقسم زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي اناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا معه فمشى فمشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا هو دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب (ن) عن انس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما أولم على زينب اولم بشاة وفي رواية اكفأ رواد مثل ما اولم على زينب قال ما سمع اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اي اثم (في ازواج ادعيائهم) جمع الدعي وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا) يعول زوجناكها زينب وهي امر أة الدعي كما بينا فعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان امر الله مفعولا) اي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ما كان على النبي

من حرج فيما فرض الله له) اي فيما احل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة في الانبياء وهو أن لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فكانت لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن محمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أتى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) أي مرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون أحدا الا الله) اي لا يخافون قاله الناس ولا تمنعهم مما احل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) اي محاسبا لاعمال خلقه ومحاسبهم عليها وقوله عز وجل (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم) دل ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد ابن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة يعني بذلك ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت فقد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال الحسن ان ابني هذا سيد فلم قال ما احد من رجالكم والذي يقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وهب سلم ارادة الرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) اي ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به الرسالة فلا نبوة بعده أي ولا رسالة فقال ابن عباس يريد لو لم أختم بهم النبيين لجعلت ابا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولد اذكر اصبر رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) أي ذا علم فيما له لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعد وهو نبي قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كأنه بعض امته (و) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاويه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وزاد فجئت فختمت الانبياء (و) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء انا محمد وأنا أحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال انا محمد وأنا أحمد وانا المقفى والنبي نبي التوبة ونبي الرحمة والمقفى هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المسلم لهم فاذا مضى فلا نبي بعده (قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذا ذكرتموه يعني لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فسماه الى الدوام لان ذكر الطاهرين لهم منه الوسط أفضل

ورد واحد من رجالكم الذين لهم اولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والنبي من بين الاخصاص والعرب لا عبرة (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم يعني الطابع أي آخرهم يعني لا نبي أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض امته وبكسر التاء حمزة وعلي الطابع فاعل الختم وقوله فرادا ليس بمعمول لكن ما هم الذين (وكان الله بكل شيء عليما) ايا هم الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) امرا عاما بصنوف الذكر وأوجب ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا)

ربيل وحمده صلوا الله ذكره صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معناه صلوا لله قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العسلي العظيم معنى سبحوه نزهوا الله عما لا يليق به من أقواله والمراد بقولها الكاملات بقولها الطاهر والحسن والخالص والصحيح (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اسناد الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه يرحمه وهذا يدعو الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروي انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا حضر ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل يسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة ﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) اي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أي الى توحيده وطاعته (باذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه يخلاف ظلمات الشرك وما دعى به الصالون كما يخلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله نوره وقيه نورا لابصار كما يمد نور السراج نور الابصار ورفعه بالاشارة لان من السراج ما لا ينتفع به فبين بهذا سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور منه لان نور الشمس لا يمكن أن يوجد منه بخلاف نور السراج فانه يوجد منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) اي ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو يعصمه في هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تحارهم على ما وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروي انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي تحيتهم الله اياهم (يوم يلقونه) ربه (يوم يلقونه) ربه (سلام) يقول الله تعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم على تكذيبهم وتصديقهم أي شهيدا ولا يقبل شهادة الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما يقول مررت برجل معه صقر

أي حافظا ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار وعامر والشعبي وعدة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة مع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا علي ابن مسعود وان كان قال لها حرة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق قبل النكاح ولا عتق قبل الملك ولا بيع قبل الملك أخرجه أبو داود والترمذي وقال (ح) عن ابن عباس قال صحل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب اسناده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة ودهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتع به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاما اذا سمى كان عليه نصف ما فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال عامة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمستحب لها مع نصف المهر وقيل أمر استحباب للمتعة كل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار ﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فملكها له صفية وجويرية وكانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم تحل له كالمرأة من أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه وعذرني ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كذا من العلماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم شرط شرط المهر في الحلال (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) أي ان أراد النبي أن ينكحها

أي حافظا ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار وعامر والشعبي وعدة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة مع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا علي ابن مسعود وان كان قال لها حرة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق قبل النكاح ولا عتق قبل الملك ولا بيع قبل الملك أخرجه أبو داود والترمذي وقال (ح) عن ابن عباس قال صحل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب اسناده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة ودهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتع به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاما اذا سمى كان عليه نصف ما فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال عامة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمستحب لها مع نصف المهر وقيل أمر استحباب للمتعة كل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار ﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فملكها له صفية وجويرية وكانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم تحل له كالمرأة من أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه وعذرني ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كذا من العلماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم شرط شرط المهر في الحلال (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) أي ان أراد النبي أن ينكحها

تحت أي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهرا دون غيرها (وسرحوهن سراحا جميلا) أي لا تمسكوهن ضرارا واسرحوهن من غير اساءة لكم عليهن (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن اذا المهر أجر على الصحيح ولهذا قال الكرخي ان النكاح يلفظ الاجارة حقيقة والبيع يلفظ الشراء مجازا فيشترط في النكاح ما يشترط في البيع من شرط الثمن والمثمن والمعقود عليه والمعقود به وقد سماه الله تعالى أجرا في قوله فآتوهن أجورهن وقال في البيع وآتوهن أجورهن فريضة وقال في الاجارة وآتوهن أجورهن بالمعروف وقال في الاجارة آتيتم بالمد أي أعطيتم (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفية وجويرية وريحانة ومارية (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع هذا فليس للعبد بل لمولاها وطؤها بملك اليمين (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) أي ان أراد النبي أن ينكحها

سلم ان وهبت أم هانئ بنت أبي طالب حطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحللنا للنبي وهب لها ان يتزوجها ولا تحل لمهر ام لغيره ان اتفق ذلك ولم يذكرها قال ابن عباس هو بمعنى حكم في المتعة ولم يكن عند أحد منهن ما يهنه ولم يقل لواحدة منهن أنا نهبنا مهرك أي تركنا حرصا على أن يتزوجها وقيل معناه أحللنا له بلفظ الهبة بغير مهر وقيل هو خاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون أمته وقال الحسن أيما رجل وهب امرأته قبل أن يدخل بها فليس بشيء وقال ابن مسعود رضي الله عنه تعس (ان أراد النبي ان يستنكحها) أي يتزوجها والاستنكاح هو الزواج والنكاح معنى الشرط الاول شرط في الاحلال بهبة نفسها وفي الهبة اشارة الى ان النكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللنا لك ان وهبت نفسها وأمرنا ان تنكحها لا ان أراد هو ان يتزوجها وفي قوله ان أراد النبي دليل على ان النكاح لفظ الهبة والتمليك لا ينعقد بلفظ الهبة

خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تحل له اذا وهبت نفسها وهل تحل له الكتابية بالمهر هذهب جماعة الى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري وعطاء وطاوس وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة ومن قال بالقول الاول احتجوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا الى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واحتجوا الى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله ان وهبت نفسها للنبي سئل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال السعدي هي ريحانة من حزعة الانصار بنة الهلاسة أم المساكين وقال مقاتل هي مية بنة الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنة جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنة حكيم من بني سليم ﴿وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من الاحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا رجع الى أول الآية من قوله اما أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والمعنى انما فعلنا ذلك لكيلا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيما) أي بالتوسعة على عباده ﴿قوله تعالى (ترجي) أي تؤخر (من نسائهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من نساء) وسبب هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين عار بعض أزواج المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن في اختيار الدنيا فاختارها وسئل من اختارت الله ورسوله على انهن أزواج المؤمنين لا يكن أبدا وعلى انه يؤوي اليه من شاء منهن ويرجئ من شاء فرضي به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في القسمة والكسوة وكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف شاء وكان ذلك من خصائصه فرضي بذلك واخبره على هذا الشرط واختلفوا في انه هل اخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها وصت بيوم لها فجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل يومنا من مالك ونصيبنا من قسمك ففعل ذلك فيما حكاه الواقدي وقال مقاتل بن حيان أرجأ منهن خمسا فلم يقسم لهن وهن أم شريك وخولة بنة حكيم وميمونة بنة الحرث والعالية بنة ظبيان وكان يقسم لهن سواء وارجى منهن خمسا فلم يقسم لهن وهن سودة وجويرية وصفية وكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن عباس نطلق من نشاء منهن ونمسك من نشاء وقال الحسن ترك نكاح من شاء من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبها حتى يتركها رسول الله

بغداد عدل عن الخطاب الى الصفة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره أي تكرير النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زواجهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (وما ملكت أيمانهم) بالسراء وغيره من وجوه الملك وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) صريح متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجي) بالهمز مدني وحمزة وعلي وحفص وهم على أصلهم في الوقف (من نشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) تضم الي من تشاء منهن وتصاحع من تشاء وتطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لاي منهن شئت أو ترك التزوج على من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت منهن وهذه قسمة ما هو

الحرص لانه اما ان تطلق واما أن تمسك فاذا أمسك صاحع أو ترك قسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزول له لا سبيل عليها أو يسبيها وروي انه ارجى منهن جويرية وسودة وصفية وهن مما وهبن يومهن لعائشة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وأم حبيبة وميمونة وروي انه كان يسوي بينهن

صلى الله عليه وسلم وصل بقتل من نساء من المؤمنات اللاتي يهن من أنفسهن ووهبها إليك وتتزلك من تشاء فلا تعلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما أنزل الله ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتها عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا إثم عليك فقد أباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه لو آوى من يشاء منهن في نوبة واحدة أو سوى بين نسائه منهن في عدم وجوب القسم عليه لفعل ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخيير الذي خيرتك فيه من الإرجاء والإيواء أطيب لنفوسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقرير وارجاء وعزل وإيواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن (وكان الله عليما) أي عالما بضمائركم (حليما) أي عليكم ﴿ قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن طلاقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة أنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وصل لابن سعد لو أن نساءه التي صلى الله عليه وسلم أمسك لو أبيح له النساء وما عدا ذلك وصل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له صنف من النساء وقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد فدل على معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن من أزواج) أي بالمسلمات عبر بهن عن الكتابيات لأنه لا يكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية والاستثناء منقطع أي لكن ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتحل لك وهو قول في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كان العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج أي تبادل أزواجك عبر بأن تعطي زوجة لزوج وتأخذ زوجه فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل بجارية مملوكة فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتتزوج بدلها أخرى لو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك (الا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس لم يحل له بعد هؤلاء ولا بدل (وكان الله على كل شيء رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد تزوجها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا أي صغرا قال الخليل يعني هو

صلى الله عليه وسلم وصل بقتل من نساء من المؤمنات اللاتي يهن من أنفسهن ووهبها إليك وتتزلك من تشاء فلا تعلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما أنزل ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتها عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا إثم عليك فقد أباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه لو آوى من يشاء منهن في نوبة واحدة أو سوى بين نسائه منهن في عدم وجوب القسم عليه لفعل ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخيير الذي خيرتك فيه من الإرجاء والإيواء أطيب لنفوسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقرير وارجاء وعزل وإيواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن (وكان الله عليما) أي عالما بضمائركم (حليما) أي عليكم ﴿ قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن طلاقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة أنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وصل لابن سعد لو أن نساءه التي صلى الله عليه وسلم أمسك لو أبيح له النساء وما عدا ذلك وصل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له صنف من النساء وقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد فدل على معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن من أزواج) أي بالمسلمات عبر بهن عن الكتابيات لأنه لا يكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية والاستثناء منقطع أي لكن ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتحل لك وهو قول في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كان العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج أي تبادل أزواجك عبر بأن تعطي زوجة لزوج وتأخذ زوجه فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل بجارية مملوكة فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتتزوج بدلها أخرى لو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك (الا ما ملكت يمينك) قال ابن عباس لم يحل له بعد هؤلاء ولا بدل (وكان الله على كل شيء رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد تزوجها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا أي صغرا قال الخليل يعني هو

ما في قلوبكم) فيجازيكم (وكان الله عليما) فيعلم ما لم يرض من عباده (حليما) فلم يعاجل بالعقوبة بل أمهل ولم يعجل (لا يحل لك النساء) بالتاء أبو عمرو ويعقوب وعبرهما بالنون لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا اختلف أخوان فصل مع الفصل أحوط (من بعد) من بعد التسع لأن التسع صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأزواج صرن أمهات (ولا أن تبدل بهن من أزواج) بالطلاق والموت ولا أن تستبدل بهن ولا بالتسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن كراهة لهن وحرام على ما ذكرت ورضين بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في من أزواج لتأكيد النفي وقد يزاد في الإثبات كقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل أي تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج وعلى في الكلام مقدر معروضا التخاطب من قبل هي أي مما شئت عرضت أمر أصحابي أبي طالب فإنهن أعجبنه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء يعني أن الآية نسخت وبسطها أما بالسنة فقوله إنا أحللنا لك أزواجك وبترك الدخول لنبي على النجف (الا ما ملكت يمينك) أي ما شئت من جواري ما بالإباحة على أولى وأن النساء (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا وشهيدا وعن جابر حدود

الحديث عن انس قال خطب ابو طلحة ام سليم فقالت اني لا مثلك يا ابا طلحة ولكنك رجل كافر وانا امرأة مسلمة لا يحل لي ان اتزوجك فان تسلم فذاك مهري ما اسأل غيره فاسلم فكان ذلك مهرها فخطبها رجل فقالت ما بمثله يرد ولكنه كافر ان خطبك لم يكن مهر بينك وبينه الا سيفك او بعيرك فقال ما اعلم لي غير هذا فقالت ان الله يدعوك الى الاسلام فان اسلمت فذاك مهري ما اسأل غيره فاسلم فكان ذلك مهرها وفي رواية لابي داود فقال ما ترضين الا بالذهب والفضة فقالت ما ارضى الا بالاسلام فان اسلم فهو مهري فاسلم فقبلت منه فكان مهرها وفي رواية لابن ابي شيبة فقالت ما ارضى منك الا بالاسلام فان اسلمت فهو مهري فاسلم

نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله وعن أبنائنا كلهن من وراء حجاب

قال (لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين وقد جاء تسمية العم أبا قال الله تعالى والله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وعند بعضهم الجد كالأب ثم عمل الكلام من العبارة إلى الخطاب وفي هذا العمل فصل تسديد كأنه قيل (واتقين الله) فيما أمرن به من الاحتجاب وأمثاله (إن الله كان على كل شيء شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) أي يقولون اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد وآل محمد والأمر وجوبي فيهما إذا وسلم عليه السلام عن هذه الآية فقال إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم صلى علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته يصلون على النبي آمين ثم هي واجبة عند الطحاوي وكما ذكر اسمه عند الأكثر حي وهو الاحتياط وعامة الجمهور وإن صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعار الروافض

قوله واختاره الطحاوي الخ صحيح عند المعتمد ولم أكثر من اختاره واحد منهم وأما ما ذكره ابن حجر عنهم أفاده في مجمع البحرين وقد ألم في كلام النسفي اذ

ان الله يعلم بحالهم (وإذا سألتموهن متاعا) أي وإذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهوة كانت أو غير شهوة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم أداء في شيء من الأشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأتزوجن عائشة هي طلحة بن عبيد الله فأخبر الله أن ذلك محرم وقال (إن ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإكرامه وصيانته وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسرها وآنسه مرع سكره فالناس من بعد موته على حرمته حتى يحيى لها الموت وله لئلا تنكح بعده (إن تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فإن الله كان بكل شيء عليما) أي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الخطاب ما بالناس مع من الدخول على أن أعماما نزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله عز وجل (لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن) أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز لذمية أن تصف الذمية لزوجها وقيل أراد به النساء كلهن فلا يجوز لكافرة أن تصف المسلمة لزوجها (ولا ما ملكت أيمانهن) اعلموا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فعند قوم يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الإماء دون العبيد (واتقين الله) أي ان تراكن أحدا عن هؤلاء (إن الله كان على كل شيء) أي من أعمال العباد (شهيدا) ﴿ قوله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يستغفرون وصلاة الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وصلاة الله تارة على ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام

(فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وحكمها) اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في العمر مرة وهو الأكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وأحمد في الرواية عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر وهو اختيار الطحاوي من

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) اى يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو معناه يؤذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر واستكبار البتوة تحقيرا واعما جعل تحقيرا لهما وحقيقة الايذاء تصور في حق رسول الله لئلا تجمع الضمير والحقيقة في لفظ واحد (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) طردهم الله عن رحمته في النار وسوء العاقبة (وأعد لهم عذابا مهينا) في الآخرة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

اجعلوا صلاتكم علي الا كصلاتكم على غيري قالوا فعلمنا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ت) عن ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن ابي مسعود البدري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا * عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحط عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات أخرجه النسائي وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه ذات يوم والبشر في وجهه فقلنا يا نبي الله رأيناك اليوم ساءك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك ان لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام * عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * عن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكتال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد أخرجه أبو داود ۞ قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون قالوا اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة والمشركون قالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من أفعال الدهر فعال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل ذلك الذي يسبونه الى الدهر فيرجع ذمهم معنى يؤذون الله تعالى في أسمائه وصفاته وفعله هم أشعار الصابئة (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة أو شعيرة وقال يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب منهاه وذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن أن تلحقه اذى من أحد وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه سحر وجهه وكسر رباعيته وقيل ساحر شاعر مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

ما اكتسبوا) أي من عمران عملوا ما أوجب أداءهم وقبل يعفو عنهم ويرحمهم (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) نزل في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه ونزلت في سبب عائشة وقيل برأت في الزنا الذي كانوا يخوضون في طرق المدينة يعني النساء فإذا رأوهن يتحدثن مع الرجال لا يتعرضون لهن (ولكن الله عفو رحيم) لما سلف منهن من التقصير (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وهم الزناة من قوله (فيطمع الذي في قلبه مرض) (والمرجفون في المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن مرابا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه محرما مترلا عما يليق من الرجفة وهي الزلزلة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على لنغرينك لا على يجاورونك عن أن يحلف به القسم لعدم دخول لن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصابهم عطف ثم لا يجاورونك على ما قبله عن حال المعطوف عليه (إلا قليلا) زمانا قليلا والمعنى ليس لهم بعد الجلاء عن عداوتهم وكيدهم والتسعة عن شرورهم والمرجفون عما يولون من أخبار السوء لأمرنك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم بأن تسلطهم إلى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا تساكنوك فيها إلا زمانا قليلا وسمي ما يرجفون قسما لأنه أخرج مخرج القسم على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الذم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا يبعد عن أحد والآن ما بعد حروف الشرط لا يعمل ما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد دل على الكثرة (سنة الله) نصب على المصدر مؤكدا أي سن الله في الذين خلوا من قبل (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا تبدل الله سنته في تحريم الجري لأحد في الأمم (يسألك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء والبعد منه تعالى لأن الله تعالى عمى

قوله (ذلك أدنى أن تعرف فلا تؤذين) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التقصير (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وهم الزناة من قوله (فيطمع الذي في قلبه مرض) (والمرجفون في المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن مرابا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه محرما مترلا عما يليق من الرجفة وهي الزلزلة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على لنغرينك لا على يجاورونك عن أن يحلف به القسم لعدم دخول لن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصابهم عطف ثم لا يجاورونك على ما قبله عن حال المعطوف عليه (إلا قليلا) زمانا قليلا والمعنى ليس لهم بعد الجلاء عن عداوتهم وكيدهم والتسعة عن شرورهم والمرجفون عما يولون من أخبار السوء لأمرنك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم بأن تسلطهم إلى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا تساكنوك فيها إلا زمانا قليلا وسمي ما يرجفون قسما لأنه أخرج مخرج القسم على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الذم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا يبعد عن أحد والآن ما بعد حروف الشرط لا يعمل ما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد دل على الكثرة (سنة الله) نصب على المصدر مؤكدا أي سن الله في الذين خلوا من قبل (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا تبدل الله سنته في تحريم الجري لأحد في الأمم (يسألك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء والبعد منه تعالى لأن الله تعالى عمى

عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعني ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي انها قريبة الوقوع وهو تهديد للمستعجلين واستكثار للمدة على (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار) أي تنقلب ظهرا لبطن حتى يمسها حر النار (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أي في الدنيا (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعني رؤس الكفر الذين لبسوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعني السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعفي عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) أي لعنا مستمرا ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي طهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) أي كريما مقبولا ومدورا قال ابن عباس كان حطيما عند الله لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذي به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فقال فجمع موسى بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر الله فأخذ ثوبه ولطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان بالحجر لندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيئ من جسده استحياء منه فآذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أهوى الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الآية ره عظم الخطر عند الله وقوله جميع أي أسرع وقوله بدارا أي مبادرة وقوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بضم النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد يقال به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال ومسلم في هذه الآية ان آذاهم اما انه لما بان هرون في السفر ذهبوا على موسى انه قتله فأمر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا فجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها على رأس الملا فجمعهم الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم في القسمة يومئذ فقال رجل والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن

في شأنه بدور ما سمع وهو من قاله بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن صفوف العيوب ونواقص الامور التي آذى موسى عليه السلام هو حديث الموسى الى ارادها قارون على قذفه بفعلها أو اتهامهم اياه بقتل هرون فاخبره الله تعالى أنهم برأه موسى عليه السلام كما برأه الله تعالى مما قالوه له كما سيأتي في حديث الموسى (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقيل الاعز والاكرم وكان عند الله وجيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما نشبت حتى قال سمعت وسمعت حتى كان كالمغرى ثم قال قم فعدل فإنك لم تصل فقال ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ثم قال يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر الصبر بكسر الصاد وسكون الموحدة الحبس على الأذى والدنو إلى تركه ولما علق بالطاعة الأمور العظيمة قوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) وهو رد الأمانة الطاعة لله وتحمل الأمانة أشبه بقولك فلان حامل للأمانة وتحمل لها أي لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن جسمه أداء الأمانة كأنها راكبة له وعن عليها وهو حاملها وله يقال ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها ومعنى أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد أعادت لأمر الله تعالى أن تحمل الأمانة وتسلها وهو ما يأتي من الجمادات وغيرها من الطاعة التي يلزم بها جميع لم يسع على مشقة يوارادته أعادا وتكوينا وتسويته على ما هي عليه وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أي وأجرام الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يتفجر منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يعرض عليه من الطاعة وما يلزمه من الأعمال أداء لأمر الله وإنما هو إن فاعل صالح لأشكاله فيما يحمل من ذلك الجمادات فيما يصح منها ولا يلزم بها من الآلة أو عدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها) أي أبين أن يحملنها لأنها لا تؤديها (وأشفقن منها) وخفن من الخيانة فيها (وحملها الإنسان) أي حاول حملها (إنه كان ظلوما) لكونه تاركا لأداء الأمانة (جهولا) لا يحط ما يلزمه مع تكلفه وهو أداؤها قال الرماح الكافر والمنافق حملا الأمانة أي حاولا ولم يطيقا عرض من أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا لأن

عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يقتضي الوعيد بين يستوي عليه السلام

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا امر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حيث عصى ربه جهولا اى لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضيعها ولم يؤدها وقيل فى تفسير الآية اقوال اخر وهو ان الله تعالى اقترح السموات والارض والجبال على كل شئ واقترح آدم واولاده على شئ فالامانة فى سوق الاحرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله وأشفقن ان يحملنها اى ليس الامانة ولم يحملنها الا الانسان فحمل بها الامانة فى حق بنى آدم فهى ما ذكر من الطاعة والعبادة والفرائض وقوله وحملها الانسان اى ساق فهلوعا على هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وما تاقها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

*(فصل) فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالى ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا وقوله وكل الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلط الجلد من أثر العمل وقد يجعل ما هنا هو الخطاب فى الجلد وقد يسره الحديث والانتباذ فيه ظاهر وليس دحرجته (ح) عن أبى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى ان تنتزع من الرجل فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينتزع فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالى ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا وقوله وكل الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلط الجلد من أثر العمل وقد يجعل ما هنا هو الخطاب فى الجلد وقد يسره الحديث والانتباذ فيه ظاهر وليس دحرجته (ح) عن أبى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى ان تنتزع من الرجل فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينتزع فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالى ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا وقوله وكل الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلط الجلد من أثر العمل وقد يجعل ما هنا هو الخطاب فى الجلد وقد يسره الحديث والانتباذ فيه ظاهر وليس دحرجته (ح) عن أبى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى

(٦١ - (حازن) - ثالث)

كتاب المبين) الالهي اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة وبكونه لا يعزب عنه ولا يفوته شيء ولا يعجزه شيء ولا يستعصي عليه شيء والا لم يكن عالما بكل شيء والاستدراك بلكن أو بلى لما قبله من النفي والاستغراق في النفي بمن الزائدة والجار والمجرور خبر ليس أو لا النافية للجنس وفي كتاب خبرها المحذوف والجملة حال من ذرة أو مثقال ذرة والاستثناء بالا في قوله (الا في كتاب مبين) منقطع بمعنى لكن أو بلى وما بعده مرفوع على الابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صعروا عليه من مناهج الاحسان سعاق بذلك سكم تعليلا له (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين طامعين أنهم يفوتونا ويعجزوننا أو معجزين ربنا أي مثبطين الناس عن الايمان بها وحاملها أو ناسبين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص وبخفض صفة لعذاب أي عذاب أليم من سيء العذاب قال ساءه الرجز سوء العذاب وعرفهم ما لخرصه ملرجز (ويرى) في موضع الرفع بالابتداء أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع الحال معطوف على ليجزي وما بينهما اعتراض أو يرى أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق على الارادة في الايمان (ويهدي) الله أو الذي أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وهم رؤساء قريش لبعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما نكروه مع أنه كان مشهورا معلوما عندهم تجاهلا به وبأمره مبالغة في التعجب منه كأنه مما لا يعرف أو لا يصدق أنه يوجد (ينبئكم) أي يقول لكم يعنون أنه يدعي أشياء عجيبة (اذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطع وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (افترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فما يسبب السمعي ذلك (أم به جنة) أي جنون فهم

كتاب المبين) أي من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) أي من الماء والشجر والمعدن والاموات اذا نشروا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه ﴿وقوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه أنهم أنكروا البعث وقيل استبطأوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربي لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يغيب عنه شيء من الخفيات وإذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وإتيانها (لا يعزب عنه) أي لا يبعد عنه (مثقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الا في كتاب مبين) الالهي اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة وبكونه لا يعزب عنه ولا يفوته شيء ولا يعجزه شيء ولا يستعصي عليه شيء والا لم يكن عالما بكل شيء والاستدراك بلكن أو بلى لما قبله من النفي والاستغراق في النفي بمن الزائدة والجار والمجرور خبر ليس أو لا النافية للجنس وفي كتاب خبرها المحذوف والجملة حال من ذرة أو مثقال ذرة والاستثناء بالا في قوله (الا في كتاب مبين) منقطع بمعنى لكن أو بلى وما بعده مرفوع على الابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صعروا عليه من مناهج الاحسان سعاق بذلك سكم تعليلا له (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين طامعين أنهم يفوتونا ويعجزوننا أو معجزين ربنا أي مثبطين الناس عن الايمان بها وحاملها أو ناسبين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص وبخفض صفة لعذاب أي عذاب أليم من سيء العذاب قال ساءه الرجز سوء العذاب وعرفهم ما لخرصه ملرجز (ويرى) في موضع الرفع بالابتداء أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع الحال معطوف على ليجزي وما بينهما اعتراض أو يرى أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق على الارادة في الايمان (ويهدي) الله أو الذي أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وهم رؤساء قريش لبعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما نكروه مع أنه كان مشهورا معلوما عندهم تجاهلا به وبأمره مبالغة في التعجب منه كأنه مما لا يعرف أو لا يصدق أنه يوجد (ينبئكم) أي يقول لكم يعنون أنه يدعي أشياء عجيبة (اذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطع وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (افترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فما يسبب السمعي ذلك (أم به جنة) أي جنون فهم

الله تعالى لنبيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاخبار والغيوب شيء وهو مبرأ منها (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي من الحق في الدنيا (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أي جعلوا لهم حسب كانوا في أرض ونحت سمائي فأين أرضي وسمائي محيطة بهم لا يقدرون أن يخرجوا من أقطارهما وأن خرجوا فمعهم ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا كما فعل بمن كذبهم من الأمم الخالية (إن في ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما دلا عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع إلى ربه مطيع له إذا نظر لاح له من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من كفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا) بدل من فضلا أو من آتينا بعد غير ولفظا حال أو لفظا حال (أوبي معه) من التأويب رجعي معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال أن الله تعالى خلق فيها تسبيحا وسمع منها كما تسمع من المسبح بحضرته لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال معه والطير لم تكن معه وهذه الفخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين المخبوز يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده كالشمع يعمل منه ما يريد من غير إحماء (أن اعمل) أي يعني أي أوامرنا بأن اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السرد وهو أول من اتخذها وكان يسرد الدرع فيأتي منها على نحو ما يريد وقيل كان يخرج من منزله متنكرا فسأل الناس عن نفسه وما يقولون فيه وفي داود فألهم ما يقولون في داود فسأل ربه أن يسبب له ما يسخر به من غير أن يعلم الناس فعلمه صنعة الدروع (واعملوا) الصنعة (ادرن أهله) (صالحا) حالا صالحا لله تعالى (إني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا أو ريح

الشر ظهيرا على نبيه قال الله تعالى ردا عليهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاخبار والغيوب شيء وهو مبرأ منها (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي من الحق في الدنيا (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أي جعلوا لهم حسب كانوا في أرضي ونحت سمائي فأين أرضي وسمائي محيطة بهم لا يقدرون أن يخرجوا من أقطارهما وأن خرجوا فمعهم ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا كما فعل بمن كذبهم من الأمم الخالية (إن في ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما دلا عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع إلى ربه مطيع له إذا نظر لاح له من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من كفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا) بدل من فضلا أو من آتينا بعد غير ولفظا حال أو لفظا حال (أوبي معه) من التأويب رجعي معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال أن الله تعالى خلق فيها تسبيحا وسمع منها كما تسمع من المسبح بحضرته لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال معه والطير لم تكن معه وهذه الفخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين المخبوز يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده كالشمع يعمل منه ما يريد من غير إحماء (أن اعمل) أي يعني أي أوامرنا بأن اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السرد وهو أول من اتخذها وكان يسرد الدرع فيأتي منها على نحو ما يريد وقيل كان يخرج من منزله متنكرا فسأل الناس عن نفسه وما يقولون فيه وفي داود فألهم ما يقولون في داود فسأل ربه أن يسبب له ما يسخر به من غير أن يعلم الناس فعلمه صنعة الدروع (واعملوا) الصنعة (ادرن أهله) (صالحا) حالا صالحا لله تعالى (إني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا أو ريح

وسخر لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسيرة غدوة تلك الريح المسخرة مسيرة شهر ومسيرة رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر فذلك مسيرة شهرين وقيل انه كان يغدو بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلنا له عين القطر) أي أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجرى له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) مثل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا معه سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ذلك السوط ضربة أحرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وهي على هيئة المرتعة والقصور والمجالس السر بعد الصوته عن الاستدلال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام اسس أساسه ورفعه فلما حضر داود أجله أوصى ذلك على بنيه ولكن ابى ذلك أملكه بعد ذلك اسمه سليمان أوصى اتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وحض كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور ومعادنهما وأمر بناءه المدينة اسدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر والصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فاتى من ذلك شيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وامرهم بحت تلك الاحجار ونشرها ألواحا وأسلاكا لتلك الجواهر ونحت المواد من الآلي في المسجد بالرخام الاحمر والاصفر والاخضر وعهد بالشياطين الذين استخرجوا الدر الصافي وسمى انواع الجواهر المنتخبة وخصص كل نوع منها بآلة من الآلي والاواني وسائر الجواهر ونسط أرضه بالواح العنبر والورس فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أطيب ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالعنبر لما له الدر فلما فرغ منه أحضر بني اسرائيل وأعلمهم انه بنى لله تعالى وان كل شيء في هذا المسجد فهو لله واحد ذلك الوقت وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجو له الثالثة سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فاوتي حكما وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائي وغيره (النسائي سأل ربه الا ما واعطاه اثنتين وانا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحو ما له لا ينهزه) أي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى عمره المسلمون بعد فتح بيت المقدس وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله الى دار ملكهم بالعراق وبنى الشياطين لسليمان بالجص صورا وحصونا (ومن الصور ﴿ وقوله عز وجل (وتماثيل) أي ما يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس ورخام وزجاج وقيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وقيل يحتمل ان اعداد الصور كان مباحا في شرعهم وهذا ما يحتمل ان يخالف شرعنا لانه ليس من الامور التي هي في العقل كالعدل والعلم والكذب ونحوهما مما هو في كل الشرائع فعلى هذا قوله اسدوا يحتمل ان يكون امرا من الله تعالى وقيل هو على الاباحة فاذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس أظلته السرادق بأجنحتها وقيل قوله الطاووس والعنقاء والصور على درجات مر ذكرها فلكل منهم ما أراد الدوسه (وجفان) أي صحاف (كالجواب) جمع جابية (وقدور راسيات) جمع راسية وهي الثابتة على الاثافي

اي

(في كل ناس الذين يحيى بهم البلاد أي يجتمع قبيل كان يقعد على الحقبة الواحدة ألف رجل ما كانوا يسمونها (وقليل من عبادي الشكور) أي ثابت على أداء الشكر لا يزيل عنها المعاصي وقلة الهم (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار الا وإنسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا معنى ﴿قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان تفرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين الشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخل المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبت في محرابه شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لأي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تعرس أمر بها فعرست وان كانت لدواء كف ذلك حتى ينبت الخروب فقال لها ما أنت قالت أنا الخروب قال ولأي شيء نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليعمر بيتا وأنا حي أسأل الله علي وحهك هذا كي وخراب بيت المقدس ثم مر بها وعرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أو يعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وهم ناظرون اليه ويحسبون انه حي ولا يستطيعون احتراسا منه ان يخرج الى الناس لعلمهم بصلاته وانقطاعه اليه فلبث كذلك حولا متكئا على عصاه ميتا والجن يعملون تلك الاعمال الشاقة حتى أكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته الا دابة الارض) يعني الارضة (تأكل منسأته) قال الضحاك يعني عصاه (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العمل والبناء مسخرين لسليمان وهو ميت وتطويه حتى أراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وعمل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد سهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبنى في الثالثة منه أو نحو سنة وشرع في بناء المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وبنى وهو ابن ثلاث وخمسين ﴿قوله عز وجل (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية) عن مروان بن سليمان المرادي قال لما أنزل في سبإ ما أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فسكن منهم ستة وتيامن منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل

وجوارسه اعتقادا واعترافا وكتب ابن عباس رضي الله عنهما من شكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكي عن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وإنسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم) أي الجن وآل داود (على موته الا دابة الارض) أي الارضة وهي دويبة تقال لها سرفة والارض تعلها فاضيف اليه تعالى أربعة أصناف الحشرة أرسالا أكلتها الارضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأ بها أي يطرد وينسأ به يعني همز مذف وأو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وبعضهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) حدموا سليمان

(في العذاب المهين) وروي ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فلما أن تمم وصى به الى سليمان فامر السلاطين باتمامه فلما فرغ من عمره سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يعرعوا فتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبنى في ملكه اربع سنين وابتدأ ببناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروي ان الجن دون حاله فلما ضرب الاسداد ساءه فكسراها فلم يحسر أحد بعده ان يدوسه (لقد كان لسبإ) بالصرف تأويل الحي وبعدمه أو عمرو بن ناوبل القبيلة (في مسكنهم) جنة وحمص مسكنهم على يحاب وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا معمين بها بالمن او مسكن كل واحد منهم عبر عنهم مساكنهم (آية) اسم كان

يا رسول الله ما الذي قال الله منهم بجهم وعجله أخرجه الترمذي مفرقا وقال حسن غريب وسألوا بن سحيم بن تعرب من تعلمات في سكنهم أي عارب من أرض اليمن آبه أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم صرح الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أي من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس يدها شيأ (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعم واعملوا طاعته (بلدة طيبة) أي أرض مأرب وهي سبأ بلدة طيبة مستطابة سمجة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيبة الهواء (ورب غفور) قال وهب أي ورب كم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره ۞ قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك أعراضهم (فارسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا نطاق فعل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحبس الماء وفعل العرم الوادي قال ابن عباس وجميع ما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يعملون على ما عوادهم فاغتروا بهم فسدوا الصخر والقار بالحلبي وجعلوا لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة عظيمة وجعلت فيها ثلاثين عسرجا على عدد أنهارهم يفجرونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامر بالماء الاعلى فصرح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الماء الاعلى ثم من الذي يليه ثم من الثالث الاسفل فلا يعدمون الماء حتى يروي الماء من السد المقفل فكانت تغيض منهم على ذلك فعتوا بعد هلاك من هلك واطغوا وكفروا وسلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فعرف الماء انهم أحرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يرعون ويحدون في علمهم ان الذي يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا في حجره من جحر من الارض الا وضعوا عنده هرا فلما حفر ما أراد الله تعالى بهم من التعريق أو أكثر منها ذكروا فأرة جراء كبيرة الى هر من تلك الهرار فساورها حتى اذا أخربها الهر دخل في الفرجة التي كان عندها فعلم فعلم في السد وحفر حتى أرهف السد ولم يعلموا بذلك فلما جاء السيل وجد خلالا فدخل منه حتى اذا بلغ السد وفاض الماء حتى علا أموالهم وغرقها ورد في بيوتهم الرمل فعرفوا ومن حولهم كل ممزق حتى صار مثلا لكل مفترق يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) قال هو شجر الاراك وعمره المر وقيل كل شجر ذي شوك أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو عمر شجر يعالج فيسوى الصمغ على صورة الصحناة فيفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه (وشيء من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وغيره الحق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا

قوله (بلدة طيبة وربّ غفور) أي هذه البلدة التي لكم وربكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم رب غفور لمن شكركم قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتملأه سدها وتسير بين تلك الشجر فما يسقط في المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيب الهواء ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن مر بها من الغرباء وهو قمل ثيابه قتله لطيب هوائها (فاعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة (فارسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي أو هو الجرذ الذي سلط عليهم السكر لما طغوا وسلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فعرفهم (وبدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وارد واح الكلام كقوله وجزاء سيئة

سيئة مثلها (ذواتي أكل خمط) الاكل الثمر والخمط كل شجر ذي شوك وقيل كل شجر لا ينتفع به لمرارته وقيل هو الاراك وقيل هو ضرب منه (وأثل وشيء من سدر قليل) الاثل شجر يسمو الطرفاء أعظم منه واحدته بهاء وقيل هو عرفط أو ضرب من الاثل هو عمر أي عمر وان أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ووجه أن عمر وان أكل الخمط فسمي العرب وهو عمر الاراك اذا كان عظاما كأنه قيل ذواتي مر وأثل وسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وعن الحسن قال السدر لا به أكرم ما بدلوا لانه يكون في الحدائق

الكفار يكم (ادعوا الذين زعمتم) أي أنهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في حتى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي ما لآلهة (فيهما) أي في السموات والأرض (من شرك) أي من شركة (وما له) أي لله (منهم) أي من الآلهة (من ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أي لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله في الشفاعة له فإن الكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وجب أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى إذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك ما يعتري عشية تصعقهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها اذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللترمذي اذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المعاند المطمئن والصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفا وصفوان فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة تضعها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كان الفزع عن عيسى وجد عليهما الصلاة والسلام حين سمعه أو سمائه لم يسمع الملائكة صوتا وحي فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع الملائكة صوت الوحي ظنوا أنه قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل كلما مر بأهل السموات من أشراط الساعة صعقوا مما سمعوا حتى قام على الساعة فلما انحدر جبريل جعل كلما مر بأهل كل سماء كشف عنهم فيقولون لرسلهم وهو يقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا فما لجحة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء ﴿قوله عز وجل﴾ (قل من يرزقكم من السموات والأرض) يعني المطر والنبات (قل الله) يعني ان لم يقولوا ان الرازق هو الله فقل أنت الله يرزقكم (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) معناه ان أحدنا لعلى الهدى وصاحبه لعلى الضلال ولا يخفى أن أحد الفريقين مهتد والآخر ضال ولكن هذا الكلام يستعمل فيما يتردد بين أمرين واحد لا شك أن أحد الفريقين على طريق الهدى والصلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو معاد قال لمن خوطب به هذا منصف صادق لكن وفي درجة عند نفسه ما قدم من العمر يدل على عجزه عن على من هو من العمر بعد على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن العمر ينقص ووصل بالمخاطب الى العمر المنصف وهو مع ذلك يكاد أن يكذب ويحلف من حرصه في الخير الذي هو عليه على الهدى والضلال لا يصلح الهدى كما هو على أحد هما

السبب

(وهو العلي الكبير) دو العلو والكبرياء ليس لأحد أن يتكلم دونه الا وهو الا ما أذن له وأن يسمع الا لمن أذن له وهي اللام الثانية في قوله أذن له لمن يراد بالمصدر أي لأجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كقوله عز وجل الا الأعمش (حتى اذا فزع) أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الأذن وفزع شاي أي الله تعالى و التفريع ازالة الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظارا للاذن ووقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كأنه قيل ينتظرون ويوقفون ملبا فزع حتى اذا فزع (قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى (

المبين على سبيل الالزام والاسكات فى اعتقاد من يقول ان احدا لا يعلم ذلك وهو يعلم انه مساو له فى ذلك فاذا كان عالما بذلك فلم لا يرسل الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم بما يعلمه من صدقه وصحة نبوته ويقيم عليهم الحجة بذلك فيؤمنوا به ويتبعوه ويسلموا من عذاب الله تعالى فلما لم يفعل ذلك علم انه كاذب فى دعواه ثم قال

وقد يتحسن الانسان وهو مسىء ... ويشكر الخير منه وهو مشكور

وقيل أن معنى الواو فى الآية التعليل هدى وانكم لفى ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أى لا تؤاخذون به (ولا نسئل عما تعملون) أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام المعاصى والزلات التى لا يخلو منها ومن مثلها العبد الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) أى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل (وهو الفتاح) أى القاضى (العليم) أى بما مضى (قل أروني) أعلمونى (الذين ألحقتم به) أى بالله (شركاء) أى الاصنام التى أشركوها مع الله فى العبادة فهل تخلق أو ترزق أو تدبر شيئا من الامور التى أدعيتم لها الالهية (كلا) أى ليس الامر كما تزعمون من الشركاء لله (بل هو الله العزيز) أى الغالب فلا يشاركه أحد وهو (الحكيم) فى تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الارسال اعم من البعث لانه قد يكون للملائكة الى الانبياء وقد يكون للانبياء الى الكفار وقد يكون للانبياء الى المؤمنين والبعث لا يكون الا للانبياء الى الكفار والكاف فى قوله كافة للمبالغة كالتاء فى علامة ونسابة والهاء فيه للتأنيث كالتى فى الرواية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أطاع (ونذيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أى القيامة المشار اليها فى قوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فاضاف اليوم وأما الاضافة فتبيين كما تقول لغير ساعة (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لا تؤخرون عن الساعة التى وقتت لكم ساعة ولا تقدمون عليها ساعة فلا تستأخرون عنها ولا تستقدمون عليها بل تأتون فى الساعة التى وقتت لكم لا محالة (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) يعنى الوراء والاستقبال (ولو ترى) أى يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتحاورون اطراف المحاورة ويراجعون اشتهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم

الرياسة يعنى الكافة فى اللغة الاحاطة والمعنى أرسلناك جامعا الناس فى الانذار والابلاغ فحذف الجار كما حذف فى قوله كتبت القلم بالقاف والهاء فيه للمبالغة كما فى الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أطاع (ونذيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أى القيامة المشار اليها فى قوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فاضاف اليوم وأما الاضافة فتبيين كما تقول لغير ساعة (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لا تؤخرون عن الساعة التى وقتت لكم ساعة ولا تقدمون عليها ساعة فلا تستأخرون عنها ولا تستقدمون عليها بل تأتون فى الساعة التى وقتت لكم لا محالة (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) أى ما نزل قبل القرآن من كتاب الله أو القيامة والبعث والنار حتى انهم تحدوا ان يكون القرآن من الله وأن يكون الدال على الاعادة للمراد جمعه (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) رد (بعضهم الى بعض القول) فى الحال أخبر عن عاقبة أمرهم وما آلهم فى الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتحاورون أطراف المحاورة ويراجعون بينهم لرأيت العجب فقدم الجواب (يقول الذين استضعفوا) أى الاتباع (للذين استكبروا) أى للرؤساء والمتبوعين

عما لا أسر سادا هذا الجواب على طريق الهدى مطابقا للسؤال على الانكار والاستهزاء بهم (لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) أى أنحن حلنا بينكم وبين الايمان بعد اذ جاءكم الهدى (بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) أى بل مكركم بنا فى الليل والنهار حتى أمرتمونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (بل مكر الليل والنهار) أى بل كان

القادة والاشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين) يعني أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) اي أهل المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الايمان (بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم في الليل والنهار وعمل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل بها (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) اي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تبيين للكفار أن تصرفاتهم تعصيهم في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسروا الندامة) أي أظهروها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب) اي جهنم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) اي في أعناقهم بناء بالصريح للدلالة على ما استحقوه بالاغلال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) اي (الا قال مترفوها) متنعموها ورؤساؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما يلقى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاءه وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة واحتقروا وأنكروا الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أرادوا انهم أكرم على الله من أن يعذبهم بل نرى الى أحوالهم في الدنيا وأنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما خولهم الله ظنهم بالرزق فصل من الله بينهم كما يشاء فيوسع على العاصي ويضيق على المطيع ويوسع على المطيع ويضيق على العاصي ولا يقاس عليهما أمر الرزق بقوله (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق بعده فقال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم الى الله ذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة وتحملها النصب على المصدر أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن وعمل صالحا) الا لكن من آمن وعمل صالحا فان ايمانه وعمله الصالح الذي يحققها في سبيل الله والاولاد لا يتقرب بهما أحد الا من عاهم الخير ورغبهم في الدين ورغبهم الصلاح والطاعة وعن ابن عباس الا يعني لكن ومن شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها الى سبعمائة ضعف فأولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) ما عملوا لهم (وهم في الغرفات) أي غرف الجنة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (معجزين) أي معاندين محسوبين

الاضداد وهم الطالون في قوله اذا الطالبون موتوفون يسألهم المستكبرون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) اي جهنم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) اي في أعناقهم بناء بالصريح للدلالة على ما استحقوه بالاغلال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) اي (الا قال مترفوها) متنعموها ورؤساؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما يلقى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاءه وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة واحتقروا وأنكروا الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أرادوا انهم أكرم على الله من أن يعذبهم بل نرى الى أحوالهم في الدنيا وأنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما خولهم الله ظنهم بالرزق فصل من الله بينهم كما يشاء فيوسع على العاصي ويضيق على المطيع ويوسع على المطيع ويضيق على العاصي ولا يقاس عليهما أمر الرزق بقوله (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق بعده فقال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم الى الله ذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة وتحملها النصب على المصدر أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن وعمل صالحا) الا لكن من آمن وعمل صالحا فان ايمانه وعمله الصالح الذي يحققها في سبيل الله والاولاد لا يتقرب بهما أحد الا من عاهم الخير ورغبهم في الدين ورغبهم الصلاح والطاعة وعن ابن عباس الا يعني لكن ومن شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها الى سبعمائة ضعف فأولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) ما عملوا لهم (وهم في الغرفات) أي غرف الجنة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (معجزين)

ايهم بغير حق (أولئك لهم عذاب مهين) ﴿ قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) أي يعطي خلفه اذا كان في عسر اسراف ولا تقتير هو
يخلفه بعينه فيما لا مفروض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى واما بالثواب في الآخرة
قال خلفه عليه وقيل عليكم ممن صدقتم أنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان
عنده من هذا المال ما يقيمه فلا قصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في حقر ولا يتأول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا في الآخرة
ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك وسلم بالمرء آدم أنفق أنفق عليك (ن) عن ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول
الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما
زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطي ورزق لان
كل ما رزق غيره فسلطان رزق عبده أو سبب رزق مولاه كأجير رزق سيده ومولى رزق الله أجراه الله
على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه ﴿ قوله تعالى (ويوم يحشرهم جميعا) يعني هؤلاء
الكفار (ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تعريف وتقرير
للكفار ليس أن الملائكة يجهلون من ذلك ﴿ وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) اي نبرئك (أنت ولينا
من دونهم) اي نحن لا نوالي أعداءنا ولا موالاة بيننا وبينهم بل أنت ولينا من دونهم (بل كانوا يعبدون
الجن) يعني الشياطين فان ملائكة الله لا يرضون بعبادة الكفار اياهم وقوله بل كانوا يعبدون
الجن أراد ان الشياطين دعوا الناس الى عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين
عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) اي مصدقون للشياطين قال الله تعالى
(فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعة (ولا ضرا) أي بالعذاب يرد بعضهم عاجزون لا يمنع عنهم
ولا ضر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك
مفترى) يعني القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء
المشركين (من كتب يدرسونها) أي يقرؤونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأتهم الرسول قبلك

والمراد انه لا صارف ولا مانع يومئذ الا هو ثم ذكر علة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) وضع الظاهر في
موضع المضمر (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أي
المشركون (ما هذا) أي محمد (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الا افك مفترى وقال الذين كفروا)
أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) القرآن أو لامر الدعوة كله (لما جاءهم) وتحيروا عن الاتيان به (ان
هذا) أي الحق (الا سحر مبين) موه على انه سحر وموه على انه من ظاهر كل عاقل تأمله بما ظهر (وما آتيناهم من كتب يدرسونها)
أي ما أعطيناهم سرك مكة كتبا يدرسونها ويعلمون على صحة السر (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) فلا أرسلنا اليهم نذيرا يسد درهم بالعقاب
ان لم تسكر أثم لوعدهم على تكذيبهم بقوله

وبعضهم صيروا ما ثبات موالاة
الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضا بعبادتهم لهم لان
من كان على هذه الصفة
كانت حاله مباينة لحالتك (بل
كانوا يعبدون الجن) أي
الشياطين حيث أطاعوهم
في عبادة غير الله أو كانوا
يدخلون في أجواف الاصنام
اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
أو صورت لهم الشياطين
صورهم من الجن وقالوا
هذه صور الملائكة فاعبدوها
(أكثرهم) أكثر الانس
أو الكفار (بهم) بالجن
(مؤمنون فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا
ولا ضرا) لان الامر في ذلك
اليوم لله وحده لا يملك فيه
أحد معه ولا مضره لاحد
لان الدار دار ثواب وعقاب
والملك والمعاقب هو الله
فكانت حالها خلاف حال
الدنيا التي هي دار تكليف
والناس فيها يحيى بعضهم
بعضا ويرزقون ويعاقبون

ثم تتفكروا) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءه أما الاثنان فتتفكران ويعرض كل واحد منهما حصوله فكر على صاحبه ويعتبران به نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تعرفهم شيء وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويعيل الانصاف فمن يفكر الاعساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصره المذهب وتفكروا معطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) بجنون وانما لم تتفكروا وتعلموا ما بصاحبكم من جنة (انهو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام انا نذير لكم بين يدي الساعة من يدركني منكم ومن أدركته الساعة فمات قبلها فأنا نذير له (قل ما سألتكم من أجر) على انذاري وتبليغي الرسالة (فهو لكم) جواب الشرط مقدر أي ان سألتكم من أجر كقوله ما يمنع الناس من رجمه انه يسبك الآلهة وما لي في هذا فهو لك أي ليس لي فيه شيء (ان أجري) مثوبتي وثوابي (الا على الله) وحده لا شريك له (وهو على كل شيء شهيد) عالم اني لا أطلب الا وجهه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحي والصدق لوحي السماء وكتبه يدفع وأصله يقذف استعارة لمعنى الالقاء ومنه قذف في قلوبهم الرعب أي ألقاه وفي الحديث ومعنى يقذف بالحق يلقيه به الى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) مرفوع على البدل من الضمير في يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي يزيل الباطل ويمحقه لان الابداء والاعادة من صفات الحي فعبر بهما عن ذهاب الباطل وقيل جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الأصنام يقول لا تبدئ للعابد خيرا ولا تعيد له خيرا كما لا تفعل ذلك

ولا أرسل اليهم كتاب (وما كذبوا الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة رسلها (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم تحذير لهذه الامة عذاب الامم الماضية قوله عز وجل (قل انما أعظكم) أي آمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة بقوله تعالى (أن تقوموا لله) أي لوجه الله خالصا لا لغيره (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) أي واحدا واحدا (ثم تتفكروا) أي تجمعوا جميعا فتفكروا وتتشاوروا وتتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان تعلموها أصم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الاخلاص في الامر والنهي وتصديق ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن ما بصاحبكم من جنة وفي الآية دليل على ان الفكر يؤدي الى العلم وان التفكر واجب وفي الحديث تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله وقد علم ان هذا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة حين دعاهم الى أشرح قريش صدرا وأرجحهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم ولا وأبرأهم كاهم نفسا وأجمعهم لما تحمد عقبى الحال وتحمد عواقبه وإذا علم ذلك كله كان ان يطالبه بما آتاه وإذا سامها ان يأتيه بمن هو أرصن منه وأعقل في كلامه وقيل سألهم هل رأوا منه كذبا قط ثم تفكروا أي في السموات والارض وعلموا ان خالقهما واحد لا شريك له ثم تأملوا ما بصاحبكم من جنة (انهو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيئا (ان أجري) أي ثوابي (الا على الله) الاعلى الله وهو على كل شيء شهيد) عالم اني لا أطلب الا وجهه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحي والصدق لوحي السماء وكتبه يدفع واصله يستعار لمعنى الالقاء ومنه قذف في قلوبهم الرعب أي ألقاه وفي الحديث ومعنى يقذف بالحق يلقيه به الى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) مرفوع على البدل من الضمير في يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي يزيل الباطل ويمحقه لان الابداء والاعادة من صفات الحي فعبر بهما عن ذهاب الباطل وقيل جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الأصنام يقول لا تبدئ للعابد خيرا ولا تعيد له خيرا كما لا تفعل ذلك

للباطل هو أخس والحق لا يطلق بلبس أحد التنوين ولا يعتد بالساكن وقيل الباطل الأصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) ودلالته ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت كما تزعمون أنتم فانما أضل على نفسي أي اثم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) أي من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) ﴿ قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ فزعوا) أي حين بعثوا أي حين يفزعون من عذابهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتونا ولا نعجزهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أحدوا من بطن الأرض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يعوزونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف البيداء وهي الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا عظيما (وقالوا آمنا به) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند الموت (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما قد عدم عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان ذلك في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فقيل وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب أو أهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه ساحر وكاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا حساب ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وصحتها ورجحانها (كما فعل بأشياعهم) أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والايمان وقت البأس (انهم كانوا

التناول هو التأخر والمعنى لا يفوتون بأس أحد أرادهم ولا يعجزونه أينما كان وقيل الباطل الأصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) ودلالته ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت كما تزعمون أنتم فانما أضل على نفسي أي اثم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) أي من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) ﴿ قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ فزعوا) أي حين بعثوا أي حين يفزعون من عذابهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتونا ولا نعجزهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أحدوا من بطن الأرض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يعوزونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف البيداء وهي الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا عظيما (وقالوا آمنا به) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند الموت (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما قد عدم عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان ذلك في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فقيل وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب أو أهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه ساحر وكاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا حساب ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وصحتها ورجحانها (كما فعل بأشياعهم) أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والايمان وقت البأس (انهم كانوا

التناول هو التأخر والمعنى لا يفوتون بأس أحد أرادهم ولا يعجزونه أينما كان وقيل الباطل الأصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) ودلالته ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت كما تزعمون أنتم فانما أضل على نفسي أي اثم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) أي من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) ﴿ قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ فزعوا) أي حين بعثوا أي حين يفزعون من عذابهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتونا ولا نعجزهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أحدوا من بطن الأرض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يعوزونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف البيداء وهي الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمرا عظيما (وقالوا آمنا به) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند الموت (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما قد عدم عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان ذلك في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فقيل وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب أو أهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه ساحر وكاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا حساب ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وصحتها ورجحانها (كما فعل بأشياعهم) أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والايمان وقت البأس (انهم كانوا

في الشك من صاحبهم كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناوش بالهمز أبو عمرو وكوفي غير حفص غيرت الواو لانكسار ما قبلها وهي مضمومة ضمتها لازمة وان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو مولك ادور وهاروم وان شئت قلت ادؤر وهاؤم وهي بمعنى التناوش بالهمز التناول من بعد بعد همز المتناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال

في قلوبهم الوسوسة وما أسعدك (ان الله على كل شيء قدير) قادر (ما يفتح الله
للناس من رحمة) فلا يقدر
أحد على امساكها واسم
كله فالمس آية رحمة ورزق
أو مطر أو صحة أو غير ذلك
(فلا ممسك لها) فلا أحد
واسم بالفتح للاطلاق
والارسال ألا ترى الى قوله
(وما يمسك) ع وحبس
(فلا مرسل له)
(من بعده) من بعد امساكه
وأنث الضمير الراجع الى
الاسم المضمن معنى الشرط
على معنى الرحمة ذكره
حملا على اللفظ المرجع
اليه ولا مانع فيه لان
الاول فسر بالرحمة فحسن
اتباع الضمير المفسر ولم
يفسر الثاني فسر له على
أصل التذكير وعن
معاذ مرفوعا لا زال الله مسبوطة على هذه الامة سالم رعى حمارهم بسحارهم ويعظم برهم فاجرهم

ونعس مراؤهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما يقتضي الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) بالسان والعلم (نعمت الله عليكم) وهي التي تقدمت من سط الارض كلها وادرار الرسل اسباب السعادة ودعوة السعي وله مذيد والزيادة في الخلق ورفع أواب الرزق عم به على رأس النعم وهو ابتداء الخلق بعد العدم فقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أي لكم وما الجر على وصفه على الوصف لفظا (يرزقكم) يحتمل أن يكون مستأنفا بمعنى يرزقكم (من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا هو) جملة معترضة لا محل لها (فأنى تؤفكون) فأي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تسلية له على قومه سوء صنيعهم لآيات الله وتكذيبهم ما أرسلي رسوله ما له في الاتيان بمثله اسوة ولهذا ذكر رسل أي رسل دو و لذكروا وأولوا آيات وبدروا أهل اعصار ما والوا أصحاب صبر وعزم لانه أسلي له وتقدير الكلام وان يكذبوك فاس تكذيب الرسل من قبلك لان الشرط مع الشرط ولو اجري على الظاهر يكون ساقطا موضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فأس اسوة لك في المسلين أي ما تكذيب

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وستمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقها ومبدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي الى الانبياء (أولي أجنحة) أي ذوي أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الاجنحة ما شاء قال عبد الله بن مسعود في معنى الآية رأى جبريل له ستمائة جناح وقيل في صورته له سبعمائة وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وقيل هو الملاحة في العين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شيء قدير) أي مما يريد أن يخلقه قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير وورق (فلا ممسك لها) أي لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أي فيما أمسك (الحكيم) أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد العي والحسب أي لا ينفع المحبوب والعي حظه وغناه انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) وسل الخطاب لاهل مكة ونعمه الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الاعراب عنهم (هل من خالق غير الله) أي لا خالق الا الله وهو ابتداء مضمر تقديره لكم (يرزقكم من السماء) يعني المطر (والارض) أي النبات (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) أي من أين يصرفكم الافك وهو الكذب بعد توحيد الله وانكار الصنم وأنتم معترفون بأن الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك)

في شك) أي من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أي موقع الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وستمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقها ومبدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي الى الانبياء (أولي أجنحة) أي ذوي أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الاجنحة ما شاء قال عبد الله بن مسعود في معنى الآية رأى جبريل له ستمائة جناح وقيل في صورته له سبعمائة وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وقيل هو الملاحة في العين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شيء قدير) أي مما يريد أن يخلقه قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير وورق (فلا ممسك لها) أي لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أي فيما أمسك (الحكيم) أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد العي والحسب أي لا ينفع المحبوب والعي حظه وغناه انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) وسل الخطاب لاهل مكة ونعمه الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الاعراب عنهم (هل من خالق غير الله) أي لا خالق الا الله وهو ابتداء مضمر تقديره لكم (يرزقكم من السماء) يعني المطر (والارض) أي النبات (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) أي من أين يصرفكم الافك وهو الكذب بعد توحيد الله وانكار الصنم وأنتم معترفون بأن الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك)

يعزى بصلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى يجرى الكفار من الكفر وتكذيبه ﴿ قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أى لا تحدثكم بلذاتها وما فيها على الآخرة وطلبها عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى عادوه باطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصى (انما يدعو حزبه) أى أشياعه وأولياءه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه وحال مخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) ﴿ قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس رلت فى أبى جهل ومشركى مكة وقيل رلت فى أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شيطانه وقيل نفسه وقيل عمله (فرآه حسنا) وفى الآية حذف تقديره أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وجواب الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على مافات والمعنى لا تهتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا) أى يزعجها من مكانه وقيل يجمعه وقيل يقلبه (فسقناه) أى فسوقه (الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) أى مثل احيائنا الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه قال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به مخصبا قلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه ﴿ قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قال مقاتل من كان يريد العزة فليطع الله فان العزة كلها لله وهو دعاء الى

سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرات ﴿ حذف الجواب لدلالة ما تقدم عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله قدم لدلالة ما بعده فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لانها حسرات معمول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حسدا وماتا عليه حسدا ولا تحور أن يتعلق حسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح) الريح عكس وجمعوه على (فتثير سحابا) أى تزعجه وتحركه (فسقناه الى بلد ميت) بالمطر يعنى وجره وعلى وحمص وبالجدب غيرهم (فأحيينا) بالمطر (به الارض بعد موتها) يبسها وانما ذكر الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتسخيرها للصورة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بعمل فرع عبر وخصوصه بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل صقلا وأحمد لم يعد ولا يهما على لفظ الغائب الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجسادهم (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى العزة كلها لله يعزه الدنيا وعزه الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا لما سلموا من عز موا طأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمسلمين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة جميعا من أن لا عزة الا لله والمعنى فما لهؤلاء الذين اتخذوا آلهة وضع قوله لله العزة جميعا موضع فما لهم عند الله العزة جميعا لدلالة ما بعد على الذى لا تطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك لمن أراد الصحة فهى عند الاطباء يريد فما لهم الا عند الله ، ما ل عا سه عامه وفى الحديث انه يقول كل يوم انا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ترجم عرف ان ما تطلبه العزة ، ، له ، ى هذا الآية لما علم مما ذكر الامام السبكى عن الرماح انه عبر ما هو فما لا ه

شديد الملوحة بحر وان الحلق علوحسو مسل هوالمر (ومن كل) يعني من البحرين (تأكلون لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجون) أي من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان وفصل بذكر اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر المالح عموما عنده فتمرح بالملح فتكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك) سواخر) أي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أي بالتجارة (ولعلكم تشكرون) أي تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (ان تدعوهم) يعني الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) يعني انهم جماد (ولو سمعوا) أي على سبيل الفرض والمحال (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم في ما تدعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بأشراككم (٤٩٧) لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم اياانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا ينبئك أيها المخبون بأحسان العرب كما ينبئك الله الخبير بحقائق الامور وبحقيقته ولا يخبرك بالامر مخبر هو في علمه به وبدان الخبر بالامر وحده هو الذي يحصل له الحق من غيره دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لا في حس بصر ما أخبرتكم به (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) فال دوالنون الخلق محتاجون اليه في كل نفس وطرفة وخطرة كما لا وجود لهم به وبقائهم به (والله هو

(٦٣ - (خازن) - ثالث) الغني) عن الاشياء أجمع (الحميد) المحمود كل لسان ولم يسمهم بالفقراء للعبرة بل لا مرض على الاسماء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطلع الاعلام ورد ذكر الحمد دليلا على انه الغني النافع بعباده لطفه وانواعا مع عليهم اذ ليس كل غني بانعا بالاذا كان الغني جوادا دائما دواما نعم جزيلا فضلا لهم على الله الخلق حكما منه بالغني وتهم بالفقر ان ادعى الغني تحت عن الله ومن أظهر فقره الله بغنى الله فدأن يكون مضطرا الى السؤال ومنقطعا عن الغير الا محيى يكون عبودية نفسه والعبودية هي الذل والخضوع وعلامة ان لا تسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا بد من فقر بالله لا بد وقال الحسين على مقدار اصغار العبد الى الله يكون اعظام الله وكلما ازداد اعظاما ازداد اصغارا في عين نفسه والمعرفة الحقيقية بالله تكون بالعجز عن المعرفة لان المعرفة في القلب والركون في الغني والرجوع الى الله بالكلية والصبر عن الرجوع الى الاعمال وفصل نفسه الاولياء بالله بالعجز عن الله في كل شيء والفقر الى الله في كل شيء والرجوع اليه في كل شيء وقال السلمي الفقر بحر اللاهوت بلاؤه كله مر (ان يشأ يذهبكم) كما كم الى العدم فلا يبدأ به لا يكم في العدم (ويأت بخلق جديد) وهو بدون جدكم جديد (وما ذلك) الاذهاب والاتيان (على الله بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده (لا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثام نفس أخرى والوزر ثقل الوزر ثقل السيء اذا حمله والوزر ثقله نفس

كلهم من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوبها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المدعو لقرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يعنى الاب والام والابن مقول يأبى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أى انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لا اطلاع لغير عليه (وأقاموا الصلاة) فيما بينهم وبين ربهم (ومن يتزكى) يتطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم (٤٩٨) واقامتهم الصلاة لانهم مأمورون بحمل التزكى (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للمتزكى بالثواب (وما يستوى الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحارة كالسموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار من الهواء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه ورد به لان أكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات أن نفيها جمعا نفى كل واحد على سبيل الشمول ونفيها فردا فردا نفى على سبيل البدل والتوزيع (ان الله يسمع من يشاء) أن يهديه فيعلم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت يا محمد فليس عليك الا أن تبلغ (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات فى عدم انتفاعهم بما يسمعون (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا منذر (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أى من جماعة كثيرة (خلا فيها) أى سلف (ونذير) أى نبى منذر فما من أمة من أمم الكفرة من عهد عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم الا وقد جاءهم نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وآثار الدارسة من ذلك الا أن ما درس من آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار ما درس من آثار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف (وبالكتاب المنير) أى الواضح وقيل أراد بالكتاب الصحف والزبر والانجيل والزبور وقد ذكر الكتاب بعد الزبر كما ذكر العام بعد الخاص كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعنى أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى ألوانها فى الرؤية والصورة والحسن

(ومن الجبال جدد بيض وحمر) بعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) تعني منها
بيض ومنها هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غربيب
منها بالون الغراب (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك)
أي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام هنا ثم ابتدأ فقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال
ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه
ولم يشبهوه ومن أراد به غير هذا فقد حشبه (ن) عن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن
الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية قوله فرخص فيه أي لم يشدد فيه قوله فتنزه عنه أقوام
أي تباعد عنه وكرهه قوم (ن) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها
قط قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم
خنين أي بكاء لهم حسيس هو الصوت يسمع عند اتساع الصوت من الأنف وقال مسروق كفى بخشية الله علما
وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أي شيء العالم فقال الشعبي العالم من خشي الله عز وجل
وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (إن الله عزيز)
أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لأنه المنتقم للعاصين وإذا كان كذلك
فهو أحق أن يخشى ويتقى ۞ قوله عز وجل (إن الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعملون
بما فيه يعملون به (وأقاموا الصلاة) أي يؤدون الصلوات المكتوبات في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي في سبيل
الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) أي لن تهلك والمراد من التجارة ما وعدالله من الثواب
(ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس يعني ما لم ير ولم يسمع أذن (إنه
غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك
من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب (إن الله بعباده لخبير بصير) ۞ قوله
تعالى (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا إلى الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل
أورثناه يعني لأمة محمد (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله
اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بكرامته فمن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم

والعاقل لا يخشى إلا من يخشى (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية) أي سرا من الغير وعلانية من الفرض يعني لا يشغلهم تلاوته عن تلاوة العمل به (يرجون تجارة) هي طلب
الثواب بالطاعة (لن تبور) لن تكسد يعني تجارة لا يخاف الكساد وهي عبادة الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم
عبده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) جميع الأمور التي يسعهم من أحسن منها أو ضعف حسناتهم أو تحقيق
وعده لهم به أو توجيه في موضع الحال أي يراجحين واللام في ليوفيهم متعلق بيتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة
والإنفاق لهذا الغرض وخسران (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفر ذنوبهم شكر لأعمالهم أي يعطي الجزيل على العمل
القليل (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن ومن للبيان (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لأن الحق لا يكون غير مصدق (لما
بين يديه) لما تقدمه من الكتب (إن الله بعباده لخبير بصير) فيعلم وأبصر أحوال العباد وأهلا لأن يوحى إليهم فيؤتيهم هذا الكتاب المجيد الذي
هو أرجح على سائر الكتب (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا إلى القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا

فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البزي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الثعلبي وعن حذيفة بن اسيد الغفاري عن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحدث به عمر بن يحيى بن سعيد فعل شيخ منا شيخ هذا الحديث فخر ميتا وروى بسنده عن ثابت رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحمني وآنس وحشتي وسق الي حاجتي فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لما أسعدك الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخله الله ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال سعد بن مسهر سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن أتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلكم وأشباهكم يا معشر القراء قال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله عز وجل الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها ويقال الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم ويقال السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما سمعه الكفار بعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان رغما للجهور وانما قدم الظالم للابتداء بكبرهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا يأس من دخوله وقيل انما قدمه ليعرف ان دخول (جنات عدن يدخلونها) أول الاحوال معه ثم يرقيه بعد ذلك وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم الظالم الجاهل وقال أبو القاسم السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي اعتمد على العلم والعابد والعالم المقتصد الذي اعتمد على الزهد والزهد والسابق الذي اعتمد على الفهم والاخلاص وقيل الظالم من أحدث الدنيا حلالا كان أو حراما والمقتصد من جعلها لا يتجاوز بها الحلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (بإذن الله) أمر أو علمه أو توفيقه (ذلك) اي اجراء الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) مبتدأ وخبره يدخلونها والجملة (يحلون)

يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس بحق ذنوبه لا يخرج منها حتى يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيخرج ويدخل الجنة والاثر عن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما سمعه الكفار بعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان رغما للجهور وانما قدم الظالم للابتداء بكبرهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا يأس من دخوله وقيل انما قدمه ليعرف ان دخول (جنات عدن يدخلونها) أول الاحوال معه ثم يرقيه بعد ذلك وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم الظالم الجاهل وقال أبو القاسم السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي اعتمد على العلم والعابد والعالم المقتصد الذي اعتمد على الزهد والزهد والسابق الذي اعتمد على الفهم والاخلاص وقيل الظالم من أحدث الدنيا حلالا كان أو حراما والمقتصد من جعلها لا يتجاوز بها الحلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (بإذن الله) أمر أو علمه أو توفيقه (ذلك) اي اجراء الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) مبتدأ وخبره يدخلونها والجملة (يحلون)

(٥٠١) (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى كل كفور) يجزى كل كفور أو كل مرتد (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون فيها ويتعالون من الصراخ وهو الصياح بتحهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لتهيئ صوته المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطيع بعد المعصية فيجابون بعد عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يحتمل أن يكون ما مكررا موصوفا أي نعمرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر يمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ في المطاول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الاخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يمنعهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ما غاب فيها عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالعلل لانه اذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل ما في العالم وذات الصدور مصدر أريد بها ما هي تأنيث ذو وقول ابن كيسان ذو بمعنى صاحبة أي ما في نفوسها من الحمل لان الحمل يصحب البطن وكذا المصدر الذي يصحب الصدور ودخول اللام في الصلة (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يحتمل أن يكون خطابا للمستخلفين حيث خلفوا من قبلهم ويجمع على خلائف بمعنى انه جعلكم خلفا في أرضه وملككم مقاليدها لتصرفوا فيها بأمره فانظروا كيف تعملون فيما استخلفكم فيه وهو تحذير من الاغترار بما يمهل فيه الكافر ويوسع عليه من النعم وتنبيه على أن الواجب على المستخلف أن يشكر ما أولاه من النعم بالطاعة (فمن كفر) منكم وعطف ما بعده على هذا الشرط (فعليه كفره) وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أي عصاه وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام جعلوها شركاء لربهم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعني أي جزء

(ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وقيل حزن العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة (ان ربنا لغفور) لذنوبنا (شكور) للطاعات وان قلت (الذي أحلنا دار المقامة) أي الاقامة لا شخوص بعدها يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه (لا يمسنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لغوب بفتح اللام وهو شيء يلغب منه أي لا تتكلف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) جواب الذي ونصبا عطفا على محل بهما أي لا يحكم عليهم بموت فتستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نارجهنم

(ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وقيل حزن العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة (ان ربنا لغفور) لذنوبنا (شكور) للطاعات وان قلت (الذي أحلنا دار المقامة) أي الاقامة (من فضله) أي لا ناعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أي لا تمسنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) أي اعياء من التعب ﴿قوله تعالى﴾ (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي فيستريحوا من ما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون) أي يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي في الدنيا من الشرك والمعاصي فيجيبهم الله تعالى توبيخا لهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو الملوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (ح) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعمه ياسادات العلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر ما من سعره شعر الا قال لاخيها استعدي فعند رب الموت (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أي مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعني انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم ما سواه ﴿قوله تعالى﴾ (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم وذلك ما يدعى ان نعمر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم مقاليدها لتصرفوا فيها بأمره (فمن كفر) أي جحد هذه النعمة وغطاها (فعليه كفره) أي وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أي عصاه وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام جعلوها شركاء لربهم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعني أي جزء

استبدوا بحلقه من الارض (أم لهم نصيب في السموات) أي حتى في السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينته) أي على صحة برهان من ذلك (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضا الا غرورا) يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله ﴿قوله عز وجل﴾ (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي لكي لا تزولا فحذف لام كي (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس يمسكهما أحد سواه (إنه كان حليما غفورا) أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكان قادرا على تعجيل العقوبة لكنه حليم غفور له (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا والله لئن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل مكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الامم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه وأنزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من إحدى الامم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) عنه (الا نفورا) أي تباعدا عن الهدى (استكبارا في الارض) يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيئ) يعني عمل الشرك وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) أي لا يحل ولا يحيط الا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الا سنت الاولين) يعني أن يحل العذاب بهم كما حل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) أي تحويلا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) أي ليفوت عنه (من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها من بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة ومن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسراره كتبه

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه السلام والسلام)

ولقد جاءهم من ربهم الهدى (أم لم) من احدى الامم) بلغ قريشا مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم وقتلوا من الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم والله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) أي ما زادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكبارا في الارض) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى وما زادهم الا نفور والاستكبار ومكر السيئ أو حال هي مستكبرين ومكارين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل مكروا ومكر السيئ وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم وكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط ويحل (المكر السيئ الا بأهله) وقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخيه محفرا وقع فيه معناه (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو ازال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الامم فهم والمعنى فهل ينظرون بعد ذلك الا أن يحل بهم العذاب الذي حل بمن قبلهم من مكذبي الرسل حيث استمروا على تكذيبهم إياك (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) يعني ان سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا تبدل ابدا ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك معلوم لا محالة (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار المساكن وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اي بدنا وأولادا ومكنا ومن المرار (وما كان الله ليعجزه) ليسبقه ويفوته (من شئ) أي شئ (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بهم (قديرا) قادرا على عذابهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) مما أحدثوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله الا بعده من شئ في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي لم يخف عليه شئ من أمرهم وحكمه حكمهم والله الموفق للصواب

To: www.al-mostafa.com